صحافة الاتجاه الإسلامي في مصر
فيما بين الحربين العالميتين

الطبعة الأولى
١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

الوفاء للطباعة والنشر

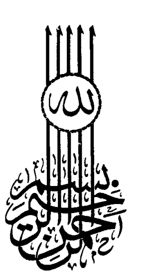
دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - ج.م.ع - المنصورة
الإدارة : ش الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب ص . ب٢٣٠
ت :٣٤٢٧٢١/ ٣٥٦٢٢٠/ ٣٥٦٢٣٠ فاكس٣٥٩٧٧٨
المكتبة : أمام كلية الطب ت ٣٤٧٤٢٣

صحافة الاتجاه الإسلامي في مصر

فيما بين الحربين العالميتين

الدكتور

جمال عبد الحي عمر النجار



بسم الله الرحمن الرحيم
المقدمة

أهمية الدراسة :

تنبع أهمية هذه الدراسة من أهمية الصحافة بوجه عام ، وفى فترة البحث بوجه خاص، حيث تؤدى الصحافة دورا مهما فى حياة الناس على مختلف طوائفهم وثقافتهم ، فهى تتناول الأحداث السياسية والاقتصادية والاجتماعية بالتحليل والدراسة ، كما أنها أداة لتبادل الآراء فى مختلف ما يهم الناس من الأمور؛ لذلك نجد أن الصحافة مرآة حياة الناس وواقعهم ، وسجل للأحداث المهمة التى مرت بها الأمة المصرية ، كذلك تسهم فى تكوين الرأى العام والتأثير فيه .

وكانت الصحافة فى تلك الفترة هى وسيلة الإعلام الأولى التى أسهمت فى بناء النهضة الفكرية المعاصرة، فقد حملت الصحف الوطنية والإسلامية لواء الدعوة إلى مفهوم الإسلام الصحيح والدفاع عن اللغة العربية، ومقاومة الدعوات التغريبية والغزوات الفكرية التى تعرضت لها مصر فى العشرينات من هذا القرن . فقد حاول الاستعمار البريطانى الاستيلاء على عقل الشعب المصرى وتغيير فكره ؛ لأنه علم أن الاستيلاء على الأرض يتم بقوة السلاح ، أما الاستيلاء على البشر فلا تجدى فيه الأسلحة ؛ لذلك بدأ يعمل على تغريب عقول الشعب المصرى ، حتى يقبل الاستعمار الغربى ويصبح تابعا لحضارته ، واتجه أيضا إلى تدمير العقائد والأفكار وهدم القيم وتحطيم الأخلاق والآداب والتقاليد الإسلامية (١) .

وقد حاول الاستعمار كذلك أن يمحو الثقافة الإسلامية والعربية ، وأن يحل ثقافته الغربية فى العقل العربى، وكانت أهدافه تتركز فى إحكام طوق التبعية حول الإنسان العربى، تلك التبعية التى تشمل الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، كما حاول الاستعمار أن يجعل التعليم على نظامه ، وحاول أن يجعل مظاهر الحياة وصور التقدم هى صورة حياته الغربية ، وأن تصبح الحياة الغربية هى النموذج والمثال الذى يحتذى (٢) .

فى ظل هذا الضغط وتلك السيطرة الاستعمارية ، نشأت صحف عربية عميلة تعبر عن الاستعمار ، وتحمل أفكاره وتروجها مثل : صحيفة المقطم ، والمقتطف ، والهلال ، والمجلة الجديدة وغيرها (٣) .

---

(١) يوسف القرضاوى : الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا ، القاهرة : ١٩٧٣م ، ص١٧ ، ١٨ .

(٢) محمد سيد محمد : مقال بعنوان : «الظاهرة الإعلامية فى ضوء القرآن الكريم» الأهرام ٢٣/ ٥/١٩٨٦م .

(٣) أنور الجندى : يقظة الفكر العربى المعاصر ، القاهرة : مطبعة وهران ، ١٩٧٥م ، ص٢٢ .

ويمكن القول : إن جذور الغزو الفكرى التى غرسها الاستعمار الإنجليزى فى التربة المصرية قد بدأت تؤتى ثمارها فى أوائل القرن العشرين ، يصور ذلك محمد فريد وجدى ـ أحد الذين عاصروا هذه المرحلة ـ قائلا :

«الذى لم ير فى مصر إلا الاحتلال العسكرى لم ير من أحوالها الاجتماعية شيئًا ، فإن أنواع الاحتلالات الأجنبية فى مصر كثيرة ، ففى مصر احتلال عادى خاص بالعادات أسقط العادات المصرية أمامه ، وحول الناس وجهات مختلفة ، وتبع ذلك انحراف فى الأخلاق وانحراف فى العادات ، وفى مصر احتلال اقتصادى ، أباد الصناعة المصرية ، وجعلها أثرا بعد عين ، بل هو دائب فى إخراج الثروة من أيدى المصريين إلى الأجانب . وفى مصر احتلال مدنى سلب ذوى العقول عقولهم ، فأصبح الأب أكثر عناية بتعليم ابنته البيانو من تعليمها أصول الأدب ، وصار الزوج يصرف على امرأته فى أجور الخياطات أكثر مما يصرفه على أولادها فى أجور التعليم . وفى مصر احتلال إلحادى زين للناس القول بأن الأديان من الشؤون الأثرية ، وأن العقيدة بالله والروح والخلود من بعض الخيالات القديمة التى كانت تتلهى بها الشعوب إبان سذاجتها » [1] .

لذلك فقد كانت دراسة هذه المرحلة ضرورية وملحة ، ولاشك أن صحافة الاتجاه الإسلامى فيما بين الحربين كانت مظهرا من مظاهر الصحوة الإسلامية أو اليقظة الإسلامية التى ظهرت كرد فعل لهذا الغزو الفكرى ، وكانت صورة للفكر العربى والإسلامى والفكر المصرى الحديث بوجه عام ، وكانت مرآة تنعكس عليها صورة العصر وصورة المعارك الفكرية التى حدثت ، وكل معركة خاضها العلماء والمفكرون الإسلاميون كانت هذه الصحف ميادينها وأسلحتها ، وكل صحيفة من هذه الصحف تمثل طورا من أطوار المعارك الصحفية ، ويؤرخ هذا البحث لهذه الصحف ولايعنى ذلك أننا نقتصر على تسجيل الأحداث التاريخية فحسب ، بل نقدم وجهات النظر المختلفة والتعقيب عليها بقدر الإمكان من حيث تتيح للقراء والباحثين فرصة جديدة للنظر فى تلك الصحف ، وفتح أبواب جديدة من أبواب البحث ، عن طريق تقديم طائفة من الوثائق التاريخية التى هى عبارة عن مقالات فكرية وإسلامية واجتماعية كتبها كبار العلماء والمفكرون ، والتى هى بمثابة الشهادة التى يدلى بها شهود العصر ، وأحكامهم عليها وآرائهم فيها ، فلم يدع هذا البحث رأيا من الآراء ولا اتجاها من اتجاهات تلك الصحف ولا قضية من القضايا التى برزت على صفحات هذه الصحف ، إلا قدم عليها الدلائل والبراهين ، والاستشهادات والاقتباسات من هذه الصحف ، ولا تزال بعض القضايا التى أثارها البحث قضايا ساخنة ، حيث لا تزال محل أخذ ورد فى الصحافة المصرية .

---

(١) الشعب ، عدد ٤٢١ ، ٢٠ رجب ١٣٣١هـ ، ٢٥ يونيه ١٩١٣م .

وعنى هذا البحث بتقديم أسماء معظم المفكرين والعلماء من الأزهر وغيره ، من الذين صمدوا فى وجه التيار العلمانى وأنصاره الذين أرادوا أن يشكلوا العقلية المصرية على نمط الحياة العربية وينقلوا كل معطيات وأطروحات الحضارة الغربية من جميع وجوهها ولا سيما فى جوانبها السلبية ، والتفريق بين ما هو مفيد للمجتمع وبين ما هو خاص بعادات الغربيين وإفراز لحضارتهم وتقاليدهم وعقائدهم . وقد كتب هذا البحث ، دون أخذ مواقف مسبقة لكاتب معين ، وإذا تعرض لكاتب ما فإنما يتعرض لآرائه ، وليس لشخصه، فالأشخاص فى ذمة الله ولكن الآراء ستظل قابلة للبحث والدرس .

عوامل اختيار هذه الدراسة :

هذه الدراسة امتداد لدراسة أخرى قام بها الباحث فى أطروحته للماجستير وكانت بعنوان : «صحافة الاتجاه الإسلامى فى مصر منذ مطلع القرن العشرين حتى نشوب الحرب العالمية الأولى» . وكان طبيعيا أن أتابع دراسة تطور صحافة الاتجاه الإسلامى فى مرحلة ما بين الحربين ، وقد دفعنى أيضا إلى القيام بهذه الدراسة ما أوصت به لجنة المناقشة الموقرة [1] من ضرورة التأريخ للصحافة الإسلامية فى مصر فى مراحلها المختلفة ، على غرار ما قمت به فى «الماجستير» ، حيث إن الصحافة الإسلامية لم تحظ بالدراسة الكافية من قبل الدارسين والباحثين فى الصحافة المصرية . وتسد هذه الدراسة نقصا فى الدراسات الصحفية ، وهو النقص فى التأريخ للصحافة الإسلامية ، فقد تكفلت الرسائل التى أعدت فى كلية الإعلام بالتأريخ للصحافة المتخصصة فى جميع جوانبها الفكاهية والفنية والعسكرية والنسائية والزراعية والصحافة اليهودية والاحتلالية ، ولم تتطرق أية رسالة هناك إلى موضوع الصحافة الإسلامية إلا نادرا .

بالإضافة إلى أن دراسة تاريخ الصحافة الإسلامية هو فى الوقت ذاته دراسة لتاريخ الفكر المصرى الحديث ، وقد ألف فيه كتاب من جزءين هو كتاب الدكتور لويس عوض ، المسمى بتاريخ الفكر المصرى الحديث ، جعل فيه تاريخ الفكر المصرى الحديث من وجهة نظره محاولة مصر المستمرة للأخذ بالفكر العلمانى الغربى ، وفى دراستنا للفكر المصرى الحديث من خلال الصحافة الإسلامية نقض للكفر الذى جاء فى هذا الكتاب وأمثاله ، ثم إن الدراسات التى تعرضت لفترة ما بين الحربين تركزت على دراسة الجوانب السياسية والجوانب الاجتماعية والاقتصادية من خلال علاقتها بالسياسة ومن وجهة نظر ـ أيضا ـ غربية، حتى رأينا تشابه تلك الدراسات فى التناول والعرض للقضايا ، وتشابهها أيضا فى المنهج والوجهة والمصادر البحثية. فى حين أغفلت هذه الدراسات علاقة هذه الجوانب السياسية والاجتماعية بالفكر الإسلامى وأسقطته من حسابها، ولم تتعرض للصحف الإسلامية ولا لمعطياتها ووجهات نظر كاتبيها فيما عرض فى تلك الفترة من قضايا وآراء ، وفى تقدير

---

(١) تكونت لجنة المناقشة من أ.د / محمد سيد محمد ، أ.د / السيد تقى الدين ، أ.د / أحمد الصاوى ، أ.د/ الأحمدى أبو النور .

الباحث أن هذه إنكار للدور الإسلامى وبخس لحقوق مفكريه ، وإهمال لجانب مهم فى البحوث المقدمة من الدارسين والباحثين ، والذين أرخوا للصحافة المصرية أو كتبوا كتابات متخصصة أغفلوا ذكر بعض الصحف الإسلامية وبعضهم أشار إليها إشارة عابرة لا تتناسب وقدرها ، فعلى سبيل المثال أغفل الدكتور إبراهيم عبده فى كتابه تطور الصحافة المصرية التأريخ لبعض الصحف الإسلامية ، وكتب عن صحيفة «المنار» التى أصدرها رشيد رضا عام ١٨٩٨م ، وظلت تصدر حتى عام ١٩٣٥م بضعة أسطر ، ومن ثم أصبح فى عنقنا واجب ينبغى أداؤه ، وهو تقديم تلك الصفحات المشرقة من الصحف الإسلامية وجهود العلماء والكتاب المسلمين فى تلك الفترة التى أحاطت بهم ، وبالواجب الذى فرضه عليهم العصر الذى ينتسبون إليه .

تحديد المفاهيم :

يقصد بصحافة الاتجاه الإسلامى كل صحيفة (جريدة ـ مجلة) تصدر بصفة منتظمة وتلتزم بمفاهيم الإسلام ومناهجه الصحيحة ، وتعتمد فى معالجتها للقضايا والأحداث بشكل أساسى على الأسس الدينية والاجتماعية التى يقوم عليها المجتمع الإسلامى ، وتقوم ببث مبادئ الإسلام الصحيحة التى تؤكد على الأخوة الإسلامية والتضامن بين المسلمين ، وتشيع ـ آداب الإسلام وضوابطه الأخلاقية فى مجتمعات الأمة الإسلامية ، وتحارب الرذيلة وكل فعل وسلوك لا يتفق ومكارم الأخلاق الإسلامية ، سواء كانت هذه الصحيفة دينية متخصصة أو كانت صحيفة عامة ذات اتجاه إسلامى .

أما عن معنى كلمة «اتجاه» فهى تأتى من الفعل اتجه بقلب الواو تاء ، واتجه إليه : أقبل بوجهه عليه ، والتجاه بالضم والكسر والفتح الوجه الذى نقصده [١] .

هذا من ناحية اللغة. أما من ناحية الاصطلاح : فقد اختلف العلماء فى تعريف لفظ «اتجاه» ، ولكن أبرز تعريف له هو ما يراه توماس وزنانيسكى : أن الاتجاه هو مؤشر نتفهم به الموقف الواقعى للفرد بالنسبة للقيم الاجتماعية ، فالاتجاه هو ميل الفرد أو الجماعة لفعل معين أو الاستعداد للقيام بنوع من أنواع النشاط [٢] .

مجتمع البحث :

تم حصر الصحف الإسلامية من خلال دراسة استكشافية لهذا البحث ، اتضح أن أبرز هذه الصحف هى : صحيفة المنار ١٨٩٨م ، والفتح ١٩٢٦م ، والهداية الإسلامية ١٩٢٨م ، والشبان المسلمون ١٩٢٩م ، ونور الإسلام ١٩٣٠م والإخوان المسلمون ١٩٣٣م، والصرخة ١٩٣٣م ، والأزهر ١٩٣٥م . وتوصف هذه الصحف بالإسلامية

---

(١) مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ، مادة (وجه) القاهرة : مطبعة مصر ، ١٩٦١م .

(٢) إبراهيم إمام : الإعلام والاتصال بالجماهير ، القاهرة : دار الفكر العربى ، ١٩٦٩م ، ص٢٣٣ .

لتميزها بدراسة القضايا الإسلامية ، والقضايا العامة من منظور إسلامى .

الإطار الزمنى للبحث :

تعد هذه المرحلة (١٩١٤ ـ ١٩٣٩م) من أخطر المراحل فى تاريخ مصر الفكرى والاجتماعى والسياسى ، ففى تلك الفترة انهزمت دولة الخلافة الإسلامية ، واستطاع مصطفى كمال أتاتورك أن يلغى نظام الخلافة فى عام ١٩٢٤م ويعلن علمنة الدولة والأخذ بالقوانين الغربية ، وكانت هذه أضخم تجربة علمانية للدول الإسلامية يمكن أن تقلد أو تحاكى ، وقد أثر هذا بالطبع على الحياة الفكرية فى مصر وجرت محاولات عديدة لإعادة الحياة المصرية والعقلية المصرية على النمط الغربى ، وبرزت أصوات عديدة تنادى بالأخذ عن الغرب فى كل أنماط الحياة فى العلوم والفنون وغيرها ، تقليدا لتركيا ، وبرز هذا التيار التغريبى ، وأصبح له صحفه ومؤلفاته التى توزع على الناس ، وكان من أبرز الصحف التى حملت لواء التغريب وروجت للأفكار العلمانية : صحيفة السياسة اليومية والأسبوعية ـ لسان حال حزب الأحرار الدستوريين ـ وصحيفة الاستقلال لمحمود عزمى ، والمجلة الجديدة لسلامة موسى ، والرابطة الشرقية لعلى عبد الرازق ، وصحف الهلال والمقطم والعصور .

وفى هذه الفترة أيضا أدخلت إلى المجتمع المصرى بعض العادات والتقاليد الغربية مثل : انتشار حانات الخمر ، ودور الملاهى الليلية ، ودور البغاء ، ودور السينما والمسارح الليلية ، وامتلأت صفحات الصحف بأخبار الممثلين والممثلات والأغانى ، وكثرت الترجمة للقصص الخليعة والأدب الماجن والمذاهب الهدامة والمعادية للدين [١] .

وظهرت الدعوة إلى القومية المصرية «الفرعونية» فى الصحف المصرية ، ومن خلال الندوات والمحاضرات والكتابات التى تهدف إلى قطع صلة مصر عن العالمين العربى والإسلامى ، وكان معظم دعاة هذه الفكرة والمتحمسين لها من الأقباط المصريين ، الأمر الذى أثار حفيظة العلماء المسلمين ومشايخ الأزهر فانبروا للتصدى له على صفحات الصحف الإسلامية .

وفى تلك الفترة ازدادت حدة حركة التبشير فى مصر وهجومها على الدين الإسلامى، وظهرت بعض حوادث الخروج عن الدين ، وعقد المبشرون عدة مؤتمرات كانت ترمى إلى تنصير المسلمين ، والعمل على هدم الدين الإسلامى فى البلاد بتأييد من حكومات الغرب الاستعمارية .

---

(١) زكريا سليمان بيومى : الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية فى الحياة السياسية المصرية ١٩٢٨ ـ ١٩٤٨م ، القاهرة : مكتبة وهبة ، ١٩٧٩م ، ص٥١ ، ٥٢ .

كذلك تعرض الدين الإسلامى أيضا لهجمة شرسة من دعاة التغريب وصحافتهم ، وكان أخطر ما ظهر فى تلك الفترة مما يدعو إلى هدم التدين كتابا أثار عند ظهوره ضجة كبرى فى الصحف وفى المجلس النيابى ، وتناولت السلطات القضائية مؤلفه بالتحقيق وجمعت نسخه من الأسواق حتى لا يتداولها الناس ، ذلك هو كتاب: « فى الشعر الجاهلى» لطه حسين ، الذى ظهر فى عام ١٩٢٦م بعد أن ألقاه صاحبه على طلبة السنة الأولى فى كلية الآداب ، وربما كان هذا الهجوم على الإسلام السبب الذى دعا مجلس الأزهر إلى أن يقرر إصدار صحيفة شهرية تنطق باسمه وهى مجلة نور الإسلام التى ظهر العدد الأول منها فى محرم ١٣٤٩هـ يونيه ١٩٣٠م .

وفى العام نفسه الذى صدر فيه كتاب طه حسين ، بدأ سلامة موسى فى نشر عدة مقالات عبر فيها عن كرهه للشرق وحبه لأوروبا ، متمنيا أن تصبح كل ظواهر الحياة فى المجتمع المصرى كأوروبا ، وأن يقترب الشعب المصرى والحضارة المصرية من أوروبا ، وادعى أن الأزهر جامعة أوربية فى الأصل ، ووصف الذين ينقبون فى دراسة اللغة العربية وأعلام العرب ـ من أمثال مصطفى الرافعى والمازنى ـ بالمساكين ، وهاجم اللغة العربية والجامعة الإسلامية والدين الإسلامى (١) .

وخرجت مجلة «العصور» التى أنشأها إسماعيل مظهر ، صاحب دار العصور للطبع والنشر ، شعارها : حرر فكرك من كل التقاليد والأساطير الموروثة ، حتى لا تجد صعوبة فى رفض أى رأى من الآراء أو مذهب من المذاهب اطمأننت إليه وسكن إليه عقلك إذا انكشف لك من الحقائق ما يناقضه ، أغراضها : نشر العلم والمعرفة وتحرير العقل من آثار الماضى التى لا تتفق ونزعة العصر الحاضر .

وفى عام ١٩٢٩م نشر فى دار العصور هذه كتاب عنوانه : قصة الطوفان وتطورها فى ثلاث مدنيات قديمة : الآشورية ، البابلية والعبرانية ، والمسيحية ، وانتقالها باللقاح إلى المدنية الإسلامية ، وكان يهدف من ذلك رد النصوص الدينية إلى الميراث الأسطورى لشعوب الشرق (٢) .

اتسمت فترة هذه الدراسة بالخصوبة الفكرية الكبيرة فى مصر ، وقد صدر خلالها عدة مؤلفات كان لها صدى واسع فى الفكر المصرى الحديث ، وأثارت معارك ساخنة ذات أصول إسلامية لم تستكمل دراستها بعد . فبالإضافة إلى ما ذكرنا صدر كتاب : «الإسلام وأصول الحكم» لعلى عبد الرازق ، وقد نادى فيه بفصل الدين عن الدولة ، وأنكر

---

(١) المرجع السابق ، ص٤٩ .

(٢) عائشة عبد الرحمن ، الاهرام بتاريخ ١٢مايو ١٩٨٦م ، صفحة الفكر الدينى .

الخلافة الإسلامية ، وتذرع العلمانيون به لإبعاد الإسلام عن واقع الحياة والمجتمع . ثم صدر كتاب آخر نادى فيه مؤلفه بالأخذ بمناهج التعليم الغربية ، وهو كتاب : «مستقبل الثقافة فى مصر» للدكتور طه حسين .

وتميزت فترة الدراسة أيضا بظهور العديد من الجمعيات الإسلامية ونمو الاتجاه الإسلامى فى الصحافة المصرية ، وكان على رأس هذه الجمعيات الإسلامية جمعيتان من أخطر الجمعيات أثرا فى التاريخ الاجتماعى والسياسى لمصر الحديثة وهما: جمعية الشبان المسلمين ، وجماعة الإخوان المسلمين ، فضلا عن الأزهر وبعض الجمعيات الإسلامية الأخرى التى أصدرت صحفا إسلامية . كذلك شهدت هذه الفترة اتجاهات صحفية أخرى كالاتجاه الاشتراكى والاتجاه القبطى واليهودى ، كل هذه الأسباب مجتمعة هى التى حدت بالباحث أن يختار هذه الفترة وهذا العنوان لبحثه :

«صحافة الاتجاه الإسلامى فى مصر فيما بين الحربين ١٩١٤ ـ ١٩٣٩م» .

الدراسات السابقة :

كانت أول دراسة عن الصحافة الإسلامية فى مصر هى دراسة الباحث سامى الكومى التى أعدها للدكتوراه عن الصحافة الإسلامية فى القرن التاسع عشر ، ونوقشت فى كلية اللغة العربية ـ قسم الصحافة والإعلام وتبع ذلك دراسة أخرى أعدها الباحث لنيل رسالة الماجستير بعنوان : «صحافة الاتجاه الإسلامى فى مصر منذ مطلع القرن العشرين حتى نشوب الحرب العالمية الأولى» ، ثم جاءت هذه الدراسة لتكمل دراسة الصحافة الإسلامية والتأريخ لها حتى الحرب العالمية الثانية .

نمط ومنهج الدراسة :

هذه الدراسة من الدراسات الوصفية التى تستهدف تقرير خصائص ظاهرة معينة أو موقف معين ، وتعتمد على جمع الحقائق وتحليلها وتفسيرها لاستخلاص دلالتها ، بغية إصدار تعميمات بشأن الموقف أو الظاهرة التى يقوم الباحث بدراستها .

مصادر البحث :

تنوعت مصادر هذا البحث كالتالى :

١ـ كان الاعتماد الأول على المصادر الأصلية ، وهى الصحف ذاتها موضوع الدراسة ، حيث قمت بمسح شامل لأعدادها ومجلداتها ، وكانت المقالات والنصوص التى نشرتها هى مادة التحليل لإظهار الاتجاه الإسلامى للصحيفة أو موقف الصحيفة من القضايا المطروحة .

٢ـ النوع الثانى : هو المراجع التى ألفت عن هذه الفترة ، سواء تناولت تاريخها

بوجه عام أم تخصصت فى نواح دينية أو سياسية أو اجتماعية أو فكرية ، وكانت هذه المؤلفات تمثل الخلفية التاريخية لقضايا البحث .

٣ـ النوع الثالث : مجموعة من الرسائل الجامعية التى تناولت جوانب معينة تتصل بالقضايا المثارة فى البحث ، سواء كانت متخصصة فى جوانب صحفية أو تاريخية أو لأشخاص عايشوا فترة البحث .

٤ـ النوع الرابع : بعض المقالات التى تنشر فى الصحف والمجلات المعاصرة التى تحدثت عن موضوعات تخص الدراسة .

٥ـ النوع الخامس : بعض أعداد الصحف المناوئة لصحافة الاتجاه الإسلامى فى فترة الدراسة ، كالسياسة والسياسة الأسبوعية والمقطم وغيرها .

وبعد ، فنسأل الله ـ عز وجل ـ أن يتقبل منا عملنا هذا ، وأن يكون خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفع به ، إنه ولى ذلك والقادر عليه ، والحمد الله رب العالمين .

المؤلف

التمهيد

اتجاهات الصحافة المصرية فى فترة ما بين الحربين

كانت الصحافة المصرية فى تلك الفترة تموج بعدة اتجاهات غير إسلامية ، وكان لكل اتجاه من هذه الاتجاهات صحف تمثله ، وتنطق باسمه ، وتنشر أفكاره . ومن أبرز هده الاتجاهات : الاتجاه الاشتراكى ، والاتجاه العلمانى ، والاتجاه الطائفى القبطى اليهودى ، ويعطى هذا التمهيد نبذه مختصرة عن هذه الاتجاهات ، نعرج بعدها إلى التركيز على دراسة الاتجاه الإسلامى وصحفه .

أولا : الاتجاه الاشتراكى فى الصحافة المصرية :

ظهر الفكر الاشتراكى فى الصحافة المصرية قبل الحرب العالمية الأولى فى صحيفة المقتطف ، التى اختصها شبلى شميل بأبحاثه فى نظرية النشوء والارتقاء ، وفى عرض النظرية الاشتراكية ، والأفكار الاشتركية ، ثم فى مجلة الحكومة التى أصدرها عزيز فهمى المصرى فى عام ١٩٠٦م، «سياسية اشتراكية أسبوعية» ، ثم مجلة المستقبل التى أصدرها سلامة موسى ١٩١٤م ، وهى مجلة علمية أدبية أسبوعية (١) .

وبعد ثورة ١٩١٩م زاعت الأفكار الاشتراكية وانتشرت ولا سيما بعد تكوين الحزب الاشتراكى المصرى الذى أعلن برنامجه الأول فى ١٨ أغسطس ١٩٢١م ، ثم تغير اسم الحزب إلى الحزب الشيوعى المصرى فى يناير ١٩٢٣م .

وقد حاول الحزب الاشتراكى إصدار صحيفة تعبر عن اتجاهه وفلسفته ، غير أن وزارة الداخلية لم تسمح له ؛ لأنه لم يكن هناك رضا فى ذلك الوقت عن الاتجاهات الاشتراكية من قبل الحكومة ، والسلطات البريطانية ، وأصحاب رؤوس الأموال الأجانب ، وعندما لم ينجح الحزب فى إصدار صحيفة خاصة به بحث عن جريدة فعثر على صحيفة «الشبيبه» لصاحبها الشيخ عبد الحميد النجار ، وهى جريدة أسبوعية أدبية اجتماعية ، فاتفق مع صاحبها على تحويلها إلى صحيفة اشتراكية ، وبالفعل تم صدور العدد الأول فى أوائل مايو ١٩٢٢م (٢) . يحمل شعار المنجل والمطرقة ، وفيه مقالات اشتراكية متعددة ، وحينئذ صدر قرار وزير الداخلية بإغلاق «الشبيبه» ومنع نشرها (٣) .

---

(١) سليمان نسيم : صياغة التعليم المصرى الحديث ، القاهرة :الهيئة المصرية للكتاب ،١٩٨٣م ،ص١٥٤ ،١٥٥ .

(٢) عواطف عبد الرحمن : مصر وفلسطين ، ط٢ ، الكويت : سلسلة عالم المعرفة ، يونية ، ١٩٨٥م ص١٣٠ .

(٣) رفعت السعيد : الصحافة اليسارية (١٩٢٥ ـ ١٩٤٨م) ، ط٢ ، القاهرة ، مكتبة مدبولى ، ١٩٧٧م ،ص١٠ .

ولهذا لجأ أنصار الحزب الاشتراكى إلى إصدار نشرات غير دورية ، حيث إنها لا تحتاج إلى تصريح خاص من الحكومة ، وفى بعض المناسبات كان يصدر الحزب نشرة مطبوعة بعنوان : «خطاب مفتوح إلى» ، صدر من هذه النشرة عدة أعداد مثل : خطاب مفتوح إلى سعد زغلول ، وخطاب مفتوح إلى المثقفين ، هذا إلى جانب النشرات السرية الخاصة التى كان يصدرها (١) .

وتعتبر صحيفة الحساب التى صدرت فى أواخر عام ١٩٢٤م أول صحيفة تعبر بشكل مباشر عن الحزب الشيوعى المصرى ، وكان صاحب هذه الجريدة إبراهيم الصيحى ، وكان شعار هذه الجريدة صحيفة يومية سياسية تعنى بالشؤون الداخلية ، وقد عجز إبراهيم الصيحى عن مواصلة إصدار الجريدة يوميا ، فأصدرها أسبوعية ، ثم توقفت عن الصدور بعد العدد العاشر الصادر فى ٢٣ ديسمبر ١٩٢٤م ، حتى عاودت الصدور على يد رفيق جبور (٢) ، وأعضاء الحزب الشيوعى فى ١٦ مارس ١٩٢٥م بعد أن استأجر رخصة الجريدة من صاحبها ، وجعل شعارها صحيفة سياسية اجتماعية اقتصادية يومية ، تصدر مؤقتا مرة فى الأسبوع للدفاع عن حقوق العمال والفلاحين ، وقد شارك فى تحرير الحساب: شاكر عبد الحليم أحد أعضاء الحزب ، وإبراهيم السمكرى عضوا للجنة المركزية بالحزب ، والشاعر محمود رمزى نظيم الذى نشر عددا من القصائد بعنوان : «من الشعر الفلاحى» ووقعها بإمضاء فلاح ، كذلك نشر بعض المقالات السياسية ، وصدر من صحيفة الحساب ثمانية أعداد ، ثم توقفت ، حيث سجن رئيس تحريرها صبور ومحرروها ومندوبوها بالأقاليم بأوامر من سلطات الاحتلال (٣) .

ثم صدرت صحيفة «روح العصر» صحيفة اشتراكية سياسية أسبوعية فى ١٤ فبراير ١٩٣٠م لصاحبها الدكتور عبد الفتاح القاضى ، وكانت تتحدث عن الاشتراكية بشكل سافر ، وتنشر دراسات عن الماركسية والمذاهب الاشتراكية فى العالم ، وتقدم ترجمات من كتابات ماركس عن العمل ورأس المال والمادية التاريخية ، وتدافع عن التجربة السوفيتية، وتبرز إنجازاتها ونجاحاتها فى محاولة جديدة لتأليف حزب اشتراكى لوضع هذه الأفكار موضع التطبيق ، وكان من أبرز كتابها إسماعيل مظهر صاحب مجلة العصور ، ومحمود حسنى العرابى الذى كان يعمل سكرتيرا للحزب الشيوعى ، وعصام الدين ناصف سكرتير

---

(١) المرجع السابق ، ص١٣٠ .

(٢) رفيق جبور : هو صحفى لبنانى ، كان يكتب فى جريدة النظام الوفدية الميول ، وقد ظل منذ عام ١٩١٨ - ١٩٢٥م محررا بهذه الجريدة ، وقد انضم إلى الحزب الشيوعى المصرى ، وروج للمبادئ الاشتراكية حتى ألقى القبض عليه فى عام ١٩٢٥م لعلاقته بالنشاط الشيوعى فى مصر .

(٣) رفعت السعيد ، مرجع سابق ، ص٢٠ ، ٢١ .

الحزب الاشتراكى المصرى [1] .

وفى ٢٥ مارس عام ١٩٣٧م ، صدرت صحيفة «شبرا» جريدة سياسية اجتماعية أسبوعية لسان العمال على مبادئ الزعيم عباس حليم ، وكان صاحبها ورئيس تحريرها محمد عبد الحميد عبد الله ، وقد بدأ يظهر الاتجاه الاشتراكى فى صحيفة شبرا منذ العدد الثانى لصدورها ، حيث نشرت مقالات عديدة عن الاشتراكية والدعوة إلى إقامة نظام اشتراكى على أنقاض النظام الرأسمالى القائم ، وكان يقود هذه الدعوة سلامة موسى ، وعصام الدين ناصف وغيرهما من كتاب الاشتراكية فى ذلك الوقت ، وهكذا تحول مسار هذه الصحيفة من مجرد صحيفة تتحدث عن مشاكل حى من أحياء القاهرة إلى لسان يتحدث عن مشاكل العمال والفلاحين [2] .

ويلاحظ أن الأفكار الاشتراكية فى تلك الفترة ظلت حبيسة النظريات ولم تخرج إلى حيز التطبيق ، وفشلت الحركة الاشتراكية فى تثبيت أقدامها فى التربة المصرية ؛ لاصطدام الأفكار الاشتراكية الشيوعية بالدين الإسلامى ، ومقاومة الاستعمار البريطانى للأفكار الاشتراكية فى مصر لحماية الاحتكارات والاستثمارات الأجنبية فى البلاد [3] .

فضلا عن ذلك ، فقد هاجم أنصار الفكر الإسلامى الاتجاه الاشتراكى ، والفكر الاشتراكى بصفه عامة وفى روسيا بالذات ، وأعلنوا خطورة هذا الفكر على الدين والعلاقات داخل المجتمع المصرى [4] ،وكان من أبرز المهاجمين للفكر الاشتراكى الشيخ محمد أبو الوفا التفتازانى ، الذى هاجم الحزب الاشتراكى هجوما شديدا ، مستدلا بآيات من القرآن الكريم ، فى مجموعة مقالات كتبها فى صحيفة الأهرام [5] ،والشيخ رشيد رضا الذى اتهم أعضاء الحزب الاشتراكى بالعمالة للبلشفية ، وأنهم يتقاضون مكافآت ورواتب من روسيا [6] ، كذلك هاجمهم محب الدين الخطيب ، والشيخ حسن البنا ، ومحمد الشافعى من الإخوان المسلمين ، وتشير صحيفة الإخوان المسلمين إلى أن الفكر اليسارى «الاشتراكى» أشد خطرا من حركة التبشير بالنصرانية ، فإذا نجح سيهدم المساجد ،

(١) المرجع السابق ، ص٣٣ - ٣٩ . (٢) المرجع نفسه ، ص٥٩ -٦٢ .

(٣) عبد العظيم رمضان : تطور الحركة الوطنية فى مصر ، ١٩١٨- ١٩٣٦م ، القاهرة : دار الكتاب العربى ، ١٩٦٨م ، ص٥٥٩ ، ٥٦٠ .

(٤) زكريا سليمان بيومى : الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية ، ص١٧٩، تاريخ الحركة الاشتراكية فى مصر (١٩٠٠ - ١٩٢٥م) ، ط٢ ، ١٩٧٥م ، ص١٥٨ .

(٥) الأهرام ٢٤ ، ٢٦ أغسطس ١٩٢١م ، ٧سبتمبر ١٩٢١م ، وعبد العظيم رمضان : تطور الحركة الوطنية ، مرجع سابق ، ص٥١٧ .

(٦) أنور الجندى ، الفتح ، تاريخ الصحافة الإسلامية ، جـ١ ص٩٧ .

ويعطل العبادة ، ويبيح الأعراض ، ويذل الأديان ، ويهدد كيان المجتمعات [١] .

كذلك هاجمت «النذير» الاشتراكية والشيوعية ؛ لأنها تجر الإباحية والتحلل والفجور إلى المجتمع وتقضى على تعاليم الأديان [٢] .

وقصارى القول : إن الاتجاه الاشتراكى قد لاقى هجوما من كل فئات الرأى العام المصرى : من الأحزاب السياسية ، ومن علماء الدين ، والصحف المصرية ، والأجنبية ، والاستعمار البريطانى ، والحكومة المصرية ، كل هذه الأسباب عاقت وأضعفت نمو الحركة الاشتراكية [٣] ، وتسرب الأفكار الاشتراكية والشيوعية إلى مصر فى فترة ما بين الحربين العالميتين . لكن على صعيد آخر انتشرت الأفكار الغربية العلمانية ، ووجدت لها أنصارا كما يتضح فيما يلى .

ثانيا : الاتجاه العلمانى فى الصحافة المصرية :

بدأت جذور هذا الاتجاه فى الصحافة المصرية فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر على استحياء فى الصحف التى أصدرها النصارى الشوام فى مصر «الأهرام ١٨٧٦م، المقتطف ١٨٧٦م ، المقطم ١٨٨٩م ، الجامعة ١٩٠٥م» ، ثم نما هذا الاتجاه فى ظل الاحتلال البريطانى على مصر فى عام ١٨٨٢م ، حتى تزعمت هذا الاتجاه صحيفة «الجريدة» التى أصدرها حزب الأمة فى عام ١٩٠٧م ، وكان مدير تحريرها أحمد لطفى السيد الذى نحا بها منحى علمانيا [٤] ، غير أن هذا الاتجاه اصطدم اصطداما عنيفا بأصحاب الفكرة الإسلامية ، التى كانت تعبر عنها فى ذلك الحين صحف الاتجاه الإسلامى «المنار ، الحياة ، اللواء ، الهداية ، الشعب » وغيرها من الصحف التى كانت تصدر قبل الحرب العالمية الأولى .

أما بعد هذه الحرب الكبرى فقد اتسع نطاق هذا الاتجاه العلمانى فى الصحافة المصرية، وساعد على ذلك انقلاب مصطفى كمال أتاتورك فى تركيا على الخلافة ثم إعلانه الجمهورية مع قبوله بالإسلام دينا ، وتعديله الدستور وإعلانه علمنة الدولة التركية ، واقتباس القوانين الغربية المنافية للدين ، وكانت هذه أضخم تجربة علمانية لأبناء الشرق المسلم يمكن أن تقلد أو تحاكى ، فضلا عن ذلك كان لوجود الاحتلال البريطانى والامتيازات الأجنبية أثر كبير على العوامل الفكرية ، والاجتماعية ، والاقتصادية

---

(١) الإخوان المسلمون ، غرة ذى الحجة ١٣٥٣هـ ، ٨مارس ١٩٣٥م ، مقال بعنوان : «انقلاب خطر يهدد العالم: محمد الشافعى» .

(٢) النذير ، عدد ٢٥ رجب ١٣٦٧هـ .

(٣) عبد العظيم رمضان : تطور الحركة الوطنية ، مرجع سابق ، ص٥٥٠ ـ ٥٦٠ .

(٤) مصطفى رمضان : العالم الإسلامى فى التاريخ الحديث والمعاصر، القاهرة : دار الوفاء ، ١٩٨٤م ص١٥٦ .

والسياسية السائدة فى هذا العصر ، حيث وجدت الأفكار العلمانية والعادات الغربية تشجيعا من الاحتلال وأذنابه [1] .

وقد تزعم هذا الاتجاه طائفة من المفكرين المصريين الذين تلقوا دروسهم فى سلك التعليم العلمانى ، واستكملوها فى إنجلترا وفرنسا ، ثم رجعوا إلى بلادهم يحملون الفكر العلمانى ويعملون على تطبيقة ، وكان من أنشط هؤلاء المفكرين : د .طه حسين ، ود. محمد حسين هيكل ، ومنصور فهمى ، وسلامة موسى ، ومحمود عزمى ، وعلي عبد الرازق ، وإسماعيل مظهر وغيرهم ، وصدرت فى العقد الثانى من هذا القرن عدة صحف تروج لهذا الاتجاه فى مقدمتها السياسة التى صدرت فى ٣٠ أكتوبر ١٩٢٢م ورأس تحريرها الدكتور محمد حسين هيكل ، ثم أحمد أمين [2] ، والسياسة الأسبوعية التى صدرت فى ١٣ مارس ١٩٢٦م ، والعصور التى صدرت فى عام ١٩٢٧م لصاحبها إسماعيل مظهر زوج شقيقة أحمد لطفى السيد ، والمجلة الجديدة التى صدرت فى عام ١٩٢٩م لسلامة موسى فضلاً عن صحيفة الهلال التى أصدرها جورجى زيدان فى عام ١٨٩٢م ، والمقتطف الصادرة فى عام ١٨٧٦م ، لأصحابها فارس نمر ، وشاهين مكاريوس، ويعقوب صروف .

وقد حفلت هذه الصحف بالمقالات التى تشكك الناس فى كل ما يخرج عن دائرة المحسوس ، وكان معظم ما ينشر عن ذلك ينشر باسم العلم والعلمانية ، وباسم حرية الفكر والتحرير من عبودية التقليد . من ذلك مقال كتبه رئيس تحرير صحيفة الهلال إميل زيدان فى عددها الصادر فى نوفمبر ١٩٢٤م تحت عنوان : «حرية الفكر» ، شكك فيه فى كل العقائد ، وأنكر الوحى والغيبيات ، واعتبر الأنبياء فلاسفة ومفكرين ، تخضع الديانات التى جاؤوا بها للنقد والتعديل والتنقيح والتهذيب [3] .

كذلك ارتفعت الأصوات فى تلك الصحف تنادى بإلغاء المحاكم الشرعية ، وبالمساواة بين الرجل والمرأة تقليدا للأوربيين ، وتعديل قانون الأحوال الشخصية ، وإيجاد نظام مدنى ينص على إلغاء تعدد الزوجات ، ويمنع الطلاق إلا بحكم محكمة ، ويجيز زواج الأفراد ولو اختلفوا فى الأديان ، وغير ذلك من الأفكار التى تنكر للأديان ، غير أن هذا الاتجاه العلمانى قد قوبل بالرفض من جانب الصحف الإسلامية ، وشهدت فترة ما بين الحربين معارك مشهورة فى الفكر المصرى الحديث بين أنصار الاتجاه العلمانى فى الصحافة المصرية ، وبين أنصار الاتجاه الإسلامى ، وحملت لواء الرد على الصحف العلمانية صحيفة المنار، والفتح ، والشبان المسلمين ، والأزهر ،وصحف الإخوان المسلمين .

(١) محمد فتحى شعير : وسائل الإعلام المطبوعة فى دعوة الإخوان المسلمين ، السعودية : ١٩٨٥م ، ص٦٣ .

(٢ ، ٣) محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، ط٣ ، القاهرة : ١٩٨٠م ، جـ٢ ص٢٧٩ .

وتشير المنار إلى أنه قد اشتدت الحملة على الإسلام من دعاة النصرانية وأنصارهم وتلاميذهم فى مصر ، فهم يجاهرون بالكفر ويصدون عن الدين ، ويطعنون في عقائده ، ويلقون الشبهات فيما يكتبون فى الجرائد والمجلات المختلفة ، ومنهم صاحب مجلة العصور ومطبعتها : إسماعيل مظهر ، وبعض محررى الجرائد اليومية كصحيفة السياسة الذين يحاربون جعل الدين الرسمى للحكومة المصرية الإسلام ، ويطالبون بإيجاد قانون مدنى لا يتقيد فيه بشىء من الأحكام الشرعية ، وأن تكون الحكومة المصرية لا دينية (١) .

وكتب الشيخ أحمد شاكر فى صحيفة الفتح يوضح أن صحف الهلال تهاجم الأزهر والمحاكم الشرعية ، وتعمل على إفساد أخلاق الشعب المصرى وأذواقه ، ويتهمون علماء المسلمين بالجمود والرجعية لتمسكهم بالدين الإسلامى (٢) .

وانبرى محمد على غريب للرد على ما يكتبه الخواجة سلامة موسى عن الأدب المكشوف ، ونقله لآراء أناتول فرانس وغيره من الإباحيين (٣) ، وذكر الشيخ عبد الباقى سرور أن جريدة السياسة تروج للدعاية إلى الإلحاد والتبشير فى مصر (٤) ، وهاجمت صحيفة الفتح على الرازق حين كتب فى السياسة يهاجم الدين الإسلامى ، وينكر عظمة النبى ﷺ (٥) ، وسجل عبد الله دراز فى صحيفة الإخوان المسلمين أن سبب هذه الموجة العلمانية السائدة فى مصر «هو الرغبة فى القضاء على الدين الإسلامى ، وليس الموقف من الديانات ككل» (٦) .

وتجدر الإشارة هنا إلى أنه قد غلب تيار الصحافة الإسلامية فى الثلاثينات واندحرت الصحف العلمانية ، وتغيرت بعض مواقف أصحابها ، وذلك لأن ما أعلنه التيار العلمانى «من أفكار جديدة ومؤسسات حديثة ونظم دستورية وسياسية غربية، وتنظيمات قانونية وضعية ، وأساليب مستحدثة للعيش وأنماط الحياة ، كل ذلك لم يسفر عن التحقيق الكامل للأمل المرجو فى التحرر من الاستعمار والإطاحة بالاستبداد ، والرخاء الاقتصادى» (٧) .

---

(١) المنار ، جـ١ ، م٣٠ ، محرم ١٣٤٨هـ ، يونيه ١٩٢٩م .

(٢) الفتح ، عدد ٧٤ ، ١٩ جمادى الآخرة ١٣٤٦هـ ، ٨ ديسمبر ١٩٢٧م .

(٣) الفتح ، عدد ٧٦ ، ٢٨ جمادى الآخرة ١٣٤٦هـ ، ١٧ ديسمبر ١٩٢٧م . مقال بعنوان : «الخواجة سلامة فى أدبه المكشوف» .

(٤) الفتح ، عدد ٥٦ ، ٧صفر ١٣٤٦هـ ، ٤ أغسطس ١٩٢٧م .

(٥) الفتح ، عدد ٦٠ ، ٥ ربيع الأول ١٣٤٦هـ ، أول سبتمبر ١٩٢٧م ، سلسلة مقالات كتبها الشيخ محمد شاكر وكيل الجامع الأزهر .

(٦) الإخوان المسلمون ، عدد ١٦ ، ١٣ رجب ١٣٥٢هـ ـ١٩٣٣م ، مقال بعنوان : «استقلال الدين فى خدمة السياسة : محمد عبد الله دراز» .

(٧) طارق البشرى : المسلمون والأقباط فى إطار الجماعة الوطنية ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٠م ، ص٤٩٥ .

واقترن هذا التيار العلماني فى مصر لدى البعض بحركة التبشير ، التى ظهرت فى العشرينات والهجوم على الدين الإسلامى ، مما أثار العواطف الإسلامية ودعم الاتجاه الإسلامى فى مصر خلال الثلاثينات وأحدث رد فعل إسلامى إيجابى تجاه الحركة العلمانية والنشاط التبشيرى (١) ،وانتعش فى مصر الاهتمام بالإسلام ، خاصة فيما يتعلق بتطبيق مبادئه فى حل المسائل السياسية الملحة وتنظيم شؤون الحياة على أسس إسلامية (٢) ،ومما ساعد على نمو الاتجاه الإسلامى فى الصحافة المصرية أيضا الهجمة الاستعمارية السياسية ضد الإسلام فى المغرب العربى وفلسطين ، ففى عام ١٩٢٩م جرت أحداث حائط المبكى، واتخذ الصراع القومى بين العرب والصهيونية شكل صراع دينى ، كان من شأنه أن يستفز عواطف المصريين وغيرهم من الشعوب التى تدين بالإسلام (٣) .

هذا ، وقد خفت صوت الصحف العلمانية «المجلة الجديدة ، السياسة الأسبوعية ، العصور» ، بينما استمر تدفق الصحف الإسلامية ، وظهور صحف جديدة تحمل لواء الدفاع عن الإسلام ؛ ولذلك كان هناك تحول إلى الكتابة فى الموضوعات الدينية من بعض المفكرين العلمانيين كالدكتور طه حسين والدكتور محمد حسين هيكل ، ويفسر البعض هذا التحول على أنه كان ضرورة شعبية بعد ظهور المنظمات الإسلامية كجماعة الإخوان المسلمين ، وجمعية الشبان المسلمين ،والهداية الإسلامية ،وبعض الجمعيات الأخرى (٤) ، إضافة إلى أنهما كانا عرضة للاتهام بالإلحاد والمروق من الدين من جانب تلك المنظمات .

ويفسر الدكتور هيكل هذا التحول وأسبابه فيقول : «إن الذين درسوا فى أوربا كانوا هم رسل الحضارة الغربية الداعين إليها فى مصر ، ظنا منهم أن ذلك هو السبيل إلى نهضتها ، وأن هؤلاء الشباب قد تفتحت أعينهم على حقيقة الأمر بعد الحرب الأولى ، فقد أدركوا أن كل ما بذلته الشعوب العربية من تضحيات لم يكن إلا فى سبيل الاستعمار وأدركوا كذلك أن الدول الأوربية التى تزعم أنها قد تحررت من التعصب الدينى هى دول متعصبة تعصبا مسيحيا لم تنس معه الحروب الصليبية ، ثم إن هذه الدول شملت بحمايتها الجماعات التبشيرية المنبثة فى كل مكان ، وعند ذلك غضب هذا الشباب لإسلامه ، الذى تريد الدول المسيحية أن تمحوه، وجعل كل منهم يفكر فى وسيلة للخلاص من الغرب»(٥) .

وقد بدأت موجة الإلحاد والعلمانية فى الانحسار منذ أن كتب الدكتور هيكل أيضا فى

---

(١) المرجع السابق ، ص٤٩٤ .

(٢) ماجرات سبرانيان : الوفد والإخوان المسلمون ، ترجمة بشير السباعى ، ص١٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص٤٩٤ .

(٤) عفاف لطفى السيد : تجربة مصر الليبرالية (١٩٢٢ ـ ١٩٣٦م) ، القاهرة : ١٩٨١م ، ص٣٤٣ ، ٣٤٤ .

(٥) ملحق السياسة الأدبى ، عدد ١٤ جمادى الآخرة ١٣٥١هـ، ١٤ أكتوبر ١٩٣٢م ، نقلا عن : د . محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، جـ٢ ص١٥٥ .

مجلة الهلال الصادرة فى فبراير ١٩٢٨، يثبت أن العلماء فى أوربا وأمريكا أخذوا يتطلعون إلى الشرق بالبحث عن دين تطمئن إليه نفوسهم ، وذلك بعد أن خاب الإلحاد وفشل ، وأصبح موضع الازدراء فى أوروبا وأمريكا ، ويعلل الشيخ عبد الباقى سرور لماذا يتطلع العلماء فى أوروبا وأمريكا إلى الشرق للبحث عن دين جديد ؛ لأنهم قد استقصوا مباحث الفلسفة الأوربية والأمريكية ، واستوعبوا البحوث العلمية والمذاهب المنتشرة هناك، فلم يجدوا فيها ما تطمئن إليه الإنسانية [1] ، وفى هذا دلالة واضحة على أن الفلسفة التى عادت الدين فى أوروبا وأمريكا والمباحث التى شككت فيه قد باءت بالفشل، وأنها لم تغن شيئا حيال حاجات النفس وغايتها الروحية .

كان الدكتور هيكل فى مقدمة الذين تراجعوا عن مواقفهم ، وكشفوا عن مخططات الغرب للقضاء على الإسلام ، وهاجم الحركة التبشيرية النصرانية على صفحات السياسة نفسها التى حملت دعوة التغريب والعلمانية فى العشرينات ، ونقل الدكتور هيكل ما قاله مستر حب فى مقدمة كتابه : «وجهة الإسلام» عن تغريب الشرق وما عنى به ، وهو «إبدال الشرق فى نظمه وقوانينه وطرائق العيش فيه نظما وقوانين غربية وطريقة عيش غربية بحتة » ، وذهب الدكتور هيكل إلى أن حركة التبشير تعتبر جزءا من تغريب الشرق [2] .

كذلك أعلن الدكتور منصور فهمى عن تراجعه ، وذكر فى جريدة المساء ٢٢ سبتمبر ١٩٣٠م أن أغراض أدعياء التجديد والعلمانية تنحصر فى شيئين رئيسيين :

١ـ إبادة الأزهر وتعاليمه .

٢ـ القضاء على الدين الإسلامى واللغة العربية .

وأضاف أن سلامة موسى يهاجم العرب ويتهمهم بالتوحش والجهل ، فى حين أن العرب خدموا العلم والمدنية خدمات طيبة لا ينكرها إلا جاحد ، ودعا مفكرى الأمة إلى التعاون وعدم الفرقة والاختلاف ، وحفظ ما يستحق من الماضى ، وتقبل ما يستحق القبول من الجديد [3] .

وهكذا انكسرت حدة الاتجاه العلمانى فى الصحافة المصرية فى الثلاثينات ، ولعل من أهم الأسباب التى عجلت بانكسارها تتلخص فيما يلى :

---

(١) الفتح ، عدد ٨٤ ، ٢٤ شعبان ١٣٤٦هـ ، ١٦ فبراير ١٩٢٨م .

(٢) السياسة ، عدد ١٩مايو ١٩٣٣م ، وأنور الجندى : يقظة الفكر العربى ، القاهرة : مطبعة زهران ١٩٧٠م ، ص١٩٧ ، ١٩٨ .

(٣) الفتح ،عدد ٢٢٣ ،٨ جمادى الآخرة ١٣٤٩هـ مقال بعنوان : «منصور فهمى والمجددون : محمود أبورية».

١ـ تحديات الغرب السياسية للأمة العربية والعالم الإسلامى ، وانكشاف وجهه الاستعمارى السافر .

٢ـ انكشاف مؤامرة الاستعمار فى محاولة التبشير ، وفتنة المسلمين عن دينهم عن طريق المستشفيات والمدارس والجمعيات .

٣ـ ظهور رسائل ودراسات تحمل خططا مرسومة لتغريب الشرق وعلمنته أعدها مستشرقون يعملون فى دوائر المستعمرات وإدارات المخابرات الغربية .

٤ـ فقدان الثقة بكثير من أدب الغرب وقيمه الحضارية، مما أدى إلى تحول بعض زعماء التغريب والعلمانية إلى المنابع الإسلامية بعد أن فقدوا الثقة فى أدب الغرب .

٥ـ انتشار دعوة المصلحين والمجددين من أنصار الفكر الإسلامى عن طريق الصحف والجمعيات الإسلامية التى تكونت فى أواخر العشرينات وبداية الثلاثينات .

٦ـ عودة بعض قادة العلمانية إلى الفكر الإسلامى والدفاع عنه ، من أمثال : د. محمد حسين هيكل و د . منصور فهمى ، وزكى مبارك ، وعباس العقاد (١) .

ثالثا : الاتجاه الطائفى «القبطى ـ اليهودى» فى الصحافة المصرية :

١ـ الاتجاه القبطى :

كان للصحف الطائفية دور فعال فى الصحافة المصرية ، حيث استخدمها الاستعمار البريطانى كوسيلة مؤثرة فى ضرب الحركة الوطنية المصرية وشق صفوفها ، وهذا جزء من سياسته القائمة على التفرقة الطائفية بين أبناء الشعب الواحد (٢) .

وقد نجحت هذه السياسة فى الفترة الأولى من الاحتلال ، وبدأ لأول مرة الصراع الطائفى بين المسلمين والأقباط يأخذ مجراه (٣) ، ولم يقف الاحتلال عند هذا الحد بل أوجد الخلاف بين المذاهب النصرانية ذاتها ، فكانت صحيفة الوطن تؤيد المذهب الإنجيلى بينما صحيفة مصر تؤيد المذهب الأرثوذكسى ، وقد وقع بينهما الخلاق واستمر قائما حتى نهاية العشرينات ، إذ استطاع حزب الوفد أن يحبط سياسة إثارة الطائفية بين المسلمين والأقباط (٤) .

وكانت صحيفتا «الوطن» و«مصر» من أبرز الصحف القبطية فى مصر ، حيث

---

(١) أنور الجندى : يقظة الفكر العربى ، مرجع سابق ، ص١٩٠ ـ ١٩٦ .

(٢) طارق البشرى : الحركة السياسية فى مصر (١٩٤٥ ـ ١٩٥٢م) القاهرة : دار الشروق ، ١٩٨٣ ، ص٢٥٠ .

(٣) عواطف عبد الرحمن : مصر وفلسطين ، الكويت : سلسلة عالم المعرفة ، يونيه ، ١٩٨٥م ، ص١٥٠ .

(٤) أنور الجندى : الصحافة السياسية فى مصر ، مرجع سابق ، ص١٤٩ .

صدرت الوطن فى عام ١٨٧٧م لصاحبها ميخائيل عبد السيد ، وكانت تطبع فى المطبعة التى استحضرها الأنبا كيرلس الرابع بطريرك الأقباط من أوروبا [١] ، وقد توقفت هذه الصحيفة عن الصدور فى عام ١٨٩٢م ، ثم استأنف جندى إبراهيم إصدارها فى منتصف عام ١٩٠٠م . وأيدت الحزب الإكليركى ، وأعلنت مناصرتها للإنجليز بلاخفاء ، ووقفت موقفا معاديا ومتشددا للحركة الوطنية المصرية حتى وصفها أمين الرافعى بأن «سياستها احتلالية أكثر من المقطم» [٢] ، وظلت الوطن على مناصرتها للإنجليز وتأييدها لسياستهم ، حتى بعد ثورة ١٩١٩م التى امتزجت فيها قوى الأمة المصرية ، فى كيان واحد ضد الاحتلال [٣] .

أما صحيفة مصر فقد صدرت فى عام ١٨٩٥م لصاحبها تادرس شنودة المنقبادى ، وكانت خطتها السياسية أيضا مناصرة الاحتلال البريطانى ، ولم يتغير موقفها إلا فى ثورة ١٩١٩م [٤] ، ومنذ صدور مصر والخلاف مستمر بين شنودة المنقبادى وميخائيل عبد السيد صاحب الوطن ، ثم اتفقا معا فى أحداث الفتنة الطائفية التى جرت بين المسلمين والأقباط فى عام ١٩٠٩م ، وامتدت أكثر من ثلاث سنوات ، حتى انعقد المؤتمر القبطى فى أسيوط عام ١٩١١م ، وطالب بحقوق الأقباط [٥] . يقول الدكتور عبد اللطيف حمزة :«إن هاتين الصحيفتين مصر والوطن قد أسرفتا فى المطالبة بحقوق أساسها التعصب الدينى» [٦] .

وليس هناك شك فى أن الصحافة القبطية قد أدت دورا خطيرا فى تعميق الخصومة بين المسلمين والأقباط بتحريض من بريطانيا ، حيث الصلة القوية بين صحف الاتجاه القبطى والاحتلال البريطانى ، فقد كانت هذه الصحف تؤيد خطط الاحتلال فى مصر وتهاجم الجامعة الإسلامية ، وكان جندى إبراهيم يدعو الإنجليز إلى ضم مصر إلى المستعمرات البريطانية ورفع العلم الإنجليزى عليها [٧] .

وقد توقف هذا الدور إلى حد ما ـ وخاصة من جانب صحيفة مصر ـ أثناء ثورة ١٩١٩م وحتى منتصف العشرينات بفضل الجهود التى بذلها الوفد من أجل إحباط الصراع بين المسلمين والأقباط ، وبفضل تشكيله الوطنى العام من المسلمين والأقباط ونشاطه

---

(١) أديب مروة : الصحافة العربية نشأتها وتطورها ، بيروت : ١٩٦١م ، ص١٩٥ .

(٢) أنور الجندى : الصحافة السياسية فى مصر ، مرجع سابق ، ص١٤٩ .

(٣) طارق البشرى : المسلمون والأقباط فى إطار الجماعة الوطنية ، مرجع سابق ، ص١٥٦ .

(٤) المرجع السابق ، ص١٣٦ .

(٥) أنور الجندى : الصحافة السياسية ، فى مصر ، مرجع سابق ، ص١٥١ .

(٦) عبد اللطيف حمزة : قصة الصحافة العربية ، بغداد : دار العراق ، ١٩٦٧م ، ص١١٤ .

(٧) أنور الجندى : الصحافة السياسية ، مرجع سابق ، ص١٥١ ، ود . عواطف عبد الرحمن : مصر وفلسطين، مرجع سابق ، ص١٥٥ .

الواعى فى حسم أى خلاف ينشب بينهما (١) .

غير أن هذا الصراع قد تجدد مرة أخرى فى أواخر العشرينات والثلاثينات نتيجة لانتشار الجمعيات الإسلامية ونشاط التيار الإسلامى فى الصحافة المصرية ، وبروز تشكيلات إسلامية تطالب بالعودة إلى الإسلام والخلافة الإسلامية ، ولا سيما جماعة الإخوان المسلمين ، وبرزت الصحافة القبطية تطالب بتعديل الدستور ، وفصل الدين عن الدولة ، وإلغاء المحاكم الشرعية ، صونا لحقوق الأقباط ، وأعلن سلامة موسى أن تمسك الأقباط فى مصر بالقوانين الأوربية يرجع إلى أن أوربا مسيحية وليست مسلمة ، وأن تطبيق الشريعة الإسلامية يعنى العودة لفرض الجزية على الأقباط (٢) ، وغير ذلك من الدعاوى التى تذرع بها الأقباط ؛ لمعارضة القوانين الإسلامية فى مصر .

٢ـ الاتجاه اليهودى فى الصحافة المصرية :

ازداد النشاط الصحفى اليهودى فى مصر بعد نشوب الحرب العالمية الأولى وصدور وعد بلفور ١٩١٧م ، فقد أصدرت المنظمة الصهيونية ـ التى تشكلت عام ١٩١٧م بزعامة المحامى اليهودى كاسترو ـ المجلة الصهيونية باللغة الفرنسية لتكون لسان حال تلك المنظمة، واتخذت من نجمة داود شعارا لها . وفى عام ١٩١٧م أيضا أصدرت الطائفة اليهودية مجلة النهضة بالفرنسية لتكون معبرة عن أفكارها ومصالحها ، وقد استمرت هذه الصحيفة ثلاث سنوات (٣) .

ثم توالت الصحف اليهودية باللغة العربية ، فأصدر الدكتور ألبرت موصيرى فى عام ١٩٢٠م صحيفة إسرائيل بالعربية والعبرية والفرنسية ، وظلت هذه الصحيفة تصدر حتى عام ١٩٤٠م . وفى عام ١٩٢٤م ، أصدر توسيسان سيكوتو صحيفة الفجر ، وكان لهاتين الصحيفتين دور بارز فى الترويج للدعوة الصهيونية فى مصر (٤) ، وتعد صحيفة الاتحاد الإسرائيلى التى أصدرتها جمعية القرائين الإسرائيليين بالقاهرة ١٩٢٤م من أبرز الصحف اليهودية الناطقة بالعربية ، وكان يرأس تحريرها يوسف فرج ، وكانت تهتم بمعالجة شؤون طائفة اليهود القرائين ، ومتابعة أخبار اليهود فى العالم ، ولم تكن تبدى اهتماما كبيرا بنشاط الحركة الصهيونية أو الوطن القومى لليهود فى فلسطين ، إلا أنها بعد ذلك أكدت

---

(١) طارق البشرى : المسلمون والأقباط فى إطار الجماعة الوطنية ، مرجع سابق ص١٣٠ .

(٢) زكريا سليمان بيومى : الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية فى الحياة السياسية المصرية ، مرجع سابق ، ص٣١٢ .

(٣) سهام نصار : اليهود المصريون صحفهم ومجلاتهم (١٨٧٧ ـ ١٩٥٠م) ، القاهرة : دار العربى ، ١٩٨٠م ، ص٥٤ ، ٥٥ .

(٤) عواطف عبد الرحمن : مصر وفلسطين ، مرجع سابق ص١٤٢ .

صهيونية اليهود القرائين ، وضم صوتهم إلى جميع يهود العالم فى أن تكون فلسطين وطنا قوميا لليهود ، وقد توقفت هذه الصحيفة عن الصدور فى أغسطس ١٩٢٩م (١) .

أما أبرز الصحف اليهودية ذات الاتجاهات الصهيونية السافرة فهى صحيفة الشمس التى أصدرها سعد يعقوب المالكى فى سبتمبر ١٩٣٤م ، وكان الغرض الأساسى من صدورها خدمة الصهيونية من خلال بث الروح اليهودية وتقويتها بين يهود الشرق ، والعمل على إيجاد رابطة قومية بين اليهود الشرقيين من خلال ما كانت تنشره عن حياة الطوائف اليهودية فى العالم بصفة عامة والشرق بصفة خاصة ، وقد لخص صاحبها الغاية من إصدارها فيما يلى :

١ـ المحافظة على كيان اليهود الشرقيين من الاضمحلال نتيجة فقدانهم لغتهم العربية، فى وقت كان الجميع يتجه فيه إلى الثقافة الغربية ، ولذلك صدرت «الشمس» باللغة العربية .

٢ـ العناية بشؤون الطائفة اليهودية ، ومعالجة أوجه القصور فيها .

٣ـ أن تكون ميدانا يعبر عما يجول بخاطر كل إسرائيلى شرقى مخلص لأمته ووطنه (٢).

وفى عام ١٩٣٦م أصدر الصهيونى جاك رابان صحيفة المنبر اليهودى ، التى أدت دورا خطيرا فى الدعاية للحركة الصهيونية ، حيث إن صاحبها كان يتسم بنشاط وحماس شديدين للحركة الصهيونية ، وأسهم بالكتابة فى معظم الصحف اليهودية التى كانت تصدر فى مصر ذلك الحين قبل صحيفة إسرائيل والفجر والشمس والصحف الأجنبية ذات الميول الصهيونية (٣) ، ثم أصدرت جمعية الشبان القرائين فى عام ١٩٣٧م مرة أخرى مجلة الشبان القرائين ، نصف شهرية ، باللغتين العربية والفرنسية ، وتولى إدارتها ورئاسة تحريرها توفيق إبراهيم عبد الواحد ، وقد كان الغرض من صدورها :

١ـ العمل على نهضة الطائفة ورقيها .

٢ـ العمل على إحياء القومية اليهودية وتخليدها .

٣ـ تكوين وحدة ورابطة قومية للطائفة القرائية .

وكان الجزء العربى من هذه المجلة يمثل الجانب الأكبر من الصفحات ، بينما كان الجزء

---

(١) المرجع السابق ، ص١٤١ .

(٢) سهام نصار : اليهود المصريون صحفهم ومجلاتهم ، مرجع سابق ، ص٦٤ ، ٦٥ .

(٣) عواطف عبد الرحمن : مصر وفلسطين ، مرجع سابق . ص١٤٢ .

الفرنسى يمثل صفحتين ، وأحيانا ثلاثة ، وقد توقفت عن الصدور فى العام نفسه [١] .

وهكذا يتضح أن الطائفة اليهودية فى مصر تمتعت بالحرية فى إصدار العديد من الصحف الناطقة بلسانها والمعبرة عن مصالحها ووجهات نظرها فيما يتعلق بالشؤون المصرية أو العالمية ، وقد عملت كل هذه الصحف فى خدمة الحركة الصهيونية ، وتهيئة المناخ المناسب لإقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين ، والدفاع عن أحقية اليهود فى هذا الوطن.

(١) المرجع السابق ، ص٦٨ .

الباب الأول

صحف الاتجاه الإسلامى فيما بين الحربين

ويتناول :

الفصل الأول : تطور صحافة الاتجاه الإسلامى .

الفصل الثانى : اتجاهات الصحف الإسلامية فيما بين الحربين.

الفصل الأول

تطور صحافة الاتجاه الإسلامى

ظهر الاتجاه الإسلامى فى الصحافة المصرية من خلال صحيفة العروة الوثقى التى أصدرها جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده فى باريس فى ١٣مارس ١٨٨٤م ، وكانت توزع فى بعض الدول العربية والإسلامية ، وقد وضعت العروة الوثقى منهجا للصحافة الإسلامية من خلال أهداف واضحة ومحددة ، وكانت أهم هذه الأهداف التى رسمتها العروة الوثقى لنفسها هى :

١- إيقاظ الروح الكامنة فى النفس الشرقية ، ومحاربة اليأس ومواجهة النفوذ الأجنبى الزاحف على البلاد الاسلامية .

٢- التماس منهج القرآن فى بناء الأفراد والمجتمعات بوصفه المنقذ الوحيد للمسلمين.

٣- تنبيه الأمة إلى ذاتيتها الأصيلة التى أنشأت الحضارة الإسلامية الزاهرة والتذكير بعظمة التراث الإسلامى .

٤- محاربة الاستعمار بكل ماتملك الأمة من وسائل بمفهوم الجهاد الإسلامى .

٥- مقاومة التبعية والحيلولة دون الذوبان فى الأممية أو الفكر العالمى .

٦- الدعوة إلى امتلاك أسباب القوة والتقدم العلمى والتمدين دون التخلى عن الجذور فى دائرة مفهوم الإسلام القائم على العدل والرحمة (١) .

ولم يقدر للعروة الوثقى البقاء طويلا ، فقد صدر العدد الأول منها فى ١٣ مارس ١٨٨٣م ، والعدد الأخير فى ١٧أكتوبر فى عام ١٨٨٤م ، ولم تصدر سوى ثمانية عشر عددا ، ورغم هذا العمر القصير لصحيفة العروة الوثقى إلا أنها كانت ذات تأثير بعيد المدى على الصحافة العربية والمصرية كلها ، حيث خلقت اتجاها إسلاميا قويا تأثرت به الصحف الإسلامية التى صدرت فى مصر فيما بعد ، ولم يأت عام ١٨٨٩م حتى بدأت الصحافة المصرية تنحو منحى إسلاميا ، وكان فى مقدمة هذه الصحف ، صحيفة المؤيد التى أنشأها الشيخ على يوسف ، وصدر العدد الأول منها فى أول ديسمبر ١٨٨٩م واستمرت فى الصدور حتى عام ١٩١٥م . ولم تكن سياسة «المؤيد» الإسلامية صريحة فى أول صدورها لأنه كتب عليها : سياسية يومية .

---

(١) أنور الجندى ، المنار ، جـ١، تاريخ الصحافة الإسلامية ، القاهرة : دار الأنصار ، ١٩٨٣م ، ص١٩ ، ٢٠.

فكان الشيخ على يوسف ينحو المنحى السياسى الوطنى فى بدء صدور المؤيد ، ولكن عندما بدأ الصراع بين الشيخ محمد عبده وهانوتو[١] أفسحت المؤيد صدر صفحاتها لنشر مقالات الأستاذ الإمام والتعليق عليها ، فضلا عن أنها كانت منبرا للدعوة إلى الجامعة الإسلامية ومناصرة دعاتها [٢] .

ولم يمض على ظهور المؤيد أقل من ثلاث سنوات حتى ظهر العدد الأول من صحيفة الأستاذ «صحيفة أسبوعية» فى ٢٣ أغسطس ١٨٩٢م ، والعدد الأخير فى ١٣ يونيه ١٨٩٣م هاجم فيها عبد الله النديم الاستعمار وأعوانه هجوما شديدا ، وتصدى للدفاع عن اللغة العربية ضد الهجوم الذى شنه مهندس الرى الإنجليزى ويلكوكس عليها [٣] .

وكانت سياسة الأستاذ تهدف إلى :

١ـ الإصلاح الاجتماعى .

٢ـ إصلاح التربية والتعليم .

٣ـ الدفاع عن الشرق ضد أوهام الغرب .

٤ـ مهاجمة الاحتلال البريطانى دفاعا عن الخديوى عباس الثانى .

٥ـ الحملة على المبشرين النصارى .

٦ـ الدفاع عن اللغة العربية باعتبار أنها اللغة القومية ، والدعوة إلى تدريس المواد كلها باللغة العربية [٤] .

ثم توالى صدور الصحف الإسلامية ، فصدرت مجلة «الإسلام» فى غرة رمضان المعظم ١٣١١هـ ٨ مارس ١٨٩٤م ، مجلة إسلامية متخصصة تتحدث عن فضائل الإسلام وآدابه ، وتعالج القضايا الإسلامية ، فى العقيدة والشريعة والمعاملات ، وظلت تصدر حتى عام ١٩١٢م .

وفى ٢٢ شوال ١٣١٥هـ مارس ١٨٩٨م أصدر رشيد رضا صحيفة «المنار» أسبوعية ثم شهرية على نهج العروة الوثقى ، ولا سيما فى نشر الإصلاحات الاجتماعية والدينية وإقامة الدليل على أن الإسلام باعتباره نظاما دينيا لا يتنافى مع التطورات الحديثة والنظم

---

(١) كاتب فرنسى هاجم الإسلام ، ورد عليه الشيخ محمد عبده .

(٢) سعد الدين الجيزاوى : أصداء الدين فى الشعر من مطلع العصر الحديث إلى ثورة ١٩١٩م ، ط١ ، القاهرة: مكتبة نهضة مصر ، ١٩٥٦م جـ١ ص٢٠٢ .

(٣) صحيفة الأستاذ ، عدد ٣ يناير ١٨٩٣م ، ود . سامى عزيز : الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الإنجليزى، القاهرة : ١٩٦٨م ، ص٢٩٢ .

(٤) عبد اللطيف حمزة : قصة الصحافة العربية فى مصر ، مرجع سابق ، ص١٠٣ ، ١٠٤ .

المعاصرة ، وأن الشريعة الإسلامية أداة عملية صالحة للحكم ، وأيضا فى السعى للقضاء على الخرافات والاعتقادات الدخيلة فى الإسلام ، ومحاربة التعاليم الضالة والتفاسير الباطلة لعقائده ، ومحو الأفكار الشائعة عن القضاء والقدر ، ومحاربة التعصب لمذهب من المذاهب ، وما دخل على العقائد من بدع الاعتقاد فى الأولياء ، وما تأتيه طرق المتصوفة من بدع وضلالات [1] .

وقد حددت المنار أهدافها من الصدور فى عددها الأول :

١ـ الحث على تربية البنين والبنات ، والترغيب فى تحصيل العلوم والفنون وإصلاح كتب العلم وطريقة التعليم .

٢ـ المساعدة على مجاراة الأمم المتقدمة فى الأعمال النافعة ، وطرق أبواب الكسب والاقتصاد .

٣ـ شرح الدخائل التى مازجت عقائد الأمة ، والأخلاق الرديئة التى أفسدت الكثير من عوائدها ، والتأويلات الباطلة التى شبهت الحق بالباطل .

٤ـ تشخيص الأمراض الروحية وأشباهها وتوضيح عللها ووصف علاجها .

٥ـ تأليف القلوب المتنافرة ، وجمع الكلمات المتفرقة ، وإقناع أرباب النحل المتباينة والمذاهب المختلفة .

٦ـ الحث على التمسك بالدين وبيان أنه أساس السعادة ، وأن الكفر فساد العمران .

٧ـ درء الشبهات الواردة على الشريعة الإسلامية ، ودحض مزاعم من قال : إنها حائل بين الآخذين بها وبين المدنية الصحيحة ؛ لجهلهم بما انطوت عليه من الحكم الرائعة والأحكام العادلة .

٨ ـ تنبيه العثمانيين أن الشركات المالية هى مصدر العمران وينبوع العرفان وأن عليها مدار تقدم أوربا فى الفنون والصنائع لا على الملوك والأمراء .

٩ـ نشر محاسن اللغة العربية .

١٠ـ عدم الميل إلى ريح حزب من الأحزاب ، وعدم التطرف لجانب معين تفريطا أو إفراطا .

١١ـ سياسة المجلة عثمانية المشرب ، حميدية اللهجة [2] ، تحامى عن الدولة العلية بحق ، وتخدم مولانا السلطان الأعظم بصدق .

---

(١) تشارلز أدمز: الإسلام والتجديد فى مصر ، ترجمة عباس محمود ، القاهرة : ١٩٣٥م ، ص١٧٢ ، ١٧٣ .
(٢) نسبة إلى السلطان عبد الحميد .

١٢ـ تتجافى المطاعن الشخصية والأماديح الشعرية ، لكنها لا تنسى فى تقريظ الأعمال العامة لإفادة الجمهور [١] .

وقد شارك فى تحريرها ـ فى بداية صدورها ـ كوكبة من أعلام الأدب والشعر والعلم، من أمثال : أحمد السكندرى ، وحفنى ناصف ، ومصطفى صادق الرافعى ، ومصطفى لطفى المنفلوطى ، وحافظ إبراهيم ، وعبد المحسن الكاظمى ، ومحمد روحى الخالدى ، وعبد القادر المغربى ، ومحمد المهدى ، وحسين وصفى رضا ، وشكيب أرسلان ، وعبد الحميد الزهرواى ، وملك حفنى ناصف ـ المشهورة بباحثة البادية ـ ومحمد الخضر حسين ، ورفيق العظم ، والدكتور محمد توفيق صدقى ، وعبد الكريم سلمان ، كما كتب فيها الشيخ محمد عبده حتى وفاته فى عام ١٩٠٥م .ويذكر رشيد رضا أن بعض الناس كان يذيع أن الشيخ محمد عبده هو الذى يكتب أكثر ما فى المنار ولم يرجع عن هذا الزعم إلا بعد وفاته [٢] ، وقد ظلت المنار توالى صدورها حتى ١٩٣٥ [٣].

وصدرت بعد المنار مجلة «الحياة» ، أصدرها محمد فريد وجدى فى غرة صفر ١٣١٧هـ التاسع من يونيه ١٨٩٩م ، مجلة دينية شهرية ، تصدر فى أول كل شهر عربى، وكان الهدف من صدورها كما جاء فى أول عدد لها هو :

١ـ إقامة الأدلة العلمية على أن الديانة الإسلامية هى روح العمران ، وقوام سعادة الإنسان ، بطرق لا تجعل للشكوك مجالا للأذهان ، وستسلك لهذا الغرض المسالك العصرية فى تأييد أقاويلها بالحجج الفلسفية الحسية .

٢ـ تثبيت الأحوال الدينية فى العقول الطموحة ، كإثبات وجود الله تعالى والحياة الآخرة بالأدلة الدامغة ، وسنعمد فى ذلك على تحقيقات العلماء العصريين جريا مع سنة الزمان ، اعتقادا بأن نشأتنا الحديثة أحوج إلى هذه الخدمة ، وإيقانا من لدنا بأن نقش أصول العقائد فى أذهاننا بالطرق العصرية أنفع للبلاد [٤] .

وقد غلب على اهتمامات «الحياة» فى فترة صدورها بيان زيف الحضارة الأوربية ومحاربة المقلدين لها من المسلمين الذين بهرتهم بأضوائها البراقة حتى أنستهم أصلهم ، ولم يقتصر على التمتع بما أنتجته الحضارة الغربية من مخترعات الصناعة من فرش وأوان وغير ذلك ، بل تعدى إلى مجاراة الإفرنج فى أخلاقهم وعوائدهم ، كذلك أسهمت

---

(١) المنار ، عدد ١ ، ٢٢ شوال ١٣١٥هـ، ١٥ مارس ١٨٩٨م .

(٢) أحمد الشرباصى : رشيد رضا الصحفى المفسر الشاعر اللغوى ، الكتاب الثانى ، القاهرة : مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية ، ١٩٧٧م ، ص٢٥ ، ٢٦ .

(٣) لنا وقفة أخرى مع المنار فى فترة صدورها بعد الحرب العالمية الأولى .

(٤) الحياة ، عدد ١ غرة صفر ١٣١٧هـ ، ٩ يونيه ١٨٩٩م .

«الحياة» فى محاربة موجة الإلحاد التى كانت تتمثل فى مدعى العلوم الطبيعية ، والرد على الكتابات التى تصدر فى مصر ، ويكون الغرض منها تثبيت أصول الفلسفة المادية واستخدامها لنفى العقائد الدينية ، وتقوية العاطفة الدينية فى العقول لإعادة الثقة التى فقدتها بتأثير الفلسفة الإلحادية المهلكة (١) .

وتوقفت «الحياة» عن الصدور فى نهاية عام ١٩١٤، ولم يصدر منها سوى خمس مجلدات فقط من عام ١٨٩٩ إلى عام ١٩١٤م .

وقد صدرت «مكارم الأخلاق الإسلامية» مجلة علمية أدبية دينية تهذيبية ، فى غرة رمضان ١٣١٧ هـ الثانى من يناير ١٩٠٠م ، عن جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية ، التى كان يرأسها الشيخ محمد زكى سند ، وأمينها الشيخ عبد الوهاب النجار ، وهى أول صحيفة تصدر عن جمعية إسلامية فى مصر ، وذكرت جمعية مكارم الأخلاق أن هدفها من صدور هذه المجلة هو : الدعوة إلى إحياء معالم الدين التى طمست ، وتأليف القلوب التى نفرت ، كما تريد بها سرد علوم الشريعة فى أسلوب حلو المذاق خفيف علي الأسماع. مع إرشاد التائه وتنبيه الغافل (٢) .

وقد أصبحت المجلة منذ عامها السادس لسان حال جمعيتى مكارم الأخلاق الإسلامية، وجمعية الملاجئ العباسية ، وفى اليوم نفسه الذى صدرت فيه مجلة مكارم الأخلاق الإسلامية ، أصدر مصطفى كامل جريدة «اللواء» ، وقد ذاع صيتها وانتشرت شهرتها منذ اليوم الأول لصدورها ، إذ كان لمصطفى كامل مؤيدوه ، فساعد ذلك على توزيع «اللواء» ، فكانت منذ بدء صدورها أكثر الصحف انتشارا ، وكانت «اللواء» شعلة ملتهبة من الوطنية الخالصة حيث عرضت كتابات مصطفى كامل الحماسية ضد الأجنبى ، فضلا عن أنه قد التف حولها شباب مصر وشيوخها ، وأنشأت أول حزب سياسى فى مصر وهو الحزب الوطنى ، وكانت ـ على حد قول عبد الرحمن الرافعى ـ مثلا يحتذى فى صحافة مصر الوطنية فى ذلك الوقت من حيث المضمون والتحرير والإدارة (٣) .

وقدمت اللواء أهدافها فى أول عدد لها وهى : خدمة الوطن والإسلام بأشرف السبل وأنفعها ، والحكم على الأشياء حكما صحيحا ، والسعى وراء الاتحاد والاتفاق بين المصريين من جهة ، وبينهم وبين كافة المسلمين من جهة أخرى ، ، والسعى لتربية أبناء مصر تربية وطنية ، وترقية التجارة والصناعة ، وإجلال من يعمل عملا مفيدا للوطن

---

(١) الحياة ، عدد رجب ١٣٣٢هـ ، يونيه ١٩١٤م .

(٢) مكارم الأخلاق الإسلامية ، عدد ١ ، رمضان ١٣١٧هـ ، يناير ١٩٠٠م .

(٣) عبد الرحمن الرافعى : مصطفى كامل ـ باعث الحركة الوطنية ، القاهرة : دار النهضة ، ١٩٥٠م ، ص١٤٤ .

والدولة ، واجتناب الشتائم والشخصيات اجتنابا تاما [١] .

وقد زادت « اللواء» حدة بعد أن تولى الشيخ عبد العزيز جاويش رئاسة تحريرها فى ٣ مايو ١٩٠٨م بعد وفاة مصطفى كامل ، وقد حمل الشيخ جاويش على دانلوب وأسلوبه فى نظارة المعارف، وعلى الحكم الإنجليزى فى السودان بأسلوب فى غاية الشدة والقسوة ، حتى انتهى به الأمر إلى القضاء [٢] .

وعندما لم يستطع الاحتلال أن ينال منه بسبب عدم انطباق قانون العقوبات على الصحف الوطنية الكبرى مثل اللواء ، اضطر الدون غورست المعتمد البريطانى إلى إعادة قانون المطبوعات الصادر فى عام ١٨٨١م [٣] وصدر العمل به فى ٢٥ مارس ١٩٠٩م ، وعطلت اللواء فى سبتمبر ١٩١٢، وليس من شك فى أن إعادة قانون المطبوعات كان مقصودا به اللواء والصحف الوطنية ، التى تحارب الاحتلال .

إضافة إلى «اللواء» أصدر مصطفى كامل جريدة «العالم الإسلامى» أسبوعية فى عام ١٩٠٥م ، لينشر فيها المقالات والأخبار التى تخص الدول الإسلامية ، وما تكتبه الصحف الأوربية عن العالم الإسلامى [٤] .

ثم أصدر الشيخ عبد العزيز جاويش مجلة «الهداية» مجلة دينية عملية أدبية اجتماعية، شهرية ، فى غرة محرم ١٣٢٨هـ فبراير ١٩١٠م ، وكان صاحب امتيازها حسين بك تيمور ، وقد حدد الشيخ عبد العزيز جاويش أسباب صدور الهداية فى أول عدد منها فيما يلى :

١ ـ تفريط المسلمين فى دينهم .

٢ ـ انقسام المسلمين على أنفسهم شيعا تجاه المدنية الغربية .

٣ ـ غرور بعض المسلمين وفتنتهم بزخارف المدنية .

٤ ـ انصراف بعض الناس عن فرائض الدين وسننه ، وسيرهم خطوات فى طريق التفريج بل وتشيعهم بمبادئه .

٥ ـ التقليد الأعمى للغربيين .

---

(١) اللواء ، عدد ١ ، غرة رمضان ١٣١٧هـ ، يناير ١٩٠٠م .

(٢) إبراهيم عبده : تطور الصحافة المصرية ، مرجع سابق ، ص١٨٧ .

(٣) أنور الجندى : الصحافة السياسية ، مرجع سابق ، ص١٧٥ .

(٤) عبد الرحمن الرافعى : مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية ، مرجع سابق ، ص١٤٥ .

٦ـ انصراف المسلمين عن التفكير فى مصائرهم .

٧ـ دخول الشبهات على الدين الإسلامى من المستشرقين والمبشرين والقساوسة .

٨ ـ النصح للمسلمين ودعوتهم إلى السبيل القويم والتمسك بدينهم .

٩ ـ إذاعة أسرار القرآن الكريم الذى هو دستور السعادتين .

١٠ ـ درء الشبه وإدحاض الأكاذيب على الإسلام .

١١ ـ بيان أن الإسلام دين الفطرة التى فطر الناس عليها .

١٢ـ الدفاع عن اللغة العربية الفصحى (١) .

وقد بدأ الشيخ جاويش بتفسير القرآن الكريم على منهج الشيخ محمد عبده الذى يربط فيه التفسير بقضايا الناس والمجتمع ، ثم تصدت الهداية للمبشرين الذين طعنوا فى القرآن الكريم فى مجلة «بشائر السلام التبشيرية» ، وتفنيد الافتراءات والتهم الباطلة التى دأب المستعمر على توجيهها إلى الإسلام ، والتى من شأنها أن تصرف الناس عنه ، مثل : الترويج لفكرة انتشار الإسلام بالسيف ، وأنه يميل إلى سفك الدماء (٢) ، كذلك حاربت «الهداية» العادات الاجتماعية الوافدة من الغرب ، ونشرت العديد من المقالات الإصلاحية التى تصحح بعض المفاهيم الخاطئة التى آمن الناس بها نتيجة للجهل الذى سيطر على عقولهم ، مثل : الاعتقاد فى الأولياء وإلصاق المعجزات بهم . وظلت الهداية تصدر حتى عام ١٩١٢م .

وقد أصدر رجال الحزب الوطنى عدة صحف تحمل طابع الحزب الوطنى الإسلامى الوجهة والمبدأ ـ وهو نفس الطابع الذى تميزت به جريدة اللواء ـ مثل جريدة الدستور ، ومصر الفتاة ، والقطر المصرى ، ووادى النيل ، والعلم ، غير أن هذه الصحف لم تعمر طويلا ، ثم صدرت صحيفة الشعب فى ٢٠ ديسمبر ١٩١١م وانتظمت فى الصدور ، وقد رأس تحريرها أمين الرافعى الذى سار بها على النهج الذى سارت عليه صحف الحزب الوطنى من انتقاد الاحتلال ومهاجمة الحكومة وأعوان الاستعمار (٣) ، لكن ما كادت أخبار الحرب العالمية الأولى تظهر حتى كانت معظم صحف الاتجاه الإسلامى قد أغلقت أو توقفت عن الصدور .

---

(١) الهداية ، عدد ١ محرم ١٣٢٨هـ ، فبراير ١٩١٠م .

(٢) الهداية ، عدد ٢ صفر ١٣٢٨هـ ، مارس ١٩١٠م .

(٣) أنور الجندى : الصحافة السياسية ، مرجع سابق ، ص١٨٣ .

صحافة الاتجاه الإسلامى بعد الحرب الأولى :

تعتبر فترة الحرب العالمية الأولى فترة مظلمة فى حياة الصحافة المصرية كلها ولاسيما صحافة الاتجاه الإسلامى ، ففى تلك الفترة تمسك المحتل بتطبيق قانون المطبوعات لعام ١٨٨١م بعد أن بدأ العمل به فى عام ١٩٠٩م ، على الرغم من احتجاج الصحف والأحزاب عليه ، وقد حمل لواء المطالبة بحرية الصحافة أمين الرافعى فى صحيفة الشعب؛ لأن حرية الصحافة ـ على حد قوله : «لا تزال ساكنة فى ذلك القبر الذى أنزلوها فيه بغير ذنب ، بينما الأمم والحكومات الغربية قد أنزلتها المنزلة اللائقة بها ، وجعلتها فى مقدمة الضمانات التى تضمن للشعوب رقيها وسعادتها» . لذلك فهو يلح فى إلغاء قانون المطبوعات ، ويطالب أعضاء الجمعية التشريعية أن يعملوا على وضع حد لذلك بمطالبة الحكومة بإعطاء الصحافة حريتها [١] .

ولكن ظلت الحكومة على تشددها فى عدم منح تراخيص لصحف جديدة ، ففى خلال شهر يونيه ١٩١٤م ، قدم إلى وزارة الداخلية ٧٣ طلبا للحصول على تراخيص لإصدار جرائد يومية وأسبوعية ومجلات ، ولكن رئيس الوزراء أمر بإحالة هذه الطلبات إلى مجلس الوزراء لبحثها ، غير أنه أرجأ النظر فيها حتى نشبت الحرب العالمية الأولى [٢] .

وقد انتهزت بريطانيا فرصة اندلاع هذه الحرب فى أغسطس ١٩١٤م ، وفرضت الحماية على مصر ، وصدرت الأوامر من الحكومة بنشر خبر إعلان الحماية البريطانية على مصر ، ولكن أبت وطنية أمين الرافعى أن تنشر إعلان الحماية على مصر ، واعتبرها إهانة للشعب المصرى ، ففضل أن يعطل صحيفته «الشعب» ولا تنشر مثل هذا الخبر [٣] . وسجل الرافعى بهذا الموقف أول احتجاج على الحماية مما اضطرت السلطات الإنجليزية أن تصدر أمرا باعتقاله ضمن أول فوج من الوطنين المصرين الذين غيبوا فى السجون ، وتم بالفعل إغلاق الشعب فى ٢٧ نوفمبر ١٩١٤م [٤] ، ولم يبق من صحافة الاتجاه الإسلامى التى ازدهرت فى أوائل القرن العشرين سوى صحيفة «المنار» لرشيد رضا .

وعمدت السلطات الإنجليزية إلى القضاء على صحافة الاتجاه الإسلامى وتصفية الحركة الوطنية التى كانت تغذيها وتقودها الصحف الإسلامية «المؤيد، اللواء ، الدستور ،

---

(١) الشعب ، عدد ٢ ، ٩ يناير ١٩١٤م ، و د. خليل صابات وآخرون : حرية الصحافة فى مصر (١٧٩٨ ـ ١٩٢٤) ، القاهرة : ١٩٧٣م ، ص٢٩١ ، ٢٩٢ ، ومحمود جمعة أمين : على الغاياتى ـ حياته وشعره ، رسالة ماجستير ، كلية اللغة العربية جامعة الأزهر ١٩٨٢م ، ص١٣ .

(٢) محمود جمعة أمين : على الغاياتى ـ حياته وشعره ، ص١٣ .

(٣) عبد اللطيف حمزة : قصة الصحافة العربية فى مصر ، مرجع سابق ، ص١٠٣ ، وأنور الجندى : الصحافة السياسية ، مرجع سابق ، ص١٨٣ .

(٤) محمد سعد إبراهيم : أمين الرافعى صحفيا ، رسالة ماجستير كلية الإعلام ، ص٢٢ .

العلم ، الشعب ، الهداية» وغيرها ، تلك الصحف التى أوجدت تيارا إسلاميا قويا كان يربط الحركة الوطنية المصرية بحركة الجامعة الإسلامية الشاملة التى دعا إليها جمال الدين الأفغانى وسار على نهجه رشيد رضا ، ومصطفى كامل وقادة الحزب الوطنى .

ولقد تأثر مصطفى كامل بالفكر السياسى لدى الأفغانى ، ورأى فى الإسلام الجذوة التى يجب أن تحرك وتدعم القومية المصرية ، التى أخذت تتأثر بالمذاهب الغربية ؛ ولهذا فقد حمل مصطفى كامل على الاتجاهات العربية فى المشرق العربى التى كانت تدعو إلى الانفصال عن تركيا (١) .

فضلا عن ذلك ، فقد خلقت الصحافة الإسلامية قبل الحرب العالمية الأولى حركة دفاع عن الإسلام ، ارتبطت بردود الفعل التى أثارها الاحتلال الإنجليزى ، ومهاجمة كرومر ـ عميد الاحتلال ـ الدائمة للمسلمين ودينهم فى تقاريره ، وفيما أصدره من كتب ونشرات ، وانتشار المدارس الأجنبية التى هى ـ على حد قول رشيد رضا: « ظاهرها العلم وباطنها التبشير» ، وانتشار المبشرين فى مصر يدعون الناس إلى ترك دينهم واعتناق النصرانية (٢) ، وزحف المؤثرات الغربية على مصر ، وبروز طائفة ممن تأثروا بالمدنية الغربية ، يروجون لها ويحطون من قدر الشريعة الإسلامية وعلماء الدين ، ويجاهرون بأقوالهم : «إن الدين الإسلامى مقوض لأركان المدنية ، مخرب لدعائم العمران ، هو والحضارة على طرفى نقيض» (٣) .

لهذا كله حاربت السلطات الإنجليزية الصحافة الإسلامية لتقضى على الاتجاه الإسلامى فى الصحافة المصرية ، ولتفسح المجال لحزب الأمة ورجاله الموالين لإنجلترا فى قيادة الحركة الوطنية والفكرية فى مصر بعد الحرب العالمية الأولى (٤) ، وقد أشار الدكتور محمد حسين هيكل فى مذكراته بأن كاتب حزب الأمة أحمد لطفى السيد راح يروج إبان الحرب العالمية الأولى لفكرة مؤداها : إذا لم يكن ثمة سبيل إلى الاستقلال الوطنى فليكن الحكم فى بلادنا للإنجليز فهم خير الحاكمين ، والتقت فى هذه الدعوة المنكرة جريدة «الجريدة» لسان حال حزب الأمة ، وجريدة «المقطم» صحيفة الاحتلال السافرة (٥) .

ثم أعلنت الأحكام العرفية ، وفرضت الرقابة على الصحف فى الثانى من نوفمبر ١٩١٤، وأصبح لإدارة المطبوعات تعطيل الجرائد مؤقتا أو نهائيا دون إنذار ، وعندما

---

(١) على شلبى : مصر الفتاة ودورها فى السياسة المصرية (١٩٣٣ ـ ١٩٤١م) القاهرة : دار الكتاب الجامعى ، ١٩٨٢ ، ص٣٤ .

(٢) المنار ، عدد ٩ ، ٣ محرم ١٣١٧هـ ، ١٣ مايو ١٨٩٩م ، واللواء ، عدد ٢٧ جمادى الأولى ١٣٢٠هـ ، ٣١ أغسطس ١٩٠١م .

(٣) مكارم الأخلاق الإسلامية ، عدد ٥ ، غرة ذى القعدة ١٣١٧هـ ، ٢ مارس ١٩٠٠م .

(٤) أنور الجندى : يقظة الفكر العربى ، مرجع سابق ص٢٠ .

(٥) فتحى رضوان : مشهورن منسيون ، كتاب اليوم ، عدد ١٩٧، ص١٠٠ .

دخلت تركيا الحرب فى صف ألمانيا فى الخامس من نوفمبر ١٩١٤ استفحل أمر الرقابة على الصحف ، فظهرت صحيفة «الأهالى» وكاد الرقيب أن يحيلها إلى صفحات بيضاء ، وتعسفت السلطات الإنجليزية فى القبض على بعض أصحاب الاتجاه الإسلامى كالشيخ محمود خطاب من كبار العلماء فى الأزهر ، وأحمد جاويش شقيق عبد العزيز جاويش ، بعد أن أرغمت زعماء الحزب الوطنى على الهجرة من البلاد ، مثل : محمد فريد ، وعبد العزيز جاويش ، وعلى الغاياتى وغيرهم (١) .

وقد بدأت السلطات البريطانية توقف كل أنواع النشاط السياسى فى البلاد ، وصدرت التعليمات الموجهة إلى الصحف بعدم جواز نشر أى شىء يتعلق بالحالة السياسية فى مصر، وإلزام الصحف ضرورة الحصول على موافقة مسبقة من الرقيب على ما ينشر بها (٢)، وأصدر القائد العام للقوات البريطانية فى مصر قرارًا ينص على «أن جميع الذين توجد معهم أوراق مكتوبة أو مطبوعة بقصد حض الأمة على التشيع لأعداء جلالته أو حملها على الاستهانة بنظام الحكومة القائمة بالأمر، والذين يذيعون تلك الأوراق وأشباهها أو يحاولون إدخالها فى القطر المصرى، يعرضون أنفسهم للمحاكمة أمام المجلس الحربى» (٣)، كذلك تضمنت تعليمات القائد العام للقوات البريطانية منع نشر الأخبار الوهمية أو الباعثة على الإزعاج وبخاصة ماله علاقة بالخسائر الناجمة عن الحرب أو الحالة المعيشية فى بلاد الحلفاء، فضلا عن أخبار تنقلات الجيوش وتحركات السفن وكل ما من شأنه تكدير صفاء الأمن والسلامة فى القطر (٤) ، ثم تقرر السلطات العسكرية فى يونيو ١٩١٧ تخفيض عدد صفحات الصحف إلى صفحتين ، مما جعلها فى كثير من الأحيان تلجأ إلى الاستغناء عن العناوين المجموعة بأبناط كبيرة توفيرا للمساحة ، ونتيجة لذلك اتسم النشاط الصحفى خلال هذه الفترة بالركود (٥) .

وهكذا بدأ التضييق على الصحافة المصرية وبخاصة الإسلامية منها ؛ لذلك انحسر الاتجاه الإسلامى فى الصحافة المصرية أثناء وبعد الحرب العالمية مباشرة حتى عام ١٩٢٤م ، وهو العام الذى أسقطت فيه الخلافة الإسلامية ، ولم يكن يصدر فى تلك الفترة من صحافة الاتجاه الإسلامى سوى صحيفة «المنار» التى كانت هى الأخرى تخضع لقوانين الرقابة على الصحف والأحكام العرفية ، و«المجلة السلفية» التى صدرت فى عام

---

(١) خليل صابات وآخرون : حرية الصحافة فى مصر مرجع سابق ص٣٠٧ ، وأحمد المغازى : الصحافة الفنية فى مصر نشأتها وتطورها ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٨م ، ص٢٠٢

(٢) عبد الفتاح إبراهيم محمود : دور الصحافة فى تفسير القيم الاجتماعية ، رسالة دكتوراه ، كلية الإعلام ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٦م ، ص١٤٦ .

(٣) د . خليل صابات : حرية الصحافة فى مصر مرجع سابق ، ص٣٠٧ .

(٤) عبد الفتاح إبراهيم : دور الصحافة فى تغير القيم الاجتماعية ، مرجع سابق ، ص١٤٦ .

(٥) خليل صابات : الصحافة المصرية فى ثورة ١٩١٩م ، القاهرة : ١٩٦٩، ص٥ .

١٩١٧م، ولم تستمر فى الصدور ، وهى ـ كما يدل اسمها ـ تهتم بالكتب التاريخية والمخطوطات النادرة وليس لها إسهام فى الشؤون السياسية والاقتصادية والاجتماعية المطروحة فى الساحة المصرية ، كما أعلنت ذلك فى أول عدد من صدورها [(١)] .

وبالإضافة إلى المعوقات التى وضعها الاحتلال فى طريق المد الإسلامى فى الصحافة المصرية ، كانت هناك ظروف محلية داخل المجتمع المصرى ، اتسمت بتصاعد المقاومة الوطنية ضد الاحتلال ، والتى بلغت مداها فى ثورة ١٩١٩ ، وانصبت جميع الجهود فى تيار وطنى واحد يمثل صوت الأمة المصرية [(٢)] .

ورغم ذلك كله كانت هناك توجهات إسلامية ، تظهر على استحياء فى الصحافة الأدبية التى كانت تصدر خلال الحرب العالمية الأولى حتى عام ١٩٢٤م ، كصحيفة «البيان» التى أصدرها الشيخ عبد الرحمن البرقوقى فى ٢٤ أغسطس ١٩١١م ، شهرية ، واستمرت فى الصدور حتى نوفمبر ١٩٢١م ، وصحيفة «عكاظ» التى أصدرها الشيخ فهمى قنديل فى ١٣ يوليو ١٩١٣م ، أدبية أسبوعية ، وظلت تصدر غير منتظمة حتى عام ١٩٣١م ، ومجلة «الثمرات» التى أصدرها حسن السندوبى فى يونيه عام ١٩١٦م ، مجلة شهرية أدبية ، وظلت تصدر حتى عام ١٩٢٢م ، ثم مجلة «الزهراء» التى أصدرها محب الدين الخطيب ، مجلة علمية أدبية اجتماعية ، فى عام ١٩٢٤م ، [(٣)] ، وتعنى بوجه خاص بالأبحاث العربية والإسلامية والشرقية [(٤)] .

ثم اتسع نطاق التوجهات الإسلامية فى صحف الحزب الوطنى التى صدرت بعد الحرب العالمية الأولى ، وهى وإن كانت سياسية تحمل مبادئ الحزب الوطنى ، إلا أنها كانت تروج للفكرة الإسلامية وتدعو إليها ، وهذه الصحف هى : «الأخبار» التى صدرت فى ٢٢ نوفمبر ١٩٢٠م ، وتولى رئاسة تحريرها أمين الرافعى ، وكان يرى فيها امتداداً لصحيفة «الشعب» التى صدرت قبل الحرب العالمية الأولى ، وجريدة «الأفكار» ويرجع تاريخ صدورها إلى ١١ سبتمبر ١٩١٢م ، وكان مديرها وصاحبها هو أبو العنين بدر ، وجريدة «اللواء المصرى» التى صدرت فى يناير ١٩٢٣م ، وكان صاحب امتيازها ومدير سياستها الدكتور إسماعيل صدقى عضو الحزب الوطنى وعبد المقصود متولى وهو عضو بالحزب ـ أيضا ـ وصحيفة «الأمة» التى صدرت فى أوائل عام ١٩١٩م بالإسكندرية ،

---

(١) المجلة السلفية جـ١ ، ربيع الآخر ١٣٣٥هـ ، فبراير ١٩١٧م .

(٢) عواطف عبد الرحمن : مصر وفلسطين ، مرجع سابق ، ص٣٠ .

(٣) محمد سيد محمد : هيكل والسياسة الأسبوعية ، السعودية : دار الرفاعى ، ١٩٨٣م ، ص١٩ ـ٢٣ ، ود . محمود فياض : الصحافة الأدبية وأثرها فى تطوير الأدب بين الحربين العالميتين (١٩١٤ ـ ١٩٣٩م) ، ص٧٢ .

(٤) الزهراء عدد ١ ، ١٥ محرم ١٣٤٣هـ .

وكان صاحبها عبد اللطيف الصوفانى ، عضو الحزب الوطنى (١) .

وقد كان للصحافة الإسلامية التى نشأت فى بداية القرن العشرين أثر واضح فى ثورة ١٩١٩م ، التى كانت نتاجا طبيعيا لجهود عديدة من أبناء مصر الذين عبروا عن رفض الشعب المصرى المسلم للقهر والظلم ، بدءا من السيد جمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده وأحمد عرابى وعبد الله النديم ، وتوجت جميعها فى دعوة الحزب الوطنى وزعيمه مصطفى كامل ومن بعده محمد فريد والشيخ عبد العزيز جاويش ، حيث أسهموا فى تبديد اليأس الذى خيم على المصريين بعد فشل الثورة العرابية ، ومجىء الاحتلال ، ووضعوا صيغة مقبولة للحركة الوطنية ربطوا فيها بين الانتماء العقائدى والانتماء الوطنى (٢) .

وقد عبر عن هذا الاتجاه المؤرخ عبد الرحمن الرافعى ومصطفى كامل ومحمد فريد وأنصارهم وتلاميذهم ، الذين كان لهم أثر كبير فى قيام ثورة ١٩١٩م مما غرسوه فى النفوس من الدعوة إلى الجهاد الخالص لله وللوطن ، كما عبر عنه الزعيم محمد فريد بقوله ـ معلقا على قيام الثورة : «نشكر الله على هذه النتيجة الحسنة ، التى دلت على أن ما ألقاه مؤسسو الحركة الوطنية من البذور فى تلك الأرض الخصبة قد نبت وترعرع ساقه، ثم أزهر وظهر ثماره» (٣) .

ومع أن أغلب الصحف التى كانت تصدر إبان ثورة ١٩١٩م تجمع على أنها ثورة علمانية ، غير أن هذه الصحف لم تكن تعبر عن رأى المصريين جميعهم ، إذ كانت بعض هذه الصحف خاضعة لمجموعة من العلمانيين كالأهرام والنظام ، وكانوا حريصين على الترويج لفكرهم ، فضلا عن أنه يتمشى مع أسلوبهم السياسى المعتدل إلى جانب حرصهم على نفى سمة التطرف الدينى والسياسى فى محاولة لجذب وتأييد الرأى العام الأوروبى وكان البعض الآخر يسيطر عليه الأقباط كصحيفة مصر ، والوطن ، أو النصارى الشوام الذين يروجون للاحتلال مثل المقطم ، وهم فى مجموعهم كانوا يروجون لهذا الاتجاه (٤) لأنهم ـ كنصارى ـ كانوا أكثر تأثرا بالمذاهب الغربية والأفكار العلمانية أكثر من غيرهم .

وفى أعقاب ثورة ١٩١٩م تولى حزب الوفد توجيه البلاد ، وكان فى ذلك الحين أكبر

---

(١) زكريا سليمان بيومى : الحزب الوطنى ودوره فى السياسة المصرية ٧ / ١٩ / ١٩٥٣م ، القاهرة : ١٩٨١، ص٢٨٣ ـ ٢٨٨ .

(٢) زكريا سليمان بيومى : الاتجاه الإسلامى فى ثورة ١٩١٩م ، ط١ القاهرة : دار الكتاب الجامعى ، ١٩٨٣، ص٢٤ ، ٢٥ .

(٣) المرجع السابق، ص١٦، وعبد الرحمن الرافعى: ثورة ١٩١٩م، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٤٦، ص٦٦ .

(٤) د . زكريا سليمان بيومى : الاتجاه الإسلامى فى ثورة ١٩١٩، مرجع سابق ص٤٠ .

الأحزاب السياسية المصرية ، وأوسعها نفوذا ، وكان على رأس هذا الحزب سعد زغلول الذى كان عضوا سابقا فى حزب الأمة ، وهو حزب عرف عنه مهادنته للاحتلال ومعارضته لدعوة الجامعة الإسلامية ، وتفضيل الدعوة المصرية الفرعونية عليها ، وقد تشكلت مبادئ الوفد تحت تأثير قوى من المذاهب السياسية الأوربية ، حيث تشرب قادة الحزب الذين تلقوا تعليما وتثقيفا أوربيين أفكار القومية والديمقراطية المنقولة عن الغرب ، وحاولوا غرسها فى التربة المصرية ، دون مراعاة التقاليد العربية فى مجال الثقافة والفكر الاجتماعى والدينى ، ورغم أن قادة الوفد وقفوا ضد السيطرة الإنجليزية وطالبوا بجلاء القوات الأجنبية ، لكنهم ظلوا مع ذلك ذوى نظرة تعتبر أوربا مركز كل شيء ، وتتخذ موقفا تبعيا تجاه أوربا ، وتبنوا دون تحفظ أولوية الثقافة الأوربية [١] .

وفى عام ١٩٢٢م تكون حزب الأحرار الدستوريين من الأعضاء المنشقين عن الوفد والمخالفين لسعد زغلول ، وقد سلك هذا الحزب أيضا سياسة أكثر ليونة مع الإنجليز ، وفى عام ١٩٢٣ صدر الدستور المصري ، ونجح الاحتلال فى إقناع ساسة مصر ، بالصراع على كراسى الحكم بالانتخابات والمجالس النيابية [٢] . وكان زعماء هذه الأحزاب ، وبخاصة الذين تلقوا تعليمهم فى الغرب مقتنعين بالحضارة الغربية وقدرتها على وضع مثل عصرية تحل محل القيم الإسلامية ، التى لم تعد فى زعمهم قادرة على إقامة مجتمع عصرى متقدم ، وقد بدأ أثر هذا الاقتناع فيما نادوا من أفكار تمثلت فى الحرية الشخصية والحياة النيابية كما عرفوها فى أوربا ، وضرورة فصل الدين عن الدولة ، أو السلطة الزمنية عن السلطة الدينية وذلك باسم حرية الفكر ، والسعى لتحقيق حرية المرأة من القيود الدينية والاجتماعية والوصول بها إلى تقليد المرأة الأوربية [٣] وتعديل قوانين الأحوال الشخصية ، وإلغاء المحاكم الشرعية ، وناقش البرلمان المصرى فى دورته لعام ١٩٢٦ وضع الوقف الأهلى الذى ارتفعت الأصوات تطالب بإلغائه [٤] .

وقد زعم المتأثرون بالحضارة الغربية من أبناء الأمة الإسلامية أن مظاهر التحلل من المبادئ والقيم الدينية ، والانحلال والفساد من ضرورات التحضر والمدنية ، وباسم الحرية الشخصية انحرف بعض الناس عن التمسك بتعاليم الإسلام ، وافتتحت الحانات والملاهى والمراقص ودور البغاء المرخصة من الحكومة فى القاهرة وعواصم المحافظات ، وظن مرتادوها أن ذلك مظهر من مظاهر التمدن والتقدم ، وكان للصحافة المصرية التغريبية أو

(١) ماجرات سبرانيان : الوفد والإخوان المسلمون ، ترجمة بشير السباعى ، القاهرة : ١٩٨٦ ، ص٨ ، ٩ .
(٢) محمد فتحى شعير : وسائل الإعلام المطبوعة فى دعوة الإخوان المسلمين ، ص٧٤ .
(٣) زكريا سليمان بيومى : الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية فى الحياة المصرية ، مرجع سابق ، ص٢٣.
(٤) عواطف عبد الرحمن : مصر وفلسطين ، مرجع سابق ، ص٣١ .

العلمانية ـ مثل صحيفة الهلال والسياسة الأسبوعية وغيرها ـ دور فى ترويج هذه المفاسد، ففى الوقت الذى تدعو فيه «الهلال» إلى فوائد مذهب العرى ونشأته وإلى اختلاط الجنسين فى التعليم ، تكتب صحيفة السياسة الأسبوعية عن الخمر والرقص ، وتواصل حملتها فى الدفاع عن دور البغاء ، وكان لهذه الظاهرة أثر شديد فى سلوك الناس والاستخفاف بالأخلاق الإسلامية والآداب الإسلامية (١) .

وقد شاركت بعض الصحف والمجلات فى الدعوة إلى الإلحاد ، ومحاربة الأديان ، وكان «الهلال» أيضا فى مقدمة الداعين لذلك ، وحفلت أعدادها بالشك فى كل فكر حتى فى العقائد والأديان ، واشتهر فى ذلك المجال إميل زيدان رئيس تحريرها وسامى الجردينى، وقد أسهمت السياسة الأسبوعية أيضا فى هذه الموجة ، فأفسحت صدر صفحاتها لكل مهاجم للدين والتدين (٢) ، وكان كتاب هذه الصحف يعمدون إلى إثارة الجماهير فى مشاعرها وعواطفها بترجمة القصص الغربية الرخيصة والفصول اللاذعة فى مهاجمة الأخلاق الإسلامية (٣) .

ولقد تحولت الجامعة المصرية من معهد أهلى إلى جامعة حكومية تديرها الدولة ، وتضم عددا من الكليات النظامية ، وكان للبحث العلمى والحياة الجامعية آنذاك فى رؤوس الكثيرين صورة غربية ، مضمونها : أن الجامعة لن تكون جامعة علمية إلا إذا ثارت على الدين ، وحاربت التقاليد الاجتماعية المستمدة منه ، واندفعت وراء التفكير المادى المنقول عن الغرب بحذافيره ، وعرف أساتذتها وطلابها بالتحلل والانطلاق من كل القيود (٤) .

وقد ظهر لذلك رد فعل إسلامى قوى ، بدا واضحا حين نشر الدكتور طه حسين كتابه : «فى الشعر الجاهلى» وعلى عبد الرازق كتابه : « الإسلام وأصول الحكم» وقد ربط المفكرون المسلمون بين هذين الكتابين والمؤثرات الغربية التى أخذت تتغلغل فى المجتمع المصرى منذ القرن التاسع عشر (٥) .

وفى تلك الفترة قام صراع ودارت معارك فكرية بين زعماء الفكر الإسلامى وبين

---

(١) عواطف عبد الرحمن : مصر وفلسطين ، مرجع سابق ، ص٣١ .

(٢) محمد فتحى شعير : وسائل الإعلام المطبوعة فى دعوة الإخوان المسلمين ، مرجع سابق ، ص٧٣ ، ومجلة الهلال ، مقال بعنوان : «حرية الفكر» لإميل زيدان ، عدد نوفمبر ١٩٢٤ ـ مايو ١٩٢٥ ، وسلسلة مقالات كتبها سامى الجردينى بعنوان : «أثر الثورة العالمية فى النظام الدولى» ، السياسة الأسبوعية ، عدد ١٧ يوليو ١٩٢٦م ومقال بعنوان : «العلم والدين» للدكتور طه حسين .

(٣) أنور الجندى : الصحافة والإعلام المسمومة القاهرة : دار الاعتصام ١٩٨٠م ص١٩ .

(٤) حسن البنا : مذكرات الدعوة والداعية ، القاهرة : دار الشهاب ، ١٩٦٦م ، ص٥٣ .

(٥) عواطف عبد الرحمن : مصر وفلسطين ، مرجع سابق ، ص٣١ .

أنصار الحضارة الغربية والفكر العلمانى فى مصر على صفحات الصحف المصرية ، هذا الصراع وتلك المعارك مهما تكن أسبابها أو الدوافع لبروزها فقد أثرت الفكر المصرى الحديث والحركة الفكرية المصرية بالكثير من الدراسات العلمية والاجتماعية والأدبية والنقدية فى مختلف أشكالها وفنونها ، وخلقت صحفا إسلامية جديدة خلفت تراثا أصيلا تعتز به المكتبة الصحفية الإسلامية ، فضلا عن بروز طائفة من الكتاب والمفكرين الإسلاميين الذين ساهموا بأقلامهم من خلال تلك الصحف ليس على مستوى مصر وحدها بل على مستوى العالم الإسلامى والعربى بل والعالم كله ،و قدموا حلولا جذرية للقضايا والمشكلات العصرية على أساس المفهوم الأساسى للفكر الإسلامى المستمد من القرآن الكريم والسنة النبوية وفقا للإضافات والتطورات التى حققتها الصحافة الإسلامية قبل الحرب الأولى .

وكان من أبرز حملة راية الدفاع عن الإسلام فى فترة ما بين الحربين فى العالم الإسلامى ـ كما أشارت إلى ذلك «الفتح» هم : محمد أحمد الغمراوى ، والدكتور يحيى الدرديرى، وعباس حافظ، والدكتور أحمد فؤاد، والدكتور محجوب ثابت ، والسيد جميل الرافعى، وأمين الرافعى ، ومصطفى صادق الرافعى ، وفريد وجدى ، وأحمد تيمور ، ورفيق العظم ، ورشيد رضا ، ومحب الدين الخطيب ، وحسن البنا ، وطنطاوى جوهرى ، والشيخ مصطفى المراغى ، والشيخ الظواهرى ، والشيخ محمد بخيت ، وأحمد شاكر ، ومحمد شاكر ، ومحمد الخضر حسين وغيرهم .

ومن سوريا : معروف الأرناؤوطى ،والأستاذ محمد كرد على ، والشيخ عبد القادر المغربى ، وإسعاف النشاشيبى ، وعبد الله مخلص ، وعجاج نويهض ، وهانى أبو مصلح ، والشيخ عارف الزين ـ صاحب مجلة العرفان الإسلامية ، والشيخ كامل القصاب ، والشيخ يوسف ياسين ، والشيخ بهجة البيطار . والشيخ الفقى صاحب مجلة الإصلاح فى مكة . وفى تونس : الشيخ السيد سيف الدين رحال . وفى المغرب : عبد الحميد بن باديس ، والميلى صاحب تاريخ الجزائر ، والطيب العقبى ، ومحمد سعيد الزاهرى التلمسانى . وفى المغرب الأقصى : السيد عبد الرحمن بن زيدان المؤرخ المدقق. وفى فاس : العلامة الكتانى . وفى جنيف : الشيخ على الغاياتى ، وجريدة منبر الشرق. وفى برلين : السيد نافع الشلبى بجريدته الألمانية صدى الإسلام ، والشيخ عبد الرحمن سيف الإيرانى فى جريدته الفرنسية ، وفى العراق : الشيخ يونس البحرى ، والشيخ عبد الرشيد التتارى ،ومحمد على بك ناظر الداخلية فى تركيا ، الذى أنشأ فى باريس جريدة تركية إسلامية باللغة الفرنسية ، وشكيب أرسلان ، وإحسان بك الجابرى

فى جريدتهما العربية فى جنيف (١) .

وعلى صعيد آخر تشكلت مؤسسات دينية إسلامية لمواجهة المد العلمانى فى الصحافة المصرية ، تمثلت هذه المؤسسات فى الجمعيات الإسلامية التى تكونت فى أواخر العشرينات والثلاثينات من هذا القرن (٢) .

وكان أبرز الجمعيات الدينية التى أصدرت صحفا إسلامية ونشطت فى مجال الصحافة الإسلامية ، وشاركت فى التيارات الفكرية والاجتماعية والسياسية التى طرحت على بساط البحث والمناقشة فى تلك الفترة «جمعية الشبان المسلمين» ، التى أصدرت مجلة «الشبان المسلمين»، وظهر العدد الأول منها فى جمادى الأولى ١٣٤٨هـ أكتوبر ١٩٢٩م ، و«جمعية الإخوان المسلمين» التى أصدرت العديد من الصحف ، من أهمها : صحيفة «الإخوان المسلمين» وجمعية الهداية الإسلامية التى أصدرت مجلة «الهداية الإسلامية» ، إضافة إلى المؤسسة الدينية الرسمية «الأزهر» التى أصدرت مجلة «نور الإسلام» ، التى سميت فى عام ١٩٣٥م بالأزهر . وكان ظهور هذه الجمعيات دليلا واضحا على فشل النظام الغربى وتطبيقاته فى مصر .

وقد قادت الصحافة الإسلامية فى مصر فى فترة ما بين الحربين «المنار» بزعامة رشيد رضا، وهو الذى تولى قيادة رد الفعل الإسلامى ضد تيار التغريب والعلمانية ،والتقى رشيد رضا مع الأفغانى والشيخ محمد عبده فى الدعوة إلى التجديد الدينى وفتح باب الاجتهاد ، وبعث حيوية المسلمين ، والسير مع روح العصر ، لكن مع الحفاظ على القيم الدينية والأصول الإسلامية .

وقد سار على هذا النهج محب الدين الخطيب فى صحيفة «الفتح» التى صدرت فى يونيه ١٩٢٦م ، وظلت تصدر حتى عام ١٩٤٧م ، ووضعت برنامجا إسلاميا فى مقدمة عددها الأول يهدف إلى إحياء ذكرى المدنية الإسلامية ، ومقاومة الإلحاد ودعوى التجديد الكاذب وتأكيد العلاقة الوثيقة بين العلم والدين الإسلامى . ومضى هذا الاتجاه الإسلامى فى الصحف الإسلامية على شاكلة المنار والفتح ، وإن كانت هناك فروق فكرية واختلافات فى المعالجة الصحفية للقضايا المطروحة ، ولكن هذه الصحف كانت متفقة فى جانب رفض أسس الحضارة الغربية ، ومقاومة تيار التغريب والعلمانية الذى ازدهر فى العشرينات من هذا القرن .

---

(١) الفتح ، عدد ١٩٨ ، ٩ ذى الحجة ١٣٤٨ ، ٨ مايو ١٩٣٠ .

(٢) الجمعيات الإسلامية التى تشكلت فى فترة ما بين الحربين العالميتين ، هى . جمعية الشبان المسلمين ، وجمعية الإخوان المسلمين ، وجمعية الهداية الإسلامية ، وجمعية الجهاد الإسلامى ، وجمعية الأخوات المسلمات ، وجماعة شباب محمد ، وجمعية التقوى ، وجمعية المسلم العامل ، وجمعية الإخاء الإسلامي ، وجمعية السنة المحمدية ، وجماعة أنصار السنة المحمدية ، وجمعية العروة الوثقى الإسلامية ، وجمعية الأمة للمحافظة على القرآن الكريم ، وجمعية إحياء القرآن الكريم ، وجماعة المناداة بالصلاة ، وجمعية الشبان الحجازيين ، وجمعية نشر الفضائل والآداب الإسلامية وجمعية الوفاء الإسلامى ، وجمعية غزوة بدر ، وجمعية إحياء مجد الإسلام .

الفصل الثانى

اتجاهات الصحف الإسلامية فيما بين الحربين

من المعروف أن الاتجاه الإسلامى فى الصحافة المصرية لم ينقطع منذ جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده وعلى يوسف ومصطفى كامل ورشيد رضا ، وإن كان قد انحسر مدة أثناء الحرب العالمية الأولى ، والسنوات القليلة التى تلتها حتى عام ١٩٢٤م والذى أسقطت فيه الخلافة الإسلامية ، ثم توالى صدور الصحف الإسلامية حتى قيام الحرب العالمية بدرجة مدهشة ، حتى أطلق بعض مؤرخى الصحافة المصرية على تلك الفترة : «تيار البعث الإسلامى» أو الصحوة الإسلامية فى الصحافة الدينية [١] ، أو تيار اليقظة الإسلامية طبقا لتعبير أنور الجندى [٢] .

وكان من أبرز الصحف ذات الاتجاه الإسلامى ـ بالإضافة إلى المنار والفتح : لواء الإسلام عام ١٩٢٤م ، الشورى ١٩٢٤م ، المؤتمر الإسلامى ١٩٢٤م ، حضارة الإسلام ١٩٢٥م ، الزهراء ١٩٢٥م ، مكارم الأخلاق ١٩٢٥م ، الفتح ١٩٢٦م ، بشائر الإسلام ١٩٢٦م ، الهداية الإسلامية ١٩٢٨م ، الشبان المسلمين ١٩٢٩م ، الجهاد الإسلامى ١٩٢٩م ، نور الإسلام ١٩٣٠م ، النهضة الفكرية ١٩٣١م ، الجامعة الإسلامية ١٩٣٢م، الإخوان المسلمون ١٩٣٣م ، المعرفة ١٩٣٣م ، المسلمون ١٩٣٣م ، الصرخة ١٩٣٣م ، دار العلوم ١٩٣٤م ، هدى الإسلام ١٩٣٤م ، صوت الإسلام ١٩٣٥م ، الأزهر ١٩٣٥م، الرابطة العربية ١٩٣٦م ، المجلة الشرعية ١٩٣٦م ، الهدى النبوى ١٩٣٧م ، التشريع الإسلامى ١٩٣٨م ، النذير ١٩٣٨م ، منبر الشرق ١٩٣٨م .

هذا ، وقد أحدثت هذه الصحف صحوة إسلامية ، ونشطت البحث فى المجالات الدينية ، ليس فى نطاق مصر فحسب بل فى العالم الإسلامى كله ـ كما سبق القول ـ ومضى تيار هذه الصحوة فى تعريف وتنوير قراء العربية بمختلف القضايا الإسلامية والعربية،وقامت بدور كبير فى مجال الكشف عن جوهر الإسلام والفكر الإسلامى ، والرد على الشبهات التى كانت تروجها الصحف العلمانية .

كذلك هاجمت هذه الصحف الربا والخمر والمخدرات والإلحاد والإباحة وانحراف الفكر المصرى ، وعرضت لآراء الإسلام ورؤى المفكرين الإسلاميين فى التعليم والتشريع

---

(١) عواطف عبد الرحمن : مصر وفلسطين ، مرجع سابق ، ص٣٦ .

(٢) أنور الجندى : يقظة الفكر العربى ، مرجع سابق ، ص٦٠ .

والتربية [1] .

وقد تطور تيار البعث الإسلامى أو الصورة الإسلامية ، وتجاوز الصحف الإسلامية إلى سواها مثل مجلة «البيان» التى كتب على صفحتها أحمد زكى صفحات من تاريخ الأندلس، وسار الدكتور عبده البرقوقى على منهاجه .

واتجهت «البيان» إلى نقل ما كتبه المتصوفون عن الإسلام .

وعند صدور مجلة «الرسالة» فى عام ١٩٣٣ حرصت على إصدار عدد ممتاز احتفالا بذكرى الهجرة النبوية فى كل عام .

وقد اقتدت بالرسالة مجلات أخرى مثل مجلة : «شهرزاد القصصية» ، التى كانت تصدر أعدادا ممتازة فى ذكرى مولد الرسول ﷺ ، واعدة أن تكون هذه الأعداد مصرية عربية ، خالية من القصص المترجم ، وكان هذا الاتجاه تعزيزا للتيار الإسلامى فى الصحافة المصرية ، ومسايرة جماهير القراء التى اتجهت إلى نحو المواضيع الإسلامية [2].

وقد صدرت الصحف الإسلامية فى تلك الفترة لتمثل اتجاهات معينة كانت كلها تعمل فى نطاق الإسلام ، غير أن معالجة هذه الصحف لبعض القضايا الإسلامية والفكرية والاجتماعية والسياسية كانت تتفق وتختلف حسب منظور الاتجاه الذى تمثله الصحيفة وفعاليته واجتهاداته ، وطبقا لفلسفة ورؤى خاصة .

وقد تم حصر الصحف الإسلامية واختيار أهمها وأبرزها للدراسة ، والتى تمثل التيارات النشيطة العاملة فى مجال الفكر الإسلامى والصحافة الإسلامية ، وكان لها دور بارز وملموس ، بالإضافة إلى أطول هذه الصحف عمرا نسبيا بالنسبة للصحف الإسلامية الأخرى المعاصرة لها ، وهذه الصحف هى :

«المنار» و«الفتح» : اللتان تمثلان الاتجاه الإسلامى السلفى الحديث فى الصحافة المصرية .

وصحيفة «الشبان المسلمين» : لسان حال جمعية الشبان المسلمين التى تمثل الاتجاه الإسلامى الذى يجمع بين الأصالة والمعاصرة أو بين القديم والحديث ، ومعالجة القضايا الإسلامية فى إطار عصرى ، فقد جمعت بين أنصار الاتجاه السلفى وبين ذوى الثقافة الحديثة المعاصرة .

وصحيفتا «الهداية الإسلامية» ، و«نور الإسلام» ـ «الأزهر» فيما بعد . اللتان اهتمتا بالمسائل العقائدية والفكرية دون الخوض فى المشاركة السياسية المباشرة .

---

(١) المرجع السابق ، ص٦٣ .

(٢) عواطف عبد الرحمن : مصر وفلسطين ، مرجع سابق ، ص٣٧ .

وصحيفة « الإخوان المسلمين » : التى تمثل الاتجاه الإسلامى الإصلاحى الشمولى : السلفى ـ الوعظى ـ السياسى .

و«الصرخة» : وتمثل الاتجاه السياسى الإسلامى .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذا التقسيم لا يعنى التقسيم الضيق أو الجازم المؤبد الذى يضع هذه الصحف فى أطر محددة لا تخرج عنها ، واتجاهات لا تعالج سواها ، فهذه ليست طبيعة الصحف ، ولا طبيعة الفترة التى ندرسها ولكن يعنى الاتجاه الغالب لاهتمامات كل صحيفة من هذه الصحف .

وفى الصفحات التالية تفصيل لاتجاهات هذه الصحف .

١ ـ صحيفة المنار

من أبرز وأقدم الصحف الإسلامية التى قادت التيار الإسلامى فى مصر بعد الحرب العالمية الأولى ، أصدرها رشيد رضا [١] فى ٢٢ شوال ١٣١٥هـ ، ١٥ من مارس ١٨٩٨م، صحيفة أسبوعية ثم شهرية ، على غرار «العروة الوثقى» التى أسسها جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده فى باريس ١٣ مارس ١٨٨٤م ، وقد سبق الحديث عن خطة المنار وأهدافها من الصدور ، فقد اتفق رشيد رضا مع الأفغانى فى الدعوة إلى تجديد حيوية المسلمين وإلهامهم بالإحساس بالكرامة والتضامن ومقاومة التبعية ومحاربة اليأس ، والتمشى مع روح العصر مع الحفاظ على القيم الدينية ، والدعوة إلى امتلاك أسباب القوة والتقدم .

ويذهب تشارلز أدمز إلى أن الغرض الذى رمت إليه «المنار» هو نفس الغرض الذى دعت له صحيفة العروة الوثقى إلا ما يتعلق بالأمور السياسية [٢] ، وقد أشار إلى ذلك

---

(١) ولد محمد رشيد رضا فى ٢٧ جمادى الأولى ١٢٨٢هـ ، ١٨٦٥م فى قرية القلمون بطرابلس الشام فى بيت اشتهر بالزهد والورع والعبادة وتكريم العلم والعلماء والاهتمام بالعلوم الإسلامية ، ويتصل نسبه إلى الحسين ابن على ﷺ وقد درج رشيد رضا فى هذا المضمار منذ طفولته الأولى ، فحفظ القرآن الكريم فى كتاب القرية ، ثم انتقل إلى المدرسة الرشيدية الابتدائية فتلقى فيها مبادئ النحو والصرف والحساب والجغرافيا ، وعلمى العقائد والعبادات ، واللغة التركية ، ثم التحق بالمدرسة الوطنية الإسلامية بطرابلس التى كان لها اهتمام بالعلوم العربية والشرعية والمنطق والرياضيات والفلسفة .

وقد تلقى رشيد رضا العلم عن شيوخ أجلاء منهم : الشيخ حسين الجسر والشيخ محمود نشابة ، والشيخ عبد الغنى الرافعى والشيخ محمد القاوقجى والشيخ محمد الحسينى ، واهتم رشيد رضا بحضور جلسات العلم فى شتى المواضيع ، وطالع كتاب إحياء علوم الدين للغزالى ، وتأثر به ، كما تأثر أيضا فى مقتبل حياته بآراء ابن تيمية فى الإصلاح ومحاربة البدع الدخيلة على الإسلام ، كما تأثر بحركة الإصلاح الإسلامى التى قامت فى مصر ، على يد جمال الدين الأفغانى وتلميذه محمد عبده ، وبالعروة الوثقى التى أصدرها جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده فى باريس عام ١٨٨٤م .

وقد رحل رشيد رضا إلي مصر فى شعبان ١٣١٥هـ ، ١٨٩٨م واستقر به العزم على إنشاء صحيفة إسلامية إصلاحية ، وقد اتصل بالشيخ محمد عبده وتأثر به ، وبحث معه فكرة إصدر هذه الصحيفة وبعد مشاورات مع الشيخ الإمام وتأثر به ، وبحث معه فكرة إصدار هذه الصحيفة وبعد مشاورات مع الشيخ الإمام أصدر صحيفة «المنار » فى ٢٢ شوال ١٣١٥هـ على غرار «العروة الوثقى» .

انظر د. إبراهيم العدوى : رشيد رضا ـ الإمام المجاهد ، سلسلة أعلام العرب ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ، بدون تاريخ ، ص١٩ ـ ٢٣ ، ود. أحمد الشرباصى : رشيد رضا ـ الصحفى المفسر الشاعر اللغوى ، مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية ، القاهرة ١٩٧٧، ص١٠ .

(٢) تشارلز أدمز ، الإسلام والتجديد ، ص١٧٢ ، ١٧٣ .

رشيد رضا قائلا : « إن المنار وافق العروة الوثقى فى تعاليمها الاجتماعية ، وخالفها فى وجهتها السياسية ، وزاد البحث عليها فى جزئيات البدع وتفصيل القول فى التعاليم الفاسدة التى مازجت عقائد الأمة والأخلاق الرديئة التى أفسدت الكثير من عوائدها والتأويلات الباطلة التى شبهت الحق بالباطل » [1] .

ولكن المتصفح لأعداد المنار وخاصة بعد قيام الحرب العالمية الأولى يجد أن رشيد رضا قد فرضت عليه الظروف التاريخية أن يخوض بالمنار غمار السياسة على مستوى العالم العربى ،ولا سيما ما يتصل منها بالدين الإسلامى وشؤون المسلمين .

وظهور المنار فى تلك الفترة له أهمية كبيرة فى تاريخ الفكر الإسلامى المعاصر وتاريخ الصحافة الإسلامية التى صدرت فى مصر حتى الآن ، إذ كان العالم الإسلامى يسوده الضعف والاضمحلال فى حياته العلمية والفكرية والأدبية ، وفى مرافقه الزراعية والصناعية والتجارية ، وفى نظمه الاجتماعية والمنزلية والحكومية ، وفى تقاليده وعاداته وآدابه وأخلاقه ، وعقائده وشعائره الدينية وكان يرسف فى قيود الاستبداد والاستعباد ، وكان الدين الإسلامى نفسه مبتلى بشر المحن وأقساها ، ومنها البدع والخرافات والأوهام والضلالات التى ابتدعها المسلمون ، ومنها مطاعن خصومه من السياسيين الذين اتهموه بأنه سبب تأخر المسلمين وانحطاطهم ، ومنها حرب المبشرين بالنصرانية الذين تؤيدهم دول الاستعمار بسياستها وجنودها وأموالها ، ومنها قعود علمائه عن رد المطاعن والشبهات على الإسلام ، ومنها شبهات الملحدين والخارجين على الأديان [2] .

كانت كل هذه الأمور من البواعث التى دفعت صاحب المنار بالقدوم إلى مصر واتصاله بالأستاذ الإمام محمد عبده وإصداره صحيفة المنار ، واهتمامه بالإصلاح الدينى والاجتماعى وقد عمل رشيد رضا منذ نشأة المنار لتحقيق هذا الهدف الإصلاحى ، وكان يحرر الكثير من المقالات التى اشتملت على النقد اللاذع والصريح لكثير من الأمور فى مصر وفى غيرها من بلاد الإسلام ، ويؤكد رشيد رضا أن هدف المنار هو إقامة تعاليم القرآن ومذهب أهل السنة وسيرة السلف الصالح والأئمة المجتهدين ، ومحاربة البدع والخرافات والعادات التى التصقت بالدين ، وأن الشرق لا يصلح إلا بصلاح المسلمين ، وأن المسلمين لا يصلحون إلا بالرجوع إلى سيرة السلف الصالح فى دينهم ، ومواكبة الأمم الحية فى دنياهم [3] .

وكان أبرز ما اهتمت به «المنار» فى فترة صدورها قبل الحرب العالمية الأولى يمكن

---

(١) أنور الجندى : المنار تاريخ الصحافة الإسلامية ، جـ١ ، القاهرة : دار الأنصار ، ١٩٨٣م ، ص٢٧ .

(٢) المنار ، جـ٥ ، م٣٥ ، جمادى الآخرة ١٣٥٨هـ ، يوليو ١٩٣٥م .

(٣) المنار ، جـ٢ ، م٤ ، ديسمبر ١٩٠١م .

تلخيصه فيما يلى :

١ـ الدعوة إلى الإصلاح الدينى والاجتماعى .

٢ـ محاربة البدع والخرافات التى دخلت فى الدين .

٣ـ الدعوة إلى الرجوع إلى القرآن الكريم وسيرة السلف الصالح فى دينهم والأخذ بالعلوم العصرية فى الأمور الدنيوية .

٤ـ تفسير القرآن الكريم للشيخ محمد عبده ثم مواصلة التفسير بعد موته على منهج مقارب له للشيخ رشيد رضا .

٥ـ الدفاع عن اللغة العربية الفصحى ودحض الافتراءات الموجهة إليها .

٦ـ الدعوة إلى إصلاح التعليم فى المدارس الأميرية والأزهر الشريف ومحاربة التعليم على الطريقة الغربية والتحذير من انتشار المدارس الأجنبية .

٧ـ الرد على المذاهب المنحرفة مثل مذهب الباطنية والبهائية وغلاة الشيعة .

٨ـ الرد على افتراءات المبشرين وتفنيد كتاباتهم وشبهاتهم .

٩ـ الاهتمام بأخبار العالم الإسلامى وقضاياه (١) .

وعندما قامت الحرب العالمية الأولى توقفت عن الصدور الصحف الإسلامية التى صدرت قبل الحرب العالمية الأولى ، ما عدا صحيفة المنار التى ظلت تواصل صدورها بالرغم من الظروف الصعبة التى كانت تعيشها البلاد فى ظل الأحكام العرفية وإعلان الحماية على مصر ، والرقابة على الصحف ، وغلاء أسعار الورق لتعذر استيراده ، وبالرغم أيضا من ضعف التوزيع ، والاعتماد على الاشتراكات ، وتوقف كثير من الاشتراكات. وكان مواصلة رشيد رضا لإصدار المنار خلال هذه المرحلة دليلاً على قوة إرادته وإيمانه بالفكرة الإسلامية وإصراره على الكفاح والدفاع عنها ، وظلت المنار على هذا المنهاج إلا ما استجد من أحداث العصر ، ولم تتوقف إلا عاما واحدا فى سنة ١٩٢٠م لسفر صاحبها إلى سوريا للاشتراك فى الحركة العربية هناك ، ثم عاودت الصدور حتى عام ١٩٣٥م ، ثم تولى إصدارها الشيخ حسن البنا المرشد العام للإخوان المسلمين حتى عام ١٩٣٩م ، كما سيأتى بيانه فيما بعد .

وقد أعلن رشيد رضا أنه ـ نظرا لانقطاع الورق وغلائه المضاعف ـ اضطر إلى تصغير حجم المنار (٢) وتقليل عدد صفحات الجزء الواحد (٣٧ صفحة بدلا من ٨٠ صفحة) .

---

(١) انظر للمؤلف : صحافة الاتجاه الإسلامى من مطلع القرن العشرين حتى الحرب العالمية الأولى ط١، القاهرة ، دار الوفاء ، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م ، ص٥٦ ـ ٧٤ .

(٢) عادت «المنار» إلى حجمها الطبيعى بعد انتهاء الحرب .

وقد أخذت المنار فى تلك الفترة تنتقد الحماية البريطانية على مصر ، وتحمل على الشيخ بخيت مفتى الديار المصرية وشيخ الأزهر لمحاباتهما الاحتلال ، حيث قالت المنار : «لم تجد بريطانيا فى امبراطوريتها الهندية كهذين الشيخين تستعين بهما على حذف اسم الخليفة من الخطبة ، وهم اللذان أكرها علماء الأزهر على إعانة الصليب الأحمر ، وانفرد المفتى الشيخ بخيت بإصدار تلك الفتوى الطويلة العريضة فى تقبيح البلشفية والتنفير منها حسب اقتراح السلطة المحتلة» (١) .

وكان من رأى رشيد رضا عدم انضمام الدولة العثمانية فى الحرب العالمية ، فمن عواقب ذلك أعلنت إنجلترا سيادتها الرسمية على مصر ، وجعلها تحت الحماية البريطانية وتسميتها سلطنة ، وتسمية الأمير حسين كامل باشا ـ أكبر أفراد أسرة محمد على ـ سلطانا عليها (٢) .

وندد رشيد رضا بفكرة الحرب ذاتها وبأنها لا تتفق مع شرعة المسيح ، ولا تسير مع منهاجه فى مبدأ ولا غاية ، ولوكانت روح المسيح الحقة لها سلطان غالب فى أوربا لما وقعت هذه الحرب (٣) .

وقد حارب رشيد رضا عملية تتريك الدول التابعة للدولة العثمانية وآمن بفكرة تكوين الدولة العربية ، ووقف بجوار الحسين بن على ـ شريف مكة ـ مؤيدا ومناصرا ، وكانت المنار تذيع المنشورات (٤) التى كان يوجهها إلى أهل الحجاز والمسلمين والعالم كله يحمل فيها على الاتحاد بين الأتراك ويذكر فيها مساوئهم . ونقلت المنار عن جريدة «القبلة» التى كان يصدرها محب الدين الخطيب فى مكة مبايعة الشريف حسين أمير مكة ملكا على العرب ، وقال رشيد رضا : «إن مصلحة العرب السياسية أن يكون لهم دولة مستقلة ، فالعرب أمة من أقدم أمم الأرض ،وأعرقها فى الاستقلال ، ولها مجد عظيم ومدنية عالية فى التاريخ التقديم والحديث ، ولغة ممتازة فى لغات العلم والأدب ، وشريعة هى أعدل الشرائع المنزلة على البشر ، وقد ضعفت هذه الأمة الكريمة وضعفت مزاياها ولغتها وأهمل معظم شريعتها . . كل ذلك لعدم وجود دولة مستقلة لها ؛ إذ يستحيل أن ترتقى أمة بغير دولة فبالدولة عربية تحيى لغة القرآن وتحيا بحياتها شريعة الإسلام» (٥) .

---

(١) المنار ، جـ٧ ، م٢٢ ، ذو القعدة ١٣٢٩هـ ، ١٩٢١م .
(٢) المنار ، جـ١ ، م١٨ ، ١٩١٥م .
(٣) المنار جـ١٠ ، م١٨ ، ١٩١٧م .
(٤) نشرت المنار ثلاث منشورات للشريف حسين : الأول موجه إلى المسلمين، والثانى إلى أهالى الحجاز ، والثالث إلى العالم كله . انظر المنار ، جـ٤، م١٩ ، ١٩١٦م ، وجـ٦، م١٩ ، ١٩١٦م ، وجـ٨ ، م١٩، ١٩١٦م .
(٥) المنار ، جـ٢ ، م١٩ ، ١٩١٦م .

ومضى رشيد رضا يهاجم اتفاق سايكس بيكو ، وأشار إلى أن الدولتين الحليفتين «فرنسا وبريطانيا» اتفقتا على تقسيم البلاد العربية لاستعبادها ، وهاجم فارس نمر الذى كتب فى المقطم يشيد بهذا الاتفاق ، ويعد تركيا عدوة للعرب ومستعمرة لهم ، ورد عليه رشيد رضا قائلا : «إن تركيا ليست مستعمرة للعرب ولا تقدر أن تستعمرهم ، بخلاف إنجلترا وفرنسا» (١) ، وأكد أن إنجلترا أوهمت شريف مكة بإعطائه الدولة العربية المزعومة مقابل أن يقف بجوارها فى الحرب ، ثم خانته وغدرت به ، وقامت بتقسيم البلاد العربية بينها وبين فرنسا (٢) .

ودعا رشيد رضا أمراء الجزيرة العربية وحكامها إلى الوحدة والاتفاق ، مبرهنا لهم على أهمية هذه الوحدة وهذا الاتفاق من أحداث التاريخ وعبره ، مبينا أهم الأصول التى يكون عليها عقد الاتفاق والوحدة بينهم وذلك فيما يلى :

١ـ إبطال الحرب بين عرب الجزيرة العربية ، وحل مشكلات الخلاف بالتحكيم ولو بصفة مؤقتة .

٢ـ حفظ الحالة الحاضرة باعتراف كل حكومة مستقلة فى الجزيرة العربية باستقلال سائر الحكومات الموجودة فيها آنذاك ، وترك مسائل الحدود إلى مجلس التحكيم .

٣ـ حرية المذاهب الدينية الموجودة فى البلاد فى التعليم والعمل والدعوة بشرط عدم طعن أحد فى مذهب غيره أو تكفير متبعيه .

٤ـ حرية التجارة وحفظ الأمن فى البلاد ، وتسهيل طرق المواصلات .

٥ـ إرسال كل حكومة معتمدا إلى عاصمة الدول الأخرى يكون وكيلا لها عندها .

٦ـ بعد حصول هذه التمهيدات يتألف لهذه الحكومات مجلس حلفى ، يكون هو المرجع فى جميع مسائل الخلاف ووضع الحدود بين البلاد ، وجميع ما يتعلق بحفظها وترقية شؤونها (٣) .

وعندما عقدت المعاهدة البريطانية الحجازية واتضحت نية إنجلترا وخداعها للسلطان حسين شريف مكة ، وبانت أكذوبة الدولة العربية المقترحة ، حمل رشيد رضا على هذه المعاهدة ونقض بنودها ، وطالب المسلمين بأن ينكروها ؛ لأنها ـ فى رأيه ـ منكر شرعى

---

(١) المنار ، جـ١ ، م٢٠ ، شوال ١٣٣٥هـ ، يوليو ١٩١٧م .
(٢) المنار ، جـ٦، م٢٢ ، ١٩٢١م .
(٣) المنار ، جـ٢ ، م٢٢ ، ١٩٢١م .

وخطر سياسى ، يدهم البلاد بجانب وعد بلفور المشئوم . وأكد رشيد رضا أن هذه المعاهدة أعطت العراق وشرق الأردن والدول العربية فى شبه الجزيرة استقلالا مزيفا .

وبناء على ذلك حملت المنار على السلطان حسين ، واتهمه رشيد رضا بعدم التمسك بالوحد العربية ، وقال : «إن الطريقة المثلى للوحدة العربية هى أن يعقد حلف بين أمراء الجزيرة العربية فى الحجاز وعسير واليمن ونجد ، أساسه استقلال كل حكومة فى إدارة بلادها ، مع اتفاق الجميع على صيانة البلاد كلها من كل عدوان أو نفوذ خارجى ، والتعاون على إنقاذ البلاد العربية التى احتلها الأجانب بالطرق الممكنة ، وأن يكون لهم مجلس حلفى تقرر فيه جميع المسائل العامة بحفظ استقلال البلاد وترقيتها» (١) .

غير أنه لما تم انتصار الملك عبد العزيز آل سعود وخروج السلطان حسين بن على من الحجاز ، انحاز رشيد رضا لآل سعود ، وهللت المنار لانتصارات آل سعود ، وبدأت تنشر منشورات عبد العزيز بن سعود ضد الشريف حسين ، وأفسح رشيد رضا صفحات صحيفته لنشر رسائل عن الدعوة الوهابية ، وما قام به الشيخ محمد بن عبد الوهاب من التجديد والإصلاح ، وقضائه على الخرافات التى كانت سائدة فى نجد ، والاعتقادات الباطلة فى السحر والحجر والنجم وعبادات القبور ، والعكوف عليها ، والاعتقاد بأهلها النفع والضر، وغير ذلك (٢) .

كما تحدثت «المنار» عن الثورة السورية التى قادها سلطان باشا الأطراش ضد الحكومة الفرنسية فى سوريا ، وبينت فى أعداد متوالية أخبارهذه الثورة ، ومدى قسوة السلطات الفرنسية فى اضطهاد قادتها وتعسفها فى معاملة الأهالى (٣) .

وقد تولت «المنار» الرد على التيار العلمانى فى الصحافة المصرية الذى تشكل بعد ثورة ١٩١٩م .

وكان رشيد رضا فى مقدمة الذين تصدوا لجريدة «السياسية» لسان حال حزب الأحرار الدستوريين ، دعاة القومية ، وأنصار المذاهب الغربية والفكر الغربى . وقد أشارت المنار إلى أن كتاب «السياسة» وصاحب مجلة «العصور» ومطبعتها وأصحاب «الهلال» يجاهرون بالكفر والإلحاد والصد عن الدين ، والطعن فى عقائده ، وإلقاء الشكوك فيما يكتبون وما ينشرون . وتؤكد «المنار» على أنه قد تألفت جمعية للإلحاد فى مصر من بين أعضائها شيخ أزهرى ـ الشيخ على عبد الرازق ،مؤلف كتاب «الإسلام وأصول الحكم» ـ وقد نشروا

---

(١) المنار ، جـ٧ ، م٢٤ ، ذوالحجة ١٣٤١هـ ، يونيه ١٩٢٣م .
(٢) المنار ، جـ٣ ، م٢٦ ، ذو القعدة ١٣٣٣هـ ، يونيه ١٩٢٥م .
(٣) المنار ، جـ١ ، م٣٠ ، محرم ١٣٤٨هـ ، يونيه ١٩٢٩م .

دعايتهم فى دروس مدرسة الجامعة المصرية ومحاضراتها ، وفى جريدة السياسة ناشرة هذه الدعاية ومؤيدة جمعيتها وأفرادها ، والداعية إلى القومية التى تحل فى زعمها محل الدين فى التكوين المعنوى للأمم والشعوب . وأشارت «المنار» إلى أن الجامعة المصرية وأساتذتها يعلنون الحرب على الدين والفضيلة ، وفى مقدمتهم الدكتور طه حسين صاحب كتاب : «فى الشعر الجاهلى» [١] .

وكان للمنار دور كبير فى محاربة الدعوة إلى السفور ، وحرية المرأة ، التى روج لها دعاة التغريب والعلمانيون والجمعيات النسائية التى تدعو إلى ذلك سرا وعلانية على صفحات الصحف المصرية وفى المحافل الخاصة والعامة ، وقد بين شكيب أرسلان خطر هذه الدعوة ، مشيرا إلى أن الدعوة إلى نزع الحجاب ترمى إلى هدم الدين والتقاليد الإسلامية ، وأنها سبيل إلى تقليد الغربيين [٢] .

وحفلت المنار بالمقالات الإصلاحية التى تدعو إلى تقويم الأخلاق وبحث الوسائل والأسباب التى عليها مدار تقدم الأمم وإسعاد البشر ، وتنقية الدين مما علق به من الخزعبلات والانحرافات والتواكل والتعصب الأعمى ، والدفاع عن اللغة العربية وآدابها ، ومحاربة الدعوة إلى العامية ، وبيان أن القرآن الشريف يأمر بالاجتهاد والعمل ، ويرغب الناس فى الكسب والارتزاق وتحصيل الفوائد والمنافع ، وأن ما آل إليه أمر المسلمين إنما جاء من عدم تمسكهم بالدين [٣] .

ودأبت المنار على مهاجمة الطرق الصوفية وما أحدثته من بدع وضلالات ، وما تحويه كتب الصوفية من مخالفات لأصول العقيدة الإسلامية ، وقد عزا رشيد رضا تخلف المسلمين إلى تلك المعتقدات الباطلة التى تنشرها الصوفية ، وخاصة فى التوسل والوسيلة، ودعاوى الكشف والإلهام والكذب على رسول الله ﷺ ، وابتداع بعض الأحاديث ونسبتها إليه [٤] .

كانت المنار تنشر الفتاوى المتعلقة بالشؤون المستحدثة فى الملة الإسلامية ، كمعاملات المصارف المالية «البنوك» والشركات والعقود وغير ذلك من المسائل الإسلامية [٥] ، وتهتم بالقضايا الإسلامية فى كل الأقطار الإسلامية ، وتترجم من بعض الكتب الأجنبية ما

---

(١) المنار ، جـ٢ ، م٢٧ ، شوال ١٣٤٤هـ ، مايو ١٩٢٦م .وسوف نرى ردود المنار على كتاب : «فى الشعر الجاهلى» فى الفصل الخاص بذلك .

(٢) المنار ، جـ٩٢ ، ذو الحجة ١٣٤٣هـ ، يوليو ١٩٢٥م .

(٣) المنار ، جـ١٠، م٢٨ ، رجب ١٣٤٦هـ، يناير ١٩٢٨م ، وجـ٣ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، م١٨ ، وجـ٨ ، م٢٢ ، ذوالحجة ١٣٣٩هـ ، أكتوبر١٩٢١م.

(٤) انظر : الفصل الخاص بالتصوف من هذه الدراسة .

(٥) المنار ، جـ١٠ ، م٣٠ ، ربيع الآخر ١٣٤٨هـ ، أكتوبر ١٩٢٩م .

يتصل بقضايا المسلمين وتنشره على صفحاتها ، فقد ترجم شكيب أرسلان كتاب «العالم الإسلامى فى الممتلكات الفرنسية » للضابط جول سبكار ، ونشرته المنار فى حلقات متتابعة [١] ، فضلا عن تقديم بعض أجزاء من كتب التراث والاهتمام بسير أعلام الإسلام ومفكريه، فى الماضى والحاضر ، وعرض صفحات من التاريخ الإسلامى ، والعمل على إصلاح مناهج التعليم العام والتعليم فى الأزهر وإدخال تعليم الدين الإسلامى فى مناهج التعليم ، والإسهام فى إحياء الشريعة الإسلامية ، والعمل بالقوانين الإسلامية فى القضاء والأحكام والمعاملات والسلوك .

وقد واصل رشيد رضا تفسير القرآن الكريم فى «المنار» بأسلوب يتناسب مع روح العصر الحاضر ، أجلى فيه للقارئ عظمة التشريع الإسلامى ، بأسلوب جذاب يبعث فى قارئه معرفة النواحى العلمية والأدبية والأخلاقية ، وكتب الشيخ محمد بهجة البيطار الدمشقى ـ مدير المعهد العلمى السعودى بمكة المكرمة ـ يبين ما انفرد به تفسير المنار عن غيره فى أمور ، نلخصها فيما يلى :

١ـ تصديه لملاحدة العصر .

٢ـ مهاجمة دعاة التثليث فى كتبهم التى لا تحصى .

٣ـ فتاويه التى تبحث فى أدق المسائل الإسلامية .

٤ـ دعوته إلى التوحيد الخاص ، ومذهب السلف الصالح .

٥ـ دعم التفسير بأسانيد علمية حديثة ومكتشفات عصرية [٢] .

ومن أبرز ما تصدت له المنار هو : محاربة البعثات التبشيرية ، والكشف عن خطط التبشير ، التى تقوم بها الجمعية العالمية الصليبية للتنصير [٣] ، وإماطة اللثام عن البعثة الألمانية الدينية الشرقية لتنصير أبناء المسلمين ، والتأكيد على خطر ما تكتبه وما تنشره فى مجلتها التى تدعى «مجلة الشرق المسيحى» [٤] ، وأشارت المنار أيضا إلى خطر الجمعيات التبشيرية وانتشارها فى الأقطار المصرية ، ومساعدتها للأقباط المصريين فى التغلب على المسلمين فى الوظائف [٥] ، وكتب عجاج نويهض يشير إلى خطر المدارس التبشيرية أيضا قائلا : «هذه المدارس المسلحة بأحدث آلات الإفساد ، وعملها الغارة على الأمة ونشئتها بدرجة لا تقل عن الغارة العسكرية ، بل غارة المدارس الأجنبية أقتل وأنفذ » [٦] .

وكان لرشيد رضا وصحيفته «المنار» دور كبير فى الدعوة إلى الجامعة الإسلامية

---

(١) المنار ، جـ٢ ،جـ٣ ، جـ٤، م٣٠، محرم ، صفر ، ربيع أول ١٣٤٨هـ، يونيه، يوليو ، أغسطس ١٩٢٩م .
(٢) المنار ، جـ٤ ، م٢٩ ، محرم ١٣٤٧هـ ، يوليو ١٩٢٨م .
(٣) المنار ، جـ٢ ، م٢٨ ، شوال ١٣٤٥هـ ، أبريل ١٩٢٧م .
(٤) المنار ، صفر ١٣٤١هـ ، أكتوبر ١٩٢٣م .   (٥) المنار ، جـ٤ م٢٩، محرم ١٣٤٧هـ ، يوليو ١٩٢٨م .
(٦) المنار ، جـ٣، م٣٠ ، ربيع الأول ١٣٤٨هـ ، أغسطس ١٩٢٩م .

والخلافة الإسلامية ، ولا سيما بعد سقوط الخلافة على يد كمال أتاتورك ١٩٢٤م ، وقد نشر رشيد رضا فى المنار كتابه : «الخلافة والإمامة العظمى» أكد فيه شرعية الخلافة وأهميتها للمسلمين وصلاحيتها لكل زمان ومكان ، ورد على كتاب على عبد الرازق : «الإسلام وأصول الحكم» ، ونقد ما جاء فيه ، كما سنبينه فى الفصل الخاص بقضية الخلافة الإسلامية .

وتعد قضية فلسطين ـ أيضا ـ من أبرز القضايا التى أولتها المنار قدرا كبيرا من الاهتمام والرعاية ، فقد هاجم رشيد رضا قرار الحكومة البريطانية فى جعل فلسطين لليهود ، ونددت بالمحاولات التى تهدف إلى انتزاع شعب فلسطين من أرضه ووطنه، وإحلال اليهود مكانهم (١) ، كذلك دافعت عن ملكية حائط البراق للمسلمين وأبرزت وجهات نظر المسلمين فى الدفاع عن حقهم فى امتلاك حائط البراق ، وأفردت صفحاتها لنشر بيانات جمعية حراسة المسجد الأقصى ، والأماكن الإسلامية بالقدس، ومناصرة مجاهدى فلسطين (٢) .

وكان للمنار ومدرسة رشيد أثر فى تطوير التفكير الدينى فى مصر ، ولا سيما فى فترة ما بين الحربين العالميتين ، كذلك قامت بدور رئيسى فى خدمة الفكرة العربية والإسلامية ، وكانت دار صحيفة المنار ملتقى كثير من زعماء الحركة الإسلامية فى ذلك العهد ، واتخذت منها القرارات الأساسية فى مواجهة المؤامرات التى كانت تحاك ضد الإسلام والمسلمين ، كما كانت موئل أعلام الفكر الذين يفدون إلى مصر من كل مكان فى العالم الإسلامى (٣) .

وقد تأثر محب الدين الخطيب برشيد رضا وأصدر «الفتح» على غرار منهج المنار ، كما تأثر حسن البنا ـ أيضا ـ برشيد رضا ، ولا سيما فى تأليف جمعية إسلامية تمتد فروعها فى جميع أقطار الإسلام ، وتقوم على مبدأ واحد هو الاعتقاد بأن الأخوة الإسلامية تمحو الفوارق الجنسية والوطنية (٤) . وهو المبدأ الذى قامت عليه جماعة الإخوان المسلمين .

هذا ، وقد بلغت المنار قدرا كبيرا من الشهرة فى كل أقطار العالم الإسلامى وكان لها أثرها المباشر فى الحركة السلفية التى ظهرت فى المغرب وحملت من بعد لواء دعوة الحرية، والكفاح السياسى فى مقاومة الاستعمار الفرنسى ، وكان لها أثرها فى حركة الإمام عبد الحميد بن باديس الى حمت اللغة العربية فى الجزائر ، وكان لها أثرها فى قضايا الحرية والوطنية وفى مواجهة حركات الاستعمار الفرنسى والبريطانى والهولندى فى إفريقيا

---

(١) المنار ، جـ٦ ، م٢٤ ، رمضان ١٣٤١هـ ، يونيه ١٩٢٣م .
(٢) المنار ،جـ٦ ، م٢٩ ، ربيع الآخر ١٣٤٧هـ ، أكتوبر ١٩٢٨م ، انظر : الفصل الخاص بالقضية الفلسطينية .
(٣) محمد فتحى شعير : وسائل الإعلام المطبوعة فى دعوة الإخوان المسلمين ، مرجع سابق ، ص٨٢ .
(٤) عواطف عبد الرحمن : مصر وفلسطين ، مرجع سابق ،ص٣٣ .

وآسيا (١) .

المنار بعد رشيد رضا :

وقد أعلن رشيد رضا فى الجزء الأول من المجلد الخامس والثلاثين : أن المنار ستكون لسان جماعة الدعوة إلى الإسلام ، وقد توفى رشيد رضا بعد إتمام الجزء الأول ، وصار صاحب الامتياز السيد محمد شفيع رضا ، ورئيس التحرير المسؤول السيد محيى الدين رضا، وكتب على المنار مجلة إسلامية تبحث فى جميع شؤون الإصلاح الدينى والمدنى والسياسى ،وتقوم بفريضتى الدعوة إلى الإسلام ، والدفاع عنه ، وجمع كلمة المسلمين .

وقد صدر العدد الثانى فى ١٥ من ذى القعدة ١٣٥٤هـ ، ٨ من فبراير ١٩٣٦م ، ومنذ العدد الثالث من المجلد ٣٥ الصادر فى محرم ١٣٥٤هـ ، ٨ من مارس ١٩٣٦م بدأ يكتب تفسير القرآن ـ الذى بدأه رشيد رضا حتى الآية ١٠٢ من سورة يوسف ـ الشيخ محمد بهجة البيطار ، وأعلن أنه سيسير فيه على نهج الشيخ رشيد رضا .

ولكن تجدر الإشارة هنا إلى أن المنار قد اضمحلت بعد وفاة رشيد رضا ، وبدأت تنشر مقالات تاريخية عن المستشرقين والإسلام ، وقصائد ومقالات فى تأبين رشيد رضا ، وتعثرت المنار فى الصدور ، وقد عز على الإخوان المسلمين ـ كما قال حسن البنا المرشد العام للإخوان ـ أن يخبو ضوء هذا السراج المشرق بالعلم والمعرفة ، فاعتزموا على أن يتعاونوا مع ورثة السيد رشيد رضا على إصدار المنار من جديد ، وقد تم الاتفاق على ذلك وصدر العدد الخامس من السنة الخامسة والثلاثين فى غرة جمادى الآخرة ١٣٥٨هـ ، ١٨ يوليو ١٩٣٩م وتلاه خمسة أعداد تمت بها السنة الخامسة والثلاثون من المجلة ، ثم صدر أمر الحاكم العسكرى فى حكومة حسين سرى باشا بإلغاء الترخيص (٢) .

وكان الشيخ حسن البنا قد بدأ يواصل تفسير القرآن بعد أن أتم الشيخ بهجة البيطار سورة يوسف فى الجزئين اللذين صدرا بعد وفاة رشيد رضا ، وابتدأ التفسير من أول سورة الرعد ، وكتب الشيخ حسن البنا مقدمة العدد الخامس مشيدا بجهود رشيد رضا فى الدعوة ، ومبينا المنهج الذى سوف يسلكه فى المنار والخطة التى تسير عليها جماعة الإخوان المسلمين فى تحرير «المنار» .

وأشار حسن البنا إلى أن خطة المنار هى : مناصرة الحق فى كل مكان ، ومقارعة الباطل بالحجة والبرهان ، وشعارها الدعوة إلى الإسلام ، والدفاع عنه ، وجمع كلمة

---

(١) محمود عبد الحليم : الإخوان المسلمون ـ أحداث صنعت التاريخ ،ط١، الأسكندرية: دار الدعوة ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م ، جـ١ ، ص٢٣٦ .

(٢) حسن البنا : مذكرات الدعوة والداعية ، القاهرة : دار الشهاب ، ص٢٥٤ .

المسلمين ،والعمل للإصلاح الإسلامى فى كل نواحيه الروحية والفكرية والسياسية والمدنية، وبين حسن البنا منهجه فى تفسير القرآن الكريم قائلا : «وسأحاول أن يكون تفسيرا سلفيا يتجه القصد فيه أول ما يتجه إلى استجلاء روح القرآن واستطلاع مقاصده ، فى بعد عن المماحكة اللفظية والمجادلة الشكلية الصناعية كما كان يفهم السلف رضوان الله عليهم كتاب الله» .

وكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشيخ محمد مصطفى المراغى تصديرا للعدد الخامس ـ بمناسبة عودة المجلة للظهور ـ أشاد فيه بالمجلة وبرشيد رضا ، فقال : « كانت المنار مرجعًا من المراجع الإسلامية العالية ، تحل فيها مشاكل العقائد والفقه وتحيط بالمسائل الاجتماعية والإسلامية ، وأخبار العالم الإسلامى وما فيه من أحداث وأمراض وعلل ، وكان صاحبها السيد رشيد رضا ـ رحمه الله ـ رجلا عاملا غيورا مخلصا للإسلام ، محبا لكتاب الله وسنة رسوله وآثار السلف الصالح، وقف حياته لخدمة دينه ، والأمم الإسلامية ، وكان شجاعا فى الحق لا يهاب أحدا ولا يجادل ولا يحابى ، ونشأ على هذا واستمر فيه إلى أن لقى ربه» [1]، واستبشر خيرا بصدورها على يد حسن البنا رحمه الله.

وقد حفلت الأعداد التى صدرت فى عهد حسن البنا بالمقالات التى تدعو إلى التمسك بالشريعة الإسلامية ، وتطبيق تعاليم القرآن فى كل مناحى الحياة ، وعندما نشبت الحرب العالمية الثانية كتب الشيخ حسن البنا مقالا بعنوان : «موقف العالم الإسلامى السياسى» هاجم فيه السياسة الفرنسية والإنجليزية فى العالم الإسلامى ، ثم وجه نداءً إلى ملوك المسلمين وحكامهم ، وبخاصة الملك فاروق ، والملك عبد العزيز ، والأمير عبد الإله الموصى على عرش العراق ، والإمام يحيى حميد الدين، والحكومات الإسلامية ؛ أن يتفقوا على خطة حازمة تعلن بها إنجلترا وفرنسا فى اجتماع وفى حزم وإصرار أن تبرم المعاهدة السورية على غرار معاهدة العراق ، وأن يكون بين إنجلترا وفلسطين معاهدة تستقل بها الأراضى المقدسة ، وتظل عربية مسلمة ، وأن يكفل استقلال الأوطان الإسلامية [2]. وكان هذا المقال هو السبب فى إصدار أمر الحاكم العسكرى فى حكومة سرى باشا بإلغاء ترخيص « المنار » بعد أن صدر منها سبعة أعداد فى عهد حسن البنا .

ويمكن إيجاز أبرز ما اهتمت به «المنار» فى الفترة (١٩١٤ ـ ١٩٣٩م) فيما يلى :

١ـ الدعوة إلى الوحدة العربية ، وتأييد الثورات العربية فى الشام وفلسطين والمغرب العربى ، والاهتمام بأحداث العالم الإسلامى وقضاياه ، والمطالبة بالخلافة الإسلامية وبيان

(١ ، ٢) المنار ، جـ٥ ، م٣٥ ، جمادى الآخرة ١٣٥٨هـ ، ١٨ يوليو ١٩٣٩م .

أهميتها للمسلمين وتأكيد شرعيتها .

٢ـ مهاجمة الصحف التغريبية ، والتيار العلمانى فى الصحافة المصرية ، ومحاربة دعاة السفور وتقليد عوائد الغربيين ، والتصدى للمبشرين وكشف مخططاتهم فى العالمين العربى والإسلامى .

٣ـ الدعوة إلى الإصلاح الإسلامى ، والإسهام فى التثقيف الدينى والاهتمام بتفسير القرآ الكريم والدفاع عن اللغة العربية الفصحى والنهوض بها ، وتقديم ترجمات لبعض المشاهير من مفكرى المسلمين وقادتهم من أمثال : الإمام أحمد بن حنبل ، وابن تيمية ، والسلطان محمد وحيد الدين ، وجمال الدين الأفغانى ، والشيخ محمد عبده ، وعبد الحميد الزهراوى ، وحفنى ناصف ، وعبده إبراهيم الألوسى ، وعبد الغنى الرافعى، وطاهر الجزائرى وغيرهم .

٤ـ عرض صفحات من التاريخ الإسلامى ، وبيان دور المسلمين فى بناء الحضارة الإنسانية ، والاهتمام بقضايا الشريعة الإسلامية وبيان صلاحيتها لكل العصور ، والدعوة إلى إحياء التربية الإسلامية وإصلاح مناهج التعليم ، ومهاجمة انحرافات المتصوفة والإشارة إلى ما جاء فى بعض كتبهم من الخرافات والبدع الدخيلة على الإسلام ، ومواجهة الحركات الهدامة والمذاهب الخارجة عن الإسلام كالبهائية والأحمدية والقاديانية .

وكان من أبرز كتاب المنار بعد الحرب العالمية الأولى : رشيد رضا ، وأحمد السكندرى ، وحفنى ناصف ، ومصطفى صادق الرافعى ، ومصطفى لطفى المنفلوطى ، وحافظ إبراهيم ، وأحمد شوقى ، وعبد المحسن الكاظمى ، ومحمد روجى الخالدى ، وعبد القادر المغربى ، ومحمد المهدى ، وحسن وصفى رضا ، وعبد الحميد الزهراوى ، وملك حفنى ناصف ، ورفيق العظم ، والدكتور محمد توفيق صدقى ، وعبد الكريم سلمان ، وأحمد الألفى ، وأحمد بدوى النقاش ، وأحمد عارف الزين ، وإسماعيل حافظ ،وصالح اليافعى حسين والى ، وعبد الله الزواوى ، وعبد الغنى محمود ، والشيخ عبد الحميد البكرى ، وعبد الطاهر محمد ،والشيخ محمد الخضر حسين ، ومحمد بسيونى عمران الجاوى ، وأحمد كمال بك أمين المتحف المصرى ، وحسن أفندى كمال ، وعبد الرحمن بك الرافعى ، ومحمد فريد وجدى ، والشيخ على سرور الزنكلونى ، وشكيب أرسلان ، والسيد صالح مخلص ، وجميل الرافعى ، والشيخ محمد أحمد العدوى ، ومصطفى بك نجيب ، والسيد محيى الدين رضا ، وعيسى عبده، وعبد الحفيظ أبو السعود، والشيخ محمد شاكر، وحسن البنا ، والشيخ مصطفى المراغى، والشيخ محمد بهجة البيطار ، ومحمد جاد المولى ، وعبد السميع البطل ، ومصطفى أحمد الرفاعى اللبان ، وعبد القادر الغندور ، وعبد القادر قبانى ، ومحب الدين

الخطيب، وكامل باشا ، وكرد على ، وطنطاوى جوهرى ، والشيخ إسماعيل الحافظ ، ومحمد طاهر الحلى وغيرهم .

وقد اتبعت المنار فى إخراجها الطريقة الأفقية المتبعة فى إخراج الكتب ، إذ كانت توزع مادتها التحريرية على عدد الصفحات بالترتيب ، ويلاحظ أن العناية بالإخراج كانت تأتى فى مرتبة تالية بعد العناية بالأفكار والآراء ، ولذلك لا يوجد تغيير ملموس فى أساليب إخراج المنار طوال فترة صدورها ، وكذلك فى الصحف الإسلامية المعاصرة لها . ولم تستخدم المنار الصورة الصحفية أو الخرائط والجداول ، وعوامل الجذب الأخرى المعروفة فى إخراج الصحف ، من العناية بحروف الطباعة وتنوع أبناطها وحروفها وألوانها، وكان المقال يشغل الحيز الرئيسى فى المنار لأنها صحيفة رأى بالدرجة الأولى وليست صحيفة إخبارية ؛ لذا كان الخبر يأتى فى المرتبة الثانية بعد المقال ، ولم تعن المنار بالفنون الصحفية الأخرى .

٢- صحيفة الفتح

صدر العدد الأول من «الفتح» فى يوم ٢٩ من ذى القعدة ١٣٤٤هـ العاشر من يونيه ١٩٢٦م ، صحيفة إسلامية علمية أخلاقية ، تصدر يوم الخميس من كل أسبوع فى ١٦صفحة ، صاحب امتيازها : محب الدين الخطيب [1] ، ورئيس تحريرها : الشيخ عبد الباقى سرور نعيم من علماء الأزهر .

إخراج الفتح :

اتبعت فى إخراجها الطريقة الرأسية ، وكانت الصفحة الواحدة تحتوى على ثلاثة أعمدة رأسية ، وخلت الصحيفة من الصور الفوتغرافية والجداول والرسوم ووسائل الإيضاح التى تتميز بها الصحف الحديثة ، ولم تتقيد بسياسة معينة فى توزيع صفحاتها .

الإعلانات :

فى بداية صدورها خلت من الإعلانات ، ثم احتلت الإعلانات بعد ذلك الصفحة الأخيرة ، وكانت إعلانات الفتح فى الغالب لا تخرج عن تقريظ الكتب الإسلامية

---

(١) محب الدين الخطيب : من علماء التاريخ الإسلامى القديم والحديث ، كما كان محيطا بتواريخ الأمم على اختلافها ، شارك فى الحركات الإصلاحية الإسلامية فى نواحى العالم الإسلامى ،ولد فى دمشق عام ١٣٠٣هـ ، ١٨٨٦م ، وتعلم بها وبالأستانة شارك عام ١٣٢٤هـ فى إنشاء جمعية بدمشق سميت النهضة العربية ، ورحل إلى اليمن وعمل فى بعض مدارسها ، ولما أعلن الدستور العثمانى عام ١٣٢٦هـ ، ١٩٠٨م عاد إلى دمشق ، ثم زار الأستانة ومنها إلى القاهرة ، ثم انتدبته إحدى الجمعيات العربية فى أوائل الحرب العالمية الأولى للاتصال بأمراء العرب ، فاعتقله الإنجليز فى البصرة سبعة أشهر ، ثم انتقل إلى مكة فى عام ١٣٤٤هـ ، ١٩١٦م ، وحكم عليه الأتراك بالإعدام غيابيا .

ولما جلا العثمانيون عن دمشق عاد إليها عام ١٣٣٧هـ ، ١٩١٩م ، ثم فر منها بعد دخول الفرنسيين إليها عام ١٣٣٨هـ ، ١٩٢٠م ، حيث استقر فى القاهرة وتوفى عام ١٣٨٩هـ ، ١٩٦٩م .

وعمل محب الدين الخطيب محررا فى جريدة المؤيد التى كان يصدرها الشيخ على يوسف ، واصدر جريدة «القبلة» الرسمية ، وأسس المطبعة الأميرية لحكومة الحجاز حينما اشترك فى الثورة العربية عام ١٩١٦م ، وفى دمشق تولى إدارة وتحرير الجريدة الرسمية للحكومة واسمها «العاصمة» فى عام ١٣٣٧هـ ، فلما عاد إلى مصر عام ١٣٣٨هـ عمل محرراً فى جريدة الأهرام لمدة خمس سنوات حتى عام ١٣٤٣هـ ، ١٩٢٥م ، ثم أصدر مجلة الزهراء عام ١٣٤٣هـ أغسطس ١٩٢٤م واستمرت خمس سنوات ثم صحيفة الفتح عام ١٣٤٤هـ، ١٩٢٦م ، واستمرت فى الصدور حتى عام ١٩٤٧م .

كذلك تولى إدارة جريدة الإخوان المسلمين الأسبوعية فى عام ١٩٣٣م ورئاسة تحرير مجلة الأزهر لمدة ست سنوات ١٩٥٢م ، فضلا عن مئات المقالات والبحوث فى مختلف الصحف والمجلات .

لمزيد من التفاصيل انظر: محمد فتحى شعير : وسائل الإعلام المطبوعة فى دعوة الإخوان المسلمين ، ص٩٨، ٩٩.

والتعريف بها وبالروايات الأدبية .

تحرير الفتح :

احتل المقال الصحفى الحيز الأكبر من مواد الصحيفة التحريرية ، يليه الخبر ، وكان للفتح عناية أيضا بالحديث الصحفى ، وكان يصاغ بطريقة تقليدية بدائية ، ومن أمثلة الأحاديث الصحفية التى نشرتها الفتح : الحديث الذى أجراه محب الدين الخطيب مع الدكتور محجوب ثابت المصرى ـ الأستاذ بجامعة بروكسل الدولية وعضو الرابطة الشرقية ـ وكان عنوانه «حديث مع الأستاذ الدكتور محجوب ثابت بك فى لباس الرأس من الوجهتين الطبية والقومية » .

نموذج من الأسئلة :

المحرر : أريد يا أستاذ أن أقف على رأيكم فى مسألة لباس الرأس بأكثر تفصيلا مما قرأنا فى الصحف ، وما قلتموه منذ أيام فى الرابطة الشرقية .

الدكتور : « إن الذى قلته هناك كان أوسع وأكثر بيانا مما نشروه فى الصحف ، ومما آسف له أن بعضها ـ كالسياسة ـ تعمد إغفال قولى بتاتا وتجاهل وجودى فى ذلك الموقف. . . . » [1] .

ونشرت الفتح أيضا حديثا صحفيا أجراه حسن البنا مع محمد فريد وجدى بعنوان : «حديث مع الأستاذ الباحث فريد وجدى حول ما نشرته مجلة الحديث الحلبية» حيث دار الحديث حول الفرق بين التجديد الذى يقصده المفكرون الإسلاميون والتجديد الذى يقصده دعاة التجديد ، وحول معنى كلمة التجديد والروح العصرية ، كذلك أجرى محمد السعيد الزهراوى حديثا مع الشيخ عمر راسم أحد رجال الإصلاح الإسلامى فى الجزائر عن كيفية مواجهة المبشرين الذين يجولون آفاق العالم الإسلامى .

كتاب الفتح :

ضمت الفتح مجموعة كبيرة من أعلام الفكر الإسلامى في مصر والبلاد العربية والإسلامية ، من أبرزهم :

الشيخ مصطفى صبرى شيخ الإسلام فى تركيا ، والشخ محمود شلتوت ، والشيخ محمد الخضر حسين ، ومحب الدين الخطيب ، والشيخ عبد الباقى سرور نعيم ، والشيخ يوسف الدجوى ، وحسن البنا ، ومحمد حامد الفقى ، والشيخ عبد العزيز الخولى ، والشيخ عرفة ، والدكتور محجوب ثابت ، وحسنى على الحسينى ، وشكيب أرسلان ،

---

(١) الفتح ، عدد ١٠ ، ١١ صفر ١٣٤٥هـ ، ١٩ أغسطس ١٩٢٦م .

ومولاى محمد على ، ومحمد أحمد الغمراوى ، وعبد الوهاب عزام ، وعلى الجندى ، ومحمد على غريب ، وعبد المنعم خلاف ، وعبد الفتاح كيرشاه ، ومصطفى أحمد الرفاعى ، وأحمد عبد السلام بلا فريج ، ومحمد السنوسى مقلد ، وعمر الدسوقى ، وعبد السلام هارون ، والشيخ محمود شاكر ، ومحمد تقى الدين الهلالى ، وخالد شلدريك ، ومحمود شويل ، والشيخ مصطفى الحمامى ، وعبد الكريم جرمانوس ، وعلى أحمد باكثير ، ومحمد فريد وجدى ، ومحمد حسن النجمى ، ومسعود علي الندوى ، وأبو الحسن الندوى ، ومصطفى السباعى ، وعبد الله الزنجانى ، ومحمد الطاهر بن عاشور ، ومحمد عبد المطلب ، ومحمود رمزى نظيم ، وأحمد شوقى ، وحافظ إبراهيم ، ومحمد الههياوى ، ومحمد الغزالى ، ومحمد البكرى الذهبى ، ومحمد أحمد عثمان ، وعبد الحق معوض ، وطه صديق العبادى ، ومحمد رضا الشيبى، وحسن أبو على ، ومراد الأصفهانى ، وأحمد حنفى نصار ، ومحمود صدقى ، ومصطفى بن شعبان ، وأحمد أفندى السكري ، والدكتور نجيب أرمناوى ، وعبد الرحيم الساعاتى ، والدكتور زكى كرام ، والحسن الغزالى ، والطاهر أحمد الزواوى ، وسيد سعد ، وأمين الشريف، وإبراهيم الزهاوى ، وعبد الحميد السائح ، والشيخ محمد أحمد سلامة ، ومحمد حبيب العبادى ، وأحمد تيمور باشا ، وأحمد زغلول ، ومصطفى الغاياتى ، ومحمد الباقر اليمنى ، والشيخ على الطنطاوى ، والشيخ على إبراهيم القنديلى ، والشيخ محمد محمد الأودن ، والشيخ حامد عونى ، والشيخ محمد بدر الخطيب ، والشيخ عبد الوكيل جابر ، والشيخ حسن محمد النجار ، والشيخ أمين عثمان النواوى ، والشيخ طه محمد الساكت ، والشيخ عبد الفتاح النويهى ، والشيخ رمضان الجداوى ، والشيخ عبد المنعم النواوى ، والشيخ محمد عبد السلام القبانى ، والشيخ عبد المتعال الصعيدى ، والشيخ سيد على الطوبجى ، والشيخ عبد الرازق أحمد العطار ، والشيخ حمدى عونى ، والشيخ محمد فريد الشنيطى ، والشيخ سعيد خضر ، والشيخ محمد هاشم العلوى ،والشيخ عبد الله دراز ، والدكتور عبد الرحمن شهبندر ، وأحمد سليمان ، وأبو زيد شلبى ، وأحمد علاء الدين الدسوقى ، وعبد الحميد سعد ، ومحمد عبد الله عنان ، ومحمد محمود الخضرى ، وحسن على الشيخ وغيرهم .

ظروف نشأة الفتح وخطتها :

ذكر محب الدين الخطيب الظروف التى نشأت فيها «الفتح» فى عدة مواضع من صحيفة «الفتح» منها قوله : «لما خرج الناس من الحرب العالمية الأولى أخذ المؤمنون بثقافة الغرب من رجالنا وشبابنا يعدون العدة للاستيلاء على الرأى العام وتحويل وجهته عن الإسلام ، وما أنزل الله من قرآن وشريعة إلى المعاهد القائمة على ضفاف التاميز والسين

ـ يقصد أوربا ـ وما يصدر عنهما وواتاهم الحظ بما أحدثته هذه القوة من أحداث ، وماقصدت إليه من هوى ، ولم يكن للإسلام فى مصر صحف غير مجلة المنار ، ولا جمعيات إسلامية غير جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية . . أما النزعة التغريبية «العلمانية» العاملة على تعميم دعوتها فى تلقيد الغرب فكان فى أيدى رجالها أكثر الصحف ، فكانوا مشرفين على معظم المرافق والجمعيات ، وكان أنصارهم منبثين فى وزارة المعارف ومعاهدها ، ونظام الاحتلال يؤيدهم فى إبعاد الشباب عن الإسلام وحيويته جهد الطاقة ، وكان أحمد تيمور باشا هو الوجه المصرى الوحيد الذى شعر بهذا الخطر الأعظم على مصر والوطن العربى والعالم الإسلامى ، وأشفق من أن يتم فيه ما تم فى تركيا ، وكان ـ رحمه الله ـ لا ينقطع عن زيارة المطبعة السلفية يوميا إلا لمرض أو سفر ، وكانت دار المطبعة السلفية فى شارع خيرت ، فانعقد فيها اجتماعات حضرها أحمد تيمور باشا وأبو بكر يحيى باشا والشيخ عبد الرحمن قراعة ، والسيد محمد الخضر حسين وعلى ملا الحسينى ، ونحو عشرة آخرين من هذه الطبقة ، تذاكروا موجة الإلحاد القوية التى طغت على العالم الإسلامى وهو على غير استعداد لدفعها ؛ لأن أمره ليس بيده ، وانتهت هذه الاجتماعات بتقرير تأليف جمعية لمقاومة الإلحاد والتعاون على ذلك مع كل من يؤلمه أمره فى الوطن الإسلامى الأكبر ، وبعد بضعة أشهر من هذه المحاولة تبين لنا أن الخطر أسرع من أن يعالج بمثل هذه الجمعية ، وأنه لا بد من الاتصال بالرأى العام والشباب المثقف على وجه الخصوص ، وأن الصحافة هى الوسيلة الأولى لذلك ، وكنت أصدر يومئذ مجلة الزهراء غير أنها شهرية أدبية ولا تصلح وسيلة لهذه المعركة ، فضلا عن أنه مشروط فى امتيازها ألا تتعرض للسياسة والدين ، وكان الحصول حينذاك على امتياز صحيفة إسلامية للغرض الذى نريده أشبه بالمستحيل ، غير أن أحمد تيمور باشا ـ رحمه الله ـ التمس لذلك الأسباب التى لا يقدر عليها غيره ، وتمكنا من الحصول على امتياز بإصدار الفتح» (١) .

وقد وضعت الفتح برنامجا إسلاميا فى مقدمة عددها الأول ، يهدف إلى إحياء ذكرى المدنية الإسلامية ، ومقاومة الإلحاد ودعوى التجدد الكاذب ، وتأكيد العلاقة الوثيقة بين العلم والدين الإسلامى ، وقد مضى هذا الاتجاه فى الصحف الإسلامية التى صدرت على غرار الفتح تغذيه الأحداث النازلة بالعرب والمسلمين مثل جرائم فرنسا فى شمال إفريقيا وفى سوريا ، ومحاولتها القضاء على الدين الإسلامى فى المغرب العربى ، وجرائم إيطاليا فى ليبيا ، وتنكيلها بزعماء المسلمين ، وحوادث البراق التى اشتعلت فى فلسطين بين اليهود والعرب فى عام ١٩٢٩م ، ثم حملات التبشير المنظمة التى نشطت فى تنصير

---

(١) أنور الجندى،الفتح ، تاريخ الصحافة الإسلامية ،القاهرة :دار الأنصار ، ١٩٨٦م ، جـ٢ ، ص٧٠ ، ٧١.

المسلمين فى مصر وفى الأقطار العربية [١] .

اهتمامات الفتح فى فترة صدورها :

ومن أبرز ما اهتمت به الفتح ـ خلال فترة صدورها ـ محاربة التيار العلمانى فى الصحافة المصرية وزعمائه وصحفه ، والتصدى لكل ما تقدمه هذه الصحف من منظور إسلامى ، والدفاع عن الشريعة الإسلامية ، والفكر الإسلامى ، وقد أطلق محب الدين الخطيب على هذا التيار العلمانى وأصحابه : حركة الإلحاد ، وكان يقود هذا التيار الدكتور طه حسين ، ومجموعة من المفكرين المصريين : أمين الخولى ، وحسين فوزى ، وأميل زيدان ، وسلامة موسى ، والدكتور محمد حسين هيكل ، وعلى عبد الرازق ، ومحمود عزمى ، وعبد العزيز فهمى ، وتوفيق الحكيم وغيرهم ، فى جريدتى: السياسة، والسياسة الأسبوعية ، وصحف : الهلال ، والعصور ، والمجلة الجديدة، والاستقلال [٢].

وقد عنيت الفتح بمواجهة هذه الصحف التغريبية التى تكيد للإسلام ومن أطلقت عليهم دعاة الإلحاد ، واتهمت «الفتح» جريدة السياسة الأسبوعية بأنها تروج للدعاية للإلحاد فى البلاد ، وذلك بما تنشره من آراء تحرض فيها الشباب المصرى أن يقلدوا شرذمة ملحدى أمريكا فى تأليف الجمعيات الإلحادية ، ووضع البرامج لها ، حيث نشرت السياسة الأسبوعية مقالا بعنوان : دعاة الإلحاد فى أمريكا [٣] . تقول فيه : إنه قد تألفت جمعية فى الولايات المتحدة الأمريكية تسمى الجمعية الأمريكية لنشر الإلحاد ، وغرضها محاربة الأديان، وأن لهذه الجمعية فروعا منتشرة فى الكليات وفى المدارس، وأشار الشيخ عبد الباقى سرور إلى أن السياسة الأسبوعية تلجأ إلى هذه الحيل لإقناع المصريين بالإلحاد [٤] .

ونشرت «الفتح» سلسلة مقالات بعنوان : «وجود الله توضحه الدلائل الكونية» [٥]، حاربت فيها حركة الإلحاد وأنصارها » وقال الشيخ سرور فى مقال آخر بعنوان « حركة التبشير والإلحاد » : « إن الإسلام يواجه حركتين من أخطر الحركات الهدامة : الأولى هى حركة المبشرين ، والثانية حركة الملحدين ، تتجه الأولى نحو تحويل المسلمين عن دينهم إلى النصرانية ، وتقوم بها جمعيات منظمة تؤيدها شعوب متحمسة لعداء الإسلام، وتهدف الثانية إلى تجريد المسلمين من التدين ، ويقوم بها رجال تعلموا فى الغرب ، وأحكموا طرق الدعاية ، وتمرنوا على أساليب التمويه ومن ورائهم قوم أولو

---

(١) عواطف عبد الرحمن : مصر وفلسطين ، مرجع سابق ، ص٣٦ ، ٣٧ .

(٢) أنور الجندى ، الفتح ، تاريخ الصحافة الإسلامية ، جـ٢ ص١١٢ .

(٣) السياسة الأسبوعية ، ٣٠ يوليو ١٩٢٧م .

(٤) الفتح ، عدد ٥٧ ، ١٤ صفر ١٣٤٦هـ ، ٤ أغسطس ١٩٢٧م .

(٥) الفتح ، عدد ٥٢ ، ٨ محرم ١٣٤٦هـ ، ٧ يوليو ١٩٢٧م وما بعده .

نفوذ يحمون ظهورهم ، ويدفعون عنهم ما يصيبهم ،ولا غرض لهم من ذلك سوى إفساح المجال لدعاة الإلحاد فى مصر» [1] .

ثم توالت انتقادات الفتح لصحيفة السياسة الأسبوعية وكتابها ، وانتقدت ما تكتبه السياسة فى مدح مصطفى كمال أتاتورك ، وما أحدثه من تغريب لتركيا وتحويلها إلى دولة علمانية ، وإبطال الشريعة الإسلامية والأخذ بالقوانين الغربية [2] .

وخصصت الفتح منذ العام الثانى لصدورها بابا بعنوان «بعكوكة الإلحاد» سخرت فيه من زعماء التيار العلمانى سخرية مرة ، واتهمتهم بالخروج عن الدين ، وهاجم محب الدين الخطيب على عبد الرازق حينما أنكر على صفحات السياسة عظمة سيدنا محمد وجرده من مزايا النبوة ، واتهم طه حسين بأنه يدعو إلى الإلحاد فى مؤلفاته ومحاضراته ، وأنه يجرد النفوس من الأدب والعفاف ، وأن كتابه : «فى الشعر الجاهلى» ملىء بالطعن فى القرآن الكريم ، والاعتداء على كرامة النبى ﷺ ، ونددت بالاحتفال الذى أقامته الجامعة المصرية وخطب فيه طه حسين بمناسبة مرور مائة عام ولادة الفرنسى رينان [3] .

وحفلت الفتح بمقالات عديدة تنتقد ما جاء فى كتاب الشعر الجاهلى ، وبيان ما جاء فيه من مخالفات صريحة لنصوص القرآن الكريم وتاريخ العرب والمسلمين ، ونشرت الاستجواب الذى قدمه الشيخ مصطفى الغاياتى عضو مجلس النواب لوزير المعارف عن كتاب طه حسين[4] .

وعندما كتب طه حسين فى السياسة الأسبوعية [5] يشير إلى أن هناك خصومة بين العلم والدين انبرى للرد عليه مجموعة من كتاب الفتح ، ومن بينهم كتاب من الأزهر الشريف ، ونشرت سلسلة مقالات تثبت أنه ليس بين العلم والدين أية خصومة ؛ لأن لفظ العلم يطلق تارة على ما يثبت بالاختبار والتجربة ، وهذا ليس من مباحثه إثبات وجود الله ولا إثبات نبوة الأنبياء ، ومن هنا فليس بين العلم الطبيعى الثابت بالتجربة وبين الدين خصومة، ويطلق العلم تارة على بعض المذاهب الفلسفية أو المذاهب العلمية التى دخلتها الفلسفة ، وإذا كان بين بعض هذه المذاهب وبين الدين خصومة فالقرآن لم ينزل ليعلم الناس المذاهب الفلسفية أو العلمية ، وإنما نزل للهداية والإرشاد ، فضلا عن أن الظنون والفروض لا تسمى علما ، ولا ما يثبته الفلاسفة من الآراء أو يضعون من مذاهب ، فكل

---

(١) الفتح ، عدد ٤٦ ، ١٧ ذو القعدة ١٣٤٥هـ ، ١٩ مايو ١٩٢٧م .
(٢) الفتح ، عدد ٦٢ ، ١٩ ربيع الأول ١٣٤٦هـ ، ١٥ سبتمبر ١٩٢٧م .
(٣) الفتح ، عدد ٥٢ ، ٨ محرم ١٣٤٦هـ ، ٧يوليو ١٩٢٧م .
(٤) الفتح ، عدد ٥ ، محرم ١٣٤٥هـ ، ١٥ يوليو ١٩٢٦م .
(٥) السياسة الأسبوعية ، ١٧ يوليو ١٩٢٦م .

هذا لا يعده العلماء داخلا فى حقيقة العلم [1] .

وقد دخلت «الفتح» فى معارك صحفية مع صحف «الهلال ، وكل شىء ، والفكاهة» التى روجت لمسائل ضد الدين الإسلامى ، ونشرت كتابات تمس الدين وتهزأ بعلماء الإسلام ، وكتب الشيخ أحمد محمد شاكر - قاضى محكمة ههيا الشرعية - سلسلة مقالات يهاجم فيها صحف الهلال ، مؤكدا أنها تحارب الأزهر والمحاكم الشرعية لخدمة الهيئات التبشيرية العالمية ، وأنها تعمل على إفساد أخلاق الشعب المصرى وأذواقه وعاداته وتقاليده ، بما تنشره من صور مثيرة للشهوات ومحطمة للأخلاق ومضادة لدين البلاد الرسمى «الإسلام» [2] .

وشنت الفتح حملة شديدة اللهجة على كتابات الخواجة سلامة موسى عن الأدب المكشوف ، ونقله لآراء أناتول فرانس وغيره من الإباحيين ، وفى مقال بعنوان : «الخواجة سلامة موسى فى أدبه المفضوح» سجل فيه : «أن المدعو سلامة موسى يستبيح التحدث عن الخدر المكنون ، والفراش المستور ، وعن العناصر الجنسية وحياتها وعما يقع عادة بين المرء وزوجه والرجل وخليلته باسم الأدب المكشوف أو الواقعى وغير ذلك من المسميات» [3] .

ومن بين الصحف التى تصدت لها ، الفتح وأكدت أنها تكيد للإسلام والمسلمين صحيفة الأهرام التى كانت تعتبرها لسان حال الفرنسيين فى مصر كما ذكر ذلك محب الدين الخطيب ، وفى موضع آخر أشار الخطيب إلى أنها شر وسيط بين الإسلام وفرنسا ، وذلك لتجاهلها قضية البربر فى المغرب العربى وما يفعله الفرنسيون هناك من تنصير وإبادة للمسلمين [4] ، واتهام «الأهرام» كل من يعارض موقف فرنسا فى المغرب العربى ، بزعم أنه يريد أن يشغل مصر عن قضيتها ، وأشارت الفتح إلى اهتمام الأهرام بإعلانات الخمر والميسر ودفاعها عن المدارس الفرنسية التى يقوم بالتعليم فيها الرهبان الفرنسيون الذين يقومون بالتبشير للنصرانية على أرض الإسلام [5] .

وأولت الفتح اهتمامها بمحاربة السياسة الفرنسية والإيطالية فى بلاد المغرب العربى ، وبينت أنها تهدف إلى تنصير أهالى تلك المنطقة ، ونشرت الفتح خطاب لجنة المحافظة على

---

(١) انظر : أعداد الفتح الصادرة فى محرم ١٣٤٥هـ، يوليو ١٩٢٦م .

(٢) الفتح ، عدد ٧٤ ، ١٩ جمادى الآخرة ١٣٤٦هـ ، ٨ ديسمبر ١٩٢٧م .

(٣) الفتح ، عدد ٧٦ ، ٢٨ جمادى الآخرة ١٣٤٦هـ ، ٢٢ ديسمبر ١٩٢٧م .

(٤) الفتح ، عدد ٢١٥ ، ١٠ ربيع الآخر ١٣٤٩هـ .

(٥) أنور الجندى ، الفتح ، تاريخ الصحافة الإسلامية ، ص٣٦٤ ، وعواطف عبد الرحمن : مصر وفلسطين مرجع سابق ، ص٣٦٤ .

إسلام البربر إلى عصبة الأمم ، وكانت هذه اللجنة شعبة من جمعية الهداية الإسلامية يرؤسها محمد عبد السلام القبانى ، وكتبت الفتح عن فظائع الطليان فى طرابلس الغرب ، ودعت المسلمين إلى مقاطعة كل البضائع الفرنسية والإيطالية ، وكانت تنشر صور بعض القسس وهم يقومون بالتبشير فى بلاد المغرب وينشؤون الكنائس ، وتنشر الخطب ، التى تلقى فى المحافل والجمعيات الإسلامية للتنديد بسياسة فرنسا وإيطاليا فى البلاد الإسلامية، وتشير إلى الفظائع التي يرتكبها الاستعمار هناك ، وحفلت صفحاتها بالكتابة عن ذلك ، يتضح هذا من عناوين المقالات التالية :

«التنصير الإجبارى وسياسة فرنسا المكشوفة بالمغرب الأقصى» ، «صدى مسألة تنصير البربر فى القطر المصرى» ، «تنصير المسلمين بقوة الحديد والنار» ، «احتجاج المغاربة فى مصر على ما يجرى فى المغرب الأقصى» ، «فرنسا بين سياستين فى المغرب الأقصى : سياسة الصراحة وسياسة النفاق» .

ونشرت الفتح احتجاجات الجمعيات الإسلامية فى مصر إلى رئيس فرنسا وجمعية الأمم المتحدة وأمهات الصحف الأوروبية ، وأوضحت للمسلمين كافة ما يجرى من الحوادث فى هذه البلدان القاصية ، وعرضت قضيتهم أمام الرأى العام ، وما يتعرضون له من ظلم وتعسف فى دينهم ولغتهم وأرضهم .

ومن أبرز الكتاب المسلمين الذين ظهروا فى هذا المجال : محب الدين الخطيب ، وأحمد بلافريج ، وعبد الظاهر سعيد هيكل ، وأحمد عبد الحليم رشيد رضا ، والدكتور يحيى الدرديرى ، وشكيب أرسلان .

وبسبب جهود «الفتح» فى محاربة السياسة الفرنسية فى المغرب العربى ، منعت فرنسا دخولها البلاد هناك وفرضت غرامة ٥٠ فرنكا على كل من يوجد لديه نسخة منها [1] .

كذلك اهتمت الفتح بقضايا وأخبار العالم الإسلامى والمسلمين فى البوسنة والهرسك «يوغسلافيا» ، والهند ، ومسلمى إفريقيا ، وأندونيسيا ، والحبشة .

وحظيت قضية فلسطين على جانب كبير من اهتمامات صحيفة الفتح ، وكانت فى مقدمة الصحف التى كشفت القناع عن مقاصد اليهود فى فلسطين ، وأبرزت خطط الصهاينة فى الاستيلاء على الأراضى الفلسطينية ومؤامراتهم ضد العرب والمسلمين ، كما كانت من أبرز الصحف الإسلامية التى دافعت عن البراق ، وحقوق المسلمين فى بيت المقدس ، وعرضت لهذه القضية بمختلف وجوهها أمام الرأى العام العربى والإسلامى ،

---

(١) الفتح ، عدد ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ١٩ ربيع الأول ١٣٤٩هـ ، ٢٦ ربيع الأول ١٣٤٩هـ ، ٣ ربيع الآخر ١٣٤٩هـ ، والأعداد التالية لهم .

وحفلت صفحاتها بالحديث عن الهجرة اليهودية إلى فلسطين وبينت خطورتها فى القضاء على دولة فلسطين (١) .

ومن أبرز القضايا التى واجهتها الفتح فى بداية صدورها : قضية البغاء الرسمى ، وقد حمل لواء محاربة البغاء الشيخ محمود أبو العيون ـ أحد مشايخ الأزهر ـ ومجموعة من كتاب الفتح ، وحفلت صفحات الفتح بالحديث عن مخالفة البغاء للدين والشرع والقوانين وبيان مساوئ البغاء وآثاره الخطيرة على الفرد والمجتمع والأمة كلها ، وتولت الفتح الرد على جريدة «المقطم» التى طالبت بعدم الإسراع فى إلغاء البغاء الرسمى .

وكتب الدكتور فؤاد شوكت فى المقطم (٢) يحذر من دعوة الشيخ أبى العيون ، ويهاجم دعوة الفتح فى إلغاء البغاء ، ولكن تصدى له محمد الباقر اليمنى فى صحيفة الفتح متسائلا ومتعجبا أن يقول كاتب مثل الدكتور فؤاد شوكت بإبقاء المواخير والتدرج فى إلغاء البغاء، واستمرت المعركة بين أنصار البغاء وكتاب الصحافة الإسلامية فترة من الزمن، وانتصرت «الفتح» للشيخ أبى العيون الذى تعرض لهجمات الصحف التغريبية ولاسيما جريدتى الأهرام والمقطم ، اللتين اتهمته بأنه تعدى على حقوق الإداريين والأطباء وكل هيئة صاحبة رأى ، وأن إلغاء البغاء يخشى منه على الآداب ، وانبرى للرد على ذلك الشيخ عبد الباقى سرور قائلا : «إنه من المخزيات أن يقال على صفحات الجرائد : إن إلغاء البغاء يخشى منه على الآداب ، كأن فى وجود البغاء صيانة للآداب ! » (٣) .

وخاضت الفتح معارك صحفية عديدة ضد مظاهر التغريب التى بدأت تزحف إلى البلاد ويروج لها أنصار الفكر الغربى من العلمانيين والمستغربين وصحفهم كتلك الدعوة إلى لبس القبعة تقليدا للغربيين (٤) والدعوة إلى السفور وإطلاق الحرية للمرأة (٥) ومحاربة التشريع الإسلامى فى تعدد الزوجات ، وتقييد حرية الرجل فى الطلاق وغير ذلك ، ركزت على التنديد بالمدنية الغربية ومظاهر التحلل والانحراف الذى أصاب تركيا وسار عدواه إلى مصر ، وظاهرة جنوح الشباب المسلم عن تعاليم الإسلام بزعم أن اتباع الدين لا يليق فى هذا العصر (٦) . ومن هذا المنطلق اهتمت الفتح وكتابها بالدفاع عن الشريعة

---

(١) انظر : أعداد المجلد الثامن من الفتح ، وكذلك الفصل الخاص بقضية فلسطين .

(٢) المقطم ، عدد ٢٤ سبتمبر ١٩٢٦م .

(٣) الفتح ، عدد ١٦ ، ٢٣ ربيع الأول ١٣٤٥هـ ، ٣٠ سبتمبر ١٩٢٦م .

(٤) الفتح ، عدد ٦، ١٩ محرم ١٣٤٥هـ ، ٢٩ يوليو ١٩٢٦م ، وعدد ٧ ، ٢٦ محرم ١٣٤٥هـ ، ٦ أغسطس ١٩٢٦م .

(٥) الفتح ، عدد ٦٦ ، ١٨ ربيع الآخر ١٣٤٦هـ ، ١٣ أكتوبر ١٩٢٧م .

(٦) الفتح ، عدد ١٦٨ ، ٧ جمادى الأولى ١٣٤٨هـ ، ١٠ أكتوبر ١٩٢٩م ، وعدد ١٦٩ ، ١٤ جمادى الأولى ١٣٤٨هـ ، ١٧ أكتوبر ١٩٢٩م .

الإسلامية ، والتعريف بعظمتها ، وصلاحيتها لكل زمان ومكان ، والمقارنة بينها وبين نظم الحكم المعاصرة ، والتأكيد على أهمية الدين للفرد والمجتمع (١) .

كذلك عنيت الفتح باللغة العربية الفصحى والأدب الإسلامى والشعر الإسلامى ، وأفسحت صدر صفحاتها أمام شعراء الإسلام ، من أمثال : صادق عرنوس ، ومحمود رمزى ، وأحمد محرم ، ومحمد حسن النجمى ، وأحمد شوقى ، وحافظ إبراهيم ، ومصطفى صادق الرافعى ، ومحمد على يحيى ، ويس يوسف ، ومحمد البساطى النابلسى .

وهاجمت الفتح المدارس الأجنبية المنتشرة فى البلاد ، وأشارت إلى أنها تعمل على الإساءة إلى الإسلام (٢) ، وحملت على سياسة التعليم العلمانى فى مصر ، وذكرت أنه يسير على الخطة التى رسمها له كرومر والقس دانلوب (٣) ، ودعت إلى إنشاء مدارس إسلامية يتعلم فيها النشء المسلم علوم الإسلام مع الأخذ بأسباب العلوم الدنيوية . وحملت لواء الدعوة إلى الاهتمام بالتعليم الدينى والتربية الإسلامية وإصلاح التعليم فى الأزهر ، وذلك فى محاولة لإثبات خطأ المنهج العلمانى فى التعليم الذى اتبعته مصر ، منذ مجيء الاحتلال البريطانى وسيطرته على نظم التعليم فى مصر (٤) .

وتابعت «الفتح» الحديث عن التبشير وبعثاته ومؤتمراته فى مصر والدول الإسلامية ، وهاجمت حركة التبشير التى نشأت فى القاهرة عن طريق الجامعة الأمريكية والمدارس التبشيرية ، وكشفت عن مؤامرات التبشير ضد الدين الإسلامى ، وما يبثونه فى كتبهم من الطعن على الإسلام وشريعته ، وفضحت الدور التبشيرى الذى تقوم به جمعية الشبان المسيحية العالمية (٥) . وقد أعاد محب الدين الخطيب نشر الدراسة الخاصة عن أعمال المبشرين البروتستانت فى العالم الإسلامى فى «الفتح» والتى نشرت فى مجلة العالم الإسلامى التبشيرية ، وترجمها محب الدين الخطيب مع زميل له يسمى مساعد اليافى ، ونشرتها «المؤيد» ثم المنار ، وكان لهذه الدراسة أثر كبير فى يقظة عدد كبير من المسلمين الذين أدركوا ما يراد بهم وبدينهم من الكيد ، وقد تم طبع تلك الدراسة فى كتاب يسمى: «الغارة على العالم الإسلامى» (٦) .

---

(١) الفتح ، عدد ٢٠ ، نوفمبر ١٩٢٨م .
(٢) الفتح ، عدد ١٨٢ ، ١٦ شعبان ١٣٤٨هـ ، ١٦ يناير ١٩٣٠م .
(٣) الفتح ، عدد ٧١ ، ٢٣ جمادى الأولى ١٣٤٦هـ ، ١٧ نوفمبر ١٩٢٧م .
(٤) الفتح ، عدد ٣٠ ، شعبان ١٣٤٨هـ ، ٣٠ يناير ١٩٣٠م ، وعدد ١٧ أبريل ١٩٣٠م .
(٥) الفتح ، عدد ٢١١ ، ١٢ ربيع الأول ١٣٤٩هـ ، وعدد ٢٥٥ ، ٢ صفر ١٣٥٠هـ .
(٦) محمد فتحى شعير : وسائل الإعلام المطبوعة فى دعوة الإخوان المسلمين ، مرجع سابق ص٩٩ .

واهتمت الفتح اهتماما كبيرا بانتشار الإسلام فى الغرب ، وأشارت إلى بعض الذين درسوا الإسلام من كتاب الغرب ومن دخلوا فيه ، وعرضت للمستشرقين وكتاباتهم .

وحفلت صفحات الفتح بالحديث عن التراث الإسلامى وبيان أغراض المستشرقين من دراسته ، التى كان من أهمها بث الشبهات والمخازى فى هذا التراث ، ومعرفة طرق الإحاطة به ، وكيفية مواجهته، فضلا عن استفادتهم بكنوز المعرفة التى خلفها المسلمون ، وكانت «الفتح» فى مقدمة الصحف الإسلامية التى وقفت ضد الدعوة إلى ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأجنبية ، تلك الدعوة التى أثيرت فى عام ١٩٣٢م ، وكتب فى ذلك الموضوع محب الدين الخطيب والشيخ حسن البنا ـ المرشد العام للإخوان المسلمين ـ والشيخ مصطفى صبرى ، واتفقت الآراء فى عدم استطاعة نقل آيات القرآ الكريم إلي لغة أخرى مهما بلغت من العظمة والجلال والاتساع ، حيث إن اللغة العربية تمتاز ببساطة الألفاظ وكثرة المجازات والكنايات والاستعارات ، وقد يحمل اللفظ فيها عبارة كاملة .

وكان للفتح أيضا عناية كبرى بإبراز مخاطر المذاهب المنحرفة والدعوات الهدامة والأفكار الضالة ، وبيان ما فى هذه الدعوات من مخالفات لمبادئ الشريعة الإسلامية ، ومن أبرز هذه الدعوات التى واجهتها الفتح هى دعوة الباطنية والبهائية والإسماعيلية واليكتاشية واليزيدية والقاديانية والبهائية أو البابية والماسونية والصهيونية وغيرها (١) .

ويمكن إيجاز أهم القضايا التى تعرضت لها الفتح فيما يلى :

١ـ التصدى للتيار العلمانى فى الصحافة المصرية ، ومواجهة الحملات التى يشنها ضد الإسلام ، والرد علي المؤلفات والكتابات التى تطعن فى الإسلام ، ونظمه ومناهجه وتشريعاته مثل كتابات طه حسين فى كتاب «الشعر الجاهلى» ، وكتابات على عبد الرازق فى «الإسلام وأصول الحكم» .

٢ـ محاربة السياسة الفرنسية والإيطالية فى بلاد المغرب العربى ، والكشف عن محاولات فرنسا لتنصير قبائل البربر الإسلامية فى المغرب الأقصى ، والاهتمام بقضايا وأخبار العالم الإسلامى فى الهند وأندونيسيا وتركيا وإفريقيا ، والكشف عن مقاصد اليهود فى فلسطين وبيان مخططات الصهيونية فى الاستيلاء على الأراضى الفلسطينية وتهويدها .

٣ـ مهاجمة البغاء الرسمى فى البلاد المصرية وبيان مخالفته للشريعة الإسلامية والعرف والقوانين ، والرد على أنصار البغاء فى الصحافة العلمانية والتنديد بمظاهر التغريب التى بدأت تزحف إلى البلاد المصرية ، ويروج لها أنصار الفكر الغربى من العلمانيين

---

(١) سيتم معالجة هذه القضايا بالتفصيل فى الباب الثالث من هذه الدراسة .

والمستغربين ، والدفاع عن الشريعة الإسلامية والتعريف بعظمتها وصلاحيتها لكل زمان ومكان ، والعناية باللغة العربية الفصحى ، والأدب والتراث الإسلامى والعربى ، ونقد سياسة التعليم فى مصر ، والتصدى للمدارس الأجنبية ، والاهتمام بالتعليم الدينى والتربية الإسلامية ، والدعوة إلى إصلاح مناهج التعليم .

٤ ـ متابعة حركات التبشير فى العالم الإسلامي ، ومصر ، وكشف المؤامرات التبشيرية ضد الدين الإسلامى ، وبيان صدى انتشار الإسلام فى الغرب ، ومتابعة كتابات المستشرقين عن الفكر الإسلامى وتراثه .

٥ ـ معارضة الدعوة إلى ترجمة آيات القرآن الكريم إلى اللغات الأجنبية ، والعناية بإبراز مخاطر المذاهب الهدامة ، والدعوات الباطلة ، أمثال الباطنية والبهائية والقاديانية وغيرها .

٣ ـ صحيفة الهداية الإسلامية

صدرت هذه الصحيفة عن جمعية الهداية الإسلامية التى تأسست فى ١٣ من شهر رجب ١٣٤٦ هـ الموافق ٦ يناير ١٩١٨م ، وهى جمعية إسلامية علمية أدبية ، الغرض منها القيام بما يرشد إليه الدين الحنيف من علم نافع وأدب رفيع وخلق كريم ، وتعتمد فى تحقيق هذا الغرض على الوسائل الآتية :

١ ـ السعى لتعارف الشعوب الإسلامية ، وتوثيق الرابطة بينها ، ورفع التجافى بين الفرق الإسلامية ، والتعارف مع كل جمعية تسعى لهذه الغاية .

٢ ـ نشر حقائق الإسلام بأسلوب يلائم روح العصر .

٣ ـ مقاومة الإلحاد والدعايات غير الإسلامية فى الأوطان الإسلامية .

٤ ـ الجهاد فى إصلاح شأن اللغة العربية وإحياء آدابها .

سبب تأليف جمعية الهداية :

١ ـ قلة العناية بالقيام على أصول الإسلام والشريعة الإسلامية وآدابها ، وتلقينها للنشء فى أول طور من أطوار حياته العلمية ، مما مهد الطريق لنفر يحملون ألقابا إسلامية ، ثم ما يكون منهم إلا أن يتآمروا على الإسلام ، ويبثوا سموم دعايتهم فى بعض الصحف والمجامع العلمية والتعليمية .

٢ ـ انتشار دعاية الإلحاد والخلاعة بين الشباب ، وسيطرة طائفة الملحدين وأدعياء التجديد على مقاعد التدريس فى الجامعة ، والطعن فى الدين الإسلامى دون مراعاة لأهله ذمة ، ولا لمبادئه حرمة [1] .

والذين قاموا بالدعوة إلى تأسيس هذه الجمعية مجموعة من علماء الأزهر الشريف ، ومن نهج نهجهم من ذوى العلم والفضيلة ، منهم السيد ولى الدين أسعد المدنى ، وحسين شكرى الشواء ، وأحمد العربى المدنى ، ويوسف عبد الرازق المشهدى ، ومحمد الحسن مصطفى ، وعبد الله مصطفى المراغى ، ومحمد البسطامى ، وخلوصى الكيالي ، وصلاح الدين أبو على ، وعبد القادر عبد العزيز يوسف ، وعبد الحليم على النجار ، ومحمد منجود .

وكان الشيخ محمد الخضر حسين رئيس مجلس إدارة الجمعية ، والشيخ محمد عبد المطلب وكيل أول ، والشيخ على محفوظ وكيل ثان ، والشيخ فكرى يس كاتم السر ،

(١) مجلة الهداية الإسلامية ، جـ٣، م١ ، شعبان ١٣٤٧هـ ، ١٩٢٨ م .

وعبد الحميد أفندى أمين الصندوق ، والشيخ مصطفى بدر مراقب الجمعية ، وكان للجمعية فروع فى بغداد ودمشق وتونس وفلسطين .

وأصدرت جمعية الهداية الإسلامية العدد الأول من مجلة « الهداية الإسلامية » فى جمادى الثانية ١٣٤٧ هـ / أول نوفمبر ١٩٢٨م ، مجلة إسلامية علمية أدبية ، تصدر فى أول كل شهر عربى، مدير تحريرها الشيخ محمد الخضر حسين رئيس الهداية الإسلامية[1]، ومدير إدارتها الشيخ مصطفى بدر زيد . وفى السنة الرابعة تولى منصب الإدارة الشيخ عبد الرحيم مصطفى العدوى ، ويحرر المجلة نخبة من أعضاء جمعية الهداية ، وتتألف من ثمانية وأربعين صفحة ثم زيدت إلى ٥٨ صفحة ، تضم كل صفحة نهرا واحدا، وكانت تطبع بالمطبعة السلفية لصاحبها محب الدين الخطيب .

الفهرس والغلاف :

كانت المجلة تقدم فهرسا لما ورد فى أعدادها ، يكتب فى الصفحة التى تلى الغلاف، وأحيانا يكتب فى الصفحة الأخيرة ، مع تصحيح الأخطاء المطبعية التى وردت فى العدد نفسه ، وعنيت المجلة بالغلاف الذى كان يكتب عليه البيانات الخاصة بالمجلة : شعار المجلة ، واسم المجلة التى تصدرها ، وهيئة التحرير والإدارة .

يلى صفحة الغلاف الصفحة الأولى التى تنقسم إلى قسمين ، القسم العلوى ويكتب عليه البيانات الخاصة بالمجلة كما هى على الغلاف وتاريخ العدد ، ورقمه ، والقسم السفلى خاص بالمقال الافتتاحى الذى كان يحرره الشيخ محمد الخضر حسين فى الغالب .

واتبعت الهداية الإسلامية فى إخراجها طريقة الإخراج الأفقى المتبعة فى إخراج الكتب ، حيث توزع المادة التحريرية على صفحات المجلة بالتوالى دون العناية بأهميتها أو التفنن فى إخراجها، واستخدام وسائل الإبراز والمغريات الصحفية، وخلت من الإعلانات

---

(١) الشيخ محمد الخضر حسين (١٢٩٣ ـ ١٣٧٧هـ) : ولد فى تونس وتلقى تعليمه فى جامع الزيتونة ، وحصل على شهادة العالمية عام ١٣٢١ هـ ، وأصدر مجلة السعادة العظمى ، ثم تولى قضاء بيروت عام ١٣٢٤هـ ، واتهمته سلطات الحماية الفرنسية بعدائه للغرب ، فسافر إلى الأستانة ثم إلى دمشق ، وبرلين ، ثم انتهى به المقام فى مصر، وتجنس بالجنسية المصرية، ونال شهادة العالمية من الأزهر،واشترك فى تأسيس المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين بالقاهرة عام ١٣٤٦هـ ، ولما تم النجاح فى هذا العمل ، تفرغ لتأسيس جمعية الهداية الإسلامية التى جمعت أهل الغيرة والنشاط من شباب الأزهر وشيوخه وبعض العاملين فى حقل الدعوة الإسلامية ، وأصدر مجلة الهداية الإسلامية ، ثم تولى رئاسة مجلة نور الإسلام ، وكان ذا نشاط صحفى كبير ، وقدرة فذة على الكتابة والتحرير ، ثم تولى مشيخة الأزهر عام ١٩٥٢م ، وتوفى فى رجب ١٣٧٧ هـ عن ثمانين عاما .

انظر : على الخطيب وآخرون : البابية والبهائية فى ميزان الإسلام ، القاهرة : ١٩٨٥م ، ص٥ ـ ١٠ .

ولم تعن بالصور أو الرسوم ، وكان المقال شكل المادة الرئيسية فى تحرير المجلة .

كتّاب المجلة :

تولى تحرير مجلة الهداية الإسلامية كوكبة من مشايخ الأزهر وعلمائه وبعض الأفاضل من العلماء والمفكرين من مصر والدول الإسلامية ، من أبرزهم : الشيخ محمد الخضر ، والشيخ محمد عرفة ، والشيخ صادق عرجون ، والشيخ محمد السيد الطويل، والشيخ حافظ البطة ، والشيخ عبد المجيد الفاسى ، والشيخ عبد الله المراغى ، والشيخ عبد الحكيم المحيصن ، والشيخ شاكر الصفاقسى ،والشيخ محمد النجار ، والشيخ السيد محمد الطاهر بن عاشور من تونس ، والشيخ رباح يحيى حسونة الجليلى من فلسطين ، ومحمود ياسين من دمشق والشيخ عبد الجواد رمضان .

وكانت مجلة الهداية تعتمد على بعض المعونات من ذوى الفضل والإحسان ، وقد ذكرت فى فاتحة السنة الثالثة من صدورها أنه من أبرز الذين قدموا يد العون للمجلة الزعيم السورى الكبير الشيخ محمد القصاب وأحمد تيمور باشا ، ولم يكن لها هيئة تحريرية منتظمة ، ولا تعطى رواتب أو مكافآت على موارد التحرير ، بل إن معظم موضوعاتها هو ما يلقى فى نادى الجمعية من خطب ومحاضرات ، وما يصل إليها من الدورس والمحاضرات التى يلقيها بعض المصلحين من علماء جامع الزيتونة [(١)].

أسباب صدور الهداية الإسلامية وهدفها من الصدور :

فى العدد الأول للمجلة أبرزت الأسباب الرئيسية لصدورها ، ونستطيع إيجازها فيما يلى :

١ ـ الفساد الذى لحق بالأمة الإسلامية ، وظهور البدع والخرافات فى الأوساط الإسلامية .

٢ ـ نكوص بعض العلماء عن المشاركة فى الإصلاح الاجتماعى والدينى والخلقى ، وتغير موقف الكثير من رجال العلم والأدب ، ونظرتهم إلى الحياة نظرة غير إسلامية .

٣ ـ ظهور فئة من الذين يعتنقون الإباحية ويخاصمون الدين الإسلامى ويحاربونه فى الصحف والمؤلفات ، وفيما يلقى من الخطب والمحاضرات .

أهداف المجلة :

حددت الهداية الإسلامية أهدافها فى أول عدد من أعدادها بأنها ستولى وجهها

(١) مجلة الهداية الإسلامية ، جـ١ ، م٣ ، جمادى الآخرة ١٣٤٩هـ .

نحو :

١ - البحث عما يهذب النفوس ويثقف العقول ، ويقوم اللسان فتبحث فى الأخلاق والعادات والتاريخ والتراجم واللغة وآدابها ، والعلوم النظرية والاجتماعية .

٢ - ترشد إلى حقائق الإسلام وآدابه ، وتنتقد المقالات والآراء ، وتجيب بقدر الإمكان عن هذه المسائل ، وتورد من أنباء العالم الإسلامى ما له صلة بالغاية التى أنشئت من أجلها .

٣ - تنشر تحت عنوان «صحف قيمة» رسائل علمية أو أدبية من مؤلفات القدماء ، متى كان فى نشرها فائدة كبيرة للقراء، سالكة فى ذلك كل سبيل الحكمة والموعظة الحسنة ، موسعة صدرها لكل نقد ، وتصحيح ما قد تقع فيه من أخطاء .

اهتمامات مجلة الهداية الإسلامية فى فترة صدورها :

كان الدفاع عن الأزهر ورسالته الإسلامية فى مقدمة اهتمامات المجلة ، فقد لاقى الأزهر فى تلك الفترة هجومًا قاسيًا من الجرائد والمجلات العلمانية وأنصار التجديد فى مصر ، باعتباره الحصن الحصين للدين الإسلامى ، والعقبة الباقية أمام اكتساح أوربا للشرق ، فقد دأبت « السياسة ، اليومية والأسبوعية » على نعت الأزهريين بالجمود والتخلف ، وتصف المجلة الجديدة لسلامة موسى الأزهريين وأنصار الفكر الإسلامى بأنهم « أوكار الرجعية » .

ومن هنا كان تصدى الهداية الإسلامية لهؤلاء المتفرنجين الذين يفترون على الإسلام والمسلمين الكذب ، ويغيرون حقائق التاريخ ، ويلوون عنقها[١] ، ويدعون إلى القومية الضيقة التى تتعارض مع الإسلام ، ويروجون للأفكار العلمانية [٢] ، أو الدعوة إلى فصل السلطة الزمنية عن السلطة الدينية ، مسقطين ما حدث فى أوربا على الإسلام ، وفى مقال بعنوان : « لا دين بغير دنيا ولا دنيا بغير دين » ذهب الشيخ محمد عبد المطلب - الأستاذ فى كلية دار العلوم - إلى أن منشأ الفصل بين الدين والدنيا كان فى أوربا لظروف تتصل بالكنيسة والعداوة بين رجال الدين وزعماء الإصلاح الذين أشعلوا الحرب على الدين ، هذه الظروف لم يكن لها مثيل فى التاريخ الإسلامى حتى العصر الحديث [٣].

وهاجمت المجلة أنصار التجديد فى تركيا وبلاد الأفغان ومصر ، وأشار فكرى يس إلى أن حركة التجديد فى مصر يقتصر القائمون على أمرها فى نشر الآراء الخليعة وإذاعة

(١) الهداية الإسلامية ، جـ٥ ، م٢ ، شوال ١٣٤٨هـ .

(٢) الهداية الإسلامية ، جـ٢، م٤ ، رجب ١٣٤٩ هـ .

(٣) الهداية الإسلامية ، جـ٩ ، م٤ ، صفر ١٣٥١هـ ، وجـ١ ، م١ جمادى الآخرة ١٣٤٧ هـ .

الأفكار السيئة ، وتحبيذ أعمال المجون ، وتأييد دعاة الانحراف والتحول [1] ودعا إلى تضافر جهود العلماء والأمراء للقضاء على كل ما يصدر عن أصحاب هذه الدعايات المغرضة من الأضاليل والأكاذيب التى يلبسونها ثوب التجديد والإصلاح وهى منه براء ، وعلى سبيل المثال : الدعوة إلى تمصير اللغة العربية والآداب العربية ، التى ترمى إلى هدم قواعد اللغة العربية والاستعاضة عنها باللغة العامية الدارجة ، الخالية من قيود النحو والصرف والعروض والقوافى ، والتى تدل إما عن جهل أصحاب هذه الدعوة بالفصحى أو أنهم معاول هدم وتخريب للآداب العربية ولغة القرآن الكريم[2] ، أو أن المراد منها تمزيق الشعوب الإسلامية ؛ وذلك لأن اللغة العربية هى الرابطة الأولى التى تربط الشعوب الإسلامية بعضها ببعض ، وأن الدعوة إلى تركها أو استبدال غيرها بها قطع لهذه الرابطة [3] .

ولهذه الأسباب كان دفاع مجلة الهداية الإسلامية عن الفصحى وعلومها ، وحينما ذهب الدكتور طه حسين مندوبا إلى مؤتمر المستشرقين السابع عشر بجامعة أكسفورد ، وألقى هناك محاضرة بعنوان : « ضمير الغائب واستعماله اسم إشارة فى القرآن الكريم » ونشرت مجلة الرابطة الشرقية هذه المحاضرة ، انبرى الشيخ محمد الخضر حسين للرد على ما جاء فيها من أغلاط نحوية ، وما وقع فيه الدكتور طه حسين من عثرات تخالف القواعد النحوية المشهورة ، وأبرز الشيخ الخضر آراء النحويين فى الرد على طه حسين ، واشتمل هذا الرد على ٣٢ صفحة من صفحات الهداية الإسلامية [4] .

كذلك فندت الهداية الإسلامية ما ذهب إليه الدكتور طه حسين فى تعارض الدين مع العلم ، وأثبت الشيخ محمد عبد المطلب أنه ليس ثمة تعارض بين الدين والعلم ؛ لأن الدين الحق لا يتعارض مع العلم الصحيح ، فكلاهما يعملان على صلاح الدنيا وسعادتها[5] .

وإزاء هجوم التيار العلمانى على تقاليد المسلمين وعاداتهم ومعتقداتهم وانتشار صيحات التغريب والمتغربين فى مصر والتى تنادى أن الحياة الشرقية يجب القضاء عليها والاستعاضة عنها بحياة الغرب جملة وتفصيلا ، دعت الهداية الإسلامية إلى رفض هذا

---

(١) الهداية الإسلامية ، جـ٣، م١ ، شعبان ١٣٤٧ هـ ، مقال بعنوان : « حركات التجديد فى البلاد الإسلامية » لفكرى يس .

(٢) الهداية الإسلامية ، جـ١ ، م١ ، جمادى الآخرة ١٣٤٧ هـ .

(٣) الهداية الإسلامية ، جـ٢ ، م٤ ، رجب ١٣٤٩هـ .

(٤) الهداية الإسلامية ، جـ٢ ، م١ ، رجب ١٣٤٧هـ .

(٥) الهداية الإسلامية ، جـ١ ، م١ ، جمادى الآخرة ١٣٤٧ هـ .

التقليد الأعمى لعادات الغربيين ، وكان رأى الشيخ عبد الوكيل جابر ـ أحد أساتذة الأزهر المشهورين ـ أنه لا ضرر أن نأخذ عن الغرب ما فيه صلاح الأمة الإسلامية ؛ لأن الأمم يعلم بعضها بعضا ، وهذه أمور تقتضيها سنة الحياة ويؤيدها التطور التاريخى للحضارات ، ولكن بشرط ألا تنسلخ الأمة من عقيدتها ومبادئها وعاداتها ومظاهر قوميتها ، فالأمم على حد قوله : « تفنى إذا تنازلت عن شخصيتها وبهرها التقليد الأعمى » [(١)] .

وفى مقال آخر بعنوان : « مدنية أوربا الحاضرة وكيف وصلت إليها » أكد فيها وجهة نظره السابقة فى أن الأمم تأخذ عن بعضها ، مشيرا إلى أن أوربا مدينة بمدنيتها الحاضرة وتقدمها الباهر للشرق وعلمائه وبخاصة علماء العرب والإسلام ، ومن ثم فالأجدر بالمسلمين إحياء مجد الآباء والأسلاف والعمل على نبذ الخمول والكسل ، لا أن يرتمى المسلمون فى أحضان الغرب والأخذ عنه بلا تفرقة بين الصالح والفاسد ، والحسن والقبيح .

وقد دعت الهداية الإسلامية إلى الرجوع إلى الشريعة الإسلامية فى كل الأمور وترك القوانين الغربية ، وناشدت العلماء والحكام أن يعملوا على أن تكون القوانين فى مصر مستمدة من التشريع الإسلامى واستنكرت كل مظاهر الخروج عن الشرع الإسلامى فى العادات والسلوك والخلق وجميع أنماط الحياة .

وانتقد الشيخ محمد الخضر حسين بعض البدع والخرافات التى أدخلها المتصوفة فى الإسلام كالرقص فى حال الذكر ، واستعمال الآلات المطربة فى المساجد ، وتأويل بعض الآيات والأحاديث على وجوه توافق أذواقهم ومواجيدهم[(٢)] ، وكشف الشيخ السيد الطويل عن المفاسد التى تحدث أثناء الاحتفال بالمولد النبوى الشريف ، وموالد الأولياء ومظاهر البعد عن الدين فيها ، مما يتناقض مع ما تَحلَّى به أولياء الله من التقوى والعناية بصالح الأعمال [(٣)] .

ومن الأدوار البارزة لمجلة الهداية الإسلامية محاربة تبرج المرأة المسلمة وخروجها سافرة فى الأزقة والأسواق والمجتمعات ، ومهاجمة الحركة النسائية فى مصر ، والتى كانت تعقد المهرجانات النسائية ، التى تظهر فيها المرأة عارية الوجه والساقين فى مظهر غير إسلامى ، لأن الإسلام نهى عن التبرج والسفور ، والآيات القرآنية والأحاديث النبوية واضحة فى هذا الشأن ، فلا مبرر لتحبيذ السفور والدعوة إليه إلا الفرار من حدود هذا

---

(١) الهداية الإسلامية ، جـ٤ ، م١ ، رمضان ١٣٤٧ هـ .
(٢) الهداية الإسلامية ، جـ٢، م٢ ، رجب ١٣٤٨ هـ ، وجـ٥ ، م١ ، شوال ١٣٤٧ هـ .
(٣) الهداية الإسلامية ، جـ٣ ، م٣ ، شعبان ١٣٤٩ هـ .

الدين ، وإسلام العنان للنفس فى تطبيق قواعده حسب الأغراض والأهواء (١) .

وأسهمت الهداية الإسلامية مع غيرها من المجلات الإسلامية فى الدعوة إلى إصلاح التعليم فى الأزهر ، وتوجيه عناية وزارة المعارف إلى الاهتمام بالتعليم الدينى فى مدارس الحكومة ، وقدمت بعض الفتاوى الدينية فى المسائل الدينية المستحدثة ، كزكاة الأوراق النقدية ، وبعض المسائل الأخرى المتعلقة بالدين .

ومن القضايا المهمة التى أدت مجلة الهداية الإسلامية فيها دورا كبيرا قضية ترجمة القرآن الكريم ، فقد أثيرت هذه القضية بين علماء الدين أنفسهم وانقسموا إزاءها إلى ثلاث فرق ، فريق يرى جواز الترجمة الحرفية لنص القرآن العربى ، وفريق يرى ترجمة تفسير القرآن مع بقاء النص العربى ، وفريق يرى عدم جواز الترجمة مطلقا ، ويلاحظ أن الهداية الإسلامية أيدت الفريق الأخير على أساس أن الرسول ﷺ لم يفعل ذلك ، فلو كانت الترجمة جائزة لأمر الرسول سلمان أن يترجم القرآن بالفارسية ، وبلالا بالحبشية ، وصهيبا بالرومية ، ولكن الرسول ﷺ كان يكتب رسائله بالعربية ، ومن ثم لا تجوز ترجمة القرآن الكريم (٢) ، وسوف يتناول البحث هذه القضية بالتفصيل فى فصل خاص بها .

وفى إطار الدفاع عن الدين الإسلامى تصدت الهداية الإسلامية أيضا للرد على بعض الشبهات التى كانت تثار حول الدين الإسلامى ، والفرق الهدامة التى تنتسب إليه وهى تعمل على هدمه ، وقد تولى الشيخ صادق عرجون الحديث عن نشأة البابية والبهائية فى سلسلة مقالات نشرتها الهداية حول نشأة البابية والبهائية وكيفية انتشارها ، مشيرا إلى خروج هذه النحلة عن الإسلام ، فهى تنكر البعث والحشر والعقاب والقيامة واليوم الآخر ، وكشف عن زيف دعوتهم إلى توحيد الأديان وقال : « إنهم يريدون هدم الأديان لا توحيدها » (٣) .

وهكذا نرى أن أبرز الموضوعات والقضايا التى عالجتها مجلة الهداية الإسلامية يمكن ذكرها فيما يلى :

١ ـ التصدى لدعاة العلمانية والإلحاد ، والدفاع عن الأزهر وعلمائه ، ومواجهة النزعة التى ترمى إلى فصل الدين عن الدولة ، وبيان جهل أصحاب هذه النزعة بحقيقة

---

(١) الهداية الإسلامية جـ٤ ، م٣ ، رمضان ١٣٤٩ هـ ، و جـ ٤ ، م٢ ، رمضان ١٣٤٨ هـ ، و جـ٣ ، م١ ، شعبان ١٣٤٧ هـ .

(٢) الهداية الإسلامية ، جـ١١ ، م٣ ، ربيع الأخر ١٣٥٠ هـ ، و جـ٢ ، م١ ، رجب ١٣٤٧ هـ .

(٣) الهداية الإسلامية ، جـ٢ ، م٤ ، رجب ١٣٤٩ هـ ، و جـ٩ ، م٤ ، صفر ١٣٥١ هـ .

الإسلام وهدايته ، وكشف زيف الدعوات الخبيثة التى يدعو لها تيار التغريب فى مصر ، تحت ستار الإصلاحات الاجتماعية والنهضات الأدبية كالدعوة إلى تمصير اللغة العربية والأدب العربى ، والدعوة إلى السفور والاختلاط بين الجنسين وتقليد الحضارة الغربية بحسناتها وسيئاتها ، والفصل بين العلم والدين .

٢ ـ المشاركة فى الحركة الإصلاحية التى تهدف إلى إصلاح التعليم فى الأزهر والمدارس العمومية ، وإصلاح الطرق الصوفية ، والعمل على تنقية التصوف من البدع والخرافات كالرقص فى الذكر ، واستعمال آلات الطرب ، وغير ذلك مما لم يتسم به أصحاب رسول الله ﷺ ، وبيان زيف المذاهب الهدامة التى تنتسب إلى الإسلام وهى فى الحقيقة معاول هدم له كالبابية أو البهائية ، وغير ذلك من البحوث الإسلامية التى تتناول علاقة الإسلام بجميع شؤون الحياة وإسهامه فيها ، ودوره فى الرقى الاجتماعى والاقتصادى والسياسى ، والتصدى لأية شبهة تلقى حول الدين ، وما يوجه إليه من مطاعن .

٤ ـ صحيفة الشبان المسلمين

أنشأت هذه الصحيفة جمعيةُ الشبان المسلمين التى تأسست فى عام ١٩٢٧م ، كان على رأسها فى بداية إنشائها مجموعة من رجال الحزب الوطنى ، وهم الدكتور عبد الحميد سعيد ، والدكتور يحيى أحمد الدرديرى ، والشيخ عبد العزيز جاويش، وانضم إليها فيما بعد مجموعة من المفكرين وعلماء الدين والكتاب ، مثل : أحمد تيمور ومحب الدين الخطيب ، والدكتور على مظهر ، والدكتور محمد أحمد الغمراوى ، ومحمد الههياوى ، وعلى شوقى ، ومحمود محمد الخضرى ، ومحمود محمد شاكر ، وكمال اللبان ، ومصطفى محمود القياض ، وزكى القاضى، وعبد السلام هارون ، وعبد المنعم خلاف ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، وتوفيق أحمد ، وعبد الهادى أبو زيد وغيرهم .

وقد برزت هذه الجمعية كرد فعل يحقق رغبة الشباب المسلم المتحمس لدينه ، ومعهم الغيورون على الدين من ذوى العلم والمنزلة الاجتماعية ليمارسوا من خلالها الوعظ والإرشاد والتوجيه ، ومقاومة موجة الإلحاد والفساد التى عمت البلاد ، إضافة إلى ذلك النشاط التبشيرى الذى استفز مشاعر المسلمين فى مصر فى نهاية العشرينات ، وحوادث الخروج عن الدين ، وتهجم المبشرين على الإسلام من خلال ما يبثونه فى كتبهم وما ينشرونه فى مجلاتهم ورسائلهم ومحاضراتهم من نقد وتشويه وطعن لتعاليم الإسلام ورسوله ﷺ ، وخضوع المغرب العربى لهجمة استعمارية ودينية من قبل فرنسا ، ثم إعدام عمر المختار فى ليبيا[(١)]، كل ذلك أدى إلى خلق المناخ لإنشاء جمعية الشبان المسلمين ، وبعض المنظمات الإسلامية الشعبية الأخرى التى تعمل لخدمة الإسلام كجماعة الإخوان المسلمين وغيرها .

ذاع صيت جمعية الشبان المسلمين ولاقت إقبالا من الشباب المصرى المسلم المتمسك بدينه وانتشرت أيضا دعوتها بين شباب المسلمين خارج مصر ، ولم يمض وقت كبير حتى أصبح للجمعية فروع فى مصر وسوريا والعراق ،وبلغ عدد جمعياتها إلى عشرين جمعية فى أوائل الثلاثينات .

وحصرت الجمعية نشاطها من خلال بيان المساوئ الاجتماعية التى دعت إلى تجنبها ، والتى تمثلت فى الجهل المنتشر والتقليد لسيئات المدنية الغربية وتقصير الطائفة المتعلمة فى واجبها نحو محاربة البدع ، والتدهور الدينى والخلقي الذى هدم الأسرة، وهدد المجتمع

(١) عواطف عبد الرحمن : مصر وفلسطين ، مرجع سابق ، ص٧٩ .

بالفناء ، ورأت أن العلاج يكمن فى تعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية المباركة ، وأن الإسلام صالح لكل زمان ومكان ، ولا يقف فى سبيل التقدم والإصلاح والمدنية الحقة ، وقد عبر عن ذلك الدكتور يحيى الدرديرى فى مقالاته الافتتاحية بالمجلة قائلا : « القرآن الكريم هو مفتاح السعادة ، ويجب أن يحمله كل مسلم ويعمل بأوامره ، وينتهى عن نواهيه ، وقد ساد به المسلمون فى صدر الإسلام حينما أحلوا حلاله وحرموا حرامه ، وهلك المسلمون اليوم حينما تركوا أحكامه .. والقرآن الكريم جمع بين دفتيه جميع الحلول التى تتطلبها الإنسانية لتبرأ من أمراضها المستعصية » (١) .

ويمكن تلخيص أهداف جمعية الشبان المسلمين فيما يلى :

١ ـ إحياء المدنية الإسلامية ، وبعث الروح الإسلامية وعزة الإسلام بإعادة تشريعه وتطبيق أوامره ومراعاة آدابه ونواهيه .

٢ ـ مقاومة الإلحاد والإباحية التى استشرت بين الشباب فى مصر والعالم العربى .

٣ ـ السعى لتقوية الأمم الإسلامية بالمعارف والتواصل الذى يرفع مستواها العلمى والاقتصادى والاجتماعى .

٤ ـ بذل الجهد فى توثيق رابطة الإخاء بين جميع المسلمين ، وإزالة الجفاء والاختلاف بين طوائفهم وفرقهم، والدعوة إلى الجامعة الإسلامية الشاملة(٢) .

وقد أصدرت جمعية الشبان المسلمين العدد الأول من مجلة الشبان المسلمين فى جمادى الأولى ١٣٤٨هـ أكتوبر ١٩٢٩م ، مجلة إسلامية علمية تهذيبية ، تصدر مرة واحدة فى أول كل شهر عربى ، ورئيس تحريرها المسؤول الدكتور يحيى أحمد الدرديرى(٣) ، ويحررها نخبة من أعضائها ، وهى مجلة تتألف من ثمانين صفحة ،

---

(١) الشبان المسلمون ، جـ١ ، م٩ ، رجب ١٣٥٦ هـ ، أكتوبر ١٩٣٧ م .

(٢) أنور الجندى : يقظة الفكر العربى ، مرجع سابق ، ص٦٦ ، ٦٧ .

(٣) الدكتور يحيى أحمد الدرديرى : حصل على الدكتوراه فى الحقوق والليسانس فى العلوم السياسية من سويسرا وألمانيا ، ولما عاد إلى مصر انضم إلى الحزب الوطنى ، وعنى بالدراسات الإسلامية ، وأصبح من دعاة الإسلام ، واشترك فى إنشاء جمعية الشبان المسلمين وعمل مراقبا عاما لها ، وكان يكتب المقالات الافتتاحية لمجلة الشبان المسلمين ، وشارك فيها بمقالاته أيضا ، وقد تميز أسلوبه بالاعتدال ، والعمق والكتابة فى أناة ومعالجة المسائل دون عنف ، مستشهدا فى حلولها بآيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية وأقوال مشاهير المفكرين المسلمين والغربيين فيما يتعلق بالمسألة التى يعالجها ، وكان يؤمن بالحل الإسلامى لجميع ما تعانيه مصر من مشاكل .

انظر: محمد فتحى شعير: وسائل الإعلام المطبوعة لدى الإخوان المسلمين ،مرجع سابق، ص٢٠٠.

ضمت كل صفحة منها نهرا واحدا ، وكانت تطبع فى المطبعة السلفية لصاحبها محب الدين الخطيب .

إخراجها :

اتبعت المجلة فى طريقة إخراجها الطريقة المتبعة فى إخراج الكتب والتى تسمى الطريقة الأفقية ، ولم تستخدم الأعمدة ولا العناوين الفرعية ، وخلت من وسائل الإبراز والجذب الصحفى كالرسوم والصور والكاريكاتير وغيرها .

الغلاف :

كانت المجلة تحاط بغلاف من ورق مميز أحيانا باللون الأحمر وأحيانا بغيره من الألوان ، وتلجأ إلى وضع البيانات الخاصة بالمجلة وسط زخرفة إسلامية تدل على قبلة المسلمين ، وفى بداية كل جزء فهرست يضم الموضوعات المنشورة فيه .

يلى صفحة الغلاف الصفحة الأولى التى تقسم كما يلى : الربع الأعلى من الصفحة يكتب عليه شعار المجلة « مجلة الشبان المسلمين » مجلة إسلامية علمية تهذيبية وبيانات أخرى عن الإصدار والتحرير ، يلى ذلك « العنق » وهو الإطار الذى يوضع بداخله تاريخ العدد ورقمه ، أما القسم الباقى من الصفحة فخصص لمقالات المجلة الافتتاحية ، والتى كان يحررها فى الغالب الدكتور يحيى الدرديرى .

الإعلانات :

وقد خلا العدد الأول للمجلة من الإعلانات ،وبدأت منذ العدد الثانى لها تنشر بعض الإعلانات عن العيادات الطبية ، التى جعلت لأعضاء جمعية الشبان المسلمين امتيازا خاصا ، ثم توسعت بعد ذلك فى الإعلانات لتغطية نفقات المجلة التى كانت تربو على دخلها ، بالرغم من أن الذين يتولون تحرير المجلة لا يتقاضون أجرا أو مكافأة ، وكانت الخسارة تتحملها الجمعية من ميزانيتها الخاصة (١) .

كُتّاب المجلة :

تولى تحرير مجلة الشبان المسلمين طائفة من الكتاب الذين جمعوا بين الثقافة الدينية والثقافة العصرية ، وكانوا يرون أن الحل الصحيح لإصلاح حال المسلمين يتركز فى الرجوع إلى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، مع الأخذ من علوم العصر بما ينفع الأمة ويفيدها .

---

(١) الشبان المسلمون ، افتتاحية جـ٣ ، م٦ ، شعبان ١٣٥٣ هـ ، ديسمبر ١٩٣٤م .

ومن أبرز هؤلاء الكتاب : الدكتور يحيى الدرديرى ، والشيخ عبد الوهاب النجار ، والدكتور ابن أكثم ، وأحمد عبد الحميد المهندس ، وإبراهيم حسن خطاب، ومحمود حفنى ، وأحمد زكى ، وإبراهيم اللبان ، وأحمد عفت ، ومحمود فريد ، والشيخ حسن منصور ، ومحمد بك مظهر سعيد ، والسيد إسماعيل العطاس ، والشيخ عبد الرشيد إبراهيم ، والشيخ حسن البنا ، وعبد الكريم السكرى ، ومحمد جمال الدين ، والشيخ صالح الشهابى ، والشيخ محمد بخيت ، والشيخ محمد أحمد عثمان ، ومحمد الناغى، ومحمد أحمد الغمراوى، والشيخ محمد عبد المطلب ، ومحمد قدرى ، والدكتور عبد الحميد سعيد ، وعلى محمد شاكر ، والدكتور إبراهيم طنطاوى ، والدكتور محمد محفوظ ، ومحمد على علوبة باشا ، ومحمود غنيم .

ويلاحظ أن المجلة لم يكن لها هيئة تحرير ثابتة لتولى الكتابة فى المجلة ، وإنما كان هؤلاء الكتاب يرسلون بإنتاجهم ومقالاتهم دون مقابل من الأجر ، ومعظمهم كان من الأعضاء المنتسبين إلى جمعية الشبان المسلمين .

أسباب صدور المجلة وهدفها :

حدد الدكتور يحيى الدرديرى خطة المجلة وسبب صدورها فى أول عدد من صدورها تحت عنوان : « حاجتنا إلى الإصلاح ، مبدؤنا وخطتنا » وذكر أنه من الأسباب التى دعت إلى صدورها هى :

١ ـ الخلل والانحلال الذى أصاب الأمة الإسلامية فى حياتها الاجتماعية والضعف والوهن الذى طرأ عليها نتيجة للجهل المنتشر بين أفراد الأمة ، وتقليدنا لسيئات المدنية الغربية .

٢ ـ إهمال الفئة المتعلمة القيام بواجباتها نحو محاربة البدع والضلالات التى سرت فى جسم الأمة سريان الحمى فى جسم المريض دون أن تجد أدنى مقاومة .

٣ ـ فضلا عن ذلك كانت حركة التجديد أو التغريب وهجومها على الدين سبب فى صدور مجلة الشبان المسلمين ، فقد صرح الدكتور الدرديرى فى معرض الحديث عن صدور المجلة أن « التجديد أصبح سلاحا فى يد الضعفاء والأغرار ، يأتون به ما يأتونه من منكرات ، وما يذيعونه من سموم الإلحاد ، متنكرين للفضيلة التى هى قوام الأمة ، وأساس تقدمها الاجتماعى والاقتصادى ، مما أسهم فى تدهورنا الأخلاقى ، وتفكك أواصر الأسرة المسلمة » [1] .

---

(١) الشبان المسلمون ، جـ١ ، م١ ، جمادى الأولى ١٣٤٨ هـ ، أكتوبر ١٩٢٩ م .

هدف المجلة :

وكان من أبرز أهداف « الشبان المسلمين » :

١ ـ معالجة العلل والأمراض الاجتماعية التى تفشت فى الأمة المصرية والدعوة إلى التخلق بأخلاق القرآن الكريم وآدابه ، فهو كتاب يدعو إلى جماع الفضائل فى أعلى مراتبها وذلك لعدة أسباب :

أ ـ أدب القرآن مؤسس على الدعوة إلى الصلاح والعمل لخير الجميع .

ب ـ أدب القرآن قائم على حرية العلم والفكر وهما أساس النهضة الصحيحة.

جـ ـ أدب القرآن يدعو إلى التسامح ، وارتباط الإنسانية بعضها ببعض (١) .

٢ ـ أعلنت « الشبان المسلمين » أنها لن تخوض فى السياسة والصراعات الحزبية ومشاكلها (٢) ، غير أنه من خلال الممارسة العملية تطرقت إلى بعض القضايا التى تمس الشؤون السياسية ولا سيما فيما يتصل بالعقيدة الإسلامية ، كطرح مسألة تطبيق الشريعة الإسلامية ، وفكرة الخلافة الإسلامية ، والتنديد بسياسة الإنجليز فى فلسطين والسياسة الفرنسية فى المغرب العربى .

وقد أحدث صدور مجلة « الشبان المسلمين » صدى واسعا لدى الصحف الإسلامية المعاصرة ، ولاقت ترحيبا وإقبالا من الأوساط الصحفية والإسلامية ، ومنذ صدور العدد الأول لها قرظتها « الفتح » وعرضت لما نشرته فى عددها الأول، مشيرة إلى أنها لم تقتصر على الأمور الأدبية وحدها بل جاءت شاملة لكل ما ليس للشباب المسلم غنى عنه، من دين وأدب وعلم وفن وتراجم وأنباء ، فمن مقال للأستاذ الشيخ عبد الوهاب النجار فى سيرة سيد المرسلين ، إلى محاضرة للعلامة أحمد زكى باشا عن هيكل سليمان ، ومن بيان منشأ التعاون وعمله فى الإصلاح ، إلى الكلام عن مصر الاقتصادية ومكانتها فى العالم ، إلى ذكر الحركة الفكرية فى المغرب الأقصى ، إلى علم النفس وأثره فى الشفاء من بعض الأمراض (٣) .

اهتمامات المجلة فى فترة صدورها :

كان فى مقدمة اهتمامات الشبان المسلمين فى مرحلة ما بين الحربين : التصدى لدعاة

---

(١) العدد السابق نفسه .

(٢) الشبان المسلمون ، جـ٨ ، م٣ ، ذو الحجة ١٣٥١ هـ ، مايو ١٩٣٢ م .

(٣) الفتح ، عدد ١٦٧ ، جمادى الأولى ١٣٤٨ هـ ، ٣ أكتوبر ١٩٢٩م .

التغريب والعلمانية ، الذين ينادون إلى اقتباس كل ما أتى به الغرب من نظم وطرائق فى كل مرافق الحياة وأنماطها ، ومن أبرز من تصدى لتلك الوجهة على صفحات الشبان المسلمين الدكتور يحيى الدرديرى الذى انتقد هذا المسلك وتلك النظرة ؛ لأن فى النظم الغربية - برغم تقدمها العلمى والصناعى - ما لا يتفق مع الروح الإسلامية والشرقية ، ورأى أن أولى خطوات الإصلاح ونهضة المسلمين تكمن فى إيقاظ الروح الإسلامية التى قوامها الفضيلة وغايتها العمل الصالح ، فالإسلام يدعو إلى خير الأعمال وأرقى الأخلاق، ويعمل على نشر السلام وكل ما يتوقف عليه سعادة الأمم الإسلامية [1] .

وليس الأمر - كما يزعم المتفرنجون وأنصار العلمانية - أن سبب تأخر المسلمين يرجع إلى تمسكهم بدينهم ، وأن صلاحهم لا يأتى إلا بترك اعتناق هذا الدين ، وقد أثارت هذه المقولة أنصار الاتجاه الإسلامى ، والغيورين على الدين ، وانبرى الدكتور عبد الحميد السكرى - من جمعية الشبان المسلمين - يفند هذه الشائعة الزائفة ، مبينا أن تأخر المسلمين الحالى لا يرجع إلى نقص فى الشريعة الإسلامية ، أو إلى مبادئ الدين الإسلامى وأصوله ، بل يرجع إلى عدم تطبيق المسلمين مبادئ الإسلام ونظمه الرشيدة وأصوله الصحيحة التى جاءت فى القرآن الكريم والسنة النبوية المباركة فى سلوكهم وأعمالهم[2] .

ومضت المجلة توضح ضرورة الدين للفرد وأنه جاء لسعادة الإنسان وأن موجة الإلحاد لا تستقر ؛ لأنها بمثابة « غشاوة تحجز بصر الشخص الملحد عن النفاذ إلى التوحيد وحلاوته ، وأن دعوى حرية الرأى التى يتمسك بها الطاعنون فى الدين الإسلامى دعوى غير صحيحة ، ولا ينبغى للمسلمين أن يتركوا هؤلاء الملحدين تحت اسم هذه الدعوى يطعنون فى دينهم وسلوكهم وشريعتهم » [3] وذكر الأستاذ محمد الغمراوى « أن هذا إثم كبير يتحمله المسلمون ، وهو كاف وحده لتعريضهم لغضب الله » [4] .

وأقام الدكتور يحيى الدرديرى الأدلة على فساد دعوة القائلين بتقليد المرأة الشرقية المسلمة للمرأة الغربية فى الخروج إلى العمل ، وذلك من خلال مشاهداته لحال المرأة الأوربية ، وما تعيش فيه من بؤس مادى ومعنوى ، وشن الدكتور الدرديرى حملة شعواء على الذين يطالبون بمساواة المرأة بالرجل فى الميراث وخاصة سلامة موسى الذى قاد

---

(١) الشبان المسلمون ، جـ٢ ، م١ ، جمادى الآخرة ١٣٤٨ هـ ، نوفمبر ١٩٢٩ م .

(٢) الشبان المسلمون ، جـ١ ، م٢ جمادى الأولى ١٣٤٩ هـ ، أكتوبر ١٩٣٠ م ، مقال : « المقياس الخلقى فى الإسلام » .

(٣) الشبان المسلمون ، جـ٧ ، م٩ ، صفر ١٣٥٧ هـ ، أبريل ١٩٣٨م « إفلاس الملحدين » لمرسى على نوفل .

(٤) الشبان المسلمون ، جـ٨ ، م٩ ، ربيع الآخر ١٣٥٧ هـ ، يونيه ١٩٣٨ م .

الهجوم ضد الشريعة الإسلامية فى السياسة الأسبوعية تحت عنوان : « النهضة النسائية فى مصر تحتاج إلى المطالبة بالمساواة الاقتصادية » ، وتحت عنوان آخر : « النهضة والميراث»[1] انبرى كذلك للرد على سلامة موسى الشيخ أحمد إبراهيم - أستاذ الشريعة فى كلية الحقوق بالجامعة المصرية ، وعضو مجلس إدارة جمعية الشبان المسلمين - مبينا أنه ليس من حق سلامة موسى كقبطى الحديث فى مسألة تخص المسلمين ، فهذا تدخل لا مبرر له ، وربما أثار فتنا لا تحمد عقباها بين المسلمين والأقباط [2] .

كذلك استنكرت مجلة الشبان المسلمين هجوم الكتاب الغربيين والأقباط على الدين الإسلامى لإباحته تعدد الزوجات ، وأجلت حكمة التعدد فى الإسلام ، وأن الإسلام أباح التعدد بشرط العدل ، وأمر بالاقتصار على واحدة عند الخوف من عدم تحقيق العدالة بين الزوجين [3] . وأتى الدكتور الدرديرى بطائفة من الاستشهادات من أقوال الكتاب الغربيين أنفسهم الذين كتبوا عن فوائد التعدد فى إصلاح الهيئة الاجتماعية والمجتمع الإنسانى كله [4] ، وربما كانت هذه الاستشهادات رغم كفاية الأدلة التى أبرزها من الكتاب والسنة وأقوال الفقهاء مبعثها الرد على المتفرنجين والمقلدين للغرب الذين ينادون بالاقتصار على زوجة واحدة .

وفى إطار الحملة على الإسلام وتعاليمه من جانب المتفرنجين والملحدين رمى النبى ﷺ بأنه شهوانى وذلك لتعدد أزواجه ﷺ ، وانبرى للرد على هذه الفرية أيضا الدكتور الدرديرى ، مبينا الأسباب التى دعته ﷺ إلى الجمع بين أكثر من واحدة ، وحكمة هذا الجمع ، مشيرا إلى أن الرسول ﷺ قد تزوج نساءه وهو فى سن الشيخوخة لأسباب خاصة بدعوته لا طمعا فى لذة أو استمراء لشهوة ؛ لأن هذا الزواج حدث بعد أن دخل الرسول ﷺ فى الخمسين من عمره ، مما ينفى عنه تهمة التعدد من أجل الشهوة [5] .

فضلا عن ذلك ، أعلنت مجلة الشبان المسلمين الحرب على السفور ، وظهور النساء

---

(١) الشبان المسلمون جـ٥ ، م١ ، رمضان ١٣٤٨ هـ ، فبراير ١٩٣٠م « أثر المرأة وما يجب أن يكون عليه » للدكتور يحيى الدرديرى ، و ج١ ، م١ ، مقال بعنوان : « المرأة والميراث فى الإسلام مع مقارنته ببعض الشرائع » شوال ١٣٤٨ هـ ، مارس ١٩٣٠ م .

(٢) الشبان المسلمون ، جـ٧ ، م١ ، ذو القعدة ١٣٤٨ هـ ، أبريل ١٩٣٠م .

(٣) الشبان المسلمون ، جـ٧ ، م٢ ، ذو القعدة ١٣٤٩ هـ ، أبريل ١٩٣١ م .

(٤) الشبان المسلمون ، جـ٢ ، م٦ ، رجب ١٣٥٣هـ ، نوفمبر ١٩٣٤ م .

(٥) الشبان المسلمون ، جـ٣ ، م٦ ، شعبان ١٣٥٣ هـ ، ديسمبر ١٩٣٤ م .

عاريات فى المصايف ، والاختلاط بين الجنسين فى المصايف ، والنوادى وأماكن التعليم ولاسيما فى الجامعة المصرية ، وناشدت وزير الداخلية نسيم باشا أن يصدر قرارا يمنع الاختلاط فى المصايف وغيرها (١) .

ومضت المجلة تحارب كل المظاهر السلبية فى المجتمع المصرى ، ومظاهر الخروج عن الدين الإسلامى ، بغية تحقيق الإصلاح الدينى والخلقى والاجتماعى ، الذى تهدف إليه ، ومن هنا كان هجومها على الخمر والحشيش وغيره من السموم البيضاء ، وبيان آثارها المدمرة والخطيرة على صحة الفرد والمجتمع ، ووجهت الأنظار إلى أن الغرب أخذ ينتبه إلى مضار الخمور ، وكان ذلك نتيجة للأبحاث العلمية التى قدمت فى هذا المجال (٢) .

وشاركت الشبان المسلمون أيضا فى محاربة أنصار البغاء ، ومشايخ الطرق الصوفية الذين يقولون بالتوسل والوسيلة ويتمسحون بالقبور ويستغيثون بأهلها ، محتجين على ذلك ببعض الأحاديث الموضوعة التى لم يقرها أحد العلماء ولم ترد فى كتب الأحاديث الصحيحة (٣) . وشددت النكير على عادة « الزار » التى انتشرت فى المجتمع المصرى حينذاك ولا سيما فى الريف ، واعتقاد الناس أن الزار له القدرة على إخراج الشياطين من جسم الإنسان ، وبين الشيخ محمد أمين محرز خطأ هذا التصور ، وذهب إلى أن الزار عادة مصرية قديمة لها ارتباط بعقائد الفراعنة المصريين القدماء (٤) .

وقد عنيت المجلة بشرح قواعد الدين الإسلامى ، وتفقيه الناس فى أمور دينهم، فضلا عما كانت تنشره من موضوعات عن الثقافة العامة فى شتى نواحى الحياة ، يتضح ذلك من عناوين المقالات والمحاضرات التالية : رعاية الطفل ، الغزل والنسيج(٥) ، المنسوجات المعدنية ، عمر الأرض(٦)، الحصانة الخلقية (٧) وكانت المحاضرات

---

(١) الشبان المسلمون ، جـ١ ، م٧ ، جمادى الآخرة ١٣٥٤ هـ ، أكتوبر ١٩٣٥م ، مقال بعنوان : « الاختلاط فى المصايف » و جـ٨ ، م٨ ، صفر ١٣٥٦ هـ ، مايو ١٩٣٧م ، مقال بعنوان : « أفلست المرأة ومعها الرجل أفلس » للدكتور يحيى الدرديرى ، و جـ٨ ، م٧ ، صفر ١٣٥٥ هـ ، مايو ١٩٣٦ م .
(٢) الشبان المسلمون ، جـ١١ ، م١ ، ربيع الأول ١٣٤٩هـ ، أغسطس ١٩٣٠ م .
(٣) الشبان المسلمون ، جـ١ ، م٣ ، جمادى الأولى ١٣٥٠ هـ ، أكتوبر ١٩٣١ م .
(٤) الشبان المسلمون ، جـ٢ ، م٣ ، جمادى الآخرة ١٣٥٠هـ ، نوفمبر ١٩٣١م مقال بعنوان : « تاريخ الزار » .
(٥) الشبان المسلمون ، جـ٤ ، م١ ، شعبان ١٣٤٨ هـ يناير ١٩٣٠م .
(٦) الشبان المسلمون ، جـ٥ ، م١ ، رمضان ١٣٤٨ هـ ، فبراير ١٩٣٠م .
(٧) الشبان المسلمون ، جـ٩ ، م١ ، محرم ١٣٤٩ هـ ، يونيه ١٩٣٠م .

المحاضرات التى تلقى فى نادى جمعية الشبان المسلمين وتنشرها المجلة ، ذات أثر طيب فى تفقيه الجماهير وإرشادهم ، وتكوين رأى عام تجاه القضايا الإسلامية المختلفة ، وكان يلقى هذه المحاضرات كبار المفكرين فى العالم الإسلامى ، وتتناول هذه المحاضرات كل ألوان الثقافة ، من دينية وتهذيبية وخلقية وغيرها . وهذه نماذج مما ألقى فى الجمعية من محاضرات :

١ ـ الإسلام دين حضارة ومدنية للأستاذ مختار المهندس .

٢ ـ قبائل البقارة السودانية للأستاذ عبد الحميد محمود السكندرى .

٣ ـ الدعوة المحمدية والقتال فى الإسلام للشيخ محمود شلتوت .

٤ ـ الشباب وأثره فى حاضر الأمة ومستقبلها للأستاذ أحمد كامل عفيفى .

٥ ـ حالة المسلمين فى الهند لمحمد يعقوب .

٦ ـ الإسلام والمسيحية للمسلم الهولندى فان يتيم محمد على .

وكانت الشبان المسلمون تعقد بابا خاصا عن عظماء الرجال فى العالم من مفكرين ومخترعين وباحثين وعلماء وغيرهم ، وأفردت المجلة بابا يعنى بالكشف عن الأحاديث الموضوعة والأسباب التى تؤدى إلى وضع الأحاديث والغرض من وضعها وبيان خطورتها، مع تقديم نماذج للأحاديث الموضوعة ، كذلك قدمت المجلة تفسير بعض آيات القرآن الكريم ،وتولى تفسير القرآن الشيخ حسن منصور من علماء دار العلوم ، فضلا عن أنه كان يتولى الرد على الفتاوى التى ترد إلى المجلة من القراء ، ودأبت الشبان المسلمون على الدعوة إلى التمسك بالدين ، والاعتصام بما جاء من مكارم الأخلاق والأخذ بسنته الخالدة، والمطالبة بإصلاح القضاء على أساس إسلامى ونبذ القوانين المستوردة ، والمحاكم المختلطة والامتيازات الأجنبية فى الديار المصرية ، وتطوير الآراء الفقهية بما يتلاءم مع العصر ، وفى ضوء القواعد الأساسية للإسلام ، والتأكيد على عروبة مصر ، ومحاربة الدعوات الانفصالية التى تهدف إلى عزل مصر عن العالمين الإسلامى والعربى[1] .

وفى مجال إصلاح التربية والتعليم أسهمت الشبان المسلمون بقدر كبير ونشرت سلسلة مقالات بعنوان : « أخطاء التعليم وكيف نربى شبابنا » للشيخ حسن محمود علم

(١) الشبان المسلمون ، جـ١ ، م٧ ، جمادى الآخرة ١٣٥٤ هـ ، أكتوبر ١٩٣٥م ، سلسلة مقالات بعنوان : مآسى العلماء فى ساحة القضاء ، و جـ١ ، م٥ ، ربيع أول ١٣٥٣ هـ ، يوليو ١٩٣٤م المحاكم المختلطة والامتيازات الأجنبية : كلمة الدكتور عبد الحميد سعيد فى مجلس النواب ، الشبان المسلمون ، و جـ٢ ، م٢، نوفمبر ١٩٣٠م .

الدين ، وجه فيها القائمين على أمور التعليم فى مصر إلى العناية بالواجبات الدينية ، وتزويد الطلاب بالأخلاق الفاضلة وقوة الشخصية ، وبعث النشاط العملى والقدرة على الابتكار ودقة الملاحظة وحب الاستطلاع ، وربط التعليم بأمور الحياة الدنيوية (١) .

وكتب الشيخ حسن البنا ينادى بالاهتمام بالتربية الدينية الإسلامية، موضحا أثرها فى حياة الأفراد والأمم(٢) ، وناشد وزارة المعارف أن تولى التعليم الدينى والتربية الإسلامية من الاهتمام اللائق بأثره فى تهذيب النفوس ، وإعطاء التاريخ الإسلامى واللغة العربية قدرا من العناية فى مناهج التعليم والاهتمام بالجانب الخلقى التهذيبى لدى الطلاب (٣) .

ودعا الدكتور الدرديرى إلى تدريس العلوم باللغة العربية فى المدارس المصرية ، بحيث تحل محل اللغة الأجنبية ، وتصدى للرد على الذين يتهمون العربية بالقصور أو عدم الوفاء بمتطلبات العصر والعلوم العصرية والأفكار المستحدثة (٤) .

وفى العشرينات من هذا القرن ازدادت حدة حركة التبشير فى مصر وهجومها على الدين الإسلامى ، وظهرت بعض حوادث الخروج عن الدين الإسلامى ، وعقد المبشرون عدة مؤتمرات كانت أهدافها ترمى إلى تنصير المسلمين ، والعمل على هدم الدين الإسلامى فى البلاد بإيعاز وتأييد من حكومات الغرب الاستعمارية ، ويلاحظ أن مجلة الشبان المسلمين قد أبلت بلاء حسنا فى التصدى لهذه الهجمة التبشيرية ، وخصصت معظم صفحاتها لبيان مخططات المبشرين والكشف عن أساليبهم ، وكتب الدكتور يحيى الدرديرى مشيرًا إلى أن الدول الاستعمارية اتخذت طرقا عديدة لمحو الإسلام وإضعاف المسلمين كان فى مقدمتها الوسائل التالية :

١ ـ بناء مدارس للتبشير فى البلاد الإسلامية .

٢ ـ تأسيس مستشفيات للاستحواذ على فقراء مرضى المسلمين بهدف العلاج .

٣ ـ إرسال بعثات تبشيرية تجوب آفاق البلاد الإسلامية مؤيدة بالحكومات الغربية ومحمية بالامتيازات الأجنبية .

٤ ـ مناصرة فكرة الإلحاد ونشرها بين الطبقات المتعلمة من المسلمين والشرقيين .

٥ ـ ترويج الجرائد والمجلات الخليعة بين الشبان والشابات المسلمات .

---

(١) الشبان المسلمون ، جـ٩ ، م٥ ، صفر ١٣٥٣ هـ ، يونيه ١٩٣٤ م ، و جـ١٠ ، م٥ ، ربيع أول ١٣٥٣ هـ ، يوليو ١٩٣٤م .

(٢) الشبان المسلمون ، جـ٢ ، م٢ ، جمادى الآخرة ١٣٤٩ هـ ، نوفمبر ١٩٣٠م .

(٣) الشبان المسلمون ، جـ١ ، م٢ ، جمادى الآخرة ١٣٤٩ هـ ، أكتوبر ١٩٣٠ م .

(٤) الشبان المسلمون ، جـ٤ ، م١ ، شعبان ١٣٤٨ هـ ، يناير ١٩٣٠ م .

٦ ـ نشر المواد المخدرة لإضعاف القوة الحيوية فى الشعوب الإسلامية .

٧ ـ إرسال بعثات تعليمية إلى البلاد الغربية بدعوي تعليمهم والحقيقة أنها لتنصيرهم[١] .

وأشارت الشبان المسلمون أيضا إلى أن المبشرين يستغلون فى تنصير المسلمين طريقة التنويم المغناطيسى ، وأثيرت حادثة من هذا النوع فى مجلس النواب واستغلتها المجلة للتشهير بالمبشرين ، والجامعة الأمريكية بالقاهرة التى اتهمتها بأنها المركز الرئيسى للتبشير فى مصر[٢] ، ونشرت نص البرقية التى رفعتها جمعية الشبان المسلمين إلى رئيس مجلس الوزراء ، للاحتجاج على المبالغ المدفوعة لحكومة السودان ، تحت اسم نفقات قوة الدفاع وكشفت عن حقيقتها ، بأنها لمساعدة الإرساليات التبشيرية فى السودان ، ودعت الأزهر الشريف أن يهتم بإرسال الدعاة إلى تلك المناطق لنشر الدعوة الإسلامية وذلك لمواجهة المبشرين [٣] .

وهكذا حفلت أعداد الشبان المسلمين بالدعوة إلى مناهضة المبشرين ومقاومتهم وتحذير المسلمين من الوقوع فى براثن شباكهم ، والكشف عن خططهم وأساليبهم ، كذلك استنكرت السياسة التى اتبعتها فرنسا فى تنصير بلاد المغرب العربى ومحاولاتها المستمرة لتغيير العادات والتقاليد الإسلامية بغية قطع الصلة بين المسلمين وأصول دينهم وجذورهم العربية ، وحذرت من هذا الخطر القادم من بلاد الإفرنج للسيطرة على مقدرات الأمة الإسلامية [٤] .

ومن القضايا المهمة التى أولتها مجلة الشبان المسلمين قدرا كبيرا من العناية والرعاية والمتابعة المستمرة والمتصلة قضية فلسطين ، فقد أفردت لها صدر صفحاتها ، ولا نكون مبالغين فى القول إذا قلنا : إنه لا يكاد يخلو عدد من أعداد الشبان المسلمين من الحديث عن هذه القضية التى احتلت مكانا بارزا فى مواد المجلة التحريرية ، وأضحت الشغل الشاغل لجمعية الشبان المسلمين ومجلتها [٥] .

واعتادت الشبان المسلمون على أن تنشر فى كل عام نتائج اجتماعات جمعية الشبان المسلمين التى تعقد بمناسبة ذكرى وعد بلفور ، واحتجاجات الجمعية على هذا الوعد المشؤوم واقتراحات أعضائها لمساعدة الفلسطينيين ، ورفع العرائض إلى ملوك ورؤساء

---

(١) الشبان المسلمون ، جـ٩ ، م٢ ، محرم ١٣٥٠ هـ ، يونيه ١٩٣١ م .

(٢) الشبان المسلمون ، جـ٨ ، م٣ ، ذو الحجة ١٣٥١ هـ ، مايو ١٩٣٢ م .

(٣) الشبان المسلمون ، جـ٥ ، م٨ ، ذو القعدة ١٣٥٥ هـ ، فبراير ١٩٣٧ م .

(٤) الشبان المسلمون ، جـ١ ، م٢ ، جمادى الأولى ١٣٤٩ هـ ، أكتوبر ١٩٣٠ م .

(٥) الشبان المسلمون ، جـ١ ، م٣ ، جمادى الأولى ١٣٥٠ هـ ، أكتوبر ١٩٣١م ، وجـ٣ ،م٢ ،شعبان ١٣٥٢هـ، ديسمبر ١٩٣٣م .

البلاد الإسلامية وحكومات أوربا وعصبة الأمم لهذا الغرض [١] .

وقد دافعت الشبان المسلمون عن أحقية المسلمين والعرب فى البراق الشريف ، واستنكرت الاعتداءات اليهودية على مكان البراق ، وحذرت من عاقبة هذه الفتنة التى أثارها اليهود ، ومن مجىء الصهاينة إلى فلسطين ، ومن الهجرات المتزايدة التى تشكل خطرا على قضية فلسطين ، ونوهت بخطورة بيع الفلسطينيين لأراضيهم إلى اليهود [٢] .

ومضت تؤيد الحركة الوطنية الفلسطينية فى المؤتمرات والمحافل الدولية، وتنشر بياناتها واحتجاجاتها على الاعتداءات اليهودية، وسلبية الحكومة الفلسطينية[٣]. ودعا الدكتور يحيى الدرديرى على صفحات مجلة الشبان المسلمين إلى الجهاد الإسلامى المقدس لإغاثة الفلسطينيين، ونعى على المسلمين تقاعسهم ونكوصهم عن نصرة إخوانهم الفلسطينيين[٤].

وهكذا نرى أن الشبان المسلمين لم تتوان عن خدمة القضية الفلسطينية فى شتى جوانبها ، وتقديم العون والمساعدة لقضايا العالم الإسلامى فى المغرب العربى .

وبعد هذا العرض لما قدمته مجلة الشبان المسلمين فى فترة صدورها حتى قيام الحرب العالمية الثانية ، نستطيع أن نوجز أبرز ما اهتمت به خلال تلك الفترة فيما يلى :

١ ـ الرد على دعاة التغريب والعلمانية ، وتسفيه أقوالهم والكشف عن زيفها ، ومقاومة ما تنشره الصحف العلمانية فى مصر ، والاهتمام بالموضوعات المتصلة بالمرأة ورفض دعوى السفور والاختلاط بين الجنسين ودعوى مساواة الرجل بالمرأة فى الميراث ، ومحاربة كل مظاهر الخروج عن الدين الإسلامى والمظاهر السلبية فى المجتمع المصرى ، والمشاركة فى الإصلاح الدينى والاجتماعى والخلقى ، ومحاربة الهجمة التبشيرية على مصر والتصدى للمبشرين .

٢ ـ الاهتمام بالحركات السياسية والفكرية فى كل أقطار العالم الإسلامى ، والدعوة إلى تعاون الشرقيين عامة والمسلمين خاصة للقيام بالمشاريع الاقتصادية والاجتماعية حتى تلحق الأمة الإسلامية بركب الحضارة العالمية .

٣ ـ الاهتمام بقضية فلسطين على وجه الخصوص واستنكار الاعتداءات اليهودية على البراق الشريف ، وتأييد الحركة الوطنية الفلسطينية ، فضلا عن قضايا المسلمين بالخارج .

---

(١) الشبان المسلمون ، جـ٥ ، م٥ ، شوال ١٣٥٢ هـ ، فبراير ١٩٣٤م .
(٢) الشبان المسلمون ، جـ١ ، م١ ، جمادى الأولى ١٣٤٨ هـ ، أكتوبر ١٩٢٩م .
(٣) الشبان المسلمون ، جـ١ ، م٣ ، جمادى الأولى ١٣٥٠هـ ، أكتوبر ١٩٣١م .
(٤) الشبان المسلمون ، جـ١٠ ، م٧ ، ربيع الآخر ١٣٥٥ هـ ، يوليو ١٩٣٦ م .

٥ ـ صحيفة نور الإسلام « الأزهر »

صدرت صحيفة نور الإسلام عن الجامع الأزهر ، وهى أول صحيفة يصدرها الجامع الأزهر فى مصر بعد صحيفة المؤتمر الإسلامى التى لم تستمر فى الصدور ، فقد صدر العدد الأول منها فى أكتوبر ١٩٢٤م ، ثم صدر منها خمسة أعداد أخرى خلال عامى ١٩٢٥ ، ١٩٢٦ م .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الأزهر قد أدى دورا كبيرا فى نهضة الصحافة الإسلامية فى مصر ، فقد حمل الأزهر لواء الصحافة الإسلامية فى مصر ، وحماية الفكر الإسلامى واللغة لعربية ، ومقاومة النفوذ الأجنبى ، برغم الكثير من العقبات التى أقامها النفوذ الاستعمارى فى وجه الأزهر ، حتى لا يكون عاملا مؤثرا فى الحياة الاجتماعية والفكرية فى مصر والأمة العربية والعالم الإسلامى ، وقد قدم الأزهر إلى الحياة الفكرية المصرية عديدا من الأعلام والقادة فى مختلف النواحى السياسية والصحفية والعلوم والآداب (١) . وكان معظم محررى الصحف من علماء الأزهر ، حتى يمكن القول إنه خلال الفترة السابقة لظهور الجمعيات والهيئات الإسلامية التى تشكلت فى العشرينات والثلاثينات من هذا القرن كان الأزهر وحده هو حامل لواء الثقافة الإسلامية والعربية ، والمدافع عن الفكر الإسلامى فى الصحافة ، ومنابر التوجيه الأخرى .

ولما رأي الأزهر أن الساحة الفكرية فى مصر تموج بتيارات عديدة فى مختلف الأغراض والاتجاهات ، منها ما كان يقدم آراء تتعارض مع الفكر الإسلامى ، ومنها ما حاول أن يدلى بدلوه فى القضايا الإسلامية والفكرية من منظور إسلامى ، وتنوعت الصحف التى تمثل كل اتجاه من هذه الاتجاهات ، رأى الأزهر أن تكون له صحيفة تنطق باسمه ، وظهرت صحيفة الأزهر باسم « نور الإسلام » مجلة دينية علمية خلقية تاريخية حكمية ، تصدرها مشيخة الأزهر فى كل شهر عربى ، وتطبع بمطابع المعاهد الدينية الإسلامية ، وصدر أول عدد منها فى محرم ١٣٤٩ هـ ، يونيه ١٩٣٠م ، ورأس تحريرها الشيخ محمد الخضر حسين .

أسباب صدور المجلة وهدفها :

صرح الشيخ محمد الخضر حسين ـ رئيس التحرير ـ أن أسباب صدور هذه المجلة هو :

١ـ تعرض الدين الإسلامى للهجوم من قبل طائفة الملحدين والعلمانيين الذين ناصبوا

(١) أنور الجندى : يقظة الفكر العربى ، مرجع سابق ، ص٧٤ ، ٧٥ .

الإسلام العداء فى الصحف والمجلات ، وفيما يصدرون من مؤلفات .

٢ ـ الذود عن حمى الشريعة الإسلامية ، وتقرير حقائق الدين على وجهها الصحيح، ومواجهة نشاط البعثات التبشيرية فى مصر ، والعمل على هداية الناس وإرشادهم إلى الحق ، والدعوة إلى الله بالتى هى أحسن .

وهذا ما جعل مشيخة الأزهر تعنى بإصدار صحيفة تنطق باسم الأزهر ، وقد عرض عبد العزيز بك مدير المجلة الاقتراح على المجلس الأعلى للمعاهد الدينية ، فعهد إليه بوضع تقرير فى مشروع هذه المجلة ، وفى ٨ محرم ١٣٤٦ هـ ، ٢٧ يوليو ١٩٢٧ م عرض هذا التقرير على المجلس ، وتشكلت لجنة من أصحاب الفضيلة المدير العام للمعاهد الدينية الشيخ أحمد هارون ، وشيخ معهد الإسكندرية الشيخ محمد عبد اللطيف الفحام، ووكيل الجامع الأزهر ، وشيخ معهد طنطا الشيخ عبد الغنى محمود ، وقدمت هذه اللجنة نتيجة البحث للمجلس ، ثم أدرج مبلغ للإنفاق على هذه المجلة فى ميزانية عام ١٩٢٩م ، ولم تظهر المجلة إلا فى عام ١٩٣٠م ، حينما أسندت مشيخة الأزهر إلى الشيخ محمد أحمد الظواهرى [1] .

هدف المجلة :

١ ـ نشر آداب الإسلام وإظهار حقائقه نقية من كل لبس .

٢ ـ الكشف عما ألصق بالدين من بدع ومحدثات .

٣ ـ التنبيه على ما دس فى السنة من أحاديث موضوعة .

٤ ـ دفع الشبه التى يحوم بها مرضى القلوب على أصول الشريعة الإسلامية .

٥ ـ العناية بسير العظماء من رجال الإسلام .

٦ ـ نشر المباحث القيمة فى العلوم والآداب .

٧ ـ لا تتعرض المجلة للشؤون السياسية أو مهاجمة الأديان أو الطعن فى رجال الدين والتعريض بهم .

٨ ـ تبتعد عن إثارة الفتن بين أبناء الوطن الواحد .

وقد قوبل صدور مجلة نور الإسلام من الجماهير القراء العريضة بفرحة غامرة ، عبروا عنها من خلال البرقيات التى وصلت إلي إدارة المجلة ، سائلين فيها الله أن يبدد بها ظلمات الشبهات التى أحاطت بالمسلمين . ونوه رشيد رضا بشأن هذه المجلة قائلا :

---

(١) نور الإسلام ، جـ١ ، م١ ، محرم ١٣٤٩ هـ .

«فوجود مجلة لمعهد الجامع الأزهر أمنية قديمة لنا ولكثير من مفكرى المسلمين ومحبى الإصلاح للعمل على نشر الإسلام والدفاع عنه ، ولا سيما فى هذا العصر الذى فشا فيه الإلحاد ونشر شبهاته والدعوة إليه فى جميع البلاد ، ونشط دعاة النصرانية فى محاولة تنصير المسلمين فى جميع الأقطار بمساعدة دولهم وأغنيائهم » ، وأعلن رشيد رضا أنها ستحل محل المنار بعد موته ، وعبر عن سروره بإنشاء المعهد الإسلامى الأكبر فى مصر لمجلة إسلامية يرجى دوامها بدوامه [1] .

وتولى مدير ادارة نور الإسلام عبد العزيز محمد من أعضاء المجلس الأعلى للأزهر.

الغلاف والحجم :

ظهرت المجلة فى حجم الفلوسكاب ، وكان غلافها من الورق المقوى الأخضر الشكل توزع عليه البيانات الدالة على المجلة ، وفى وسطه الأعلى يكتب شعار المجلة بالخط الثلث « مجلة دينية علمية خلقية تاريخية حكمية » وأسفل الشعار : تصدرها مشيخة الأزهر الشريف غرة كل شهر عربى .

طريقة الإخراج :

كانت المجلة تصدر فى ٨٠ صفحة تأخذ شكل الكتاب فى تسلسل صفحاته ، وتتابع موضوعاته ، ولم تعن « نور الإسلام » بالإخراج قدر عنايتها باختيار الموضوعات ، فكان الإخراج يأتى فى درجة أخيرة ، واتبعت فى طريقة إخراجها الطريقة الأفقية ، فضلا عن ذلك لم تهتم المجلة بوسائل الإبراز والصورة الصحفية التى استخدمتها الصحف المعاصرة والتنوع فى الأنماط الصحفية ، واستخدام العناوين المختلفة الأشكال والأحجام ولأنها صحيفة رأى فقد احتل المقال الصحفى حيزا كبيرا من صفحاتها .

وقد تغير اسم المجلة إلى « الأزهر » منذ العدد السادس من السنة السادسة لصدورها جمادى الآخرة ١٣٥٤ هـ ، ١٩٣٥ م ، وأصبح فريد وجدى مدير إدارة المجلة ورئيس تحريرها ، ومضت المجلة فى سياستها التحريرية السابقة لم تتغير ، وأعلنت الحرب على المذهب المادى ومهاجمة الماديين والإلحاديين الذين يزعمون أن جميع الكائنات نشأت بغير قصد ، وأنه لا إله ، والكون مادة . ففندت المجلة كل ذلك ، وعملت على تأكيد إثبات أن الخالق لهذا الكون هو الله ـ عز وجل ـ وهو المتفرد بالصنع والإتقان [2] .

---

(١) المنار ، جـ٢ ، م٣١ ، ربيع الأول ١٣٤٩ هـ ، أغسطس ١٩٣٠ م .

(٢) الأزهر ، جـ١ ، م٦ ، محرم ١٣٥٤ هـ مقال بعنوان : « حكم العلم على الفلسفة المادية » بقلم محمد فريد وجدى .

أبرز كُتّاب المجلة :

لما كانت مجلة الأزهر هى لسان حال الأزهر ، والمعبرة عن رأيه فيما يطرح من قضايا، ويثار من مشكلات ، فقد تولى مشايخ الأزهر تحريرها مع مجموعة أخرى من المفكرين خارج الأزهر ، وكان من أبرز من كتبوا فى المجلة هم : الشيخ محمد الخضر حسين ، ومحمد فريد وجدى ، والشيخ عبد الواحد إبراهيم ، والشيخ محمد عرفة ، والشيخ عبد الرحمن الوريدى ، والشيخ محمد البهى ، والشيخ عباس طه ، والشيخ طه حبيب ، والشيخ محمود دقيق ، والشيخ محمد مصطفى المراغى ، والشيخ محمد أحمد العدوى، ومحمد فهمي عبد اللطيف ، والشيخ سيد عفيفى ، والشيخ حسن خطاب الوكيل ، والشيخ عبد العزيز الجعدى ، والدكتور محمد غلاب ، والدكتور عبد العزيز إسماعيل ، والشيخ على سرور الزنكلونى ، والشيخ عبد الفتاح بدوى ، والشيخ عبد الجواد رمضان، والشيخ عبد الجليل عيسى ، والشيخ محمود شلتوت ، والشيخ يوسف الدجوى ، والشيخ محمد عرنوس ، والشيخ عبد المجيد اللبان ، والشيخ عبد الله صيام، والشيخ إبراهيم الجبالى ، والشيخ صادق عرجون ، والشيخ شحاته محمد الجوينى ، والشيخ حسن منصور ، والشيخ محمد بخيت مفتى الديار المصرية ، ومحمد سليمان ، وعلى إسماعيل ، ومحمد أحمد الغمراوى ، وأحمد المراغى ، وفكرى يس ، ومحمد كيلانى سالم ، والسيد عبد العزيز الثعالبى ، وأمين الخولى ، وعبد القادر المغربى، وزكى مبارك ، ومحمد الحسينى رخا ، وعلى الجندى ، ومصطفى أبو على ، ومحمد الأسمر ، ومحمود شكرى .

اهتمامات مجلة الأزهر فى فترة صدورها :

فى مقدمة الموضوعات التى عنيت بها مجلة الأزهر تفسير القرآن الكريم ، والسيرة النبوية ، وبيان ما فى القرآن والسنة النبوية المشرفة من أصول الأخلاق الفاضلة وقواعد الآداب الكريمة التى ينبغى لكل مسلم أن يسلكها ، وكان يقوم بتفسير القرآن الكريم عالمان جليلان هما : الشيخ حسن منصور ـ وكيل دار العلوم ـ والشيخ يوسف الدجوى من علماء الأزهر ، وخصصت المجلة بابا فى كل عدد من أعدادها لشرح بعض الأحاديث النبوية والتأكيد من صحتها من حيث السند والرواية ، وحفلت الأزهر بالمقالات والبحوث الدينية ، يتضح ذلك من عناوين المقالات الآتية :

أدلة وجود الله[1]، الانحراف عن الدين : علله وآثاره ودواؤه ، البعث ، الزكاة، الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان [2] ، علاقة الأخلاق بالشريعة الإسلامية

(١) نور الإسلام ، جـ١ ، م١ ، محرم ١٣٤٩ هـ .
(٢) نور الإسلام ، جـ٢ ، م١ ، صفر ١٣٤٩ هـ .

والقانون الوضعى ، مولده ﷺ ، الدين ضرورى للعمران[1] ، فضلا عن ذلك ، فقد أولت اهتماما بالمناسبات الدينية كالمولد النبوى ، والإسراء والمعراج ، والهجرة ، وشهر رمضان ، وكانت تنشر بعض المحاضرات التى تلقى عن هذه المناسبات فى الاحتفالات الدينية ، التى يقيمها الأزهر الشريف لهذا الغرض[2].

واحتوت مجلة الأزهر على بعض الفصول المترجمة من الكتب الأجنبية التى تتحدث عن الإسلام ، على سبيل المثال : ترجمت الفصل العاشر من كتاب السيرة النبوية لرينيه وسليمان بن إبراهيم الجزائرى ، ونشرته فى حلقات متتابعة من العدد الأول محرم ١٣٤٩هـ ، وتناولت أيضا تاريخ الإسلام والفتوحات الإسلامية ، ونشرت سلسلة مقالات عن أثر الثقافة الإسلامية فى تطور النهضة الفكرية كتبها الشيخ صادق عرجون [3].

ومنذ العدد الثانى من السنة الثانية لصدور المجلة ، بدأت تنشر بعض الموضوعات الدينية باللغة الإنجليزية والعربية ، وتخصصت هذه الموضوعات فى شرح الأحاديث والآيات القرآنية باللغة الإنجليزية ، وقد أنشئ فى المجلة قسم خاص للترجمة حتى تكون متصلة بالحركة الفكرية فى البلاد الأوربية ، ويقوم هذا القسم بترجمة ما يجىء فى الصحف الأجنبية من مباحث علمية أو مقالات صحفية تتحدث عن الإسلام ، وترجمة بعض المقالات النافعة من الكتب الأجنبية [4].

وخصصت نور الإسلام بابا للفتاوى والأحكام ترد فيه على أسئلة القراء ، وكان أبرز من تولى الرد على الفتاوى الشيخ محمد عبد اللطيف الفحام ، والشيخ يوسف الدجوى، وبالإضافة إلى عناية المجلة واهتمامها بالثقافة الدينية ، فقد عنيت أيضا ببعض الموضوعات التى تتصل بالثقافة العامة كالكهرباء والجاذبية ، والطرق الحديثة فى الحفظ والتعليب ، وصناعة الورق ، وتأثير أشعة رونتجن على الجراثيم ، وتأثير درجة الحرارة على النباتات ، وتأثير المضغ فى الانتفاع بالأغذية ، واكتشاف أدوية لمكافحة الملاريا وغير

---

(١) نور الإسلام ، جـ٣ ، م١ ، ربيع أول ١٣٤٩ هـ .

(٢) الأزهر ، جـ٦ ، م٩ ، ذو الحجة ١٣٥٦ هـ ، مارس ١٩٣٨ م ، مقال بعنوان : « حديث الهجرة » للشيخ إسماعيل جاب الله ، و جـ١ ، م٩ ، محرم ١٣٥٧ هـ . محاضرة بعنوان : « لا علاج لأدواء المسلمين إلا أن يكونوا مسلمين » ألقاها الشيخ أحمد محمد شاكر فى الاحتفال بذكرى الهجرة النبوية ، و جـ٩ ، م٩ ، رمضان ١٣٥٧هـ حديث شيخ الجامع الأزهر عن رمضان للشيخ المراغى .

(٣) نور الإسلام ، عدد ٩ ، م١ ، رمضان ١٣٤٩ هـ .

(٤) نور الإسلام ، عدد ٥ ، م١ ، جمادى الأولى ١٣٤٩ هـ ، مقال بعنوان : « القسر والحرية فى التربية » للدكتور جرادد بواه الألمانى ، ونشرت المجلة مقتطفات من كتاب « تاريخ الأدب العربى » للمستشرق الألمانى بروكلمان ، و جـ٤ ، م٦ ، ربيع الآخر ١٣٥٤ هـ .

ذلك مما كان يحرره قسم الترجمة بالمجلة ، أو يترجمه عن بعض الجرائد والمجلات الأجنبية ، وفى إطار العناية بالموضوعات الإسلامية ، اهتمت المجلة بأحوال المسلمين فى الدول العربية والإسلامية ، والأقليات الإسلامية فى الخارج ، وتناول قضاياهم كمسلمى روسيا، والمسلمون فى يوغسلافيا ، وتركيا والهند وأسبانيا والبرتغال [١] .

وقد تولت نور الإسلام الرد على تيار الإلحاد ودعاته من العلمانيين والملحدين الذين يروجون لمفهوم مؤداه : أن يتحكم العقل والعلم فى مسيرة الحياة دون مراعاة لنصوص الدين وأوامره ، وبتعبير آخر فصل الدين عن شؤون الحياة ، وبرع فى الرد على هؤلاء الشيخ محمد الخضر حسين ، والشيخ محمد البهى ، والشيخ يوسف الدجوى الذى فند هذه الدعوى ، وأكد أن العقل والعلم يلحقهما القصور عن بلوغ هذه الغاية ، وأن بعض المسائل العلمية كثيرا ما تكون فى محل الأخذ والرد فتحسب من العلم ، مع أنها فى أول مراحل البحث العلمى [٢] .

وهاجم الشيخ محمد الخضر حسين الذين يزعمون أن الجمع بين السلطتين الدينية والزمنية من جملة المسببات لتأخر المسلمين ، واتهمهم بالمروق عن الدين لأنهم يذهبون إلى أن أحكام الدين الإسلامى وأصوله فى القضاء والسياسة غير كافية بمصالح الناس ، وغير صالحة للعصر الحاضر ، وينادون بالأخذ عن القوانين الغربية التى تناقض الشريعة الإسلامية بحجة الإصلاح والتجديد [٣] . وفسر الدكتور محمد البهى هذا المنحى من دعاة التجديد والعلمانية قائلا : إن الصورة فى ذهن الشرقى عن أوربا صورة مبالغ فيها نحو الكمال والرقى الإنسانى بفضل الدعاية الثقافية والأدبية التى تقوم بها الأفلام السينمائية ومدارس الإرساليات الأجنبية ، والنشرات والكتب التى تحمل طابع البحث العلمى[٤] . بالإضافة إلى أن الذين حملوا النهضة المدنية المصرية هم جماعة من المتخرجين من المدارس الأوربية والأجنبية دون دراية بآداب الدين ، فحادوا عن طرق الإصلاح الصحيحة، فكانت الإشكالية أن الذين يتزعمون الإصلاح لا يعرفون الدين الإسلامى وأحكامه ، والذين يعرفون الدين وأحكامه بعيدون عن الخوض فى شؤون الحياة المدنية ؛ ولهذا طالب الشيخ محمد الخضر حسين علماء الدين أن يكونوا على بصيرة مما يكتبه أنصار التيار العلمانى أو يحاضروا به فى النوادى مع بيان خطره ، ويعرضون حكم الدين فيما يثيرون من قضايا وآراء [٥] .

(١) نور الإسلام ، جـ٣ ، م١ ، ربيع الاول ١٣٤٩ هـ .
(٢) نور الإسلام ، جـ٥ ، م١ ، جمادى الأولى ١٣٤٩ هـ .
(٣) نور الإسلام ، جـ٥ ، م٢ ، جمادى الأولى ١٣٥٠ هـ مقال بعنوان : « ضلالة فصل الدين عن السياسة » .
(٤) نور الإسلام ، جـ٢ ، م٩ ، صفر ١٣٥٧ هـ .
(٥) نور الإسلام ، جـ٤ ، م٢١ ، ربيع الآخر ١٣٤٩ هـ مقال بعنوان : « الدين والعلم » .

ومن هذا المنطلق كانت حملة الشيخ محمد الخضر حسين على محمد فريد وجدى - وهو من أنصار التيار الإسلامى - حينما كتب فى مجلة الحديث السورية فى شهر ديسمبر ١٩٢٩م تحت عنوان : « روح العصر الحاضر نفحة إلهية » يمدح فيها المدنية الغربية المعاصرة ، واتهمه الشيخ الخضر بأنه انحرف عن الطريق الإسلامى ، وسار فى طريق التجديد المزعوم ، ولكن الجدير بالذكر هنا ومن تتبع كتابات فريد وجدى - الذى اتهمه الشيخ الخضر بالسير فى طريق التجديد - أنه لما تولى رئاسة تحرير المجلة وجدنا له أدبيات تنفى عنه هذا الزعم ، وكان من أبرز الذين أشعلوا الحرب على الفلسفة المادية العلمانية وعلى تلك الطائفة التى تلقت العلم فى أوربا وتثير على الدين الشبهات وتشكك العامة فى أمور دينهم ، وقال : « إنهم يفسدون العقائد ويعدون القلوب للإلحاد » (١) . وانتقد ما كتبه الفيلسوف الكبير جيو فى كتابه : « اللادينية المستقبلة » والذى ذكر فيه أن الأديان ليست من أصل علوى بدليل أنها نشأت ساذجة مبهمة ، ثم ترقت وتركبت على مقتضى نواميس منتظمة عامة ، وصرح فريد وجدى فى معرض رده على جيو : « أن هذا لا يصح أن يكون دليلا على أن الدين أصله أرضى ، فإن العقل الإنسانى نفسه نشأ ساذجا مبهما ثم ترقى وتركب على مقتضى نواميس منتظمة ، والعقل ليس بأرضى الأصل لأنها مجردة منه . . فالحكم على الدين بأنه أرضى لا علوى حكم لا يسيغه عقل لا تقبله فلسلفة إلا الفلسفة المادية العلمانية » (٢)

كذلك تصدى فريد وجدى لبعض العلمانيين المصريين الذين يعترضون على تطبيق الشريعة الإسلامية والحدود الإسلامية فى الزنا والقذف والسرقة والإفساد فى الأرض وغيرها، وأشار إلى ذلك قائلا : « إنهم أباحوا الزنا وشرب الخمر ، وقرروا على القذف والسرقة والإفساد فى الأرض عقوبة لا تتناسب وخطرها ، وكان من جراء ذلك أن انتشرت الجرائم فى العالم المتمدن الذين يريدون لنا تقليده انتشارا مزعجا ، ولا يمر يوم دون أن يزداد المجرمون عددا » (٣) .

ومضت مجلة الأزهر تهاجم تقليد المصريين للإفرنج فى التبرج والعرى والسفور والاختلاط بين الجنسين ، وغشيان الملاهى والمراقص والمجاهرة بالفسوق ، والجرى وراء الموضة ، وبيوت الأزياء الأجنبية ، والدعوة إلى أن تأخذ المرأة المصرية طابع المرأة الأوربية الغربية مهما كلفها ذلك من عناء ومجافاة لعادات وطنها ، وإسراف فى التقليد الأعمى ،

---

(١) الأزهر ، جـ٥ ، م٧ ، جماى الأولى ١٣٥٥ هـ « لماذا يصادف أكثر الشاكين فى المتعلمين » فريد وجدى .

(٢) الأزهر ، جـ٨ ، م٩ ، شعبان ١٣٥٧ هـ .

(٣) الأزهر ، جـ٥ ، م٩ ، جمادى الآخرة ١٣٥٧ هـ ، « الروح الإسلامية ومدى تأثيرها فى النفس البشرية » لمحمد فريد وجدى .

واتباع مشـورة الوصى الغربى[1] ، فى حين أن المرأة المصرية تتمتع فى ظل الإسلام بحقوق لم تنلها المرأة الأوربية حتى ذلك الحين ، فقد اعتبر الإسلام المرأة مستقلة فى نظر القانون ، وأعطاها حق الحيازة لأملاكها ، وجعلها مسؤولة عما تدخل فيه من الالتزامات المادية فى حين أن الحال ليست كذلك فى نظر أوربا النصرانية ، ففى أغلب الممالك الأوربية تنتقل ملكية أملاك المرأة إلي زوجها عند الزواج ، وفى إنجلترا تصبح المرأة فى نظر القانون العام هى وزوجها شخصا واحدا وليس لها الحق فى التمسك أو الدخول فى الالتزامات المالية وغيرها [2] .

وقال الدكتور محمد البهى : « إن علاقة الرجل بالمرأة فى أوربا هى أقرب إلى علاقة مادية منها إلى علاقة نفسية روحية، فلا تتمتع المرأة فقط فى التصرف فى أمورها الاقتصادية، بل عليها بحكم العرف ـ والعرف قانون ـ أن تؤسس لخطيبها بيت الزوجية » . وأضاف : «إنه إذا كان التصرف المالى للمرأة هو الحرية الديمقراطية النسوية فى القرن العشرين ، فللمرأة المسلمة أن تعتز بتمتعها بهذه الديمقراطية منذ القرن السابع الميلادى » [3] .

وكان موضوع البغاء الرسمى الذى أدخله الأجانب إلى مصر من المواضيع التى حظيت باهتمام مجلة الأزهر ، وقدمت فيه حكم الإسلام والشريعة ، وبيان ما فى البغاء من مفاسد دينية وصحية وأخلاقية واجتماعية [4] . وتولت الدفاع عن الشريعة الإسلامية، وبيان مفاسد النظريات والمذاهب الموجودة فى العالم ، وأنه لا يصلح لإقامة العدل وتحقيق الإصلاح المنشود فى مصر إلا تطبيق شرع الله وحدوده التى جاء بها القرآن الكريم والسنة النبوية المباركة [5] .

وعلى صفحات مجلة الأزهر أعلن الشيخ المراغى شيخ الأزهر ـ فى حديث له مع مندوب جريدة البورص اجبسيان ـ أنه « يجب أن تسيطر تعاليم الإسلام على الحياة الاجتماعية فى مصر ؛ لأن غالبية الشعب تدين بالإسلام ، كما أن الدين الرسمى هو الإسلام ، وأن القرآن الكريم يعنى بكل حاجات الفرد والجماعة ، وقد احتاط لكل شىء وتوفر على كل الأحكام » [6] ، « ومن مبادئه محو الفروق الجنسية واللغوية والدينية

(١) نور الإسلام ، جـ٥ ، م١ ، جمادى الأولى ١٣٤٩ هـ ، مقال بعنوان : « خلاعة النساء تقودنا إلى الهاوية » لعلى الجندى .

(٢) نور الإسلام ، جـ١٠ ، م٦ ، شوال ١٣٥٤ هـ .

(٣) نور الإسلام ، جـ٢ ، م٩ ، صفر ١٣٥٧ هـ « الحرية والديمقراطية للمرأة الأوربية » لمحمد البهى .

(٤) نور الإسلام ، جـ٦ ، م٢ ، جمادى الآخرة ١٣٥١ هـ .

(٥) الأزهر ، جـ٥ ، م٩ ، جمادى الأولى ١٣٥٧ هـ ، « المقومات الشرعية فى الإسلام » لمحمد فريد وجدى .

(٦) الأزهر ، جـ١ ، م٩ ، محرم ١٣٥٧ هـ ، « الشريعة الإسلامية والتشريعات الحديثة » .

واللونية ، وأنه يبغض النعرات القومية ، ولا فرق فى عرف الإسلام بين أبيض وأسود ، وأن جميع البشر ينتسبون إلى أب واحد وأم واحدة ، ولا يتميز بعضهم على بعض إلا بالمميزات الأدبية والروحية [١] .

وتابعت مجلة الأزهر حركة التبشير النصرانى فى العالم الإسلامى ، وأشارت إلى أن المبشرين يدبرون الخطط لمضاعفة الجهود لتنصير أرجاء الأقطار الإسلامية ، ونقلت عن مجلة العالم الإسلامى ـ التى يحررها القس زويمر ـ مؤامرات التبشير على العالم الإسلامى[٢]. وكتب الأستاذ على الجندى مشيرا إلى أن المبشرين يتذرعون لنفث سمومهم بإنشاء المستشفيات والمدارس ، ويستغلون حاجة الناس للعلاج والتعليم ، ويقومون بتلقينهم النصرانية ، وضرب على ذلك مثلا بمستشفى أمريكى تسمى «هنرى» أنشئت فى مدينة أسيوط لهذا الغرض[٣] .

ونددت بالمؤتمر الأفخارستى الذى أقامه الكاثوليك الفرنسيون من رهبان وقساوسة فى قرطاجنة ، إحدى المدن التونسية ، وقررت أنه مظهر من مظاهر العمل لتنصير المسلمين فى البلاد التونسية وشمال إفريقيا [٤] .

وبالإضافة إلى مهاجمة أعمال المبشرين وفضح أساليبهم ، والكشف عن أهدافهم فى تنصير المسلمين ، دأبت مجلة الأزهر على الرد على شبه المستشرقين والمؤلفات الأجنبية ، وكان محمد فريد وجدى فى مقدمة الذين برزوا فى هذا المجال ، فقد فند فريد وجدى ادعاءات اسياه يومان ـ العالم الجغرافى الأمريكى ـ فى كتابه المسمى : « العالم الجديد » والذى تعرض فيه للدين الإسلامى ، واتهمه بأنه دين يهدف إلى الإغارة على العالم غير الإسلامى وإخضاع أممه وشعوبه لحكم المسلمين ، وقد وصف هذا المستشرق الدين الإسلامى بأنه خطر على المدنية الإنسانية ، وعلى النظم الاجتماعية ، وتزعم فريد وجدى الرد على هذه الشبهات مؤكدا على أن الأجانب من المستشرقين وغيرهم إنما يكتبون عن الإسلام بروح غير صافية ، وبعضهم يكتب عنه وهو غير فاهم لحقائقه وأصوله ، وأكد فريد وجدى أن الإسلام ليس دينا يقوم على سفك الدماء كما زعم المستشرق الأمريكى ، وإنما الإسلام يقوم على دعوة الناس كافة إلى تعارف عام ، بعيدا عن الأوهام القومية ، والنزعات العرقية ، والفوارق الجنسية واللغوية . . ويدعو إلى وحدة الدين ويقرر أن الله

(١) الأزهر ، جـ٢ ، م٩ ، صفر ١٣٥٧ هـ ، « مقومات التكامل الاجتماعى » لفريد وجدى .

(٢) نور الإسلام ، جـ١ ، م١ ، محرم ١٣٤٩ هـ ، مقال بعنوان : « ليست بمستشفيات ولا مدارس ولكنها معاهد تبشير » .

(٣) نور الإسلام ، جـ٣ ، م١ ، ربيع أول ١٣٤٩ هـ .

(٤) نور الإسلام ، جـ٩ ، م١ ، رمضان ١٣٤٩ هـ .

أوحى إلى أنبيائه جميعا دينا واحدا ، وأن الإسلام هو ذلك الدين الفطرى الأول فى نقائه ومبادئه العالية ، وأن المسلمين هم الذين أنقذوا المدنية الإنسانية من التلاشى ، وحفظوا العلم من الزوال ، وكانوا سببا فى ازدهار المدنية الإنسانية وتطورها (١) .

كذلك دحض فريد وجدى ما كتبه اندريه هارفيه فى جريدة « كوكب الشرق » المصرية من شبهات كاذبة على الإسلام ، وصم فيها الدين الإسلامى بنقائص واتهامات كثيرة ، وكان لمجلة الأزهر أيضا الفضل والسبق فى مقاومة الحملات ، والشبهات التى تثيرها مجلة العالم الإسلامى التى تصدر فى الولايات المتحدة الأمريكية ، فقد كتب فى هذه المجلة المستر فرنك فوستر عن تاريخ الرسول ﷺ سلسلة مقالات اشتملت على بعض المطاعن والمغامز فى حق الرسول ﷺ ، وفيها اتهام النبى بالكذب ، والتشكيك فى أميته، ومصداقية القرآن الكريم ، وغير ذلك من الشبهات التى عرضها محمد فريد وجدى وقام بالرد عليها ، وتفنيدها ودحض أسانيدها وبيان كذبها وعدم موضوعيتها (٢) .

ومن الموضوعات التى أولتها مجلة الأزهر قدرا من العناية والمتابعة الدعوة إلى إدخال التعليم الدينى فى المدارس الحكومية ومحاربة المدارس الأجنبية ، والدفاع عن اللغة العربية الفصحى ، وذهب الشيخ محمد الخضر حسين إلى أن العلاج الشافى لكل أمراض الأمة أن يكون التعليم الدينى شاملا (٣) . وفى مقال آخر بعنوان : « التعليم الدينى فى مدارس الحكومة » أشار إلى أنه لم يَتَفَشَّ الزيغ والإلحاد إلا بوجود المدارس التى يفتحها الأجانب فى أوطاننا باسم العلم ، وهى فى الحقيقة لتغيير الهوية الإسلامية والوطنية ، وتغيير عقائد الناس ، وناشد الشيخ الخضر ملك البلاد أن يكون للتعليم الدينى فى المدارس شأن لا يقل عن شأن غيره من العلوم النافعة فى الحياة ، ولا يكفى فى تعليم الدين أن تكون له جامعة كالأزهر ، وإنما الخير أن تكون روح الدين سارية فى نفوس الأمة كلها (٤) .

ودافعت الأزهر عن اللغة العربية التى تعرضت فى تلك الفترة لثورة عامة من قبل دعاة الإصلاح الأدبى ، فنادى بعضهم بإحلال العامية محل الفصحى فى المعاهد والمدارس تلقينا وتدريسا بدعوى أن بعض الشعوب تخلت عن لغاتها ، وانبرى للرد على

---

(١) الأزهر ، جـ٥ ، م٦ ، جمادى الأولى ١٣٥٤ هـ ، سلسلة مقالات بعنوان : « دحض شبهات عن الإسلام» لفريد وجدى .

(٢) الأزهر ، جـ١ ، م٦ ، شعبان ١٣٥٤ هـ ، و جـ٩ ، م٦ ، رمضان ١٣٥٤ هـ ، وجـ١ ، م٧ ، محرم ١٣٥٥هـ ، وجـ٤ ، م٧ ، ربيع الآخر ١٣٥٥ هـ ، و جـ ٥ ، م٧ ، جمادى الأولى ١٣٥٥ هـ .

(٣) نور الإسلام ، جـ٢ ، م١ ، صفر ١٣٤٩ هـ مقال بعنوان : « الانحراف عن الدين » لمحمد الخضر حسين .

(٤) نور الإسلام ، جـ٥،م٢ ،جمادى الأخرة ١٣٥٠هـ ، مقال بعنوان : « التعليم الدينى فى مدارس الحكومة».

تلك الفرية الشيخ الخضر حسين ، والشيخ صادق عرجون ، وقال الشيخ الخضر : «إنه لو فرضنا أن شعوبا غير عربية تخلت عن لغاتها ، فإن الشعوب التى تنطق اللغة العربية أحرص الناس على حياة لغتهم ، وذلك لأن اللغة العربية لغة القرآن الكريم الذى هو معجزة الرسالة ومطلع الهداية » فضلا عن أن اللغة العربية استوعبت كل العلوم والحضارة لما تتميز به من غزارة مادتها وإحكام أساليبها ، وطالب فى ختام مقاله بتأليف مجمع لغوى ينظر فيما يتجدد من المعانى ويضع لكل معنى لفظا يناسبه .

ورأى الشيخ صادق عرجون أن الهدف من دعوى الإصلاح التى يزعمها أعداء اللغة الفصحى هو القضاء على لغة القرآن الكريم ودفع الشعوب العربية إلى بلبلة بربرية لا أصول لها ولا قاعدة ، فمن هؤلاء من تدفعه إلى ذلك نزعة عنصرية لا تقدر للعلم حرمة، ومنهم من يدفعه إليه شعور بالعجز عن القيام بأعباء اللغة العربية وقواعدها الفنية من نحو وصرف وبلاغة وأدب وغير ذلك [(١)] .

أما عن موقف مجلة الأزهر من الدعوة إلى ترجمة القرآن الكريم لغير العربية فقد اتسم بالتناقض ، فقد رفض الشيخ محمد الخضر حسين ترجمة القرآن الكريم لغير العربية لأنها - فى رأيه - غير ميسورة ؛ لأن للقرآن معانى أصلية ومعانى ثانوية التى يسميها علماء البلاغة مستتبعات التراكيب وهى خواص النظم التى يرتفع بها شأن الكلام ، وترجمة القرآن بالنظر إلى المعانى الثانوية غير ميسورة إلا أن توجد لغة توافق اللغة العربية فى دلالة ألفاظها على هذه المعانى المسماة عند علماء البيان خواص التراكيب ، وذلك ما لا يسهل على أحد ادعاؤه [(٢)] .

ولكن عندما تولى رئاسة تحرير مجلة الأزهر فريد وجدى ، تبنت المجلة الدعوة إلى ترجمة القرآن الكريم ، وكان من الذين أيدوا الترجمة ودعوا إليها الشيخ محمد مصطفى المراغى وفريد وجدى ، وقد نشرت مجلة الأزهر بحثا مستفيضا عن إمكانية ترجمة القرآن الكريم ، كتبه الشيخ المراغى نفسه وذلك بمناسبة شروع الأزهر بالاشتراك مع وزارة المعارف فى ترجمة القرآن الكريم إلى أشهر اللغات الأوربية ، وفى هذا البحث اتهم الشيخ المراغى الذين يعارضون الترجمة بأنهم يقفلون باب الاجتهاد ، واستدل على جواز الترجمة بإجماع المسلمين على جوازها ، ورأى أنه من الخير أن نوفر لقراء الأجنبية ترجمة للقرآن يحصلون منها على طلاوة معانيه وتأثيرها على النفوس[(٣)] .

---

(١) الأزهر ، جـ١ ، م٩ ، محرم ١٣٥٧ هـ .
(٢) نور الإسلام ، جـ٢ ، م٢ ، صفر ١٣٥٠ هـ .
(٣) الأزهر ، جـ٢ ، م٧ ، صفر ١٣٥٥ هـ .

وذهب فريد وجدى إلى أن ترجمة القرآن هى تبليغ للأمانة التى كلف الله بها المسلمين ، وتحقيق لمقاصد الدين الإسلامى العالية ، وهذه المقاصد لا تتم إلا بنشر القرآن بعدة لغات أجنبية [1] .

وكان من أبرز ما انفردت به مجلة الأزهر طوال مدة صدورها هو محاربة المذاهب الضالة والنحل المنحرفة والدخيلة على الإسلام ، والكشف عن أهدافها وتتبع ما تنشره من ضلالات وسموم لهدم الإسلام ، وكان على رأس هذه المذاهب البابية والقاديانية والصوفية [2] .

وبعد هذا العرض لما قدمته مجلة الأزهر على صفحاتها من موضوعات وقضايا نستطيع إيجاز أبرز ما اهتمت به فيما يلى :

١ ـ تفسير آيات من القرآن الكريم وبيان ما فى الذكر الحكيم والسنة النبوية المشرفة من أصول الأخلاق الفاضلة ، وقواعد الأدب الكريمة التى يجدر بالمسلم أن يتبعها .

٢ ـ متابعة الحركة الفكرية العالمية وترجمة بعض ما يجىء فى الصحف الأجنبية من مباحث علمية أو مقالات صحفية تتحدث عن الإسلام ، ومقاومة تيار الإلحاد ودعاته من العلمانيين والملحدين الذين يروجون لفصل الدين عن شؤون الحياة العامة .

٣ ـ مهاجمة التبرج والعرى والسفور والاختلاط بين الجنسين ، ومهاجمة الدعوة إلى تقليد المرأة المصرية للمرأة الأجنبية فى كل أنماط الحياة ، والدفاع عن الشريعة الإسلامية وأصولها وبيان فساد النظريات والمذاهب الوضعية التى تتعارض معها .

٤ ـ التصدى لحركة التبشير النصرانى فى العالم الإسلامى ، وفضح خطط وتآمر المبشرين على المسلمين ، ودحض الشبهات التى يثيرها المستشرقون ضد الإسلام .

٥ ـ الدعوة إلى إدخال الدين فى المدارس الحكومية ومحاربة المدارس الأجنبية والدفاع عن اللغة العربية ، وبحث مسألة ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأجنبية ، والتصدى للمذاهب الضالة والحركات الهدامة المنتسبة إلى الإسلام كالصوفية والقاديانية والبابية والبهائية .

---

(١) ملحق العدد السابق ، م٧ ، صفر ١٣٥٥ هـ .
(٢) سنعرض لموقف مجلة الأزهر من هذه النحل فى فصل قادم .

٦ ـ صحيفة الإخوان المسلمين

أسست هذه الصحيفة جماعة الإخوان المسلمين التى تكونت فى مدينة الإسماعيلية بزعامة الشيخ حسن البنا [١] فى عام ١٩٢٨م ، ثم انتقلت إلى القاهرة فى عام ١٩٣٢م ، وقد نشأت جماعة الإخوان المسلمين كرد فعل لهجوم المؤثرات الغربية على مصر فى الفكر والعادات والتقاليد ، وتعثر النظام السياسى والاجتماعى القائم على أسس علمانية [٢] ؛ لذلك أخذت جماعة الإخوان المسلمين على عاتقها مهمة صيانة وحماية وتنقية الإسلام والمجتمع الإسلامى من التأثير الأجنبى [٣] .

وكانت جماعة الإخوان المسلمين امتدادا لجمعية الشبان المسلمين رغم بقائها ؛ لأنها حملت مبادئ وأهداف دعوة الشبان المسلمين ، وتقدمت بها خطوات إلى الأمام ، وكذلك كانت استمرارا لمواصلة جهود مدرسة المنار الفكرية ، التى كان لها أكبر الأثر على دعوة الشيخ حسن البنا وجماعة الإخوان فيما بعد ، ولعل ذلك يرجع إلى معاصرة حسن البنا للشيخ رشيد رضا وتأثره بالدور الذى أداه فى الدعوة لفكرة الجامعة الإسلامية ، وتصديه للأفكار والممارسات العلمانية ، وتأكيده على أنه لا نجاة بغير العودة إلى القرآن الكريم والسنة المطهرة [٤] ، واتضح ذلك التأثير مما ورد عن البنا من حضور بعض مجالس

---

(١) حسن البنا ولد فى قرية المحمودية بمديرية البحيرة ، تلقى العلم فى مرحلته الأولى فى قريته ، ثم تلقى العلم لمدة ثلاث سنوات فى دمنهور فى معهد لإعداد مدرسين للمدارس الابتدائية ، وفى عام ١٩٢٣م التحق بكلية دار العلوم بالقاهرة وتخرج فيها عام ١٩٢٧م ، وفى سبتمبر من العام نفسه بدأ العمل مدرسا فى مدرسة ابتدائية حكومية فى الإسماعيلية ، وفى أكتوبر ١٩٣٢م انتقل من الإسماعيلية إلى القاهرة ليزاول عمله كمدرس بمدرسة عباس بالسبتية ، ثم استقال من التدريس فى عام ١٩٤٦م ، وتفرغ للنشاط السياسى ، وفى فترة تلقى العلم بالقاهرة كان البنا من أوائل من انضموا إلى جمعية الشبان المسلمين وإلى مجموعة العلماء الذين كانوا يصدرون صحيفة « الفتح » ، وعمل حسن البنا محررا فى صحيفة الفتح ، والشبان المسلمين ، والمنار ، ومنذ تأسيس جمعية الإخوان المسلمين وحتى اغتياله ـ رحمه الله ـ كان هو قائدها الأوحد والمرشد العام لها . وكان من أسباب قوة الجمعية وانتشارها ما يكمن فى قدرات المرشد العام الفائقة ، فقد كان ـ رحمه الله ـ يتمتع بهمة لا تنفد وذاكرة قوية ، وقدرة بالغة على العمل ، وكان يعرف جيدا تاريخ الإسلام وعلوم الشريعة واللغة والفقه الإسلامى ، وكان خطيبا بارعا ، وكان يمتلك قدرة كبيرة على الكتابة والتحرير الصحفى، وكان يتمتع بقدرات تنظيمية فائقة .

انظر: الوفد والإخوان المسلمون: تأليف ياجرات سيرانيان، ترجمة بشير السباعى، مرجع سابق، ص٤٦، و د. زكريا سليمان بيومى: الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية ، مرجع سابق ، ص٨٠ ـ ٨٥ .

(٢) على شلبى : مصر الفتاة ، مرجع سابق ، ص٣٨ .

(٣) ماجرات سيرانيان : الوفد والإخوان المسلمون ، ترجمة بشير السباعى ، مرجع سابق ، ص٢٦ .

(٤) طارق البشرى : المسلمون والأقباط فى إطار الجماعة الوطنية ، مرجع سابق ، ص٤٩٦ ، ود . زكريا سليمان بيومى : الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية ، مرجع سابق ، ص٩٠ .

رشيد رضا وقراءته لكثير من أعداد صحيفة المنار ، وإصداره لها بعد موت رشيد رضا - كما ذكرنا من قبل - وأيضا فيما كتبه فى صحفه ، وفيما صدر عنه من آراء وفتاوى .

ولذلك قامت جماعة الإخوان المسلمين على النهج نفسه الذى رسمه رشيد رضا فى « المنار » ، فقد كان من الأغراض التى تهدف إليها المنار نشر الإصلاحات الاجتماعية والدينية والاقتصادية وإقامة الحجة على أن الإسلام باعتباره نظاما دينيا لا يتنافى مع الظروف الحديثة ، وأن الشريعة الإسلامية أداة صالحة للحكم ، وكما هو الحال بالنسبة لمدرسة المنار قامت أيدلوجية الإخوان المسلمين على النهج ذاته ، كما يلى :

أولا : شمولية الإسلام بمعنى اشتماله على الدين والدولة .

ثانيا : العودة إلى تعاليم الإسلام وأحكامه باعتباره سبيل النجاة من التأخر والاضمحلال فى مواجهة الرأى الآخر الذى يدعو إلى الأخذ بالمدنية الغربية واقتباس الحضارة الغربية ومناهجها .

ثالثا : الدعوة إلى الجامعة الإسلامية .

رابعا : التمسك بالخلافة، فالإخوان المسلمون يجعلون فكرة الخلافة، والعمل لإعادتها فى رأس منهاجهم .

خامسا : الحكومة الإسلامية ، فالإخوان يؤمنون بأن الإسلام يجعل الحكومة ركنا من أركانه ، فالإسلام حكم وتنفيذ ، كما هو تشريع وتعليم ، كما هو قانون وقضاء ، ولا ينفصل واحد منهما عن الآخر .

سادسا : الإصلاح والتجديد ، فالإخوان يؤمنون بأن الطريق الوحيد للإصلاح هو: أن تعود مصر إلى تعاليم الإسلام ، تطبقها تطبيقا سليما ، وأن تقتبس من كل فكرة قديمة أو حديثة شرقية أو غربية ما لا يتنافى مع هذه التعاليم ، ويكون فيه خير الأمة الإسلامية وسعادتها [(١)] .

وقد أعلن حسن البنا أن فكرة الإخوان تتناول إصلاح جميع شؤون الحياة العامة ، وتمتد إلى كل ميدان من ميادينها ، ومنهاجهم منهاج إصلاح حيوى ليس فى ناحية الاجتماع فحسب ، بل فى كل نواحى الأمة [(٢)] . ومن هنا يطلق على الاتجاه الإسلامى لدى الإخوان المسلمين بالاتجاه الإسلامى الإصلاحى الشامل ، وقد عبر عن ذلك الاتجاه

---

(١) عبد العظيم رمضان : الفكر الثورى فى مصر قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م ، القاهرة : مكتبة مدبولى ، ١٩٨١م ، ص٤٩ ، ٥٠ .

(٢) الإخوان المسلمون ، عدد ١ ، السنة الرابعة ، ٢٢ محرم ١٣٥٥ هـ ، ٤ أبريل ١٩٣٦م ، الفكرة التى قامت على أساسها جمعية الإخوان المسلمين لحسن البنا .

واحد من أكبر دعاة الإخوان ، وهو الدكتور مصطفى السباعى المراقب العام للإخوان المسلمين فى سوريا ولبنان فى تعريفه لجماعة الإخوان المسلمين : « نحن الإخوان المسلمين، لسنا جمعية حزبية تنحصر مهمتها فى جمع الأموال لإغاثة الفقراء والمنكوبين من المحسنين والأغنياء ، ولسنا جمعية وعظية تنحصر مهمتها فى وعظ الناس بالخطب والمقالات والنشرات ، ولسنا حزبا سياسيا تنحصر مهمته فى جمع الناس حوله ليصل أعضاؤه إلى الحكم فيحققوا منهجهم السياسى المحدود ، ولسنا جمعية مادية تنحصر مهمتها فى نطاق المشاريع الاقتصادية لفائدة أعضائها ، ولسنا هيئة إقليمية تنحصر مهمتها فى نطاق محلى أو إقليمى أو قومى ضيق، إنما نحن دعاة انقلاب إصلاحى وفكرى عملى شامل ، دعاة رسالة شاملة تشمل الناس جميعا ، وتنظم نواحى الحياة جميعا . . . »[1] .

وبهذا المنهج الشامل نجحت جماعة الإخوان فى اجتذاب الطبقات الشعبية وغير الشعبية وبخاصة بعد انتقالها إلى القاهرة فى عام ١٩٣٢ م ، وانتقل مركز الثقل فى الدعوة إلى العاصمة ، وتعددت نواحى النشاط بإلقاء المحاضرات والدروس وإصدار النشرات والرسائل ، وعقد المؤتمرات ، وإحياء الاحتفالات الدينية ، وإنشاء شعب الجماعة فى القاهرة والأقاليم ، وبعض عواصم الدول العربية والإسلامية ، ثم انتقل نشاط جماعة الإخوان إلى إصدار الصحف الإسلامية ، التى تعبر عن رسالتهم ودعوتهم. وكانت أول صحيفة يصدرها الإخوان المسلمون هى جريدة الإخوان المسلمين الأسبوعية ، والتى ظهر العدد الأول منها فى ٢٢ صفر ١٣٥٢ هـ ، ٣٠ مايو ١٩٣٣ م فى ٢٤ صفحة، ثم زاد عدد صفحاتها إلى ٢٨ صفحة ، وصدرت « الإخوان المسلمون » جريدة إسلامية جامعة تصدرها جمعية الإخوان المسلمين بالقاهرة ، ويحررها نخبة من أعضائها ، وهى لسان حال جمعيات الإخوان المسلمين ، وتخدم كل هيئة تعمل لرفعة الإسلام وإعادة مجده وقد استمرت « الإخوان المسلمون » خمس سنوات ، وكان يرأس تحريرها الشيخ طنطاوى جوهرى ، ومديرها محب الدين الخطيب ، يعاونه بعض رجال الدعوة مثل محمد أسعد الحكيم سكرتير الإخوان حينذاك ، وحلمى نور الدين وغيرهم ، ثم تولى إدارتها فى السنة الرابعة لصدورها (١٣٥٥ هـ - ١٩٣٣ م) أحمد عبد الرحمن شقيق الشيخ حسن البنا [2] .

وظل الشيخ حسن البنا صاحب امتياز الصحيفة إلى أن نقل هذا الامتياز إلى محمد الشافعى منذ العدد الثانى والعشرين من السنة الخامسة ، ثم تغيرت لافتة الجريدة إلى

(١) محمد على ضناوى : كبرى الحركات الإسلامية فى العصر الحديث ، ص١٣٦ ، ١٣٧ .

(٢) حسن البنا : مذكرات الدعوة والداعية ، ص١٤٤ محمد فتحى شعير ، وسائل الإعلام المطبوعة لدى الإخوان المسلمين ، ص٢٠٧ .

صحيفة الإخوان المسلمين ، صحيفة أسبوعية جامعة ، وتولى رئاسة تحريرها محمد الشافعى ، وواصلت صدورها حتى نهاية عام ١٩٣٨ م[١] ، ولم تتعطل عن الصدور سوى ثلاثة أسابيع منذ العدد الخامس عشر جمادى الآخرة ١٣٥٢ السنة الأولى بمناسبة انتقال المطبعة السلفية التى كانت تطبع بها من مركزها بشارع الاستئناف إلى مركزها الجديد فى شارع اللبودية بالسيدة زينب .

أسباب صدور « الإخوان المسلمين » وهدفها :

أبرز الشيخ طنطاوى جوهرى رئيس التحرير سبب صدور الإخوان المسلمين فى فاتحة العدد الأول منها ، ويمكن تلخيصه فيما يلى :

أولا : انشغال الأمة الإسلامية عن دراسة الفضائل الدينية والأخلاق الكريمة والشمائل النبوية .

ثانيا : نسيان كثير من العقلاء سير السلف الصالح وسجاياهم الكريمة وطباعهم القويمة وآدابهم الشريفة .

ولذلك كانت خطة الصحيفة هى التحدث عن فضائل النبوة المحمدية ، ونشر مقاصدها والآداب المنقولة عنها ، والأحاديث الدالة على الأخلاق الفاضلة من الصدق والعفاف وحسن المعاشرة والإحسان إلى الجار والقريب ، وذكر الآيات الدالة على ذلك ، فضلا عن بيان عجائب الحكم الإلهية فى تلك المقاصد ، والتذكير بالعبادات من صلاة وصوم وزكاة وحج لتعليم الجاهل وتذكير المتعلم ، وازدياد المؤمن إيمانا [٢] .

وقد أعلن الشيخ حسن البنا أن الغاية من صحيفة الإخوان تتركز فى شيئين :

أولهما : تلقين الإخوان أنفسهم الفكرة الأساسية لجمعيتهم وتذكيرهم بمبادئهم وتثقيفهم ثقافة خاصة يتطلبها العمل لهذه العقيدة، والإعداد للوصول إلى الغاية المنشودة.

ثانيهما : نشر الثقافة العامة وتعريف غير الإخوان بالإخوان وبمناهج الإخوان وإيصال فكرة الإخوان إلى رجال الإصلاح الرسميين وغير الرسميين ليعملوا معهم على تحقيقها وإنفاذها [٣] ، ومنذ العدد السادس ٢٨ صفر ١٣٥٥ هـ ، يونيه ١٩٣٦م ، صرح البنا أن

---

(١) أصدر الإخوان المسلمون بعدها صحيفة النذير فى ٢٩ من ربيع الأول ١٣٥٧ هـ ، سياسية إسلامية ، تصدر على مبادئ الإخوان المسلمين ، ويرأس تحريرها صالح عشماوى ، وكان إصدار النذير بعد دخول الإخوان المسلمين ميدان السياسة جعلها تتميز عن « جريدة الإخوان المسلمين » واتسم أسلوبها بالنقد اللاذع لكل الأحداث التى جرت فى مصر أو فى أى بلد عربى أو إسلامى ، وبيان وجهة النظر الإسلامية فى كل هذه الأحداث .انظر : محمود عبد الحليم : الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ ١/ ١١٤ ، ١١٥ .

(٢) الإخوان المسلمون ، عدد ٢٢ صفر ١٣٥٢ .

(٣) الإخوان المسلمون ، عدد ١ ، السنة الرابعة ، ٢٢ محرم ١٣٥٥ هـ ، ١٤ أبريل ١٩٣٦ م .

الصحيفة ستخصص للدعوة إلى مبادئ الإخوان ، وتلخيص أخبار دوائرهم ، وأخبار العالم الإسلامى ، ورأى الإخوان فى الحوادث الأسبوعية ، وسيكون ذلك بأقلام إخوانية بحتة[١] ، ولكن المتتبع لأعداد الصحيفة يجدها شاملة لكل المواضيع الاجتماعية والفكرية والعلمية والدينية .

كانت صحيفة الإخوان المسلمين تطبع بالمطبعة السلفية لصاحبها محب الدين الخطيب، منذ أول صدورها حتى العدد الثامن من السنة الثانية ، ثم تولت طباعتها بعد ذلك مطبعة الشركة التعاونية للإخوان المسلمين .

الإخراج :

واتبعت الإخوان المسلمون فى إخراجها الطريقة الرأسية ، فكانت تحتوى كل صفحة على نهرين أو عمودين توزع الصحيفة عليها المادة التحريرية ، وفى بعض الأحيان كانت تتبع الطريقة الأفقية فى الصفحات الداخلية .

الاشتراكات والتمويل والتوزيع :

كان الاشتراك فى صحيفة الإخوان ٣٠ قرشا عن سنة كاملة ، وثمن العدد منها خمس مليمات ، وكان يقوم بتمويلها جماعة الإخوان المسلمين ، إذ لم يكن لها رأس مال للإنفاق عليها ، ولم يكن محرروها يتقاضون أجرا على التحرير والكتابة ، فكانت تكاليفها قاصرة على أجرة طباعتها وثمن ورقها ؛ ولهذا كان يطبع من هذه الصحيفة بقدر عدد الإخوان الذين كانوا يقتنونها فى بداية صدورها ، وكانت ترسل إليهم عن طريق مندوبين ، وكانت الكمية التى تستبقى فى القاهرة يوزعها أعضاء الإخوان بالقاهرة[٢].

الإعلانات :

خلت صحيفة الإخوان المسلمين من الإعلانات فى سنتها الأولى ، ومن السنة الثانية احتوت على بعض الإعلانات عن العيادات الطبية والكتب الجديدة والإعلانات القضائية ، ولم يتعد حجم الإعلانات الصفحة أو الصفحتين الأخيرتين .

الصور والرسوم :

عنيت الصحيفة بالصور فى نطاق ضيق ، ومن السنة الرابعة لها بدأت تنشر فى كل عدد من أعدادها مجموعة صور لأعضاء الإخوان المسلمين ، فضلا عن بعض الرسوم الكاريكاتيرية للتنديد ببعض الأمور الخارجة عن الدين ، وغير ذلك من المسائل التى تهتم بها الجريدة .

---

(١) الإخوان المسلمون ، عدد ٦ ، ٢٨ صفر ١٣٥٥ هـ ، ١٩ مايو ١٩٣٦م .

(٢) محمود عبد الحليم : الإخوان المسلمون ـ أحداث صنعت التاريخ ، مرجع سابق ، ١/ ٧٥ .

الفهارس :

كانت الإخوان المسلمون تقدم فهرسا فى ظهر الغلاف ، ثم انتقل إلى الصفحة الأخيرة ، واحتل مكانه شعار الإخوان المسلمين تحت عنوان : « عقيدتنا » .

الغلاف :

عنيت الصحيفة بالغلاف وزخرفته بالرسوم الإسلامية وبيانات الصحيفة ، وفى أعلى صورة الغلاف لافتة الصحيفة : « جريدة الإخوان المسلمين ، جريدة أسبوعية إسلامية جامعة » ، وأسفل اللافتة صورة للمسجد الحرام ، والمسجد النبوى ، وفى أعلى صورة المسجد الحرام الآية القرآنية : ﴿ **جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَام** ﴾ [المائدة : ٩٧] ، وكلمة التوحيد « لا إله إلا الله » ، وأعلى صورة المسجد النبوى الآية : ﴿ **مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّه وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ** ﴾ [الفتح : ٢٩] ، وكلمة « محمد رسول الله» وبينهما الآية الكريمة : ﴿ **فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا** ﴾ [آل عمران : ١٠٣] ، وعلى اليمين من لافتة الصحيفة صورة القرآن الكريم يحوطه الهلال ، وفى الجانب الأيسر ثلاثة نجوم يحيطها هلال آخر ، ومن السنة الثانية ظهر الغلاف وعليه لافتة الصحيفة وصورة مئذنة وكلمة الإخوان المسلمين مكتوبة بخط ثلث كبير .

كتّاب صحيفة الإخوان المسلمين :

تولى تحرير صحيفة الإخوان المسلمين مجموعة من أعضاء جماعة الإخوان المسلمين وغيرهم من ذوى الاتجاه الإسلامى ، ومن أبرز هؤلاء : الشيخ حسن البنا ، وأحمد عبد الرحمن البنا ، والشيخ طنطاوى جوهرى ، والشيخ أحمد السكرى ، ومحب الدين الخطيب ، والشيخ محمد مصطفى الحديدى الطير ، والدكتور عبد الوهاب خلاف ، وسلامة خاطر ، والشيخ محمد زكى إبراهيم ، وأمين الخولى ، وأحمد محمد المدنى ، وعفيفى الشافعى عطوة ، ومحمد الهادى عطية المحامى ، والشافعى أحمد عبد الله ، والشيخ محمد حسن المدنى ، وعبد الله سليم بدوى ، وأمين محمد السكرى ، ومبارك غنيم عبده ، ومحمد عبد السلام القبانى ، ومحمد أحمد جاد المولى ، ومحمد حلمى نور الدين ، ومحمد إبراهيم زين ، ومحمود أفندى عبد العاطى ، وإبراهيم عبد الباقى ، وعبد المتعال حسن كامل ، ومحمد زهران ، ومحمد السيد حفنى ، ومحمد على إمام ، وأحمد محرم ، والشيخ مصطفى الرفاعى اللبان ، والشيخ عبد الحليم أحمد ، ومحمد جمال الدين الفندى ،والشيخ عبد الغنى المنشاوى ، والسيد على السخاوى ، وحامد أحمد شريت ، ومحمد سعيد النجار ، ومحمد عبد العزيز خاطر ، وعبد الرحمن رضا كحيلة ، ومحمد الشرقاوى ، وعمر التلمسانى ، وأسعد أفندى راجح ، وعلى يوسف علام ، وطاهر العربى ، وعبد العزيز العروسى ، ومحمد حسن العويش ، ولبيبة هانم أحمد ، وفائقة عبد العزيز ، ومديحة عثمان .

اهتمامات صحيفة الإخوان فى فترة صدورها :

كان فى مقدمة اهتمامات الإخوان المسلمين : مقاومة زحف المؤثرات الغربية على مصر فى الفكر والعادات والتقاليد ، وصون وحماية المجتمع الإسلامى من التأثير الأجنبى الذى بدأ يغزو هذه المجتمعات ويسيطر عليها ، ولا سيما فى النواحى الاجتماعية ، وليس فى الابتكار والتقدم العلمى ، ويشير إلى ذلك الشيخ حسن البنا فى مقال له بعنوان : «المدنية الغربية وركون الشرق إليها » : « إننا ركنا إلى المدنية الغربية واطمأننا بها، وألقينا بأنفسنا فى أحضان المدنية الغربية ، واغترننا بمظاهر الحياة الأوربية ، وجعلناها مقياسا للتقدم والرقى ، وغلونا فى ذلك حتى احتلت العادات الأوربية والأفكار الأوربية والزخارف الأوربية عقولنا وبيوتنا ، وامتدت إلى نفوسنا وأخلاقنا وعواطفنا » . ومضى الشيخ البنا ينتقد هذا المسلك من المسلمين ، ويعيب عليهم هذا الانطواء تحت لواء التقاليد والعوائد الغربية ، وعدم التفكير فيما ينطوى تحتها من الخطر على كرامة المسلمين ومقدساتهم [1] .

وتجدر الإشارة إلى أنه قد تباينت مواقف قادة الإصلاح والتجديد فى مصر تجاه الأخذ عن الغرب ، ونستطيع أن نقسمهم إلى ثلاثة أقسام :

- قسم يرى الخير كله فى تقليد الغربيين والمدنية الغربية بدون تفكير ، محتجا بأنهم لم يتقدموا إلا باتباعهم لهذه التقاليد ، وتلك المدنية .

- وقسم يرى أن للشرق تقاليده الخاصة به قامت عليها الدول الشرقية منذ فجر التاريخ ، وعليهم أن يحسنوا استخدام هذه التقاليد .

- وقسم ثالث يرى أنه من العيب تقليد الغربيين تقليدا أعمى بدون بحث ولا تمحيص، وبيان ما هو صالح وما هو غير ذلك [2] .

ويلاحظ أن جماعة الإخوان قد سلكت الطريق الأخير ، ورأى قائدهم الشيخ حسن البنا أن الطريق الوحيد للإصلاح هو العودة إلى تعاليم الإسلام وتطبيقها تطبيقا سليما ، مع الأخذ بما ينفع الأمة الإسلامية ، من وسائل التقدم الحديثة ، وعلى هذا الأساس اتخذ الإخوان المسلمون الدين وسيلة لتطهير النفوس وتجديد الأرواح وإصلاح أخلاق الأمة [3] ؛ لأنه « يكفل نظام العمران وسعادة الأفراد والجماعات وتحقيق التقدم فى شتى

(١) الإخوان المسلمون ، عدد ٣٢ ، السنة الأولى ، ٢٩ من ذى القعدة ١٣٥٢ هـ .

(٢) الإخوان المسلمون ، عدد ٢٣ ، السنة الثانية ، ١٣ أكتوبر ١٩٣٤ م ، مقال بعنوان : « أفى تقليدنا للغربيين منفعة » لعلى حسن الملط .

(٣) الإخوان المسلمون ، عدد ١٨ ، السنة الثانية ، ٩ سبتمبر ١٩٣٤ م ، مقال بعنوان : « هل نحن قوم عمليون » لحسن البنا .

المجالات الروحية والمادية » [1] .

وبينما كانت جهود المصلحين فى مصر منصرفة إلى ناحية واحدة هى الناحية السياسية، رأى الشيخ حسن البنا أن الإصلاح لا بد أن يكون شاملا لكل النواحى الاجتماعية والسياسية والقانونية والاقتصادية والخلقية والأدبية والفكرية والعلمية ، وأن المنهاج الذى يصلح لإصلاح الأخلاق والاجتماع والفكر والاقتصاد وتحقيق آمال الوطن، والسير بالأمة إلى الكمال هو المنهاج القرآنى [2] .

ومن هنا كان تصدى صحيفة الإخوان المسلمين لدعاة الإصلاح من العلمانيين الذين يزعمون أن هناك حدا فاصلا بين الدين والسياسة ، ويرون أن مهمة الدين قاصرة على إقامة العبادات ، والتمييز بين الخير والشر ، والتفقه فى أمور الدين ، وقد فندت الإخوان المسلمون هذا المنظور لمهمة الدين ، وذهبت إلى أن الدين شامل لكل شيء ، وأنموذج سام لأرقى النظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية [3] ، وفند الشيخ حسن البنا حجة القائلين بأن الدين عقبة فى سبيل التطور والتقدم ، وأن الأخذ بالنظم الأوربية التى تركت الدين جانبا كفيل بتحقيق النهضة والتطور ، وكان رد الشيخ البنا على هذه النقطة : « أن هذا جهل منهم بتعاليم الإسلام ، وبعدهم عنها ورغبتهم فى تقليد الأمم الغربية ومسايرتها ولضعفهم عن الوقوف أمامها ، فليس تأخر المسلمين راجعا إلى تعاليم دينهم ؛ لأنهم عندما تمسكوا بالدين سادوا على كل الأمم ، وعندما تنكروا لدينهم ذلوا واستكانوا » [4].

وفى مقال آخر بعنوان : « ومع هذا يقولون أوربا لا دينية » ذكر البنا أن قادة النهضات الحديثة فى أوربا لا يحاربون الأديان والعقائد كما هو الحاصل فى مصر ، بل هم على النقيض من ذلك يؤيدونها ، وتعنى حكوماتهم بالتعليم الدينى فى مدارسهم، وعلى الذين يطالبون باللادينية فى مصر اقتداء بأوربا أن يفيقوا من سكرتهم ، ويفتحوا أعينهم على أوربا الحديثة الفاتيكانية [5] .

وقد حملت صحيفة الإخوان المسلمين لواء الدعوة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية ، وإلغاء القوانين الوضعية ، والتشريعات الأجنبية المستوردة من الفرنسيين والرومان ؛ لأن هذا تعطيل لأحكام الله التى أنزلها فى كتابه الكريم،والذى جاء به الرسول ﷺ[6] ونشرت

---

(١) الإخوان المسلمون ، العدد السابق ، مقال بعنوان : « الإسلام دين الرقى » لمحمود الشربينى .
(٢) الإخوان المسلمون ، عدد ٣٠ ، السنة الثانية ، ٢١ شعبان ١٣٥٥ هـ ، ٢٩ نوفمبر ١٩٣٤ م .
(٣) الإخوان المسلمون ، عدد ١٥ ، السنة الثالثة ، ٢٢ ربيع الآخر ١٣٥٤ هـ ، ٢٣ يوليو ١٩٣٥ م .
(٤) الإخوان المسلمون ، عدد ٢٣ ، السنة الثالثة ، جمادى الآخرة ١٣٥٤ هـ ، ١٧ سبتمبر ١٩٣٥ م .
(٥) الإخوان المسلمون ، عدد ١٠ ، جمادى الأولى ١٣٥٢ هـ .
(٦) الإخوان المسلمون ، عدد ٢٦ ، السنة الثانية ، ٢٣ رجب ١٣٥٣ هـ ، أول نوفمبر ١٩٣٤م .

الصحيفة النداء الذى وجهه طلاب كلية الشريعة إلى الحكومة والشعب المصرى بمناسبة تشكيل لجنة تعديل القوانين فى عام ١٩٣٦م طالبوا فيه بتحكيم الشريعة الإسلامية ، وإلغاء القوانين الوضعية(١) . وأفسحت الإخوان المسلمون صدر صفحاتها لكثير من البحوث والدراسات التى تؤيد الحاجة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية ، وتؤكد على صلاحيتها لكل زمان ومكان ، وأن التشريعات الإسلامية بعيدة كل البعد عن كل جمود أو تأخر ، وتتفق مع كل المدنيات الحقة فى كل البلدان ، وتتسم بالنزاهة التامة والعدالة المطلقة(٢) . وقدمت آراء ثلاثة من جهابذة القانون فى مصر للرد على دعاة القانون الوضعى ، وهم : الدكتور عبد الرازق السنهورى ، والشيخ محمد أمين هلال ، ومصطفى حنفى بك ـ وكيل الحقانية ـ وأجمعت هذه الآراء على أن الرجوع إلى الشريعة الإسلامية فيه علاج شاف لكل الأمراض الاجتماعية التى تعانيها مصر ، وأن الشريعة الإسلامية أيضا تحمل العناصر الكافية التى تجعلها صالحة للتطور مع حاجات الزمن (٣) .

وكان لصحيفة الإخوان موقفها من الدعوة إلى تحرير المرأة والشعارات التي رفعها دعاة أنصار المرأة ، ودعوى مساواتها بالرجل ، والسفور ، وحقوق المرأة وغيرها(٤) وقال على إبراهيم الأقطشى : إن هذه الشعارات كانت سببا فى هدم نظام الأسرة المصرية ، وذهاب قدسيتها ، وتداعى نظام المجتمع ، وانتهاك قوانين الدين والفضيلة ، واتهم هؤلاء بالمجون والفسق ، وغير ذلك من الألفاظ الشديدة اللهجة(٥) .

ودعت الإخوان المسلمون إلى احتجاب المرأة لدرء الفساد وصيانة الأعراض ، ومنع المرأة من السقوط فى الرذيلة ، وفندت حجج أنصار التبرج التى تزعم « أن احتجاب المرأة مجلبة للتشوف ومدعاة للاستطلاع » (٦) ، ورد الشيخ البنا على ذلك قائلا: «إنهم يسوقون الأمة إلى خطر عظيم ، ويهددون الأسرة المصرية ، ويفتحون عليها بابا مغلقا من أبواب التهلكة والدمار ، وكان الرأى الثابت لدى الإخوان المسلمين هو لزوم المرأة البيت

---

(١) الإخوان المسلمون ، عدد ٨ ، السنة الرابعة ، ١٢ ربيع الأول ١٣٥٥ هـ ، ٢ يونيه ١٩٣٦ م .

(٢) الإخوان المسلمون ، عدد ١٤ ، السنة الرابعة ، ٢٥ ربيع الآخر ١٣٥٥ هـ ، سلسلة مقالات بعنوان : «المقارنة بين النظام القضائى فى مصر بالشرع الإسلامى » كتبها سيد أفندى خضير .

(٣) الإخوان المسلمون ، عدد ٢٥ ، ٢٣ رمضان ١٣٥٦ هـ ، ٢٦ نوفمبر ١٩٣٧م .

(٤) الإخوان المسلمون ، عدد ١٧ ، السنة الأولى ، ٢٠ رجب ١٣٥٣ هـ ، مقال بعنوان : « التجديد فى الشرق والتجديد فى الغرب » لمحمد عبد السلام القبانى .

(٥) الإخوان المسلمون ، عدد ٢ ، السنة الثانية ، ٢٦ محرم ١٣٥٣ هـ .

(٦) الإخوان المسلمون ، عدد ١٨ ، السنة الثالثة ، ١٤ جمادى الأولى ١٣٥٤ هـ ، حول الإصلاح بين المنع والدفع .

بعد أن تأخذ حقها من التعليم والتربية » [1] .

وقد حدد الإخوان المسلمون موقفهم من فكرة الوطنية التى افتتن بها الناس فى تلك الفترة ، وراجت بين المفكرين ، وأصبح لها أنصار يدعون إليها ، وسالت بها أنهار الصحف ، وأكد حسن البنا على وطنية الإخوان المسلمين ، ووضح الخلاف بين فهم الإخوان للوطنية وفهم غيرهم لها قائلا : « إننا مع دعاة الوطنية بل مع غلاتهم فى كل معانيها الصالحة التى تعود بالخير على العباد والبلاد . . . وأن تلك الدعوة الطويلة العريضة لم تخرج عن كونها جزءا من الإسلام ، أما وجه الخلاف بيننا وبينهم فهو أننا نعتبر حدود الوطنية بالعقيدة ، وهم يعتبرونها بالتخوم الأرضية والحدود الجغرافية ، فكل بقعة فيها مسلم وطن عندنا له حرمته وقداسته والجهاد فى سبيله ، ودعاة الوطنية ليسوا كذلك فلا يعنيهم إلا أمر تلك البقعة المحدودة الضيقة من رقعة الأرض [2] .

ودافع حسن البنا عن عروبة مصر ، مشيرا إلى أن فكرة الفرعونية التى يحمل علمها بعض الكتاب فى مصر من أمثال سلامة موسى ، وطه حسين ، وكل من يحمل ضغنا على العربية والإسلام ، هذه الفكرة هى خطأ محض ، خطأ تاريخى واجتماعى ، وخطأ فى جانب القومية المصرية [3] ، وشارك حسن البنا الرأى محب الدين الخطيب وعبد القادر حمزة فى أن الدعوة إلى الفرعونية أو القومية المصرية لها صلة أكيدة بالاستعمار ، الذى يعمل على إضعاف شوكة الأمة العربية ، وإلى تفريق الصف العربى المتحد فى قوميته ولغته ودينه [4] .

وقد والت صحيفة الإخوان المسلمين اهتمامها بالقضايا العربية والإسلامية ، وكان من أبرز تلك القضايا : قضية فلسطين ، وقضايا المغرب العربي ، وقد ذكر حسن البنا أن قضية فلسطين هى قضية العرب أجمعين ، وهاجم دولة الانتداب البريطانى التى عملت على تمكين اليهود من فلسطين ، واغتصاب أرضهم وإخراجهم من ديارهم ، وناشد العرب أن يعملوا على وقف الهجرات اليهودية المستمرة إلى فلسطين ، وأن يمدوا يد المعونة لمجاهدى فلسطين [5] . وأشار البنا إلى أن مطامع الصهيونيين لا تقف عند حد بيت المقدس فحسب ، بل تتطلع إلى دولة صهيونية مترامية الأطراف [6] .

---

(١) الإخوان المسلمون ، عدد ٩ ، السنة الأولى ، ١٣٥٢ هـ .

(٢) الإخوان المسلمون ، عدد ٤ ، السنة الثالثة ، ٤ صفر سنة ١٣٥٤ هـ ، ٧ مايو ١٩٣٥ م .

(٣ ، ٤) الإخوان المسلمون ، عدد ١٥ ، غرة جمادى الأولى ١٣٥٢ هـ .

(٥) الإخوان المسلمون ، السنة الأولى ، عدد ١٧ ، ٢٠ رجب ١٣٥٢ هـ .

(٦) الإخوان المسلمون ، عدد ٧ ، السنة الرابعة ، ٥ ربيع الأول ١٣٥٥ هـ .

وبدأت صحيفة الإخوان المسلمين على التنديد بفظائع الاستعمار فى فلسطين ونسف المدن والقرى بالدناميت ، وانتهاك حرمات المساجد ، والعدوان على المصلين وعلى النساء والأطفال ، وفرض الغرامات الباهظة على الأهالى ، ومنع المؤن عنهم (١) ،فى الوقت ذاته كانت تشيد بالثوار الفلسطينيين ، وتعمل على تأييدهم ماديا ومعنويا ، وتنشر الاحتجاجات التى تقدمها الهيئات والمنظمات الإسلامية والعربية إلى كل من وزير الخارجية البريطانية ، والمندوب السامى فى القدس والقاهرة وسكرتير لجنة الانتداب بعصبة الأمم .

وبالنسبة لقضايا المغرب العربى ، فقد ساندت صحيفة الإخوان المسلمين قبائل البربر فى المغرب العربي ضد السياسة الفرنسية ، التى حاولت تنصير قبائل المغرب العربى وتغيير دينهم ، وتحويل المحاكم الشرعية الإسلامية هناك إلى محاكم فرنسية ، وطرد القضاة من قبائل البربر ، والقضاء على وحدة القبائل الإسلامية ، ومحو الشريعة الإسلامية واللغة العربية من بينهم، وجعل الأوقاف الإسلامية تحت تصرف المراقبة الفرنسية (٢) .

وكانت قضية إصلاح التعليم فى الأزهر ، وإدخال التعليم الدينى فى المدارس العمومية من القضايا الأساسية التى برزت معالجتها على صفحات صحيفة الإخوان المسلمين ، وقدمت آراء جماعة الإخوان وجهودهم فى هذه القضية ، ونشرت نص البرقية التى أرسلتها جماعة الإخوان المسلمين إلى وزير المعارف العمومية ترجوه فيها أن يكون درس الدين الإسلامى فى التعليم درسا أساسيا ، والامتحان فيه إجباريا مثل بقية العلوم الأخرى التى يتوقف عليها نجاح الطالب فى آخر العام الدراسى (٣) .

وبمناسبة انعقاد لجنة تعديل مناهج التعليم فى مايو ١٩٣٥ م وجهت صحيفة الإخوان نداء إلى أعضاء لجنة تعديل المناهج ووزير المعارف العمومية ، تلفت فيه نظر أعضاء اللجنة إلى قيمة مناهج التعليم فى حياة الأمة ، وعرضت لسياسة التعليم منذ عصر محمد على حتى عام ١٩٣٥م مشيرة إلى أن هناك بعض الجوانب التى تركت دون أن يفكر فيها أحد من الذين تولوا إصلاح مناهج التعليم فى مصر ، وأبرز تلك الجوانب : التعليم الدينى ، والتاريخ الإسلامى ، والقرآن الكريم (٤) ، كذلك اهتمت بالدعوة إلى إصلاح التعليم فى الأزهر ، ونشرت نص المذكرة التى رفعها الشيخ حسن البنا إلى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر ، بشأن الإصلاحات التى اقترحتها جمعية الإخوان المسلمين للتعليم

---

(١) الإخوان المسلمون ، عدد ٢٠ ، السنة الخامسة ، ٧ جمادى الآخرة ١٣٥٥ هـ ، ٢٥ أغسطس ١٩٣٦ م.
(٢) الإخوان المسلمون ، عدد ٥ ، السنة الثالثة ١١ صفر سنة ١٣٥٤ هـ ، ١٤ مايو ١٩٣٥ م .
(٣) الإخوان المسلمون ، عدد ٧ ، السنة الثالثة ، ٢٥ صفر ١٣٥٤ هـ ، ٢٨ مايو ١٩٣٥م .
(٤) الإخوان المسلمون ، عدد ٦ ، السنة الثالثة ، ١٨ صفر سنة ١٣٥٤ هـ ، ٢١ مايو ١٩٣٥ م .

الأزهرى، وذلك للعمل على نهضة الأزهر ، ورفع شأنه (١).

وعنيت الإخوان المسلمون بتفسير بعض الآيات القرآنية والدفاع عن لغة القرآن الكريم ، وقد تولى تفسير القرآن الشيخ حسن البنا ، والشيخ محمد مصطفى الحديدى الطير ، وكانت تنشر أحيانا بعض الاقتباسات من تفسير الجواهر للشيخ طنطاوى جوهرى، وعارض حسن البنا فكرة ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأخرى ، وقرر البنا أن جماعة الإخوان : « ليست من أنصار مشروع الترجمة . . . وأن الجهود التى يستنفذها لو أنفقت فى غيره من وسائل النهوض بالمسلمين أو الدعوة إلى الإسلام لكان خيرا » (٢) . وكتب أيضا محمد الشرنوبى ينفى جواز ترجمة القرآن الكريم ، ويطالب العلماء للفصل فى هذه القضية بعد أن اختلفت حولها الآراء ، واشتد الجدل بين المؤيدين والمعارضين لفكرة الترجمة(٣) .

كذلك دافعت صحيفة الإخوان عن السنة النبوية ومكانتها فى الإسلام ، وأكدت على وجوب العناية بها ، وانبرى الشيخ حامد عسكرية ـ أحد أعضاء الإخوان البارزين ـ للرد على ما أذاعه فريق من المتفرنجين بوجوب تلك السنة والاكتفاء بالقرآن الكريم ، بحجة أنها لم تكتب فى زمنه ﷺ ، ولم يأمر بكتابتها ، وذكر الشيخ عسكرية أن السنة هى بيان للقرآن وشارحة لأحكامه ، وهى بمثابة المذكرة التفصيلية للقرآن الكريم ، وهى جزء لا يتجزأ من القرآن (٤) .

كما كتب الشيخ محمد زهران يفند حجة هؤلاء المتفرنجين إلى ترك السنة ، مشيرا إلى أن الرسول ﷺ لم يأمر بكتابة السنة إما لخشية اشتباه الأحاديث بالقرآن على بعض الضعفاء ، حيث لم يكن قد كثر فى الناس من يحفظونه كثرة تجعله شائعا بينهم شيوعا يحصل به تمييزه عند السماع عن غيره ، وأضاف الشيخ زهران فى نهاية مقاله : إن تلك الكتابة قد صارت بعد العصر الأول متحتمة وضرورية لتوقف حفظ الشريعة الواجب عليها(٥).

وقد أدت الصحيفة ـ الإخوان المسلمون ـ دورا بارزا فى مقاومة الهجمات التبشيرية على مصر ، واعتداءاتهم المتكررة على الدين الإسلامى ، وحذرت من مغبة هذا العمل المستفز لمشاعر المسلمين ووجداناتهم ، وناشدت حكومة مصر الإسلامية ومشيخة الأزهر

(١) الإخوان المسلمون ، عدد ١٣ ، السنة الثالثة ، ٨ ربيع الآخر ١٣٥٤ هـ ، ٩ يوليو ١٩٣٥ م .
(٢) الإخوان المسلمون ، عدد ٢ ، السنة الرابعة ، ٢٩ محرم ١٣٥٥ هـ ، ٢١ أبريل ١٩٣٦م .
(٣) الإخوان المسلمون ، عدد ١٧ ، السنة الرابعة ، ١٦ جمادى الأولى ١٣٥٥ هـ ، ٤ أغسطس ١٩٣٦م .
(٤) الإخوان المسلمون ، عدد ٧ ، السنة الأولى ، ٤ ربيع الآخر ١٣٥٢ هـ .
(٥) الإخوان المسلمون ، العدد ٢٠ ، السنة الأولى ، ١٢ شعبان ١٣٥٢ هـ .

ومحبى الإصلاح فى مصر أن يوقفوا هذا العدوان من قبل الهيئات التبشيرية قبل أن يستفحل الخطر وتعم البلوى ، وأهابت بالمسلمين أن ينشطوا للعمل ضد هذا العدوان المتكرر من قبل المبشرين على عقائدهم وأبنائهم (١) ، وكتب حسن البنا يرد على القمص سرجيوس الذى كتب فى مجلة قبطية يطعن فى الإسلام ويشوه حقائقه (٢) ، وأشار البنا إلى أن الجامعة الأمريكية بالقاهرة تقوم بدور تبشيرى خطير ، فهى ملجأ المبشرين وملاذهم لإقامة الحفلات التى يدعى إليها بعض المسلمين ، وفى هذه الحفلات يتعرض المبشرون للإسلام ، ويسيئون القول فى كتابه ونبيه ، وضرب على ذلك مثلا بما فعله مبشر يدعى جفرى ، خطب فى الجامعة الأمريكية وأساء إساءة بالغة إلى الإسلام(٣) .

وبالإضافة إلى جهود الإخوان المسلمين فى مقاومة التبشير بالمقالات والاحتجاجات والاستنكارات ، تشكلت لجنة فى الإسماعيلية من أعضاء الإخوان لمحاربة المبشرين بالطرق العملية ، وتتبع المبشرين فى أماكن تواجدهم ، وتحذير المسلمين من الوقوع فى براثنهم أو الاستماع لهم ، وتأسيس المدارس والملاجئ والمستشفيات لحماية ضعفاء المسلمين وفقرائهم، من أخطار المبشرين واللجوء إليهم (٤) .

وفى مجال التفقيه والإرشاد عنيت صحيفة الإخوان المسلمين بنشر الثقافة الإسلامية والدعوة إلى الإصلاح الاجتماعى والخلقى والدينى ، وكانت الصحيفة تنشر ما يلقى فى جمعية الإخوان المسلمين وفروعها من محاضرات ودروس وعظية وخلقية وخطب منبرية، وتقدم على صفحاتها أيضا فى القسم الذى أطلقت عليه القسم التاريخى بعض الأعلام المشهورة فى التاريخ الإسلامى من الصحابة رضوان الله عليهم ، واهتمت بشرح قواعد الدين الإسلامى ، وحث المسلمين على الالتزام بها كالحج والصلاة والصيام والزكاة وغيرها من فرائض الإسلام ، وسننه كالاعتكاف والأضحية ، وصلاة العيدين وكانت تخرج أعدادا خاصة فى المناسبات الدينية كذكرى المولد النبوى الشريف وذكرى الهجرة ، وغيرهما من المناسبات (٥) ، وكذلك كانت تقدم بعض الفتاوى التى كان يجيب عليها الشيخ حسن البنا .

وفيما يخص الجانب الإصلاحى والخلقى ، شنت صحيفة الإخوان حربا ضد

(١ ، ٢) الإخوان المسلمون ، عدد ٢ ، السنة الثانية ، ٢٦ محرم ١٣٥٣ هـ .

(٣) الإخوان المسلمون ، عدد ٣٠ ، السنة الأولى ، ذو القعدة ١٣٥٢ هـ . وكان الشيخ محمد زهران يحرر فى الصحيفة بابا بعنوان : « الأحاديث الموضوعة » .

(٤) الإخوان المسلمون ، عدد ٥ ، السنة الأولى ، ٢٠ ربيع الأول ١٣٥٢ هـ .

(٥) الإخوان المسلمون ، عدد ٤ ، السنة الأولى ، ١٣ ربيع الأول ١٣٥٢ هـ ، وعدد ١ ، السنة الرابعة ، ٢٢ محرم ١٣٥٥ هـ ، ١٤ أبريل ١٩٣٦ م .

المخدرات من الخمر والحشيش والكوكايين والدعوة إلى البغاء الرسمى والسرى ولعب الميسر ، والقمار والرشوة والربا ، وقدمت العديد من البحوث والمقالات والمحاضرات التى تسهم فى الإصلاح الاجتماعى والخلقى ، وبرز في ذلك المجال الشيخ حسن البنا والشيخ مصطفى الحديدى الطير ، والشيخ محمود أبو العيون ، والشيخ طه محمد الساكت ، وحسين عاشور .

وانفردت صحيفة الإخوان من بين الصحف الإسلامية بالاهتمام بأحوال الفلاحين ، وصور حسن البنا ما يقع عليهم من ظلم ، وما هم فيه من بؤس وشقاء معيشتهم وصحتهم (١) .

وعنيت صحيفة الإخوان المسلمين بتنقية الإسلام من الأفكار الشاردة ، ومحاربة المذاهب المنحرفة عنه ، وكشف حسن البنا عن زيف التصوف الذى يستمد أصوله وقواعده من أصول غير إسلامية ، كالمذاهب الفلسفية ، والآراء النظرية ، وأعلن الشيخ حسن البنا أن التصوف بهذا المعنى « أمر فلسفى عقلى لا صلة له بالإسلام » (٢) ، وفى مقال آخر بعنوان : « التصوف والكتاب والسنة » ذكر الشيخ حسن البنا أن الصوفى لا يكون صوفيا إلا إذا تمسك بالكتاب والسنة ، وليس كل ما ظهرت عليه علامات التقشف ورثاثة الثياب وتكاسل عن أداء الفروض الدينية (٣) . وشنت الصحيفة أيضا الحرب على ممارسات الصوفية المخالفة للدين الإسلامى وما تعارف عليه الصحابة كالرقص والتمايل فى الذكر واستخدام الدفوف والطبول ، والاختلاط بين الرجال والنساء (٤) ، مشيرة إلى بعض المفاسد التي ترتكب فى الموالد باسم الدين ، ونشرت سلسلة المقالات عن مفاسد الطريقة التيجانية ، وأورادها (٥) .

وبالإضافة إلى ذلك عرضت الإخوان المسلمون لضلالات البابية أو البهائية وفساد معتقدات هذه النحلة الضالة ، وأكدت على خروجها عن قواعد الدين الإسلامى الصحيح

---

(١) الإخوان المسلمون ، عدد ٢١ ، السنة الثالثة ، ٤ جمادى الآخرة ١٣٥٤ هـ ، ٣ سبتمبر ١٩٣٥ م ، و عدد ٢ ، ٢٨ جمادى الأولى ١٣٥٤ هـ ، ٢٧ أغسطس ١٩٣٥م ، سلسلة مقالات بعنوان : « صوت من الريف »، وعدد ٥ ، السنة الرابعة ، ٢١ صفر ١٣٥٥ هـ ، مايو ١٩٣٦ م ، وعدد ٣٣ خاص عن البغاء بتاريخ ٢٢ ديسمبر ١٩٣٤ م ، وعدد ١١ ، السنة الثانية ، ٧ ربيع الآخر ١٣٥٣ هـ ، ومقال بعنوان : « الخمر والبغاء » لحسن البنا .

(٢) الإخوان المسلمون ، عدد ١١ ، السنة الأولى ، محرم ١٣٥٢ هـ ، وعدد ٢ ، ٢٨ صفر ١٣٥٢ هـ .

(٣) الإخوان المسلمون ، عدد ٥ ، السنة الأولى ، ٢٠ ربيع الأول ١٣٥٢ هـ .

(٤) الإخوان المسلمون ، عدد ١٠ ، السنة الأولى ، ٢٥ ربيع الآخر ١٣٥٢ هـ .

(٥) الإخوان المسلمون ، عدد ٢٦ ، السنة الثانية ، ٢٣ رجب ١٣٥٣ هـ ، أول نوفمبر ١٩٣٤ م .

كما أفتى بذلك شيخ الجامع الأزهر (١) ، وكشفت أيضا عن خطورة القاديانية وانتشارها فى الأوساط المصرية ، واستغلالها مظاهر الانحلال الخلقى والأدبى والدينى للترويج لدعايتها وبث سمومها (٢) .

وبعد هذا العرض لما قدمته صحيفة الإخوان المسلمين من موضوعات وأفكار وآراء ، يمكن إيجاز أبرز ما عنيت به الصحيفة خلال فترة صدورها فيما يلى :

١ ـ مقاومة زحف المدنية الغربية على الأسرة الإسلامية فى مصر ، وحماية المجتمع الإسلامى من الانطواء تحت لواء المؤثرات الغربية فى الفكر والعادات والتقاليد دون تبصر وفهم وإدراك لها ، والدعوة إلى العودة إلى تعاليم الإسلام الصحيحة فى إصلاح الجوانب الاجتماعية والسياسية والفكرية والعملية والأدبية والقانونية مع الأخذ من معطيات العصر الحاضر ما يفيد الأمة الإسلامية ، ويعمل على تقدمها العلمى والمادى ، والدعوة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية ، وإلغاء القوانين الوضعية والتشريعات المستوردة ، ومحاربة دعاة المدنية الغربية وأنصار شعارات حقوق المرأة ، تحرير المرأة ، مساواة المرأة بالرجل .

٢ ـ الاهتمام بالقضايا العربية الإسلامية ، وفى مقدمتها قضية فلسطين ، والمغرب العربى ، ومحاربة الدعوة الانفصالية التى تنادى بفصل مصر عن الأمة العربية .

٣ ـ العمل على إصلاح مناهج التعليم فى الأزهر ، وإدخال التعليم الدينى فى المدارس الحكومية وتغيير سياسة التعليم التى وضعها الاستعمار للتعليم فى مصر ، والعناية بتفسير القرآن الكريم ، والتصدى للهجوم على اللغة العربية ، ودعوى ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأوربية ، والدفاع عن مكانة السنة المطهرة فى الإسلام ووجوب العناية بها كمصدر من مصادر التشريع الإسلامى .

٤ ـ مقاومة المنظمات التبشيرية فى مصر ، والتحذير من عاقبة اعتداء المبشرين على معتقدات المسلمين وأبنائهم ، وجرح مشاعرهم واستفزازهم ، والعناية بالثقافة الإسلامية، وتفقيه وإرشاد المسلمين فى كل ما يتصل بأمور الدين ، ومحاربة مظاهر الخروج عن الدين الإسلامى ، كشرب الخمر والسموم البيضاء ولعب الميسر والقمار والربا والرشوة ، والبغاء الرسمى والعلنى ، وتنقية الإسلام من الأفكار الشاردة والضالة ، ومحاربة المذاهب المنحرفة كالصوفية والبابية والقاديانية .

(١) الإخوان المسلمون ، عدد ١٣ ، السنة الثانية ، ٢١ ربيع الثانى ١٣٥٣ هـ ، سلسلة مقالات عن البابية ، كتبها الشيخ عبد الوهاب العيسوى .
(٢) الإخوان المسلمون ، عدد ١٩ ، السنة الأولى ، ٥ شعبان ١٣٥٢ هـ .

٧ ـ صحيفة الصرخة

فى تلك الفترة الخاصة بالدراسة رأينا نمو الجمعيات والهيئات الإسلامية العاملة فى إطار العمل الإسلامى وتنوع أغراضها واتجاهاتها ، وكانت جمعية مصر الفتاة [١] التى أسسها أحمد حسين فى أكتوبر ١٩٣٣م ضمن هذه الجمعيات ذات الطبيعة العربية الإسلامية [٢] ، التى مزجت بين الدين والسياسة ، والدين والوطنية فى إطار واحد ، ورغم أن البرنامج الذى طرحته مصر الفتاة على صفحات جريدة الصرخة ٢١ أكتوبر ١٩٣٣م يتضمن أهدافًا سياسية واقتصادية وثقافية إلا أنه ـ كما قلنا ـ اتسم بالاتجاه الإسلامى ، وظهر هذا الاتجاه فيما بعد فى ممارسات الحزب السياسية . يقول طارق البشرى : « إن ما يميز مصر الفتاة فى دعاويه التى طلع بها على الرأى العام أنه عمل على الجمع بين الدين والوطنية فى إطار سياسى واحد » [٣] .

كذلك أكد على فكرة الدين كميدان من ميادين العمل السياسى ، وأفرد فى برنامجه بندا خاصًا بالجهاد الاجتماعى فى الدين والأخلاق ، دعا فيه إلى احترام الأديان وقداستها، والارتقاء بالأخلاق ومحاربة الدعارة والخمور والتخنث ، وصدر شعاره بلفظ الجلالة مقرونا بالوطن ثم بالملك [٤] ، وقد تصاعد الاتجاه الإسلامى السياسى لدى مصر الفتاة فى أواخر عام ١٩٣٧م ، وبلغ ذروته فى عام ١٩٤٠م بتغيير اسم الحزب إلى الحزب الوطنى الإسلامى ، وبالدعوة إلى الخلافة الإسلامية والمناداة بتغيير كافة التشريعات الإسلامية [٥] .

وقد صدرت الصرخة [٦] معبرة عن مصر الفتاة ثلاث مرات منفصلات : الأولى من ٣ مارس ١٩٣٠م إلى ٢٧ من الشهر نفسه ، وكانت تصدر أسبوعية ، مستأجرة من صاحبيها عبد الرحمن العيسوى ، وأمين إبراهيم الأزهرى . والفترة الثانية من ٧ أكتوبر عام ١٩٣٣ إلى ٤ أبريل ١٩٣٥م ، وتولى إدارتها أحمد حسين وفتحى رضوان مع المشاركة فى التحرير ، وكان رئيس تحريرها حافظ محمود . أما الفترة الثالثة فهى من ٥

---

(١) تحولت إلى حزب مصر الفتاة فى عام ١٩٣٧م .

(٢) عواطف عبد الرحمن : مصر وفلسطين ، مرجع سابق ، ص١٢٨ ، ١٢٩ ، وأنور الجندى : يقظة الفكر العربى ، مرجع سابق ، ص٧٠ ، ٧١ .

(٣) طارق البشرى : المسلمون والأقباط فى إطار الجماعة الوطنية ، مرجع سابق ، ص٥١٧ ، ٥١٩ .

(٤) المرجع السابق ، ص٥١٩ . (٥) المرجع نفسه ، ص٥٢٩ .

(٦) كانت الصرخة قبل أن تستأجرها جمعية مصر الفتاة مجلة فنية سياسية تهتم بأخبار الفن والمسرح ، وتنشر صور الفنانات والصور الخليعة على أغلفتها ، وكان رئيس تحريرها حسن حسنى ، وبالإضافة إلى الصرخة أصدرت مصر الفتاة : الثغر والضياء ، ومصر الفتاة والاشتراكية ، وقد تعرض أكثرها للمصادرة .

نوفمبر ١٩٣٥م إلى أول أغسطس ١٩٣٦م ، وتولى إدارتها أحمد الشيمى ، ورئاسة تحريرها عبد السلام شهاب ، ثم حل محله محمد صبيح فى ٨ يناير ١٩٣٦م ، وكانت تطبع بمطبعة وادى الملوك [١] . واتبعت فى إخراجها الطريقة الرأسية ، وكانت «الصرخة» جريدة تصدر فى حجم ٣٠ × ٤٢ ، وتتكون من ست عشرة صفحة .

الصور والرسوم :

عنيت الجريدة بالصور والرسوم الكاريكاتيرية والزخارف ووسائل الإبراز الصحفية المختلفة ، وفنون التحرير بأشكالها المتعددة .

أبرز كتّاب الصرخة :

تولى تحرير الصرخة مجموعة من أعضاء جمعية مصر الفتاة وبعض المفكرين الآخرين، ومن أبرز هؤلاء الكتاب : أحمد حسين ، وحافظ محمود ، وفتحى رضوان ، وأحمد الشيمى ، وحنفى محمود جمعة ، ونعيمة على الأيوبى ، وأمين الخولى ، ومحمد حلمى ، وعبد الرحمن الرافعى ، ومسعود فراج مسعود ، وحمادة الناحل ، ومحمد صبيح ، وصالح حنفى ، ومحمد خلدون التونسى ، وإبراهيم رمزى ، وعبد الرحمن الشرقاوى ، وأحمد أنس ، وعبد الوارث الحجاجى وغيرهم .

اهتمامات جريدة الصرخة فى فترة صدورها :

رغم أن الصرخة كانت لسان جمعية مصر الفتاة ، والمعبرة عن فلسفتها ومبادئها ، إلا أنه قد غلب على كتابتها الطابع الإسلامى فى كثير من الأحيان ، وكان هذا الاتجاه الإسلامى له جذور عميقة فى فكر أحمد حسين زعيم مصر الفتاة ، ونابعًا من إيمانه بصلاحية الإسلام لقيادة الحياة . وقد عبر عن ذلك فى الصرخة قائلاً : « لا حد لإيمانى برسالة الإسلام وصلاحيتها لهداية الإنسانية ، وهذا ما كرست حياتى من أجل تحقيقه أو الموت فى سبيله » [٢] .

وقد دعت الصرخة إلى التمسك بالدين الإسلامى ، وذلك لأنه مظهر من مظاهر القوة ، والأمم لا تحيا إلا بدينها ، وأن سر انحطاط المصريين وتخلفهم يرجع إلى التدهور الدينى ، وانتشار الفساد من خمر وبغاء وقمار بين أوساط المصريين ، وأن المسلمين لم يضعفوا ولم يهزموا إلا لتهاونهم فى شأن دينهم [٣] ، ومن هنا واصلت الصرخة حملاتها

---

(١) رشدى البدرى : أحمد حسين فى الصحافة المصرية ، رسالة ماجستير ، كلية اللغة العربية ، جامعة الأزهر ، ١٩٨٧م ، ص٥٣ ، ٥٥ .

(٢) الصرخة ، ٢٧ من مارس ١٩٣٠م .

(٣) أحمد حسين : إيمانى ، ط٢ ، القاهرة : ١٩٤٦م ، ص٧٨ ، ٧٩ ، والصرخة ، ١٢ ديسمبر ١٩٣٣م ، و٢٣ ديسمبر ١٩٣٣م .

على كل صنوف الموبقات ، ومظاهر الخروج على الدين الإسلامى والانحلال والضعف اللذين حلا بالأمة المصرية من جراء الاحتلال البريطانى ، والفساد الحزبى والامتيازات الأجنبية ، ودعت الصرخة إلى مقاطعة الأجانب والإنجليز فى تجارتهم ومنتجاتهم وملاهيهم ، على اعتبار أن هذا ليس عملاً وطنيًا فحسب ، بل هو عمل دينى أيضًا (١) .

وهاجمت الصرخة المحاكم المختلطة والامتيازات الأجنبية ، وأشار أحمد حسين ـ زعيم مصر الفتاة ـ إلى أنهما أساس التدهور الخلقى والدينى ، وما تعانيه مصر من بؤس ولا سيما قطاع العمال والفلاحين (٢) ، وكان من أبرز ما اهتمت به الصرخة أيضًا هو محاربة البغاء الرسمى والحانات ودور اللهو المنتشرة فى عرض البلاد وطولها حتى عمت القرى والنجوع ، ونددت باندفاع الشباب المصرى نحو التخنث وطراوة الأخلاق ، والاهتمام بالأغانى الرخيصة المبتذلة ، والانصراف عن الدين والوطنية إلى المقاهى ودور السينما وأماكن اللهو الحرام ، والجرى وراء الأهداف الساقطة (٣) .

وكان لجريدة الصرخة موقفها المؤيد للقضية الفلسطينية ومشاركتها الثوار الفلسطينيين فى دفاعهم عن بلادهم ضد اليهود ، وقد نددت بمواقف إنجلترا المساندة لليهود على طول الخط ، والمتنكرة لحقوق الفلسطينيين أصحاب البلاد الشرعيين ، وشنت هجوما شديدًا على سياسة الحكومة المصرية بسبب موقفها المتخاذل من القضية الفلسطينية ولعدم مؤازرتها ونصرتها الحركة الوطنية الفلسطينية ودعمها بالمال والعتاد والسلاح (٤) . وقد دعا أحمد حسين على صفحات الصرخة إلى وحدة الدول العربية وترابطها حتى تكون قوة يعتد بها فى حل قضايا الأقطار العربية وفى مقدمتها فلسطين (٥) . وعلى أثر صدور صحيفة الجامعة الإسلامية فى يافا ، ومصادرة السلطات الإنجليزية لها دعت الصرخة إلى الجامعة الإسلامية حتى تتكون للبلاد الإسلامية عصبة أمم تخيف الدول الاستعمارية الطامعة فيها، وتكون بمثابة وحدة قومية تجمع بين الأقطار الشرقية كلها فى دائرة روحية واحدة (٦) .

وهكذا نرى أن معالجة صحيفة الصرخة للقضايا الوطنية والسياسية ينبع من اتجاه إسلامى ، وإن كان لا يرقى إلى حدود الاتجاهات الإسلامية الأخرى .

ويمكن إجمال القضايا التى اهتمت بها صحيفة الصرخة فيما يلى :

١ ـ الدعوة إلى التمسك بالدين الإسلامى ، وصلاحية الإسلام لقيادة الحياة ومحاربة كل مظاهر الخروج عن الدين الإسلامى ، والانحلال والضعف اللذين حلا بالأمة المصرية .

٢ ـ محاربة الاحتلال البريطانى والامتيازات الأجنبية ، ومناصرة القضية الفلسطينية، والدعوة إلى الجامعة العربية والإسلامية .

---

(١) الصرخة ، ٤ فبراير ١٩٣٤م ، ٩ يونيه ١٩٣٤م . (٢) الصرخة ، ٧ أبريل ١٩٣٤م .
(٣) الصرخة ، ١٧ مارس ١٩٣٦م ، و٢٨ مارس ١٩٣٦م ، و٩ ديسمبر ١٩٣٣م .
(٤) الصرخة ، ١١ يونيه ١٩٣٦م .
(٥) الصرخة ، ٢٣ يونيه ١٩٣٤م . (٦) الصرخة ، ١٣ يناير ١٩٣٤م .

الباب الثانى

موقف صحافة الاتجاه الإسلامى من القضايا الفكرية والاجتماعية والسياسية

ويتناول :

الفصل الثالث : صحافة الاتجاه الإسلامى والقضايا الفكرية والاجتماعية .

الفصل الرابع : صحافة الاتجاه الإسلامى والقضايا السياسية .

الفصل الثالث
صحافة الاتجاه الإسلامى والقضايا الفكرية والاجتماعية
المبحث الأول
صحافة الاتجاه الإسلامى والتغريب ودعاته

فى بداية الحديث عن موقف الصحافة الإسلامية من التغريب ودعاته ، نوضح أدبيات مفكرى الإسلام عن معنى التغريب ، ونتحدث عن نشأته وتطوره فى الفكر المصرى الحديث ووسائله وأهدافه وقضاياه ، ثم موقف الصحف الإسلامية فى التصدى لدعاته وأنصاره ، هذا ما يدور حوله هذا البحث .

التغريب ـ أو التغرب ـ كما يقول المفكر الإسلامى شكيب أرسلان : « هو التخلق بأخلاق الفرنجة والتشبه بهم ، وأخذ أخذهم فى طراز العيش وأساليب الحياة، ويشمل ذلك المحسوس كاستعمال صنوف الأدوات والمستحدثات ، والمعنى كاقتباس الأفكار والآراء الاجتماعية والسياسية وغيرها »(١) .

وذكر الدكتور محمد حسين تعريفا للتغريب مماثلا لهذا التعريف إذ قال : «التغريب هو أن نسير سيرة الأوربيين ونسلك طريقهم لنكون لهم أندادا وشركاء فى الحضارة خيرها وشرها حلوها ومرها ، وما يحب وما يكره وما يحمد منها وما يعاب »(٢) .

ويرى الدكتور على عبد الحليم محمود أن التغريب هو : « مجموعة من الدراسات والأعمال والثقافات والنظم التى تجرى حول المسلمين وتطبق على مجتمعاتهم ، فتؤدى بهم فى النهاية إلى أن يتشبعوا بالفكر الغربى والحضارة الغربية المعادية للإسلام »(٣) .

وذهب الدكتور على جريشة إلى أن التغريب هو : « التغيير الذى يجرى أول ما يجرى داخل العقول والقلوب ، ثم ينتقل إلى الأخلاق والتقاليد والعادات ، ويخطط لهذا

---

(١) لوثروب ستودارد : حاضر العالم الإسلامى ، نقله إلى العربية عجاج نويهض ، تعليق شكيب أرسلان ، ط٤، القاهرة : دار الفكر العربى ، ١٩٧٣م ، جـ ٤ ، ص ١ .

(٢) محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر جـ٢ ، ص ١٩٣ .

(٣) على عبد الحليم محمود : الغزو الفكرى وأثره فى المجتمع الإسلامى المعاصر ، الكويت : دار البحوث العلمية ، ١٩٧٩م ، ص ١٢٣ .

التغيير علماء النفس والاجتماع فوق أجهزة التخابر والإحصاء العامة المختلفة »[1].

ويرادف كلمة التغريب كلمة الأمركة أو الماركسة أو الغزو الفكرى أو الغزو الثقافى فى العصر الحاضر ، وكلها تعنى حرب الإنسان بالكلمات والأفكار والمبادئ والقيم ، وما إلى ذلك من مختلف الوسائل غير العسكرية ، كما أعرب عن ذلك الدكتور محمد سيد محمد فى بحثه المقدم إلى ملتقى الفكر الإسلامى التاسع عشر بالجزائر بعنوان : « الغزو الثقافى والاتصال الحضارى مفهومان متناقضان » .

ويرجع تأثر الفكر المصرى بالأفكار والمؤثرات الغربية إلى أواخر القرن الثامن عشر مع قدوم الحملة الفرنسية على مصر ، ورغم قصر الفترة الزمنية لها ، غير أنها استطاعت أن تحدث أثرا فى أوساط المجتمع المصرى ، ولا سيما فى الميادين الفكرية والعلمية والاجتماعية أيضا ، وقد واصل محمد على المسار نفسه ، إذ سمح للكثير من علماء الحملة فى البقاء بمصر ، ومواصلة أعمالهم وأبحاثهم ، وعمل على تشجيع الأنشطة العلمية والفكرية ، وترجمة عشرات الكتب من اللغات الأجنبية وإرسال البعثات إلى أوربا وخاصة إلى فرنسا[2] .

ولكن المحاكاة الحقيقية للغرب فى مصر بدأت فى عهد الخديو سعيد وخلفه إسماعيل فى الستينات والسبعينات من القرن التاسع عشر ، حيث بدأ النفوذ الأوربى يتسرب إلى مصر ، وسمح له الحكام بالتوغل فى معظم الحقول الرسمية وغير الرسمية ، وأتى الوافد الأوربى بطرق شتى ، من رجال مغامرين ومؤسسات اقتصادية ـ من بنوك وبيوت إقراض ورهونات وقروض للدولة ـ وبعثات تبشيرية ومدارس أجنبية ، وكلها تتلمس الطريق لتكوين فئات وكوادر مصرية تدين بالولاء للغرب وكنائسه ، فى الوقت الذى كانت الفئة السياسية الحاكمة فى مصر منفصلة عن الجماهير العريضة وآمالها وأحلامها ، وبذلك فقدت المناعة فى مقاومة هذا الوافد الأجنبى ، ومن ثم بدأ التقليد والمحاكاة والاقتباس من الغرب يأخذ طريقه إلى الحياة المصرية ، فى وسائل العيش وأنماط الحياة من ملبس ومسكن ومأكل ومشرب ، بل أخذت مصر تقتبس النظم القانونية الفرنسية فيما سمى بالإصلاح القضائى فى عهد الخديو إسماعيل ، هذا الإصلاح الذى فتح الطريق للامتيازات الأجنبية ثم المحاكم المختلطة ١٨٧٥ ثم المحاكم الأهلية ١٨٨٣[3] .

---

(١) على جريشة ، وزميله زيبق : أساليب الغزو الفكرى للمجتمع الإسلامى ، القاهرة : دار الاعتصام ، ١٩٧٣م ، ص ٥٨ .

(٢) عواطف عبد الرحمن : مصر وفلسطين ، مرجع سابق ، ص ٣٩ .

(٣) طارق البشرى : الحركة السياسية فى مصر (١٩٤٥ ـ ١٩٥٢م) ، القاهرة : دار الشروق ، ١٩٧٠م ، ص٣٢ ، ٣٣ .

ثم أدى الاحتلال البريطانى ١٨٨٢م إلى زيادة النفوذ الأجنبى وانتشار الأفكار الغربية، وشيوع عادات وتقاليد غريبة لم يعرفها المجتمع الإسلامى المصرى قبل ذلك ، كشرب الخمر ولعب الميسر والقمار ، ووجود حانات وأندية يمارس فيها ، وأصبح فى مصر مراقص وبيوت دعارة مرخصة لتسهيل هذا العبث والفجور تحت سمع الاحتلال وبصره(١).

واندفع المصريون يقلدون الأجانب فى كل مظهر من مظاهر الحياة العامة والخاصة ، وانتشر اختلاط الرجال بالنساء على الطريقة الأوربية ، وبدأت العادات والتقاليد الغربية تحظى باهتمام المصريين ، وتجرأ الناس على ارتكاب الموبقات والجهر بها باسم الحرية الشخصية أو التمدين ومسايرة روح العصر تارة ، أو باسم الثقافة والفن والعلوم تارة أخرى ، ومع نهاية القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين ، بدأ رواج الفكر الغربى متمثلا فى نظرياته السياسية والاجتماعية والفلسفية ، ولم يعد الأمر تنظيما أو نمطا يؤخذ أو مطلبا يستعار ، ولكن صار مذاهب ونظريات وأدبا وشعرا ، وأساسا نظريا وعقليا ووجدانيا متكاملا للحياة كلها(٢) .

وفى مجال الصحافة تكونت مدرسة التغريب ونقل معطيات الفكر الغربى ، ممثلة من بعض خريجى المدارس الأجنبية والإرساليات التبشيرية ، وعدد من الشوام المارونيين الذين أصدروا الصحف فى مصر ، وأعدتهم مؤسسات الإرساليات التبشيرية لقيادة الحركة الفكرية فى مصر خاصة الصحافة ، وكان فى مقدمة هؤلاء فارس نمر ويعقوب صروف وشاهين مكاريوس أصحاب « المقطم » ، وفرح أنطون صاحب مجلة «الجامعة » الذى هاجم حرية الفكر فى الإسلام ، والدكتور صروف صاحب « المقتطف » الذى روج لنظريات دارون وسبنسر والأخذ عن الثقافة الإنجليزية ، وجورجى زيدان الذى كتب تاريخ التمدن الإسلامى فملأه بالأساطير والخرافات وكتب قصص تاريخ الإسلام ، فضمنها الشبهات والاتهامات التى رددها المبشرون والمستشرقون ، وشيلى شميل حامل لواء الفلسفة المادية ، والمدافع عن الاستعمار البريطانى ضد حرية واستقلال الشعوب .

ومن المصريين : لطفى السيد محرر صحيفة « الجريدة » ونصير الدعوة إلى القومية ومروج الأفكار العلمانية فى مصر .

ومن خلال نشاط هؤلاء عرفت الثقافة المصرية دارون ونيتشه وأوجست كونت

---

(١) يوسف القرضاوى : الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا ، ط ٣ ، القاهرة : مكتبة وهبة ، ١٩٧٧م ، ص ٦٤ .

(٢) عبد اللطيف حمزة : أدب المقالة الصحفية ، ط ١ ، القاهرة : دار الفكر العربى ، جـ ٣ ، ص ١٨ ، ومحمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، ط ٣ ، جـ ١ ، ص ٢٤٤ ـ ٢٧٢ ، وطارق البشرى: الحركة السياسية فى مصر ، مرجع سابق ، ص ٣٤ .

والروائيين الروس والبريطانيين ، هذا بالإضافة إلى الكتاب الفرنسيين أمثال : فولتير وروسو ولوندباك ومونتسكيو ، وسيجموند فرويد ، وجوستاف لوبون وغيرهم من المفكرين الأوربيين المعاصرين[1] .

وهكذا نرى إحكام طوق التبعية والتغريب على عنق الشعب المصرى من خلال الحكام المنفصلين عن القاعدة الجماهيرية العريضة ، والذين يعيشون فى أبراج عاجية عيشة أوربية خالصة ، ومن الاحتلال البريطانى الذى كان من أهدافه السيطرة على عقول المصريين ، والاستحواذ على قلوبهم ضمانا لتبعيتهم وتقبلهم للوافد الغربى وإحكام السيطرة والتوجيه ، وتقريب المصريين من المحتلين ، ومن العملاء من الصحفيين والمفكرين الشوام النصارى الذين أتيحت لهم السيطرة على أجهزة الحكم والتوجيه والفكر والاجتماع فى تلك الفترة .

وكان الهدف من هذه الغزوة الفكرية التغريبية على حد قول الدكتور محمد عمارة : « سحق الشخصية القومية المتميزة للأمة وإفناء طابعها الحضارى الخاص أو تشويهه ، سعيا إلى تحويلها إلى هامش حضارى للمركز الأوربى ، ضمانا لتأبيد وتأبيد أهداف الغزوة الاستعمارية الحديثة التى أرادت وتريد نهب الثروات ، وجعل بلادنا سوقا لسلعهم ، وشعوبنا أيدى عاملة رخيصة ، وتحويل الأرض إلى قواعد عسكرية تحمى هذا الاستنزاف.. أى جعلنا هامشا لأوربا فى الاقتصاد والأمن والفكر والاجتماع »[2] .

وفى الفترة التى تلت الحرب العالمية الأولى ازدادت موجة التغريب ؛ لأن أشجاره قد كبرت ونمت وبدأت تؤتى ثمارها ، فضلا عن التغييرات التى طرأت على الأوضاع السياسية العالمية بعد الحرب العالمية الأولى ، وكان لها فعاليتها على مصر ، فقد انهزمت دولة الخلافة الإسلامية، وخفت صوت التنظيمات الإسلامية فى مصر وتركيا[3] ، ثم كان انقلاب مصطفى كمال أتاتورك على الخلافة الإسلامية وإلغائها فى عام ١٩٢٤م وإعلانه علمنة الدولة وسنه القوانين اللادينية ، أضخم تجربة علمانية لأبناء الشرق المسلم يمكن أن تقلد أو تحاكى[4] .

وقد أثر هذا بالطبع على الحياة الفكرية المصرية ، وبرز دعاة الحضارة الغربية من المتفرنجين يروجون لدعوتهم ، التى لاقت استجابة لدى معظم الناس فى المدن الكبرى

---

(١) أنور الجندى : يقظة الفكر العربى ، مرجع سابق ، ص ٩٩ ، ١٠٠ ، وأحمد عبد الرحيم مصطفى : تطور الفكر السياسى فى مصر الحديثة ، ص ٤٧ .

(٢) محمد عمارة : الصحوة الإسلامية والتحدى الحضارى ، القاهرة : دار المستقبل العربى ، ١٩٨٥م ، ص١٧.

(٣) طارق البشرى : الحركة السياسية فى مصر ، مرجع سابق ، ص ٣٦ .

(٤) محمد على ضناوى : كبرى الحركات الإسلامية فى العصر الحديث ، مرجع سابق ، ص ٧٦ .

وبخاصة الشباب الذى تستهويه مظاهر الحضارة الغربية بفتنها وبهرجها ، ومن ثم أخذ يتقبل المؤثرات الغربية ويحتذى حذور الأوربيين والأجانب ، ويشاركهم فى احتفالاتهم مثل أعياد الميلاد وغيرها [١] ، وظهرت أنماط جديدة فى الحديث والسلوك الاجتماعى بل امتد التأثير الأوربى إلى العلاقات الاجتماعية ، فتحررت العلاقة بين الجنسين ، وخلعت المرأة الحجاب ، وزاد الاختلاط بين الرجل والمرأة فى الشوارع والمدارس والأندية ، وظهرت المرأة على الشواطئ ، وغير ذلك من مظاهر التأثير الأوربى[٢] .

وفى مجال التوجه السياسى بدأ حزب الوفد ـ الذى تكون بعد ثورة ١٩١٩م ـ يميل بالمصرية بعيدا عن طابع الحزب الوطنى ، حزب مصطفى كامل ذى التوجهات الإسلامية ، وقريبا من حزب الأمة المعروف باتجاهه الليبرالى ، وابتعد عن التوجه الإسلامى فى صوره التطبيقية ، وسلك مسلكا علمانيا[٣] . ومن جهة أخرى تأسس حزب الأحرار الدستوريين صاحب الولاء للإنجليز فى أكتوبر ١٩٢٢م على أساس قومى مصرى ، استمرارا لحزب الأمة ، وقد ضم عددا من الإقطاعيين أو كبار أصحاب الأراضى الذين كان أكثرهم من أعضاء حزب الأمة أو أبنائهم وذويهم ، وانضم إليهم فريق من المثقفين ذوى الاتجاه العلمانى الذين درسوا فى أوربا أو المدارس الأوربية فى الشرق وتأثروا بمعطيات الفكر الغربى وأدبياته ، وساعدتهم الظروف السياسية فى مصر على نقل دعوتهم وتطبيقها فى المجتمع المصرى ، وساعد على نجاحهم أيضا ضعف التيار الدينى، وجمود بعض المشايخ فى تفسير الدين[٤] ، ووقوفهم موقفا سلبيا أمام حقائق العلوم الحديثة ، يليهم أهل الطرق الصوفية وخرافاتهم ، كما أشار إلى ذلك رشيد رضا فى «المنار »[٥] ، ومن ثم بدأت دعاوى التغريب تنشط فى مصر .

وفى هذا التطور الزمنى يلاحظ أن دعاة العلمانية والمذاهب الغربية لم يعودوا أمثال شبلى شميل وفارس نمر ، ويعقوب صروف وجورجى زيدان ، وشاهين مكاريوس وغيرهم من نصارى الشام ، بل صاروا مصريين من أمثال سلامة موسى ومحمود عزمى، وطه حسين ، ومحمد حسين هيكل ، وإسماعيل مظهر وعبد الله عنان ومنصور فهمى ، وبرز هذا التيار التغريبى قويا فى الصحافة المصرية وبلغ ذروة تألقه فى فترة ما بين الحربين،

---

(١) محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية ، مرجع سابق ، جـ ٢ ، ص ١٨٥ ، ١٨٦ .

(٢) حمدى حسن : تطور الفكر الدينى فى مصر ، بحث غير منشور ، ص ٢٥ .

(٣) أحمد عبد الرحيم مصطفى : تطور الفكر السياسى فى مصر الحديثة ، القاهرة : ١٩٧٣م ، ص ٣٦ ، ٣٧ .

(٤) زكريا سليمان بيومى : الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ٢٤ ، ود. محمد عمارة : الصحوة الإسلامية والتحدى الحضارى ، مرجع سابق ، ص ٥٢ ، ٥٣ ، ود. عواطف عبد الرحمن : مصر وفلسطين ، مرجع سابق ، ص ١١٧ .

(٥) المنار ، جـ ٢ ، م ٢٩ ، شوال ١٣٤٦هـ ، أبريل ١٩٢٥م .

وأصبح له صحفه ومؤلفاته التى توزع على الناس ، وكان من أبرز الصحف التى حملت لواء التغريب وروجت للأفكار العلمانية ، صحيفة السياسة اليومية والأسبوعية لسان حال الأحرار الدستوريين ، وصحيفة الاستقلال لمحمود عزمى والمجلة الجديدة لسلامة موسى، والرابطة الشرقية لعلى عبد الرازق ، والعصور الأسبوعية والشهرية لإسماعيل مظهر ، ومجلة الأسبوع التى أصدرها إدوارد عبده ١٩٣٣م [١] ، فضلا عن صحف الهلال ، والمقطم والمقتطف .

وقد اشتد الصراع بين أنصار التغريب وبين ذوى الاتجاه الإسلامى فى الصحافة المصرية وظلت المعركة مستمرة بين الطرفين ، ولا زالت ، وإن كانت تظهر فى أشكال أخرى كالتقدمية والسلفية ، أو التراث والمعاصرة ، أو القديم والجديد ، وهذا التحول جعل شيخا كالشيخ عبد العزيز البشرى يكتب فى السياسة الأسبوعية فى مقالها الافتتاحى محتفلا بأول السنة الميلادية ، فى الوقت الذى لم تكن تحتفل فيه السياسة الأسبوعية بذكرى الهجرة أو المولد النبوى ، أو غير ذلك من المناسبات الإسلامية[٢] .

وتتزعم « الهلال » الدعوة إلى التوسع فى التشريع المدنى حتى يشمل المسائل الشخصية، ويزعم سلامة موسى « أن شرط النهضة أن تكون اجتماعية واقتصادية وأدبية، فلا يجب تغيير نظامنا الحكومى فحسب ، بل تغيير نظام العائلة واعتبارات الطبقة الاجتماعية . . . وسبيل ذلك إيجاد نظام لزواج مدنى يعاقب فيه من يتزوج أكثر من امرأة واحدة ، ويمنع الطلاق إلا بحكم محكمة ، ويجيز زواج الأفراد ولو اختلفوا فى الدين[٣]. ومغزى هذه الدعوة ـ كما هو واضح منها ـ هو هدم أحكام القرآن الكريم وتعاليم الإسلام فى مسائل الأحوال الشخصية والقضاء عليها ، بغية توسيع المجال للدعوة إلى تطبيق القوانين المدنية الغربية على المصريين ، وتقليد الغرب فى عدم الزواج بأكثر من واحدة .

ويكتب سامى الجريدينى فى « الهلال » أيضا مناديا باقتباس أساليب الحضارة الغربية قائلا : « إن السبيل إلى الوصول إلى ما وصلت إليه الحضارة الغربية لا يكون إلا بالأخذ بأسباب الحضارة الغربية فى روحها ومادتها وتكوين رابطة قومية مصرية حليفة للقومية الإنجليزية »[٤] .

وتدعو صحيفة « الرابطة الشرقية » إلى المدنية الغربية أيضا ، فيكتب أحمد أمين

---

(١) عواطف عبد الرحمن : مصر وفلسطين ، مرجع سابق ، ص ٤٢ ، ٤٣ .

(٢) السياسة الأسبوعية أول يناير ١٩٢٧م .

(٣) الهلال ، عدد نوفمبر ١٩٢٢م ، نقلا عن :د. محمد حسين :الاتجاهات الوطنية ، مرجع سابق ، ص٩٢ .

(٤) الهلال ، عدد مايو ١٩٢٥م .

مدعيا أن العالم لا يحتمل إلا مدنية واحدة هى المدنية الغربية ؛ لأن المدنيات الشرقية فى زعمه قد أخذت فى الاضمحلال، وأن العالم الشرقى سائر لا محالة إلى المدنية الغربية[١]، وكانت صحف التيار التغريبى تؤازر بعضها البعض فى مساندة الدعوات التغريبية والترويج لها بين طبقات المجتمع المصرى ، ففى الوقت الذى تدعو فيه الهلال إلى فوائد مذهب العرى وتكتب نشأته وتدعو إلى اختلاط الجنسين فى التعليم ، تكتب السياسة الأسبوعية عن الخمر والرقص وحفلات أعياد الميلاد ، وتواصل السياسة الأسبوعية حملتها فى الدفاع عن دور البغاء ، تشاركها جريدة البلاغ ، واشتهر فى ذلك الميدان محمد حسين هيكل ، والعقاد ، وفكرى أباظة ، وسلامة موسى وغيرهم[٢] .

وحفلت هذه الصحف بالحديث عن الممثلين والمغنين والراقصين وأخبار المسارح والسينما ، وخصصت بعض هذه الصحف أيضا بعض أبوابها للأزياء والسهرات و«الموضة» وغير ذلك من الأخبار التافهة التى تغرى الشباب وتستحوذ على النفوس[٣] . وقد تعرض الدين الإسلامى فى تلك الفترة لهجمة شرسة من دعاة التغريب وصحفهم ، وكانت تتم المقارنة بينه وبين ما تتوارثه مختلف الشعوب من الأساطير ؛ لأن الأديان - فى زعمهم - ليست إلا مجموعة من الأساطير التى لا تصلح إلا للتلهية ولإمتاع الخيال ، فمن ذلك مقال للدكتور محمد حسين هيكل عن « إيزيس » ذهب فيه مذهب الحوار على ألسنة أشخاص ، وناقش من خلاله أسس العقائد الفرعونية الدينية ، مقارنا بينها وبين الأديان السماوية مشيرا إلى ما تركت فيه من آثار فيما يزعم ، وفى مقاله هذا عبارات فيها جرأة على الدين وتهكم به[٤] ، ومن هذا القبيل ما كتبه الدكتور طه حسين فى مقدمة كتابه : «على هامش السيرة » حين قرر أنه لا يروى ما يكتبه فيه إلا على أنه أساطير جميلة فيها غذاء للعواطف ومتعة للخيال[٥] .

وكانت بعض الصحف تذهب مذهبا خبيثا فى شأن الدين ، فتقدم آراء غريبة شاذة لا تعرض لها بتكذيب ولا تصديق ، ولكنها تقدمها فى أسلوب يجذب الكثير من القراء، من ذلك مقال نشرته مجلة الهلال عنوانه : « العلم والإيمان وديانة الإنسانية الجديدة » ، تزعم فيه أن هذه الديانة الجديدة قد انتشرت فى أمريكا ، وأن أصحابها يقولون : « إن مسألة وجود الله أو عدم وجوده ليست من المسائل الجوهرية ؛ لأنه إذا عمل الإنسان ما

---

(١) الرابطة الشرقية ، عدد ٢ ، السنة الأولى ، ٣ رجب ١٣٤٧هـ ، ٢٥ ديسمبر ١٩٢٨م .

(٢) زكريا سليمان بيومى : الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ٥١ ، ٥٢ .

(٣) محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، مرجع سابق ، جـ٢ ، ص ٣٣٣ ، ٣٣٤ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٨ ، والسياسة الأسبوعية ، ١٤ مايو ١٩٢٧م .

(٥) المرجع السابق ، ص ٢٨٢ .

هو صالح فى هذا العالم فقد فعل ما هو مطلوب منه ، سواء أكان له روح خالدة أو لم تكن »[١] .

ولا ريب أن هذه الدعوة تستهدف القضاء على شأفة الدين من الوجود ، وهى دعوى صريحة إلى الإلحاد وإنكار وجود الله وما يتبع ذلك من ثواب أو عقاب فى الحياة الآخرة، هذا وقد جرت الدعوة فى تلك الفترة إلى القول بأن الطبقة المثقفة يجب أن تعرض عن الأمور المتصلة بالدين والإسلام ، وأن البحث فى مسائل الفكر الإسلامى هو شأن الشيوخ المتأخرين ، واتهم الدين الإسلامى بأنه ثمة عقبة فى طريق التقدم والرقى، وأن المسلمين لن يتقدموا ما داموا متمسكين بالإسلام ويتكلمون عن الدين[٢] ، وهذه أيضا دعوى باطلة ، وسيأتى الحديث عنها .

وقد تصدت صحافة الاتجاه الإسلامى لهذا التيار التغريبى وصحفه ، وأخذت على عاتقها نشر الفكرة الإسلامية ، ومعارضة مؤسسات التغريب والتوجه العلمانى فى الفكر المصرى الحديث ، وكان من أبرز الصحف الإسلامية فى تلك الفترة « المنار » لرشيد رضا و« الفتح » لمحب الدين الخطيب ، وصحيفة « الشبان المسلمين » و « الهداية الإسلامية » و « نور الإسلام » و « الأزهر » وصحف الإخوان المسلمين ومصر الفتاة.

كان رشيد رضا من أوائل المفكرين المسلمين الذين لهم إسهام كبير ودور بارز فى التصدى لأعداء الإسلام وحركة التغريب ودعاتها فى مصر ، وكان يرى أن تحقيق رسالة الإسلام على أحسن وجه يتطلب عدم التمسك بالعقلية الغربية أو تقليد الغرب تقليدا أعمى ، وكان يسمى المتأثرين بالغرب « المتفرنجين » أى الذين يقلدون الإفرنج فى عاداتهم وتقاليدهم ، ولما اشتد هجوم المتفرنجين على الإسلام ودعوا إلى ترك الدين أطلق عليهم دعاة الإلحاد .

وقد حاول رشيد رضا أن يرد على جريدة « السياسة » لسان حال حزب الأحرار الدستوريين التى كانت تدعو إلى وطنية لا دخل فيها للدين ولا للغة ، فأشار إلى أنه من الخطورة بمكان إحلال العاطفة القومية القائمة على الجنس محل التضامن الإسلامى ؛ لأن هذه فى رأيه محاولة للتفريق بين المسلمين ، ودعوة إلى المروق عن الدين ، لأن الشريعة الإسلامية قادرة على أن تتمشى مع ظروف الحياة المتغيرة [٣] . وفى مقال آخر بعنوان : «دعاية الإلحاد فى مصر » مضى رشيد رضا يوضح جهود هؤلاء فى نشر الإلحاد ودعوتهم إليه ، وتأليف الجمعيات لبثه وهدم الإسلام وتأليف الكتب فى الطعن على أعلام الإسلام

(١) الهلال ، عدد يونيه ١٩٣١م ، ١٥ محرم ١٣٥٠هـ .
(٢) أنور الجندى : يقظة الفكر العربى ، مرجع سابق ، ص ١٠٠ ، ١٠١ .
(٣) عواطف عبد الرحمن : مصر وفلسطين ، مرجع سابق ، ص٣٣ .

المتقدمين كالغزالى وابن خلدون ، والتنويه بمن اتهموا بالكفر والإلحاد كالمعرى ، والإشادة بأدب من اشتهر بالفسق والخلاعة كأبى نواس(١) .

واشتد الصراع بين « المنار » وكتاب السياسة لدرجة أن الدكتور محمد حسين هيكل أعلن فى « السياسة » أنه لابد من قتل صاحب المنار - يريد بذلك قتله المعنوى والصحفى - وحاول كتاب السياسة أن يتهموا رشيد رضا بأنه يعمل لحساب جمعية سرية دينية سياسية لصالح الأمير عباس حلمى ، ذلك لأن المنار كانت تتصدى لجميع أنواع الدعاية الإلحادية التى تبثها جريدة السياسة تحت مسميات التجديد والثقافة العصرية(٢) ، على أن هناك أمرا حريا بالاعتبار والذكر وهو أن التجديد فى مفهوم التيار التغريبى يختلف عن مفهوم قادة الفكر الإسلامى فى التجديد ، فكلاهما كان يدعو إلى التجديد ، ولكن التجديد لدى أنصار الفكر الغربى يعنى اقتباس النظم الغربية حلوها ومرها ، ما يحمد منها وما يعاب ، واحتقار ثقافة الأمة الإسلامية وماضيها ، والمروق من العقائد والعادات والتقاليد الإسلامية (٣) ، وهذه هى طروحات كتاب الصحافة الإسلامية عن التجديد .

ويشير الشيخ مصطفى الرفاعى اللبان إلى أن التجديد فى وجهة نظر المستغربين أو المقلدين يعنى هذه الأمور التالية :

١ - الشك فى الأديان والعبث بأحكامها .

٢ - السخرية بالشرق والشرقيين .

٣ - عبادة المادة الماثلة فى الآلات الغربية والمخترعات الحديثة .

٤ - إطلاق حبل المرأة على غاربها والدعوة إلى التبرج والخلاعة والمجون .

٥ - قطع الصلة بين الخلف والسلف .

٦ - تربية النشء تربية خالية من الدين .

أما التجديد فى وجهة النظر الإسلامية يعنى إزالة الخرافات التى رانت على عقول المسلمين ، وتقويم الأخلاق التى درست ، والاهتمام بما يقوى الأمة ويساعد على نيل

---

(١) المنار ، جـ ١ ، م ٢٧ ، شوال ١٣٤٤هـ، مايو ١٩٢٦م .

(٢) المنار ، جـ ٣ ، م ٢٨ ، ذو القعدة ١٣٤٥هـ ، مايو ١٩٢٧م .

(٣) المنار ، جـ ٣ ، م ١٨ ، مارس ١٩١٧م ، مقال بعنوان : « حزب الإصلاح بين الجامدين والمقلدين » ، والفتح، عدد ١٤، ٩ ربيع الأول ١٣٤٥هـ ، ١٦ سبتمبر ١٩٢٦م ، مقال بعنوان : « التجديد وشىء من آثاره وواجب الأمة نحوه » ، بقلم الشيخ مصطفى سيف الحمامى خطيب مسجد السيدة زينب فى ذلك الحين .

الاستقلال الاقتصادى والاجتماعى[1] .

ويفرق رشيد رضا بين نظرة المستغربين للتجديد ونظرة الإسلاميين فيقول : « إن التجديد الذى يدعو إليه هؤلاء المستغربين هو هدم كل ما يربط الأمة ، ويشد أزرها ، ويجمع كلمتها ، ويهذب أخلاقها من روابط الدين والمحافظة على العرض ، وتسمية الكفر والإلحاد والفجور وإباحة الأعراض تجديدا ومدنية وتقدما ورقيا !! وتسمية ما يقابل ذلك من العفة والتقوى والصيانة قديما باليا !! أما التجديد فى مفهوم الإسلاميين فالمراد منه تجديد هداية الدين وبيان حقيقته ، ونفى ما يعرض لأهله من البدع والغلو فيه ، أو الفتور فى إقامته والأخذ بما انتهت إليه علوم البشر وفنونها ، مع المحافظة على مقومات الأمة ، ومراعاة مصالح الخلق وسنن الاجتماع والعمران فى شريعته ، فبالنسبة لأمور العبادات والعقائد يجب الوقوف فيها عند النص القرآنى وبيان السنة النبوية ، وسيرة السلف الصالح فيه قبل حدوث البدع والآراء ومراعاة مصالح الأمة العامة فى الأحكام الدنيوية من مدنية وسياسية ، وأما ما فوضه الشارع إلى الناس من أمور دنياهم ووكله إلى علمهم وتجاربهم فيجب التجديد فيه بلا قيد ولا شرط »[2] .

وذهب الشيخ عبد الوكيل جابر ـ المدرس بالأزهر ـ إلى وجهة نظر فى التجديد جديرة بالذكر ، وهى : أنه لا ضرر أن تأخذ أى أمة من الأمم عن غيرها ما فيه صلاحها، فالأمم تعلم بعضها بعضا ، وهذه سنة تقتضيها الحياة ويؤيدها المسار التاريخى للتطور ، وقد أخذت أوربا عن العرب ، وأخذ العرب فى العصر العباسى عن الفرس واليونان بعض العلوم . غير أنه يرفض أن تنسلخ أمة عن عقيدتها ومبادئها وعاداتها ومظاهر قوميتها ، فالأمم ـ على حد قوله : « تفنى إذا تنازلت عن شخصيتها وبهرها التقليد الأعمى ، ومن هنا ندد بصيحات التجديد فى مصر وتركيا التى تزعم أن الحياة الشرقية يجب القضاء عليها جملة واحدة ، والاستعاضة عنها بحياة الغرب فى تفصيلها وجملتها، وأشار إلى خطأ هذا المفهوم وفحواه ، مستدلا على رأيه هذا بالبلاد الغربية نفسها ، فإنه « على الرغم من تقاربها فى الرقى واشتباكها بأواصر القربى من الدم والدين ، فما زال لكل شعب فيها ميزاته الخاصة وتقاليده الصالحة وهو ينافح عن دينه ويذب عن تقاليده ، ويزود عن لغته ، ويعمل على بث شخصيته فى بقية العناصر الأخرى »[3] . وكل هذا واضح فيما تتخذه البلاد الغربية من احتياطات بالنسبة للهجرة

(١) الفتح ، عدد ٢٠٤ ، ٢٢ محرم ١٣٤٩هـ ، مقال بعنوان : « التجديد بين الإسلاميين ودعاة التجديد » بقلم الشيخ مصطفى الرفاعى اللبان .

(٢) المنار ، جـ ٢ ، م ٣٠ ، صفر ١٣٤٨هـ ، يوليو ١٩٢٩م .

(٣) الهداية الإسلامية ، جـ ٤ ، م ١ ، رمضان ١٣٤٧هـ ، ١٩٢٩م ، مقال بعنوان : « التجديد فى الشرق » للشيخ عبد الوكيل جابر .

وما تعمله فى سبيل غزو البلاد الأخرى بثقافتها وفكرها ولغتها ، وما تدين به من مذاهب وعقائد وغير ذلك .

وكتب الشيخ الخضر حسين فى مجلة « نور الإسلام » ـ لسان الأزهر ـ يوضح أن الجديد لا يكون بتقليد الأجانب ومحاكاتهم فى شىء من شعائر دينهم ، وإنما يكون فيما يشتمل على مصلحة دنيوية ولا يخالف حكما شرعيا أو أدبا دينيا[1] .

وهكذا نرى أن نظرة أنصار الفكر الإسلامى فى الصحافة المصرية إلى التجديد والأخذ بالنظم الحديثة لم تكن رجعية ولا جامدة ، كما حلا للبعض من أنصار الفكر العلمانى أن يصفها بالجمود والتخلف من أمثال الدكتور لويس عوض فى كتابه: « الفكر المصرى الحديث » وتشارلز آدمز فى كتابه : « الإسلام والتجديد فى مصر » وسلامة موسى فى مؤلفاته وطه حسين وتوفيق الحكيم وغيرهم ، بل على العكس من ذلك اتسمت نظرة الإسلاميين بالمرونة تجاه التطور والتقدم العلمى ، والأخذ بالتقنيات الحديثة وما انتهت إليه علوم البشر من فنون ونظريات ، لكن بشرط المحافظة على مقومات الأمة الإسلامية وعاداتها وتقاليدها ، ودينها وتاريخها ، وألا يكون الاقتباس عن الغرب مخالفا للأحكام الشرعية والدينية ، وما رفضه أنصار الفكر الإسلامى إنما هو التجديد القائم على المحاكاة والتقليد للغربيين فى شعائر دينهم ومظاهر حياتهم وعاداتهم وتقاليدهم الخاصة ، والشك فى الأديان والعبث بأحكامها ، وعبادة المادة ، والتحرر من قيود الدين ، والدعوة إلى التبرج والخلاعة والمجون ، وكل مظاهر الخروج عن الدين الإسلامى الحنيف ، ولم يحدث أن رفض أحد من كتاب الصحافة الإسلامية الجوانب العقلية والعلمية واقتباس النظم ، والمخترعات العلمية التى تفتقت عنها الأذهان الغربية .

وتجدر الإشارة هنا أيضا إلى أن وجهة النظر الإسلامية تجاه التجديد لها احترامها إلى اليوم حتى من أنصار الفكر العلمانى ، وقد عبر عنها الدكتور زكى نجيب محمود الذى عرف عنه انحيازه للفكر العلمانى ـ فى سلسلة مقالاته التى كتبها فى الأهرام بعنوان: «هذا هو عصرنا ، عربى بين ثقافتين»، حيث ذكر أن الجوانب المتصلة بالذات الإنسانية وذوقها ـ وهو جانب الفنون والآداب ـ لا يؤخذ عن الغرب ، وأما الجانب العقلى العلمى فهو مشترك بين الناس جميعا ، فلا ضير أن يأخذه عربى عن يونانى أو عن هندى أو إنجليزى أو أى شعب آخر يكون له السبق فى علم ما ؛ لأن ذلك كله وليد العقل ، والعقل إنسانى مشترك ، وقد نقل العرب من الحضارة القديمة المجاورة لهم ، وفتحوا أبوابهم عليها ، ونقلوا كل ما استطاعوا الحصول عليه من نتاج العقل البشرى كالعلوم والفلسفة ، لكنهم

---

(١) نور الإسلام ، جـ ٦ ، م ٣ ، جمادى الآخرة ١٣٥١هـ .

أحجموا عن نقل الجوانب الاجتماعية والأدبية لتلك الشعوب »[1] .

كان التجديد الذى هاجمته صحافة الاتجاه الإسلامى هو ذلك التجديد القائم « على الطعن فى الأديان والشك فيها ، والمبنى على تناسى شخصيات الأمم وإهمال مميزاتها ونشر الآراء الخليعة والأفكار السيئة وأعمال المجون وتأييد دعاة الانحراف والمذهبية ، وقد انصب هجوم الصحافة الإسلامية على حركات التجديد فى العالم الإسلامى كله ولاسيما فى تركيا وبلاد الأفغان ومصر التى كانت فيها حركات التجديد على أشدها ودعت إلى تضافر الجهود وتآزر الأفراد والجماعات للقضاء على كل ما يصدر عن أصحاب هذه الدعايات من أضاليل وأكاذيب ، وأن يهتم الغيورون من أهل العلم والفضل فى البلاد الإسلامية التى لم ينتشر فيها التجديد المزعوم بحماية بلادهم منه والتصدى لأفكاره وتهيئة الأذهان لفهم الفرق بين الاستنارة العلمية الصحيحة ، والاستنارة المزورة المزعومة» [2] .

وحينما كتب فريد وجدى فى مجلة الحديث السورية فى شهر كانون « ديسمبر » ١٩٢٩م مقالا تحت عنوان : « روح العصر الحاضر نفحة إلهية » مدح فيها التجديد والمجددين فى تركيا ، وأشاد بالمدنية الغربية المعاصرة ، انبرى للرد عليه الشيخ محمد الخضر حسين فى مجلتى نور الإسلام ، والهداية الإسلامية ، واتهم الشيخ الخضر فريد وجدى بالمحاباة لزعماء التجديد فى تركيا ومصر ، وأنه يسلك مسلكهم ، فقد قال فريد وجدى فى مجددى تركيا : « إنهم تآمروا على الدين ليقيموا الإصلاح فى جوهر » ثم انتقل إلى الحديث عن حركة التجديد فى مصر فذكر أنها : « لم تصطدم بمقاومة رجال الدين» ، وذكر الشيخ الخضر فى رده على هذه النقطة أن فريد وجدى يريد القدح فى علماء الدين فى مصر ، الذين لم يتوانوا فى مقاومة حركة التجديد المزعومة ، ولم يقصروا فى محاربة التجديد الخارج عن المصلحة العامة ، والذى هو على حد رأيه «شقيق الإباحية » ، فما قعد هؤلاء العلماء عن مقاومته ، وما زالوا يكتبون ويخطبون فى تفنيد آراء الفئة التى تدعو إلى تقليد أوربا فيما لا خير فيه[3] .

يقول رشيد رضا : « وقد بلغ من احتقار أدعياء التجديد لنا أن يجهر الملاحدة والأقباط بدعوتهم على المنابر فى دور المدارس والجامعات إلى ترك ديننا ، وقد تجرأ أحدهم وهو سلامة موسى إلى الطعن فى الإسلام من طريق الإلحاد والإباحية والعصبية الوطنية ، الفرعونية « القبطية » على صفحات الصحف ، وصار يشتم كل من يدافع عن الإسلام فى مصر وفى غيرها ، وسار على منهاجه محمود عزمى والدكتور فخرى

---

(١) زكى نجيب محمود ، الأهرام بتاريخ ١٥/ ١١ / ١٩٨٨م ، المقالة الثانية : « عربى بين ثقافتين » .
(٢) الهداية الإسلامية ، جـ ٣ ، م ١ ، شعبان ١٣٤٧هـ .
(٣) نور الإسلام ، جـ ١ ، م ٣ ، محرم ١٣٥١هـ ، والهداية الإسلامية ، جـ ٩ ، م ٤ ، صفر ١٣٥١هـ .

عبد النور فى نبذ أحكام القرآن فى الميراث والمساواة بين الرجال والنساء »[1] .

كان من أبرز ما تصدت له صحافة الاتجاه الإسلامى دعوى أنصار الفكر الغربى إلى نبذ الدين الإسلامى تقليدا لأوربا . يشير رشيد رضا إلى أنه من العجب أن يقوم هؤلاء ببث هذه الدعوة فى الوقت الذى لا تزال فيه أوربا باقية على نصرانيتها والدين المسيحى لا يزال يعلم فى أرقى المدارس والكليات فى دول أوربا الراقية مثل إنجلترا والدانمرك والسويد وهولندا وألمانيا ، وأنهم يعلمون أن المسيح هو ابن الله إلى هذه الساعة ، وأنهم لا يريدون أن يعرفوا أنفسهم إلا مسيحيين[2] .

وقادة النهضات الحديثة فى أوربا يشجعون على نشر الدين المسيحى ، ويساعدون الهيئات التى تقوم بالتبشير فى كل أنحاء الأرض ، كما صرح بذلك حسن البنا فى صحيفة الإخوان المسلمين[3] .

ولم تهمل أوربا الروابط الدينية ولا استخفت بها كما يدعى دعاة التغريب والعلمانية ولا وجدتها بدعا فى السياسة ، والدليل على ذلك أن ملك إنجلترا هو فى الوقت نفسه ملك الإنجليز ورئيس الكنيسة الإنجيلية ، وامبراطور ألمانيا هو رئيس الكنيسة اللوثرية ، وأن المستر غلادستون رئيس نظارة إنجلترا ، ورئيس حزب الأحرار كان قسيسا ومن أشد الإنجليز تعصبا لدينه ، ودولة فرنسا التى يقال : إنها لا دينية ، تصف نفسها بحامية النصارى فى الشرق ، وأبرز مثل على ذلك هو تلك الرابطة بين فرنسا والموارنة رغم أنهم ليسوا بأوربيين[4] .

وهكذا تظهر عدم مصداقية أنصار التيار التغريبى وسقوط حجتهم فى دعوتهم إلى التخلى عن الدين تقليدا لأوربا ، كما يلاحظ أن هذا الاتجاه قد هاجم الدين الإسلامى ، فى حين لم يهاجم النصرانية ولا رجالها مما يشير إلى فقده للموضوعية والحيدة وعمالته للغربيين ، والعمل على تحطيم القيم الإسلامية وإبعاد الإسلام ومعطياته ومناهجه عن الحكم والتوجيه ، ومساعدة المبشرين على ملء الفراغ الإسلامى بالنصرانية .

وتجدر الإشارة هنا أيضا إلى تفاوت موقف هؤلاء تجاه الدين ، فمنهم المعتدلون والغلاة المارقون عن الدين الذين يحاربون أصوله وفروعه وينفثون سموم الكفر والفسق فى أهله ، ومنهم الذين لا يحبون أن يعرف حالهم ، ولا يحبون أن يتكلموا فى الدين، ومنهم الثابت على عقيدته التى نشأ عليها ، وكان تفرنجه فى بدنه لا فى عقله ووجدانه ،

(١) المنار ، جـ ١ ، م ٣٢ ، جمادى الآخرة ١٣٥٠هـ ، أكتوبر ١٩٣١م .
(٢) المنار ، جـ ١ ، م ٢٦ ، رمضان ١٣٤٣هـ، أبريل ١٩٢٥م .
(٣) الإخوان المسلمون ، ١٠ جمادى الأولى ١٣٥٢هـ .
(٤) المنار ، جـ ١ ، م ٢٦ ، رمضان ١٣٤٣ هـ ، ١٩٢٥م .

وذلك أثر التعليم العصرى والتربية الغربية التى حببت إليه ما تلقنه وتربى عليه من تقاليد الغرب وعاداته ، قبل أن يلقن ما لأمته من ذلك ويتربى عليه ، ومنهم من تفرنج لمجرد تقليد الغربيين[١] ، زاعما أن ذلك هو التقدم ، وهذا الصنف لا يزال موجودا حتى الوقت الحاضر .

ويمكن تقسيم المهاجمين للإسلام من المتفرنجين إلى ثلاث طبقات :

الطبقة الأولى : المجاهرون بالكفر والصد عن الدين والطعن فى عقائده ، وإلقاء الشكوك والشبهات فيها ، وذلك فيما يكتبون فى الجرائد والمجلات المختلفة ، ومنهم صاحب مجلة العصور ومطبعتها إسماعيل مظهر ، وبعض محررى الجرائد اليومية والأسبوعية كصحيفة السياسة ، الذين يحاربون جعل الدين الرسمى للحكومة المصرية هو الإسلام ، ويطالبون بإيجاد قانون مدنى للأحوال الشخصية لا يتقيد فيه بشىء من الأحكام الشرعية الإسلامية ، وأن تكون الحكومة لادينية[٢] .

ومثل صحيفة السياسة ـ بل أشد ـ مجلة الهلال وصحف دار الهلال المشاركة للسياسة فى أشهر محرريها ، والتى تدعى أنها لسان حال الشبان العصريين ، ففى كل جزء من أجزائها عدة مقالات لدعاة تجديد الإلحاد والإباحة المطلقة ، وقلما تنشر لغيرهم شيئا يخالفه ، وكان سلامة موسى ـ نصير الفلسفة المادية ـ هو الركن الثابت فى تحريرها ، وكانت لا تكتفى بما تنشر له من المقالات فى ذلك ، بل تطبع له فى كل عام كتابا جديدا فى تأييد هذه الدعاية الهدامة للأمة المصرية ، والأمة الشرقية وترسله هدية إلى قرائها ترغيبا لهم فى قراءته ، وكانت صحف الهلال ، والصحف العلمانية الأخرى ، التى تهاجم الإسلام وتتجرأ عليه تعتمد على النظريات الفلسفية الغربية ، وتترجم من بعض الكتب والصحف الأجنبية ، وتنقل بعض آراء أهلها ونظرياتهم ، وتنشرها على أنها قضايا مُسلم بها لا تقبل الرد ولا المناقشة[٣] .

الطبقة الثانية : الزنادقة الذين يظهرون الإسلام ويخفون الكفر ، وهم مع ذلك يطعنون فى أصول الإسلام ، ويشككون فى بعض آيات القرآن الكريم ، ورأى هؤلاء فى الدين أنه رابطة اجتماعية سياسية ، يكفى فى الاعتراف لأهلها موافقتهم للجمهور فى بعض الشعائر العامة ، ويبيحون لأنفسهم السكر وترك بعض الفرائض والقمار ، وغيرها من المنكرات بحجة الحرية الشخصية .

---

(١) المنار ، جـ ٨ ، م ٢٠ ، شعبان ١٣٣٦هـ ، مايو ١٩١٨م .
(٢) المنار ، جـ ١ ، م ٣٠ ، محرم ١٣٤٨هـ ، أبريل ١٩٢٨م .
(٣) المنار ، جـ ٢ ، م ٢٩ ، شوال ١٣٤٦هـ ، أبريل ١٩٢٨م .

الطبقة الثالثة : المقلدون الذين ليس لهم موقف ثابت ، فهم يجمعون بين الكفر والإسلام ، ومنهم من يصلى مع المسلمين لأنه تربى على ذلك ، ثم يقرر ما هو كفر صراح بإجماع المسلمين ، ويوافق الملاحدة القائلين به ، فإسلامهم ـ على حد تعبير رشيد رضا ـ تقليدى ، وإلحادهم تقليدى أيضا[1] .

ولا يغرب عن البال أن كل هؤلاء يعملون على هدم الدين الإسلامى من جميع جهاته فى الاعتقاد والتشريع والآداب والفضائل ، وكذلك هدم سائر مقومات الأمة الإسلامية والعربية فى اللغة والزى وغيرها ، حتى لا يكون للأمة شىء من ماضيها تحافظ عليه ، بل منهم من يدعو جهرا إلى ترك الجنسية العربية والالتحاق بدولة أجنبية كالإنجليز، ومنهم من يدعو إلى ترك القديم كله ولو كان منه ما يفيد ، وأن يستبدل به غيره من الجديد المقتبس من النظريات والآداب والتقاليد والأزياء الأوربية ، ويعتمدون فى رواج دعايتهم على الجيل الناشئ من الشبان والشابات الذين يتعلقون بكل جديد لطرافته، وعدم رسوخ عقائدهم ، واستكمال عقولهم ، وأيضا على العوام قصار العقول الذين يندفعون وراء شهواتهم[2] .

وقد ساعد أنصار الفكر الغربى فى الهجوم على الدين الإسلامى ، جمود بعض فقهاء المسلمين فى تفسير الدين حقبا طويلة ، يليهم أهل الطرق الصوفية وخرافاتهم ، كان لكل ذلك تأثيره فى تشجيع هؤلاء المفسدين للمسلمين ، ذلك أن الجامدين من المسلمين كانوا يفتون بعدم الانتفاع بالعلوم الحديثة بدعوى أنها معارضة للدين الإسلامى ، ومخالفة للقرآن الكريم ، حتى أنهم كانوا يحرمون علم الجغرافيا على سبيل المثال ، مع أنه ليس من موضوعه ولا لمسائله علاقة بالمباحث الدينية ، إلا أن يكون فى إثبات كروية الأرض ودورانها ، وكان فيهم من يقول بتحريمه ويعارض فى تعليمه إلى عهد قريب [3] .

وهكذا ساعد جمود بعض المسلمين فى تفسير الدين ورؤيته للمسائل العلمية وضلالات الصوفية على دخول النظريات الغربية إلى ديار المسلمين ، وذيوع التيار التغريبى ورواج فكره ، فضلا عن البعثات التعليمية من طلاب المسلمين إلى الدول الغربية وانتشار المدارس الأجنبية ، نشرت « المنار » خطبة الحكيم محمد أجمل خان ، أحد علماء المسلمين فى الهند ، نقلا عن جريدة الخلافة الهندية ، تحدث فيها عما شاهده فى أوربا ، ناعيا فيها أيضا أحوال الطلاب المبعوثين من الدول الإسلامية إلى أوربا . هذه الطبقة المتعلمة التى سيعقد عليها فى المستقبل آمال البلاد والدفاع عنها وقيادة شعبها، قد أخذت

---

(١) المنار ، جـ ١ ، م ٣٠ ، محرم ١٣٤٨هـ، يونيه ١٩٢٩م .

(٢) المنار ، جـ ٢ ، م ٢٩ ، شوال ١٣٤٦هـ ، أبريل ١٩٢٨م .

(٣) المنار ، جـ ٢ ، م ٢٩ ، شوال ١٣٤٦هـ ، أبريل ١٩٢٥م .

تنبذ الدين ظهريا وأخذت تنحو نحو العلمانيين اللادينيين ، وتميل إلى التفرنج أكثر مما تميل إلى عوائد قومهم[1] .

وحينما سئل رشيد رضا فى فتاوى المنار عن سبب ذيوع الإلحاد فى مصر ، ركز إجابته فى سببين رئيسيين :

أولهما : عدم التعليم الإسلامى الصحيح الذى يقتضيه حال هذا العصر ، وعدم التربية الملية الواجدانية على هدايته .

ثانيهما : انتشار الأفكار الإلحادية المادية والشبهات العلمية على الدين فى المدارس العصرية من أجنبية وأميرية ، وتولى المتخرجين فيها أمور الحكومات وسائر المصالح العامة[2] ، فضلا عن أن المستعمرين كانوا يعنون بإفساد دين الأمة وأخلاقها وتقاليدها وعاداتها لقطع جميع الروابط التى تكون بها أمة . ويمكن إجمال الأسباب التى ساعدت على ذيوع التيار التغريبى ، وولوج الأفكار الغربية إلى الحياة الإسلامية فيما يلى .

١ ـ جمود بعض المسلمين فى تفسير الدين ورؤيته للمسائل العلمية .

٢ ـ الضلالات والبدع التى أدخلتها الطرق الصوفية فى الفكر الإسلامى والحياة الإسلامية .

٣ ـ البعثات التعليمية من طلاب المسلمين إلى الدول الغربية ، وتقلد هؤلاء الطلاب المناصب الرئيسية فى دولهم ، واحتلالهم لمنابر الفكر والتوجيه مع تشبعهم بالفكر الغربى وتقليده .

٤ ـ عدم العناية بالتربية الإسلامية والتعليم الإسلامى الصحيح الذى يقتضيه العصر الحاضر .

٥ ـ نشاط المستعمرين فى العمل على إفساد دين الأمة الإسلامية وأخلاقها وعاداتها ، وقطع الروابط بين أقطارها .

٦ ـ المدارس الأجنبية المنتشرة فى البلاد الإسلامية ومدارس التبشير .

وكان شر الهجوم على الإسلام فى تلك الفترة أن يهاجمه بعض الأعضاء فى مجلس النواب ، ويطعن فى الشرع وفى القرآن ذاته ، حتى قال أحدهم : إنه لا يحترم كتابا ـ يقصد القرآن الكريم ـ يبيح تعدد الزوجات ، بل الأخطر من ذلك أن تؤلف الأحزاب وتتعاون الجماعات على بث الدعوة إلى الإباحة والإلحاد ، ونشر الجرائد والمجلات لبث آرائهم المسمومة ، وإلقاء المحاضرات فى ذلك ، ونشر الكتب التغريبية باسم التجديد

---

(١) المنار ، جـ ٧ ، م ٢٦ ، جمادى الآخرة ١٣٤٤هـ ، يناير ١٩٢٦م .

(٢) المنار ، جـ ٧ ، م ٣٠ ، شعبان ١٣٤٨هـ ، يناير ١٩٣٠م .

والعلمانية[1] .

ومن أبرز المعارك التى دارت بين أنصار التغريب وأنصار الفكر الإسلامى تلك المعركة التى جرت بين رشيد رضا ، وبين الدكتور محمد حسين هيكل وأنصاره من دعاة التغريب، فقد شن الدكتور هيكل حملة ضارية على رشيد رضا واتهمه بالنفاق والكذب والاتجار بالدين ، وقال مخاطبا أنصاره : « كونوا أحرارا فى أفكاركم ، أحرارا فى عقائدكم ، أحرارا فى سعيكم إلى الإصلاح . . . كونوا مخلصين فى حريتكم وإن رموكم بالإلحاد ، وليعلم أى منكم مسه هذا القول أن المخلص فى إلحاده خير من المنافق فى إيمانه ، إنما الإلحاد والإيمان والإسلام والنصرانية ، كلها ضروب من اليقين فى العقيدة ، يأخذ بها الرجل مخلصا لها إن وقر فى نفسه أنها الحق أما النفاق والإفك ، وما يروجونه من الأباطيل فهى من مبتدعات النفس المخربة النفس الفاسدة »[2] .

ويتضح من هذا القول أن الدكتور هيكل قد بالغ فى عدائه ، وغالى فى قوله ، وخرج عن المعقول فى دعوته ، فساوى بين الإسلام والإيمان والنصرانية ، وإلا فأى حق هذا الذى أراده ، وأى إصلاح ينادى به ؟ فأى إصلاح يتعارض مع العقيدة الإسلامية هو وهم وفساد وينبغى التصدى له .

وقد أثارت هذه التصريحات وهجوم الملاحدة على الفكر الإسلامى وتعالى صيحاتهم، موجة من السخط والاستياء من جانب الرأى العام الإسلامى فى داخل مصر وخارجها ، وشعر المسلمون فى كل مكان باضطهاد فى دينهم ، وانهالت البرقيات المؤيدة للجانب الإسلامى ، والمشاركة للصحافة الإسلامية فى ندائها للتصدى لهذا الهجوم على العقيدة الإسلامية ، وعلى سبيل المثال : نشرت المنار عريضة كتبها أهالى بلدة برنبال ، مركز فوه، مديرية الغربية ـ كفر الشيخ حاليا ـ يعلنون فيها استياءهم وغضبهم لما وصل إليه حال الدين فى مصر ، بلد الأزهر ودينها الرسمى هو الإسلام ، ويقترحون فيها عدة اقتراحات لعلاج هذا الأمر ، كان من أبرزها :

١ ـ أن يدخل التعليم الدينى فى المدارس الحكومية وغيرها ، ويكون مادة أساسية حتى يخرج النشء عارفا بدينه نافعا لأمته .

٢ ـ أن يقرر بجميع المدارس الإلزامية قسم لحفظ القرآن الكريم .

٣ ـ منع البغاء الرسمى فى الدولة المصرية المسلمة .

٤ ـ تحريم الخمر الرسمى فى الدولة المسلمة .

---

(١) المنار ، جـ ١ ، م ٣٠ ، محرم ١٣٤٨هـ ، ١٩٢٩م .

(٢) محمد سيد كيلانى : السلطان حسين ، فترة مظلمة فى تاريخ مصر ، مرجع سابق ، ص ١٩٧ .

٥ ـ عقاب تاركى الصلاة عمدا .

٦ ـ أن تكون الحكومة المصرية حكومة إسلامية تطبق التشريعات الإسلامية ، وتتصدى للملحدين[١] .

ومن المغرب كتب أحد المسلمين بتوقيع « مسلم غيور » موجها نداء عاما إلى الأزهر الشريف وعلمائه يقترح فيه ما يلى :

١ ـ إنشاء جمعيات من علماء الأزهر فى القطر المصرى كله ، تكون وظائفها الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، عن طريق تأسيس الجرائد والمجلات الدورية وتوزيعها بأرخص الأثمان ، وإلقاء المحاضرات فى المساجد والمنتديات .

٢ ـ تأسيس جمعيات تشتغل بالسياسة العامة لتظهر للعالم أجمع أن الإسلام دين ودولة، وتخوض معترك الحياة السياسية ، مستعينين فى ذلك بإصدار الجرائد والمجلات أيضا .

٣ ـ دخول الحياة النيابية ؛ لأن أعظم وظائف مجلس النواب هو التشريع ومراقبة الحكومة، وذلك هو معنى : الإسلام دين ودولة . وإذا لم تكن قوانين المجلس مرتكزة على علماء الدين ، فتكون قوانين مبتورة ومجحفة[٢] .

وقد دعا رشيد رضا أيضا قادة الإصلاح الإسلامى أن يكونوا على أهبة الاستعداد لجهاد هؤلاء الملاحدة، الذين يحاولون هدم الإسلام من كل طريق ، ومن أقرب طريق، فمنهم من يحاول هدم الإسلام بالدعوة إلى استبدال اللغة العامية بلغة القرآن الكريم ، ومنهم من يهدف إلى التشكيك فى القرآن بنشر آراء الماديين والملحدين من القدماء والأوربيين ، ومنهم من يصد عن الإسلام وشريعته بنقل القوانين الغربية وتفضيلها على قوانين الإسلام ، وذكر رشيد رضا أنه قد « ابتليت الأمة الإسلامية بتكوين حزب الملاحدة المارقين ، ولو سكت أهل الحق على ما ينشرونه من سموم أباطيلهم لعظمت جرأتهم ، وانتشرت دعوتهم ، وليس الانتصار عليهم بالأمر العسير ، فإن حجتهم داحضة وأقوالهم متناقضة ويخافون الردة الصريحة وأن ما يتوخاه هؤلاء من نباهة الذكر عند الأوروبيين ، والتشبه بمن ناهضوا الكنيسة ورجال الدين ليس بالغرض الصحيح ، فهم لا يجدون فى الإسلام ولا فى رؤسائه تلك الأسباب التى حملت بعض كتاب أوربا على مجاهدة الكنيسة ورجالها ، والطعن فى نص النصرانية ، فالإسلام نفسه أرشد البشر إلى العلوم الكونية ، وأوجب الفنون والصناعات المدنية ، وأخرج البشر من رق رؤساء الدين والدنيا إلى فضاء

---

(١) المنار ، جـ ١ ، م ٣١ ، محرم ١٣٤٩هـ ، مايو ١٩٣٠م .

(٢) المنار ، جـ ٤ ، م ٢٨ ، ذو القعدة ١٣٤٥هـ ، مايو ١٩٢٧م .

الحرية الرحب » [1] .

وعلى شاكلة المنار ودعوة رشيد رضا وفلسفته وتأثيره واتجاهاته ، نشأت صحيفة الفتح لمحب الدين الخطيب ، الذى يعتبر الحلقة الثالثة فى سلسلة الصحافة الإسلامية فى مصر بعد جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده فى العروة الوثقى ورشيد رضا فى المنار ، ثم تشكلت عدة جمعيات إسلامية فى نهاية العشرينات وأوائل الثلاثينات من هذا القرن، نشطت فى إصدار الصحف الإسلامية ، كان من أبرز هذه الجمعيات جمعية الشبان المسلمين التى أصدرت صحيفة الشبان المسلمين ، وجمعية الهداية الإسلامية التى أصدرت صحيفة الهداية الإسلامية ، ونشط الأزهر أيضا وأصدر صحيفة نور الإسلام والأزهر فيما بعد ، وجمعية الإخوان المسلمين التى أصدرت صحيفة الإخوان المسلمين ثم مجلة النذير وغيرها ، وجمعية مصر الفتاة التى أصدرت عدة صحف منها : الصرخة ومصر الفتاة والثغر والضياء .

ومن تلاميذ جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده ورشيد رضا ومحب الدين الخطيب ورجال الحزب الوطنى ، والصحف الإسلامية تَشكَّل تيار إسلامى قوى حمل لواء مقاومة التيار التغريبى فى الصحافة المصرية ، وفوق منابر الجمعيات والبرلمان المصرى ، وحاول فى بعض اتجاهاته أن يوائم بين تعاليم الإسلام وبين معطيات الحضارة الحديثة ، وفى بعضها الآخر حاول إعادة النظر فى وضع المؤسسات الدينية ودور الدين فى المجتمع، وبعث المدنية الإسلامية فى مقابل المدنية الغربية ، ومحاربة زحف المؤثرات الغربية على مصر وتنقية الفكر الإسلامى وتقرير حقائق الدين على وجهها الصحيح ، والأخذ بمنهج القرآن والسنة ، ومواجهة نشاط البعثات التبشيرية فى المجتمع المصرى ، ومقاومة الإلحاد والدعايات غير الإسلامية بوجه عام .

وقد ظل عديد من أنصار الفكر الإسلامى ـ من أمثال رشيد رضا ، ومحب الدين الخطيب ، وحسن البنا ، والشيخ محمد الخضر حسين ، والشيخ عبد الباقى سرور ، والشيخ يوسف الدجوى ، والدكتور يحيى الدرديرى ، وأحمد حسين ، ومحمد أحمد الغمراوى ، والشيخ محمد شاكر ، وأحمد شاكر وغيرهم ـ يناقشون الفكر التغريبى وصحفه ، ويهاجمون أتباعه وأنصاره ويطالبون بإقصائهم عن مراكز الفكر والتوجيه فى الجامعة ووزارة المعارف طوال فترة العشرينات وحتى نشوب الحرب العالمية الثانية[2] .

وكانت الصحف الإسلامية هى الساحة التى تألف فيها أنصار الفكر الإسلامى وعلماء

---

(1) المنار ، م ١٩ ، ١٦ سبتمبر ١٩١٧م ، أنور الجندى : تاريخ الصحافة الإسلامية جـ١، القاهرة : دار الأنصار، ١٩٨٣م ، ص ٢١٠ ، ٢١١ .

(2) أنور الجندى : يقظة الفكر العربى ، مرجع سابق ، ص ٣٩ .

الإسلام ، وعلى صفحاتها هوجمت الصحف التغريبية الوجهة ، العلمانية المبدأ، التى تكيد للإسلام والمسلمين ، وتشوه الحضارة الإسلامية ، وتغير حقائق التاريخ الإسلامى ومعطياته فى شؤون الحياة ، وتدعو دعوة صريحة إلى التخلى عن المدنية الإسلامية واقتباس أنماط المدنية الغربية فى كل مظاهر الحياة وأنماطها والاحتذاء بها وتطبيقها فى مصر .

ويلاحظ أن الصحف التغريبية كانت تلجأ إلى حيل وألاعيب تهدف من ورائها إلى إقناع المصريين بالتغريب أو التجديد فى زعمهم ، وتغمز أيضا أنصار الفكر الإسلامى ، فتذهب السياسة : « أن هناك فى بلاد الأفغان المسلمة حركة تجديد ناجحة ، وأن الرجعيين هناك يقاومونها كما يقاوم أمثالهم فى مصر حركة التجديد فيها ، هذه الحركة التى باتت ـ فى زعمهم ـ تشمل أكثر العالم الإسلامى »[1] .

وقد انبرى الشيخ عبد الباقى سرور لمواجهة هذا الزعم ، واتهم جريدة السياسة بتشويه الحقائق ومخالفة الأمانة الصحفية ؛ لأن حركة التجديد فى بلاد الأفغان قائمة على تجديد فى التسليح وإعداد العدة . . . وغير ذلك من مستلزمات القوة الحربية آنذاك ثم يسخر من السياسة قائلا : « تخيلت جريدة السياسة أن الحركة فى بلاد الأفغان قائمة على إنكار الشعر الجاهلى ، ونشر الشك فى وجود الله ، وبعث الرسل ، وتهتك النساء، والرجوع إلى اللغة العامية، وجعل الأدب المكشوف قاعدة التحرير والكتابة »[2]. وهكذا يكشف الشيخ سرور عن سوءات التجديد التى تدعو إليه « السياسة » وأنصار التجديد فى مصر ، ثم لما كتب فى السياسة الأسبوعية فى عددها الصادر فى ٣٠ يوليو ١٩٢٧م أنه قد تألفت فى الولايات المتحدة الأمريكية جمعية للإلحاد لها فروع لنشر الإلحاد ولهذه الجمعية فروع متعددة فى جميع أنحاء العالم ، كتب الشيخ سرور فى « الفتح » مشيرا إلى أن غرض « السياسة الأسبوعية » محاربة الأديان والاعتقاد فى وجود الله ، فالقارئ للسياسة الأسبوعية يرى أن شغلها الشاغل هو الدعاية إلى الإلحاد ، والتبشير وتحريض الشباب المصرى على أن يقلد شرذمة الملاحدة فى أمريكا ، وأيضا فى تأليف الجمعيات الإلحادية ، ووضع البرامج لها ورسم الخطط التى تقوم عليها [3] .

وانتقد الشيخ سيد على الطوبجى ما كتبه عزيز طلحة فى السياسة الأسبوعية يهاجم ابن جرير الطبرى ، المفسر الشهير ، وعلماء الدين الإسلامى ، ويصفهم بالجمود ،

---

(١) السياسة ، عدد ٢٦ ديسمبر ١٩٢٧م .

(٢) الفتح ، عدد ٥٧٧ ، رجب ١٣٤٦هـ ، ٢٩ ديسمبر ، ١٩٢٧م .

(٣) الفتح ، عدد ٥٧ ، ١٤ صفر ١٣٤٦هـ ، ١١ أغسطس ١٩٢٧م .

وأنه قد فاتهم البحث والتنقيب فى الأمور التاريخية ، قال الشيخ الطوبجى فى الرد على ذلك : « إن الكلام على التاريخ وفوائده ومغالطه لم يفت المتقدمين ، فإن الحقائق العلمية والمسائل التاريخية وإن ترك التحقيق فيها بعض المؤلفين فهى لم تفت بقيتهم » ، ثم يمضى فى ذلك الرد شارحا أن الإسلام لا يحظر على المرء أن يناقش ويباحث ويعمل عقله، بل هو الدين الوحيد الذى فتح باب المناقشة والنظر والبحث والمطالبة بالأدلة والبراهين(١) .

وهكذا ظلت المعركة مستمرة ومستعرة بين أنصار التيار الإسلامى فى الصحافة المصرية وبين أنصار التغريب ودعاة الفكر الغربى حتى وصلت إلى درجة السباب ، فأنصار التيار الإسلامى يتهمون أنصار التغريب بالإلحاد والإباحية فى حين يتهمهم أنصار التغريب بالجمود والرجعية ، واستمرت هذه المعركة بين الفريقين على صفحات الجرائد المصرية والمجلات يتراشقون فيها بالأقلام ، ويتبادلون الردود بالمقالات والحجج والبراهين ، وقد دخل مشايخ الأزهر إلى هذه المعركة وأسهموا فيها إسهاما كبيرا فى الرد على الصحف التغريبية ومحرريها ، ولا سيما بعد أن هاجمت صحف الهلال ـ الفكاهة كل شىء ـ الجامع الأزهر والمحاكم الشرعية ، وكتب الشيخ محمد شاكر وكيل الجامع الأزهر يقول : « إن صحف الهلال ترى الأزهر والمحاكم الشرعية قذى فى أعين لا تدرى كيف تبصر ، وشجى فى حلوق جمعيات التبشير وصحف الدعاية التى تعمل على إفساد أخلاق الشعب المصرى وأذواقه ، حين تستهوى قلوب الناس بما تظهر من صور مكتوبة وأخرى مصورة تثير من شهوات الشباب المتقد ، وتنشر فى الملأ أخلاقا وآدابا جاء الإسلام حربا على كثير منها ، وخشوا أن يثوب الناس إلى رشدهم فاتهموا العلماء بالجمود والرجعية وأنهم هم المجددون والمصلحون »(٢) .

وأشارت مجلة الهداية الإسلامية إلى أن أصحاب الهلال والمقطم يفترون على الإسلام الكذب ، ويغيرون حقائقه التاريخية ، من ذلك ما كتبه أحدهم فى « المقطم » أن ما تفعله بعض الدول الغربية الآن من اضطهاد رعايا المسلمين ، وضغطها عليهم وإساءتها معاملتهم هو نفس ما كان يفعله المسلمون برعاياهم يوم كان لهم الغلبة . وهنا يلاحظ قلب الحقائق التاريخية ، ذلك أن المسلمين كانوا يعاملون مواطنيهم الذميين بما يعاملون به إخوانهم المسلمين ويساوونهم بأنفسهم فى حرية النفس والمال والعرض والدين ، عملا بالقاعدة النبوية الشريفة : « لهم ما لنا وعليهم ما علينا »(٣) ، ووصايا الرسول ﷺ

---

(١) الفتح ، عدد ٢٠ ، ٢١ ربيع الآخر ١٣٤٥هـ ، ٢٥ أكتوبر ١٩٤٦م .
(٢) الفتح ، عدد ٧٤ ، ١٩ جمادى الآخرة ١٣٤٦هـ ، ١٨ ديسمبر ١٩٢٧م .
(٣) الهداية الإسلامية ، جـ ٢ ، م ٤ ، رجب ١٣٤٩هـ .

بالإحسان إلى الذميين كثيرة لا تحتاج إلى بيان ، فضلا عن ذلك كانت صحف الهلال تسخر من بعض الآداب الإسلامية العالية التى أحكم الشارع وضعها ، وكفل لها وللمجتمع كل طهر وفضيلة ورقى كالحجاب والطلاق وتعدد الزوجات ، وقد أشار إلى ذلك رئيس جماعة « شباب محمد » ، وطالب بالتصدى لما تنشره صحف الهلال قائلا : «ومهما يكن من التسامح الذى يطالبنا به الإسلام ، فليس فى استطاعتنا أن نتغاضى عما نعتبره تحديا لدين البلاد وشعائرها ومقدساتها »(١) .

وقد هاجمت « المنار » مجلة الرابطة الشرقية ، وأعلن رشيد رضا أن هذه المجلة لا دينية ، تؤيد ما يسميه ملاحدة هذا العصر بالتجديد اللادينى أو العلمانى وتحرير المرأة المسلمة ، وأنها تدافع عن الترك والفرس والأفغان فيما يحاولون من تجديد يهدم أصول الإسلام ، وتبرأ رشيد رضا من عضوية الرابطة الشرقية ومجلتها عندما أفصحت عن هويتها غير الإسلامية وأصبحت لسان حال زعماء التغريب من أمثال القبطى : سلامة موسى ، وطه حسين ، ومصطفى عبد الرازق ، وعلى عبد الرازق ، ومنصور فهمى ، والدكتور محمد حسين هيكل(٢) .

وكتب محب الدين الخطيب يقول : « إن هدف على عبد الرازق من إصدار مجلة الرابطة الشرقية هو نشر أفكاره الإلحادية التى أعلنها فى كتابه « الإسلام وأصول الحكم »، والأفكار التى تلقاها من الغرب فى طعن الإسلام والنبى ﷺ »(٣) . ونقلت الفتح عن جريدة الصراط المستقيم التى تصدر فى القدس انتقادها لجمعية الرابطة الشرقية ، والتى أشارت فيه إلى أنها رابطة غربية وليست شرقية بدليل علاقتها بالكماليين فى تركيا ، وانتدابها صاحب جريدة مخادنت التركية التى تصدر فى مصر سكرتيرا تركيا ، ودفاعها أيضا عن أنصار الفكر الغربى ، والدفاع عن الحكومة الكمالية ، والإشادة بما فعلته من فصل الدين عن الدولة ، واقتباس القوانين الغربية من أوربا وغير ذلك مما يخالف الإسلام(٤) .

كذلك هاجمت صحيفة الفتح مجلة العصور لإسماعيل مظهر والتى نشرت كتابا لقابيل آدم بعنوان : « مصطفى كمال » يدعو فيه إلى التخلى عن المبادئ الإسلامية وإلى الأخذ بالعقلية الأوربية ، وهاجم فيه العقلية الإسلامية والمدنية الإسلامية لأنها ـ فى زعمه ـ لا تتلاءم مع مقتضيات الحياة العصرية(٥) .

---

(١) أنور الجندى : الفتح ، تاريخ الصحافة الإسلامية ، مرجع سابق ، جـ ٢ ، ص ٣٦٩ .

(٢) المنار ، جـ ٨ ، م ٢٩ ، جمادى الآخرة ١٣٤٦هـ ، ديسمبر ١٩٢٨م .

(٣) الفتح ، عدد ٩٥ ، ٢٠ ذى القعدة ١٣٤٦هـ ، ١٠ مايو ١٩٢٨م .

(٤) الفتح ، عدد ١٠٣ ، ١٧ محرم ١٣٤٧هـ ، ٥ يوليو ١٩٢٨م .

(٥) الفتح ، عدد ٧٣ ، ٧ جمادى الآخرة ١٣٤٦هـ ، أول ديسمبر ١٩٢٧م .

وفى مقابل هذا الهجوم على المدنية الإسلامية والترويج للفكر الغربى كان تركيز صحافة الاتجاه الإسلامى على محاربة مظاهر الحياة الغربية والدعوة لها فى مصر والتأكيد على الهوية الإسلامية للمصريين ، وبعث المدنية الإسلامية فى مقابل المدنية الغربية ، وبيان فضل المدنية الإسلامية أيضا على المدنية الغربية وتفوقها عليها ، وإبراز العلاقة بين التجديد والاستعمار ، وتفنيد أقاويل المجددين فى كل مسألة من المسائل التى يزعمونها تجديدا ، مثل : فصل الدين عن الدولة ، والدعوة إلى لبس القبعة والبغاء الرسمى ، وغير ذلك مما طرحته الصحافة المصرية التغريبية ودعت إليه .

وقد صورت الصحف الإسلامية الحالة المؤسفة والمريرة التى وصلت إليها أحوال الناس فى مصر من جراء مظاهر التغريب ، ومن سيطرة سيئات المدنية الغربية التى انغمس فيها الناس وتغلغلت فى نفوسهم وتمكنت فى قلوبهم : « ويكفى أن يأتى المرء الدنية ، ويرتكب الكبيرة ، ويجرم ويزنى ، ويلعب القمار ، ويهتك الأعراض ، ويتخنث . . يفعل كل ذلك ويسمع كل أصوات الاستحسان والإعجاب ، ويرى نظرات السرور والمرح، ويشاهد تصفيق الجمهور وهتافه ؛ لأن هذه المظاهر الوضعية ترتكب باسم المدنية وباسم الرقى والحضارة »(١) .

ويرى حسن البنا أنه قد اغتر المصريون بمظاهر الحياة الأوربية ، وجعلوها مقياسا للتقدم والرقى ، حتى احتلت العادات والأفكار والزخارف الأوربية بيوتهم ، وامتدت إلى نفوسهم وأخلاقهم وعواطفهم ، وأصبحت بمثابة الاحتلال الفكرى والاجتماعى ، فضلا عما تشكله من خطر على دينهم وكرامتهم ومقدساتهم الإسلامية(٢) .

وقد شن محب الدين الخطيب هجوما على وزارة المعارف التى أعلنت عن إنشاء معهد للتمثيل، ومدرسة للتصوير والنحت، أسوة بأوربا، ورصدت لذلك ألوفا كثيرة من الجنيهات من ميزانية الدولة ، وأن الأولى تنفق هذه الأموال فى إنشاء الصناعات المحلية المنتجة مثل صناعة المعادن والصناعات الزراعية حتى تستغنى الدولة عن استيراد البضائع الأجنبية من جميع دول العالم بأثمان مضاعفة(٣) ، ودعا الخطيب إلى مقاطعة دور السينما، ومقاطعة البضائع الأجنبية، ومحاربة ظاهرة التحلل التى انتشرت بين الشباب المسلم فى تلك الفترة، وانصرافه عن تعاليم الإسلام ، بزعم أن اتباع الدين لا يليق فى هذا العصر ، مقلدا فى ذلك الغرب فى الانسلاخ عن الدين(٤) ، كذلك انتقد أحمد حسين زعيم مصر الفتاة

---

(١) الإخوان المسلمون ، ١٤ جمادى الأولى ١٣٥٤هـ ، ١٣ أغسطس ١٩٣٥م ، مقال بعنوان : « حول الإصلاح الاجتماعى بين المنع والدفع » لعلى إبراهيم الأقطش .

(٢) الإخوان المسلمون ، عدد ٣٢ ، ٢٩ ذو القعدة ١٣٥٢هـ .

(٣) الفتح ، عدد ٢٢٥ ، ٢٢ جمادى الآخرة ١٣٤٩هـ .

(٤) الفتح ، عدد ٢٣١ ، ٥ شعبان ١٣٤٩هـ .

اندفاع الشباب المصرى نحو التخنث وطراوة الأخلاق ، والابتعاد عن الخشونة والقوة ، وانصرافهم عن الدين والوطنية إلى المقاهى ودور السينما ودور اللهو الحرام[١] .

ومضت الصحف الإسلامية على هذا النحو تحارب المظاهر السيئة للمدنية الغربية وتدافع عن المدنية الإسلامية التى تحارب من قبل أعداء الإسلام فى الداخل والخارج ، وبين شكيب أرسلان أن هدف أعداء الإسلام فى الخارج هو صبغ المسلمين بالصبغة الأوربية ، وهدف أعداء الإسلام فى الداخل هو زرع بذور الإلحاد فى العالم الإسلامى ، وفند شكيب أرسلان دعوة أنصار التغريب التى تتبنى المدنية الغربية بحجة أن الإسلام لم يتمكن من تأسيس مدنية خاصة به ، مستدلين بحالة المسلمين الحاضرة ، وتأخرهم فى مضمار الحضارة الحديثة ، وذهب شكيب أرسلان إلى أن « تأخر المسلمين فى القرون الأخيرة لم يكن من الشريعة الإسلامية ، بل من الجهل بها أو من عدم تطبيق أحكامها تطبيقا سليما ، فمدنية الإسلام لا تقبل الجدل ، إذ ليس من أمة من أمم أوربا سواء الألمان أو الفرنسيين أو الإنجليز أو الطليان إلا وعندهم مؤلفات لا تحصى فى مدنية الإسلام، ولو لم تكن للإسلام مدنية حقيقية وسامية وراقية مطبوعة بطابعه ، مبنية على كتابه وسنة رسوله ، ما كان علماء أوربا يكثرون من ذكر المدنية الإسلامية أو من سرد تواريخها ، والمقابلة بينها وبين غيرها من المدنيات الأخرى »[٢] .

وهكذا يتضح أن تأخر المسلمين الحالى لا يرجع إلى أصول دينهم أو إلى مبادئه أو إلى نقص فى شريعته فيما يتعلق بمقتضيات الأحوال الحاضرة ، بل على النقيض من ذلك يرجع هذا التأخر إلى إغفال المسلمين تطبيق هذه المبادئ السامية والأصول الصحيحة والنظم الرشيدة التى جاءت فى القرآن الكريم على سلوكهم وأعمالهم وسائر حياتهم[٣]، فضلا عن أن المدنية الغربية الحاضرة مدينة لما سبقتها من مدنيات أخرى ، وأبرزها المدنية الإسلامية التى اقتبست منها الفنون والعلوم والصناعات ووسائل العمران ، وذلك من مراكزها فى دمشق ، وحلب ، والقاهرة ، وسمرقند ، وأصفهان ، والقيروان ، والبصرة، وفارس ، وتلمسان ، ومراكش ، وقرطبة[٤] .

---

(١) الصرخة ، عدد ٢٣ ، ٢٣ ذو الحجة ١٣٥٤هـ ، ١٧ مارس ١٩٣٦م .

(٢) المنار ، ج ٧ ، م ٣١ ، رمضان ١٣٤٩هـ ، فبراير ١٩٣١م ، مقال بعنوان : « الدعوة إلى المدنية الإسلامية فى مقابل المدنيات الأخرى من فرعونية وغربية » بقلم أمير البيان : شكيب أرسلان .

(٣) الشبان المسلمون ، جـ١ ، م ٢ ، جمادى الأولى ١٣٤٩هـ ، أكتوبر ١٩٢٠م ، محاضرة بعنوان : « المقياس الخلقى فى الإسلام » ألقاها الدكتور عبد الحميد السكرى بدار جمعية الشبان المسلمين .

(٤) الفتح ، عدد ١٠ ، ١١ صفر ١٣٤٥هـ، سلسلة مقالات بعنوان : « المقارنة بين المدنية الإسلامية والمدنية الغربية » للشيخ عبد الباقى سرور ، وعدد ٧٠ ، ١٦ جمادى الأولى ١٣٤٦هـ ، ١٩ أغسطس ١٩٢٦م ، مقال بعنوان : « الإسلام والمدنية بين الشرق والغرب » للشيخ حسنى على الحسينى .

ويلاحظ أن دعوة الصحافة الإسلامية إلى محاربة المدنية الغربية كانت تتركز فى نظمها الاجتماعية والتى إن لاءمت حياة الغربيين ؛ لأنها وليدة حاجاتهم ومجتمعهم إلى حد ما ، فهى لا تلائم حياة المسلمين ولا الشرقيين بوجه عام ، أما العلوم الطبيعية القائمة على التجربة والمشاهدة أو الملاحظة العلمية فلم تعارض الصحف الإسلامية فى اقتباسها والانتفاع بها فى حياة الناس ومجتمعاتهم ، وهذا ما أكده رشيد رضا ومحب الدين الخطيب ، وحسن البنا وغيرهم من قادة الفكر الإسلامى فى الصحافة المصرية ، وقد أكدت معطيات الصحف الإسلامية ، وفعاليتها فى هذا المجال ـ كما سلفت الإشارة إلى ذلك ـ أنه ليس هناك ما يمنع أن يأخذ المسلمون بكل مدنية نافعة ؛ لأن المعارف البشرية تتطور بتطور العصور والأجيال ، ولكن الذى رفضته تلك المعطيات هو اعتناق المدنية الغربية بما فيها من نافع وضار ، فالنظم الاجتماعية الغربية لا تتفق مع الروح الإسلامية والشرقية رغم تقدم الغرب العلمى والصناعى [1] .

وبالإضافة إلى ذلك ، كشفت صحافة الاتجاه الإسلامى عن علاقة التغريب بالاستعمار ، وموقف الحكومة المصرية تجاه ما تتعرض له البلاد من غزو فكرى وعقائدى وكل مقومات حياتها من عادات وتقاليد وأوجه النشاط الأخرى . ولقد كتب محب الدين الخطيب فى مقال بعنوان : « استعمار النفوس الإسلامية واستقلالها » مشيرا إلى الصلة الوثيقة بين الاستعمار ودعاة التغريب ، ذلك أن الاستعمار كما يعمل على احتلال الأرض يعمل على احتلال النفوس واستعمارها . وقد بين الغرض الذى يرمى إليه الاستعمار من العمل على تغريب المسلمين ، ومساعدة دعاة التغريب والذى يكمن فيما يلى :

أنه يجب أن تنشأ ناشئة من المسلمين والمسلمات تصلح لإنفاق المال لا لتحصيله ، وتكون متمدنة فى ظاهرها لا فى حقيقتها ، أى تكون علاقتها بموضوعات الحضارة علاقة المشترى لا البائع ، والمصنوعة له لا الصانع ، وتكون متخلقة بخُلق الاستئناس لكل شىء غربى وبكل خلق غربى ، بحيث يرى الشاب والشابة أن التمدن يتم برقص المرأة مع الأجنبى ، وبأكل لحم الخنزير فى المطاعم الإفرنجية ، وتناول المسكرات ، وحضور موائد القمار .

ويضيف محب الدين الخطيب : « إن أوربا التى تعمل على استعمار نفوس المسلمين قسمت الحضارة إلى قسمين : قسم جعلته خاصا بالغربيين يبنى المصانع والأساطيل ،

---

(١) الفتح ، عدد ٣٩ ، ٦ رمضان ١٣٤٥هـ ، ١٠ مارس ١٩٢٧م ، مقال بعنوان : « المدنية الغربية وانقسام الشرق إزاءها » ، والإخوان المسلمون ، عدد ٢٣ ، السنة الثانية ، ١٣ أكتوبر ١٩٣٤م ، والشبان المسلمون ، جـ ٢ ، م١ ، جمادى الأخرة ١٣٤٨هـ ، نوفمبر ١٩٢٩م .

وينشئ المصارف ، وقسم آخر خاص بالمسلمين يراقب سير الموضة فى الملابس والمظاهر ، ويفهم أن الحضارة هى فى تناول المسكر ولعب القمار وقضاء أشهر الصيف فى ملاهى أوربا للتمتع بموبقاتها » (١) .

وفى مقال آخر بعنوان : « الاستعمار الفكرى فى الشرق » قرر محب الدين الخطيب أن الاستعمار الفكرى فى الشرق أعظم خطرا من الاستعمار الأرضى ، وبعبارة أخرى : « إن استعمار النفوس والعقول أخطر من استعمار الأراضى ؛ لأن الأراضى إذا استعمرتها قومية غريبة عنها ، فقد يأتى يوم يتمكن فيه أصحاب الأرض من استرداد ما سلبوه ، أما إذا تمكنت القومية الغربية من استعمار قلوب الرجال والنساء فذلك هو الخسران الأكبر » (٢) .

ويتضح صدق هذه المقولة فيما نراه ونشاهده فى الوقت الحاضر ، فما زالت معظم أرجاء العالم الإسلامى واقعة تحت سيطرة الحضارة الغربية ، برغم زوال الاستعمار وهيمنته الفعلية على البلاد .

أما عن موقف الحكومة المصرية إزاء ما تتعرض له البلاد من هجوم الأفكار والمؤثرات الغربية عليها فى تلك الفترة ، فقد أشارت الفتح إلى أن القيادة المصرية ضعيفة وليس لها صوت مسموع فى تحديد الطريقة التى يجب أن نسلكها ، وليس لها رأى فيما ينبغى مقاطعته من بضائع الغرب الفكرية التى تخلط السم بالدسم ، وقرر أن مصر تسير فى طريق التفرنج التدريجى ، وأبرز دليل على ذلك ما ذكره رئيس الوزارة المصرية عدلى باشا يكن لمحرر جريدة ديلى ميل فى لندن : « لم تعد مصر جزءا من بلاد الشرق ، فكل ما فيها يصطبغ بصبغة الغرب ، وقد أخذ أهلها يشعرون بقيمة الآداب الإنجليزية خصوصا فى التعليم . . ويتلقى النشء الحديث عندنا العلوم طبقا للقواعد الإنجليزية ، وربما كان خير مثال يوضح مرحلة الانتقال والتغيير العظيم !! التى تجتازها مصر حالة النساء الحاضرة ، فإن عددا كبيرا من بناتها يتم دراسته الآن فى إنجلترا ، وتجد المرأة عندنا كل تسهيل لتتمتع بكل ما تتمتع به المرأة طبقا للقوانين المرعية لدى الدول الأوربية »(٣) .

ويدل تصريح رئيس الوزراء المصرى دلالة واضحة على أن مصر قطعت شوطا كبيرا فى طريق التفرنج والتقليد والمحاكاة لأوربا ولا سيما فى الجوانب الاجتماعية ، وليس فى العلوم التطبيقية والجوانب الفنية والتكنولوجية ، ويبين هذا التصريح ـ من مسؤول رسمى بهذه الدرجة ـ موقف الحكومة المصرية السلبى تجاه التغريب ، ومدى عناية المسؤولين

---

(١) الفتح ، عدد ٥٩ ، ٢٨ صفر ١٣٤٦هـ ، ٢٥ أغسطس ١٩٢٧م .
(٢) الفتح ، عدد ١٨١ ، ٩ شعبان ١٣٤٨هـ ، ٩ يناير ١٩٣٠م .
(٣) المصدر السابق نفسه .

ورعايتهم للتيار التغريبى الذى سرى فى الحياة المصرية الفكرية والاجتماعية ، وأصبحت له مدارس ، كان من أبرزها مدرسة سلامة موسى الذى انضم إليها إسماعيل مظهر وحسين فوزى وفخرى عبد النور ومحمود عزمى ، ومدرسة السياسة الأسبوعية والرابطة الشرقية وأنصارهما .

كما نادى سلامة موسى أنه يجب أن يتخلص المصريون مما كان يدعوه كابوس الشرق ، ويعنى الإسلام ، وأن يستبدلوه كلية بالحضارة الغربية ، ومن رأى سلامة موسى أن الاحتلال الفرنسى لمصر فى عام ١٧٩٨م كان نعمه لأنه اعتقد خطأ أن بونابرت قد غرس فى مصر بذور الحضارة الغربية ، وأكثر من هذا ادعى سلامة موسى ـ وهو ادعاء خاطئ ـ بالمثل أن كل العرب فى مصر وسوريا والعراق والعرب فى شمال إفريقيا ينبغى عليهم أن يدركوا أنهم أوربيون بموجب الجنس والثقافة والحضارة ، ويعلق تقدم المجتمعات الشرقية على السير على نهج أوربا وبأخذها الأساليب الغربية فى كل ميدان من ميادين المعرفة وبكل مظاهر الحياة فيها ، ومن واجب الشرق أيضا فى زعمه أن يأخذ الثقافة الغربية برمتها ، وأن تشكل عقلية الشرق والمصريين تبعا للتطورات الفكرية الغربية[1] .

فضلا عن ذلك ، بدأ التيار التغريبى بفصائله أو مدارسه يهاجم الدين الإسلامى والشريعة الإسلامية وعلماء الإسلام والأزهر باعتباره حصن الإسلام فى مصر ، فالسياسة الأسبوعية واليومية تداوم على نعت الأزهريين بالجمود والرجعية ، وتلقب معهدهم بمباءة الانحطاط والرجعية ، والمجلة الجديدة لسلامة موسى تكتب مقالا بعنوان : « أوكار الرجعية » وتصف قادة الفكر الإسلامى ورواد الصحافة الإسلامية ـ من أمثال : رشيد رضا وشكيب أرسلان ومحب الدين الخطيب ، ومصطفى صادق الرافعى وغيرهم ـ بالرجعية والتخلف ، ومجلة العصور تبحث عن الخرافات والأكاذيب وتلصقها بالأزهريين، وذلك لزعزعة الثقة بالأزهر ، وتحويل الأنظار عنه باعتباره يمثل الإسلام فى مصر والعالم الإسلامى[2] .

---

(١) عفاف لطفى السيد : تجربة مصر الليبرالية (١٩٢٢ ـ ١٩٣٦م) ، القاهرة : ١٩٨١م ، ص ٣٥٨ .

ورغم هذه الآراء التى أعلنها سلامة موسى يلاحظ الكثير مما وقع فيه من تناقض فى أفكاره وآرائه ، لتتضح عمالته للغرب ، فقد كان يريد أن تقتلع جذور التقاليد الشرقية ، ويحل محلها حضارة أوربية ، هذا فى الوقت الذى كان مفتونا بمصر الفرعونية والتقاليد الشعبية فى صعيد مصر ، وكان يشن حملة ضد كثرة النسل فى الوقت الذى أنجبت له زوجته ثمانية أبناء ، وكان يحط من أهمية الدين فى الوقت الذى أنشأ فيه صحيفة للطائفة القبطية، وكان يلقى محاضرات فى جمعية الشبان المسيحية فى كل أسبوع. انظر : المرجع السابق .

(٢) الهداية الإسلامية ، جـ ٥ ، م ٢ ، شوال ١٣٤٨هـ مقال بعنوان : « الأزهر هو البقية الباقية أمام اكتساح أوربا للشرق » للشيخ محمد الخضر حسين .

وقد أحدث هذا الهجوم الصارخ على الأزهر وعلمائه ومفكرى الإسلام ضجة شديدة فى الصحافة الإسلامية ، وانبرى للرد عليه كثير من كتابها من أمثال : محب الدين الخطيب، ورشيد رضا ، وصادق الرافعى ، وعبد الفتاح حمودة ، والشيخ محمد شاكر، والطاهر أحمد الزواوى ، والشيخ سيد على الطوبجى ، ومصطفى أحمد الرفاعى ، وعمر إبراهيم الدسوقى ، والشيخ عبد الباقى سرور وغيرهم . وشرعت الصحافة الإسلامية تندد بصمت الأمة ، تجاه هذا الهجوم ، ودعت صحيفة الفتح أنصار الصحافة الإسلامية بجميع اتجاهاتها إلى التحالف والتآزر والتعاون لمواجهة الأخطار التى تستهدف الدين الإسلامى وكتابه وعلمائه ، ونشرت الفتح مقالا بعنوان : « هل نحن على أبواب عهد جديد ؟ وهل شرعت الصحف الإسلامية تؤدى واجبها » ، وذهب كاتب المقال إلى أنه ليس من سبيل إلى علاج هذا الأمر الخطير إلا أن يبادر حماة العلم الصحيح والعقيدة الدينية الخالصة إلى الانتظام فى صف واحد والتجند فى القيام بواجب يتوقف عليه مستقبل الدين فى مصر[١] .

وكتب محب الدين الخطيب فى مقال بعنوان : « ماذا يريد سلامة موسى وما هو مذهبه ؟ » ذكر فيه أن سلامة موسى يريد أن يطوى بساط الدين الإسلامى فى مصر ، وأن يقوض عقائد التوحيد والإيمان ، ويبطل الشريعة الإسلامية ، وتسقط تكاليفها وتنهار أحكامها ، ويقصد من ذلك أن تأخذ مصر من أقصى الحرية الاجتماعية المفرطة سننًا لها بدلا من سنن الإسلام وحدوده ، وأن يحل الاستهتار محل الآداب والفضائل ، وهو يسمى هذا بالأدب المكشوف ، وأن يسير المصريون نحو الحضارة الأوربية يغترفون منها بلا قيد ولا شرط ، مدعيا أن الالتحاق بأوربا على هذا الوجه هو سبيل الخلاص لمصر من ربقة العهد الحالى ، ويعنى بذلك الإسلام[٢] .

ورأى عمر إبراهيم الدسوقى أن تعرض سلامة موسى لقادة الفكر الإسلامى مثل : شكيب أرسلان ، مسلك يسلكه فى الطعن على الإسلام ، وأن سلامة موسى عميل للغرب ، وإن تظاهر بحبه لمصر ، وهجومه على رشيد رضا بحجة أنه سورى الأصل وأنه قضى على مجلة فرح أنطون « الجامعة » ، هذا الهجوم ليس له ما يبرره ، بدليل أن فرح

---

(١) الفتح ، عدد ١٨٨ ، ٢٨ رمضان ١٣٤٨هـ ، ٢٧ فبراير ١٩٣٠م .

(٢) الفتح ، المجلد الرابع ، ١٩٣٣م ، نقلا عن : أنور الجندى : تاريخ الصحافة المصرية ، مرجع سابق ، جـ٢، ص ١٧١ .

أنطون سورى أيضا ، إذًا المسألة ليست مسألة سورى ومصرى ، وإنما الذى يشغل سلامة موسى هو الغض من شأن الإسلام وتحقيره وذم المدافعين عنه[1] .

كذلك انتقد الشيخ مصطفى أحمد الرفاعى سلامة موسى لاتهامه قادة المسلمين بالرجعية والتخلف والجمود ، وبين أن الجمود عند سلامة موسى ينحصر فى « اتباع دين الله والتمسك بالفضائل وصيانة الأخلاق والحض على المكارم ، وحفظ المرأة من الابتذال والإهانة ، والجهاد فى سبيل تقوية الأمة ووقايتها من جراثيم الفساد الغربى التى تتغلغل فى صميمها » ، أما التجديد لدى سلامة موسى والتقدم فهو نبذ الدين ، وترك الإيمان بالله ورسله ، وكره الفضائل ، وحب الرذائل ، والدعوة إلى الشيوعية المتطرفة، وترك الحرية للمرأة بلا قيد ولا شرط[2] .

وكان فكرى أباظة أيضا من أصحاب الأقلام المغرضة التى هاجمت الأزهر وعلماءه ، وانبرى للرد عليه الشيخ حامد محيسن المدرس بمعهد الاسكندرية الدينى ، مشيرا إلى انضمامه للتيار التغريبى الذى يكن الحقد على الإسلام المتمثل فى الجامع الأزهر وعلمائه الكرام ، الذين يقفون لهم بالمرصاد يردون عليهم أقوالهم ، ويفضحونهم أمام الرأى العام المصرى[3] .

وقد سافر محمود عزمى إلى القدس فى عام ١٩٢٦م وألقى محاضرة فى نادى جمعية الشبان المسيحيين ، محاولا نشر دعوته التغريبية هناك ، ودعا فى محاضرته إلى أن يبتعد الفلسطينيون عن جزيرة العرب ، والتنكر لأهلها المتعصبين لدينهم ، وتأليف كتلة من الشعوب الناطقة بالضاد التى سرت فيهم نزعات الإفرنج واستأنسوا بها ، وتأسيس رابطة بينها وبين الأمم الإفرنجية ، ولا سيما اللاتينية منها النازلة على سواحل البحر الأبيض المتوسط ، ودعا أيضا إلى السفور ونبذ الحجاب والرقص ، وهاجم أحكام الدين الإسلامى ، وحبذ لبس البرنيطة « القبعة » وترك العمائم لأن هذا ـ فى زعمهم ـ التقدم والرقى والمدنية .

وحينما ذاع خبر هذا المحاضرة فى الجرائد الفلسطينية انبرى للرد عليه الشيخ عبد الباقى سرور نعيم ، وأشار الشيخ سرور إلى هجوم صحيفة الصراط المستقيم ـ التى تصدر فى القدس ـ لآراء محمود عزمى ، فقد نشرت هذه الصحيفة نص المحاضرة التى ألقاها الشيخ عبد القادر المظفر فى روضة المعارف فى القدس للرد على محمود عزمى وتفنيد أقواله ، حيث أشار الشيخ عبد القادر المظفر إلى أن اختلاط النساء بالرجال لا يتأتى بمدنية

---

(١) الفتح ، عدد ١٨٤ ، ٣٠ شعبان ١٣٤٨هـ ، ٣٠ يناير ١٩٣٠م .
(٢) الفتح ، عدد ١٨٦ ، ١٤ رمضان ١٣٤٨هـ ، ١٣ فبراير ١٩٣٠م .
(٣) الفتح ، عدد ٣٢ ، ١٦ رجب ١٣٤٥هـ ، ٢٠ يناير ١٩٢٧م .

ولا ينهض بشعب كما زعم محمود عزمى ، وإنما الذى يرفع شأن الأمم فى الحقيقة وينهض بها هو العلم ، ثم استنكر دعوته للرقص حيث قال : « إن أخلاقنا وآدابنا وشريعتنا لا تسمح بهذا التهتك الممقوت » وانتقل إلى مسألة لبس القبعة أو البرنيطة ، وأكد أن العمامة لم تكن فى عصر من العصور عنوان التأخر كما ذكر محمود عزمى ، فقد لبسها النبى ﷺ ورجال العلم والأدب ، وليس فى العمامة ولا فى غيرها مما يوضع على الرأس سر معقول يكون سببا للعلم أو الجهل أو التقدم أو التأخر[1] ، ولكن الهدف فى زعم الباحث هو صرف المسلمين عن قضاياهم الحقيقية أو إهدار لجهودهم وشغل أفكارهم فيما لا يفيد دينهم ، ولا يسهم فى تقدمهم الفكرى والاجتماعى .

ويلاحظ أن دعاة التغريب كانوا يدعون إلى اقتفاء آثار الكماليين من الأتراك فى استبدال القبعة بالطربوش ، ويعدون ذلك مظهرا من مظاهر التقدم لأنه فقط تقليد للأوربيين ، وقد أيدت الصحف التغريبية هذه الدعوة وانتصرت لها ، وكان فى مقدمة تلك الصحف صحيفة المقتطف التى كتبت مقالا بعنوان : « الطربوش أو القبعة بحث تاريخى » دعت فيه إلى لبس البرنيطة والاقتداء بالحكومة التركية التى فرضت على شعبها لبس البرنيطة وترك الطربوش[2] ، كذلك تحدثت صحيفة الهلال عن نهضة مصطفى كمال أتاتورك وعن إجباره التركيين على استبدال القبعة بالطربوش ، مؤيدة الحركة التى قامت فى القاهرة للدعوة إلى لبس البرنيطة[3] .

وقد لقيت هذه الدعوة معارضة من جانب صحافة الاتجاه الإسلامى وعلماء الدين فى مصر ؛ لأنها تشبه بالكفار فى لباسهم ، وقد أصدر المعهد الدينى فى الاسكندرية ، ورئاسة المعاهد الدينية العليا فى الأزهر فتوى بتحريم لبس القبعة ، ونشرت المنار نص هذه الفتوى التى اعتمدت على بعض الأحاديث والآيات القرآنية التى تنهى عن التشبه بالكفار فى ملابسهم ، والحكمة فى ذلك أن الشارع يريد أن يجعل فى المسلمين أمة متجانسة متحدة ذات أخلاق وعادات ونزعات وعقائد ومشارب متحدة ؛ ليتمايزوا ويتعارفوا [4] .

ولكن الحقيقة التى يراها الدارس أن الله ـ عز وجل ـ لم يفرض زيا معينا على المسلمين

---

(١) الفتح ، عدد ٢٦ ، ٤ جمادى الآخرة ١٣٤٥هـ ، ٩ ديسمبر ١٩٢٦م ، مقال بعنوان : « يبشرون فى فلسطين ولكن تبشيرهم قوبل بما يستحقه » .

(٢) المقتطف ، عدد أغسطس ١٩٢٦م .

(٣) الهلال ، عدد أكتوبر ١٩٢٦م .

(٤) المنار ، جـ ١ ، م ٢٧ ، رمضان ١٣٤٤هـ ، أبريل ١٩٢٦م .

أو غطاء للرأس محددا ، وليس كل المسلمين متحدين فى ذلك ، ولكنى أعتقد أنه جاءت محاربة الصحف الإسلامية للبس البرنيطة على أنها مظهر من مظاهر التفرنج والتشبه بغير المسلمين وتقليدهم فى شىء غير ضرورى ؛ ولهذا هاجم رشيد رضا استبدال الزى الأوربى بالزى الشرقى وعده من أكبر جنايات الأفراد على أمتهم ؛ لأن التقليد - كما ذكر - يبث فى الأمة الشعور بالمهانة بتفضيل غيرها عليها ، ولأن الذى يحتقر زى أمته وعاداتها وآدابها فهو فى الحقيقة يحتقر نفسه ، وذهب رشيد رضا إلى أن ما نحتاج اقتباسه من أوربا هو علومها وفنونها وصناعاتها ، ولا يقتضى هذا التقليد فى الأزياء والعادات ، ويستشهد باليابان التى لم تترك عاداتها وتقاليدها ، ومع ذلك اقتبست علوم أوربا وتقدمت وأحدثت الآن نهضة تضارع النهضة الأوربية بل تتفوق عليها[1] .

ودعا محب الدين الخطيب إلى تقليد الهند فى خلع الملابس الإفرنجية ، ولبس الملابس الوطنية ، وأشاد بموقف الزعيمة الهندية « نايدو » عندما شاهدت شابا هنديا يرتدى الملابس الغربية ، فعنفته ووصمته بخيانة الوطن ، ثم طالب الحكومة بتطبيق هذا فى مصر فى المدارس ودواوين الحكومة ، ورفض منتجات الغرب وبضاعتهم كلها حتى يتسنى للمصريين التحرر من كل ما هو أجنبى[2] .

كذلك انتقد شكيب أرسلان الدعوة إلى لبس البرنيطة والملابس الإفرنجية ، مشيرا إلى أن زعماء المسلمين - كالأمير محمد عبد الكريم الخطابى - لم يعبه زيه الإسلامى البرنس والعمامة ، وأن الزى لا يحول دون تحصيل العلوم المدنية وكمال المروءة كما يدعى أنصار التفرنج ، وقدم أحمد تيمور باشا المحقق اللغوى بحثا فى لفظ الطربوش وتاريخه ، نشر فى سلسلة مقالات فى صحيفة الفتح هاجم فيه الدعوة إلى لبس البرانيط تلك الدعوة التى روجها الدكتور على إبراهيم وأعضاء الرابطة الشرقية ، ودعا إلى تمسك المسلمين بأزيائهم، لأن البرنيطة هى لبس المستعمرين[3] . وربما كان هذا السبب الرئيسى فى محاربة لبس القبعة .

وقد جدد الدعوة إلى لبس البرنيطة فى الثلاثينات توفيق الحكيم فى مقال بعنوان : «آن الأوان بأن نلبس القبعة » نشرته صحيفة الأهرام[4] ، دعا فيه إلى لبس القبعة تقليدا للأتراك ، غير أن صحيفة الإخوان المسلمين قد انبرت للتصدى لتلك الدعوة ، مشيرة إلى أن هناك فرقا شاسعا بين مصر العربية وبين تركيا الأعجمية ، وهاجمت التفرنج

---

(١) المنار ، جـ ٢ ، م١٩ شوال ١٣٤٤هـ ، يوليو ١٩١٦م .
(٢) الفتح ، عدد ٢٠٢ ، محرم ١٣٤٩هـ .
(٣) الفتح ، عدد ١٥ ، ١٥ يوليو ١٩٢٦م .
(٤) الأهرام ، عدد ٧ فبراير ١٩٣٧م .

والمتفرنجين، مؤكدة على خطرهم على الأمة الإسلامية ، وعلى الدين الإسلامى فى مصر، وناشدت علماء الأزهر الشريف والشريعة الإسلامية أن يهبوا للذود عن دين الله وشريعته(١) .

فضلا عن ذلك حفلت الصحف الإسلامية بمقالات عديدة هاجمت فيها أنصار التغريب وكتابه وزعمائه وصحافته ، واتهمتهم بالملاحدة والكفار ، وذلك لمهاجمتهم المستمرة للدين الإسلامى وتعاليمه ونشاطهم فى العمل على محوه من الوجود ، وإطلاقهم على تعاليم الإسلام أنها أحد بقية القرون الوسطى واستنهضت الحكومة لمقاومة هؤلاء الملحدين .

وكان من أشهر المعارك بين دعاة التغريب وأنصار الفكر الإسلامى فى الصحافة المصرية معركة الخصومة بين العلم والدين ، بدأ هذه المعركة الدكتور طه حسين بمقال نشرته السياسة الأسبوعية(٢) عن العلم والدين ، أشار فيه أن بين الدين والعلم خصومة، وليس بينهما ما يمكن أن يسمى اتفاقا بحال من الأحوال ؛ لأن الدين ـ فى زعمه ـ يثبت شيئا لا يعترف به العلم ، وهو وجود الله ، ونبوة الأنبياء .

وقد أحدث هذا المقال دويا فى الصحافة المصرية كلها ، وانبرى للرد عليه بعض علماء الأزهر الشريف وكتاب الصحافة الإسلامية ، وكان من أبرزهم الشيخ عبد الباقى سرور نعيم ، والشيخ محمد عرفة ، والشيخ يوسف الدجوى ، والشيخ محمد عبد المطلب ـ أستاذ الآداب فى كلية دار العلوم ـ والشيخ محمد الخضر حسين ، والمهندس محمد خليل ، ومحمد محمود الغمراوى ، وغيرهم . وكان أول هذه الردود رد الشيخ عبد الباقى سرور الذى قال فيه : « التبس على الدكتور طه حسين ما يراد بلفظ العلم واختلط عليه مفهومه » ، متهما إياه بالجهل ؛ لأن لفظ العلم يطلق تارة على ما يثبت بالاختبار والتجربة ، ويطلق تارة أخرى ويراد منه مجموع المباحث التى تناولها الفكر الحديث من نظريات تثبت أو لم تثبت والعلم بالمعنى الأول ليس من مباحثه إثبات وجود الله ولا نبوة الأنبياء ؛ لأنهما ليسا مما ينال بالتجربة ، ومن هنا فليس بين العلم الطبيعى الثابت بالتجربة وبين الدين خصومة(٣) .

وفند الشيخ محمد عرفة ما يدعيه طه حسين فى مقاله السالف الذكر بأن للإنسان شخصيتين متميزتين : إحداهما عاقلة ، والأخرى شاعرة ، وذكر « أنه جنى على العقل

---

(١) الإخوان المسلمون ، عدد ٤٧ ، ٢٦ ذو الحجة ١٣٥٥هـ ، ٩ مارس ١٩٣٧م ، مقال بعنوان : « خطر التفرنج والمتفرنجين » .

(٢) السياسة الأسبوعية ، عدد ١٧ يوليو ١٩٢٦م .

(٣) الفتح ، عدد ٥ ، ٥ محرم ١٣٤٥هـ ، ١٥ يوليو ١٩٢٦م .

جناية خطيرة ؛ لأن العلم والدين متوقفان على العقل وقضاياه الأولية كل التوقف ، فهما أصل والدين فرع ، وإذا لم يثبت الأصل لم يثبت الفرع ، فمن اعتدى على العقل وقضاياه الأولية اللذين بهما ثبت العلم والدين ، فقد اعتدى على العلم والدين معا » .

ثم يتهكم الشيخ عرفة من طه حسين موضحا أنه جمع بين المتناقضين فى كلامه ، قائلا : « إنا نخاف أن يتولى القضاء طه حسين فيدعى زيد ملكية شىء وينفى عمرو هذه الملكية ويدعى أنه هو مالكها ، فتأتى شخصيته المفكرة فتصدق الأول وتأتى شخصيته الشاعرة فتصدق الثانى ، ويصدر الحكم بأن زيدا مالك وليس مالكا ، وأن عمرا كذلك، ولا أدرى كيف ينفذ الحكم ؟ » (1) .

ويعنى ذلك عدم الإيمان بما قاله طه حسين بأن للإنسان شخصيتين متميزتين إحداهما مفكرة وأخرى شاعرة ، فهذا أقرب للخيال والتصور ، وليس إلى الحقيقة والواقع ، وعلى هذا المنوال تناول الكتاب والمفكرون مقال طه حسين بالنقد والتفنيد فى كل جزئية من جزئياته ، فعندما ذكر طه حسين أن الخلاف قوى بين التوراة والقرآن من ناحية وبين نظريات علم الجيولوجيا من ناحية أخرى وليس الخلاف بين الدين والعلم فى نشأة الإنسان بأقل منه فى خلق السموات والأرض ، فمذهب النشوء والارتقاء لا يمكن أن يتفق مع ما فى التوراة والقرآن بوجه من الوجوه ولن يتفق علم الأمبريولوجيا مع ما جاء فى القرآن من تكوين الجنين ، وقل مثل ذلك عما بين نصوص التوراة والقرآن وعلم الفلك من خلاف ، وقد تصدى للرد على هذه المزاعم المهندس سيد خليل فهمى ، ذاكرا أن الدكتور طه حسين لم يأت بأدلة مقنعة ولم يأت بنظرية واحدة من نظريات العلم مقارنة بمثيلاتها فى القرآن الكريم ، وشرح أوجه الاختلاف الواقع بينهما ، ويشير المهندس خليل إلى أن بعض النظريات العلمية تتفق مع ما جاء فى القرآن الكريم مثل كروية الأرض ، قال ـ تعالى : ﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا (30) ﴾ [النازعات] ، وعن دوران الأرض قال ـ تعالى : ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ﴾ [النمل : 88]، وبالنسبة لمذهب النشوء والارتقاء صرح المهندس خليل أنه لو كان داروِن المنسوب إليه هذا المذهب يعرف اللغة العربية معرفة طه حسين وقرأ هذه الآية القرآنية : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ (12) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (13) ﴾ إلخ الآيات [المؤمنون] ، لما تحمل مشاق الأسفار والتجارب فى سبيل تكوين مذهبه(2) .

وقد أثنى الشيخ يوسف الدجوى على ما قاله المهندس خليل فهمى ، ولفت نظر

(1) الفتح ، عدد 8 ، 26 محرم 1345هـ ، 5 أغسطس 1926م .

(2) الفتح ، عدد 13 ، 2 ربيع الأول 1345هـ ، 9 سبتمبر 1926م .

المفكرين إلى حقيقة مهمة مؤداها : أن بعض النظريات العلمية كنظرية دارون ـ مثلا ـ هى نظريات تخمينية أو ظنية ؛ لذلك لا ينبغى لمن يقارن هذه النظريات بالدين أن يعلق ما يريد من التأويل والاستدلال على ثبوت تلك النظريات ثبوتا قطعيا(١) .

والحقيقة التى يراها الباحث أنه لا ينبغى التكلف فى إثبات كل نظرية علمية جديدة فى القرآن الكريم سواء ثبتت أو لم تثبت ؛ لأن القرآن الكريم كتاب هداية وإرشاد ، ولم ينزل لإثبات النظريات العلـمية أو تأكيـدها ، فضلا عن أن ذلك يجعل القرآن عرضة للخطأ ـ معاذ الله ـ لأن هذه النظريات الحديثة قابلة لأن تظهر مخالفتها للواقع ، وهناك نظريات جديدة تبين وتوضح فساد وخطأ نظريات قديمة كانت فى يوم ما جديدة أو حديثة فى عهدها ، ثم إن بعض النظريات العلمية ـ كما أشار الشيخ الدجوى ـ تكون تخمينية أو ظنية لم تثبت صحتها بعد .

ويلاحظ أن المعركة بين د . طه حسين وأنصار الاتجاه الإسلامى فى الصحافة المصرية ظلت مستمرة طوال فترة ما بين الحربين ، وظلت الصحف الإسلامية تتتبع كل ما يكتبه وما ينشره فى الجرائد المصرية أو يقوله فى المحافل العامة ، وحينما ألقى د . طه حسين محاضرة فى الأسكندرية بعنوان : « أولية الشعر العربى » والتى نشرت بجريدة السياسة(٢) قال فيها : « إن سائر العرب أسلموا إما رغبة أو رهبة خوف السيف أو محبة المال ، حتى كان الرسول ﷺ يتألف القلوب بالمال » ، وقد تصدت له الصحافة الإسلامية مفندة أقواله، متهمة إياه بأنه يردد كلام المبشرين والمستشرقين ، ويتبجح على الإسلام وعلى رسوله ويغير الحقائق التاريخية الثابتة(٣) .

ولاقى د . طه حسين هجوما مرا من رجال الفكر الإسلامى وعلماء الأزهر ، ولاسيما بعد أن هاجم الأزهر وعلماءه على صفحات جريدة السياسة حيث قال : « وأنا أريد أن أصارح البرلمانيين الذين إليهم أمور مصر فى هذه الأيام بأن فى مصر شرا عظيما هو جمود المشايخ . . . وأريد أن أصارحهم بأن واجبهم الوطنى يقضى عليهم بأمرين :

---

(١) الفتح ، عدد ١٤ ، ١٠ ربيع الأول ١٣٤٥هـ ، ١٧ سبتمبر ١٩٢٦م .

كذلك هاجم الشيخ سيد عفيفى والشيخ الخضر حسين الدكتور طه حسين ونفيا أن يكون بين العلم والدين أى تنافر أو خصومة ، ولا يقول بذلك إلا ملحد أو مجنون . انظر : مجلة الهداية الإسلامية ، جـ ٤ ، م ١، ربيع الآخر ١٣٤٩هـ ، والفتح عدد ١١ ، ١٨ صفر ١٣٥٤هـ ، ٢٦ أغسطس ١٩٢٦م .

وذهب الشيخ محمد عبد المطلب إلى أن العلم الصحيح لا يتعارض مع الدين بأى شكل من الأشكال . انظر : الهداية الإسلامية ، جـ١ ، م ١ ، جمادى الآخرة ١٣٤٧هـ ، وأشارت صحيفة الإخوان المسلمين إلى أن العلم الطبيعى لا يناقض الدين الصحيح ، عدد ٣٢ ، ٢٩ ذو القعدة ١٣٥٢هـ .

(٢) السياسة ، عدد ٢٤ ديسمبر ١٩٢٨م .

(٣) الفتح ، عدد ١٢٩ ، ٢٢ رجب ١٣٤٧ هـ ، ٣ يناير ١٩٢٩م .

الأول مؤقت لابد منه ، وهو أن يتخذوا من الوسائل التشريعية والسياسية ما يحول بين الشيوخ وبين التسلط على الحياة العقلية والعلمية والسياسية ، والأمر الثانى هو استئصال هذا الجمود ووقاية الأجيال الحاضرة والمقبلة منه ، وأؤكد للبرلمان أن الشر مستمر متضاعف ما دام الأزهر قائما ، وما دامت ملحقاته قائمة كما هى لا يمسها الإصلاح ولا يتغلغل فى أعماقها نور الحياة الراقية والعلم الصحيح »[1] .

وقد أثار هذا المقال ثائرة علماء الدين فى مصر ومشايخ الأزهر ، وهاجمت الصحافة الإسلامية طه حسين ، واستعرضت حياته فى الأزهر ، وسفره إلى أوربا ، وتزوجه واحدة من الأوربيات ، وذكرت صحيفة الفتح أن طه حسين « رجع من أوربا بلا عقل ولا دين ، فإذا ما سألته عن العلم حقا ، قال لك : علم أوربا ، وإذا ما استوضحته فى شأن العلماء ، قال لك فى غير خفاء : إن العلماء علماء أوربا ، وإذا ما استهديته إلى الأخلاق العالية والآداب القويمة ، أحالك إلى أدباء أوربا » ، وأضافت أنه يقصد بالجمود فى كلام طه حسين ، هو التمسك بالدين ويقصد بالحياة الراقية والعلم الصحيح نبذ الإسلام وعدم الاعتراف بتعاليمه ، وبمن جاء به[2] .

وكان من أبرز المقالات الحادة والمحتدمة التى انتقدت طه حسين مقال محب الدين الخطيب الذى نشر فى مجلة الزهراء والفتح بعنوان : « ما أعرفه عن طه حسين » أجلى فيه الخطيب أن طه حسين لم يشتهر إلا أثر نقده لكتاب : « النظرات » الذى كتبه مصطفى لطفى المنفلوطى فى صحيفة المؤيد ، وأكد أن هذه المقالات كلها كان يكتبها محمد صادق عنبر ، ثم تدفع إلى طه حسين ، وذلك لسبب سياسى هو أن « النظرات» كانت تنتقد رجال الحزب الوطنى آنذاك ، فرأوا أن ينتقدوا تلك المقالات فى صحيفتى الحزب الوطنى، « الشعب » و « العلم » .

ومضى محب الدين الخطيب فى مقاله يتهم طه حسين بأنه لم يتحر الدقة فى بحوثه، فهو يقتحم مجال الأبحاث العلمية مخدوعا بذكائه ، ومكتفيا بما يقع تحت يده من كتب قريبة المأخذ ، ظانا أن فيها العلم كله ، وأن فى الذكاء وطول اللسان غنى عن مواصلة البحث والدرس والاستقصاء العلمى ، وأشار إلى أن فى كتابه « ذكرى أبى العلاء » فضائح وأغلاط نبه على بعضها العلامة عبد العزيز الميمنى المدرس بمدرسة عليكرة الإسلامية فى الهند فى هوامش كتابه : « أبو العلاء وما عليه » ، وأن طه حسين لم يحصل على أجازته العلمية من أوربا إلا لاعتبارات سياسية وإنسانية ، ذلك أن الأساتذة

(١) السياسة ، عدد ١٦ يوليو ١٩٢٦م ، ٦ محرم ١٣٤٥هـ .

(٢) الفتح ، عدد ٧ ، ١٩ محرم ١٣٤٥هـ ، ٢٩ يوليو ١٩٢٦م ، مقال بعنوان : « طه حسين والإسلام ، وأهل الإسلام » .

الذين تقدم إليهم ليشهدهم على نجاحه ، كانوا يتمثلون فى أذهانهم رجلا شرقيا مكفوف البصر منسوبا بالباطل إلى معهد إسلامى هو الأزهر ، فلا يترددون فى التسامح معه ، حيث إن العادة المتبعة فى الجامعة الأوربية ألا يتقيد أساتذتها كثيرا فى منح الشرقيين الشهادات العلمية ، وأكد الشيخ محمد الخضر حسين أن أطروحة طه حسين عن ابن خلدون ، والتى نوقشت فى جامعة السربون الفرنسية مملوءة بالفضائح والأغلاط ، وأن طه حسين كذب على ابن خلدون فيما أتى عليه من بيان الكتب التى درسها فى حداثته وصباه[1] .

ونقلت صحيفة الفتح ما كتبه أيضا أحد علماء جامع الزيتونة فى تونس فى جريدة النهضة التونسية بعنوان : « طه حسين وفلسفة ابن خلدون الاجتماعية » ذكر فيها بعض الأخطاء التى وقع فيها طه حسين فى رسالته عن ابن خلدون[2] .

وهكذا واصلت الصحافة الإسلامية نقدها لكتابات طه حسين فى مؤلفاته ، وفيما كتبه من مقالات فى الصحف المصرية ، ولاسيما جريدة السياسية التى كانت تتولى نشر آراء طه حسين ومؤلفاته قبل نشرها .

وحينما نشر طه حسين كتابه المسمى « حديث الأربعاء » الذى كان قد نشره فى السياسة فى شكل مقالات قبل جمعه فى كتاب ، انبرت لنقد هذا الكتاب صحيفة نور الإسلام،وكتب الشيخ محمد سليمان ـ العضو بالمحكمة الشرعية العليا ـ سلسلة مقالات فى نقد وتفنيد ما جاء فى كتاب طه حسين « حديث الأربعاء » فقد أنكر الشيخ محمد سليمان على طه حسين حكمه على القرن الثانى من الهجرة بأنه « عصر الشك والمجون » وأوضح ما وقع فيه طه حسين من تناقض فى كلامه بعد ذلك ، إذ قال : « نعترف بأن الشك والمجون لم يكونا كل شىء فى ذلك العصر ، وإنما كان إلى جانب الشك يقين وإلى جانب الهزل جد ، فكان الشعراء والكتاب والأدباء بوجه عام يشكون ويعبثون، فى حين كان المتكلمون والرواة مستيقنين يؤثرون الجد ويفلحون فيه » كذلك أخذ الشيخ سليمان على طه حسين أن يحكم على العصر كله بخمسة من الشعراء الفساق، ويصف العصر كله بالفسق والمجون دون أن يأخذ فى اعتباره ما كان فى ذلك العصر من فقهاء ومتكلمين ورواة وغيرهم ، إذ قال طه حسين : « حينما تريد أن تحكم على ذلك العصر حكما صادقا أن ترجع إلى الشعراء والكتاب أكثر من رجوعك إلى الفقهاء والمتكلمين والرواة » ، ثم واصل الشيخ سليمان نقده لما كتبه طه حسين متهما إياه بأنه يأخذ الآراء الضعيفة والمشكوك فيها على أنها حقائق لا تقبل الشك والجدل[3] .

---

(١) الفتح ، عدد ٢٣ ، جمادى الأولى ١٣٤٥هـ ، ١٨ نوفمبر ١٩٢٦م .

(٢) الفتح ، عدد ١١ ، ١٨ صفر ١٣٤٥هـ ، ٢٦ أغسطس ١٩٢٦م .

(٣) نور الإسلام « الأزهر » جـ ١ ، م ٣ ، محرم ١٣٥١هـ ، والأعداد التالية .

ونخلص من هذا المبحث إلى أنه فى أوائل هذا القرن أخذت النظريات والأفكار الغربية ، فى السياسة والاجتماع والفلسفة والآداب ، تأخذ طريقها إلى الفكر المصرى ، وكان يقوم بالترويج لهذه النظريات وتلك الأفكار بعض خريجى المدارس الأجنبية والإرساليات التبشيرية من نصارى الشام ، الذين أصدروا الكثير من الصحف بمساعدة الاحتلال البريطانى ، من أمثال : شبلى شميل ، وفرح أنطون ، وفارس نمر ، وشاهين مكاريوس ، وجورجى زيدان وغيرهم ، أما فى فترة ما بين الحربين العالميتين فقد برز التيار التغريبى فى الصحافة المصرية على أيدى المصريين الذين تلقوا تعليمهم فى الغرب أو فى المدارس الأجنبية فى مصر ، وأصبح لهذا التيار صحفه ومؤلفاته التى توزع على الناس ، ومن أبرز هذه الصحف : السياسة اليومية والأسبوعية ـ لسان حال الأحرار الدستوريين ـ وصحيفة الاستقلال لمحمود عزمى ، والمجلة الجديدة لسلامة موسى ، والعصور الأسبوعية والشهرية لإسماعيل مظهر ، ومجلة الأسبوع التى أصدرها إدوارد عبده ، وصحف الهلال والمقتطف والمقطم .

وقد تزعمت هذه الصحف الدعوة إلى التوسع فى التشريع المدنى ، والهجوم على الشريعة الإسلامية والدين الإسلامى وتاريخه والأزهر ، واتهام علماء الإسلام بالجمود والرجعية والمطالبة بتطبيق القوانين الغربية المدنية على المصريين فى مسائل الزواج والطلاق وغيرها ، والأخذ بالأساليب والنظم الغربية فى كل ميدان من ميادين الحياة ، دون التفرقة بين ما يصلح لأمتنا ، وما لا يصلح ، وهدم سائر مقومات الأمة الإسلامية فى اللغة والزى وغيرها ، والدعوة إلى القومية المصرية المنفصلة عن الدين واللغة ، والقائمة على أساس الجنس فقط دون سائر الروابط الأخرى ، غير أن صحافة الاتجاه الإسلامى قد تصدت لهذا التيار التغريبى وصحفه ودعواته ، وأخذت على عاتقها نشر الفكرة الإسلامية فى مصر ، ومعارضة مؤسسات التغريب والتوجه العلمانى الغربى فى الفكر المصرى الحديث فى تلك الفترة ، وتشكل تيار إسلامى قوى فى الصحافة المصرية، حمل لواء المقاومة فى الصحافة ، وفوق منابر الجمعيات ، وتحت قبة البرلمان .

وقد حاول أنصار التيار الإسلامى بعث المدنية الإسلامية فى مقابل المدنية الغربية ، ومحاربة زحف المؤثرات الغربية على مصر وتنقية الفكر الإسلامى ، وتقرير حقائق الدين على وجهها الصحيح ، والأخذ بالمنهج القرآنى ومواجهة نشاط البعثات التبشيرية فى مصر، والدعوة إلى معالجة العلل والأمراض الاجتماعية التى تفشت فى المجتمع المصرى، ومجابهة الإلحاد والدعايات غير الإسلامية .

واتسمت نظرة الإسلاميين بالمرونة تجاه التطور والتقدم العلمى ، والأخذ بالنظم الحديثة ، وما انتهت إليه علوم العصر ، وما رفضه أنصار التيار الإسلامى من حيث الأخذ

عن الغرب إنما هو المحاكاة والتقليد للغربيين فى شعائر دينهم ومظاهر حياتهم وعاداتهم وتقاليدهم الخاصة ، والشك فى الأديان والعبث بأفكارها ، وتقديس المادة والتحرر من قيود الدين والدعوة إلى التبرج والخلاعة والمجون ، وكل مظاهر الخروج على الدين الإسلامى ، ومقومات الأمة الخاصة بها .

وكان فى مقدمة أنصار الفكر الإسلامى فى تلك الفترة رشيد رضا ، ومحب الدين الخطيب ، وحسن البنا ، والشيخ محمد الخضر حسين ، ومحمد فريد وجدى ، والشيخ يوسف الدجوى ، والشيخ عبد الباقى سرور نعيم ، والدكتور يحيى الدرديرى ، والدكتور عبد الحميد سعيد ، وأحمد حسين ، والشيخ أحمد شاكر ، ومحمد شاكر ، ومحمد أحمد الغمراوى .

المبحث الثانى

صحافة الاتجاه الإسلامى وتغريب قوانين الشريعة الإسلامية

يتناول هذا المبحث موقف الصحافة الإسلامية من محاولات تغيير القوانين الإسلامية وإفساح المجال للقوانين الغربية لتحل محلها ، ونتابع أيضًا حجج القائلين بهذا التغيير من أنصار الفكر العلمانى وإسهامات صحافة الاتجاه الإسلامى فى الرد عليها .

ويلاحظ أن المعركة بين أنصار التغريب وأنصار الفكر الإسلامى قد شملت كل مجالات الحياة المصرية ، وكان النظام التشريعى جزءًا من هذه المعركة التى بدأت فى أواخر القرن التاسع عشر ، ولم تحسم حتى اليوم، فما زالت تدور حوله الكثير من المعارك والمناقشات الحادة ، سواء فى المجالس النيابية والشعبية وفى وسائل الإعلام بكافة أنواعها (١) .

وقد عمد أنصار التيار العلمانى فى مصر إلى مهاجمة التشريعات الإسلامية والعمل على تأكيد القانون الوضعى ، وتثبيت أقدامه ، ولا سيما بعد إعلان الحماية على مصر من قبل سلطات الاحتلال البريطانى ، وإلغاء منصب القاضى الشرعى الأكبر الذى كان يعين من قبل الدولة العثمانية عليها (٢) .

وكان دعاة الفكرة الغربى يهاجمون الشريعة الإسلامية بحجة أن القانون الغربى الوضعى والأنظمة السياسية الغربية تناسب حاجة المجتمع المصرى وأوفى بحاجات الأمة ، وذلك فى ولاء للفكر الغربى وأنظمته وقوانينه ، فضلاً عن ذلك كان للامتيازات الأجنبية دورها الواضح فى فرض القانون الغربى على أنظمة الحكم والسياسة والاجتماع وذلك لحماية المؤسسات التبشيرية ومعاهد الإرساليات والأجانب المقيمين فى مصر (٣) .

والحقيقة أن الأوربيين كانوا يسعون للقضاء على التشريعات الإسلامية فى مصر منذ عهد السير سكوت المستشار القضائى الإنجليزى الذى اقترح إلغاء المحاكم الشرعية من مصر، وإنشاء محاكم مدنية (٤). وترجع فكرة تنظيم الأحكام للعمل بها فى محاكم مدنية إلى عهد إسماعيل باشا ، وكان رئيس الوزراء نوبار باشا رجل المصالح الأوربية فى مصر يرى ضرورة نقل القوانين الفرنسية إلى اللغة العربية، والعمل بأحكامها فى المحاكم المدنية

---

(١) طارق البشرى : المسلمون والأقباط فى إطار الجماعة الوطنية ، مرجع سابق ، ص٥٠٥ .

(٢) المنار ، شعبان ١٣٣٦هـ ، مايو ١٩١٨م .

(٣) أنور الجندى : يقظة الفكر العربى ، مرجع سابق ، ص٣٢ .

(٤) المنار ، جـ٦ ، م٢٢ ، شوال ١٣٤٠هـ ، يونية ١٩٢٢م .

التى يراد تأسيسها ، وكان البعض من القائمين على الأمر يرى أن يكون القضاء الأهلى مستمدا من الفقه الإسلامى ، على غرار الدولة العثمانية التى قامت بتجربة موفقة، وذلك بإنشاء قانون مدنى مستمد من الأقوال الراجحة فى مذهب الإمام أبى حنيفة ونشأت فى مصر فكرة سن قانون أوسع وأشمل مما تم فى الدولة العثمانية ، وأن تؤخذ أحكام القانون المدنى المصرى من أوفق الآراء والأحوال فى جميع المذاهب الفقهية الإسلامية .

وقد عرض الخديوى إسماعيل هذه الفكرة على العلماء فاستنكروها ؛ لأنها قائمة فى زعمهم على أساس التلفيق بين المذاهب ، باعتبار أن الأخذ بالرخص فى مختلف المذاهب غير جائز ، وبناء على ذلك عهد نوبار باشا إلى مسيو مونورى المحامى بالأسكندرية بأن يترجم للمحاكم المدنية قوانين فرنسا المدنية والجنائية والتجارية بعد أن أنقطع الأمل من جعل قوانين المحاكم الأهلية مستمدة أحكامها من الفقه الإسلامى ، وجرى وضع القوانين الفرنسية من خلال لجنة مؤلفة من حسن فخرى وبطرس غالى ومسيو لو، ومسيو موريوندو، ووضعت هذه اللجنة القانون المدنى الأهلى باللغة الفرنسية مأخوذًا عن القانون الفرنسى ، مع قليل من التعديل ، ثم قام بطرس غالى بنقله من الفرنسية إلى العربية [١] .

ومن هنا دخلت القوانين الغربية إلى مصر وبدأ تطبيقها فى المحاكم المدنية ، دون مراعاة لظروف المجتمع وبيئته وعاداته وتقاليده ودينه وشريعته ، ولم تغرب شمس القرن التاسع عشر إلا وكانت التقنيات الوضعية قد شملت معظم العلاقات المدنية والتجارية والقوانين الجنائية ونظم الحكم ، وإجراءاتها ، وبقى للشريعة الإسلامية مجال الأحوال الشخصية ، تقضى فيها المحاكم الشرعية [٢] .

وحينما اندلعت الحرب العالمية الأولى وأعلنت إنجلترا الحماية على مصر ، وألغت منصب القاضى الشرعى الأكبر الذى كان يعين من قبل الدولة العثمانية عليها تألفت لجنة من علماء الأزهر وبعض المدرسين فى مدرسة القضاء الشرعى ومدرسة الحقوق يرأسها وزير الحقانية وذلك لوضع قانون للأحوال الشخصية المتعلقة بأحكام الزواج وما يتبعه كالطلاق والفسخ والعدة والنفقة وغيرها ، يستمد هذا القانون مواده من فقه المذاهب الأربعة المشهورة ولا تتقيد بمذهب الحنفية وحده ، بل يؤخذ من فقه المذاهب الأخرى ما تراه اللجنة أيسر وأكثر انطباقًا على مصلحة الناس فى هذا العصر .

اغتنم بعض المحامين الأهليين من دعاة الفكر الغربى هذه الفرصة واقترحوا على وزير الحقانية إبطال تعدد الزوجات وتقييد أحكام الطلاق ، على نحو ما كان قاسم أمين قد اقترحه فى كتابه : « تحرير المرأة » ، وتزعم هذه الدعوة أحمد أفندى صفوت وكيل

---

(١) الفتح ، م ٦ ، شوال ١٣٥١هـ ، يونيه ١٩٣٢م .

(٢) طارق البشرى : المسلمون والأقباط فى إطار الجماعة الوطنية ، مرجع سابق ، ص٥٠٤ ، ٥٠٥ .

نيابة الدلنجات ، فألف رسالة وطبعها ووزعها على الجمهور خرج فيها عن الموضوع إلى ما هو أعم وأخطر وهو نسف أصول الشريعة الإسلامية كلها وإبطال قواعدها وأصولها ، ووضع أصول أخرى يراها مرقية لهذه الأمة من الهمجية القديمة التى كان عليها سلف المسلمين وخلفهم - فى زعمه ووهمه - إلى قمة الترقى المدنى الجديد الذى صعدت إليه الأمة المصرية بتقليدها للأوربيين واقتباسها لقوانينهم [1] .

وقد انبرى للرد على هذه الدعوة الأئمة رشيد رضا فى سلسلة مقالات كتبها فى «المنار» بعنوان : « المتفرنجون والإصلاح الإسلامى » فند فيها أقوال أحمد أفندى صفوت وكتاباته وبين تأثره بقوانين أوربا فى قاعدة الحرية الشخصية المقررة فى قانون العقوبات ، ومن أحكامها أن الأنثى متى تجاوزت السنة الرابعة عشرة يجوز لها أن تعاشر من تشاء بلا قيود ولا شرط ولا رباط شرعى ، وليس لوالدها حق إرجاعها إليه ، كما صرح بذلك أحمد أفندى صفوت فى رسالته ، وكما أنه لا يجوز لوالد بنت الخامسة عشرة فما فوقها أن يردها عن غيها إذا اختارت أن تكون خدنا لأحد الفساق أو بغيًا تعرض نفسها للزنا فى بيوت الدعارة ، كذلك لا يجوز لقاضى الشرع ولا للسلطان أو نائبه أن يردها عن هذا الحق الذى أعطى القانون إياها ، وأما ما أباحه الله فى كتابه فلكل حاكم أن يحرمه عند مؤلف الرسالة السابقة ، كذلك عد هذا المؤلف جعل العقد رسيما مغنيًا عن الإشهاد على الزواج ، وأيضًا ألغى العدة للمطلقة إذا علم عدم الحمل بالإطلاع على ما فى الرحم بالأشعة التى تشف الجسم ، وبذلك يمكن إلغاء العدة وعدم التقيد بالمعانى الحرفية للألفاظ القرآنية الواردة فى القرآن الكريم ، وأما عن حكم تعدد الزوجات فقال : « إن الإنسان مخير فيه ولكن لكل حكومة أن تحدده بالقوانين الوضعية كما تشاء » [2] .

ومن هذا يتضح أن أحمد أفندى صفوت يريد هدم أصول الشريعة الإسلامية كلها ومخالفة أحكام القرآن الكريم الواردة فيه ، والاستعاضة عنها بقوانين يضعها حاكم كل قطر مستقل برأيه ، وإن استمد هذه القوانين من قوانين أمم أخرى تخالف المسلمين فى عقائدهم وآدابهم وعاداتهم ومصالحهم ، ويؤكد رشيد رضا فى مقال آخر أن هؤلاء المتفرنجين يدعون إلى إفساد دين المسلمين وهدم شرعهم الذى هو أعظم مقومات أمتهم الرابطة بين شعوبهم بما يلبس دعوته ثوب الإصلاح ، وبعض هؤلاء يتكلم باسم الإسلام، ويدعى إمكان الجمع بينه وبين نبذ بعض أصوله ، بزعم أنها وضعت لقوم لم يرتقوا إلى الكمال الإنسانى الذى ارتقى إليه هؤلاء المتفرنجون فى زعمهم والذى يبيح البغاء ، واتخاذ

---

(١) المنار ، شعبان ١٣٣٦هـ .

(٢) المنار ، رمضان ١٣٣٦هـ ، أكتوبر ١٩١٨م .

الأخدان لكل عذراء متى تجاوزت الرابعة عشر !! [(١)] .

ومضى رشيد رضا فى سلسلة مقالاته : « المتفرنجون والإصلاح الإسلامى » يفند آراء المتفرنجين فى رفضهم الإجماع وهو اتفاق علماء الشرع المستقلين من المسلمين لأنه إجماع المسلمين ، وما ذلك إلا لأنهم خرجوا عن دينهم ولا يحبون أن يبقى لهم به صلة ما ، بل يحاولون إفساد عقيدة كل من استطاعوا فتنته من أهل هذا الدين ، ثم إنهم يرفضون القياس الإسلامى أيضًا لأنه يستند على نصوص الكتاب والسنة التى لا يدينون بها ، ولكنهم يجيزون القياس على ما يستحسنونه من نصوص القوانين الوضعية ، كما أنهم يستحسنون العمل بما يتفق عليه علماء هذه القوانين [(٢)] .

ولما ألغيت الحماية البريطانية على مصر ، واعترفت إنجلترا لمصر بأنها دولة دستورية ذات سيادة وشكلت الحكومة المصرية لجنة لوضع قانون أساس الدولة المصرية ، وكان مما وضعته هذه اللجنة من مواد الدستور الأساسية أن دين الدولة المصرية الرسمى هو الدين الإسلامى ، وأنه يشترط فى مليكها أن يكون مسلمًا ، رأينا من يعترض على هذا النص ، وهو محمود أفندى عزمى أحد دعاة العلمانية والمهاجمين للشريعة الإسلامية فى مصر .

دعا محمود أفندى عزمى إلى توحيد التشريع فى مصر ، بحيث توحد قوانين مصر كلها ، وتكون كلها مدنية ، فيوضع قانون مدنى للأحوال الشخصية من زواج وطلاق وغير ذلك تطبق على المصريين كلهم مهما تكن دياناتهم ، ويعنى بالمدنى ما يقابل الدينى ، واتهم الشريعة الإسلامية بأنها غير عادلة ؛ لأنها تبيح للمسلم أن يتزوج يهودية أو نصرانية، ولا يبيح أن يتزوج غير المسلم امرأة مسلمة [(٣)] .

وقد ووجهت آراء محمود عزمى باعتراض شديد من جانب الصحف الإسلامية ، ومن علماء الأزهر وغيرهم من علماء الدين ، وانبرى للرد عليه كثيرون ، وكتب رشيد رضا يقول : « إن مدنية القوانين التى يسعى إليها العلمانيون هى نبذ الشريعة الإسلامية من مواد الدستور الأساسية ، والاعتراض على أن دين الدولة الرسمى هو الإسلام » ، وأضاف رشيد رضا يقول : « ساءت هذه المادة محمود عزمى وبعض الملاحدة ، وقام من يقترح من الإصلاح لمصر فى عهد الاستقلال والدستور أن توحد قوانينها ، فيجعلها كلها مدنية بوضع قانون مدنى للأحوال الشخصية من زواج وطلاق وغير ذلك » ، ومضى

(١ ، ٢) المنار ، شوال ١٣٣٦هـ ، نوفمبر ١٩١٨م .

(٣) المنار ، جـ٦ ، م ٢٣ ، شوال ١٣٤٠هـ ، يونيه ١٩٢٢م ، مقال بعنوان : « غرض المتفرنجين من إبطال الشريعة الإسلامية » لرشيد رضا .

رشيد رضا يهاجم محمود عزمى وأنصاره مشيرًا إلى أن محمود عزمى هو أحد المتفرنجين وتلميذ المستشرقين وبعض ساسة الإفرنج أعداء الدين الذين سعوا لتحويل أحكام الشريعة الإسلامية فى مصر واستبدال قوانينهم بها ، وأن هؤلاء الملحدين من المسلمين يخدمون الأجانب من حيث لا يشعرون ؛ لأنهم لا يتهمون كما يتهم الأجانب ، ولأن المسلمين يعدونهم منهم ، وقلما يدعو أجنبى دعوة صريحة فى بلاد إسلامية إلى ترك أحكام الشريعة ، بل هم يسيرون فى حل الرابطة الإسلامية فى شعوب المسلمين من عدة طرق أبرزها :

١ - تعليم المواد الخاصة بهم فى مدارس دعاة النصرانية فى بلاد الإسلام ومدارس بلادهم التى يرحل إليها طلاب المسلمين ، ومدارس الحكومة التى يسيطرون عليها .

٢ - إقناع المتفرنجين من الأفراد والحكام والكتاب بوجوب الفصل بين الدين والحكومة ، وبأن الشرع المبنى على أصول الدين لا يصلح لترقى البشر الدنيوى .

٣ - أن الشرع الإسلامى قد وضع لأمة بدوية ، فلا ينطبق على مصالح الناس فى هذا العصر .

٤ - وجوب توحيد قوانين الأمة ، وجعلها موافقة لجميع أهل الأديان فى الوطن الواحد [(١)] .

وبالإضافة إلى ما كتبه محمود عزمى فى الهجوم على الشريعة الإسلامية كتب كامل البهنساوى فى جريدة السياسة يتهم الشريعة الإسلامية بأنها لا تصلح لهذا العصر ، ويقرر أن نظرية الانتقام التى أقرتها الديانة الإسلامية ، والتى أساسها السن بالسن والعين بالعين، هى صورة واضحة من نظرية الانتقام التى كان يعامل بها المجرم فى الماضى ، والتى أصبحت لا تصلح مطلقًا لهذا الزمن [(٢)] .

وقد قوبل هذا التصريح أيضًا بموجة من الردود العنيفة فى صحافة الاتجاه الإسلامى، وخاصة من مشايخ الأزهر الذين رأوا فى هذا القول تعديًا صارخًا على كتاب الله وطعنًا صريحًا فى آيات القرآن الكريم ، والشريعة الإسلامية ، وكان الشيخ طه الساكت والشيخ حامد محمود محيسن - المدرس بمعهد الإسكندرية الدينى - من أبرز من تصدوا للرد على جريدة السياسة فى صحيفتى الفتح والمنار ، فقد أشار الشيخ حامد محيسن إلى أن الناظر فى هذا التصريح يخيل إليه أن هذا الكاتب جاهل لما يقول ، وأقل من أن يطعن فى

---

(١) المصدر السابق نفسه .

(٢) السياسة ، عدد ١٤ جمادى الأولى ١٣٤٦هـ ، ٢٩ يناير ١٩٢٨م ، مقال بعنوان : « العقوبة فى الإسلام ونظرية الانتقام » .

الديانة الإسلامية ، إذ لم يذكر فى قوله سوى الديانة الإسلامية مع أنها كغيرها من الديانات فى تقرير العقوبات ، فقد نص القرآن الكريم على أن عقوبة السن بالسن والعين بالعين كانت من تعاليم التوراة .

فضلاً عن ذلك ، أنه بدون تطبيق العقوبة التى قررها التشريع الإسلامى لا يرتدع المجرم ، أو يصلح المجتمع ، وإذا لم يشعر الجانى حين يتعدى على غيره ، بأنه نازل به من العقوبة مثل ما فعل فإن ذلك يدفعه إلى التعدى على حقوق الآخرين (١) .

ويتضح من ذلك أن الشريعة الإسلامية لم تقرر نظرية الانتقام ـ كما يقول كاتب السياسة ـ وإنما قررت حفظ الحقوق والقصاص العادل الذى يمنع النفس الأمارة بالسوء من التعدى على حقوق الآخرين وظلمهم ، وكان فى مقابل هذا الهجوم على الشريعة الإسلامية اهتمام الصحافة الإسلامية وكتابها بالدفاع عن الشريعة الإسلامية ، والتعريف بعظمتها ومكانتها بين الشرائع الأخرى ، وبيان صلاحيتها لكل زمان ومكان ؛ حيث إنها بنيت على أصول عامة وقواعد كلية لم تراع فيها أمزجة شعب من الشعوب ولا عادات أمة معينة ، ولا تقاليد طائفة ، بل جاءت بما ينطبق على الفطرة السليمة والعقل والمصلحة العامة (٢) .

وعملت الصحف الإسلامية على بيان المقارنة بين النظام الإسلامى فى الحكم وبين أنظمة الحكومات الحديثة ، فالمسيحية بالمعنى الذى دعا إليها المسيح لا يوجد فى أوربا وأمريكا من يستطيع أن يتقيد بها ، أما الإسلام فهو دين السعادتين سعادة الدنيا وسعادة الآخرة ، والإسلام يفترق عن النصرانية بهذه المزية ؛ لأن النصرانية تهتم بالآخرة فقط (٣) ، ومن هنا كان التشريع الإسلامى متصلاً بشؤون المسلمين الدنيوية والأخروية ؛ لأن الإسلام دين عقيدة وعبادة وحكم ، كما ذهبت إلى ذلك صحف الإخوان المسلمين وآراء كتابها ، وأوضح الشيخ حسن البنا أفضلية التشريع الإسلامى على كل التشريعات الأخرى ، وقارن بين رسالة المسلمين وهى نشر الإسلام بين العالمين وحراسة الدين ونشره، وبين رسالة الأوربيين التى أفسدت المبادئ السياسية ؛ إذ طلعت أوربا على الناس بقوتها وبطشها وفضتها وذهبها وفتنتها ونسائها ومخترعاتها ، ومكتشفاتها ومظاهر حياتها المادية الصاخبة المزخرفة بحواشى الترف والنعيم .... ففسدت مبادئ القوم السياسية ، فهم بين ملكية مهددة وجمهورية زائفة ، ودكتاتورية مقنعة أو استبدادية سافرة ، وفسدت

---

(١) المنار ، جـ٥ ، م ٢٩ ، ربيع الأول ١٣٤٧هـ ، سبتمبر ١٩٢٨م ، والفتح ، عدد ٧٦ ، ٢٨ جمادى الآخرة ١٣٤٦هـ .

(٢) الفتح ، عدد ٨١ ، ٣ شعبان ١٣٤٦هـ ، ٢٦ يناير ١٩٢٨م .

(٣) الفتح ، عدد ١٨ ، جمادى الآخرة ١٣٤٧هـ ، ٢٠ نوفمبر ١٩٢٨م .

قواهم الاقتصادية » [1] .

وواصل محب الدين الخطيب الدفاع عن النظام الإسلامى قائلاً : « إن الذين يقولون: إن الإسلام دين غير ديمقراطى أو الإسلام دين غير اشتراكى يلوكون بألسنتهم هذه الكلمة أو تلك، ولا يعرفون من الإسلام إلا اسمه؛ لأنهم متأثرون بالثقافة الغربية»، وبين أن الإسلام دين منفرد يأخذ بالأنظمة التى تتفق مع تعاليمه ، وتحقق السعادة للبشرية كلها [2] .

ويرد شكيب أرسلان على دعاة العلمانية الذين يتهمون الإسلام بعدائه للروح الديمقراطية والحكم النيابى ، مؤكدًا أن الإسلام هو الذى أقر الديمقراطية ، ولكن لما غلب المسلمون على أمرهم ، سلب الأوربيون محاسن الإسلام الحقيقية منه وأثبتوها لغيره . وكتب الشيخ محمد السيد الطويل فى جريدة الأخبار مقالة بعنوان : « ملاحظات وتعقيبات » توخى فيها إثبات روح الديمقراطية والحكم النيابى والنظام الشورى للشريعة الإسلامية ، والرد على من زعم أن الحكم النيابى إنما جاء من الغرب . وذهب الشيخ الطويل إلى أن الإسلام عرف الديمقراطية قبل أن تعرفها فرنسا ، ذلك أن الأمة الفرنسية كانت تنقسم فى طبقاتها الاجتماعية إلى ثلاثة أقسام : الأشراف والكهنة وسواد الأمة ، ولم تكن حقوق هذه الطبقات واحدة ، وكان الشعب آلة يستخدمها الملك والأمراء والإقطاع إلى زمن الثورة الفرنسية فى عهد لويس السادس عشر فى حين أن الإسلام كان يساوى بين الملك وعامة الناس، ويساوى أيضًا بين الناس كلهم فى الحقوق والواجبات[3].

وهكذا نجد أن التيار الإسلامى فى فترة ما بين الحربين قد حاول أن يثبت أصالة النظام الإسلامى وصلاحيته للتطبيق فى محاولة للرد على من ينادون بتطبيق النموذج الحضارى الغربى فى ديار المسلمين ، واستيراد التشريعات الغربية ، وحاول أيضًا أن يوائم بين معطيات هذه الحضارة الحديثة فى نظم الحكم والتشريع وبين تعاليم الإسلام ، وبيان أن الأنظمة التى وضعها للحكم كفيلة بتحقيق أمن المجتمع وسلامته وتقدمه ، وأن الشريعة الإسلامية متطابقة إلى حد كبير مع الديمقراطية والحكم النيابى والنظم الحديثة ، بل هى سابقة عليها ومتفوقة عنها فى جوانبها الروحية والأخلاقية ، أما سبب تخلف المسلمين وتقدم الغربيين فيرجع إلى أن المسلمين أهملوا الأخذ بالقيم والمبادئ التشريعية العظيمة التى تضمنها دينهم ، فى حين أخذ بها الغربيون ونسبوها إليهم ، وإذا ما عاد المسلمون إلى التمسك بمبادئ دينهم علا شأنهم وواكبوا الحضارة الغربية المتقدمة ؛ لما تتميز

---

(1) الإخوان المسلمون ، العددان ١٩ ، ٢٦ ، شعبان ١٣٥٢هـ ، وعدد جمادى الأولى ١٣٥٤هـ .

(2) الفتح ، ربيع الأول ١٣٦٥هـ .

(3) المنار ، جـ٣ ، م ٢٩ ، شوال ١٣٤٦هـ ، مايو ١٩٢٨م .

به هذه المبادئ من مقومات للتقدم أفضل ما تملك النظم الغربية المادية بروحها العدوانية ، ومفاسدها الكثيرة .

وفى نهاية عام ١٩٢٦م شكلت لجنة لإصلاح المحاكم الشرعية فى مصر ، التى فكر فى إنشائها وزير الحقانية ، فانبرت صحيفة السياسة وطالبت اللجنة أن تفرق بين ما هو دين وما هو شريعة ، معتبرة أن الصلاة والصوم والزكاة والحج وسار العبادات قسم قائم بذاته يسمى دينا ، وأن مسائله لا تتغير ولا تتبدل ، أما سائر أبواب الفقه من معاملات مدنية وقوانين جنائية وأخرى دولية فهى مسائل قابلة للتغيير والتعديل والتمحيص ، وأن ما وافق حال الأمم الاجتماعية يجب اتباعه وما لا يوافق يجب رفضه والنظر فى تشريع غيره، وذهبت السياسة إلى أن ما تحاكم به المحاكم الشرعية من الفقة الإسلامى هو آراء للمجتهدين قابلة للتغيير والتهذيب ، وأن قانون الأحوال الشخصية ليس له علاقة بالحلال ولا بالحرام ، وهو ليس من الدين فى شيء ، ويجب تغييره بما يوافق روح العصر الحاضر [1] .

وقد تولى الرد على صحيفة السياسة الشيخ عبد الباقى سرور ، مفندا أقوالها ومؤكدًا على أن ما شرع فى حدود كتاب الله وسنة رسوله يسمى دينا ، وأن قسم الأحوال الشخصية وسائر أبواب الفقه هى من دين الله ؛ لأن ما كان مأمورًا به فى حدود الكتاب والسنة يجب اتباعه ويحرم تركه [2] ، كذلك انتقد محبُ الدين الخطيب الكاتب التركى عمر رضا الذى كتب فى السياسة الأسبوعية ينادى بتطبيق ما فعله الكماليون فى تركيا من إبطال حكم الله فى الميراث والزواج وإلغاء التشريعات الإسلامية المأخوذة من الفقه الإسلامى ، وتطبيق قانون حكومة سويسرا النصرانية [3] .

وظلت المعركة محتدمة ومتصلة على هذا النحو بين المهاجمين للشريعة الإسلامية وبين أنصار الفكر الإسلامى وكتاب الصحافة الإسلامية الذين كان من أبرزهم فى هذا المجال محب الدين الخطيب ، وحسن البنا ، ورشيد رضا ، وشكيب أرسلان ، والدكتور يحيى الدرديرى، وفريد وجدى . وتجدر الإشارة هنا إلى أن القائمين على الأمر فى البلاد المصرية ، كانوا يدعمون ويساندون دعاة الحضارة الغربية والفكر الغربى فى هجومهم على الشريعة الإسلامية والمحاكم الشرعية وتغيير القوانين الإسلامية وتغريبها وعلمنتها ، ففى عام ١٩٣١م دعا إسماعيل صدقى رئيس الحكومة المصرية إلى توحيد القضاء فى مصر بإدماج القضاء الشرعى فى القضاء الأهلى ، وانبرى للرد على هذه الدعوة محب الدين الخطيب ، موضحًا أنه لا يمكن توحيد القضاء الشرعى بالقضاء الأهلى أو إدماجه إلا إذا

(١ ، ٢) الفتح ، عدد ٢٢ ، ٦ جمادى الأولى ١٣٤٥هـ ، ١١ نوفمبر ١٩٢٦م .

(٣) الفتح ، عدد ١١ ، ١٨ صفر ١٣٤٥هـ ، ٢٦ أغسطس ١٩٢٨م .

أراد المشرع المصرى أن يجعل التوحيد قائمًا على توحيد المصدر الذى يستمد منه التشريع وهو الفقه الإسلامى الينبوع القومى ، والمصدر التاريخى للتشريع فى مصر مدة بضعة عشر قرنًا من الزمان ، وأن مصر لم تعدل عنه إلى التشريع الأجنبى إلا بتأثير أجنبى منذ نصف قرن فقط .

وإذا كانت الأمم النصرانية فى أوربا لم تأخذ تشريعًا من الفقه المسيحى ، فما ذلك إلا لأن المسيحية ليست دين حكم ، ولم يكن للنصارى فقه يصلح للقضاء ، أما الأمم الإسلامية ، فكانت ولا تزال تستمد تشريعها من الفقه الإسلامى ؛ لأن الإسلام دين حكم ، ومن ثم كان للإسلام فقه ، لم يترك أى معنى من معانى العدل إلا وقد نص عليه ولاحظه وأعطاه حقه من البيان والتوضيح ، وأشار محب الدين الخطيب فى موضع آخر أن تيار الإلحاد والتغريب شر على الأمة الإسلامية ، وعلى الدولة المصرية من الاحتلال الأجنبى النصرانى . ودعا علماء المسلمين إلى مقاومة هذا التيار بسلاح العلم والمعرفة وبيان جمال النظم الإسلامية فى تكوين المجتمع الصالح ، وإقامة الدولة المسلمة (١) .

وكتب أحد المحامين الشرعيين فى المنار ـ لم يصرح بذكر اسمه ـ يبين اعتداء الحكومة على القضاء الشرعى ، وانتزاع المجالس الحسبية من سلطته بالتدريج ؛ لأنها من المؤسسات الشرعية الإسلامية فى هذا القطر المصرى ، وهى فى أصلها من اختصاص القاضى الشرعى وحده ، ثم سار فى مقاله هذا يهاجم وزير الحقانية الذى طرد وكلاء الإدارات الشرعية ، وجعل الإدارة تتسلط على القضاء الشرعى ، وأسند المجالس الحسبية للقضاء الأهلى على اعتبار أن الأحكام الشرعية أمور دينية ، لا يضر الدين فى شىء أن تتولاها المحاكم الأهلية بقوانينها استنادًا على ما هو مطبق فى الغرب ، وقياس الإسلام على المسيحية رغم الاختلاف الواضح بينهما كما ذكرت (٢) ، فالمسيحية لم تجئ بحكم واحد بينما الديانة الإسلامية نظام كامل للدولة الإسلامية فى كل شؤونها (٣) .

وبمناسبة الاحتفال الذى أقيم فى عام ١٩٣٣ بالعيد الخمسينى على نشأة المحاكم الأهلية ، أشار الشيخ حسن البنا فى صحيفة الإخوان المسلمين إلى أن تلك المحاكم بنظامها وتشريعها الحالى تصطدم مع تعاليم الإسلام من جهة تجاهلها للحدود الواردة فى القرآن والسنة عن السارق والزانى وإجازتها إعفاء الزناة من العقوبة وإباحتها للربا ، وطالب الشيخ البنا بالحكومة بأن تعدل هذا التشريع بما يتمشى مع نص الدستور الذى

---

(١) أنور الجندى ، الفتح ، تاريخ الصحافة الإسلامية ، مرجع سابق ، جـ٢ ، ص٦٨ .
(٢) المنار ، جـ٢ ، م ٣١ ، ذو الحجة ١٣٤٩هـ ، مايو ١٩٣١م .
(٣) المنار ، جـ٨ ، م ٣١ ، ذو الحجة ١٣٤٩هـ ، مايو ١٩٣١م .

يؤكد أن دين الدولة الرسمى هو الإسلام (١) .

وذكر أن القرآن الكريم فيه أصول العقائد وأسس المصالح الاجتماعية ، وكليات الشرائع الدنيوية ، وقد حدد غايات الحياة ومقاصدها للناس، وأن العالمية والقومية والاشتراكية والرأسمالية والحرب والسلام ، وتوزيع الثروة والصلة بين المنتج والمستهلك وما يمت بصلة قريبة أو بعيدة إلى هذه البحوث التى تشغل بال الأمم وفلاسفة الاجتماع، كل هذا قد خاض فيه الإسلام ، ووضح للعالم النظم التى تكفل له الانتفاع بما فيها من محاسن وآن أن يكون لكل أمة قانون يتحاكم إليه أبناؤها، وهذا القانون ينبغى أن يكون مستمدا من الشريعة الإسلامية ، مأخوذا من القرآن الكريم متفقا مع أصول الفقه الإسلامى (٢) .

فالإسلام لا يقف محايدا أمام أى شأن من شؤون الناس ، سواء فى المعاملات والجنايات أو العبادات ، ووسيلة العلاج لكل ما تعانيه الأمة من أمراض وعلل هو استخلاص المنهج الصحيح من كتاب الله وسنة رسوله ، فضلا عن وجود العاملين المؤمنين بهذا المنهج والقيادة الحازمة الموثوق بها فى تطبيقه على أفراد الأمة (٣) .

ونادى الشيخ حسن البنا بتطبيق أحكام القرآن الدنيوية وتشريعاته فى هذا الشأن، وأشار إلى أن استبدالها بغيرها من التشريعات الأجنبية وما وضعه الفرنسيون والرومان تعطيل لأحكام الله ، ونعى على المسلمين جهلهم بهذه الأحكام وعدولهم عن تطبيقها واكتفاءهم من القرآن الكريم بأن جعلوه تمائم لأمراضهم ، وزينة لمجتمعهم ، وسلوة في حقلهم وأحزانهم وأمراضهم (٤) .

وحذر الدكتور يحيى الدرديرى من القوانين المستوردة ، والتشريعات الأجنبية ؛ لأن ما يصلح للغرب قد لا يصلح للشرق، وما يكون حقا فى آسيا قد يكون باطلا فى أوربا(٥)، وتصدى فريد وجدى للذين يعترضون على تطبيق الحدود الإسلامية فى الزنا والقذف والسكر والسرقة والإفساد فى الأرض وغيرها ، وذكر أن العقوبات التى حددتها القوانين الوضعية لهذه الحدود لا تتناسب وخطرها ، وكان من جراء ذلك أن انتشرت

(١ ، ٢) طارق البشرى : المسلمون والأقباط فى إطار الجماعة الوطنية ، مرجع سابق ، ص ٥١٠، والإخوان المسلمون، ١٨ رمضان ١٣٥٢هـ.

(٣) الإخوان المسلمون ، ٤، ١٧ ربيع الأول ١٣٥٤هـ .

(٤) الإخوان المسلمون ، عدد ٢٦ ، السنة الثانية ، ٢٣ رجب ١٣٥٣هـ ، ١٩٣٤م، مقال بعنوان : «هل نحن قوم عمليون ؟ ».

(٥) الشبان المسلمون ، جـ١ ، م٧ ، جمادى الآخرة ١٣٥٤هـ ، أكتوبر ١٩٣٥م ، مقال بعنوان : «مآسى العلماء فى ساحة القضاء ».

الجرائم فى العالم المتمدن الذى يريدون تقليده انتشارا مزعجا ، ولا يمر يوم دون أن يزداد المجرمون عددا ، ومضى محمد فريد وجدى فى مقاله يوضح فساد النظريات والمذاهب الموجودة فى العالم ، وخلص بنتيجة مؤداها : أنه لا يصلح لإقامة العدل وتحقيق الإصلاح المنشود إلا بتطبيق شرع الله وحدوده ، ولاسيما الحدود التى جاءت منصوصا عليها فى القرآن الكريم ؛ كحد الزنا والقذف والسكر والسرقة والإفساد فى الأرض(١).

وبعد توقيع معاهدة ١٩٣٦م التى حققت لمصر إلغاء الامتيازات الأجنبية والمحاكم المختلطة ، وأعطت لها حق التشريع المالى وغيره من التشريعات (٢) ، نشطت الصحافة الإسلامية فى المطالبة بوجوب إحلال التشريعات الإسلامية محل التشريعات الوضعية ليصبح الإسلام هو النظام السياسى الاجتماعى العام ، ومصدر التشريعات فى مصر وحفلت الصحف الإسلامية بالعديد من المقالات والمحاضرات والآراء التى تنادى بوجوب الرجوع إلى الشريعة الإسلامية عند مراجعة التشريع المصرى، وكان من أبرز الآراء التى نشرتها صحيفة الإخوان المسلمين للرد على دعاة القانون الوضعى آراء ثلاثة من جهابذة القانون فى مصر، وهم الدكتور عبد الرازق السنهورى، ومصطفى حنفى بك وكيل الحقانية ـ والشيخ محمد أمين هلال ، حيث صرح الدكتور السنهورى أن الشريعة الإسلامية مصدر خصب لتشريع يوضع لبلاد شرقية عربية إسلامية ، وأن هناك من مبادئ الشريعة الإسلامية لو أدخل فى القانون المصرى لعد متقدما على الشرائع الغربية نفسها وشدد فى دعوته إلى وجوب الرجوع إلى الشريعة الإسلامية ، وأشار إلى أن الخطأ الذى وقعنا فيه فى القرن الماضى هو إبعاد الشريعة الإسلامية عن المصادر التى نرجع إليها.

وقال مصطفى حنفى بك وكيل الحقانية : « إنه من خلال جولتنا الموفقة فى كتب الفقه ، تبينا عظمة الشريعة الغراء ، فما من فكر ثاقب عرض على بساط البحث إلا وجد ما يؤيده من كتب الأئمة العلماء» ، وأشار الشيخ هلال إلى أن الرجوع إلى الشريعة الإسلامية فيه علاج شاف لكل الأمراض الاجتماعية ، واستئصال عوامل الشر من محيط المجتمع ، وغرس عناصر الخير ، وذكر ما قرره المؤتمر الأول للقوانين المنعقد فى لاهاى: «إن الشريعة الإسلامية تحمل العناصر الكافية التى تجعلها صالحة للتطور مع حاجات الزمن»(٣).

وقارن الأستاذ سيد أفندى خضير ـ من رجال القانون ـ بين النظام القضائى المطبق فى مصر آنذاك وبين الشرع الإسلامى ، وخرج بنتيجة مؤداها : أن الشرع الإسلامى بعيد كل البعد عن كل جمود ، ويتفق كل الاتفاق مع كل المدنيات الحقة في جميع الأزمان ، وفى

---

(١) الأزهر ، جـ٥ ، م٩ ، جمادى الأولى ١٣٥٧هـ، مقال بعنوان: «المقومات الشرعية فى الإسلام».
(٢) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية فى مصر ، القاهرة : دار الكاتب العربى ، ١٩٦٨م، ص٧٩٦.
(٣) الإخوان المسلمون ، عدد ٢٥ ، ٢٣ رمضان ١٣٥٦هـ ، ٢٦ نوفمبر ١٩٣٧م.

كل البلدان ، ويكفل النزاهة التامة والعدالة المطلقة ، وأثبت أن الشرع الإسلامى هو روح القوانين ، والضالة التى ينشدها علماء القانون فى العصر الحاضر ، وضرب على ذلك العديد من الأمثلة المدعمة بالبراهين والأدلة التى تؤكد سمو التشريع الإسلامى، وعلو مبادئه القانونية ، ودحض بعض الانتقادات التى وجهها بعض كتاب التغريب إلى هذا التشريع (١) ، ونوه بالمؤلف الذى وضعه الدكتور محمد صادق فهمى بالفرنسية عن «الإثبات فى القانون المدنى المقارن » حيث جعل فيه للشريعة الإسلامية المكان الذى يجب أن تتبوأه بين شرائع العالم المتمدن ، وأظهر مقدار ما يمكن لهذا العالم أن يأخذ من منهلها العذب ، وقوانينها العادلة (٢) .

وفى الحلقة الأخيرة من سلسلة هذه المقالات التى كتبها سيد أفندى خضير فى صحيفة الإخوان المسلمين ، ذكر أنه لابد لإصلاح النظام القضائى فى مصر من العودة إلى الشريعة الإسلامية (٣) ، وعلى صفحات مجلة الأزهر قال الشيخ المراغى ـ شيخ الجامع الأزهر ـ فى تصريح له مع مندوب جريدة البورص إجبسيان أنه « يجب أن تسيطر تعاليم الإسلام على الحياة الاجتماعية فى مصر ؛ لأن غالبية الشعب تدين بالإسلام، كما أن الدين الرسمى هو الإسلام ، وأن القرآن الكريم يفى بكل حاجات الفرد والجماعة، وقد احتاط لكل شىء وتوفر على كل الأحكام » (٤) .

وهكذا نرى إجماع أنصار الفكر الإسلامى فى الصحافة المصرية على أنه لابد من الرجوع إلى الشريعة الإسلامية لتكون أساس التشريع فى مصر ومصدره الأول، فقد كتب أحمد حسين فى صحيفة «مصر الفتاة » يقول : « لقد حانت الساعة التى نراجع فيها مجموعة قوانينا ونجعل أساسها الشريعة الإسلامية ؛ لأنها الأساس الوحيد الذى يتفق مع مزاجنا»، وبين أن اقتباس القوانين من مصادر أخرى عن الشريعة الإسلامية يؤدى إلى الفوضى الاجتماعية ، وأنه قد أجمع علماء الغرب قبل علماء الشرق على أن الشريعة الإسلامية بلغت فى تصورها حد الكمال ، حتى اتخذتها المجامع الدولية مصدرا للتشريع الدولى ، وهذه الشريعة التى تطورت ونمت فى بلاد المسلمين ـ ومنها مصر ـ تساير أخلاقنا وعاداتنا ، فضلا عن أنها ركن من أركان ديننا ؛ لذلك فقد تعين علينا ألا نتردد بعد اليوم فى اتخاذ الشريعة الإسلامية الأساس الأول والأخير لمجموعة قوانينا المدنى والجنائى والشخصى » (٥) .

---

(١) الإخوان المسلمون ، عدد ١٤ ، السنة الرابعة ، ٢٥ ربيع الآخر ١٤٥٥هـ ، ١٤يوليو ١٩٣٦م.
(٢) الإخوان المسلمون ، عدد ٢٣ ، السنة الرابعة ، ٢٨ جمادى الآخرة ١٣٥٥هـ ، ١٥ سبتمبر ١٩٣٦م.
(٣) الإخوان المسلمون ، عدد ٢٤ ، ٥ رجب ١٣٥٥هـ ، ٢٢ سبتمبر ١٩٣٦م.
(٤) الأزهر ، جـ١، م٩ ، محرم ١٣٥٧هـ ، مقال بعنوان : « الشريعة الإسلامية والتشريعات الحديثة».
(٥) مصر الفتاة ، أول يناير ١٩٣٩م ، وأنور الجندى : يقظة الفكر العربى ، مرجع سابق ، ص٢٢٧ ، ٢٢٨.

ويلاحظ أن جماعة الإخوان المسلمين قد أسهموا إسهاما كبيرا فى الدعوة إلى إصلاح القانون فى مصر ، حتى يتفق من التشريع الإسلامى ، وخصوصا فى الجنايات والحدود[1] ، وأعلن الإخوان على صفحات صحفهم أنهم مستمرون فى المطالبة بهذا الإصلاح حتى يتحقق أو يموتوا دونه ، ووصف الشيخ حسن البنا الدستور فى صحيفة النذير بأنه ثوب أجنبى لا يناسب عادات وتقاليد المصريين ، ولا ينسجم مع ميولهم، وطالب بإيجاد دستور ونظام ينبع من الإسلام وتعاليمه ، واستند فى ذلك إلى المادة ١٤٩ التى تنص على أن دين الدولة هو الإسلام ، وذكر أن مطبقى القانون فى مصر ليسوا جادين فى الالتزام بما نصت عليه تلك المادة ، وأنهم بذلك يعبثون ويلهون ، ويخدعون الشعب بمثل هذا النص [2] .

وحينما وعد رئيس الوزراء محمد محمود باشا نقابة المحامين بالنظر فى إعلان الشريعة الإسلامية ، هاجمته صحيفة النذير وقالت : « إن الشريعة الإسلامية تحتل المقام الأول عنده » وهاجمت أيضا الوزراء واتهمتهم بالفساد ، واتهمت دعوته بأنها كلام لا عمل[3] .

كذلك وجه الشيخ حسن البنا خطابا مفتوحا إلى رئيس الحكومة مصطفى النحاس، ونشرته صحيفتا الإخوان المسلمين والفتح ، وذلك بمناسبة تصريحاته عن الإعجاب والإشادة بحكومة كمال أتاتورك فى تركيا بلا تحفظ ، قال حسن البنا : «إن موقف الحكومة التركية الحديثة من الإسلام وأحكامه وتعاليمه وشرائعه معروف فى العالم كله لا لبس فيه ، فالحكومة التركية قلبت نظام الخلافة إلى الجمهورية ، ونبذت القانون الإسلامى، وحكمت بالقانون السويسرى مع قوله تعالى : ﴿ **وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُون** ﴾ [المائدة : ٤٤] ، وصرحت فى دستورها أنها حكومة لا دينية «علمانية» ، وأجازت بمقتضى هذه التعاليم أن تتزوج المسلمة غير المسلم ، وأن ترث المرأة مثل الرجل » [4] . وغير ذلك مما يخالف تعاليم الإسلام وشريعته الغراء .

ومن الأدوار البارزة في الدعوة إلى الاهتمام بالشريعة الإسلامية والدفاع عنها

---

(١) الإخوان المسلمون ، ٢٢ شوال ١٣٥٥هـ، ٥ يناير ١٩٣٧م.

(٢) النذير ، عدد ٦ جمادى الأولى ١٣٥٧ ، يوليو ١٩٣٨ ، مقال بعنوان : **﴿أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون﴾** لحسن البنا ، وعدد ١٩ ، جمادى الآخرة ١٣٥٧هـ ، أغسطس ١٩٣٩م.

(٣) النذير ، ١٨ ذو القعدة ١٣٥٧ هـ ، يناير ١٩٣٩م، مقال بعنوان : « الشريعة الإسلامية فى مصر الإسلامية مهداة إلى رفعة رئيس الوزراء » لحسن البنا .

(٤) الفتح ، عدد ١٤ يونيه ١٩٣٦م ، ربيع الأول ١٣٥٥هـ ، والإخوان المسلمون ، ٤ ربيع الآخر ١٣٥٥هـ، ١٣يونية ١٩٣٦م.

ومواجهة الحملات التغريبية التى تريد النيل منها، دور محب الدين الخطيب وصحيفته «الفتح» التى دعت إلى الاهتمام بالفقه الإسلامى، وإلى سن تشريع مدنى إسلامى لمصر والشرق العربى، وقدمت دعوة إلى عقد مؤتمر حكومى أو جامعى يمثل مصر والأقطار العربية والإسلامية للبحث عن إيجاد تشريع إسلامى يحل مكان التشريعات الأجنبية الدخيلة على بلاد المسلمين (١) ، فضلا عن ذلك حفلت «الفتح» بالعديد من المقالات والمحاضرات عن صلاحية الشريعة الإسلامية لسن القوانين المدنية والجنائية وغيرها ، ونوهت بالعديد من الكتب القيمة المؤلفة فى التشريع الإسلامى ، منها على سبيل المثال: كتاب أحمد بك إبراهيم : « أحكام الوقف والمواريث » وكتاب الدكتور شفيق شحاته: «النظرية العامة للالتزامات فى الشريعة الإسلامية » وكتاب حسن أحمد الخطيب بعنوان: «التشريع الإسلامى مصادره وقواعده العامة » وغير ذلك .

ومن خلال هذه المعطيات والمواقف التى قدمتها الصحافة الإسلامية للتصدى لتغريب ومحو التشريع الإسلامى فى مصر، نستطيع القول : إن القوانين الغربية دخلت إلى مصر، وبدأ تطبيقها فى المحاكم المصرية فى عهد الخديوى إسماعيل ورئيس حكومته نوبار باشا، الذى شجع على نقل القوانين الفرنسية المدنية والجنائية والتجارية إلى المحاكم المصرية، ولم يبق للشريعة الإسلامية بعد ذلك سوى مجال الأحوال الشخصية تقضى فيها المحاكم الشرعية ، ورغم ذلك عمد أنصار الفكر الغربى فى مصر إلى مهاجمة التشريعات الإسلامية، والعمل على تأكيد القوانين الغربية الوضعية وخاصة بعد إعلان الحماية البريطانية على مصر فى بداية الحرب العالمية الأولى ، وإلغاء منصب القاضى الشرعى الأكبر الذى كان يعين من قبل الدولة العثمانية على مصر .

وكان من أبرز المهاجمين للشريعة الإسلامية أحمد أفندي صفوت وكيل نيابة الدلنجات ومحمود أفندى عزمى ، فقد نادى الأول بإبطال أحكام الإسلام فى مسائل الزواج وما يتبعه كالطلاق والفسخ والعدة والنفقة وغيرها ، وتطبيق القوانين الغربية المدنية فى هذه المسائل ، ونادى بتوحيد التشريع، وتكون القوانين كلها مدنية ، تطبق على المصريين كلهم على اختلاف دياناتهم.

وقد ووجهت هذه الآراء باعتراض شديد من جانب الصحف الإسلامية ومن علماء الأزهر وغيرهم الذين كشفوا عن زيف هذه الآراء ، وأن الغرض منها هو نبذ الشريعة الإسلامية من مواد الدستور الأساسية ، والاعتراض على أن دين الدولة الرسمى هو الإسلام، واتهام الشريعة الإسلامية بأنها لا تصلح للتطبيق فى العصر الحاضر ، وكان فى مقابل هذا الهجوم أن اهتمت الصحافة الإسلامية بالدفاع عن الشريعة الإسلامية، وبيان

(١) الفتح ، عدد ١٣ ديسمبر ١٩٣٦م.

صلاحيتها لكل زمان ومكان ، وتفوقها على أنظمة الحكومات الحديثة ، وإبراز المميزات التى انفرد بها الإسلام عن الشرائع الأخرى الوضعية .

وأكدت الصحف الإسلامية على أن التيار التغريبى المهاجم للشريعة الإسلامية يتلقى دعما ومساندة من القائمين على الأمر فى البلاد المصرية ، أى من رؤساء الحكومة وبعض الأحزاب السياسية ، وطالب الكتاب المسلمون الحكومة بأن تعدل عن أى تشريع لا يتمشى مع الدستور الذى ينص على أن دين الدولة هو الإسلام ، وطالبوا بوجوب الرجوع إلى الشريعة الإسلامية حتى تكون أساس التشريع فى مصر ، وحذروا من القوانين المستوردة والتشريعات الأجنبية التى لا تتفق مع شريعتنا ، ولا تتلاءم مع عاداتنا وتقاليدنا، ومن أبرز هؤلاء الكتاب: رشيد رضا ، وشكيب أرسلان ، ومحب الدين الخطيب ، والدكتور يحيى الدرديرى، ومحمد فريد وجدى ، والشيخ حسن البنا ، والدكتور عبد الرازق السنهورى، ومصطفى حنفى ، والشيخ أمين هلال ، وسيد أفندى خضير.

المبحث الثالث

صحافة الاتجاه الإسلامى والعلمانية

يعالج هذا المبحث موقف الصحافة الإسلامية من الممارسات والأفكار اللادينية والرد على الجرائد والمجلات والمؤلفات التى تنحو منحى علمانيا فى فترة ما بين الحربين العالميتين.

والعلمانية ترجمة للكلمة الإنجليزية «Secularity» وتعنى اللادينية (١) . وفى تعريف مجمع اللغة العربية : « أن مصطلح العلمانية نسبة إلى العَلْم بفتح العين وسكون اللام بمعنى العالَم بفتح اللام ، وهو خلاف الدينى أو الكهنوتى، والعلمانى هو الذى يتبناها فردا أو جماعة (٢) .

ومصطلح العلمانية لا يوجد فى تراث مصر الثقافى بل ولا التراث العربى بعامة حتى أواخر القرن التاسع عشر ، والعلمانيون يحكمون العقل فى كل شىء دون التقيد بالنصوص الدينية ، ومن هنا كانوا على خلاف دائم مع علماء الدين.

وكلمة العلمانية أوربية النشأة واللفظ ، وفى التراث الأوربى هناك نوعان لفهم كلمة علمانية :

الأول : نوع فكرى عقدى يفرض فكرة اللادين علي المجتمع ، ومن ثم يتخذ موقفا عدائيا من الدين ، ويعتبر العلمانية دعوة اجتماعية فلسفية ذات مضمون قابل لأن يحل محل المضمون الدينى ، ويرى حصر الدين فى المساجد والكنائس.

أما النوع الثانى : فهو العلمانية بالمعنى المحايد أو القانونى الشكلى الذى يفصل بين الدين والحكومة لا بين الدين والمجتمع ولا بين الدين والفرد ، وهذا النوع أخف حدة، حيث إنه يترك للدين الحرية الكاملة فى مجالاته الروحية والأخلاقية والاجتماعية ، ولكن يصدر قوانين وأنظمة من شأنها أن تحقق المساواة بين المواطنين بغض النظر عن دياناتهم(٣).

أما ماذا يعنى مفهوم العلمانية فى أدبيات الفكر المصرى الحديث، ومن وجهة نظر مفكرى الإسلام ، فيقول الدكتور محمد البهى ، في مفهوم العلمانية : « إنه الفصل بين

---

(١) على جريشة ومحمد زيبق : أساليب الغزو الفكرى ، ط ٣ ، القاهرة : دار الاعتصام ، ١٩٧٩، ص٥٩.

(٢) مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ، جـ٢، القاهرة : ١٩٨٠م ، ص ٦٢٤.

(٣) أحمد زكريا الشلق : العلمانية والفكر المصرى الحديث ، المجلة التاريخية المصرية ، عدد ٣١١٣٠، ١٩٨٣، ١٩٨٤م، ص٢٣٣ ، ٢٣٤.

سلطتين غير متجانستين بين دين أو كنيسة ، أو سلطة زمنية أو دولة ، والعلمانية فصل فى كتاب الحياة الأوربية عنيت به الخصومة بين الكنيسة والسلطة الزمنية فى المجتمعات الأوربية فى محاولة لاستقلال كل منهما» (١) .

ويرى الدكتور محمد محمد حسين : « أن العلمانية دعوة مناهضة للدين نشأت وانتشرت فى أوربا ، وسرت عدواها إلى العرب والمسلمين والشرق بوجه عام فى القرن الماضى، وهى تدعو إلى الاعتماد على الواقع الذى تدركه الحواس ونبذ كل مالا تؤيده التجربة » (٢) .

أما المفكر الإسلامى أبو الأعلى المودودى فيشير إلى أن معنى العلمانية هو عزل الدين عن الحياة الاجتماعية للأفراد ، بمعنى أن العلمانية ترى العقيدة الدينية والهدى السماوى وما يتبع ذلك من اتباع الدين وطاعة الله والوقوف عند حدود شرعه لا يجب الالتزام به فى الحياة الشخصية للأفراد ، أما ما عدا ذلك من شؤون الحياة ، فإنه يجب أن يعالج على أساس المادية البحتة وفق رغبات البشر وأهوائهم (٣) .

ونخرج من هذه التعريفات بملاحظتين أساسيتين : الأولى: أن العلمانية تعنى إبعاد الدين عن تصريف أمور الحياة ، والثانية : أن العلمانية أوربية النشأة واللفظ ، وأنه قد سرت عدواها إلى المسلمين فى القرن الماضى.

ويلاحظ أيضا أن العلمانية قد نشأت في أوربا نتيجة لظروف دينية خاصة لم يكن لها مثيل لدى المسلمين ، حيث تسلطت الكنيسة علي جميع شؤون الحياة ، ووقفت حجر عثرة فى سبيل أى تقدم فكرى أو اختراع علمى ، ولم يقتصر فى الحجر على العقول، بل تجاوز ذلك الحجر على القلوب حين فرضت صكوك الغفران ، وقرارات الحرمان، وراحت تتاجر بها وتتخذها وسيلة للكسب الحرام ، فضلا عن محاكم التفتيش التى قتلت الألوف من العلماء ، غير من زج بهم فى غيابة السجون (٤) .

وقد أفرزت هذه الظروف السيئة فكرة فصل الدين عن الحكومة ، وساعد على ذلك أيضا ظروف الديانة المسيحية ذاتها ، وذلك بعد ما دخل عليها من تحريف كان اليهود وراءه(٥) ، إضافة إلى أن هذه الديانة لم يكن لها من القوة فى ذاتها ما تدافع به ؛ ولذا

---

(١) محمد البهى : العلمانية وتطبيقها فى الإسلام ، القاهرة : مكتبة وهبة ، ١٩٨٠م، ص٣ .

(٢) محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، مرجع سابق ، ص ٢٧٨ .

(٣) مصطفى الدميرى : العلمانية وأثرها فى وسائل الإعلام، رسالة ماجستير ، كلية أصول الدين بالقاهرة ، ١٩٨٢م، ص١٠٢، وأبو الأعلى المودودى: الإسلام والمدنية الحديثة، ص٢ ، القاهرة : دار الأنصار، ١٩٧٨م، ص١٠.

(٤ ، ٥) على جريشة ومحمد زيبق : أساليب الغزو الفكرى ، مرجع سابق ، ص ٦٠ .

اشتعلت العداوة والبغضاء بين رجال الدين وزعماء الإصلاح فى أوربا، وكان ذلك سببا فى اشتعال الحرب على الدين ذاته (١) .

ولكن السؤال الذى يطرح نفسه هنا هو : كيف دخلت العلمانية إلى الفكر المصرى والإسلامى إذا لم تكن لها جذور فى التراث المصرى والعربى والإسلامى؟

لقد لوحظ أن الأفكار العلمانية بدأت تدخل المجتمع المصرى على استحياء فى النصف الأول من القرن التاسع عشر مع بدء محاولات محمد على تحديث المجتمع المصرى على أساس أوربى ، ولم يتم قبل ذلك رغم ظهور هذه الأفكار فى أوربا قبل ذلك التاريخ لارتباط ذلك بخصوصية المجتمع المصرى المسلم الذى كان يدين بالولاء الدينى السياسى للخليفة العثمانى المسلم ، فضلا عن ذلك ـ وهو الأهم ـ أنه لا يوجد فى الإسلام سلطة دينية وسياسية يمكن الفصل بينهما (٢) ، ولم يكن هناك أيضا اضطهاد من علماء الدين الإسلامى للعلم أو العلماء فى عصر من العصور كما حدث فى أوربا، بل على العكس شجع الإسلام العلم ، وجعل طلبه فريضة على كل مسلم (٣) .

ونستطيع أن نميز القنوات التى دخلت خلالها الأفكار العلمانية إلى مصر على النحو التالى :

١ ـ الاحتكاك بأوربا من خلال عملية تحديث المجتمع المصرى فى عصر محمد على والخديوى إسماعيل .

٢ ـ البعثات العلمية التى ذهبت إلى أوربا .

٣ ـ حركة الترجمة الواسعة التى صاحبت تلك البعثات .

٤ ـ استقدام الخبراء والمعلمين الأوربيين إلى مصر .

٥ ـ انتشار المدارس الأجنبية فى مصر .

٦ ـ النشاط الاستشراقى والتبشيرى تحت رعاية الاحتلال البريطانى على مصر (٤).

٧ ـ الصحف التى أصدرها النصارى الشوام فى مصر .

---

(١) الهداية الإسلامية ، جـ١ ، م١ ، جمادى الآخرة ١٣٤٧هـ ، ١٩٢٩م، مقال بعنوان : « الدين والدنيا والصلة بينهما » للشيخ محمد عبد المطلب المدرس بكلية دار العلوم .

(٢) أحمد زكريا الشلق : العلمانية والفكر المصرى الحديث ، مرجع سابق ، ص ٢٣٥ ، ٢٣٦ .

(٣) على جريشة ومحمد الزيبق : أساليب الغزو الفكري ، مرجع سابق ، ص ٦١ .

(٤) المرجع السابق ، ص٦٥ ـ ٧٠ ، ود. أحمد زكريا الشلق : العلمانية والفكر المصرى الحديث ، مرجع سابق، ص٢٣٦ ، ومحمد يحيى : فى الرد على العلمانيين ، القاهرة : مطبوعات الزهراء للإعلام العربى ، ١٩٨٥م ، ص١٣، ١٤ .

هذا وقد ظلت الأفكار العلمانية تتسلل إلى الفكر المصرى رويدا رويدا ، حتى كانت مرحلة ما بين الحربين العالميتين ، تلك الفترة الخطيرة التى أصبح للعلمانية أنصار يدعون إليها من المصريين أنفسهم ، وصحف تروج لها صراحة ، وتأخذ على عاتقها نشر الأفكار العلمانية وتطالب بتطبيقها فى مصر ، وقد ساعد على ذلك انقلاب مصطفى كمال أتاتورك فى تركيا على الخلافة ، ثم إعلانه الجمهورية وتعديله الدستور وإعلانه علمنة الدولة التركية وسنه القوانين المنافية للإسلام ، وكانت هذه أضخم تجربة علمانية يمكن أن تقلد أو تحاكى فى مصر والشرق بوجه عام .

وقد طفقت الدعوة إلى العلمانية ومحاربة الدين فى مصر تنتشر من خلال الخطب والمحاضرات والكتب والمجلات والجرائد التى تدعو إلى ذلك علانية ، ودون مواربة وقد أنشئ ما يسمى بالمجمع الفكرى العلمى لتلقى فيه خطب ومحاضرات تهاجم الأديان صراحة ، وكان خطباؤه خليطًا من المسلمين واليهود والنصارى ، ومن أبرز الكتب التى ظهرت فى تلك الفترة ، وانتهجت نهجا علمانيا خالصا ، ودعت إلى وجوب فصل الدين عن الدولة « كتاب الإسلام وأصول الحكم » (١) الذى ظهر فى عام ١٩٢٥م ، لمؤلفه الشيخ على عبد الرازق ، الذى حاول أن يثبت فيه أن الإسلام رسالة لا حكم ، ودين لا دولة (٢) .

ومن هذه الكتب : « كتاب اليوم والغد » لسلامة موسى الذى ذكر فيه أن مصر جزء من أوربا ، وليست جزءًا من آسيا ، ودعا فيه إلى الخروج من الدين الذى جاء من آسيا ، ويقصد الدين الإسلامى وهاجم الدين فى أكثر من موضع فى هذا الكتاب ، أيضًا كتاب: « مستقبل الثقافة فى مصر » للدكتور طه حسين ، الذى دعا فيه إلى اقتباس الحياة الأوربية بخيرها وشرها (٣) .

وكان كتاب « فى الشعر الجاهلى » للدكتور طه حسين من أخطر هذه الكتب التى دعت إلى هدم التدين جملة وتفصيلاً وبخاصة الدين الإسلامى ، فقد أثار الدكتور طه حسين فى هذا الكتاب الشك حول تاريخ العرب قبل الإسلام ، ولم يقف عند هذا الحد بل تطرق لحقائق وردت فى القرآن الكريم ، حيث اعتبر صلة إبراهيم الخليل بالعرب ورفعه وابنه إسماعيل لقواعد الكعبة أسطورة ، وليست حقيقة ، وكان طه حسين فى مؤلفه هذا متأثرا بأفكار المستشرقين إلى حد كبير ، وقد أسهم بهذا الكتاب فى تجسيد مفهوم الثورة على الدين من أجل العلم ، أو بمعنى آخر تنافر العلم مع الدين (٤) .

---

(١) لنا وقفة مع هذا الكتاب فى الفصل القادم .

(٢) محمد فتحى شعير : وسائل الإعلام المطبوعة فى دعوة الإخوان المسلمين ، ص٦٣ ، ٦٤ .

(٣) المرجع السابق، ص٦٤ ، ومحمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر جـ٢ ، ص٢١٢ ـ ٢١٨ ، ٢٨١ .

(٤) زكريا سليمان بيومى : الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية ، مرجع سابق ، ص٤٨ .

وقد حاول طه حسين أن يطبق فى كتابه مناهج النقد الأدبى الأوربى على دراسة الأدب العربى ، وأقام بحثه فى هذا الكتاب على نظرية ديكارت ، أى بنى بحثه على الشك فى معظم الشعر الجاهلى ، أو فى نسبته إلى العصر الجاهلى ، وخلص إلى نتيجة مؤداها أن الكثرة المطلقة مما نسميه الأدب الجاهلى ليس من الجاهلية فى شىء ، وإنما هو أدب قد انتحل على العصر الجاهلى بعد ظهور الإسلام ، وبناء على ذلك فهو أدب إسلامى يمثل حياة المسلمين وميولهم وأهواءهم أكثر مما يمثل حياة الجاهليين وميولهم وأهواءهم [1] .

كان هذا البحث وما ورد فيه من آراء سببًا فى اصطدام الدكتور طه حسين بالدين وعلمائه ، وأثار هذا البحث عاصفة من الغضب ، شغلت الصحافة المصرية من جهة والرأى العام من جهة أخرى ، وقامت الصحف الإسلامية بالتعقيب على هذا الكتاب ونقده وتفنيده ، وكان فى مقدمة تلك الصحف صحيفة المنار التى نشرت نقدًا لكتاب الشعر الجاهلى ، ذهب فيه رشيد رضا إلى أن طه حسين بنى بحثه على منهج للبحث فى الآداب وغيرها غريب ، وهو أن يبنى على الشك فى كل ما روى عن المتقدمين أو تكذيبه وإن أجمعوا عليه ، وعلى التحرر من الدين والجنسية والوطنية ، ، وجميع الروابط القومية الملية ، وهو بناء على هذه القاعدة يطعن فيما ثبت بنص القرآن الكريم كبناء إبراهيم وولده إسماعيل لبيت الله الحرام بمكة المكرمة ، وشكك طه حسين أيضًا فى آيات أخرى وفى أحاديث وروايات كثيرة من صدقه فيها نبذ الدين وراءه ظهريا وأكد رشيد رضا على أن طه حسين تأثر فى كتابه بملاحدة الإفرنج ودعاة النصرانية الذين دأبوا على الطعن فى الإسلام ، وتشكيك المسلمين فى دينهم [2] .

فضلاً عن ذلك ، أثار هذا الكتاب ضجة فى مجلس النواب المصرى بل وفى الرأى العام العالمى ، وكتبت صحيفة الديلى تلغراف مؤيدة آراء طه حسين فى هجومه على الدين، الأمر الذى جعل رشيد رضا يهاجم هذه الصحيفة ويتهمها بالطعن فى الإسلام [3] ، ودخل الأزهر إلى حلبة الهجوم على كتاب طه حسين ، وكلف شيخ الأزهر ورئيس المعاهد الدينية لجنة من علماء الأهر للنظر فى كتاب طه حسين ووضع تقرير عنه ، وجاء فى هذا التقرير :« إن مؤلف الكتاب أنكر الشعر الجاهلى ، وزعم أنه منتحل بعد الإسلام، وأنه بنى بحثه على التجرد من كل شىء ، حتى من دينه وقوميته عملا بمذهب ديكارت الفرنسى ، والكتاب مملوء بروح الزندقة والإلحاد ، وفيه مغامز عديدة ضد الدين مثبوتة فيه ، لا يجوز أن تلقى إلى تلامذة لم يكن عندهم من المعلومات الدينية ما يتقون

---

(١) عبد اللطيف حمزة : أدب المقالة الصحفية ، مرجع سابق ، جـ٨ ، ص٢٤٩ .

(٢) المنار ، جـ٨ ، م ٢٧ ، ربيع الآخر ١٣٤٥هـ ، نوفمبر ١٩٢٦م .

(٣) المنار ، جـ٩ ، م ٢٧ ، ربيع الآخر ١٣٤٥هـ ، ديسمبر ١٩٢٦م .

به هذا التضليل المفسد لعقائدهم ، والموجب للخلاف والشقاق فى الأمة وإثارة فتنة دينية ضد دين الدولة ودين الأمة ... تحت ستار حرية الرأى ، والكتاب وضع فى ظاهره لإنكار الشعر الجاهلى ، ولكن المتأمل قليلاً يجده دعامة من دعائم الكفر ومعولا لهدم الأديان ، وكأنه ما وضع إلا ليأتى عليها من أصولها ، وبخاصة الدين الإسلامى ، فإنه تذرع بهذا البحث إلى إنكار أصل كبير من أصول اللغة العربية من الشعر والنثر ، قبل الإسلام مما يرجع إليه فى فهم القرآن والحديث » ، هذا ما يرمى إليه الكتاب فى جملته وهذه بعض الشواهد التى تؤكد أن ما جاء فى الكتاب بعضه كفر صريح ، وبعضه يرمى إلى الإلحاد والشك فيما جاء فى القرآن الكريم . قال طه حسين فى صفحة ٢٦ من كتابه: « للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل ، وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضًا ، ولكن ورود هذين الاسمين فى التوراة والقرآن لا يكفى لإثبات وجودهما التاريخى ، فضلاً عن إثبات هذه القصة التى تحدثنا عن هجرة إسماعيل بن إبراهيم إلى مكة » .

وقد أنكر المؤلف بهذا هجرة سيدنا إبراهيم مع ولده إسماعيل ـ عليهما السلام ـ وقال: إن ورود هذين الإسمين فى التورة والقرآن لا يكفى لإثبات وجودهما التاريخى ، وهو تكذيب صريح لقول الله ـ تعالى ـ فى سورة إبراهيم ـ حكاية عنه ـ ﷺ : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ (٣٥) رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣٦) رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ﴾ [إبراهيم : ٣٥ ـ ٣٧] ، وقال فى الصفحة نفسها : « ونحن مضطرون إلى أن نرى فى هذه القصة ـ يريد قصة الهجرة ـ نوعًا من الحيلة لإثبات الصلة بين اليهود والعرب من جهة وبين الإسلام واليهودية والقرآن من جهة أخرى » وهو فى النص يصرح بأن القرآن اختلق هذه الصلة بين إسماعيل والعرب ، وطعن على القرآن الكريم فى إثبات أبوة إبراهيم ﷺ للعرب فى قوله ـ تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ﴾ [الحج : ٧٨] .

وقال طه حسين فى صفحة ٢٧ : « وقد كانت قريش مستعدة كل الاستعداد لقبول مثل هذه الأسطورة ، هجرة إسماعيل إلى مكة فى القرن السابع للمسيح » إلى أن قال فى صفحة ٢٨ : « إذًا فليس ما يمنع قريش من أن تقبل الأسطورة التى تفيد أن الكعبة من تأسيس إسماعيل وإبراهيم كما قبلت روما قبل ذلك ولأسباب مشابهة أسطورة أخرى وضعتها لها اليونان تثبت أن روما متصلة بامنياس بن بريام صاحب طرواده ، أمر هذه القصة إذًا واضح فهى حديثة العهد قبل الإسلام لسبب دينى ، وقبلتها مكة لسبب دينى وسياسى أيضًا ، وإذًا يستطيع التاريخ الأدبى واللغوى ألا يحفل بها عندما يريد أن يتعرف

أصل اللغة العربية الفصحى» ، وهو تكذيب صريح لقول الله ـ تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [البقرة : ١٢٧] وغير ذلك من الآيات التى وردت فى هذا الموضوع .

وهو فوق تكذيبه للقرآن يقول : « إن فيه تدليسًا واحتيالاً لأسباب دينية وسياسية من أجلها اختلق هذه الأخبار » ، وبهذا وأمثاله يقرر الدكتور طه حسين أن القرآن لا يوثق به ولا بأخباره ولا بما فيه من التاريخ .

فضلاً عن ذلك صرح صاحب « الشعر الجاهلى » فى صفحة ٣٣ من كتابه أن القراءات لم تكن كلها منقولة عن النبى ﷺ ، بل هى من اختلاف لهجات العرب ، فالقراءات السبع المتواترة عند طه حسين ليست واردة عن النبى ﷺ ، فى حين أنه معلوم فى أصل الدين أن القراءات السبع متواترة وأن طريقها الوحى ومنكرها كافر ، كذلك توجد صفحات أخرى عديدة فيها هجوم سافر على القرآن الكريم ، وتكذيب لبعض الحقائق الواردة فيه [١] .

وقد فند محب الدين الخطيب ما قاله طه حسين فى كتابه : « الشعر الجاهلى » من أن حادثة إبراهيم وإسماعيل أسطورة ولو تحدثت عنها التوراة أو جاء بذكرها القرآن . وعما جاء فى كتابه أيضًا أن اليهود الذين استوطنوا بلاد العرب اخترعوا هذه الأسطورة لإثبات الصلة بين اليهود والعرب وبين الإسلام واليهودية والقرآن والتوراة، قال الخطيب: « ونحن إذا رجعنا إلى التوراة وجدناها تتحدث عن إبراهيم وإسماعيل وبنى إسماعيل فى الإصحاح الخامس والعشرين من سفر التكوين ، وفى الإصحاح الأول من أخبار اليوم الأول ، وهذان الموضوعان من التوراة ولا سيما أولهما من أقدم أسفارها لأنه معاصر لموسى عليه السلام » ثم يتساءل قائلاً : « فهل يخبرنا طه حسين كيف تسنى لهؤلاء الدساسين من اليهود ، والذين استوطنوا بلاد العرب أن يدسوا هذه الأسطوره قبيل الإسلام أو بعيد الإسلام فى أسفار منسوبة إلى زمان أقدم من الإسلام بأزمان كثيرة ؟ كيف دسوا هذه الدسيسة فى التوراة وهم فى يثرب أو خيبر أو غيرهما من بلاد العرب ، ولم يشعر بهم سائر يهود الدنيا » [٢] ، ثم إن الاكتشافات الأثرية أكدت كذب طه حسين إذا اكتشف البحاثة الأثرى أرنست سلين الألمانى بالقرب من مدينة نابلس المذبح الذى بناه إبراهيم عليه السلام والمدينة التى أنشأها ذووه بعد انفصال إبراهيم عن لوط عليه السلام [٣] .

(١) طه حسين : فى الشعر الجاهلى ، نقلا عن : المنار ، جـ٢ ، م ٢٧ ، مايو ١٩٢٦م ، شوال ١٣٤٤هـ .
(٢) الفتح ، عدد ٢٣ ، ١٣ جمادى الأولى ١٣٤٥هـ ، ١٨ نوفمبر ١٩٢٦م.
(٣) صحيفة ديلى إكسبريس ، عدد ٢٤ سبتمبر ١٩٢٦، نقلا عن « الفتح » ، عدد ٢٣ ، ١٣ جمادى الأولى ١٣٤٥هـ، ١٨نوفمبر ١٩٢٦م.

وواصل محب الدين الخطيب انتقاداته لطه حسين مشيرًا إلى أن طه حسين يتولى منصب الإفتاء فى علوم لا يعرفها قط ، فهو مع عدم معرفته علوم الطبيعة والكيمياء والفلك وطبقات الأرض والنبات والحيوان وغيرها ، فإنه يكتب المقالات الضافية فى أنها تناقض الدين وتنافيه (١) .

هذا وقد حفلت الصحف الإسلامية بمقالات عديدة تفند أقوال طه حسين الواردة فى كتابه : « الشعر الجاهلى » ومنهجه فى البحث ، وتكشف عن زيف ما ادعاه من حقائق، وتبرهن على عدم مصداقيتها بالأدلة والبراهين والشواهد العلمية والتاريخية المؤكدة، وتتهم طه حسين بالكفر والإلحاد والسرقة، وتوضح أن طه حسين يحاول أن يطعن الإسلام فى صميم حقائقه وفى قلب نواميسه وقواعده ، وأن هذه خطته فى كل مصنفاته من «ذكرى أبى العلاء » إلى كتابه : « فى الشعر الجاهلى » (٢) ، وفى مقالاته التى نشرها فى جريدة السياسة تحت عنوان : « حديث الأربعاء » ، وأشارت «المنار» إلى أن هذه الخطة التى يتبعها طه حسين ابتدعها اليهود فى أوربا لإفساد دين النصرانية على أهله ، وأنه ليس ببعيد أن يكون طه حسين له صلة بهذه الجمعيات اليهودية (٣) ، وكتب مصطفى صادق الرافعى فى جريدة عكاظ السعودية يتهم طه حسين بالفسق والفجور والنقل عن الكتب الأوربية والسرقة منها ، ولا سيما نقل آراء ملاحدة أوربا ليفسد بها مسائل التاريخ الإسلامى (٤) . وذهب الشيخ محمد عرفة ـ المدرس بمعهد الإسكندرية الدينى ـ إلى أن دعوى طه حسين فى كتابه السالف الذكر أنه قائم على منهج علمى حديث (٥) ، هى دعوى ساقطة ومزورة، وأنه بذلك يحشر نفسه فى زمرة العلماء ، وحذر من اتباع هذه الطريقة فى مناهج البحث .

أما الشيخ الغاياتى فقد طلب بفصل طه حسين من الجامعة المصرية ، وحذر من تدريس كتابه : « الشعر الجاهلى » على الطلبة ، واتهمها بالتواطؤ مع طه حسين ، وأنها قد دفعت ثمن الكتاب من ميزانيتها الخاصة (٦) .

وبعد هذه الجهود والانتقادات التى قدمتها صحافة الاتجاه الإسلامى فى التشهير

---

(١) المصدر السابق نفسه .

(٢) وإن كان كتاب طه حسين «مرآة الإسلام » لا ينطبق عليه هذا الكلام .

(٣) المنار ، جـ٩ ، م ٢٧ ، جمادى الأولى ١٣٤٥هـ ، ديسمبر ١٩٢٦م .

(٤) المنار ، جـ٣ ، م ٢٧ ، ذو القعدة ١٣٤٤هـ ، يونيه ١٩٢٦م .

(٥) المنهج من حيث هو منهج صحيح ، ولكن أيصلح هذا المنهج لدراسة تاريخ الأدب الذى هو موضوع « فى الشعر الجاهلى » ؟ إن طه حسين فى كتابه : « من بعيد » يرفض ذلك .

(٦) الفتح ، ١٢ محرم ١٣٤٥هـ ، ٢٢ يوليو ١٩٢٦م .

بكتاب : « الشعر الجاهلى » أُحيل الكتاب إلى النيابة العامة بناء على بلاغ قدمه الشيخ خليل حسن بالقسم العالى بالأزهر ، وفضيلة شيخ الأزهر وعبد الحميد أفندى البنان عضو مجلس النواب ، وكانت التهمة التى وجهها المبلغون إلى طه حسين : أنه طعن فى الدين الإسلامى فى مواطن أربعة :

١ ـ أن المؤلف أهان الدين الإسلامى بتكذيب القرآن فى أخباره عن سيدنا إبراهيم وإسماعيل .

٢ ـ ما تعرض له المؤلف فى شأن القراءات السبع المجمع عليها .

٣ ـ أنه طعن فى كتابه على النبى ﷺ طعنا فاحشًا من حيث نسبه .

٤ ـ أنكر المؤلف أن للإسلام أولية فى بلاد العرب ، وأنه دين إبراهيم (١) .

وقد استجوبت النيابة الدكتور طه حسين فيما نسب إليه من التهم ، ولكن طه حسين رد عليها بقوله : إنه كمسلم لا يرتاب فى وجود إبراهيم وإسماعيل وما يتصل بهما مما جاء فى القرآن الكريم ، لكنه كعالم مضطر إلى أن يذعن لمناهج البحث العلمى ، فلا يسلم بالوجود التاريخى لإبراهيم وإسماعيل إلا إذا ثبت له وجودهما بالدليل الذى قبله العلم ، وبناء على ذلك حفظت القضية حيث صرح رئيس النيابة : « إن غرض الدكتور طه حسين لم يكن مجرد الطعن والتعدى على الدين ، بل إن العبارات الماسة بالدين التى أوردها فى بعض المواضع من كتابه إنما أوردها فى سبيل البحث العلمى ، مع اعتقاده أن بحثه يقتضيها ، حيث إنه من ذلك يكون القصد الجنائى غير متوفر فلذلك تحفظ الأوراق إداريا» (٢) .

واعترض رشيد رضا على قرار النيابة وذكر أن هذا « يجرئ كل كافر على الطعن فى الإسلام » ، وتعجب من قرار رئيس النيابة بحفظ أوراق القضية إداريا فى حين أنه قد أثبت أن الدكتور طه حسين طعن فى الدين الإسلامى ، وكذب القرآن بما سبق إليه دعاة النصرانية ، وأثبت أن مطاعنه التى شكا منها المسلمون ، وطلب بعض رجال الدين والبرلمان محاكمته عليها ، لم يستند فيها إلى دليل علمى صحيح ، وإنما هى تخيلات وافتراضات باطلة ، وهو قد أثبت بما ذكره ارتداده عن الإسلام ، ومع هذا يرى رئيس النيابة أن الدكتور طه حسين يعتقد أن ما كتبه حق وأنه يقتضيه البحث العلمى ولم يقصد به مجرد الطعن فى الإسلام ، وأنه لهذا لم يجد وجها قانونيا لمحاكمته ، فأمر بحفظ الأوراق الخاصة بالقضية إداريا ، وأكد رشيد رضا أن غرض طه حسين مما كتبه هو تشكيك طلبة الجامعة المصرية وسائر من يقرأ كتابه فى الدين الإسلامى ، بل إفساد اعتقادهم

(١) المنار ، جـ٥ ، م ٢٨ ، ذو الحجة ١٣٤٥هـ ، يونيه ١٩٢٧م .

(٢) د. عبد اللطيف حمزة : أدب المقالة الصحفية ، مرجع سابق ، ص٢٥٠ .

وتجرئتهم على الكفر [١] .

وقد أثير موضوع « كتاب الشعر الجاهلى » - أيضًا - فى مجلس النواب فى وزارة عدلى باشا الذى دافع عن طه حسين فى الاتهام الموجه إليه بطعنه فى القرآن الكريم ، غير أن كتاب الصحافة الإسلامية قد انبروا للرد على رئيس الوزراء وانتقاد ما ذهب إليه ، وأشار رشيد رضا قائلاً : « إن نزعات الإلحاد تدخل مجلس النواب » [٢] ، وكتب الشيخ يوسف الدجوى - عضو هيئة كبار العلماء - يستصرخ العلماء أن يهبوا لإسقاط الوزارة القائمة ، التى لم تحترم الدين الرسمى للدولة ، بل وتدافع عن الذين يطعنون فى الدين الإسلامى من أمثال طه حسين الذى أفسد العلم والدين والأدب والأخلاق ، واتهم الشيخ الدجوى رئيس الوزراء بالمحاباة للدكتور طه حسين ، وشارك الشيخ الدجوى فى هذه الحملة الكاتبان محمد حامد وخيرى سعيد فى صحيفة الفتح [٣] .

وظل موضوع الشعر الجاهلى مثارا فى الرأى العام المصرى ومطروحا فى الصحافة المصرية ، بين مؤيد ومعارض ، حتى طلب عبد العزيز بك الصوفانى مناقشته فى مجلس النواب مرة أخرى ، وقد تناولت المناقشة هذه المرة أمرين : أولهما : الإبطاء فى إعدام كتاب الشعر الجاهلى ، وثانيهما : وجوب إخراج الدكتور طه حسين من الجامعة وإبعاده عن التدريس ، غير أن هناك بعض الأعضاء دافعوا عن طه حسين وانتصروا له ، من أبرزهم العضو عباس العقاد وزكريا مهنا ، ولكن انبرى للرد عليهما الشيخ حسن البنا ، وكتب فى صحيفة الفتح مقالا بعنوان : « إلى حضرات النواب المحترمين » وبخاصة الأستاذين عباس العقاد وزكريا مهنا ، و فى هذا المقال طالب الشيخ البنا بإقصاء طه حسين من الجامعة وإعدام كتابه المذكور ، وأشار إلى أن الإبطاء فى إعدام هذا الكتاب يمس كرامة المجلس وينال من حرمة قراراته ، ويعطل حكم القضاء ، مؤكدًا أن إقصاء طه حسين عن التدريس فى الجامعة أمر محتم يقتضيه واجب الوزارة للمحافظة على عقائد الطلبة وأخلاقهم ، كذلك حفل هذا المقال بنقد وهجوم شديدين على طه حسين ، واتهامه بأنه لا يحسن الشعر ولا النقد ولا التدريس ، وليست له مواهب أستاذ الجامعة ولا طريقة ولا منهج فى التدريس [٤] .

وتجدر الإشارة هنا إلى أنه مع ذلك كله أفلت طه حسين من عقوبة النيابة ، ومن

---

(١) المنار ، جـ٥ ، م ٢٨ ، ذو الحجة ١٣٤٥هـ ، يونيه ١٩٢٧م .

(٢) المنار ، جـ٢ ، م ٢٨ ، رمضان ١٣٤٥هـ ، مارس ١٩٢٧م .

(٣) الفتح ، عدد ٩ ، ٣ صفر ١٣٤٥هـ ، ١٢ أغسطس ١٩٢٦م ، مقال بعنوان : « إلى حضرات العلماء نظرة فى الموقف الحاضر » ، ومقال آخر بعنوان : « الإسلام وأنصار طه حسين لابن العميد » ، ومقال آخر بعنوان: «عز الإسلام وغيرة أهله عليه الآن وقبل الآن » لمحمد حامد .

(٤) الفتح ، عدد ٢٠٢ ، ٨ محرم ١٣٤٩هـ .

فصله من وظيفته ، وثارت ثائرة علماء الدين والأزهر ، وكتب الشيخ يوسف الدجوى مقالا ملتهبا بعنوان : « إذا لم تحترموا الدين فاحترموا القانون والدستور » ، وجهه إلى أعضاء البرلمان ، ووزير المعارف ، ورئيس الوزراء ، ومدير الجامعة ، ورئيس نيابة مصر ، واحتج فيه على إفلات طه حسين من العقوبة (١) ، كذلك أعلن علماء معهد الزقازيق استنكارهم وأسفهم على إفلات طه حسين من العقاب (٢) .

ولكن هذه الجهود لم تذهب سدى فقد أسفرت معركة الشعر الجاهلى عن شراء الجامعة المصرية لكتاب طه حسين كيلا تتداوله الأيدى (٣) ، وغير طه حسين عنوان كتابه من «الشعر الجاهلى » إلى « فى الأدب الجاهلى » ، واضطر طه حسين إلى إسقاط فصلين منه، وعدل من بعض آرائه ، ولا سيما ما أثار الخلاف بينه وبين علماء الدين ، كذلك خلفت هذه المعركة من الناحية العلمية سبعة كتب فى الرد على الكتاب ونقد ما جاء فيه وهى : « المعركة بين القديم والجديد » أو « تحت راية القرآن » لمصطفى صادق الرافعى ، و « نقد كتاب الشعر الجاهلى » لمحمد فريد وجدى ، « ونقض كتاب فى الشعر الجاهلى » للشيخ محمد الخضر حسين ، و « النقد التحليلى لكتاب فى الأدب الجاهلى » لمحمد أحمد الغمراوى ، و « الشهاب الراصد » لمحمد لطفى جمعة ، و « محاضرات فى بيان الأخطاء العلمية التاريخية التى اشتمل عليها كتاب فى الشعر الجاهلى » للشيخ محمد الخضرى المدرس بالجامعة المصرية ، و « نقض مطاعن فى القرآن الكريم » للشيخ محمد أحمد عرفة (٤) .

ورغم ذلك لا يمكن فى رأى الباحث إغفال دور الدكتور طه حسين فى أنه فتح الأعين على أسلوب جديد للبحث كان غير معروف بهذه الصورة فى الأوساط العلمية وقتذاك ، وأنه قد حرك عقول العلماء نحو النظر إلى التاريخ الإسلامى نظرة علمية متجردة من العواطف الدينية ، وإن كان أساء لبعض الأمور الدينية المسلم بها ، وشكك فى قصص القرآن الكريم ، وكان هناك العديد من مجالات المعرفة لتطبق مثل هذا المنهج، وفى الكتاب مبحث بعنوان : « الحياة الجاهلية ينبغى أن تلتمس فى القرآن لا فى الشعر الجاهلى » ، وهو من أنفع فصول الكتاب .

وبالإضافة إلى تصدى الصحافة الإسلامية للمؤلفات التى تحارب الدين الإسلامى وتنهج فى أساليبها نهجًا علمانيا خالصًا ، تصدت أيضًا للنزعات والممارسات والمعطيات

---

(١) الفتح ، عدد ٤٥ ، غرة ذى القعدة ١٣٤٥هـ ، ١٣ مايو ١٩٢٧م .

(٢) الفتح ، عدد ٤٦ ، ٧ ذو القعدة ١٣٤٥هـ ، ١٩ مايو ١٩٢٧م .

(٣) السياسة ، ٧ يوليو ١٩٢٦م .

(٤) محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، مرجع سابق ، ص٢٨٧ ، ٢٨٨ .

العلمانية التى تثيرها بين آن وآخر بعض الصحف المصرية التى يسيطر عليها ويوجهها دعاة التغريب ، وذلك كالدعوة إلى أن تكون الحكومة المصرية حكومة لادينية « علمانية كالحكومة التركية ، والدعوة إلى فصل الدين عن أمور المجتمع ، واستبدال القوانين الغربية بالقوانين الإسلامية المستمدة من الشريعة الإسلامية فى كل نواحى الحياة .

وقد لقيت هذه الدعوات معارضة شديدة من قادة الرأى الإسلامى فى الصحافة المصرية القائلين بأن الدين الإسلامى لا يقتصر على العبادات وحدها كما هو الشأن بالقياس إلى الديانات الأخرى ، بل إنه يتعدى ذلك إلى الاهتمام بتنظيم شؤون الجماعة الإسلامية سياسيا واجتماعيا واقتصاديا ، فالدين من وجهة نظر قادة الرأى الإسلامى هو الشريعة بنفسها بأحكامها المتعلقة بالعقيدة والعبادات والمعاملات المدنية والسلوك الخلقى ، استمدادا من الأصول القطعية المعلومة من الدين بالضرورة ، والشريعة هى ما يطالب المسلم باتباعه فى حياته الخاصة ، وفى سعيه وتصرفاته داخل الجماعة (١) .

ويلاحظ أنه فى تلك الفترة ـ التى نحن بصدد دراستها ـ تعرض الدين الإسلامى فى مصر لهجمات منكرة وشرسة فى عقائده وفى آدابه وأخلاقه وشريعته ، ذلك أن مصر فى ذلك الوقت كانت على مفترق الطرق : إما أن تحتفظ بصبغتها الإسلامية فى عقائدها وآدابها وأخلاقها وشريعتها منذ أن دخلها الإسلام ، وإما أن تنقلب إلى دولة لا دينية «علمانية » على مثال الجمهورية التركية التى انقلبت إلى دولة علمانية ، وألغت المحاكم الشرعية ، وأبطلت نظام الوقف الإسلامى ، وحرمت تعدد الزوجات ، وساوت بين الجنسين فى الميراث ، واتخذت القانون السويسرى بدلا من الشريعة الإسلامية .

يقول الشيخ محمد شاكر وكيل الجامع الأزهر : إن دعاة العلمانية فى مصر قد تأثروا بتركيا ، وعلى سبيل المثال يدعو بعض أساتذة الجامعة المصرية إلى إلغاء الدين ويزعم «أن الدين فى نظر العلم الحديث ظاهرة كغيره من الظواهر الاجتماعية لم ينزل من السماء ولم يهبط به وحى ، وإنما خرج من الأرض كما خرجت الجماعة نفسها » (٢) ، وقنصل مصر فى الجمهورية التركية فى أحد تقاريره لوزارة الخارجية المصرية يقول : « وكما قامت حركة فعلية فى القطر المصرى تدعو إلى مجاراة الأتراك فى استبدال الطربوش بالقبعة ، فكذلك توجد حركة فكرية ترمى إلى السعى إلى مجاراتهم فى مسألة الأحوال الشخصية تفاديا من بعض الأحكام المعمول بها فى بعض مسائل الأحوال الشخصية ، ورغبة فى توحيد التقنين لكل المصريين على اختلاف دياناتهم ، فيكون لهم قانون مدنى واحد يشتمل على الأحوال الشخصية وغيرها (٣) .

---

(١) محمد العربى الخطابى : « الدين والدولة » الشرق الأوسط ١٩٨٧/٩/٢٠م .

(٢) الفتح عدد ٧٨ ، ١٢ رجب ١٣٤٦هـ ، ٥يناير ١٩٢٨م .

(٣) المصدر السابق نفسه .

ويؤكد وكيل الجامع الأزهر أنه توجد مؤامرة على الشريعة الإسلامية لحمل البرلمان المصرى على قلب نظام الحكم فى البلاد إلى نظام لادينى ، فبعض النواب يقترحون على المجلس النيابى إلغاء الوقف الأهلى بحجة أنه ليس من الدين ، ومشروع قانون بين يدى اللجنة التشريعية يتضمن تحريم تعدد الزوجات إلا بإذن القاضى ، كما يتضمن مسائل أخرى فى الحضانة والنفقة والطلاق ، وتلبية بعض مطالب جمعية الاتحاد النسوى التى تطالب أيضًا بالتسوية بين البنين والبنات فى الميراث ، وتَزَعَّم ذلك أحد النواب فى البرلمان المصرى [1] .

وتوضح كل هذه الممارسات العلمانية أن أنصار التيار العلمانى كانوا يهدفون إلى تحويل مصر إلى دولة علمانية ، وإلغاء القوانين الإسلامية فى مسائل الأحوال الشخصية ، وفصل الدين عن الدولة تشبها بالأوربيين ، وبمن قاوموا الكنيسة فى أوربا ، وحاربوا رجال الدين هناك ، مسقطين المفاهيم الأوربية على الدين الإسلامى ، فى حين أن الأسباب التى حملت بعض كتاب أوربا وجمعياتها السياسية على محاربة الكنيسة ورجالها، والطعن فى النصرانية نفسها وفصل الدين عن الدولة ، كل هذه الأسباب لا تنطبق على الإسلام ولا يوجد لها مثيل فى تاريخه ؛ لأن الإسلام لم يقف حجر عثرة فى وجه العلوم العقلية والكونية ، ولا حجر على العلماء كما فعلت الكنيسة ورجال الدين فى أوربا ، بل إن الدين الإسلامى أرشد البشر إلى استخدام العقل والتفكر فى سنن الكون ومظاهر الطبيعة ، وأوجب التقدم العلمى والصناعات المدنية النافعة ، وأخرج البشر من رق رؤساء الدين والدنيا إلى فضاء الحرية الواسع ، ورجال الدين أو علماؤه فى مصر لم يثبت اتهامهم بالعصبية الدينية ولا بمقاومة الحرية العلمية ولا العملية [2] .

وكان فى مقدمة الصحف المصرية التى حملت لواء الدعوة إلى العلمانية فى مصر ونشر الأفكار اللادينية جريدة الضياء القبطية والسياسة اليومية والأسبوعية والمقطم والعصور والرابطة الشرقية والمجلة الجديدة ومجلة المعرفة . ويشير محب الدين الخطيب أن الصحف النصرانية التى تصدر فى مصر ، ولا سيما جريدة الضياء لصاحبها يوسف حنا تروج للدعوة إلى العلمانية والسياسة اللادينية فى مصر وبلاد المسلمين ، فى حين تعارض البلاشفة الذين يعملون على هدم الدين المسيحى هناك ، وقد وجه محب الدين خطابا مفتوحًا إلى مسيحيى مصر يقول فيه : « إن كنتم كما نراكم أعداء للبلشفية منكرين عليها هدم الدين المسيحى فلماذا تعجبون بأعمال مصطفى كمال أتاتورك وتسمونه مجددا ،

---

(١) المصدر السابق نفسه .

(٢) المنار ، جـ٥ ، م ٢٤ ، رمضان ١٣٤١هـ ، مايو ١٩٢٣م ، وأيضًا فاتحة المجلد التاسع عشر ١٣٣٤هـ - ١٩١٦م .

وتسمون أعداءه من الأتراك المسلمين المتدينين رجعيين » ؟ (١) . ويرد الخطيب على مجلة المعرفة أيضًا التى كتبت في الجزء الثالث لها تزعم أنه من جملة المسببات لتأخر المسلمين عدم التفريق بين السلطتين الدينية والدنيوية وكون الإسلام دين حكم كما أنه دين عقيدة وعبادة، وأن اجتماع السلطتين فى الإسلام كان سببا فى انقسام المسلمين إلى شيع وأحزاب.

وقد فند الخطيب هذه المزاعم مؤكدا على أن الإسلام دين عقيدة وعبادة وحكم فى حياة صاحب الشريعة نفسه ، وفى زمن الخلفاء الراشدين الذين تعلمنا منهم أصول الشريعة الإسلامية ، ووضح الخطيب أن الجمع بين السلطتين فى الإسلام لم يخل بنظام المسلمين العام كما ادعت مجلة المعرفة ، ولا كان سببًا فى زوال الوحدة بينهم ، ويستحيل أن يكون بين الكنيسة الإنجيلية والأرثوذكسية والكاثوليكية رابطة مثل ما بين الفرق الإسلامية من روابط ، وأن شريعة الجمع بين السلطتين لم تفرق بينهم بمقدار ما بين الكاثوليك والبروتستانت والأرثوذكس التابعين جميعًا لشريعة التفريق بين السلطتين (٢) .

وهكذا كانت صحافة الاتجاه الإسلامى تتبع أقوال الصحف العلمانية المغرضة بالنقد والتفنيد ، وحينما كتبت السياسة الأسبوعية فى عددها الصادر فى ٢٥ سبتمبر ١٩٢٦م مقالا بعنوان : « الإنسان الأول وأطواره فى الحياة » جاء فيه أن الديانات من وضع الإنسان ، وأنها لم تنزل من السماء ، وإنما أنشأها الإنسان ليؤدى واجبا للقوة الخفية التى يخشى بطشها ، ويخاف منها لضعفه ، ومن ثم عبد الكواكب والشمس وغيرها .

وقد انبرى للرد على هذه الدعوى الشيخ عبد الباقى سرور ، وذكر أن أصحابها ليس لديهم دليل ولا برهان على إقامة دعواهم ؛ لأنهم لم يستطيعوا أن يقولوا : إن هذه الدعوى مما تثبته التجربة أو يؤيده الاختيار وذلك « لأن التجربة فى ذلك الوقت كانت غير مفهومة للبشر ولا مستطاعة ؛ لانقطاع سلسلة النقل وانطماس آثاره » فمن أين جاءهم القول بأن الديانات من وضع البشر . . والبشر لم يتوارد النقل عنه بذلك ، والتجارب لم تتيسر والاختبارات لم تتهيأ ، إذا فالقول بأن الديانات من وضع البشر كذب على العلم وافتراء على التاريخ » (٣) .

ومضت الصحف الإسلامية تحارب كل معطيات الصحافة العلمانية التى تقلل من

---

(١) الفتح ، عدد ٢٤٨ ، ٥ ذو الحجة ١٣٤٩هـ .

(٢) الفتح ، عدد ٢٦٠ ، ٨ ربيع الأول ١٣٥٠هـ ، كذلك كتب الشيخ محمد الخضر حسين فى مجلة نور الإسلام بعنوان : « ضلالة فصل الدين عن السياسة » ليرد على مزاعم مجلة المعرفة ، عدد ٥ ، م ٢ ، ١٣٥٠هـ، وطالب الشيخ الخضر أهل العلم أن يرقبوا حركة هؤلاء الثائرين على الدين ويكونوا على بصيرة مما يكتبون فى صحفهم أو يحاضرون فى نواديهم وينبهون على خطره . نور الإسلام ، ٢صفر ١٣٤٩هـ .

(٣) الفتح ، عدد ١٦ ، ٢٣ ربيع الأول ١٣٤٥هـ ، ٣٠ سبتمبر ١٩٢٦م .

شأن الدين ، وتشجع الذين يهاجمونه بدعوى حرية الفكر ، أو الدعوة إلى العقلانية التى روجت لها تلك الصحف ، والتى تعنى أن الإنسان حر فى أفكاره ، وما تؤدى إليه حريته ، دون التقيد بشىء ، ومتى وصل الإنسان إلى نتيجة أية نتيجة فهى صحيحة وإن كانت تتصادم مع أحكام الشريعة الإسلامية وأصول الدين الإسلامى .

وقد ناقشت الصحف الإسلامية الدعوة إلى العقلانية ، وفندت مقولة أدعيائها ، وبينت أن أنظار العقول ونتائجها محددة ، وأن العقل وحده دون إرشاد الشرع لا يمكنه أبدًا الوصول إلى السعادة لا فى الدنيا ولا فى الآخرة . . ومتى قال الشرع كلمته فلا يجوز للعقل أن يقول غير هذا ؛ لأنه لو صح الاعتماد على العقل « لكان إرسال الرسل عبثا ، وكان إنزال الكتب عبثا ، وكان إقامة الحكومة عبثا ، ولكان الوعد والوعيد عبثا ، ولكان الحق هو ما يقوم بمخيلة الإنسان فينفذه » (1) .

ومن أبرز الأدلة على تهافت الدعوة إلى العقلانية أن واضعى الشرائع الوضعية يبذلون جهدهم لتكون شرائعهم مصدر السعادة للإنسان ، ولكن سرعان ما يظهر لهم كل يوم خطأ فى تشريعهم لجهلهم بكنه كثير من الأمور ، وبناء على ذلك يتضح زيف الدعوة إلى العقلانية ، وأنه لا غنى للعقل عن الدين ، وأن مجال العقل فيما لم يرد فيه نص واضح من كتاب الله وسنة رسوله ، فضلاً عن ذلك فالإسلام كما يقول الدكتور هيفو ماركس المسلم الألمانى : لم يصادر العقل ، بل إنه يمتاز بمظهره العقلى ، وأنه من أعظم الأديان أخذ بأسباب العقل ، ونزولا عند أحكامه ومراميه ولا يكلف معتنقيه بأن يؤمنوا إلا بما يقره العقل ، والإسلام على النقيض من الأديان الأخرى يرمى إلى السير جنبا إلى جنب مع تقدم العلوم والفكر البشرى (2) ؛ ومن ثم فإنه يترك لمعتنقيه أكبر قسط من الحرية ، هذه الحرية التى يدعى دعاة العلمانية أن الدين الإسلامى يحول دونها ، فقد كتب حليم سفين فى المقطم مقالا بعنوان : « الاعتداء على الدين وحرية الفكر فى القانون » مصرحًا بأن الدين الإسلامى يحول دون حرية الفكر ، وأنه لا جريمة قانونا على من يطعن فى الدين ، وإذا كان لا جريمة فلا عقوبة ، ويقصد من ذلك الدفاع عن طه حسين ، والمطالبة بعدم عقوبته فى هجومه على الدين الإسلامى ، مشيرا إلى أن المادة ٣٩ التى تعاقب المعتدى على الأديان ليس لها مثيل فى القانون الفرنسى ، وأنها مطلقة فى القانون المصرى ، وهذا الإطلاق فى زعمه خطر على حرية الفكر ، وإغلاق الأذهان ، ورجوعًا إلى عهد القرون المظلمة (3) .

وقد رد على هذه المزاعم الشيخ عبد الباقى سرور ساخرا من كاتب المقطم الذى

(1) الفتح ، عدد ١٠ ، ١٠ صفر ١٣٤٥هـ ، ١٩ أغسطس ١٩٢٦م .
(2) الفتح ، عدد ١١ ، ١٨ صفر ١٣٤٥ هـ ، ٢٦ أغسطس ١٩٢٦م .
(3) المقطم ، ٢١ سبتمبر ١٩٢٦م .

يحسب أن مصر جزءًا من فرنسا ، وأنه كان واجبا لأجل ذلك أن يكون قانون فرنسا هو قانون مصر ، ولم يفهم أننا ـ كمسلمين ـ نحترم ديننا ، وأن عواطف المسلمين غير عواطف الفرنسيين ، وليس مستبعدا أن تقوم فتنة إذا سب أحد الدين الإسلامى مهما كانت ديانته ، واستنكر الشيخ عبد الباقى سرور على الكاتب دفاعه عن طه حسين ؛ لأنه محال أن يكون رجال البرلمان والحكومة لم يفهموا القانون ، حينما قرروا رفع الدعوة على طه حسين ومعاملته إداريا لتعديه على الدين الإسلامى ، وإنكاره لأشياء وردت فى القرآن الكريم ، معلومة من الدين بالضرورة [1] .

والمتتبع لصحف الاتجاه الإسلامى فى تلك الفترة يجدها حافلة بالمقالات الضافية التى تحارب دعوات الإلحاد والعلمانية ، وبيان خطرها على مستقبل الأمة فى أخلاقها وعاداتها ومعاملاتها ، وتطالب بإقصاء العلمانيين من مناصبهم فى الجامعة والمؤسسات التعليمية ومنابر الفكر وأجهزة التوجيه فى الدولة المصرية ، وأجمعت الصحف الإسلامية على أن تعاليم الشريعة الإسلامية شاملة للدين والشريعة والأخلاق والقانون والاجتماع ، وأن محمدًا ﷺ جاء بأنظمة اجتماعية عملية طبقت فوجدت صالحة لتحقيق السعادة والهناءة للمجتمع ، ونشأ عن تطبيقها ظهور أمة حية سعيدة ، ودولة قوية سادت الدنيا ، وأوجدت مجتمعًا فاضلاً سليمًا من الفحشاء والرذيلة [2] ، وظلت المعركة بين الصحف الإسلامية والصحف العلمانية مستمرة طيلة مرحلة ما بين الحربين العالميتين .

وكانت الصحف الإسلامية تتصدى لكل ما تكتبه الصحافة العلمانية من هجوم على الشريعة الإسلامية ، ومن أبرز الأمثلة على ذلك مهاجمة صحيفة الفتح لصحيفة السياسة التى انتقدت الملك ابن سعود لتطبيقه الشريعة الإسلامية فى الجزيرة العربية ، وأشادت بمصطفى كمال أتاتورك لإلغائه الشريعة الإسلامية ، وإعلانه علمنة الدولة التركية ، ووصفته بأنه مجدد القرن العشرين ، فى حين وصفت الملك ابن سعود بالرجعية والتخلف [3] .

وحينما كتب إسماعيل مظهر فى السياسة الأسبوعية يقول : « إن رجال العلم سيحاولون فى المستقبل إخفات صوت الدين » انبرى للرد عليه أمين الرافعى فى صحيفة الأخبار وأحمد الخضر منسى فى صحيفة الفتح ، يشيران إلى أن ما ادعاه إسماعيل مظهر فيه جرأة غير مدعمة بمعلومات صحيحة ، فمن أين جاءه هذا النبأ ، والأبحاث والتجارب العلمية قلما تخرج عن دائرة هذه الأبحاث ومعظمها لا علاقة لها بالدين مطلقًا ؟ [4] ،

---

(١) الفتح ، عدد ١٦ ، ٢٣ ربيع الأول ١٣٤٥هـ ، ٣٠ سبتمبر ١٩٢٦م .
(٢) الفتح ، عدد ٢٩ ، ٢٥ جمادى الآخرة ١٣٤٥هـ ، ٣٠ ديسمبر ١٩٢٦م .
(٣) الفتح ، عدد ٧١ ، ٢٣ جمادى الأولى ١٣٤٦هـ ، ١٧ نوفمبر ١٩٢٧م .
(٤) الفتح ، عدد ٥٧ ، ١٤ صفر ١٣٤٦هـ ، ١١ أغسطس ١٩٢٧م .

ومن أبرز المقالات التى هاجمت الدين الإسلامى ، وأعلنت الثورة عليه للتحرر من سلطة الدين فى كل شؤون الحياة مقال كتبه الدكتور محمد حسين هيكل فى السياسة الأسبوعية أيضًا بعنوان : « فى سبيل حياة جديدة ـ المعرفة أساس إيمانى فى المستقبل » صرح فيه : أنه : « ليس محالا أن ترتبط صيحتنا ارتباطًا وثيقًا أو غير وثيق بصيحات أوغست كنت وفولتير وروسو وغيرهم ، ممن أرادوا أن يجعلوا العقل والعلم وحدهما المدبرين لحياة الأفراد والجماعات والمنظمين لكل شىء » .

وقد أحدث هذا التصريح رد فعل من جانب الصحافة الإسلامية ولا سيما صحيفتى الأخبار والفتح ، وكتب محب الدين الخطيب يشير إلى أن ما أورده الدكتور هيكل مجرد تشكك ، ونفى صحة ما قاله ، مستدلاً بقول السير أوليفر لودج : « مهما عظمت معارفنا واتسع نطاقها ، فسيكون هناك على الدوام مجال فسيح للأديان » [(١)] .

وهذا لا شك يناقض على خط مستقيم ما يريد أن يذهب إليه الدكتور هيكل فى أن العلم والعقل سيكونان أساس الإيمان فى المستقبل ، كذلك تصدى الشيخ عبد الباقى سرور نعيم لمجلة العصور التى نشرت فى أعداد متوالية كتابًا بعنوان « مصطفى كمال » لمؤلفه قابيل آدم ، الذى دعا فيه إلى الفصل بين الدين والدولة ، وروج للأفكار والممارسات العلمانية ، مدعيا « أن العقلية الأوربية هى العقلية التى تتسق وحاجات هذه الحياة الدنيا ، ونحن إنما نتبع ما توحى به إلينا هذه العقلية بحكم أننا موجودون فى هذه الحياة ، أما العقلية الأسيوية فهى العقلية التى تلائم الحياة الأخرى ، فإذا انتقلنا إلى الحياة الآخرة فهنا لك نتبع ما توحى به هذه العقلية » .

وتتبع الشيخ سرور هذا الكتاب والأفكار التى وردت فيه بالنقد والتعليق ، وأوضح أن المؤلف لم يدرس الديانة الإسلامية دراسة وافية ، بل قرأ تاريخ النزاع بين الحكومة والكنيسة ، وطبقه تطبيقًا عامًا على الديانة الإسلامية ، وأشار إلى أن العقلية الأوربية لا تتسق وحاجات هذه الحياة الدنيا ـ كما ادعى الكاتب ـ إلا إذا أريد بالحياة الدنيا حياة الملذات والملاهى ؛ لأن العقلية الأوربية اهتمت بالحياة المادية ولكنها أهملت شأن الروح وتحقيق السعادة لبنى البشر ، أما العقلية الأسيوية المستفادة من الوحى قد أنتجت سعادة وهناءة للإمبراطورية الإسلامية أيام شبابها وعزها ، فضلاً عن الصناعات والآداب والعلوم التى أنتجتها العقلية الأسيوية ، وبخاصة العقلية الإسلامية التى كانت تتلقى تعاليمها من القرآن الكريم [(٢)] .

ولما كتب الدكتور طه حسين فى مجلة الحديث التى تصدر فى حلب « سوريا » مناديًا

---

(١) الفتح ، عدد ٥٧ ، ١٤ صفر ١٣٤٦هـ ، ١١ أغسطس ١٩٢٧م .

(٢) الفتح ، عدد ٧٣ ، ٧ جمادى الآخرة ١٣٤٦هـ ، أول ديسمبر ١٩٢٧م .

بإلغاء النص الموجود فى الدستور المصرى من أن الدين الرسمى لمصر هو الإسلام ، بدعوى أنه مصدر تفرقة بين المسلمين وغيرهم - انبرى للرد عليه الدكتور عبد الرحمن شهبندر ، متهما إياه بالإلحاد والرجعية لإنكاره نصا جوهريا من الدستور المصرى ، ونفيه عن مصر صبغة الإسلام والمناداة بعلمنة الدولة (١) ، غير أنه قد انتصر للدكتور طه حسين وأقرانه الشاعر العراقى معروف الرصافى ، وأرسل للسياسة الأسبوعية قصيدة هاجم فيها الدين وسخر من علمائه ، وأيد دعاة العلمانية فقد قال فى مطلع هذه القصيدة :

وتكره نفسى أن أكون مخادعا ... لأدرك نفعا أو لأرفع ضائرا

ومن أجل مقتى للمخانيث أنكرت ... يدى أن تحلى فى الجنان أساورا (٢)

ويلاحظ أن الشاعر اتهم فى البيت الأول أنصار الفكر الإسلامى بالخداع وعدم الإخلاص فى دعوتهم ، وعاب الدين الإسلامى ، وفى البيت الثانى صرح أنه لا يريد أن يدخل الجنة ؛ لأنه الله - عز وجل - يقول فى وصف أهلها : ﴿ **يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ** ﴾ [الكهف : ٣١] ، وعنده أن هذا من شأن المخانيث ، ومن أجل مقته لهم فيما زعم أنكرت يده أن تحلى فى الجنان أساورا ، وفى هذا استخفاف واضح بالعقيدة الإسلامية وبالمسلمين وتعاليم شريعتهم ، وعلى صعيد آخر يدل على ما كان يتمتع به التيار العلمانى فى مصر من شهرة وذيوع فى البلاذ العربية وتأثر الأوساط الفكرية فى هذه البلاد بالفكر المصرى ، إضافة إلى ذلك انبرى للرد على الرصافى أمين الرافعى ومجموعة من الشعراء المسلمين ، كان من أبرزهم محمد حسن النجمى ، ومحمد إسماعيل عبد الله الذى كتب فى الفتح قصيدة شعرية بعنوان : « غيور » قال فيها :

ألا هل غيور فيه للحق غضبة ... يذود عن الدين العداوة ويرأب

نعالج أسباب الحياة ودينا ... يكيد له حزب المروق ويشعب (٣)

وإزاء هجوم الصحافة العلمانية على الدين الإسلامى وترويجها لنظريات الإلحاد والأفكار العلمانية التى تنكر الغيب وتحارب الدين الإسلامى وعلماءه فى مصر ، كتب الشيخ محمد السيد الطويل - من الأزهر - يناشد الجمعيات الإسلامية والصحف الإسلامية والأزهر أن يتصدوا لمحاربة الإلحاد ، ويقاوموا تلك الغزوات والنظريات الإلحادية المدمرة لعقول المصريين والمسلمين وأن يبصروا الناس بأحكام الدين (٤) ، واقترح ابن الفيحاء -

(١ ، ٢) الفتح ، عدد ٤٥ ، غرة ذى القعدة ١٣٤٥هـ ، ١٣ مايو ١٩٢٧م .

(٣) الفتح ، عدد ٣٢ ، ١٦ رجب ١٣٤٥هـ ، ٢٠ يناير ١٩٢٧م.

(٤) الفتح ، عدد ٤٠ ، ٣ رمضان ١٣٤٥هـ ، ١٧ مارس ١٩٢٧م ، وعدد ٥١، ٥٢ ، ٨ محرم ١٣٤٦هـ، ٧ يوليو ١٩٢٧م.

أحد كتاب الصحافة الإسلامية ـ أنه لمحاربة هذه النظريات يجب اتباع الآتى :

١ـ تأليف لجنة من خيرة العلماء لوضع كتب عصرية فى الدين الإسلامى وتاريخه وآدابه .

٢ ـ أن تؤلف كتب التوحيد والكلام الجديدة على أساس دفع شبهات المذاهب الفلسفية الجديدة .

٣ ـ تأسيس مدارس إسلامية على نظام المدارس العصرية .

٤ ـ السعى فى أن يكون معلمو هذه المدارس من ذوى الدين والعلم (١) .

ونادى مرسى على محمد ـ المحامى الشرعى ـ بوجوب تأليف حزب دينى لمواجهة الإلحاد والأفكار العلمانية فى مصر ، يتألف هذا الحزب من العلماء والقضاة والمحامين الشرعيين ، وعقلاء الأمة من التجار والمزارعين حفظا للدين الإسلامى الحنيف ، وصونا للأعراض والأخلاق والآداب من مهاجمة الفساد والمنكرات ، وكانت مبادئ هذا الحزب الدينى المقترح تقوم على ما يلى :

١ ـ الاستقلال التام لمصر والسودان .

٢ ـ السعى لمنع المسكرات .

٣ ـ السعى لمنع البغاء الرسمى والسرى.

٤ ـ السعى لدى ولاة الأمور لمصادرة كتب الإلحاد التى تسلب الوازع الدينى الوجدانى من قلوب النشء.

٥ ـ مصادرة الروايات والمجلات والنشرات التى تطبع فيها صور وألفاظ تخل بالآداب وتفسد الأخلاق.

٦ ـ وضع حد لملابس النساء المنافية للحشمة وعدم الخروج عن حد الآداب .

٧ ـ البحث فى حالة العلماء والدفاع عن حقوقهم وحفظ امتيازاتهم وكراماتهم.

٨ ـ تأليف لجان من كبار العلماء لتأليف كتب إسلامية مفيدة ومجلات إسلامية علمية بأسلوب يناسب ذوق العصر الحاضر .

٩ ـ تأليف لجنة من العلماء لرد هجمات المبشرين الأمريكيين .

١٠ ـ الدعوة لعقد مؤتمر إسلامى موسع للنظر فى التطور الحاضر (٢) .

---

(١) الفتح ، عدد١٣ ، ٢٩ ربيع الأول ١٣٤٧هـ، ١٣ سبتمبر ١٩٢٨م .

(٢) الفتح ، عدد ٢٩ ، جمادى الآخرة ١٣٤٥هـ ، ٣٠ ديسمبر ١٩٢٦م.

ورغم أن هذا الحزب الإسلامى لم يكتب له الظهور ، إلا أن صيحته لم تذهب أدراج الرياح ، فقد ظهر أثرها فيما تشكل من جمعيات إسلامية ، وبروز صحف إسلامية تحمل مبادئ هذا الحزب وتدافع عن الفكر الإسلامى ، وتتصدى لهذه الموجة العلمانية الإلحادية التى راجت وانتشرت فى حقبتى العشرينات والثلاثينات من هذا القرن بتأثير من الدول الأوربية الاستعمارية وعملائها، تلك الدول التى تحارب الدين الإسلامى ، وتروج للأفكار الإلحادية فى مصر ، وفى بلاد الإسلام ، وقد أشار إلى ذلك المفكر الإسلامى الشهير شكيب أرسلان ، حيث صرح أن هذه الدول الأوربية تختلف فى كل شىء إلا فى العداوة لهذا الدين ، ويبرهن على ذلك بتضافر فرنسا وأسبانيا على هزيمة محمد بن عبد الكريم فى حرب الريف فى بلاد المغرب ، وفى تنصير فرنسا للبربر أيضا ، ويفسر ذلك على أنه انتصار للدين المسيحى، يقول شكيب أرسلان : « إن ملاحدة العالم الإسلامى يكذبون ويضللون حينما يقولون : إن الدول الأوربية قد نبذت الدين المسيحى، وأنها قد فصلت الدين عن السياسة » (١) .

ويؤكد هذا القول حسن البنا فى صحيفة الإخوان المسلمين قائلا : « إن قادة أوربا ولاسيما المعاصرين منهم لا يحاربون الأديان والعقائد ، بل يؤيدونها ويثبتونها فى نفوس الأمة، ويبدو ذلك منهم قولا وفعلا ، وأن الحكومات الأوربية تعتنى بالتعليم الدينى بجعل المذاهب الغالبية إجبارية ، ومذاهب الأقلية اختيارية (٢) .

ويصرح محب الدين الخطيب أيضا بأن الدول النصرانية الأوربية لم تقطع علاقتها الحكومية بالدين كما يريد القوم فى تركيا والأفغان أن يعملوا ، وكما يريد على أفندى عبد الرازق محرر مجلة الرابطة الشرقية أن يعمل أيضا هو وزملاؤه فى مصر ، فأعرق دولة فى النصرانية وهى فرنسا ـ على سبيل المثال ـ تساعد المنظمات التبشيرية وتعتمد لها فى ميزانيتها الكثير من الأموال (٣) .

وكل هذا يجعلنا لا نشك فى أن السبب فى هذه الموجه الإلحادية السائدة فى تلك الفترة فى مصر ، هو الرغبة فى القضاء على الدين الإسلامى ، وليس الموقف من الديانات ككل ، ومن ثم كان هجوم الصحافة الإسلامية على العلمانيين المصريين الذين أعلنوا الحرب على الإسلام وروجوا للإلحاد فى مصر.

ويمكن القول ـ فى ضوء ما سبق عرضه ـ أنه قد تسرب الفكر العلمانى إلى الحياة

---

(١) الفتح ، عدد ٢٣٦ ، ١٠ رمضان ١٣٤٩هـ.

(٢) الإخوان المسلمون عدد ١٢ ، ١٠ جمادى الأولى ١٣٥٢هـ ، مقال بعنوان : «ومع هذا يقولون أوربا لا دينية».

(٣) الفتح ، عدد ١٢٢، ٨ جمادى الأولى ١٣٥٢هـ ، ٢٠ نوفمبر ١٩٢٨م.

المصرية والفكر المصرى من خلال الاحتكاك بأوربا والمدارس الأجنبية والبعثات التعليمية والاستعانة بالخبراء والفنيين الأوربيين فى تحديث الحياة المصرية، فضلا عن الصحف التى أصدرها النصارى الشوام فى مصر ، والنشاط الاستشراقى تحت رعاية الدول الاستعمارية وتشجيعها.

وقد راجت الأفكار العلمانية فى مصر فى فترة هذه الدراسة ، وظهرت مؤلفات وصحف تنتهج نهجا علمانيا خالصا ، وتشكل تيار علمانى قوى فى الفكر المصرى الحديث والصحافة المصرية ، اصطدم هذا التيار بعلماء الدين الإسلامى ومفكريه ، وبرزت الصحف الإسلامية لمواجهته ، وتصدت للمؤلفات والصحف العلمانية التى تعمل على نشر الفكر العلمانى وتروج للنزعات والممارسات العلمانية ، وذلك كالدعوة إلى أن تكون الحكومة المصرية حكومة لا دينية كالحكومة التركية، والدعوة إلى فصل الدين عن الدولة والمجتمع واقتباس القوانين الغربية لتحل محل الشريعة الإسلامية ، والهجوم على الدين الإسلامى فى عقائده وآدابه وأخلاقه وشريعته ، وطالبت الصحف الإسلامية بإبعاد العلمانين عن المناصب المهمة فى الجامعة والمؤسسات التعليمية ومنابر الفكر وأجهزة التوجيه فى الدولة المصرية ، وأجمعت على أن تعاليم الشريعة الإسلامية صالحة وشاملة لكل متطلبات الحياة وشؤونها ، وكفيلة بتحقيق السعادة التى ينشدها المجتمع.

المبحث الرابع

صحافة الاتجاه الإسلامى وتغريب التعليم

يعالج هذا المبحث دور صحافة الاتجاه الإسلامى فى مقاومة السياسة التعليمية المؤسسة على المناهج العلمانية ، والسياسات الغربية ، التى تستهدف النيل من الثقافة الإسلامية والعقيدة الإسلامية لدى الطلاب المصريين ، وكذلك يبرز دور هذه الصحافة فى محاربة انتشار المدارس الأجنبية وبيان خطورتها ، والاختلاط بين الجنسين فى دور التعليم، والعمل على تدريس الدين فى المدارس العمومية ، ومحاولة إصلاح مناهج التعليم فى المدارس الحكومية والأزهر .

وكان التعليم من أبرز المجالات التى برز فيها تأثير الاحتلال البريطانى ، حيث أدى دورا مهما فى إهمال التعليم إدراكا منه لتأثير التعليم فى الوعى الدينى، وإثارة المشاعر الوطنية لدى الطلاب ، لذلك يلاحظ أن الإصلاحات التى قام بها الاحتلال فى مجال التعليم لا تقارن بالإصلاحات فى مجال الزراعة والمواصلات (١) .

قام الاحتلال بإغلاق المدارس الحكومية ، وخفض حجم بعضها الآخر ، وجعل التعليم فى المدارس الأجنبية باللغة الإنجليزية بدلا من اللغة العربية ووجه التعليم وجهة علمانية، وشكل المناهج التعليمية على نحو يوافق أغراض الاحتلال ، كما فرض مصروفات باهظة على دخول المدارس ، ليقطع طريق العلم على أولاد الفقراء من المصريين ، الأمر الذى حدا بقادة الحركة الوطنية أن يلجؤوا إلى إنشاء المدارس الخاصة ، وقام مصطفى كامل بجمع التبرعات الخيرية لهذا الغرض ، وتزعم الدعوة لإقامة جامعة أهلية ، غير أنه وجد مقاومة من ناظر المعارف آنذاك سعد زغلول ، الذى أيد التوسع فى مشروع الكتاتيب ، الذى أيده الاحتلال البريطانى (٢) .

وبوجه عام شهدت سنوات الاحتلال تطوراً بطيئًا فى توفير الفرص التعليمية وتدعيم سياسة تخريج موظفين حكوميين ، وحتى عام ١٩١٤م كانت هناك ٦٨ مدرسة ثانوية حكومية ، فى الوقت الذى وصل فيه تعداد السكان إلى ٩ مليون نسمة ، ولم يكن هذا راجعًا إلى عدم رغبة المصريين فى التعليم ، فهذه الرغبة تؤيدها الزيادة السريعة فى عدد المدارس الخاصة ، الذى وصل عام ١٩٢٤م إلى ٧٣٩ مدرسة تضم ٩٩ ألف طالب ،

(١) أنور الجندى : يقظة الفكر العربى ، مرجع سابق ، ص١٧٥ .
(٢) زكريا سليمان بيومى ، مرجع سابق ، ص٣٦ .

ونحو ٣٢٨ من مدارس التبشير والطوائف الأخرى تضم ٤٨ ألف تلميذ [١] .

وفى ظل سياسة الاحتلال استمرت البعثات الدراسية فى أعداد موازية لما كان يرسل قبل الاحتلال مع تحول له مغزاه فى طبيعة الدراسة ، ففى السنوات السابقة على الاحتلال كان ٨٠٪ من طلبة البعثات يوفدون إلى فرنسا ، وكان ٩٨٪ منهم يدرسون العلوم التطبيقية ، أما فى ظل الاحتلال فكان ٧٥٪ من طلبة البعثات يدرسون فى إنجلترا ، وكان ٦٥٪ منهم يدرس الإنسانيات والعلوم الاجتماعية ، هذا التحول له دلالة فى توجيه الفكر المصرى إلى الاتجاه العلمانى [٢] .

وفى الوقت ذاته كان الاحتلال يعد مجموعة كبيرة من بين أبناء كبار الملاك المصريين، من الذين تلقوا تعليمهم فى الغرب لتولى المناصب المهمة فى أجهزة الفكر والتوجيه المصرية ، وفى مقدمتها الجامعة ، كى يسهموا فى نشر هذه الأفكار الغربية المعادية فى معظمها للفكر الإسلامى ، وقد ظهر ذلك واضحًا حينما تولت الجامعة المصرية الدفاع عن فكرة القومية الفرعونية ، ونشر الأفكار العلمانية التى طرحت فى الساحة الفكرية المصرية [٣] .

ولا شك أن الاستعمار البريطانى كان له هدف فى علمنة المدارس وتغريب السياسة التعليمية المصرية ، حتى تميل عقول وعواطف الطلبة تجاه الاستعمار ، الأمر الذى يدعم نفوذه فى البلاد التى يحتلها ، وقد عبر اللورد لويد ـ عندما كان مندوبًا ساميا لبريطانيا فى مصر ـ عن هذه الأهداف ، إذ قال فى خطبة له ألقاها فى كلية فيكتوريا بالأسكندرية فى عام ١٩٢٦م : « لقد وجد اللورد كرومر شركة وطيدة بين بريطانيا ومصر ، هذه الشركة مهما تغيرت أشكالها لازمة للشريكين ، وهذا يجعل استمرارها لامندوحة عنه ، فعلينا أن نقوى كل مالدينا من وسائل التفاهم المتبادل بين البريطانيين والمصريين ، وقد كان هذا التفاهم المتبادل غاية اللورد كرومر من تأسيس كلية فيكتوريا بوجه عام ، ومن تأسيسها فى الأسكندرية بوجه خاص ، وهى غاية أعتقد أن الكلية تحققها . . وليس من وسيلة لتوطيد هذه الرابطة أفضل من كلية تعلم الشبان من مختلف الأجناس المبادئ البريطانية العليا . . . » .

وبعد أن أشار إلى أن المدرسة تضم طلبة ينتمون إلى ثمانية أجناس ، قال : « كل هؤلاء لا يمضى عليهم وقت طويل حتى يتشبعوا بوجهة النظر البريطانية بفضل العشرة الوثيقة بين المعلمين والتلاميذ ، فيصيرون قادرين أن يفهموا أساليبنا ويعطفوا عليها، ومتى تسنى للجمهور أن يعرف هذه الكلية أكثر مما عرف عنها فى الماضى يتنبه

(١ ، ٢) حمدى حسن : تطور الفكر الدينى فى مصر ، ص٨ ، بحث غير منشور .

(٣) زكريا سليمان بيومى : مرجع سابق .

الوالدون إلى أن تعليم أولادهم فيها ينمى فيهم من الشعور الإنجليزى ما يكون كافيًا لجعلهم صلة للتفاهم بين الشرقى والغربى ، كما كانت الأسكندرية فى أيام عظمتها فى عهد البطالسة» (١) .

وهكذا يتضح أن الاستعمار عمل على تغريب التعليم فى مصر حتى تتشبع الأجيال القادمة بوجه النظر الغربية وتتوطد العلاقة بينهما وبين الفكر الغربى ، وتكون مستأنسة ومطيعة لما يمليه عليها الغرب وأتباعه ، فضلاً عن ذلك شجع الإنجليز على ثنائية التعليم الأولى والإلزامى والأميرى والحر ، والعام والفنى ، والأجنبى ؛ لخلق الازدواجية الفكرية التى عملت على التفرقة بين المصريين وجعلتهم فى صراع مستمر ، ولقد عانت مصر ولا تزال تعانى من هذه الثنائيات (٢) ، وكما يقول الشيخ حسن البنا : « إن التعليم بكل أنواعه فى مصر مفكك الروابط ، متباعد الحلقات ، غير واضح فى غايته ، وإن ذلك التفكك والتباين فى مناهج التعليم قد أدى إلى تباعد ثقافى وروحى بين طبقات الأمة كلها، الأمر الذى جعل التفاهم متعذرا ، وأوجد الشقاق بين الصفوف » ، واقترح حسن البنا توحيد المناهج ، فى المراحل الأولى فى كل أنواع التعليم والعناية بالتعليم الدينى ، والتاريخ الإسلامى ، والاهتمام بالجانب الخلقى والتهذيبى للطلاب ، وإعادة النظر فى وضع المناهج ، واختيار المواد الملائمة (٣) .

وقد ظل الاستعمار يعمل لتغريب التعليم ، وخلق هذه الازدواجية بين طبقات الأمة والتفرقة بينها طوال فترة بقائه فى مصر ، فضلاً عن السيطرة الكاملة على مناهج وخطط التعليم والتوجيه بما يخدم الهدف الاستعمارى ، واستمر هذا النهج حتى بعد أن حصلت مصر على الدستور فى عام ١٩٢٣م ، وأصبح لها ذات مستقلة . وقد أشار محب الدين الخطيب فى صحيفة الفتح إلى أن برنامج التعليم فى مصر وضعه القس دانلوب (٤) وهو

---

(١) المقتطف ، عدد مايو ١٩٢٦م شوال ١٣٤٤هـ ، نقلا عن د. محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، جـ٢ ص٢٧٣.

(٢) د. سليمان نسيم ، صياغة التعليم المصرى الحديث ودور القوى السياسية والاجتماعية والفكرية ١٩٢٣ - ١٩٥٢م، ص٢٤ .

(٣) الشبان المسلمون ، جـ٤ ، م١ شعبان ١٣٤٨هـ ، يناير ١٩٣٠م .

(٤) كان دانلوب مبشرا اسكتلنديا وقسيسا ، عين مفتشا للتعليم ١٨٩٧م ثم أصبح مستشارًا للوزارة خلال سبعة عشر عامًا ، اختاره كرومر لهذا العمل ، فكان أقوى من الوزير المصرى ، عمل على تحقيق الهدف الذى رسمه كرومر فى تقاريره وهو تمزيق وحدة العروبة والإسلام ، والقضاء على طابع العروبة والإسلام فى التعليم والثقافة العربية ، وإزالة اعتقاد الشباب المسلمين فى كتاب الله ، ومحاربة شعور الطلبة وإحساسهم الدينى والوطنى ، وطعن روح الشباب وحماسه ، واضطهاد كل طالب يظهر ميلاً أو عاطفة نحو بلاده ، وكان يحرم على الطلبة وكل معلم أن يذكر عن مصر وتاريخها ومجدها شيئًا ، كما كان يحرم على الطلبة الصحف الوطنية ، وجعل اللغة الإنجليزية اللغة الأساسية فى التعليم ، بحيث لا يتاح للطالب فرصة =

يهدف إلى تخريج موظفين فى دواوين الحكومة ، وصفهم بأنهم « آلات ميكانيكية تديرها رؤوس إنجليزية ، وتسير بها فى خطط . . . لا تؤدى إلى جعل مصر بلدًا دوليًا » [١] .

وذكر محمد على الطاهر صاحب صحيفة الشورى أن سياسة الاحتلال البريطانى فى وزارة المعارف استهدفت انتزاع الدين وروح الأدب العربى وتاريخ العرب ، وصلة مصر بالعرب ، والدين من برامج التعليم ، ثم أدخلت إلى هذه البرامج فكرة أن مصر فرعونية، وأن أجداد المصريين هم فرعون وهامان ، ولا صلة لمصر بعدنان وقحطان وبالعرب [٢] .

وبناء على ذلك تصدت الصحف الإسلامية لاستمرار أوضاع التعليم فى مصر كما رسمها الاحتلال ، وطالب كتابها بتحرير التعليم ومناهجه ، على أن يكون الدين الإسلامى مادة أساسية فى مناهج التعليم ، وحذرت الصحافة الإسلامية ، من إرسال أولاد المسلمين إلى التعليم فى أوربا ، وبينت خطورة ذلك على كيان الإسلام والمسلمين . وكتب الأمير شكيب أرسلان تحت عنوان : « الأزمة الحقيقية الحاضرة فى الإسلام هى أزمة التعليم » ، بين أهمية التعليم الدينى الإسلامى فى المدارس ، وخطر التوجه العلمانى فى التعليم ، وإرسال النشء المسلم للتعلم فى أوربا ، وقال أيضًا : « إن كل علل الضعف التى حلت بالإسلام أقل خطرًا وأخف ضررا من طريق التعليم اللادينى «العلمانى» التى جرت عليها الحكومات الإسلامية والمسلمون فى هذا العصر ، وهى الطريقة التى ستكون نتيجتها أشد ويلاً على المسلمين من الاستعمار ومن الحروب الصليبية، ومن الغارات الاقتصادية ومن كل مصيبة وداهية » .

وأكد على أن النشء المسلم الذى يذهب إلى أوربا لتلقى التعليم يرجع وفى نفسه احتقار وكره للإسلام والثقافة الإسلامية ، وذلك لما تعلمه فى أوربا من حب للحضارة الغربية وبغض للإسلام ، وأبرز أن الخطأ ليس خطأ أوربا التى تعمل على بث تعاليمها ، والتى لم يوجد عندها معرفة بحقيقة الإسلام ، فالخطأ هو خطأ الحكومات الإسلامية ، التى كانت ترسل الناشئة للتعليم فى فرنسا وإنجلترا وألمانيا وبلجيكا وسويسرا ، وتظن أنها ربت فيهم رجالاً للمستقبل ، مع أنهم فى الحقيقة غير مجهزين بشىء من السلاح المعنوى الذى يمكنهم من الدفاع عن عقيدتهم لو تعرضت للهجوم [٣] .

= لدراسة اللغة العربية . انظر : أنور الجندى : مقدمات العلوم والمناهج ، مرجع سابق ، ص٦٥٩ .

(١) الفتح ، عدد ٧١ ، ٢٣ جمادى الأولى ١٣٤٦هـ ، ١٧ نوفمبر ١٩٢٧م ، مقال بعنوان : « سياسة التعليم فى مصر » .

(٢) أنور الجندى : يقظة الفكر العربى ، مرجع سابق ، ص١٧٩ .

(٣) الفتح ، عدد ١٩٥ ، ١٨ ذو القعدة ١٣٤٨هـ ، ١٧ أبريل ١٩٣٠م .

وذهب شكيب أرسلان إلى وجهة نظر لها احترامها إلى اليوم ، وهى أن ما يجب أخذه واقتباسه من أوربا هو العلوم الطبيعية والميكانيكية والاقتصادية ، وفنون الزراعة والتجارة ، وفى الوقت ذاته دون أن ننسلخ من عقيدتنا وعاداتنا وأخلاقنا وأذواقنا ومقوماتنا الاجتماعية ، وضرب لذلك مثلاً بدولة اليابان ، فقد سبق لها نفس التجربة ، وقد تلقى اليابانيون هذه العلوم وتلك الفنون ، دون أن يغيروا ما كانوا عليه من عادات وعقيدة وذوق وأدب وكتابة (١) .

ولكن يلاحظ أن الذين قادوا النهضة المصرية فى فترة ما بين الحربين هم الذين تعلموا فى أوربا وكان معظمهم يدرس العلوم الاجتماعية والأدبية ؛ ولهذا اتجهت البعثات الطلابية إلى دراسة هذه العلوم بتشجيع من الاحتلال ورواد التغريب والعلمانية فى مصر، بعد أن كانت هذه البعثات فى عصر محمد على ترسل لدراسة العلوم التطبيقية (٢) ، وهذا أمر له دلالته الخطيرة ودوره الهام فى عملية التغريب التى تعرضت لها مصر فى تلك الفترة، كما أشرنا إلى ذلك سلفًا .

ومن أجل ذلك عارضت الصحف الإسلامية الأخذ بمفاهيم التربية ، والنظريات الغربية فى مجال التعليم دون نقد وتمحيص ، وأكدت أنه ينبغى أن نفرق بين ما يصلح منها فى تربية أبنائنا وبناتنا وما لا يصلح ؛ لأن الناس فى تلك الفترة قد فتنوا بمعطيات الغرب ، وشغفوا بكل ما أحدثته المدنية الغربية ، ونسوا أن لكل بلد ظروفه الاجتماعية وعاداته المتوارثة ، وعقائده الدينية وطرائقه فى التفكير ، وأنماط حياته ربما تختلف عن هذا الوافد الغربى ، وليس هناك من شك فى أن كل إصلاح لا يراعى هذه الأمور لا يمكن أن يصل بالمجتمع إلى ما يصبو إليه من غايات وتقدم ورقى ، فضلاً عن ذلك لا ينبغى قطع الحاضر عن الماضى ونسيان تراث الأمة وكنوزها العلمية ، ومعرفة ما تركه السابقون وراءهم من أفكار ومن نتاج علمى وفكرى .

وقد دعا محب الدين الخطيب إلى التحرر من نظام التعليم الغربى مع تحرر الأمم من الاستعمار « لأن هذا النظام أقيم منذ البداية على أسس رسمت لنا تحت ضغوط المستعمرين لتكون متمشية مع مقاصده ، هذه المقاصد لا تضمن لأوطاننا تربية جيل صالح قادر على تحمل المسؤولية وعبء السيادة على أرضه ومقدساته ، وأوضح أن إصلاح التعليم فى الأوطان العربية ـ ومنها مصر ـ لا يكون إلا بهدم أسسه الأجنبية ، واستئناف تأسيسه على أسس عربية إسلامية ، تضمن للمستقبل جيلاً إسلاميًا ، قوى النفس ، مستقيم الأخلاق ، يحسن التوفيق بين العمل لنفسه والعمل لخير الأمة كلها ، وتساعده

(١ ، ٢) الفتح ، عدد ١٩٥ ، ١٨ ذو القعدة ١٣٤٨هـ ، ١٧ أبريل ١٩٣٠م .

أساليب التعليم على أن يكون رجل كفاح فى ميادين العلم والبحث والصناعة والتجارة والاقتصاد » [1] .

وكتب حسن البنا تحت عنوان : « هل نسير فى مدارسنا وراء الغرب ؟ » عارض فيه أن تكون النهضة التعليمية فى مصر قائمة على تقليد أوربا والإعجاب بثقافتها ومناهجها وجعل المدارس المصرية نسخة من مدارس أوربا ، وذهب إلى ما ذهب إليه شكيب أرسلان قبل ذلك بأن نأخذ من مدارس الغرب ومناهجه عنايتهم بالعلوم الطبيعية والمواد العلمية والمعارف الحيوية التى تهدف إلى إدراك سر الوجود ومعالجة مشاكل الحياة وهو العنصر الجوهرى فى رقى الغرب ، أيضًا نأخذ عن مدارس الغرب ومناهجه عنايتهم باتجاهات التربية الحديثة ، ومراعاة مطالبها ، وتأسيس طرق التعليم على أسس وطيدة من دراسة نفس الطفل وطبائعه .

وفى الوقت ذاته أشار حسن البنا إلى أنه لابد من العناية بأمر الدين والاهتمام بشأنه، إلا أن تكون المدارس المصرية خلوا من الدين كما هو الحاصل فى بعض المدارس الغربية التى ترى أن هناك فرقًا بين مدارس الكهنوت ومدارس العلوم المدنية [2] ، كذلك حاربت الصحف الإسلامية المدارس الأجنبية العلمانية ، والمدارس التبشيرية التى انتشرت فى البلاد المصرية ، وأبرزت مساوئها وخطرها على العقيدة الإسلامية وعلى مستقبل النشء المصرى والأجيال القادمة ، وأكدت على دور هذه المدارس فى التغريب وتغيير عوائد الأمة، ومقوماتها .

وحفلت الصحف الإسلامية بالمقالات والمحاضرات والتعليقات التى تنتقد وتندد وتحذر من خطورة المدارس الأجنبية ، فقد أشار الأستاذ عجاج نويهض فى محاضرة له بعنوان : «هل هذه النهضة خاضعة لسلطان العلم ؟ » أن شر القوى المسلطة على النفسية العامة فى البلدان الإسلامية هى المدارس الأجنبية بمختلف علاماتها وأنواع جمعياتها التى تنتمى إليها ، ولا فرق بين التبشيرى منها وغير التبشيرى ، وغالبيتها تقوم بالتبشير النصرانى ، ويضيف الأستاذ نويهض : « إن هذه المدارس مسلحة بأحدث آلات الإفساد ، وعملها الغارة على هذه الأمة الإسلامية ونشئها ، ولا يقل بوجه من الوجوه عن الغارة العسكرية ، بل غارة المدارس الأجنبية أشد وأنفذ من الغارة العسكرية » [3] .

ويلاحظ أنه بعد الحرب العالمية الأولى قد دخلت جهود هذه المدارس فى دور لم

---

(1) أنور الجندى ، الفتح ، تاريخ الصحافة الإسلامية ، القاهرة : دار الأنصار ، ١٩٦٨م ، جـ٢ ص٥٥ .

(2) الفتح ، عدد ٦٦٥ ، ١٦ ربيع الآخر ١٣٤٨هـ ، ١٩ سبتمبر ١٩٢٩م .

(3) المنار ، جـ٣ ، م ٣٠ ، أغسطس ١٩٢٩م ربيع الأول ١٣٤٨هـ ، محاضرة بعنوان : « هل هذه النهضة خاضعة لسلطان العلم ؟ » ألقاها الأستاذ عجاج نويهض فى مدرسة النجاح الوطنية فى القدس ونشرتها المنار نقلاً عن : صحيفة الجامعة العربية التى تصدر فى القدس .

يسبق له مثيل فى التنظيم والارتباط وكثرة الوسائل التى تتوصل بها إلى هدفها ، حتى صارت تشكل خطورة مؤكدة على مستقبل البلاد ، ومستقبل الإسلام فى مصر ، وقد بلغ عدد الذين يدرسون فى المدارس الأجنبية من المصريين حوالى ٣٥ ألفًا ، ليسوا من الطبقة الفقيرة ولا المتوسطة بل هم من أولاد الطبقة العليا ، من أبناء الوزراء والكبراء والمديرين والحكام والقضاة وغيرهم ، هؤلاء نمت مداركهم على كل ما هو أجنبى وحب كل ما هو أجنبى ، وبعد ذلك يصير إليهم الحكم فى البلد ، فيكون منهم الوزير والوكيل والقائد والحاكم ، هذه هى القيود وهذا هو الاستعمار في الواقع ، وهذا هو الخطر المسدد إلى الروح الإسلامية ، فهى الهدف الوحيد المتجه إليها [١] .

ولا شك أن هذه المدارس الأجنبية : «العلمانية والتبشيرية » خطوة أولى فى استعمار الشعوب التى تنشأ فيها كما صرح بذلك اللورد سالسبورى الوزير البريطانى الشهير ؛ لأن الطائفة التى تتخرج فيها تخالف سائر أمتها فى عقائدها ، وأفكارها ، وتقاليدها ، فتحدث فيها صدعا وانشقاقا تنقسم به على نفسها ، فيقتلها هذا الانقسام بأيديهم ، فضلاً عما تحدثه هذه المدارس ، كما يقرر رشيد رضا « من إفساد العقائد الذى يتبعه فساد الأخلاق ، وغلبة الأفكار المادية ، وحب الشهوات والزينة على المتخرجين فيها ، فيحول ذلك دون اتفاقهم حتى فيما يفتنون به من أمور التفرنج » [٢] .

وتجدر الإشارة هنا أيضًا إلى أن خريجى هذه المدارس والمعاهد الأجنبية كان لهم دور واضح فى تغريب الحياة الفكرية والاجتماعية والمصرية ، وتغيير العوائد والتقاليد الإسلامية ، وذلك من خلال ما طرحوا من رؤى وما آمنوا به من أفكار دخيلة على المجتمع المصرى الإسلامى .

فخريجو هذه المدارس قد أنكروا معظم العقائد الدينية ، واستهجنوها وعدوها ـ كما يقول محب الدين الخطيب ـ من خرافات القرون الوسطى ، وقد أخذ هؤلاء يدعون الناس إلى التعاليم الغربية ، ويصدون عن تعاليم الدين بصور مختلفة وطرق متعددة ، كذلك أخذوا يقبحون للناس عادات أسلافهم وأخلاق شعوبهم ، ويدعونهم إلى تقليد الأمم الغربية فى عاداتهم ونظمهم الاجتماعية ، ويحاولون قطع الصلة بين تاريخ المسلمين وحاضرهم [٣] .

وعلى سبيل المثال لا الحصر ، منهم من حَسَّن للنساء ترك الحجاب ، والاختلاط بالرجال بدعوى أن هذه الطريقة المثلى لترقيتهن وازدياد معارفهن ، ومنهم من تابع الغرب

---

(١) النذير ، ٤ ربيع الأول ١٣٥٨هـ ، مقال بعنوان : « خطورة المدارس الأجنبية » بقلم حسن البنا .
(٢) المنار ، جـ١ ، م ٢٦ ، رمضان ١٣٤٣هـ ، أبريل ١٩٢٥م .
(٣) الفتح ، عدد ١٦ ، ٢٣ ربيع الأول ١٣٤٥هـ ، ٣٠ سبتمبر ١٩٢٦م .

فى تشديد النكير على تعدد الزوجات غافلا عن حكمة إباحة الدين لهذا التعدد ، ومنهم من خرج على الدين خروجًا صريحًا بإباحة تزويج المسلمات لغير المسلمين ، وتغيير أحكامهم فى الميراث ، التى وردت فى القرآن الكريم ، والدعوى بأن بعض ما ورد فى هذا الكتاب من الأساطير التى كانت شائعة عند العرب قبل نزوله ، ومنهم من دعا الناس إلى تغيير أزيائهم ، واتخاذ الزى الأوربى ، بحجة أنه أكثر ملاءمة للصحة من الزى الشرقى ، ومنهم من دعا إلى الحيلولة بين طلبة المدارس وتعليم الدين (١) .

وكانت المدارس الأمريكية من أخطر المدارس الأجنبية فى الهجوم على الدين الإسلامى ، وعلى مقومات الأمة المصرية وعوائدها . ومن أبرز مساوئ هذه المدارس :

١ ـ أنها تجلب المجلات النصرانية كالشرق والغرب ، ومجلة الهدى وبشائر السلام التبشيرية وتوزعها على الطلاب لقراءتها والاطلاع عليها ، وهذه الصحف تحوى مطاعن شديدة للإسلام .

٢ ـ تقوم بنشر المساوئ الأمريكية والعادات الهدامة للعفاف والأخلاق .

٣ ـ تكوين الجمعيات الأدبية ، التى هى فى الحقيقة جمعيات تقوم بالتبشير تحت ستار رقيق من الخطب والأناشيد والمحاورات الفكرية .

٤ ـ تشويه تاريخ المسلمين والطعن فى سيرة النبى ﷺ ، إذ يقوم بتدريس التاريخ الإسلامى مبشرون وقساوسة متعصبون .

٥ ـ تقبيح كل ما هو شرقى ومدح كل ما هو غربى (٢) .

وقدمت الصحف الإسلامية احتجاجها لدى وزارة المعارف العمومية على الأساليب التى تنتهجها المدارس الأجنبية فى الهجوم على الدين الإسلامى ، وناشدت وزارة المعارف أن تشكل لجنة للنظر فى مناهج هذه المدارس وتعديلها ، وتوحيد المناهج فى جميع المدارس الأجنبية والحكومية والأهلية ، بحيث ينال الدين والتاريخ الإسلامى القسط الأكبر من العناية فى مناهج التعليم (٣) .

ودعا حسن البنا إلى الاهتمام بالتربية الإسلامية فى مناهج التعليم ، وحث على تربية النشء على أساس إسلامى (٤) .

---

(١) الفتح ، عدد ١٦ ، ٢٣ ربيع الأول ١٣٤٥هـ ، ٣٠ سبتمبر ١٩٢٦م .

(٢) الفتح ، عدد ١٩٦ ، ٢٥ ذو القعدة ١٣٤٨هـ ، ٢٤ أبريل ١٩٣٠م .

(٣) الشبان المسلمون ، جـ٤ ، م ١ ، شعبان ١٣٤٨هـ ، يناير ١٩٣٠م ، والفتح ، عدد ١٨٢ ، ١٦ شعبان ١٣٤٨هـ ، ١٦ يناير ١٩٣٠م .

(٤) الشبان المسلمون ، جـ٢ ، م ٢ ، جمادى الآخرة ١٣٤٩هـ ، نوفمبر ١٩٣٠م .

« ومن أبرز الحملات التى شنتها الصحافة الإسلامية على المدارس الأجنبية الحملة على الجامعة الأمريكية فى القاهرة ، فقد كشفت هذه الحملة عن أهداف الجامعة ، ودورها التبشيرى والتغريبى ، ولا سيما بعد أن نظمت الجامعة الأمريكية عدة محاضرات، قام فيها المحاضرون بالطعن فى العقيدة الإسلامية والدعوة إلى الفرعونية ، فقد ألقى مرقص سميكة محاضرة فى الجامعة الأمريكية فى عام ١٩٢٦م شكر فيها وزارة المعارف لعنايتها بتدريس تاريخ الفراعنة لتلاميذ المدارس ، بعد أن كان مهملاً، وأبدى فيها كرهه للعرب وكل ما هو عربى ، واعتبرهم محتلين لمصر كالرومان واليونان وغيرهم ، كما أنه لم يخف حقده للحضارة العربية والإسلامية [١] ، وألقى كامل منصور والدكتور فخرى ميخائيل محاضرات فى الجامعة الأمريكية أيضًا هاجما فيها الدين الإسلامى [٢] ، وهاجم الأستاذ جفرى المدرس بالجامعة الأمريكية فى محاضرة له الرسول ﷺ قائلاً : « إن مقاييس النبوة الصحيحة أن يأتى النبى بشىء جوهرى جديد ، وألا يكون شهوانيا ، وعلى هذا لايعد محمد نبيًا بل مصلحا فقط » [٣] .

وقد أحدث هذا الهجوم ردود فعل مثيرة وشديدة من جانب كتاب الصحافة الإسلامية ، وكتب أبو زيد شلبى فى صحيفة « الفتح » متسائلاً : « كيف تنظم الجامعة الأمريكية المحاضرات فى الطعن على الدين الإسلامى فى بلد هو كعبة المسلمين ، ودينه الرسمى هو الإسلام وحكومته إسلامية ؟ » [٤] ، وناشد أولى الأمر أن ينظروا فى هذا الأمر قبل أن يستفحل خطره ويذاع أمره بين المسلمين ، فيحدث ما لا يحمد عقباه ، وأشار محمد حسن علاء الدين الطالب الفلسطينى بالجامعة الأمريكية بالقاهرة أنه كان يحسن الظن بهذه الجامعة ، ويرى أنها معهد علمى حسن النية ، ولكن لما اطلع على ما فيها من روح عدائية للإسلام تغير رأيه . . وأبان أن أساتذة الجامعة الأمريكية يرشدون الطلاب إلى مراجعة الكتب الخبيثة المليئة بالفحش والتطاول على مقام سيدنا محمد ﷺ ، ومن هذه الكتب كتاب اسمه : «مشاكل الدين » تأليف « ديورنت دريك » ، ومما قاله دريك فى كتابه : « كان النبى ذا مزاج عصبى مريض ، وكان يبتدع خيالات لا أصل لها تؤيد دعوته ، وتجذب الناس إليه ، لقد سود النبى محمد صفحة حياته ببعض أعمال قاسية خداعة ، حينما حشد القبائل البدوية المتوحشة تحت راية الله كيما تنشر بالسيف الدين الإسلامى الجديد ، وحللت الشريعة الإسلامية العبودية ، وتعدد الزوجات ،

---

(١) د. زكريا سليمان بيومى : الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية ، مرجع سابق ، ص٤٩ .
(٢) الفتح ، عدد ١٩٦ ، ٢٥ ذو القعدة ١٣٤٨هـ ، ٢٤ أبريل ١٩٣٠م .
(٣) الفتح ، عدد ٢٦ شوال ١٣٤٨هـ ، ٢٠ مارس ١٩٣٠م .
(٤) الفتح ، عدد ٢٣ ، ١٣ جمادى الأولى ١٣٤٥هـ ، ١٨ نوفمبر ١٩٢٦م .

وأعطت قيد الطلاق للرجل » (١) .

هذه فقرة من الكتاب الذى جعلته الجامعة الأمريكية من المراجع لطلابها ، والذى ينطوى على هجوم صريح على الدين الإسلامى ورسوله وشرائعه ، ويؤكد دور هذه الجامعة فى محاربة الإسلام ، وأن الغرض الذى قامت من أجله ليس للثقافة والتربية الخالصة لوجه الله ، وإنما أنشئت هذه الجامعة لمهاجمة الإسلام بأساليب أخرى تتخذ من العلم والتربية ستارا لتحقيق أغراضها فى تشكيك المسلمين فى أمر دينهم ، ومن ذلك المحاضرة التى ألقاها الدكتور فخرى ميخائيل فى الجامعة الأمريكية هاجم فيها الشريعة الإسلامية ، وزعم أنها ظلمت المرأة فى الميراث ، وأن الإسلام لم يعط للمرأة حقوقها ، وقد انبرى للرد عليه عمر إبراهيم الدسوقى فى « الفتح » (٢) ، غير أن الكاتب عمر عنايت دافع عن الدكتور فخرى وزعم أن أحكام الإسلام لم تعد صالحة للعصر الحالى ، هنالك تصدى له محب الدين الخطيب وأطلق عليه جورجى عنايت لأنه لا يدافع عن القبطى إلا من كان مثله ، وقال الخطيب : « سمته أمه عمر عنايت فأخطأت ، وسماه الأستاذ عباس حافظ جورجى عنايت فأصاب ، وهل يدافع عن فخرى ميخائيل إلا من يكون جورجى عنايت » (٣) .

وهكذا مضت الصحف الإسلامية توضح الهدف الذى أنشئت من أجله الجامعة الأمريكية فى مصر ، والأغراض المستهدفة منها ، وأبرزها تشكيك المسلمين فى دينهم وبث المطاعن فى الشريعة الإسلامية ، والترويج للدعوات الهدامة والمغرضة ، كالدعوة إلى الفرعونية وغيرها ، فضلاً عن دورها التبشيرى الخطير .

وكذلك عملت الصحف الإسلامية على مقاومة التيار التغريبى فى الجامعة المصرية ، والذى حاول أن يجعل من هذه الجامعة نسخة من الجامعات الغربية فى هجومها على الدين ، وفصله عن السياسة وقيادة شؤون المجتمع الأخرى .

وقد وصف رشيد رضا الجامعة المصرية « بأنها وكر الملحدين » وأشار إلى أن دعاية الإلحاد تذاع من دروس الجامعة المصرية ومحاضراتها ، وأن أساتذة هذه الجامعة يحاربون الدين والفضيلة جهرًا وعلانية وفى مقدمتهم طه حسين فى كتابه « الشعر الجاهلى » ، وأكد رشيد رضا على أن ملاحدة الجامعة المصرية أضر على عقائد الإسلام وآدابه وشرائعه وحكومته من دعاة النصرانية الذين يشك الناس فى كلامهم بتهمة العداوة الدينية ،

---

(١) الفتح ، عدد ٢٤٤ ، ٧ ذو القعدة ١٣٤٩هـ .

(٢) الفتح ، عدد ١٨٦ ، ١٤ رمضان ١٣٤٨هـ ، ١٣ فبراير ١٩٣٠م .

(٣) الفتح ، عدد ١٨٧ ، ٢١ رمضان ١٣٤٨هـ ، ٢٠ فبراير ١٩٣٠م .

ويأخذون كلام هؤلاء بالقبول لانتفاء التهمة عنهم [1] .

والمتتبع للصحف الإسلامية فى فترة ما بين الحربين العالميتين يجدها وقفت بالمرصاد لدعاة العلمانية ، وأخذت تحصى عليهم أعمالهم وتتابع كل أقوالهم وأفكارهم ، سواء فى الصحف التى كانوا يكتبون فيها أم فى الجامعة التى كانت حافلة بمحاضراتهم وأقوالهم ومساجلاتهم ، أم فى غيرها من المؤسسات التعليمية والفكرية .

وحينما احتفلت الجامعة المصرية بذكرى رينان ـ المفكر الفرنسى ـ وألقى فى هذا الحفل الشيخ مصطفى عبد الرازق محاضرة عن رينان والأفغانى ، ذكر فيها ما قاله رينان عن الإسلام بأنه عدو العلم والعقل ، وطعنه فى العرب بأن عقولهم قاصرة بطبيعتها غير مستعدة لفهم الفلسفة وما وراء الطبيعة ، وأشار إلى أن جمال الدين الأفغانى وافق رينان على كون الإسلام عدو العلم ، والعقل ، وخالفه فى طعنه على العرب .

هنالك انبرى رشيد رضا للرد على الشيخ مصطفى عبد الرازق ومهاجمة هذا الحفل، ومما قاله رشيد رضا : « إن رينان كاتب من كتاب فرنسا وملاحدتهم ، اشتهر اسمه فى مصر ، وبعض البلاد العربية من خلال محاضرة ألقاها بعنوان « الإسلام والعلم » طعن فيها فى الدين الإسلامى والأمة العربية ليهدم ما ذكره علماء فرنسا من الإشادة بتاريخ العرب والإسلام ، من أمثال غوستاف لوبون صاحب كتاب (حضارة العرب) ، والعلامة سديو صاحب كتاب (تاريخ العرب) » ، ومضى رشيد رضا فى ردوده قائلاً : « إنه مما يثير العجب أن الجامعة المصرية أقامت حفلاً لهذا الملحد بمناسبة عيد ميلاده » ، ثم يذكر تأثر طه حسين برينان وطعنه فى الإسلام ، ورأى أن هذا هو السبب فى اختيار أساتذة الجامعة ومن بينهم طه حسين للاحتفال بذكرى رينان .

وفند رشيد رضا ما أشار إليه الشيخ عبد الرازق من أن جمال الدين وافق رينان على كون الإسلام عدو العلم والعقل ، ونقل ما كتبه الشيخ محمد عبده عن رأى أستاذه الأفغانى « فى الدين والعلم » ، ومما ذكره فى هذا الشأن أن الإسلام دين العقل والحكمة والفلسفة الصحيحة ، وأنه لولا تأثير تعاليمه لما انتقل العرب من الأمية إلى أعلى مما كان عليه البشر فى كل علم وفن ونظام وعمران فى مدة جيل واحد ، حتى سادوا الفرس والروم والأوربيين وغيرهم [2] .

وواصل رشيد رضا هجومه على حملة الفكر الغربى فى الجامعة المصرية الذين يشككون فى فكر الأفغانى ، واتهامه بالمروق من الدين ، وبخاصة بعد سفره إلى فرنسا ، يقول رشيد رضا : « أرى فى هذا البلد أفرادًا يعنون فى هذه الأيام بإفساد عقائد المسلمين

---

(١) المنار ، جـ٢ ، م ٢٧ ، شوال ١٣٤٤هـ ، مايو ١٩٢٦م .

(٢) المنار ، جـ٤ ، م ٢٤ ، شعبان ١٣٤١هـ ، أبريل ١٩٢٤م .

وتجرئتهم على الكفر ، وعلى الفسق أيضًا ، حتى زعم بعضهم ـ يقصد الدكتور طه حسين فى حديث الأربعاء ـ أن أكثر المسلمين كانوا كذلك فى القرن الثانى الهجرى مرتابين فى الدين وفاسقين عنه . . بدليل ما يوجد فى بعض كتب الخلاعة والأخبار من حكاية ما يؤثر فى ذلك عن بعض الأفراد والشعراء والمغنين والمخنثين ، مثل كتاب الأغانى ، وأشار رشيد رضا إلى أن رواة هذه الأخبار لا يوثق بهم ، وأن من يريد أن يتعرف على أحوال المسلمين يرجع إلى كتب المحدثين الثقاة ، وتراجم العلماء والصالحين الذين ملأوا الدنيا علمًا وفضلاً وقدوة صالحة [1] .

ويلاحظ أن التيار التغريبى فى الجامعة المصرية كان يتركز فى كلية الآداب ، وذلك لدورها الخطير فى إحلال مفاهيم الغرب فى مجال الأدب واللغة والتاريخ ، ويكشف توفيق الحكيم عن دور الجامعة فى التغريب حين يقول : « كان المفهوم عند إنشاء الجامعة المصرية أن يقام فى مصر هيكل للفكر الحر يعنى بشؤون التعليم والفكر ، مطلقة من كل قيد كما هو مطبق فى أوربا » [2] ، ولكن هذا المفهوم لم يجد قبولا لدى كتاب الصحافة الإسلامية ، وانبروا للرد عليه ، وكان فى مقدمتهم شكيب أرسلان ومحب الدين الخطيب ، وذكر شكيب أرسلان أن الذين يدعون إلى حرية الفكر فى مصر فى كل شىء ـ ولو كان على حساب الدين ـ دعواهم باطلة ، ويقيم الدليل على بطلان هذه الدعوة فيقول : إن الحرية فى أوربا هى مطلقة بالنسبة إلى بعض البلاد الشرقية وبالنسبة إلى القرون الوسطى . . . أما الحرية بعد ذلك فتبقى مطلقة إلى أن تصطدم بسبب من الأسباب السياسية أو الدينية أو الاجتماعية فأقل مدير أمن يقضى عليها « وكل عمل يحدث قلقا فى المجتمع أو ثورة فى الأفكار تحظره الحكومة ولا يستطيع أى كاتب من كتاب أوربا أن يسخر من الدين المسيحى » [3] .

وكان رأى محب الدين الخطيب أن الجامعة المصرية ـ وكل جامعة فى العالم ـ مطالبة فى البيئة التى نشأت فيها بأن يتنزه القائمون بها عن كل مايثير الشكوك نحو دين البلاد ومقدساتها وحقوقها ، فلا يتخذوا من البحث العلمى وحرية الرأى ستارا للهجوم على الدين ولا سيما إذا كان هذا الدين صادقا وداعيا إلى الحق والبحث والمعرفة كالدين الإسلامى [4] ، وأشار إلى بعض الأمثلة لهجوم الجامعة على الإسلام ونبيه من خلال ما تدرسه فى مقرراتها ، حيث ذكر أن رواية إنجليزية اسمها سان جوان تدرس فى كلية الآداب ، وتحمل الطعن فى النبى ﷺ ، وكتابا للكاتب الإنجليزى برنارد شو قررته الجامعة

---

(١) المنار ، جـ٤ ، م ٢٤ شعبان ١٣٤١هـ ، أبريل ١٩٢٣م .

(٢) أنور الجندى : يقظة الفكر العربى فى مواجهة التغريب ، مرجع سابق ، ص٣٣ .

(٣) الفتح ، عدد ٢٠٤ ، ٢٢ محرم ١٣٤٩هـ .

(٤) أنور الجندى : يقظة الفكر العربى فى مواجهة التغريب ، مرجع سابق ، ص٣٣ .

أيضًا على طلابها يحتوى على هجوم صريح للإسلام ورسوله (١) .

فضلا عن ذلك ، كان للجامعة المصرية وأساتذتها دور فى الطعن على القرآن الكريم وتغريب الطلاب ، ووضعهم على المنهج الأوربى فقد أشارت إلى ذلك صحيفة «الفتح»، وأن الجامعة المصرية تطعن فى القرآن الكريم ، حيث قال زكى مبارك ـ أحد أساتذة هذه الجامعة أثناء إلقاء دروسه على الطلبة : « إن القرآن لا يوافق كل العصور بل يوافق العصر الذى نزل فيه » (٢) . وذكر الشيخ عبد الباقى سرور أن الدكتور زكى مبارك وصف لغة القرآن الكريم بالوحشية ، ووضع بلاغة العصر العباسى فوق بلاغة القرآن الكريم (٣) ، وفى مقال آخر يؤكد الشيخ عبد الباقى سرور أن الجامعة المصرية تبث روح الإلحاد فى نفوس الطلاب ، وتعتنق الآراء الشاذة ، ولم تقم بواجبها الوطنى والعلمى ، ولم تنشر مؤلفات تعتبر مراجع للناس ، ولم تقدم من العلوم والمعارف آراء جديدة ، وطالب فى نهاية مقاله بتغيير سياسة التعليم فى الجامعة المصرية ، على أسس جديدة تنبثق من روح الدين الإسلامى (٤) .

وهذا التأكيد من الشيخ سرور ، وإن كان فيه الكثير من المبالغة ؛ لأن الجامعة المصرية خرجت الكثير من المفكرين والعلماء ، ومكتبات كلياتها زاخرة بكتب العلم فى شتى مجالاته ، إلا أنه يدل دلالة قوية على نهج الجامعة نهجًا غربيًا فى أنشطتها ومظاهرها العامة ، ولا سيما فى تلك الفترة بالذات ، الأمر الذى دفع طلاب كلية الحقوق بالجامعة إلى التقدم إلى مدير الجامعة ، وعمداء الكليات بمذكرة يطلبون فيها عدة طلبات أهمها :

١ ـ إدخال الدراسة الدينية فى جميع الكليات وتوحيد زى الطلاب .

٢ ـ توحيد زى الطالبات .

٣ ـ توحيد الطلبة فى الجامعة مع تمييز طلبة كل كلية عن الأخرى بإشارة خاصة .

٤ ـ تحديد أماكن للطالبات فى كلية الآداب (٥) .

وتحفظ لطفى السيد باشا مدير الجامعة فى الرد على هذا الموضوع ، وأبدى رغبته فى تأجيل الإجابة على مذكرة الطلاب ، ورأى أحد أساتذة التاريخ بكلية الآداب وهو الدكتور عبد الحميد العبادى أن الجامعة المصرية هدفها الأساسى الإسهام فى الحركة العلمية

(١) أنور الجندى ، الفتح ، تاريخ الصحافة الإسلامية ، ص١٤٣ ، ١٤٤ .

(٢) الفتح ، عدد ٢٢ ، ٦جمادى الأولى ١٣٤٥هـ ، ١١نوفمبر ١٩٢٦م .

(٣) الفتح ، عدد ٧٠ ، ١٦ جمادى الأولى ١٣٤٦هـ ، ١٠ نوفمبر ١٩٢٧م .

(٤) الفتح ، عدد ٧١ ، ٢٣ جمادى الأولى ١٣٤٦هـ ، ١٧ نوفمبر ١٩٢٧م .

(٥) سهير إسكندر : جريدة المصرى والقضايا الوطنية ١٩٣٦ ـ ١٩٤٦م ، القاهرة ، مكتبة سجل العرب ١٩٨٦م ، ص٣٨٩ ، وأنور الجندى ، الفتح ، تاريخ الصحافة الإسلامية جـ٢ ص١٣٧ .

العالمية، وأن الأزهر الشريف هو المكان المخصص لتدريس الدين ، وأنه لا داعى للفصل بين الجنسين ، وعند سؤال الدكتور طه حسين عن رأيه صرح قائلاً : « أنا لا أعرف فى كتاب الله ولا فى سنة رسوله نصا يحرم اجتماع الفتيان والفتيات حول أستاذ يعلمهم العلم والأدب والفن » (1) .

وقد أثار هذا التصريح ثائرة جهات كثيرة ترفض الاختلاط ، منها طلبة كلية الطب وأساتذة الأزهر الذين هاجموا الدكتور طه حسين بشدة (2) ، فضلاً عن ذلك وجد هذا التصريح ردودا مثيرة فى الصحافة الإسلامية ، كان أبرزها ما كتبه محمد إسماعيل عبد النبى فى الفتح قال : « إذا كان الدكتور طه لا يعرف هذا النص فهل معناه أنه غير موجود؟ وهل الدكتور طه عالم من علماء الدين أو فقيه من فقهاء المسلمين حتى يقام لرأيه وزن فى الشؤون الدينية » ومضى الكاتب يقرر أن الأدلة الشرعية المتفق عليها هى الكتاب والسنة الصحيحة والإجماع والقياس ، وأنه مما امتاز به الإسلام فى قواعده العامة أنه جعل درء المفسدة أساسًا للأمور الأدبية الشرعية ، واختلاط الجنسين وهو ينبوع المفاسد محرم بهذه القاعدة الشرعية ، وأن القرآن أورد آيات كثيرة حول هذا المعنى ، وهذه الآيات واضحة المعنى فى الدلالة على تحريم الاختلاط (3) .

ويلاحظ أن الصحافة الإسلامية قد أخذت موقفا معارضا من قضية الاختلاط بين الجنسين فى مقاعد التعليم بجميع درجاته وأنواعه ، لأنه ـ على حد تعبير رشيد رضا «ناشئ عن تقليد الإفرنج لا عن خبرة تامة ، واستقلال فى الرأى ولا موازنة بينه وبين ما يعارضه فى الضرر والنفع ، وما بيننا وبين الغربيين من تمايز وفروق » .

واعتبر رشيد رضا الاختلاط تغييرًا لهويتنا الثقافية والاجتماعية ومقومات الأمة وعوائدها ، وأبطل حجج القائلين باختلاط الجنسين فى جميع مراحل التعليم وزعمهم أنه خير وسيلة للتربية الصحيحة لأن كلا منهما يختبر الآخر ، فيقف على أخلاقه وآدابه وآرائه ومقاصده من الحياة ، ومن ثم تتكون الأسرة على أساس ثابت صحيح لا يقوضه جهل أحدهما بالآخر .

ورأى رشيد رضا أن هذه نظرية خيالية تنقصها الخبرة والتجارب العملية ، ولو ثبتت من بعض الوجوه لكان ما يعارضها من مفاسد الاختلاط فى الأمة أحق وأولى بالترجيح وأشار رشيد رضا إلى مخاطر الاختلاط ، والتى نوجزها فيما يلى :

---

(1) سهير إسكندر : جريدة المصرى والقضايا الوطنية ، مرجع سابق ، ص٣٩٠ ، وجريدة المصرى ، ١٠ مارس ١٩٣٧م .

(2) سهير إسكندر : جريدة المصرى والقضايا الوطنية ، مرجع سابق ، ص٩٢ .

(3) أنور الجندى ، الفتح ، تاريخ الصحافة الإسلامية ، جـ٢ ص١٣٩ ، ١٤٠ .

١ ـ الاختلاط يزكى نار الفتنة بين الجنسين ، ويصرف قوة الذهن عن التعليم .

٢ ـ اختلاط الجنسين له مفاسده الدينية والصحية والاقتصادية أيضًا .

٣ ـ الاختلاط فى المدارس خطوة نحو الاختلاط فى جميع صوره ، وفى ذلك خطر على العادات الاجتماعية .

٤ ـ الاختلاط فيه هدم لكثير من أحكام الدين وآدابه [١] .

كذلك هاجمت صحيفة المنار مراد بك سيد أحمد ، الذى تولى منصب وزير المعارف بعد أحمد لطفى السيد ، وذكر رشيد رضا أنه حاول تغريب التعليم أكثر من الذى قبله ؛ لأنه أجاز التمثيل الإباحى والرقص التوقيعى بين البنين والبنات على أنه من الرياضة البدنية وتجديد المدنية .

واتهم رشيد رضا الحكومة بأنها متعمدة القضاء على هداية الدين فى الأمة وتربية بناتها وبنيها على الإلحاد والإباحة المطلقة [٢] .

ويلاحظ أنه فى سبيل محاربة تغريب التعليم فى مصر رأى قادة الصحافة الإسلامية إصلاح التعليم فى الأزهر لمواجهة التعليم العلمانى فى الجامعة المصرية ، وأكدت الصحف الإسلامية على أن الذى ساعد على تغريب التعليم فى مصر ، هو حالة الضعف التى حلت بالأزهر ، وحملته بذلك التبعة لا فى تدهور التعليم الإسلامى فحسب ، بل وفى نجاح خصوم الإسلام كذلك ؛ لأن الأزهر ـ كما صرح الشيخ محمد عرفه ، أحد المدرسين فيه ، فى مقال بعنوان : « الإصلاح الحقيقى والواجب للأزهر والمعاهد الدينية » ـ وصل إلى حالة انغلقت الدراسة فيه على الكتب القديمة ، وجمد نظام التعليم فيه وانعزل عن التقدم العلمى ، وتطور الأمة ، وتغير الزمن [٣] ، فضلاً عن ذلك كان أنصار التيار العلمانى يحاولون النيل منه ومن رجاله باعتباره « الحصن الحصين للدين الإسلامى فى مصر والعالم الإسلامى » [٤] وداومت الجرائد العلمانية على وصف الأزهريين بالجمود والتأخر ، وتلقب معهدهم بمباءة الانحطاط والرجعية [٥] .

ويذكر محمود عزمى فى حديثه عن تنظيم الجامعة المصرية لعرض قانونها على مجلس

---

(١) المنار ، جـ٢ ، م ٣٠ ، صفر ١٣٤٨ ، يوليو ١٩٢٩م ، مقال بعنوان : « مفاسد الاختلاط بين البنين والبنات فى المدارس » لرشيد رضا .

(٢) المنار ، جـ٤ ، م ٣٢ ، ذو الحجة ١٣٥٠هـ ، أبريل ١٩٣٢م .

(٣) المنار جـ١٠ ، م ٢٨ ، رجب ١٣٤٦هـ ، يناير ١٩٢٨م .

(٤) الهداية الإسلامية ، جـ٥ ، م ٢ ، شوال ١٣٤٨هـ .

(٥) السياسة الأسبوعية ، عدد ٤٩ بتاريخ ١٢ فبراير ١٩٢٧م . سنعالج قضية الاختلاط بتفصيل أكثر فى المبحث الخاص بقضايا المرأة .

النواب ، أن الجامع الأزهر ظل جامدا بغير تحول وغير تطور منذ القرون الوسطى (١) ، وعندما ألفت الوزارة لجنة لإصلاح الأزهر عام ١٩٢٧م أخذت صحيفة السياسة تنادى بصبغ الأزهر بالصبغة العصرية ، وهجر طرق التدريس العتيقة فيه ، بينما طالبت صحيفة البلاغ بضم الأزهر والمعاهد الدينية التابعة له إلى وزارة المعارف ؛ لأنها هى الوزارة المسؤولة عن شؤون البلاد . والهدف من ذلك تقليص دور الأزهر وحصر أصحاب الثقافة الدينية والإسلامية فى المساجد ومنعهم من احتلال المناصب التى تتصل بتوجيه المجتمع وتنفير الناس منهم ، وذلك واضح فيما كتبه طه حسين فى مجلة « الرابطة الشرقية » تحت عنوان : « إصلاح الأزهر » يدعو فيه إلى عزل الأزهر عن مجال الحياة والسياسة ، وأن يصير مدرسة وعظ وإرشاد ، وألا يكون للمتخرجين فيه حق فى مناصب الحكم ، والتصرف فى شؤون الدولة لا فى القضاء ولا فى التعليم ولا فى غير ذلك .

وقد رد على طه حسين الشيخ محمد الخضر حسين ، موضحًا أنه يريد بذلك إلغاء المعاهد الدينية لا إصلاحها ، وأن يوهم السذج أن الإسلام لا صلة له بالقضاء ولا شؤون الدولة، وإلا فما الذى يمنع المتخرج من الأزهر ، والدارس للعلوم الإسلامية والعربية من أن يكون مدرسًا لهذه العلوم فى مدارس الحكومة ، وإذا كانت أصول الشريعة وأحكامها تدرس فى الأزهر بإتقان ، فما الذى يمنع خريجى الأزهر من أن يتقلدوا مناصب القضاء» (٢) .

وكذلك انبرى للرد على السياسة الأسبوعية الشيخ عبد الباقى سرور ، حينما كتبت تحت عنوان : « ظروف إنشاء الجامعة وأغراضها » تشير إلى أن الجامعة المصرية ستحل من ناحية النفوذ خارج الحدود المصرية محل الجامع الأزهر ، ونفوذه الكبير فى تلك العصور التى مضت (٣) ، قال الشيخ سرور فى الرد على هذا الزعم : إن « نفوذ الإسلام فى بلاد الإسلام نتج عن قيامه بخدمة علوم الإسلام ، فهل يمكن للجامعة أن تحل محله فى القيام على العلوم الإسلامية » ؟ ويجيب على هذا التساؤل قائلاً : « إن غرض الجامعة المصرية ينطق بأنها ما أنشئت لتقوم بتعليم العلوم الإسلامية ، والدفاع عن الإسلام ، بل هى بعيدة كل البعد عن ذلك ، وإذًا فكيف يتهيأ لها أن تحل من نفوس المسلمين محل الأزهر» (٤) ، ومضى الشيخ سرور يدافع عن الأزهر ويبرز فضله فى حماية الديانة

---

(١) السياسة الأسبوعية ، عدد ٥٨ ، ١٦ أبريل ١٩٢٧م ، نقلاً عن د. محمد سيد محمد : هيكل والسياسة ، مرجع سابق ، ص١٥٥ .

(٢) الهداية الإسلامية ، جـ٢ ، م ١ رجب ١٣٤٧هـ ، مقال بعنوان : « إصلاح المعاهد الدينية وطه حسين » ، والفتح ، عدد ١٣١ ، ٦ شعبان ١٣٤٧هـ ، ١٧ يناير ١٩٢٩م .

(٣) السياسة الأسبوعية ، ٢٦ فبراير ١٩٢٧م .

(٤) الفتح ، عدد ٣٥ ، ٨ شعبان ١٣٤٥هـ ، ١٠ فبراير ١٩٢٧م ، مقال بعنوان : « الأزهر لا غنى للحياة =

الإسلامية والصد عنها ضد عادية الغرب وقهر أوربا ، وأشار إلى أن مصير الإسلام كدين يخشى عليه من الحملات الموجهة ضده لو تمكنت الجهود التى بذلت فى محاربة الإسلام التغلب على الأزهر (١) .

ومن أجل ذلك كان الاهتمام بالجامعة الأزهرية ، والدفاع عن الأزهر وإصلاح نظم التعليم فيه والعناية بالتربية الإسلامية والتعليم الدينى ، وكانت الدعوة إلى إصلاح الأزهر أن يحتفظ بشخصيته فى حفظ التراث الإسلامى واللغة العربية والشريعة الإسلامية ، مع الاحتفاظ أيضًا بروح العصر وعلومه ، فلا ينطوى على نفسه ويرمى بالجمود ، أو يكون نموذجًا للمدارس العصرية العلمانية ، وهذا ما دعا إليه الشيخ محمد مصطفى المراغى (٢) حينما تولى مشيخة الأزهر ١٩٢٨م (٣) .

ويلاحظ أن الصحف الإسلامية قد أيدت الشيخ المراغى فى دعوته لإصلاح الأزهر «الدينى والدنيوى » ، ونددت بمواقف الشيوخ الذين أنكروا عليه دعوته إلى الإصلاح وإدخال العلوم العصرية فى الأزهر ، وطالب رشيد رضا بأن يجمع الأزهر بين التعليم الدينى والتعليم المدنى ، وإدخال العلوم العصرية إلى الأزهر مثل علوم النفس والأخلاق والاجتماع والتاريخ ولا سيما التاريخ الدينى ، والمقارنة بين الأديان وسائر ما يسمى بالعلوم الجديدة ، بشرط أن تكون خالية مما يثير الشكوك والشبهات فى الدين ، واقترح رشيد رضا لذلك الغرض تكوين لجنة للتأليف والترجمة وتحضير الدروس ، يكون بعض أعضائها من العارفين باللغات الأجنبية الألمانية والإنجليزية والفرنسية ، والبعض الآخر من أهل البصيرة والرسوخ فى علوم الدين ، وبخاصة التفسير والحديث والأصول وأحكام التشريع ، فضلاً عن إنشاء لجنة فى إدارة المعاهد الدينية للفتوى العامة فى كل ما يتعلق بالعقائد الإسلامية وأحكام التشريع ورفع الشبهات عن الدين (٤) .

وفى البحث الذي أعده محمد أفندى درويش (٥) عن إصلاح الأزهر ونشرته صحيفة الإخوان المسلمين فى سلسلة مقالات ، اقترح الباحث :

١ ـ أن يدلي الأزهر برأيه إزاء ما أحدثته المدنية الحديثة من تطور فى مجال المعاملات

= الإسلامية عنه » بقلم الشيخ عبد الباقى سرور .

(١) الفتح ، عدد ٣٦ ، ١٥ شعبان ١٣٤٥هـ ، ١٧ فبراير ١٩٢٧م المنار ، جـ٧ ، م ٢٩ ، جمادى الأولى ١٣٤٧هـ ، نوفمبر ١٩٢٨م .

(٢) من أبرز المشايخ الذين نادوا بإصلاح الأزهر قبل الشيخ المراغى : الشيخ محمد عرفة ، والشيخ محمود أبو العيون ، والشيخ محمد حسنين مخلوف ، والشيخ عبد الشكور على ، والشيخ عبد المتعال الصعيدى ، والشيخ محمد الأودن ، والشيخ عبد الباقى سرور ، والشيخ محمد العدوى .

(٣ ، ٤) المنار ، جـ٧ ، م ٢٩ ، جمادى الأولى ١٣٤٧هـ ، نوفمبر ١٩٢٨م .

(٥) عضو مكتب الإرشاد بجماعة الإخوان المسلمين.

المالية والاقتصادية وما إليها ، مثل أعمال المصارف والبورصات والقراطيس المالية والبنوك، والتى لم يشهدها الفقهاء المتقدمون .

٢ ـ أن تؤلف لجنة من العلماء المبرزين فى الأزهر تتوفر على دراسة ما كتبه الأوربيون فى بحوثهم ومؤلفاتهم عن الإسلام ، ومحاولة تنقية هذه البحوث مما علق بها من سموم .

٣ ـ العناية بالتراث الدينى والعلمى والخلقى ، وقيام الأزهر بدوره فى الهداية والإرشاد [١] .

ورأى الشيخ عبد العزيز جاويش أنه لإصلاح الجامعة الأزهرية ينبغى العدول عن الكتب التى وضعت فى العصور الأخيرة موجزة ومعقدة، حتى كادت أن تكون أحاجى وألغاز ، ووصف هذا بأنه مضيعة للوقت صارف للطلاب عن الجوهر واللباب، وقرر أنه يجب تأليف كتب حديثة سهلة التناول حسنة التبويب والتفسير يستعان فى هذه الكتب بما للسلف من كتب فى مختلف العلوم [٢] . فضلا عن إيفاد بعثات من الأزهر إلى الخارج للاستزادة من المعرفة فى جامعات الغرب المشهورة ودراسة اللغات الأجنبية فى الأزهر[٣].

واقترح الأمير محمد على فى جريدة المقطم أن يقسم التعليم الدينى قسمين : أحدهما: يناط بالجامعة المصرية ويتبع وزارة المعارف، وثانيهما: الأزهر ، ويقتصر التعليم على ما كان يدرس فيه من العلوم الشرعية قبل نصف قرن، وأن يستقل الأزهر عن الحكومة، غير أن هذا الرأى لم يعجب رشيد رضا لأنه يعزل الأزهر ويقلص دوره ، ويحرمه من الميزانية التى خصصتها الحكومة له ، فضلا عن حرمان الأزهريين من الوظائف الشرعية ، وأشار رشيد رضا إلى أن أى إصلاح يتخذ بشأن الأزهر لابد من أخذ رأى أهل الأزهر فيه ، فضلا عن ذلك فإن القانون الذى تقدم به الشيخ المراغى يجمع بين النظامين اللذين اقترحهما سمو الأمير ، غير أنه يجعل كلا منهما تابعا لإدارة واحدة وهى: إدارة المعاهد الدينية ، ولاشك أن هذا أضمن إلى جعل التعليم إسلاميا خالصا من إدارة الجامعة المصرية له ، حيث إن بعض القائمين عليها هم من المتفرنجين والملحدين[٤].

ويلاحظ أنه على الرغم من بعض الانتقادات التى كانت توجهها الصحف الإسلامية

---

(١) الإخوان المسلمون ، عدد ٧٣ ، صفر ١٣٥٥هـ ، ٢٨ أبريل ١٩٣٦م.

(٢) أنور الجندى ، الفتح ، تاريخ الصحافة الإسلامية ، جـ٢ ص ٢٥١ .

(٣) الشبان المسلمون ، جـ١ ،م٧، جمادى الآخرة ١٣٥٤هـ، أكتوبر ١٩٣٥م ، سلسلة مقالات كتبها الدكتور على مظهر عن إصلاح الأزهر بعنوان : « فى سبيل الأزهر » ويلاحظ أن الشيخ حسن البنا ورشيد رضا عارضا هذا الرأى وطالب رشيد رضا بإلغاء البعثات الأزهرية إلى الخارج ، وذهب حسن البنا إلى مراعاة القصد فيها.

(٤) المنار ، جـ٤، م٣٠ ، ربيع الآخر ١٣٤٨هـ ، أكتوبر ١٩٢٩م.

إلى نظام التعليم فى الأزهر إلا أنها كانت ترجو أن يكون له وزن في الإشراف على مناهج التعليم ، وقد رفع الشيخ حسن البنا مذكرة بهذا الشأن إلى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر طالب فيها بضم مراقبة التعليم الأولى بكل اختصاصاتها إلى الأزهر ، على أن يتبع ذلك إلغاء مدارس المعلمين الأولية ، والاستعاضة عنها بقسم إعدادى بعد شهادة الكفاءة أو البكالوريا الأزهرية لتخريج المدرسين بالمدارس الأولية ، وضم جميع الشعب التى تدرس اللغة العربية فى الجامعة المصرية ودار العلوم إلى الأزهر حتى يتوحد المعهد الذى يتخرج فيه أساتذة الدين واللغة العربية، وطالب أيضا بتقرير تدريس الدين فى كل مراحل التعليم ، والعمل على إعادة التشريع الإسلامى فى القضاء والعناية باختيار الكتب المدرسية ، والاقتصار فى اللغات الأجنبية على ما لابد منه، ومراعاة القصد فى البعوث الأزهرية والتمسك بالزى الأزهرى (١) .

وهكذا يبدو أن قضية التعليم الدينى ـ سواء فى الأزهر أو فى المدارس العامة ـ كانت من أبرز القضايا التى حظيت باهتمام الصحف الإسلامية ، فى أواخر العشرينات ، وحقبة الثلاثينات من هذا القرن ، وحفلت الصحف الإسلامية بالعديد من المقالات والآراء والبرقيات التى تدعو إلى وجوب التعليم الدينى فى المدارس فى مقابل التعليم المدنى الغربى ، وجعل التعليم الدينى إلزاميا وعولت عليه إصلاح أمر المجتمع والأمة فى دينها ودنياها وحتى تتحصن الأمة ضد العادات التى تتسرب إليها من الغرب (٢) .

وقد أرسلت جماعة الإخوان المسلمين برقية إلى وزير المعارف العمومية ترجوه فيها أن يكون درس الدين الإسلامى فى التعليم العام درسا أساسيا ، والامتحان فيه إجباريا مثل بقية العلوم ، التى ينبغى على التقصير فيها عدم الفوز أو الرسوب ، لأن الواجب على كل مسلم ومسلمة أن يعنى بمعرفة دينه المعرفة الصحيحة حتى يمكنه أن يؤدى ما يجب عليه لله تعالى وللناس ، وكما تعنى وزارة المعارف بتعليم التلاميذ ما يتعلق بأمر دنياهم، ، فيجب أن تعنى بتعليمهم ما يتعلق بأمور دينهم (٣) .

وبمناسبة انعقاد لجنة تعديل المناهج فى مايو ١٩٣٥م وجهت صحيفة الإخوان المسلمين نداء إلى حضرة صاحب المعالى وزير المعارف وإلى حضرات الكرام أعضاء لجنة المناهج ، لفتت فيه نظر أعضاء اللجنة إلى قيمة مناهج التعليم فى حياة الأمة ، وعرضت للأدوار التى تقلبت فيها المناهج العصرية منذ أن وضع محمد على باشا سياسة التعليم فى مصر، حتى عام ١٩٣٥م ، وذكرت أن هناك بعض الجوانب التى تركت دون أن يفكر فيها أحد من الذين تولوا إصلاح مناهج التعليم ، وأظهر تلك النواحى التعليم الدينى والتاريخ

---

(١) الإخوان المسلمون ، عدد ١٣ ، ٨ ربيع الآخر ١٣٥٤هـ ، ٩ يوليو ١٩٣٥م .

(٢) الفتح ، عدد ١١٨ ، ٢٨ رمضان ١٣٤٨هـ ، ٢٧ فبراير ١٩٣٠م .

(٣) الإخوان المسلمون ، عدد ٦ ، ١٨ صفر ١٣٥٤هـ ، ٢١ مايو ١٩٣٥م.

الإسلامى ، والقرآن الكريم ، فالمدارس الابتدائية والثانوية والعالية والخصوصية والفنية خلو من الروح الدينية ، ففى المدارس الابتدائية بضع حصص كانت لا تتجاوز ثلاثا فى كل فرقة ، إحداها للفقه ، والأخرى للتهذيب ، والثالثة للقرآن الكريم ، أما المدارس الثانوية فقد تقررت فيه حصة للدين ، وليس لها أى أثر ، أما المدارس العالية فقد خلت من كل ما يمس الدين إلا بضعة أحكام تدرس فى كلية الحقوق، لذلك يخرج التلميذ من هذه المدارس ، وهو لم يحط علما بمنهج الإسلام ، ولم تتأثر نفسه بأية عاطفة دينية(١).

فضلا عن ذلك ، عرضت صحيفة الإخوان المسلمين للشبهات التى يظن أنها تحول بين دراسة الدين فى المدارس والرد عليها ، كما يلى :

أولا : الفكرة التى تسود عقول رجال الوزارة من وجوب إبعاد العنصر الدينى عن العقول والأذهان حتى تكون المدارس علمانية فقط تقليدا لأوربا ، وردت الصحيفة على هذه الفكرة بأن هناك فرقا بين التعليم الدينى عندنا وبين أوربا ، وأن الأمر المترتب على ذلك عندنا غير الأمر الذى أنتجته النظم الأكليروسية فى مدارس أوربا ، وأن طبيعة دراسة الدين فى المدارس المصرية غير طبيعة ما كان يدرس منه فى المدارس الأوربية ، إذ كانت تلك المدارس التى حولت إلى مدارس علمانية مدارس دينية بحتة يسيطر عليها القساوسة والرهبان وكل مناهجها مستمدة من مبادئ الكنيسة ، وإرادة البابوات.

ثانيا : الاكتفاء بتخصيص معاهد يعلم فيها الدين . وقد ردت الصحيفة على ذلك قائلة: ينبغى ألا نحرم بقية المعاهد من مادة الدين الضرورية فى كل أدوار الحياة، وليس الغرض أن يكون كل طالب فى تلك المدارس فقيها ضليعا ولا إماما مجتهدا ، ولكن الغرض أن يكون الطالب ملما بأصول عقائده وكيفية أداء العبادات .

ثالثا : وجود دينين مختلفين فى المدارس المصرية ، وردت الجريدة على هذه الشبهة أن يكون الدين مادة أساسية يسير امتحانها كبقية المواد بشرط ألا تجمع درجاتها على بقية المواد ، أى لا يتوقف عليها ترتيب التلميذ وإن توقف عليها رسوبه ونجاحه وبذلك يهتم التلميذ بمادة الدين (٢) ، وناشد الشيخ محمد الخضر حسين ملك البلاد بوجوب إدخال التعليم الدينى فى المدارس كشأن غيره من العلوم ، وأشار أنه لا يكفى فى تعليم الدين أن تكون له جامعة كالأزهر ومعاهده ، وإنما الخير أن تكون روح الدين سارية فى نفوس الأمة كلها (٣) .

وبينما تطالب الصحف الإسلامية بإدخال التعليم الدينى فى المدارس العمومية

(١ ، ٢) الإخوان المسلمون ، عدد ٧ ، السنة الثالثة ، ٢٥ صفر ١٣٥٤هـ ، ٢٨ مايو ١٩٣٥م.

(٣) نور الإسلام « الأزهر » ، عدد ٥ ، م٢ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٠هـ .

وإصلاح شأن الأزهر فى مقابل التعليم المدنى ، ومحاربة الأساليب والمناهج الغربية والحد من علمنة التعليم ، وإحلال المفاهيم الإسلامية محل المفاهيم الغربية فى مجال التعليم إذا بالدكتور طه حسين يخرج علينا بكتابه : « مستقبل الثقافة فى مصر » ، هذا الكتاب الذى أحدث دويا فى جميع الأوساط الأدبية والتعليمية والصحفية، وانقسمت إزاءه الآراء بين مؤيد ومعارض ، وامتلأت صفحات الصحف المصرية بالجدل حول ما ورد فى هذا الكتاب من آراء ، وكان المؤيدون للدكتور طه هم الذين تربوا فى أحضان الثقافة الغربية، والمفتونون بها ، أما المعارضون فكانوا من أنصار التيار الإسلامى والثقافة الإسلامية.

ظهر هذا الكتاب فى عام ١٩٣٨م بعد أن كثر الحديث فى الصحف المصرية عن مستقبل مصر بعد المعاهدة التى أبرمتها مع الإنجليز فى عام ١٩٣٦م، فأراد طه حسين أن يرسم للناس سبيل النهضة التعليمية فى عهد نهضتها واستقلالها [١] ، ويلاحظ أن الدكتور طه حسين قد آمن بكل ما هو أوربى ، ونادى باقتباس الجوانب الإيجابية والسلبية للحضارة الأوربية فكتب يقول : « إن علينا أن نسلك سبيل الأوربيين ، حتى نكون شركاء متساويين لهم فى الحضارة بخيرها وشرها ، وحلوها ومرها » [٢] ، لأن مصر فى زعم طه حسين تمثل باستمرار جزءا من حضارة البحر الأبيض المتوسط التى شملت أوربا والشرق الأدنى، إذ يقول فى مقدمة كتابه : « إن العقل المصرى منذ عصوره الأولى عقل إن تأثر بشىء ، فهى أسرة الشعوب التى عاشت حول بحر الروم ».

وقد تصدت الصحف الإسلامية لمزاعم هذا الكتاب، وكان فى مقدمة الذين ردوا على الدكتور طه حسين الشيخ حسن البنا ، فى صحيفة النذير ، حيث صور الشيخ خطورة ما يدعو إليه هذا الكتاب من تطوير مناهج التعليم على حساب الفكرة الإسلامية، وأشار إلى أن طه حسين ينحو فى هذا الكتاب منحى علمانيا خالصا [٣] .

وقد حذرت النذير طلاب الجامعة من قبولهم المطلق للفكر الغربى والبعد عن الإسلام، موضحة أن سياسة التفريق بين التعليم المدنى والتعليم الدينى هى سياسة إنجليزية استعمارية ، وهاجمت توفيق الحكيم الذى انتصر لطه حسين وأبدى إعجابه بالفكر الغربى ، وأرجعت هذه الخطة التى تريد النيل من الدين ، والتى تدرس فى كلية الآداب إلى السياسة الاستعمارية أيضا [٤] .

ومن الذين هاجموا طه حسين وردوا عليه الكاتب ساطع الحصرى، حيث نشر

---

(١) د. محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، مرجع سابق ، جـ٢ ص ٢١٩ .

(٢) طه حسين : مستقبل الثقافة فى مصر ، القاهرة :١٩٤٨م ، جـ١ ص٤١.

(٣) النذير ، عدد ٦ صفر ١٣٥٨هـ.

(٤) النذير ، عدد ١٣ صفر ١٣٥٨هـ نقلا عن د. زكريا سليمان بيومى : الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية ، ص ٥٢ .

سلسلة مقالات فى مجلة الرسالة بدأت فى ١١/٧/١٩٣٧م، سجل فى الأولى منها اتفاقه مع طه حسين فى أن عقلية الأوربى ليست أفضل من عقلية المصرى ، ولكنه اختلف معه في المنهج الذى سلكه ، حيث وصفه بعدم التناسق وكثرة التداخل والارتجال والاستعجال والاستطراد.

وسجل فى مقالته الثانية مآخذه على المقدمات والبراهين التى بنى عليها طه حسين أحكامه ، وانتقد طه حسين فى اهتمامه باللغتين اللاتينية واليونانية ، ورأى أنهما من اللغات الميتة ، واتفق معه فى الاهتمام باللغات الحديثة كالفرنسية والإنجليزية. كذلك اشتد فى الهجوم على طه حسين الدكتور زكى مبارك، حيث كتب فى الرسالة مقالا مطولا بتاريخ ٢٣/١/١٩٣٩م انهال فيه على طه حسين نقدا وتهكما (١) .

كذلك هاجمت صحيفة المصلح ـ لسان حال جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية ـ توفيق الحكيم وأنصار الفكر العلمانى ، الذين طالبوا بتعميم التعليم المدنى بعد صدور كتاب «مستقبل الثقافة فى مصر » للدكتور طه حسين (٢) .

واستقبلت الصحف الإسلامية تعيين الدكتور طه حسين مراقبا عاما لإدارة الثقافة فى وزارة المعارف بالاستياء والاستنكار ، وأرجعت موقفها ذلك لمنهجه العلمانى فى التفكير والتأليف (٣) ، وهكذا ظلت الصحف الإسلامية تطالب بوجوب التعليم الدينى، حتى أثيرت هذه المسألة فى مجلس النواب ، وشنت صحيفة النذير حملة على المعارضين لتدريسه مثل عباس العقاد ، وفكرى أباظة ، وفى الوقت ذاته أعلنت تأييدها لمن طالبوا بتدريسه من النواب ذوى الاتجاه الإسلامى وهم الدكتور عبد الحميد سعيد ، والشيخ محمد عبد الله دراز ، والشيخ عبد الوهاب النجار وغيرهم (٤) .

وتأسيسا على ما سبق عرضه يلاحظ أن سياسة التعليم فى مصر فى فترة ما بين الحربين العالميتين ، كان يسيطر عليها الاحتلال البريطانى ، الذى عمل على إعداد مجموعة من الذين تلقوا تعليمهم فى الغرب لتولى المناصب المهمة فى أجهزة الفكر والتوجيه المصرية ، حتى تتشبع الأجيال القادمة بوجهة النظر الغربية ، وتظل على ولاء دائم لكل ما هو غربى فى الفكر والاجتماع والسياسة .

وكانت سياسة التعليم تهدف إلى تخريج موظفين فى دواوين الحكومة ، لا علماء

---

(١) الأهرام ، عدد ٦/١١ / ١٩٨٧م.

(٢) المصلح عدد ١٠ ، ٧ جمادى الأولى ١٣٥٧هـ ، ٥يوليو ١٩٣٨م.

(٣) النذير ، عدد ١٨، غرة جمادى الأولى ١٣٥٨هـ ، ١٩ يونيه ١٩٣٩م، ود. زكريا سليمان بيومى: الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية ، مرجع سابق ، ص١٥٢، ١٥٣.

(٤) النذير ، عدد ١٧ ، ٢٤ ربيع الآخر ١٣٥٨هـ ، يونيه ١٩٣٩م.

يأخذون بأيدى بلادهم إلى مصاف الدول الكبرى ، واستهدفت هذه السياسة أيضا محاربة الدين الإسلامى والتراث الإسلامى والعربى ، وقطع الصلة بين الماضى والحاضر .

وتصدت الصحف الإسلامية لاستمرار أوضاع التعليم فى مصر كما رسمها الاحتلال، وطالب كتابها بتحرير التعليم من السيطرة الإنجليزية ، والتوجه العلمانى فى مناهجه ، كما طالبوا بأن يكون الدين الإسلامى مادة أساسية فى جميع مراحل التعليم وأنه لا يكفى فى تعليم الدين أن يكون له جامعة ـ كالأزهر ـ ومعاهد .

وحذرت الصحف الإسلامية من إرسال البعوث الطلابية إلى أوربا لدراسة العلوم الاجتماعية والإنسانية ، ورأت أن ما يجب أخذه من أوربا ، هو العلوم التطبيقية دون أن ننسلخ من عقيدتنا ، ومقومات حياتنا ؛ لأنه لوحظ أن البعثات التى ذهبت إلى أوربا فى مرحلة ما بين الحربين ، اتجهت إلى دراسة العلوم الاجتماعية والإنسانية ، بعد أن كانت فى عصر محمد على ترسل إلى أوربا لدراسة العلوم التطبيقية ، وهذا أمر له دلالته فى تغريب التعليم والحياة المصرية .

وحاربت الصحف الإسلامية المدارس الأجنبية العلمانية والتبشيرية التى انتشرت فى البلاد المصرية ولاسيما المدارس الأمريكية والجامعة الأمريكية بالقاهرة ، وأبرزت مساوئها وخطورتها على الدين الإسلامى والفكر المصرى ، وعارضت الأخذ بمفاهيم التربية والنظريات الغربية فى مجال التعليم دون نقد وتمحيص ، والتفرقة بين ما يصلح ومالا يصلح .

وعلى صعيد آخر دعت إلى الاهتمام بالتربية الإسلامية فى مناهج التعليم وتربية النشء المصرى على أساس إسلامى ، ورفضت تقسيم التعليم المصرى إلى تعليم دينى وآخر مدنى .

وعملت الصحف الإسلامية أيضا على مقاومة التيار التغريبى فى الجامعة المصرية ، والذى حاول أن يجعل من هذه الجامعة نسخة من الجامعات الغربية وخاصة هجومها على الدين ، وإبعاده عن قيادة شؤون المجتمع ، وانتقدت المؤلفات التى تنادى باقتباس الجوانب الإيجابية والسلبية للحضارة الغربية ، وطبع الحياة المصرية بالطابع الغربى ، وكان من أبرز هذه الكتب فى تلك الفترة ، كتاب طه حسين : « مستقبل الثقافة فى مصر ».

وأخذت الصحف الإسلامية موقفا معارضا من قضية الاختلاط بين الجنسين فى مقاعد التعليم بجميع درجاته وأنواعه ؛ لأنه ناشئ عن تقليد الغرب ، فضلا عن خروجه عن تعاليم الإسلام وأحكامه . وقد رأى قادة الصحافة الإسلامية إصلاح التعليم فى الأزهر لمواجهة التعليم العلمانى فى الجامعة المصرية ، وأكدت الصحف الإسلامية أن الذى ساعد على تغريب التعليم فى مصر هو حالة الضعف التى حلت بالأزهر ، وعلى

الرغم من بعض الانتقادات التى وجهتها الصحف الإسلامية إلى نظام التعليم فى الأزهر إلا أنها كانت ترجو من وراء ذلك أن يكون له وزن فى الإشراف على منهاج التعليم ، وأن يدلى برأيه إزاء ما أحدثته المدنية الحديثة من تطور فى مجال المعاملات المالية والاقتصادية وما إليها، وأن يعمل على تنقية ما بثه الأوربيون فى كتبهم مما يتعلق بالإسلام، والعناية بالتراث الدينى والعلمى.

وكانت الدعوة إلى إصلاح الأزهر أن يحتفظ بشخصيته فى حفظ التراث الإسلامى واللغة العربية ، والشريعة الإسلامية ، مع الاحتفاظ بروح العصر وعلومه ، فلا ينطوى على نفسه ويرمى بالجمود ، أو يكون نموذجا للمدارس العصرية « العلمانية ».

وقد ظلت الصحف الإسلامية تحارب المنهج الغربى فى التعليم ، وتطالب بوجوب التعليم الدينى ، وتعميمه فى المدارس العمومية ، حتى أثيرت هذه المسألة في مجلس النواب للبت فيها، وكان فى مقدمة الذين أسهموا فى التصدى لتغريب التعليم فى مصر وإصلاح الأزهر من أنصار الاتجاه الإسلامى : رشيد رضا ، ومحب الدين الخطيب ، وحسن البنا ، وشكيب أرسلان ، وصالح عشماوى ، وأبو زيد شلبى ، والشيخ عبد الباقى سرور ، ومحمد إسماعيل عبد النبى ، والشيخ محمد الخضر حسين ، والدكتور يحيي الدرديرى ، والشيخ محمد مصطفى المراغى ، والشيخ محمد عرفة ، والشيخ محمد حسنين مخلوف ، والشيخ محمود أبو العيون ، والشيخ عبد العزيز جاويش ، ومحمد أفندى درويش .

المبحث الخامس

صحافة الاتجاه الإسلامى ومعركة الحفاظ على اللغة العربية

يتناول هذا المبحث دور الصحافة الإسلامية وكتابها من الحملات الشرسة التى استهدفت النيل من اللغة العربية ، والقضاء عليها ، ومواجهة الدعوة إلى العامية والدعوة بأن يكون التدريس فى المدارس المصرية باللغة الإنجليزية ، وإقصاء اللغة العربية من مجال التعليم، فضلا عن الدفاع عن التراث والأدب العربى .

كانت الحملة على اللغة العربية جزءا من محاولات الاستعمار البريطانى للقضاء على أبرز رافد من روافد الثقافة الإسلامية والعربية فى مصر ؛ ولهذا أعد الاستعمار الكثير من الخطط ليصل إلى هذا الهدف ، فحاول أن يجعل التعليم باللغة الإنجليزية ليقضى على اللغة العربية لغة القرآن الكريم والسنة النبوية والتراث والفكر الإسلامى ، وكان يهدف من وراء ذلك أيضا أن يقطع صلة مصر الحديثة عن ماضيها الإسلامى وقطع صلتها بالأقطار العربية الأخرى (١) ؛ لأنه أدرك أن اللغة العربية هى الرباط الذى يوحد بين أقطار العروبة والإسلام ، ويربطها بالقرآن مع سائر أوطان الإسلام فى الوقت ذاته، فالحرب إذًا على العربية الفصحى كانت من أجل القضاء على كل أمل فى الوحدة العربية والإسلامية (٢) .

ومن أبرز خطط الاستعمار فى القضاء على الفصحى فى مصر ، الدعوة إلى العامية(٣) ، فقد حاول إقناع المصريين بأن سبب تأخرهم فى ميدان الحياة وتخلفهم عن الأوربيين فى الابتكار العلمى والأدبى هو تمسكهم بالأساليب العربية الفصحى ، وأن الأولى لهم أن ينهضوا باللغة العامية ، حتى يسايروا ركب الحضارة . . ولن يسايروها إلا إذا كانت الكتابة باللغة العامية ؛ لأنها فى زعمهم لغة حية ويفهمها جمهور الشعب (٤) .

---

(١) عبد الرشيد سالم : مقدمات النهضة الأدبية وعواملها فى مصر ، القاهرة : مكتبة وهبة ، ١٩٧٧م ، ص١٠٢ .

(٢) محمد سيد محمد : المسؤولية الإعلامية فى الإسلام ، القاهرة : الخانجى ، ١٩٨٣م، ص١٦٢ .

(٣) لم تظهر الدعوة إلى العامية فى مصر قبل ظهور الدعوة الأجنبية التى نادت باتخاذ العامية أداة للتعبير الأدبى، وكان فى مصر من دعا إلى ضبط العامية ومن استخدم العامية فعلا فى الكتابة ، ولكن لم يكن هدفهم من ضبط العامية أو استخدامها رفع العامية إلى الاستعمال الكتابى ، حتى تتمكن من القضاء على الفصحى واحتلال مكانها ، كما كان يهدف دعاة العامية من الأجانب، وإنما كان هدفهم هو استخدام العامية فى مواضع مخصوصة للترفيه عن العامة حينا ، ولتثقيفهم وتهذيبهم حينا آخر ، على أن تظل للفصحى مكانتها كلغة للأدب الرفيع والثقافة الإسلامية العامة .

انظر : نفوسة زكريا : تاريخ الدعوة إلى العامية فى مصر وآثارها ، ط١ ، الأسكندرية ١٩٦٤م .

(٤) عمر الدسوقى : فى الأدب الحديث، ط١، القاهرة: دار الفكر العربى، ١٩٧٠م، جـ٢ ،ص٤٠ .

وكان من الذين أخذوا على عاتقهم الدعوة إلى العامية فى مصر إبان الاحتلال البريطانى جماعة من الأوربيين ، أبرزهم الدكتور ولهلم سبتيا الألمانى الجنسية، الذى كان يعمل مديرا لدار الكتب المصرية ، ومنهم الدكتور كارل فولورس الألمانى أيضا وأحد كتاب دائرة المعارف الإسلامية ، وسلدن مور الإنجليزى الجنسية ، وكان قاضيا بالمحاكم الأهلية فى القاهرة ، ووليم ويلكوكس الإنجليزى الجنسية ، وكان مهندسا للرى فى القاهرة .

ويعتبر الدكتور سبتيا الرائد الأول لكل من كتب فى العامية المصرية من الأجانب وفى عام ١٨٨٠م وضع كتابا بالألمانية عن قواعد العربية فى مصر ، ومن هذا الكتاب انبثقت الدعوة إلى اتخاذ العامية المصرية لغة أدبية ، ومنه أيضا جاءت الشكوى من صعوبة العربية الفصحى ، فضلا عن أنه أول من اقترح اتخاذ الحروف اللاتينية لكتابة العامية ، تلك الحروف التى نودى باستخدامها فيما بعد لكتابة العربية الفصحى (١) .

ووضع الدكتور فلورس الألمانى فى عام ١٨٩٠م كتابا بالألمانية عن اللهجة العربية فى مصر ، وترجمه إلى الإنجليزية فى عام ١٨٩٥م، ونهج فلورس فى كتابه نهج سبتيا فاستنبط حروفا لاتينية لكتابة العامية ودرس قواعدها وأورد كثيرا من نصوصها (٢) .

وفى تلك الأثناء كان وليم ويلكوكس مهندس الرى الإنجليزى الذى قدم إلى مصر فى عام ١٨٨٣م، يحارب الفصحى بالدعوة إلى إبعادها عن ميدان الكتابة والأدب وإحلال العامية مكانها ، وقد ألقى خطبة فى نادى الأزبكية ، وذكر فيها أن العامل الأكبر فى فقد قوة الاختراع لدى المصريين هو استخدام اللغة العربية الفصحى فى القراءة والكتابة ، ونصحهم باتخاذ العامية أداة للتعبير الأدبى (٣) .

وهكذا يظهر التجنى الواضح والحرب السافرة على اللغة العربية الفصحى من قبل الأجانب المقيمين فى مصر ، وإلا فما هى العلاقة بين قوة الاختراع واللغة العربية الفصحى؟ وما الفائدة أن تكتب العربية بالحروف اللاتينية ؟

وقد نشر ويلكوكس محاضرته السابقة فى مجلةالأزهر (٤) فى عهدها الجديد بعد أن انتقل إليه امتيازها ، وظهرت كحلقة من حلقات نشر الدعوة لاستخدام العامية وإحلالها

---

(١) المرجع السابق نفسه . (٢) المرجع السابق ، ص ٢٤.

(٣) سامى عزيز : الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الإنجليزى ، القاهرة : ١٩٦٨م ، ص ٢٩١.

(٤) مجلة الأزهر مجلة علمية أدبية ، ليست هى مجلة الأزهر المشهورة الآن ، أنشأها إبراهيم مصطفى وحسن رفقى عام ١٨٨٧م باسم الصحة للاهتمام بالأخبار الطبية والمقالات الأدبية والعلمية ، ثم أطلقا عليها اسم الأزهر، وبعد أن استمرا فى إصدارها خمس سنوات حتى نهاية عام ١٨٩٢م نيطت بهما أعمال أوسع من أعمالهما الأولى ، فتخليا عن إصدار المجلة إلى المهندس الإنجليزى وليم ويلكوكس والأستاذ أحمد الأزهرى.
انظر : سامى عزيز : الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الإنجليزى ، مرجع سابق ، ص٢٩١.

محل الفصحى فى التعليم والأدب ، رغم أنه قد أعلن فى بداية توليه لها فى عام ١٨٩٢م أنها ستخصص لنشر العلوم الرياضية ، وتكون موضع أبحاث المهندسين [١] .

وهذه الفكرة تعلن لأول وهلة عن خبث صاحبها وخداعه ، إذ أن اسم مجلة الأزهر يعطى للقارئ المصرى وغيره انطباعا بأنها تتحدث بلسان الأزهر ، فيقبل ما تمليه عليه بسهولة ويسر ؛ ولهذا السبب جعلها ويلكوكس متخصصة فى الحرب على اللغة العربية الفصحى والدعوة إلى العامية .

وفى عام ١٩٠١م وضع سلدن مور القاضى الإنجليزى كتابا فى الإنجليزية عن العامية المصرية بعنوان: « العربية المحكية فى مصر » ، سار فيه على نمط سابقيه فى دراسة العامية المصرية ، سواء فى دراسة قواعدها وجمع نصوصها أم فى الدعوة إلى كتابتها بحروف لاتينية واتخاذها لغة أدبية ، وكانت له وسائله الخاصة فى تدعيم تلك الدعوة التى صادفت هوى فى نفسه ، فاستغلها ليحقق هدفا من أهداف الاستعمار البريطانى ، وهو فصل المسلمين والعرب عن ماضيهم ، وتفتيت وحدتهم اللغوية بالقضاء على الفصحى[٢] .

ولم يقتصر الاستعمار البريطانى فى محاربة اللغة العربية على الدعوة إلى العامية من خلال إصدار بعض الكتيبات التى تنادى بذلك ، أو إلقاء المحاضرات أو كتابة المقالات فى الصحف ، بل إنهم فرضوا على تلامذة المدارس أن يتعلموا اللغة الإنجليزية ، وجعلوا إتقان هذه اللغة شرطا للتوظف فى الحكومة ، وأرغموا على باشا مبارك على أن يصدر قرارا ينص فيه على أن تكون لغة التعليم فى المدارس المصرية هى اللغة الإنجليزية [٣].

ولما انتهت الحرب العالمية الأولى اشتدت الحملة ضد اللغة العربية ولاسيما حين تبنى الدعوة إلى الهجوم على العربية الفصحى نفر من المصريين أنفسهم ، وعلت صيحات المستغربين تنادى بضرورة خلق أدب قومى يكون مستقلا عن آداب الشعوب الشرقية الأخرى الناطقة بالضاد ، وأن تغدوا اللهجات المحلية لغة الأدب ، فتقوم على أنقاض العربية الفصحى لغة مصرية ، وأخرى شامية ، وثالثة عراقية ، على نحو ما آل إليه أمر اللاتينية ، حين تحولت إلى الفرنسية والإيطالية والإسبانية ، وزعم بعضهم أن مصر ورثت من غزاتها الجدد - يعنى العرب - الإسلام واللغة ، ولكنها حافظت على خواصها القومية ، ولم تكن عربية قط [٤] .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٩١.

(٢) نفوسة زكريا : تاريخ الدعوة إلى العامية فى مصر وآثارها ، مرجع سابق ، ص ٢٥ ، ٢٦.

(٣) عمر الدسوقى : فى الأدب الحديث ، مرجع سابق ، جـ٢ ، ص٣٨.

(٤) مجلة كلية البنات الإسلامية بأسيوط ، بحث بعنوان : « اللغة العربية بين محاربة الأعداء وعقوق الأبناء» بقلم د. محمد بدر معبدى ، عام ١٩٨٦م ، ١٤٠٦هـ.

وقد انحصرت الدعوات التى أثارها دعاة التغريب لإقصاء اللغة العربية فيما بين الحربين العالميتين فيما يلى :

١ ـ طالب البعض بإصلاح قواعدها ، والبعض الآخر نادى بالتحول عنها إلى العامية .

٢ ـ من ناحية الكتابة العربية دعا البعض إلى إصلاح قواعدها ، فى حين رأى البعض التحول عنها إلى الحروف اللاتينية .

٣ ـ دعا البعض إلى العناية بالآداب الحديثة وما يتصل منها بفكرة القومية بخاصة، والعناية بالأدب الشعبى، والحكايات الشعبية، وكل ما هو متداول بغير العربية الفصحى[١] ، التى تجمع بين الشعوب الإسلامية ، والمقربة بينهم فى التفاهم والتخاطب، فالدعوة إذًا إلى تركها أو استبدال غيرها بها المقصود منها تمزيق الشعوب الإسلامية والعربية كما أشار إلى ذلك محمد سعيد العرفى فى صحيفة الهداية الإسلامية في مقال بعنوان : « اللغة العربية رابطة الشعوب الإسلامية » [٢] .

وكان دعاة التغريب يكثرون من الحديث عن آداب الغرب والفنون الأدبية المستحدثة، ويشيدون بمذاهب الأدب الغربى، ويرمون المتمسكين بالتراث العربى من المصريين بالرجعية والجمود ، والهدف من وراء هذه الدعوات هو تنشئة جيل من المصريين ، لا يستطيع أن يتذوق أساليب البيان العربى الأصيلة ، فى الوقت الذى يتوفر فيه على دراسة أساليب البيان الغربى وموضوعاته .

وقد لجأت بعض الصحف المصرية إلى نقل أسوأ القصص الغربية الرخيصة ، وكانت لا تفعل سوى تغيير أسماء القصة إلى العربية ، وبذلك أصبحت القصة معرضا للنماذج المنحرفة والمثيرة للغرائز والشهوات ، وتقدم باسم الواقعية تارة ، وباسم التحليل النفسى تارة أخرى، وخاصة بعد أن دخلت القصة إلى ميدان التمثيل واستخدمت العامية فى الإلقاء [٣] .

وإلى هذه القصص الماجنة أشار محمد الغمراوى فى نقده لطه حسين وكتابه «الشعر الجاهلى » حين قال : « خذ إليك مثلا تلك القصص الفرنسية التى يترجمها صاحب الكتاب من آن لآن يلهى بها كثيرا من النشء ، ويضل بها كثيرا ، هل ترى بينها وبين روح هذه الأمة صلة أو بينها وبين روح هذه اللغة صلة ؟ ، وإذا لم يكن فهل فيها شىء يجدد

---

(١) محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، جـ١ ، ص ٣٤٩ ، ٣٥٠ .

(٢) الهداية الإسلامية ، جـ٢ ، م٤ ، رجب ١٣٤٩هـ .

(٣) محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، ص ٣٣٧.

من عناصر الفضيلة والطهارة الروحية فى هذه الأمة ويعينها على سبيل العزة التى تريدها ، إنا لا نظن أحدا دخل تلك القصص وخرج منها وهو أقرب إلى الفضيلة والعفاف منه قبل بدئها . . ولو كنا ضاربين مثلا لضربنا الزنبقة الحمراء التى ألفها أناتول فرانس ولخصها صاحب الكتاب لمجلة الهلال » (1) .

ولكن أخطر دعوة على الفصحى كانت الدعوة إلى العامية ؛ لأنها أخذت فى الانتشار بعد اتخاذ اللهجة العامية فى المسرح الهزلى ، ثم انتقلت إلى المسرح الجدى ، حين تجرأت عليه وقتذاك فرقة تمثيلية تتخذ اسما فرعونيا ، وهى فرقة رمسيس ، فوجدت مسرحياتها إقبالا من الجماهير ورواجا بينهم ، وظهرت السينما من بعد فاتخذت هذه اللهجة، ولم يعد للعربية الفصيحة وجود فى هذا الميدان ، ثم ظهرت اللهجة العامية أيضا فى الأدب المكتوب واستعملها كثير من كتاب القصة فى الحوار ، وكان أول ما ظهر فى هذا الميدان « رواية زينب » للدكتور محمد حسين هيكل ، التى كتب حوارها باللغة العامية(2) .

وراجت الدعوة إلى تمصير الأدب العربى واللغة العربية ، وقد ناقشت مجلة الهداية الإسلامية هذه الدعوة ، وأشارت إلى أن هذه الدعوة لا يريدون منها أن الشاعر المصرى، أو الكاتب المصرى يجب أن تظهر فى شعره وكتاباته الروح المصرية والحياة المصرية بكل ما فيها ، كما يزعمون ، فهذا كله متسع له الأدب العربى ، وأكدت أن الهدف من هذه الدعوة « هو الاستعاضة عن الكلام الموافق لقواعد اللغة العربية وأحكامها والجارى على أصولها وقوانينها باللغة العامية الدارجة الخالية من قيود النحو والصرف والعروض والقوافى ، وبقية علوم اللغة واللسان ، بحيث تحل لهجات العامة والدهماء فى الكلام المنثور محل اللغة العربية الفصيحة الجارية على سنن العلوم والقواعد ، وتحل المواويل والطقاطيق والمنولوجات فى الكلام المنظور محل القصائد والأراجيز المصنوعة وفق قانون الوزن والتقفية » .

ومضت الصحيفة تهاجم أنصار هذه الدعوات قائلة : « إن هذه الدعوة تدل على جهل أصحابها بحيث لا يمكنهم التحدث بالفصحى ومجاراة المتكلمين بها ، أو أنهم معاول هدم وتخريب للآداب العربية ولغة القرآن الكريم » (3) .

ويلاحظ أن دعوة ويلكوكس ـ مهندس الرى الإنجليزى ـ إلى هجر اللغة العربية إلى العامية قد تجددت مرة أخرى فى عام ١٩٢٦م ، وخطأ بهذا الاقتراح خطوة عملية ،

---

(1) المرجع السابق ، ص ٣٤٠ . (2) المرجع السابق ، ص ٣٤٣ ، ٣٤٤.

(3) الهداية الإسلامية ، جـ1 ، م 1 ، جمادى الآخرة ١٣٤٧هـ ، مقال بعنوان : « تمصير الأدب العربى والدعوة إليه » بقلم فكرى يس .

فترجم أجزاء من الإنجيل إلى ما سماه اللغة المصرية، ونوه سلامة موسى بالسير ويلكوكس وأيده ، باستبدال اللغة الدارجة استبدالاً كاملاً باللغة الفصحى ، وتغيير الحروف العربية إلى حروف لاتينية مثل ما قام به مصطفى كمال أتاتورك فى تركيا [١] .

وقد أثارت هذه الحرب السافرة من قبل دعاة الاستعمار والتغريب ضد اللغة العربية سخط الأدباء والكتاب فى تلك الفترة ، فانبروا يدافعون عنها ، وألفت الجمعيات الأدبية لنشر الفصحى والزود عنها ، ومقاومة اللغة العامية وطغيانها [٢] ، وقد أدت الصحف الإسلامية دورا كبيرا فى هذه المعركة ومقاومة دعاة التغريب والاستعمار ، الذى حاول أن يئد اللغة العربية وينشر لغته فى مصر ويروج لها، وحارب العربية كلغة، بل وحارب الحرف العربى أيضًا [٣] .

ونادى أنصار الاتجاه الإسلامى فى الصحافة المصرية بأن تكون لغة التعليم فى البلاد المصرية هى اللغة العربية ، وذكر أحمد وفيق رئيس تحرير صحيفة اللواء الجديد « أن كل ما يقال فى تبرير التعليم باللغة الإنجليزية ، ليس إلا تبريرًا فى الواقع لبقاء النفوذ الأجنبى فى البلاد» ، واستطرد قائلا :« نحن نريد أن تكون لغتنا العربية أداة التعليم بكل أنواعه؛ لأن اللغة أعظم مظاهر القومية ، ولأننا نبغى الاستقلال الفكرى كما نبغى الاستقلال السياسى ، ولا سبيل إلى الاستقلال الفكرى إلا بالاستقلال اللغوى الذى هو عنوانه ومظهره ، وإن تاريخ القوميات الناهضة فى أنحاء العالم قد اقترن باللغات الأهلية » [٤] .

وأشار رشيد رضا فى تقديمه للمجلد التاسع عشر من المنار إلى أن الدعوة إلى العامية هى إحدى ركائز التغريب ، وأن الهدف الذى يبتغيه الملاحدة فى مصر من هذه الدعوة هو القضاء على الإسلام وكتابه الكريم [٥] .

وكتب الشيخ مصطفى محمد أبو زيد فى « الفتح » يهاجم دعاة العامية والصحف

---

(١) عفاف لطفى السيد : تجربة مصر الليبرالية ، ص٣٥٩ ، ود. محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، جـ٢ ، ص٣٤٥ .

(٢) عمر الدسوقى : فى الأدب الحديث ، مرجع سابق ، ص٤٥ .

(٣) محمد سيد محمد : المسؤولية الإعلامية فى الإسلام ، ص٣٨ .

(٤) اللواء الجديد ، ١٠ يوليو ١٩٢٢م .

(٥) نوه رشيد رضا بشأن المجمع اللغوى الذى تكون فى دار الكتب السلطانية فى عام ١٩٢٥م لإصلاح أمر اللغة العربية ، وكان من أبرز أعضائه الشيخ سليم البشرى شيخ الجامع الأزهر ورئيس المجمع ، والشيخ محمد بخيت مفتى الديار المصرية ، والسيد محمد الببلاوى ، والشيخ أحمد إبراهيم ، والشيخ أحمد السكندرى ، وأحمد براده بك ، وأحمد تيمور بك ، وأحمد زكى باشا ، وأحمد لطفى السيد ، وغيرهم ، وكان غرض هذا المجمع هو خدمة اللغة العربية ووضع معاجم عصرية شاملة لاصطلاحات العلوم والفنون والصناعات ، واستبدال الكلمات العامية أو الأعجمية التى لم يعرب من قبل غيرها من الألفاظ العربية الموضوعة للدلالة على معناها ، ويكون وضع الكتب بطريقة المجاز أو الاشتقاق أو النحت أو غير ذلك .

المروجة لهذه الفكرة ، ويستنهض علماء الأزهر وشيوخه لمقاومة الدعوة إلى العامية ويدعو الحكومة أن تترصد لقائليها ، وتضرب على أيديهم ، كذلك أكد على خطورة العامية على الجنسية العربية ، حيث تؤدى إلى تفككها ، وتشتيت أواصر الوحدة بينها .

وحينما صرح زكى باشا مبارك فى صحيفة « مصر الحديثة » المصورة فى عددها الصادر فى ٢٤ أبريل ١٩٣٠م فى حديث له بالدعوة إلى استبدال الحروف العربية وكتابتها بالحروف اللاتينية أسوة بتركيا وقال : « إنى أشجع كل حركة ترمى إلى إصلاح الحروف العربية ، ولو كان ذلك أن تتبدل بجملتها وأن نكتبها من اليسار . . ولنا أسوة بأمة شرقية ناهضة سبقتنا فى هذا السبيل ـ يقصد تركيا » أثار هذا التصريح ثائرة كتاب الصحافة الإسلامية وحماة الدين واللغة العربية ، وانبروا للرد عليه ، ونشرت الفتح سلسلة مقالات للرد على هذا التصريح ، وذكر محب الدين الخطيب أن هذا فيه إبطال للحروف العربية والاستعاضة عنها باللاتينية بعد أن أدت هذه الحروف العربية دورها منذ أربعة عشر قرنًا من الزمان ، وتساءل الخطيب مستنكرًا : هل حقًا يرى زكى باشا فرنجة اللغة العربية وحروفها ؟ وهل يود أن يجعل الأبجدية اللاتينية تحل محل الأبجدية العربية فى دار العروبة ، فى جزيرة الفسطاط ، كما حلت فى الأندلس الذى يسميه الباشا الفردوس الإسلامى المفقود ؟! (١) .

وأشار الشيخ محمد الخضر حسين فى صحيفة نور الإسلام إلى أنه لو فرضنا أن شعوبًا غير عربية رضيت أن تتخلى عن لغاتها ، فإن الشعوب التى تنطق باللغة العربية أحرص الناس على حياة لغتهم ؛ لأن اللغة العربية لغة القرآن الذى هو معجزة الرسالة ومطلع الهداية ، فضلاً عن أن اللغة العربية استوعبت كل العلوم والحضارة لما تتميز به من غزارة مادتها وإحكام أساليبها (٢) .

ورد الدكتور يحيى الدرديرى على الذين يتهمون اللغة العربية الفصحى بالقصور قائلا : «إن اللغة العربية التى صلحت فى الزمن الماضى، صالحة لترجمة ما تريده الأمم الإسلامية من الثقافة الغربية ، وأبرز دليل على ذلك ماتم نقله من الكتب الطبية والكيميائية والهندسية والقانونية إلى اللغة العربية ، ولم تعجز العربية عن التعبير عنه» (٣).

وأكد فكرى يس الدمشقى فى مجلة الهداية الإسلامية على تعارض الدعوة إلى العامية مع الميول الفطرية للجماهير المسلمة ، ومع السر الجليل المكنون فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩ ﴾ [الحجر] ، ومن جهة أخرى فإنها تتعارض مع

(١) الفتح ، عدد ٢٠٢ ، ٨ محرم ١٣٤٩هـ ، وعدد ٢٠٤ ، ٢٤ محرم ١٣٤٩هـ .

(٢) نور الإسلام ، جـ٤ ، م ٣ ، ربيع الآخر ١٣٥١هـ .

(٣) الشبان المسلمون ، جـ١ ، م ٢ ، جمادى الأولى ١٣٤٩هـ ، أكتوبر ١٩٣٠م .

مهمة علماء الأدب العربى فى بلاد الإسلام ، ومع واجبهم الأدبى والدينى المنوط بهم فى حفظ كيان اللغة العربية (١) .

وكتب الشيخ صادق عرجون فى مجلة الأزهر سلسلة مقالات سجل فيها أن اللغة العربية تتعرض لثورة عاصفة من قبل دعاة الإصلاح الأدبى ، وهذا الإصلاح يعتمد على وسائل لا تتفق مع طبيعة الشرق وبيئته ولا مع نشأة هذه اللغة وأطوارها ، فنادى بعضهم بإحلال العامية محل الفصحى فى المعاهد والمدارس تلقينا وتدريسًا وتأليفًا ، وأوضح أن الهدف من ذلك « هو وأد البقية الباقية من لغة القرآن الكريمة ، ودفع الشعوب العربية إلى بلبة بربرية لا أصول لها ولاقاعدة » ، وأضاف الشيخ عرجون « أن بعض هؤلاء الدعاة تدفعه إلى اختيار هذا الطريق الشائك المعوق لنهضة الأمة نزعة عنصرية لا تقدر للعلم حرمة ، ومنهم من يدفعه إليه شعور بالعجز عن القيام بأعباء اللغة العربية وقواعدها الفنية، نحوا وصرفا وبلاغة وعروضًا وأدبا ، ومنهم من ينادى بحذف كثير من أبواب القواعد محتجا بصعوبتها ، وتعدد ضوابطها ، وكثرة صورها وبعضهم ينادى بإنكار مأثور الأدب العربى شعرا ونثرا، وينكر على البلاغة العربية شخصيتها ، ويزعم أنها مأخوذة من البلاغة الأجنبية » (٢) .

وهكذا أظهر الشيخ صادق عرجون أبرز ما تعرضت له اللغة العربية من اتهامات كان الدافع إليها في الغالب نزعة عنصرية ، أو عدم القدرة على تذوق الفصحى وقواعدها وأدبها نثرا وشعرا ، ولكن هذه الاتهامات من شأنها أن تقضى على لغة القرآن الكريم وتعوق نهضة الأمة العربية والإسلامية ، وتقضى على كل أمل فى الوحدة السياسية والثقافية والدينية ، وتساعد على نشر الثقافات الدخيلة ورواج فكرة الإقليمية والعنصرية.

فضلا عن ذلك ، حفلت الصحف الإسلامية بالمقالات والتعليقات التى تندد بالدعوة إلى كتابة الحروف العربية باللاتينية ، وذكرت المنار الحديث الذى دار بين محرر الأهرام والمستشرق الإنجليزى إدوارد نيسون روسى ـ مدير مدرسة اللغات الشرقية فى لندن ـ الذى أجاب على سؤال محرر الأهرام : هل من المبشر استبدال الحروف اللاتينية بالعربية ؟ قال: « إياكم وهذا الأمر ، إنى أفهم اقتباس الحروف اللاتينية فى بلاد مثل تركيا أو إيران

---

(١) الهداية الإسلامية ، جـ١ ، م ١ ، جمادى الآخرة ١٣٤٧هـ .

وحينما ذهب الدكتور طه حسين مندوبًا إلى مؤتمر المستشرقين السابع عشر بجامعة اكسفورد ، وألقى هناك محاضرة عنوانها : « ضمير الغائب واستعماله إسم إشارة فى القرآن الكريم « ونشرت مجلة الرابطة الشرقية ملخص هذه المحاضرة ، أشارت مجلة الهداية الإسلامية إلى ما جاء فيها من أغلاط نحوية ، وما وقع فيه الدكتور طه حسين من عثرات ، تخالف القواعد النحوية المشهورة ، وأبرزت المجلة رأى النحويين فى الرد على الدكتور طه حسين ، وقد اشتمل هذا الرد على ٣٢ صفحة ، كتب هذا البحث الشيخ محمد الخضر حسين . الهداية الإسلامية ، جـ٢ ، م ١ ، رجب ١٣٤٧هـ .

(٢) الأزهر ، جـ١ ، م٩ ، محرم ١٣٥٧هـ والأعداد بعده .

أما فى مصر ، فالحذر من هذا ؛ لأن الحروف العربية هى حروف لغة القرآن ، وإذا مسستم الحروف العربية مسستم القرآن ،بل هدمتم صرح وحدة الإسلام . . فالعربية يجب ألا تمس ؛ لأنها إذا ضاعت ضاع الإسلام » (١).

ويبدو من هذا الكلام أن الدعوة إلى كتابة الحروف العربية باللاتينية هى دعوة مغرضة، الهدف منها القضاء على لغة القرآن الكريم ، وهدم الكيان الإسلامى الذى بنى عليه ، بل ضياع الإسلام ذاته .

وقد دافعت الصحف الإسلامية عن الأدب العربى والتراث العربى والشعر الإسلامى والعربى الذى هوجم من قبل الصحافة التغريبية ورواد الفكر العلمانى فى مصر ، فقد هاجمت جريدة السياسة شعر أحمد رامى فى مقال لها بعنوان : « العقلية العربية وشعر أحمد رامى » ، وانصب هجومها على تمسكه بنظام الشعر العربى الفصيح ووزنه وقافيته وذوقه العربى ، واتهمته لذلك بالجمود والرجعية والتخلف (٢) .

غير أن رشيد رضا انبرى للرد على السياسة قائلا : «كأن جريدة السياسة تدعوه إلى جمعية التجديد لينسلخ من سليقته العربية ، ويتبرأ من فطرته الإسلامية ، ويتكلف تقليد الإفرنج ، في ترك القوافى والأوزان العربية فيكون من جمعية المجددين » (٣) .

وكتب محمد على أحمد ـ من مشايخ الأزهر ـ فى « الفتح » يقرر أن الحملة التى تشنها جريدة السياسة والسياسة الأسبوعية على اللغة العربية بزعم إصلاحها وتطويرها الهدف منها «طمس اللغة العربية لغة القرآن الكريم ، والرابطة الوحيدة بين الأمم الشرقية فى مثل هذا الزمن الذى تفككت فيه عرى الشرق ، وصار مقسما بين الأمم الغربية »، واستطرد الشيخ محمد على فى مقاله مفندا مزاعم الكتاب الذى يبررون كتابة العربية باللاتينية بزعم أن لغة النطق فى العربية تخالف لغة الكتابة (٤) .

وذكر محب الدين الخطيب أن اللغة العربية هى اللغة القومية لمائة مليون من العرب، وهى اللغة الدينية والشرعية والعلمية لأكثر من ثلاثمائة مليون آخرين من المسلمين غير العرب، أراد الله لها أن تكون لسان آخر الديانات وأكملها ، وبين حكمة اختيار المولى ـ عز وجل ـ لغة العرب لتكون لغة الإسلام ، ذلك لكونها أكمل اللغات وأكثرها استعدادا للمحافظة على هذه المنزلة من التفوق والكمال (٥) .

---

(١) المنار ، جـ١٠ ، م٢٩ ، رجب ١٣٤٧هـ ، يناير ١٩٢٩م.
(٢) السياسة ، ١٣ أغسطس ١٩٢٦م ، ٢٢ محرم ١٣٤٥هـ .
(٣) المنار ، جـ٥ ، م٢٧ ، محرم ١٣٤٥هـ ، أغسطس ١٩٣٦م.
(٤) الفتح ، عدد ٢٣١ ، ٥ شعبان ١٣٤٩هـ .
(٥) أنور الجندى ، الفتح ، تاريخ الصحافة الإسلامية ، جـ٢ ، ص٤٠١، ٤٠٢ .

وحينما كتب طه حسين فى السياسة الأسبوعية مقالا بعنوان : « الأدب المصرى الحديث وأثره فى الثقافة العربية » مطالبا بتطبيق مذهب ديكارت فى دراسة الآداب العربية، هذا المذهب الذى يعتمد على الشك فى القديم وعدم التسليم به ، ويرى طه حسين أن الآداب العربية لا يمكن أن تزدهر إلا بإخضاعها لهذه الطريقة فى البحث التى يحاول المجددون من أنصار المدرسة الحديثة فى مصر نشرها وتطبيقها فى كل المجالات(١) ـ رد عليه الشيخ رمضان الجداوى ، مشيرا إلى أن هذا المذهب لا ينطبق على المسلمين؛ لأن هناك بعض المسائل التى صارت من المسلمات لديهم كإثبات وجود الله ، واستحقاقه وحده للعبادة ، ونبوة الرسل ، ورسالة سيدنا محمد ﷺ ، وصدق الرسل أجمعين ، وتعريض نصوص الأنبياء الصريحة للنقد شك فى نبوتهم وصدقهم ، وتردد ظاهر فى تلقيهم لعلوم الرسالة من المولى ـ عز وجل ـ وانتهى الشيخ الجداوى فى مقاله إلى أن الذين يرتضون مذهب التشكيك والإنكار يلحدون ، وإن مذهب ديكارت الذى انتحله الدكتور طه حسين ، كان بداية معركة الهجوم على الدين الإسلامى بل وعلى سائر الأديان (٢) .

وفى نطاق الدفاع عن اللغة العربية وآدابها كان اهتمام الصحافة الإسلامية بالأدب الإسلامى ، والشعر الإسلامى ، وأفسحت هذه الصحف صدر صفحاتها لشعراء الإسلام من أمثال محمد صادق عرنوس ، ومحمود رمزى ، وأحمد محرم ، ومحمد حسن النجمى، وأحمد شوقى فى إسلامياته ، وقدمت الصحف الإسلامية بعض البحوث اللغوية النافعة ، وعلى سبيل المثال لا الحصر نشرت المنار سلسلة مقالات بعنوان : «القياس فى اللغة العربية » كتبها الشيخ محمد الخضر حسين (٣) ، وسلسلة مقالات كتبها العالم الأثرى المحقق أحمد بك كمال بعنوان : « براءة القرآن الكريم من الألفاظ الأعجمية » (٤) وغير ذلك من البحوث التى كان يكتبها رشيد رضا فى المنار ومحب الدين الخطيب فى الفتح وحسن البنا ، والسيد صالح رضا ـ شقيق رشيد رضا ـ ومحمد بسيونى عمران وغيرهم .

وتحدثت الصحف الإسلامية أيضا عن التراث الإسلامى والعربى، وأوضحت أن الأجانب من الغربيين اهتموا بالتراث العربى والإسلامى أكثر من اهتمام العرب المسلمين، وقال محب الدين الخطيب عن التراث الإسلامى : « إنه تراث ضخم إذا شرعت من اليوم جميع الأمم العربية والإسلامية بتوزيع أعماله فيما بين علمائها وجامعاتها ومحافلها

---

(١) السياسة الأسبوعية ، ٢٤ سبتمبر ١٩٢٦م.

(٢) الفتح ، عدد ١٨ ، ٧ ربيع الآخر ١٣٤٥هـ ، ١٤ أكتوبر ١٩٢٦م.

(٣) المنار ، جـ٨ ، م٢٢ ، ذو الحجة ١٣٣٩هـ ، أكتوبر ١٩٢١ م ، وانظر أيضا : جـ٩ ، م٢٢ ، جـ١٠ م٢٢.

(٤) المنار ، جـ٦ ، جـ٧ ، م ٢٨ ، محرم ، صفر ١٣٤٦هـ ، يوليو ، أغسطس ١٩٢٧م.

وجانها، فإنها لا تنتهى من الإحاطة به وإحياء مواته إلا بعد مئات السنين ؛ لأنه تراث أجيال لا يأتى عليها الحصر ، « ثم بين كيف أهمل المسلمون تركة هذا السلف فى حين انبرى لدراسة هذا التراث الأجانب من أمثال دى ساسى ونولدكه، وبروكلمان وجولد زيهر ونلينو بهدف الوقوف على دخائله ومعرفة طرق الإحاطة به وبأهله أكثر مما يهمهم بعثه فى نفوس بنيه وأحفادهم » (١) .

وتحدث الخطيب عن استكشافات العرب وما نشره جوستاف لوبون فى كتابه : «حضارة العرب » وما فيها من بدائع العمران فى أسبانيا تحت حكم المسلمين ، وما نشره بروكلمان فى كتابه تحت عنوان : « مآثر العرب فى العلوم المدنية » ، وما نشرته الرحالة الإنجليزية روزنيا موريس التى تحدثت عن شهامة الرجل العربى ، وما ذكره قدرى حافظ طوقان عن أبى على ابن سينا مكتشف طفيلة الأنكلستوما (٢) .

فضلا عن ذلك ، دعت الصحافة الإسلامية إلى تخليص اللغة العربية من الكلمات الأجنبية الدخيلة عليها وعدتها من جنود الاحتلال اللغوى مثل ألفاظ يوزباشى، وبكباشجى وصاغ ، وصول ، ولفظ ماهية ، وماهيات ـ التى تعنى الأجور والمرتبات ـ ومارسيه ، وأرفوار ، وبنجور ، وجد مرننج ، وجد أفترنون ، وجدنيت ، وثانكيو ، وهواريو وغير ذلك من الألفاظ المأخوذة من أصل أجنبى ، ولفتت نظر الحكومة إلى حذف هذه الكلمات التى تشوه جمال لغة البلاد ، ولأن اللغة العربية ركن من مقومات الأمة التى تنحصر فى اللغة والدين والزى ، وكل أمة أضاعت ركنا من هذه الأركان أضاعت قوميتها(٣) ، لذلك فإن ضياع اللغة العربية فى مصر ضياع للقومية المصرية العربية .

وكتب الأستاذ أحمد حسن الزيات فى « الرسالة » فى عددها الحادى والعشرين ينادى بأن تكون اللغة العربية وحدها فى لافتات الحوانيت والمؤسسات والشركات، مستقلة عما يضاف إليها من حواشى اللغات ، وعد ذلك مظهرا من مظاهر الاستقلال الصحيح، وقد أيده فى ذلك حسن البنا ، غير أنه أخذ عليه أن تكون مجلة الرسالة يظهر فيها الاسم العربى مقرونا باللاتينية (٤) .

---

(١) أنور الجندى ، الفتح ، تاريخ الصحافة الإسلامية ، جـ٢، ص٣٩٧، ٣٩٨ .

وأشارت الفتح فى باب تحقيق التراث إلى عدد من الكتب المهمة منها كتاب «الخراج» للقاضى أبى يوسف، «وعمرو بن العاص » لمحب الدين الخطيب ، وكتاب « الجماهر فى الجواهر » ، للبيرونى » « وتاريخ بغداد ، للخطيب البغدادى ، وغير ذلك من كتب التراث .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٩٨.

(٣) الفتح ، عدد ٢٣٣ ، ١٩ شعبان ١٣٤٩هـ ، والإخوان المسلمون ، عدد ٤١ ،السنة الثالثة ، ٢٦ شوال ١٣٥٤هـ، ٢١ يناير ١٩٣٦م.

(٤) الإخوان المسلمون ، عدد ١٩ ، السنة الأولى ، ٥ شعبان ١٣٥٢هـ .

وهكذا يلاحظ عناية الصحافة الإسلامية باللغة العربية ، وأيضا فإن الدعوات التى تثار الآن بين حين وآخر لتخليص اللغة العربية من الكلمات الأعجمية أو الإفرنجية، وكتابة اللافتات باللغة العربية قد أثارتها الصحف الإسلامية منذ نصف قرن من الزمان .

ونستطيع أن نجمل هنا أبرز ما عنيت به الصحافة الإسلامية فى فترة ما بين الحربين للحفاظ على اللغة العربية فيما يلى :

١ ـ كشفت عن خطط الاستعمار التى تهدف إلى القضاء على اللغة العربية الفصحى، وتصدت لدعاة التغريب الذين حملوا لواء الدعوة إلى العامية ، وخلق أدب قومى يكون مستقلا عن آداب الشعوب الشرقية الناطقة بالضاد ، والعناية بالأدب الشعبى والحكايات الشعبية ، وكل ما هو متداول بغير الفصحى وترجمة القصص الغربى الخليع والدعوة إلى كتابة الحروف العربية باللاتينية .

وقد أكدت الصحف الإسلامية على خطورة هذه الدعوات على الجنسية العربية، وأن المقصود منها هو تمزيق الشعوب الإسلامية والعربية ، وتعويق نهضتها ، والقضاء على كل أمل فى الوحدة السياسية والثقافية والدينية فيها ، فضلا عن القضاء على لغة القرآن الكريم وهدم الكيان الإسلامى الذى بنى عليها ، بل هدم الإسلام ذاته ، وفصل الأجيال الحاضرة عن ماضيها وتراثها .

٢ ـ وعنيت الصحف الإسلامية أيضا بالدفاع عن الأدب العربى والتراث العربى والشعر الإسلامى والعربى الذى هوجم من قبل الصحافة التغريبية ورواد الفكر العلمانى فى مصر ، ونادى أصحاب الاتجاه الإسلامى بأن يكون لغة التعليم فى البلاد هى اللغة العربية الفصحى ؛ لأن اللغة أعظم مظاهر القومية ، وضياع اللغة العربية هو ضياع للهوية العربية .

٣ ـ ودعت الصحف الإسلامية إلى تنقية اللغة العربية من الكلمات الأجنبية الدخيلة عليها وعدتها من جنود الاحتلال اللغوى، وقدمت بعض البحوث اللغوية المتخصصة.

وظهر فى مجال الدفاع عن اللغة العربية من الكتاب المسلمين : محمد سعيد العوفى، وفكرى يس ، وحسن البنا ، ومحب الدين الخطيب ، وأحمد وفيق ، والشيخ محمد الخضر حسين ، والشيخ محمد على أحمد ، والشيخ رمضان الجداوى ،والدكتور يحيى الدرديرى، وحسن الزيات ، والسيد رشيد رضا ، وصالح رضا وغيرهم.

المبحث السادس
صحافة الاتجاه الإسلامى وقضايا المرأة

شملت الدعوة إلى تغيير الحياة المصرية فى فترة ما بين الحربين العالميتين كل مجالات الحياة مادية واجتماعية وعقلية وروحية ، وكانت المرأة من أبرز الموضوعات التى كثر حولها الجدل بين دعاة التغريب وبين أنصار الاتجاه الإسلامى فى الصحافة المصرية .

وكانت الدعوة إلى السفور ونبذ الحجاب ، والمساواة بين الرجل والمرأة ، والاختلاط بين الجنسين - متأثرة بالحضارة الغربية ، والدعوة إلى الحرية الشخصية التى تتصل بفكرة العلمانية ، فهى تعتمد على أن الحرية الشخصية قد أصبحت فى العصر الحديث حقا لكل إنسان ، ذكرا كان أو أنثى، ومن ثم يجب التخلص من سلطة الدين على النفوس [(١)].

ويلاحظ أن أول ما طرح من قضايا المرأة قضية الحجاب والسفور ، التى أثير حولها الجدل فى مستهل القرن العشرين ، حينما أصدر قاسم أمين كتابه الأول : « تحرير المرأة» فى عام ١٨٩٩م ، وكتابه الثانى : « المرأة الجديدة » فى عام ١٩٠١م، حيث ذهب المؤلف فى كتابه الأول إلى أن الحجاب ليس من الإسلام فى شىء ، وأن الشريعة كليات وحدود عامة ، ولو تعرضت للجزئيات لما أخذت صفة الدوام فى كل أمة فى كل زمان ومكان ، وأن الأحكام المبنية فى المعاملات والعادات تتغير بحسب أحوال الزمان والمجتمعات على ألا يخل بالشريعة في أى من أحكامها ، وقد تناول فى كتابه مسائل أربع وهى : الحجاب وعمل المرأة المسلمة بالشؤون العامة، وتعدد الزوجات ، والطلاق ، وناقش هذه المسائل من زاوية المتأثر بالحضارة الغربية .

وقد بدا فى كتابه الثانى « المرأة الجديدة » أكثر وضوحًا فى الدعوة للأخذ بأساليب هذه الحضارة ، ولاسيما فيما يتعلق بما وصلت إليه المرأة الأوربية ، وما حصلت عليه من حقوق وامتيازات فى العصر الحاضر [(٢)] .

وقد تبع صدور كتابى قاسم أمين ضجة كبرى فى الرأى العام المصرى، وفى الصحافة المصرية والإسلامية منها بالذات ، وكانت صحيفة « اللواء » لمصطفى كامل فى مقدمة الصحف الإسلامية التى عارضت الدعوة إلى السفور ، وكان لمصطفى كامل موقفه

---

(١) محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، جـ٢ ، ص ٢٧٣.

(٢) أبو الحسن الندوى : الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية ، ط٢ ، الكويت : ١٩٦٨م ، ص ١١٦ ، ١١٧ ، وزكريا سليمان بيومى ؛ الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ٢٩٢ .

المعارض من الدعوة إلى السفور لأنها - فى رأيه - لا تتفق وتقاليد المجتمع المصرى والدين الإسلامى ، فى المقام الأول (١) ، فضلا عن ذلك كان رفض مصطفى كامل لهذه الدعوة يرجع إلى سببين :

السبب الأول : ذكره الدكتور عبد اللطيف حمزة فى موقف مصطفى كامل من السفور قال: «لقد شهد هذا الشاب الذى يمتلئ بالغيرة كيف شقى المجتمع الأوربى بسبب سفور المرأة ، وكيف حرمت البيوت أنس الأسرة ، وكيف نشأ الأطفال الأوربيون فى غير حجور أمهاتهم وآبائهم ، وراح يلح فى أن تصان المرأة في البيت كريمة معززة ، بعد أن تأخذ حقها كاملا من التربية والتعليم فى المدرسة ؛ لأنه يعلم أن العمل الأسمى للأم فى كل بلد هو أن تصنع الرجل للأمة ، وتلك وجهة نظر لها احترامها إلى اليوم» (٢) .

أما السبب الثانى - الذى عارض مصطفى كامل دعوة السفور من أجله : هو رفضه المطلق أخذ الحضارة من الإنجليز ، وكان هذا هو سر حملة اللواء على قاسم أمين ومحمد عبده من الذين كانت لهم صلة بكرومر وصالون نازلى فاضل الذى كان على صلة وثيقة بالوكالة البريطانية (٣) .

ولكن بعد الحرب العالمية الأولى ، أخذت هذه المسألة تتطور تطورا سريعا، ولم يعد ذلك الذى دعا إليه قاسم أمين هو شغل الناس ، فقد استنفذت دعوة قاسم أمين فى وقت قصير كل أغراضها ، واندفع الناس إلى ما وراءها فى سرعة غير منتظرة ، حيث خلعت المرأة الحجاب وخرجت بالثياب الملونة والقصيرة والضيقة تقليدا لنساء الغرب، ثم تجاوزت ذلك كله إلى الظهور على الشواطئ فى المصايف بملابس لا تكاد تستر شيئا من العورة، وأصبح يتحكم فى ملابس النساء صانعو الأزياء فى أوربا (٤) .

وقد ظهرت صحف متخصصة (٥) فى الدعوة إلى السفور ، ففى خلال الحرب العالمية الأولى أنشأ عبد الحميد حمدى صحيفة أسماها « السفور » ، احتوت على فصول لطائفة من الكتاب المعروفين باتجاههم الغربى يدعون فيها إلى التخلص من الحجاب، ومن كافة مظاهره ، وفى مقدمة هؤلاء الكتاب : مصطفى عبد الرازق ، وعلى عبد الرازق ، وطه

---

(١) زكريا سليمان بيومى : الحزب الوطنى ودوره فى السياسة المصرية ، القاهرة : ١٩٨١م ، ص ٢٢٩ .

(٢) على عجوة : فن الدعاية والإعلام عند مصطفى كامل ، رسالة ماجستير ، كلية الإعلام ، جامعة القاهرة، ص٧٨.

(٣) اللواء ، ١٥ مارس ١٩٠٠م.

(٤) محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، جـ٢ ، ص ٢٣٩ .

(٥) من الصحف النسائية التى ظهرت فى فترة ما بين الحربين : صحيفة الأمل ، والمرأة المصرية ، مجلة الجنس اللطيف، ومجلة أمهات المستقبل ، والمرأة الجديدة ، ومجلة النهضة النسائية ، وصحيفة الإيجبت إن بالفرنسية، ومجلة الفتاة ، والمجلة المصرية . انظر : الحركة النسائية فى مصر للدكتورة آمال كامل بيومى السبكى.

السباعى ، وغيرهم من أنصار المرأة (١) .

ثم كان اشتراك المرأة فى ثورة ١٩١٩م من أهم عوامل اشتداد هذه الدعوة ، وقد أعان على اندفاع المرأة إلى السفور جو الثورة التى تلت الحرب ، وما كان يوحى به من جرأة وتمرد على كل قديم ، إذ ظهرت طلائع ذلك فى مظاهرة النساء المشهورة التى طافت بشوارع القاهرة هاتفة للحرية فى طريقها إلى دار المعتمد البريطانى لتقدم إليه احتجاجا مكتوبا على تعسف سلطات الاحتلال ، وبلغ عدد المتظاهرات فيها أكثر من ثلاثمائة وعلى رأسهن صفية زغلول حرم سعد زغلول ، وهدى شعراى حرم على شعراوى باشا(٢) ، وهى أول سيدة أعلنت السفور بعد صفية زغلول ، وأصدرت هدى شعراوى مجلة «المصرية » للدعوة إلى السفور وتحرير المرأة ، وكذلك ألفت نبوية موسى كتابا عن المرأة والعمل ، وشاركتهما كثيرات مثل منيرة ثابت ، وبلسم عبد الملك ، وسيزا نبراوى، ولبيبة هاشم ، ومى زيادة وغيرهن (٣).

وتجرأت المرأة على المشاركة فى القضايا الوطنية وفى مختلف الميادين الاجتماعية ، وتألفت لجنة مركزية للسيدات الوفديات شاركت مشاركة فعالة فى حركة المقاطعة الاقتصادية فى عام ١٩٢٢م (٤) ، وظهرت لأول مرة فى التاريخ المصرى ما سمى بالحركة النسائية ، وتكوّن الاتحاد النسائى المصرى فى ١٦مارس ١٩٢٣م بقيادة هدى شعراوى التى سافرت إلى باريس وأمريكا لدراسة شؤون المرأة ، وأحاطها دعاة التغريب والسفور وصحافتهم بنشاط صحفى موسع ، حيث نشروا تصريحاتها وأحاديثها فى صحفهم ، فضلا عن المقالات التى نشرتها هذه الصحف مصورة وضع المرأة الأوربية داعية إلى ضرورة مطالبة المرأة المصرية بنفس الحقوق (٥) .

وكانت جريدة السياسة التى صدرت فى ٣٠ أكتوبر ١٩٢٢م ورأس تحريرها الدكتور محمد حسين هيكل فى مقدمة الصحف التى روجت للدعوة إلى السفور ، واهتمت بالمسائل الخاصة بالمرأة ، فقد دافعت عن المرأة ، وجعلت موضوعها حديثا يشغل بعض صفحاتها ، كما أفردت لها بين آن وآخر صفحة مصورة تعنى بمسائلها المختلفة (٦) .

وقد أدت بعض الصحف المصرية التغريبية دورا سلبيا فى معركة السفور والحجاب بما

---

(١) آمال كامل السبكى : الحركة النسائية فى مصر ما بين الثورتين ١٩١٩ ـ ١٩٥٢م ، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨٦م ، ص١٤٣.

(٢) محمد حسين : الاتجاهات الوطنية ، جـ٢ ، ص ٢٢٤.

(٣) سليمان نسيم : صياغة التعليم المصرى الحديث ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤م، ص١٥٦.

(٤) محمد حسين : الاتجاهات الوطنية ، جـ٢ ، ص٢٤٠ .

(٥) زكريا سليمان بيومى : الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية ، ص ٢٩٣ .

(٦) إبراهيم عبده : تطور الصحافة المصرية ، ص ٢١ .

كانت تنشر من صور للجمعيات النسائية وللأزياء ، وبما كانت تروى من أخبار وحكايات النشاط النسوى، الذى قل أن تخلو صحيفة من هذه الصحف التغريبية منه ، فضلا عن التطورات التى أحدثتها عملية انقلاب مصطفى كمال أتاتورك فى تركيا ، وآثاره فى المجتمع النسوى بخاصة (١) .

فهذه صحيفة السياسة الأسبوعية تكتب مقالا عن فتاة تركيا ١٩٢٦م تصف فيه سفر باخرة اتخذتها وزارة التجارة التركية معرضا عاما فى رحلة على نفقة الحكومة تتنقل فيها بين موانئ أوربا الشهيرة ، فتقول : « إن هذه الباخرة كانت تقل خمسا وعشرين فتاة من فتيات تركيا الجديدة ، كلهن جميلات مقصوصات الشعور ، لا يكاد يميزهن الرائى من فتيات لندن وباريس » (٢) .

وصحيفة المقتطف تكتب مقالا عن الأحوال فى تركيا المعاصرة ، تشيد فيه بمصطفى كمال أتاتورك والتطور الاجتماعى الذى طرأ على تركيا بسفور النساء، واشتراكهن فى المجتمعات مع الرجال ومشاركتهن الشبان فى الدراسة الجامعية (٣) .

وكانت صحيفتا الهلال والسياسة الأسبوعية أيضا تغذيان الدعوة إلى السفور بما كانتا تنشره من مقالات واستفتاءات تدور حول موضوع السفور ، والدعوة إلى الاختلاط فى دور التعليم وغيرها بزعم ترشيد العواطف بين الجنسين (٤) .

ولجأت السياسة الأسبوعية إلى اصطناع أسئلة تزعم أنها وردت إليها من القراء والقارئات ، من ذلك ما جاء فى عدد ٢٠ نوفمبر ١٩٢٦م سؤال : يقولون عهد تحرير وزمن استقلال وأبى يريد أن يزوجنى رغما عنى ، فكيف أرفع هذا الظلم ؟ إمضاء مظلومة ، وسؤال آخر : ما هى أضرار السفور التى يعلقون بها قلوبنا ؟ إمضاء سافرة . وأجابت الصحيفة فى العدد التالى عن السؤال الأول : امتنعى عن توكيله فى العقد عليك وإن خفت اضطهاده فاعقدى بنفسك على شخص تميلين إليه وترين السعادة فى زواجه ! وإجابة السؤال الثانى : لا شىء يا سيدتى يضير السافرات سوى ما يتوهمه البعض ، وهو ضياع العادات القديمة ، وما دمنا فى عهد تطور ، فكل ما تأتى به ظروفنا الاجتماعية فهو حسن! (٥) .

---

(١) محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، جـ٢ ، ص ٢٢٤.
(٢) السياسة الأسبوعية ، عدد ١٧ يوليو ١٩٢٦م.
(٣) المقتطف ، عدد أبريل ١٩٢٦م.
(٤) الهلال ، عدد ديسمبر ١٩٢٣م ، وأكتوبر ١٩٢٤م ، ومايو ١٩٢٥م.
(٥) السياسة الأسبوعية ، عدد ٢٧ نوفمبر ١٩٢٦م ، ومحمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، جـ٢ ، ص٢٢٦ .

وقد أحدث هذا الهجوم على الحجاب والترويج للسفور من جانب الصحافة التغريبية، فضلا عن التغييرات التى دخلت على حياة المرأة المصرية فى تلك الفترة ، ردود فعل مثيرة فى الرأى العام المصرى من جانب ، ومن جانب آخر لدى صحافة الاتجاه الإسلامى ، وحظيت هذه القضية باهتمام كبير فى الصحافة الإسلامية ، واحتدمت المعركة بين أنصار السفور وحرية المرأة بلا حدود وبين المحافظين من أنصار الاتجاه الإسلامى فى الصحافة المصرية ، الذين تصدوا لمواجهة الصحف التغريبية التى هاجمت العادات والتقاليد الإسلامية ، دون مراعاة لحرمة الدين وقداسة تعليماته ، واحتوت الصحف الإسلامية على العديد من البحوث والمقالات التى تهاجم السفور ، وزخرت هذه البحوث أيضًا بآراء الكتاب المسلمين الذين دعوا إلى ضرورة بقاء المرأة فى بيتها بعد أن تنال حظها من التعليم الذى يساعدها فى أداء مهمتها فى تربية الأجيال الصالحة [1] .

وكان من أبرز الذين تصدوا لدعاة السفور فى أعقاب الحرب العالمية الأولى مصطفى صادق الرافعى ، فقد نشر قصة مسلسلة بعنوان : « الطائشة » فى صحيفة البيان رد فيها على قاسم أمين ، وسخر من وضع الفتاة التى سارت فى طريق السفور والتحرر ، كما وجه اللوم إلى مناهج التعليم التى لا تقدم للفتاة ما يفيدها فى دينها ودنياها ، وكذلك إلى الحكومة التى قصرت فى توجيه الناس وإرشادهم [2] .

ثم توالى هجوم الصحافة الإسلامية بعد ذلك ، فيكتب شكيب أرسلان فى المنار مقالاً بعنوان : « السفور والحجاب » يعرض فيه للمراحل التى مرت بها الدعوة إلى السفور ليسجل أن الدعوة إلى نزع الحجاب هى مرحلة تهيئ لما يليها من مراحل ودعوات ترمى إلى هدم الدين والتقاليد الإسلامية ، وأنها سبيل نسلك فيه مسلك الأوربيين «فتكون للمرأة حريتها تذهب حيث أرادت وتحادث من أرادت ، وتضاحك من أرادت ، وتفاخر من أرادت . . إلخ » [3] .

وكتبت مدام رئيفة كامل فى المنار أيضًا تهاجم أنصار المرأة من المستغربين ، وتنعى على الحالة المعاصرة التى وصلت إليها المرأة المصرية ، ولا سيما الطبقة الراقية ، مشيرة إلى أنها أصبحت أوربية قلبًا وقالبًا ، عادة ولسانًا ، رشاقة وفتنة ، ولم يصبح للدين ولا آدابه فى أخلاقها أى أثر ، وناشدت الجمعيات النسائية أن تعمل على نهضة المرأة المصرية بالرجوع بها إلى حظيرة الدين والفضيلة، وصونها عن التبذل والخلاعة، وحتى لا يكتسح

---

(١) الشبان المسلمون ، جـ٢ ، م ١ ، رجب ١٣٤٨ ، ديسمبر ١٩٢٩م ، وعدد رمضان ١٣٤٨هـ ، فبراير ١٩٣٠م .

(٢) على عبد الحليم محمود : نحو أدب إسلامى معاصر ، ومصطفى صادق الرافعى والاتجاهات الإسلامية فى أدبه ، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، ص٤٨ .

(٣) المنار ، ذو الحجة ١٣٤٣هـ ، يوليو ١٩٢٥م .

الغرب بمدنيته الخادعة كل ما بقى فى هذه الديار من آثار التقى والقرآن . . . وحتى لا تستمرئ النفوس هذا الطريق وتتمادى فيه (١) .

وتصدى الدكتور محمد البهى للرد على الذين ينادون بأن تحمل المرأة الشرقية ـ وخصوصًا المصرية ـ طابع المرأة الأوربية الغربية مهما كلفها ذلك من عناء ومجافاة لعادات وطنها ، وتعاليم دينها وإسراف فى التقليد الأعمى واتباع لمشورة الوصى الغربى ، وقال الدكتور البهى : « إن الصورة التى فى ذهن الشرقى عن أوربا هى صورة مبالغ فيها نحو ناحية الكمال والرقى الإنسانى بفضل الدعاية الثقافية والأدبية التى تقوم لها الأفلام السينمائية ومدارس الإرساليات الأجنبية ، والنشرات والكتب التى تحمل طابع البحث العلمى » (٢) .

ونشرت الفتح سلسلة مقالات للكاتب عمر إبراهيم الدسوقى ـ من دار العلوم ـ ندد فيها بدعاة السفور ، متهما إياهم بأنهم أصحاب آراء سقيمة ،وتأثرهم بالغرب واضح ، فهم يرددون مايقوله الغربيون من دعاة النصرانية ،وأعوان الاستعمار الذين لا يعرفون شيئا عن الإسلام ،وأوضح فى هذه المقالات أن الحجاب يعمل على صيانة المرأة من كل ما يدفع بها إلى الرذيلة ، وأن الحجاب ليس له دخل فى خمول المرأة المسلمة كما يدعى أنصار السفور ،ثم أظهر ما أحدثه السفور فى أوربا من مساوئ ، وماجره على الأسرة والأخلاق من انحطاط ،كما تناول فى هذه المقالات نظرة الإسلام إلى المرأة ،وكيف أنه أعطاها حريتها ،وسواها بالرجل فى كل شىء وفرض عليها من التكاليف مثل ما فرض على الرجل ،وأخذ يرد على كل المسائل التى يأخذونها على الإسلام ،ومن أبرزها الحجاب (٣) ، وأشار محمد عبد السلام القيانى فى صحيفة الإخوان المسلمين إلى أن السفور فى أوربا قد أنتج حوادث شائنة منها : الإضراب عن الزواج ، واستغناء الشباب عنه بالسفاح واتخاذ الأخدان ، كذلك أنتج افتقاد الطمأنينة والهناءة فى العائلات ، وعقوق البنين والبنات للآباء والأمهات ،واضطراب الأمن فى كل الجهات ؛ إذ إن حوالى ٧٠٪ من حوادث الجنايات والجرائم إنما هو من النسائيات (٤) .

وأعلن الشيخ محمد إسماعيل ـ خطيب مسجد القبة الفداوية ـ أن دعاة السفور لا

---

(١) المنار ، جـ٥ ، م ٢٨ ، ذو الحجة ١٣٤٥هـ ، يونيه ١٩٢٧م .

(٢) نور الإسلام ، جـ٢ ، م ٩ ، صفر ١٣٥٧هـ .

(٣) الفتح ، عدد ١٨٨ ، ٢٨ رمضان ١٣٤٨هـ ، ٢٧فبراير ١٩٣٠م والأعداد التالية له .

(٤) الإخوان المسلمون ، عدد ١٧ ، السنة الأولى ، رجب ١٣٥٢هـ ، مقال بعنوان : « التجديد فى الشرق والتجديد فى الغرب » .

هَمٌّ لهم سوى النيل من الإسلام وتحقير آدابه ، وتنفير أبنائه من تعاليمه وأحكامه ، وحض النساء على الخروج على الدين ، ونبذ العادات الشرقية ، وتشجيع الفتيات على مخالطة الرجال غير المحاوم ، وإغرائهن على السفور والرقص ، وتحريضهن على هجر البيوت إلى دور التمثيل الماجنة ، وشهود روايات الغرام والفسق باسم الحرية والأدب المكشوف والمدنية والحضارة ، وأكد على خطر هذه الدعوة على مقومات الأمة وكيانها قائلاً : « إن لكل أمة من الأمم شخصيتها ومميزاتها التى تفصلها عن غيرها فى الدين والجنس واللغة والتقاليد والعادات والميول والمشاعر والذوق والإحساس ،والعاطفة ، فإذا قلدت أمة من الأمم أمة أخرى تغايرها دينًا ولغة وتقاليد وعادات وتربية وأفكارًا ، فقد ضاعت قوميتها وتلاشت شخصيتها . . وقطعت الصلة بينها وبين آبائها وأمجادها » (١) .

وفى مقال بعنون : « أثر القرآن الكريم فى الأخلاق والعادات » كتب الشيخ مصطفى بدر زيد فى مجلة الهداية الإسلامية يبين حكم الإسلام فى السفور ونهيه عن التبرج ، مستدلاً بآيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة ، مشيرًا إلى أنه لا مبرر لتحبيذ السفور والدعوة إليه إلا الفرار من حدود هذا الدين ، وإسلام العنان للنفس فى تطبيق أحكامه حسب الأغراض والأهواء (٢) .

وشنت صحيفة نور الإسلام أيضًا حملة على تهتك المرأة وسفورها ونددت بالحالة المزرية التى وصلت إليها المرأة المسلمة فى مصر من التبرج والسفور والاختلاط بين الجنسين ، وغشيان الملاهى والمراقص والمجاهرة بالفسوق ، والجرى وراء الموضة وتقليد الأجانب (٣) .

ومضت صحيفة الإخوان المسلمين تفند ما يدعيه أنصار السفور والتبرج من أن احتجاج النساء مجلبة للتشوف ومدعاة لحب الاستطلاع ، والتنقيب وراءهن ، وولوع النفس بالغريب وزهدها فيما تملك ، ومما قالته الصحيفة فى الرد على هذه الشبه : « إن الشريعة الإسلامية مبنية على حفظ الأنساب ، وسد الذرائع وغلق باب الفساد وحسم الشرور أو تقليلها قدر المستطاع ، وأن احتجاب المرأة يمنعها من السقوط فى الرذيلة ، وتطرق الفساد إلى المتحجبات أقل منه إلى المتبذلات السافرات اللاتى يغشين النوادى ، لذلك فالأسلم احتجاب المرأة إلا للضرورة درءًا للفساد وصيانة للأعراض والأنساب » .

ثم ترد الصحيفة على شبهة أخرى يحتج بها دعاة السفور ، وهى : إن السفور يبيح

---

(١) الفتح ، عدد ٥٧ ، ١٨ صفر ١٣٤٨هـ ، ٢٥ يوليو ١٩٢٩م .

(٢) الهداية الإسلامية ، جـ٣ ، م ١ ، شعبان ١٣٤٧هـ .

(٣) نور الإسلام ، عدد ٥ ، م ١ ، جمادى الأولى ١٣٤٩ مقال بعنوان : « خلاعة النساء تقودنا إلى الهاوية » بقلم على الجندى .

تخير شريكة الحياة بغير واسطة الخاطبات اللاتى يغررن فى الوصف ، قائلة : « إن الشارع يبيح لمن أراد الخطبة أن يرى وجه من يخطبها من النساء وكفيها حتى تطمئن نفسه ، وذلك أدعى إلى الألفة والمحبة كما ورد بذلك الحديث الشريف ، ومن البيئة تعرف الأخلاق وأهل الفتاة عنوان طباعها ودليل خلقها » (١) ، وانتقدت صحيفة الشبان المسلمين ظهور طالبات الجامعة المصرية بلباس يكشف عن أجزاء من العورة (٢) .

وهاجم الدكتور يحيى الدرديرى نساء الطبقات الأرستقراطية ، والطبقة العالية اللاتى قطعن شوطًا كبيرًا فى السفور ، وشبههن بالمومسات فى الهيئات والأزياء والروائح العطرية، وإغراء السواعد والمناكب والصدور وفى اقتناء الجواهر وغشيان المراقص وأماكن اللهو (٣).

وبالإضافة إلى هذه الجهود التى بذلت من قبل الصحف الإسلامية وكتابها فى محاربة أنصار « السفور » والكشف عن زيف هذه الدعوة وبيان أهدافها وأغراضها وخطرها على الأمة ، واصلت الصحف الإسلامية جهودها فى نقد المؤلفات التى ظهرت فى هذا المجال وآذرت جهود الجمعيات الإسلامية فى رفضها للسفور ، وتصدت للحركة النسائية التى تشكلت فى بداية العشرينات بقيادة هدى شعراوى ، وتابعت كل ما يصدر عنها من أنشطة ودعوات وآراء .

وانتقدت صحيفة الفتح كتاب السفور والحجاب الذى وضع على غلافه اسم الآنسة نظيرة زين الدين ، وقال محب الدين الخطيب : « إن الذى وضع هذا الكتاب فى الحقيقة رواد التغريب فى مصر للهجوم على الحجاب الإسلامى » ، وقد بذلت الصحف النصرانية، والصحف التغريبية والنسائية أقصى جهودها للإشادة بهذا الكتاب فى الشام ومصر والعراق ، ونوه الخطيب بالكتاب الذى كتبه السيد سليم أحمد ـ رئيس تحرير جريدة الصفا اللبنانية ـ للرد على مزاعم هذا الكتاب والمغالطات التى حواها بين دفتيه (٤) .

وفى مقال آخر أثنى الخطيب على الكتاب الذى ألفه الشيخ محمد سعيد الجابى للرد أيضًا على كتاب الآنسة نظيرة زين الدين (٥) .

ومن متابعة الصحف الإسلامية يلاحظ أن الشعر قد شارك فى معركة السفور

---

(١) الإخوان المسلمون ، عدد ٢ ، السنة الثانية ، ٢٦ محرم ١٣٥٣هـ .

(٢) الشبان المسلمون ، جـ٨ ، م ٧ ، صفر ١٣٥٥هـ ، مايو ١٩٣٧م .

(٣) الشبان المسلمون ، جـ٨ ، م ٨ ، صفر ١٣٥٦هـ ، مايو ١٩٣٧م ، مقال بعنوان : « أفلست المرأة ومعها الرجل أفلس » .

(٤) الفتح ، عدد ١٧ ، ٢٧ ربيع الآخر ١٣٤٧هـ ، ١١ أكتوبر ١٩٢٨م .

(٥) الفتح ، عدد ١٥٩ ، ٣ ربيع الأول ١٣٤٨هـ ، ٨ أغسطس ١٩٢٩م .

والحجاب ، فنرى الشاعر محمد عبد الرحيم عبد الكريم يهاجم دعاة السفور فى قصيدة طويلة بعنوان : « يا دعاة السفور » جاء فى مطلعها :

يا دعاة السفـور قـولوا صـوابا   وتحاشـوا يومًا تعقـوا الحجـابا

لا تطيشوا فتضربوا سهم طيش   فتجروا على البـلاد مصابا (١)

وأشادت الفتح بديوان الشاعر ناصر الدين الذى نعى فيه على السفور والتبرج وهاجم فيه دعاة السفور ، يقول فى قصيدة مطلعها :

لك البيـت لا نادى السياسة مجلس   وشـأنك درس فى المفيد من الكتب

وإرضـاع أطـفـال وإعـداد مـطعـم   وتفريج ما يلقاه بعلك من كرب (٢)

وغير ذلك من القصائد التى رأيناها منشورة فى صفحات الصحف الإسلامية ، ويلاحظ أيضًا أن هذه الصحف آزرت الجهود المبذولة من قبل الجمعيات الإسلامية لمحاربة الدعوة إلى السفور ، ونشرت الفتح نص الرسالة التى قدمتها جمعية اللواء الإسلامى إلى رئيس مجلس الوزراء تطالب فيها بإغلاق الرقص والبغاء ؛ لأنها منافية للآداب والدين الرسمى للبلاد (٣) .

وأفسحت الفتح أيضًا صدر صفحاتها لرئيس جمعية اللواء الإسلامى على نجيب ، فكتب العديد من المقالات ، ندد فيها بالدعوة إلى السفور والآثار السيئة التى تركتها على المجتمع ، وأكد أن إطلاق الحرية للمرأة تقويض لأخلاق الأمة ، وأن أنصار السفور يهدمون المجتمع ويحطمون الفضيلة والأخلاق (٤) .

ويلاحظ أيضًا أن الصحافة الإسلامية فى تلك الفترة قد عارضت الدعوة إلى خروج المرأة للعمل ، تلك الدعوة التى نادى بها دعاة السفور ، والصحافة النسائية ـ مثل مجلة أمهات المستقبل وفتاة مصر وروز اليوسف ـ تقليدًا للمرأة الأوربية فى خروجها إلى العمل ومشاركتها للرجل فى كل مكان (٥) ، وكان من أبرز المهاجمين لخروج المرأة إلى العمل من كتاب الصحافة الإسلامية : الشيخ حسن البنا ، والدكتور يحيى الدرديرى ، ومحمد فريد وجدى .

---

(١) الفتح ، عدد ٢٧ ، ١١ جمادى الآخرة ١٣٤٥هـ ، ١٦ ديسمبر ١٩٢٦م .

(٢) الفتح ، عدد ٢٩ ، ٢٥ جمادى الآخرة ١٣٤٥هـ ، ٣٠ ديسمبر ١٩٢٦م .

(٣) الفتح ، عدد ٣٢ ، ١٦ رجب ١٣٤٥هـ ، ٢٠ يناير ١٩٢٦م .

(٤) الفتح ، عدد ٥٤ ، ٢٢ محرم ١٣٢٦هـ ، ٢١ يوليو ١٩٢٧م ، وعدد ٦١ ، ١٢ ربيع الأول ١٣٤٦هـ ، ٨ سبتمبر ١٩٢٧م ، وعدد ٦٤ ، ٤ ربيع الآخر ١٣٤٦هـ ، ٢٩ سبتمبر ١٩٢٧م .

(٥) آمال السبكى : الحركة النسائية فى مصر ، ص١٧٢ .

فنرى الشيخ حسن البنا يهاجم الذين يدعون إلى خروج المرأة للعمل ويتهمهم بأنهم بهذه الدعوة « يسوقون الأمة إلى خطر عظيم ، ويهددون الأسرة المصرية ويفتحون عليها بابًا مغلقًا من أبواب التهلكة والدمار وإلى مزلق من مزالق الفناء الاجتماعى» ، وأيد وجهة نظره بما نقلته الصحف عن الجرائد الألمانية من حظر القانون الألمانى العمل على المتزوجات، رغبة فى تخفيف وطأة البطالة ، وثانيًا : إلزامًا للمرأة أن تقول بوظيفتها الطبيعية ، وذهب الشيخ حسن البنا إلى أن وظيفة المرأة الأولى هى رعاية البيت ورعاية زوجها وأطفالها بعد أن تنال حقها من التعليم (١) .

وأقام الدكتور يحيى الدرديرى الأدلة على فساد دعوة القائلين بتقليد المرأة الشرقية والمسلمة للمرأة الغربية فى الخروج إلى العمل ، وأشار إلى أن المرأة الأوربية العاملة فى حالة بؤس مادى ومعنوى معًا ، لعدة أسباب :

أولاً : أنهن لا يكسبن فى كثير من الأحيان ما يكفى لمعاشهن .

ثانيًا : أن المرأة الأوربية تشعر بأنها خرجت عن وظيفتها ـ وظيفة الأم والزوجة وربة البيت ـ وخروج الإنسان عن طبعه عذاب وشقاء له (٢) .

كذلك طالب فريد وجدى بعدم عمل المرأة ، وردت عليه نبوية موسى قائلة : إن المرأة مضطرة إلى العمل ، ورأت أن من الواجب أن تتعلم كل فتاة اكتساب العيش من حرفة تناسب مقامها إذا احتاجت لذلك ، حتى لا تجنى على الفتاة الزكية الرفيعة المقام (٣).

وهكذا ظلت هذه القضية مطروحة للمناقشة فى الصحافة المصرية بين أنصار الاتجاه الإسلامى ، ودعاة التغريب ، ومازالت مطروحة إلى اليوم برغم النجاح الذى حققته بعض النسوة فى مجال العمل ، وبرغم وجود الأعمال التى تلائم طبيعة المرأة كالطب والتدريس .

وقد شنت الصحافة الإسلامية حملة شديدة اللهجة على الحركة النسائية أو الثورة النسائية التى تزعمتها هدى شعراوى واتهمتها بالجهل ، وأبان محب الدين الخطيب أن خطب ومقالات هدى شعراوى لم تكن من بنات أفكارها (٤) ، وأشارت مجلة الهداية الإسلامية إلى أن الحركة النسوية الهدف منها تمزيق ثوب الفضيلة ، ونزع أدب الحياء من

---

(١) الإخوان المسلمون ، عدد ٩ ، السنة الأولى ، ١٨ ربيع الأول ١٣٥٢هـ ، مقال بعنوان : « كيف يشجعون الزواج » لحسن البنا .

(٢) الشبان المسلمون ، جـ٥ ، م ١ ، رمضان ١٣٤٨هـ ، فبراير ١٩٣٠م ، مقال بعنوان : « أثر المرأة وما يجب أن يكون عليه » للدكتور يحيى الدرديرى .

(٣) الشبان المسلمون ، جـ٣ ، م ٢ ، رجب ١٣٤٩هـ ، ديسمبر ١٩٣٠م .

(٤) الفتح ، عدد ٦٧ ، ٢٥ ربيع الآخر ١٣٤٦هـ ، ٢٠ أكتوبر ١٩٢٧م .

نفوس فتياتنا وفتياننا (١) .

وقال محمد الباقر اليمنى فى مقال بعنوان : « الثورة النسائية والإصلاح النسائى » : « إن تلك الثورة المقصود بها الإجهاز على ما بقى من التدين والطهر والعفاف ، وإشاعة الخلاعة والعار وتسهيل السبيل إلى الإباحة المطلقة » ، وأكد « أن ما يتظاهر به تلك النسوة وأذنابهن من الحنان والشفقة كذب ، فلو كن صادقات فيما زعموا لسعوا إلى مواخير الفسق العلنى ، وانتشلوا ما فيها من الضحايا ، وسهلوا الزواج ، ورغبوا فيه بإبعاد النساء عن المخادنة ، والمراقصة ومخالطة الرجال » (٢) .

وندد أحمد جميل الرافعى بما يدعونه النهضة النسائية ، وذكر أن هذه النهضة لم تبن على أسس حقيقية يفاد منها الوطن والأمة ، ويرى « أن النهضة الحقيقية لابد أن تكون قائمة على الدين والفضيلة حتى تستطيع الفتاة أن تُخَرِّج أبناء صالحين لأمتهم ودينهم ، وليست النهضة أن تكتفى المرأة بالإسراف والتبرج والرطن باللغة الأجنبية والعزف على البيانو ، أو غير ذلك من المظاهر الفارعة التى تدعو إليها الحركة النسائية فى مصر » (٣) .

وعندما نادت الحركة النسائية بمساواة الرجل بالمرأة فى كل مرافق الحياة على السواء اعتبر ذلك الكاتب دسوقى إبراهيم خروجًا عن الدين ، ووضح العلاقة بين الرجل والمرأة فى ضوء الآداب الإسلامية وتعاليم الإسلام (٤) .

وقد دأبت صحيفة الفتح على معارضة كل ما يكتبه سلامة موسى فى مجلته «الجديدة» ، والعمل على تسفيه آرائه فى الدعوة إلى السفور ومساواة المرأة بالرجل ، ومؤكدة على أن هذه التجربة فشلت فى أمريكا وأوربا ، وأن الأوربيين أنفسهم بدأوا ينكرون على المرأة حريتها ، وينادون بإعادتها إلى البيت ، للعناية بأطفالها وتدبير شؤون منزلها (٥) .

وكتب محمود حفنى فى مجلة الشبان المسلمين : إنه لو نال النساء يومًا هذه المساواة التى يتطلبها لهن الذين يدعون الدفاع عنهن ، فإن ضمانهن الاجتماعى يبطل على قدر ما تفسد حالتهن الأدبية ، وأكد على أن هناك فروقًا طبيعية بين الرجل والمرأة (٦) .

---

(١) الهداية الإسلامية ، جـ٤ ، م ٢ ، رمضان ١٣٤٨هـ .
(٢) الفتح ، عدد ٥٥ ، ٢٩ محرم ١٣٤٦هـ ، ٢٨ يوليو ١٩٢٧م .
(٣) المنار ، جـ٥ ، م٢٩ ، ربيع الأول ١٣٤٧هـ ، سبتمبر ١٩٢٥م .
(٤) الفتح ، عدد ٣٧ ، ٢٢ شعبان ١٣٤٥هـ ، ٢٤ فبراير ١٩٢٧م .
(٥) الفتح ، عدد ٢٠٩ ، ٢٨ صفر ١٣٤٩هـ .
(٦) الشبان المسلمون ، جـ١ ، م ١ ، جمادى الأولى ١٣٤٨هـ ، أكتوبر ١٩٢٩م .

وكان سلامة موسى قد خطب فى جمعية الشبان المسيحيين ، وتعرض فى خطبته للمرأة المسلمة وقضية السفور والحجاب ، وهاجم القرآن الكريم لأنه ميز بين المرأة والرجل فى الميراث ، وطالب بمساواة المرأة بالرجل فى مسألة الميراث بحجة أن عدم المساواة مثبطة للشباب عن الزواج ، وذكر أيضًا أن قاسم أمين كان قصده من دعوته لتحرير المرأة المساواة بينها وبين الرجل في الميراث ، ووجه فى خطبته هذه نداء إلى السيدة هدى شعراوى زعيمة الحركة النسائية لتطالب الحكومة المصرية بذلك ، وأرسل إليها برقية خاصة بهذا الشأن مصحوبة بنص الخطبة التى ألقاها فى جمعية الشبان المسيحيين ، وقد نشرت هذه البرقية ، ونص الخطبة فى جريدة المقطم (١) .

غير أن هدى شعراوى ردت على سلامة موسى فى الأهرام ، ترفض ما طلبه بشأن المساواة بين المرأة والرجل فى الميراث وقالت : « يهمنى أن أبلغ حضرة الأستاذ سلامة موسى ومن حضروا خطبته أننى فى خدمتى لهذه النهضة أؤدى واجبًا معهودًا إلىّ من جمعية الاتحاد النسائى . . . ولما كان نصيب المرأة فى الميراث ليس من المسائل الداخلة فى برنامجها فليس لى أن أتدخل فى موضوع المساواة بين الرجل والمرأة فى الميراث » .

ومضت هدى شعراوى فى ردها تقول : « إننى لست من الموافقين على رأى الأستاذ الخطيب سلامة موسى ، فيما يتعلق بتعديل نصيب المرأة فى الميراث . . وذلك لأن لكل بلد تشريعه وتقاليده ، وليس كل ما يصلح فى بعضها يصلح فى البعض الآخر ، رغم أننا متأثرين بالنهضة النسائية الأوربية .

أما القول بأن عدم المساواة فى الميراث من دواعى إحجام كثير من الشباب عن الزواج فى الشرق فغير وجيه ؛ لأننا نشاهد فى أوربا انتشار هذا الداء فى عصرنا الحالى انتشارًا أشد خطورة منه فى الشرق ، بالرغم من أن الأوربية ترث بقدر ما يرث الرجل ، فضلاً عن أنها ملزمة بدفع المهر ، ومكلفة بالتخلى عن إدارة أموالها كزوجة » ، كذلك فندت هدى شعراوى ما قاله سلامة موسى بخصوص أن قاسم أمين كان ينوى المطالبة بمساواة المرأة بالرجل فى الميراث ، واعتبرت ذلك رجمًا بالغيب (٢) .

ويلاحظ أن صحيفة الفتح قد أثنت على رد هدى شعراوى على سلامة موسى ، وهاجمت سلامة موسى فيما نادى به ، وانتقدت أيضًا ما قاله فى كتابه : « أحلام الفلاسفة » الذى دعا فيه إلى نظام تعدد الأزواج ، وشيوعية النساء ، مدعيًا أن هذه الدعوة ينشأ عنها أدب نزيه خالى من القيود ، وزعم أنها توافق الطبيعة البشرية (٣) .

---

(١) المقطم ، ٢٣ ديسمبر ١٩٢٨م .
(٢) الأهرام ، عدد ٢٧ ديسمبر ١٩٢٨م ، ١٦ رجب ١٣٢٧هـ .
(٣) الفتح ، عدد ١٢٩ ، ٢٢ رجب ١٣٤٧هـ ، ٣ يناير ١٩٢٩م .

فضلاً عن ذلك ، قاد سلامة موسى حملة ضد الشريعة الإسلامية فى السياسة الأسبوعية تحت عنوان : « النهضة النسائية فى مصر تحتاج إلى المطالبة بالمساواة الاقتصادية» وتحت عنوان آخر : « النهضة والميراث » دعا سلامة موسى فى هاتين المقالتين إلى المساواة بين الرجل والمرأة فى الناحية الاقتصادية ، والمساواة فى الميراث كما هو حادث فى الشريعة الغربية ، ورتب ـ فى زعمه ـ على عدم المساواة فى هذه المسائل إلى إحجام الشبان عن الزواج ، وانحطاط مستوى المرأة الأدبى ، وترقية الفنون الجميلة كالغناء والرقص والموسيقى [1] .

وقد قوبلت آراء سلامة موسى باعتراض شديد واستنكار من جانب كتاب الصحافة الإسلامية ، وكان فى مقدمة الذين انبروا للرد على سلامة موسى الشيخ أحمد إبراهيم ـ أستاذ الشريعة فى كلية الحقوق فى الجامعة المصرية ـ ومصطفى صادق الرافعى ، والدكتور يحيى الدرديرى ، الذى اتهم سلامة موسى بأنه يقود حملة ضد الشريعة الإسلامية بالذات ، وذلك لأن أغلب نساء مصر مسلمات ، وسجل فى الرد عليه : « إنه بنى حججه على العاطفة والتقليد لا على البحث العلمى واستقصاء الحقيقة ، شأن كل مصلح ومفكر يريد أن يكون لكلامه أثر ولآرائه اعتبار ، وكان يجب عليه أيضًا قبل أن يتصدى لهذه الدعوة التى لا أساس لها أن يتحرى التاريخ والواقع ، وأن ينظر إلى ما جاءت به الشريعة الإسلامية السمحة من الضمانات الكافية لحماية مكانة المرأة الأدبية والمادية معًا ، أو يقارن بينها وبين أخواتها من الشرائع التى سبقتها فى الشرائع الغربية الحديثة ، ويبين لنا وجه الإصلاح القائم على الدليل ، والذى تتطلبه الحاجة ، أما أننا نعنى بكل ما جاء به الغرب قصدًا أو عفوًا ضروريًا أو كماليًا ، حسنًا أو قبيحًا ، فذلك ما لا يقول به عاقل ولا ينادى به مصلح » ، ثم بين تكريم الإسلام للمرأة وسمو مكانتها فى الشريعة الإسلامية بعد انحطاطها فى الشرائع السابقة ، فالدين الإسلامى حمى المرأة حماية كبيرة بأن جعل الرجل يكفلها ، كما أعطاها نصف ما للرجل من الميراث لتدفع به عن نفسها إذا ما اعتدى الرجل عليها ، ويمكنها أن تعيش مستقلة محتفظة بكرامتها واستقلالها [2] .

وواصل الدكتور الدرديرى نقده وتفنيده لكلام سلامة موسى نقطة نقطة ، متسائلاً : هل مساواة المرأة بالرجل فى الميراث تستلزم رفع مستوى المرأة الأدبى ؟ وهل عدم مساواة المرأة بالرجل فى الميراث يستلزم انحطاطها الأدبى ؟ ثم يشير إلى أن سلامة موسى سيرد بالإيجاب وأنه واهم فى زعمه ، وإلا ماذا يقول سلامة فى المرأة الإنجليزية التى لا ترث

---

(١) الشبان المسلمون ، جـ٦ ، م ١ ، شوال ١٣٤٨هـ ، مارس ١٩٣٠م ، مقال بعنوان : « المرأة والميراث فى الإسلام » مع مقارنته ببعض الشرائع الأخرى .

(٢) الشبان المسلمون ، جـ٥ ، ٦ ، م ١ ، رمضان وشوال ١٣٤٨ ، فبراير ومارس ١٩٣٠م .

شيئًا ؟ فهل يعتبرها أحط المخلوقات ؟ وهل نشأ فى عدم التساوى بين الرجل الإنجليزى والمرأة الإنجليزية فى الميراث انحطاط فى الأدب الإنجليزى والفنون الجميلة من غناء ورقص وموسيقى ؟ وهل كبرياء المرأة يتوقف على غناها المادى ؟ إن كثيرًا من علماء الإنجليز يقولون العكس .

ويضيف الدكتور الدرديرى : « إن الشريعة التى يعنيها سلامة موسى بأننا أخذنا بعض قوانينها هى الشريعة الفرنسية ، وأن هذه الشريعة إذا ساوت بين الرجل والمرأة فى الميراث فلم تعدل بينهما فى جوانب أخرى من التشريع ، على سبيل المثال : ليس للمرأة أن تتاجر إلا برضاء زوجها وأخذها تصريح منه ، وليس للمرأة الفرنسية أن تتصرف فى أموالها إذا لم تكتب عقدًا بينها وبين الزوج قبل حصول الزواج وإلا أصبح ما لها تحت تصرف الزوج ، فضلاً عن ذلك ، فإن المساواة بين الرجل والمرأة فى الميراث لا يتبعها المساواة فى بقية الحقوق ، وإن كانت الشريعة الإسلامية أعطت المرأة نصف ما للرجل فقد حملته نفقة الحياة المنزلية ونفقة الأولاد ، ثم منحت الشريعة كفالة الرجل للمرأة فى جميع أدوار حياتها ، فإن لم تجد من يكفلها كفلتها الحكومة ، وأنفقت عليها من بيت المال ، كل هذا حرصًا على كرامة المرأة وعدم تفكك الأسرة » (١) .

وذكر مصطفى صادق الرافعى أن سلامة موسى متأثر بمصطفى كمال أتاتورك فى تقليد أوربا فى كل شىء ، وأن سلامة موسى لا يفهم الدين الإسلامى ؛ لأنه ليس من أهله ، وأن اقتراحه هذا تطفل منه ، وذلك لأن ميراث البنت فى الشريعة الإسلامية لم يقصد لذاته بل متعلق بمسائل أخرى كالزواج والمهر والنفقة وغيرها ، وإذا وجب على المرأة أن تأخذ من جانب وجب عليها أن تدع من جانب آخر يقابله (٢) .

كذلك رد الشيخ أحمد إبراهيم أستاذ الشريعة فى كلية الحقوق بالجامعة المصرية ، وعضو مجلس إدارة جمعية الشبان المسلمين على سلامة موسى ، مبينًا أنه ليس من حقه الكلام فى مسألة دينية تخص المسلمين (٣) .

كما تصدى رشيد رضا للدكتور فخرى ميخائيل الذى كتب يطالب بمساواة المرأة بالرجل فى الميراث ، مرددًا ما قاله سلامة موسى فى المقطم والسياسة الأسبوعية ، وما قاله محمود عزمى فى المناظرة التى تمت بينه وبين رشيد رضا فى الجامعة المصرية ، وذهب رشيد رضا إلى أن هؤلاء يحكمون بأهوائهم فى مسألة مساواة المرأة بالرجل فى الميراث ؛ لأن الرجل هو الذى ينفق على المرأة ، وعلى أولادها منه ، فضلاً عن أن هذا واجب لها

(١) الشبان المسلمون ، جـ٦ ، م ١ ، شوال ١٣٤٨هـ ، مارس ١٩٣٠م .
(٢) الفتح ، عدد ١٣٠ ، ٢٩ رجب ١٣٤٧هـ ، ١٠ يناير ١٩٢٩م .
(٣) الشبان المسلمون ، جـ٧ ، م ١ ، ذو القعدة ١٣٤٨هـ ، أبريل ١٩٣٠م .

عليه فى الشريعة الإسلامية ولها حق المطالبة به ، وأن القاضى الشرعى يحكم لها به ، ويكره الرجل عليه فى حال الامتناع ، ولها أن تعترض عليه ، ولا تكلف نفسها أن تشترى لنفسها شيئًا من مالها وإن كانت أغنى من زوجها (١) .

وأعلن محب الدين الخطيب فى الفتح نقلاً عن مقال لفائز بك الخورى صرح فيه أن المساواة بين الرجل والمرأة لم تتحقق لا فى القانون الرومانى ولا الفرنسى ولا الإنجليزى ، فالقانون المدنى الفرنسى يعتبر المرأة غير ذات أهلية حقوقية ، ولا يجوز لها عقد العقود ، ولا القيام بسائر المعاملات ، وليس باستطاعتها أن تعمل شيئًا من هذا إلا بإجازة الزوج المعتبر وصيًا عليها ، وهى بحكم القاصر ، والإنجليز يساوون بين المرأة والرجل فى الحقوق السياسية ، ولكنهم لا يساوونها فى الحقوق المدنية ، أما المرأة فى الإسلام فتتمتع بحقوق كثيرة ، لم تتمتع بها المرأة الأوربية إلا منذ عهد قريب ، وأن الذين يضللون المرأة بتشجيعها على المطالبة بالمساواة يجهلون مغبة عملهم ، وإما أنهم سيئو النية (٢) .

وعارض محب الدين الخطيب ما يذهب إليه دعاة السفور بتقليد تركيا فى تجربتها ، وتقليد ما فعله مصطفى كمال أتاتورك من إطلاق العنان للمرأة ، مؤكدًا أن كمال أتاتورك يعمل على تقويض الإسلام ، ونبذ الشريعة المحمدية فى المعاملات والاجتماعيات ، حيث أزال المحاكم الشرعية ، وقضى على أحكام الله فى الميراث ، وجميع مظاهر تعاليم الإسلام فى تركيا (٣) .

ويشير إلى أنه بسبب موجة الإلحاد التى أصابت تركيا ، وانغماس المجتمع فى الشهوات وانتشار القلق ، تدافع النساء إلى الانتحار (٤) ، واقترح إنشاء جمعية للشابات المسلمات على غرار جمعية الشبان المسلمين لمحاربة دعاة السفور من النساء المتفرنجات وأنصار البغاء وزعيمات الحركة النسائية فى مصر (٥) .

وكانت قضية اشتغال المرأة بالتمثيل من المسائل التى أثيرت فى الصحافة المصرية ، ويلاحظ أن قيام المرأة بالتمثيل قد قوبل بالرفض المطلق من أنصار الاتجاه الإسلامى فى الصحافة المصرية ، ونشرت الصحف الإسلامية فتوى مشيخة الأزهر عن تبرج المرأة وقيامها بالتمثيل، موقعة من شيخ الجامع الأزهر، الشيخ محمد أبى الفضل هذا فحواها :

« سأل سائل : ما حكم الشرع فى المرأة المسلمة المتبرجة ؟ وفى المرأة التى تظهر على

---

(١) المنار ، جـ ١ ، م ٣١ ، محرم ١٣٤٩هـ ، مايو ١٩٣٠م .

(٢) الفتح ، عدد ٢٣٣ ، ١٩ شعبان ١٣٤٩هـ .

(٣) الفتح ، عدد ١٠٤ ، ٢٤ محرم ١٣٤٧هـ ، ١٢ يوليو ١٩٢٨م .

(٤) الفتح ، عدد ١١٥ ، ١٣ ربيع الآخر ١٣٤٧هـ ، ٢٧ سبتمبر ١٩٢٨م .

(٥) الفتح ، عدد ١٠٤ ، ٢٤ محرم ١٣٤٧هـ ، ١٢ يوليو ١٩٢٨م .

نهى الله ـ سبحانه وتعالى ـ عن التبرج بقوله : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ﴾ [الاحزاب : ٣٣] الخطاب فى هذه الآية الشريفة موجه إلى نساء النبى ﷺ ولكن الحكم عام ، ومعناه المشى بتبختر وتكسر ، أو أن تلقى المرأة خمارها على رأسها ولا تشده فيوارى قلائدها وقرطها وعنقها ، أو أن تبدى من محاسنها ما يجب عليها ستره . . . فما يشاهد الآن من كشف المرأة عن ساقيها وذراعيها وصدرها مما يستلفت الأنظار ، تبرج منهى عنه بالإجماع ، لا تقره الشريعة الإسلامية ، ولا يتفق مع الآداب والعفة لما يؤدى إليه من إثارة الشهوات وإفساد الأخلاق .

أما اشتغال المرأة المسلمة بالتمثيل فهو أولى بالحرمة من المتبرجة ؛ لأن التمثيل تبرج وتهتك ، بل حضور النساء مجال التمثيل والرقص والحفلات التى شأنها أن يختلط فيها الرجال بالنساء تحرمه الشريعة الإسلامية سدًا للذريعة . . وحيث كان الأمر كذلك فالواجب على زوج المرأة وأولياء أمرها منعها من ذلك » (١) .

والمتتبع لأعداد الصحف الإسلامية فى تلك الفترة يجدها حافلة بالمقالات والتعليقات التى تهاجم الرقص ، وما يحدث فى المسارح من أشياء خارجة عن حدود العقل والشرع والعرف ، وعد ذلك دعوة إلى عصور الهمجية ، ودليلاً على تبلد الأذهان ، واستدارة العقول إلى الوراء (٢) .

وكتب الشيخ الخضر حسين يناشد الحكومة ووزير المعارف إلى إلغاء معهد التمثيل والرقص ، وقد استجاب وزير المعارف حلمى عيسى باشا لطلبه ، وتم إلغاء هذا المعهد فى عصره (٣) .

ويلاحظ أن قضية تعليم المرأة قد حظيت باهتمام الحركة النسوية فى مصر وطالبت الصحف النسوية بفتح مجال التعليم الابتدائى والثانوى والعالى أمام المرأة تتعلم فيه حتى نهاية المراحل التعليمية (٤) .

وحظيت أيضًا هذه القضية باهتمام الصحافة الإسلامية انطلاقًا من نظرة الإسلام إلى

---

(١) المنار ، جـ٣ ، م ٢٦ ، ذو الحجة ١٣٤٣ هـ ، يوليو ١٩٢٥م .

(٢) الفتح ، عدد ٢٤، ١٧ جمادى الأولى ١٣٤٥هـ ، ٢٥ نوفمبر ١٩٢٦، والمنار ، جـ١ ، م٣ ،محرم ١٣٤٨هـ، يونيه ١٩٢٩م ، والشبان المسلمون ، ذو الحجة والمحرم ١٣٥١هـ ، مايو ويونيه ١٩٣٢م ، والإخوان المسلمون، عدد ١ ، السنة الرابعة ، ٢٢ محرم ١٣٥٥هـ ، ٤ أبريل ١٩٣٦م .

(٣) الهداية الإسلامية ، جـ١١ ، ١٢ ، م ٣ ، ربيع الآخر وجمادى الأولى ١٣٥٠هـ .

(٤) النهضة النسائية ، أكتوبر ١٩٢٤م ، والأمل ٢٨/ ١١/ ١٩٢٥م ، نقلاً عن آمال السبكى : الحركة النسائية فى مصر ، مرجع سابق ، ص١٦١ .

التعليم وطلب العلم ، الذى يراه فريضة على كل مسلم ومسلمة ، ومن ممارسات النساء للعلم فى عصر النبى ﷺ ، فإنه كان فى زمنه متفقهات فى الدين حافظات لتعاليمه ، ومنهن كاتبات يعلمن النساء كالشفاء بنت عبد الله ، وكان فى نسائه ﷺ من كن يحسن الكتابة كعائشة وحفصة بنت عمر (١) .

ولكن تجدر الإشارة هنا إلى أن نظرة الكتاب المسلمين إلى تعليم المرأة فى ذلك الوقت كانت نظرة متشددة إلى حد ما ، فبينما كانت نظرة أنصار المرأة والحركة النسائية يطالبن بتعليم المرأة حتى تحصل على أعلى الشهادات كان معظم أنصار التيار الإسلامى يرى ألا يزيد سن البنت فى المدرسة عن عشر سنين أو اثنى عشرة سنة على أكثر تقدير ، بحجة أنها إذا زادت عن ذلك السن ، فقد دخلت فى طور المراهقة ، وهو طور له خطره ، ومن ثم يجب على البنت ألا تتعلم إلا ما يساعدها فى إدارة منزلها (٢) .

ويزيد حسن البنا هذا الأمر وضوحًا فيذكر فى صحيفة المنار أنه « يجب تعليم البنت ما لا غنى عنه لها من القراءة والكتابة والحساب والدين ، وتاريخ السلف الصالح رجالاً ونساء ، وتدبير شؤون المنزل ، والشؤون الصحية ، ومبادئ التربية وسياسة الأطفال ، وكل ما تحتاج إليه الأم فى تنظيم بيتها ورعاية أطفالها » ، غير أنه يعقب على ذلك قائلاً : « إن المرأة ليست فى حاجة إلى التبحر فى العلوم واللغات المختلفة والدراسات الفنية الخاصة؛ لأن المرأة للمنزل أولاً وأخيرًا وحسبها أن تعلم من العلوم ما يحتاج إليه عامة الناس»(٣).

ولم نلحظ وجهات نظر أخرى فى الصحف الإسلامية تخرج عن هذا النطاق فى تعليم المرأة سوى تصريح للدكتور الدرديرى يقول فيه : « إن الإسلام لا يحول بين المرأة وبين أن تتعلم ما تريده من العلوم ، وما تقوم به من الأعمال فى حدود الفضيلة والشرف» (٤) .

ومن أبرز القضايا الخاصة بالمرأة التى لقيت ردود فعل شديدة فى صحافة الاتجاه النسائى قضية إلغاء تعدد الزوجات ، التى ظهرت إثر تصريح من الاتجاه النسائى التى تتزعمه هدى شعراوى وسيزا نبراوى ، وقولهم بخطأ الشريعة الإسلامية فى تعدد الزوجات ، وقد قابلت إحداهن رئيس الوزراء توفيق نسيم ، وطلبت منه سن تشريع ينسخ حكم الله فى تعدد الزوجات تنفيذًا لما قرره مؤتمر سنوى للاتحاد النسائى العالمى الذى عقد على ضفاف البسفور فى خلال حكم مصطفى كمال أتاتورك باقتراح من مندوبات

(١ ، ٢) الفتح ، عدد ١٩٧ ، ذو الحجة ١٣٤٨هـ ، أول مايو ١٩٣٠م .

(٣) المنار ، جـ٨ ، م ٣٥ ، مايو ١٩٤٠م ، ربيع الآخر ١٣٥٩هـ .

(٤) الإخوان المسلمون ، جـ٥ ، م ١ ، رمضان ١٣٤٨هـ ، فبراير ١٩٣٠م .

الهند [1] .

وصرحت السيدة هدى شعراوى بأن تعدد الزوجات عادة ممقوتة ، وليس لها وجود إلا فى المجتمعات المتخلفة ، وأنه مظهر من مظاهر استصغار الرجل للمرأة [2] ، واتفقت الجمعيات النسائية على إلغاء تعدد الزوجات ، سواء تدريجيًا أو سريعًا بقوة القانون [3] ، فضلاً عن ذلك ، سلسلة مقالات كتبها الكاتب القبطى يوسف حنا فى السياسة الأسبوعية بعنوان : « مذكرة فتاة » ، هاجم فيها تعدد الزوجات ، وتطرق إلى الطعن فى الرسول ﷺ قائلاً : « حتى الأنبياء لم يقتصدوا فى ذلك الفحش » ويقصد سيدنا محمد ﷺ [4] .

وقد واجهت الصحف الإسلامية هذا الهجوم على الشريعة الإسلامية التى أباحت تعدد الزوجات بنص القرآن الكريم ، وكتب الشيخ حسن حقى ـ من علماء الأزهر الشريف ـ رافعًا تلك المسألة إلى ملك البلاد وولاة الأمور أن يأخذوا على أيدى هذا الكاتب الذى تجرأ على الطعن فى الشريعة الإسلامية وفى الرسول ﷺ [5] .

وحفلت الصحف الإسلامية بالمقالات التى تدعو إلى ضرورة مقاومة تيار هدى شعراوى وسيزا نبراوى والحركة النسائية . وحين كتبت ميناس خورى فى المقطم بعنوان : « حول تعدد الزوجات » تناصر الحركة النسائية وتهاجم العلماء فى مسألة تعدد الزوجات وتنادى بالاحتكام إلى العقل ، انبرى للرد عليها محمد على غانم فى صحيفة الفتح ، واصفًا هذا الهجوم بأنه تعدى على الدين الإسلامى ، وما كان ينبغى لمن ليس من ديننا أن يتكلم فى أحكامه ويهجم عليه ، وقد استدل العلماء على إباحة التعدد بنص صريح من القرآن الكريم وهو قوله تعالى : ﴿ **فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ** ﴾ [النساء : ٣] ، واشترطوا فى إباحته العدل تبعًا لقوله تعالى : ﴿ **فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ** ﴾ [النساء : ٣] [6] .

وصرح الشيخ عبد الرحمن الساعاتى بأن التعدد جائز فى الإسلام وأمر لا خلاف فيه بين المسلمين بدليل هذه الآيات السابقة ، وبدليل عمل الصحابة ﷺ وإجماع الأمة الإسلامية على ذلك ، وفند الشيخ عبد الرحمن الساعاتى ما ذهب إليه أنصار المرأة والحركة النسائية فى اعتراضهم على التعدد بأن « الشرع قد اشترط العدالة الكاملة بين

(١) أنور الجندى ، الفتح ، تاريخ الصحافة الإسلامية ، جـ٢ ، ص١٢٦ .
(٢) آمال كامل السبكى : الحركة النسائية فى مصر ١٩١٩ ـ ١٩٥٢م ، ص١٥٢ .
(٣) المرجع السابق ، ص١٥٥ .
(٤ ، ٥) الفتح ، عدد ١٩٠ ، ١٢ شوال ١٣٤٨هـ ، ١٣ مارس ١٩٣٠م .
(٦) الفتح ، عدد ١٦ ، ٤ جمادى الآخرة ١٣٤٥هـ ، ٩ ديسمبر ١٩٢٦م .

الزوجات وهى غير مستطاعة ؛ لأن العدل من صفات الخالق» (١) . قال الشيخ الساعاتى: « إن هذا الاعتراض فى غير محله ، وفيه نوع من المغالطة اللفظية ؛ لأن العدل المشروط فى آية التحليل هو العدل فى الكسوة والنفقة والبيت وما إلى ذلك من الأمور الموكولة لتصرف الشخص ، والعدل المنفى فى الآية الثانية ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا ﴾ [النساء : ١٢٩] هو العدل المطلق ومنه العدل فى الميل والحب والعاطفة وهو لله وحده ، ويفسر ذلك حديث السيدة عائشة ﵂ قالت : كان رسول الله ﷺ يقسم بين نسائه ويعدل ، ويقول : « اللهم هذا قسمى فيما أملك فلا تلمنى فيما تملك ولا أملك » (٢) .

وأشارت صحيفة الإخوان المسلمين إلى أن إلغاء مبدأ تعدد الزوجات يؤدى إلى حلول المخادنة محله وينشر الزنى ، ويفسد العلاقات بين الجنسين ، ويساعد على تدهور الأخلاق وسقوط الآداب (٣) .

ويرد الدكتور يحيى الدرديرى على الكتاب النصارى الذين هاجموا الدين الإسلامى لإباحته تعدد الزوجات قائلاً : « إن تعدد الزوجات كان فاشيًا فى الأمم الشرقية والغربية قبل عهد النبى ﷺ بزمن بعيد ، وأن الفكرة التى يروجها الكتاب الغربيون من أن محمداً ﷺ هو الذى أوجد نظام الإكثار من الزوجات فكرة خاطئة ، تدل على مقدار جهل القائلين بها » ، ثم شرح الدكتور الدرديرى الحكمة من تعدد الزوجات فى الماضى والحاضر وما له من فوائد فى إصلاح الهيئة الاجتماعية بشهادة الغربيين أنفسهم (٤) ، مؤكداً أن الدين الإسلامى نزل ملائمًا لجميع الظروف ، فهو يلائم أرقى الأمم حضارة ، وكفيل بمطالب أقل الأمم مدنية ، وهذا يدل على سمو مبادئ هذا الشرع الإسلامى الحكيم (٥) .

كذلك رد الدكتور الدرديرى على جماعة المتفرنجين الذين رموا النبى ﷺ بأنه شهوانى لتعدد أزواجه ، وأشار بأنه لا عجب إذا تزوج النبى ﷺ بتسع نساء توفى عنهن ، وقد تزوجهن وهو فى سن الشيخوخة لأسباب خاصة لدعوته ، لا طمعًا فى لذة أو استمراء لشهوة ؛ لأن هذا الزواج حدث بعد سن الخمسين ، وبعد بدء الرسالة بعشر سنوات ، ويذكر بعض الأسباب لتعدده ﷺ للزوجات :

١ ـ كانت زوجات الرسول ﷺ معلمات لنساء المؤمنين .

---

(١) آمال كامل السبكى : الحركة النسائية فى مصر ، مرجع سابق ، ص١٥٦ .

(٢) الإخوان المسلمون ، عدد ١ ، السنة الأولى ، ٢٢ صفر ١٣٥٢هـ .

(٣) الإخوان المسلمون ، عدد ٢٦ ، السنة الثانية ، ٢٣ رجب ١٣٥٣هـ ، أول نوفمبر ١٩٣٤م .

(٤) الشبان المسلمون ، جـ٧ ، م ٢ ، ذو القعدة ١٣٤٩هـ ، أبريل ١٩٣١م .

(٥) الشبان المسلمون ، جـ٢ ، م ٦ ، رجب ١٣٥٣ هـ ، نوفمبر ١٩٣٤م .

٢ ـ كان يعول بزواجه الأرامل من العائلات الكبيرة .

٣ ـ كان يواسى بزواجه بعض أصحابه تخفيفًا لأعبائهم ممن يترملن من بناتهم .

٤ ـ تحرير الأسرى بزواج بنات كبار العشائر المأسورة .

٥ ـ إبطال بدعة التبنى والقضاء على فكرة التزاوج بأزواج الأدعياء من الأبناء (أى لغرض تشريعى) (١) .

ونشرت مجلة الهداية الإسلامية بحثًا للشيخ محمد السيد النيفر من تونس ردا على الذين يتهمون الرسول بأنه كان شهوانيًا لأنه جمع بين الكثير من النساء ، وبين حكمة التشريع من تعدد الزوجات ، وذهب إلى أن الرسول ﷺ كان له خصوصية فى التزوج من النساء والجمع بين أكثر من واحدة (٢) .

ثم مضت الصحافة الإسلامية تبين حكمة التشريع الإسلامى فى تعدد الزوجات وتظهر فوائده ، التى دلت عليها الوقائع فى العصر الحاضر ، وتسجل شهادة علماء أوربا ومفكريها لميزة هذا التشريع الإسلامى العادل ، ودعوتهم الجمعيات النسائية إلى تطبيق هذا المبدأ فى أوربا لمصلحة الرجال والنساء ، وللتقليل من الفوضى الجنسية ، التى اجتاحت أوربا من جراء إجبار الرجل الأوربى على الاكتفاء بواحدة .

تشير الفتح إلى شهادة علماء أوربا بالتشريع الإسلامى فى تعدد الزوجات ، فتذكر ما نقله الكاتب التركى جلال نورى بك فى كتابه : « اتحاد الإسلام » عن المسيو غوستاف لوبون فى مقالة له بشأن استعمار الأوربيين للمسلمين ما نصه : « أنا لا أريد أن أعيب تعدد الزوجات ، فلابد من أسباب قوية دعت إلى تشريعه فى الإسلام ، ولا أريد التعمق فى الموضوع فأبرهن على أن تعدد الزوجات غير المشروع الفاشى بين الأوربيين من وراء ستار ليس أحسن من تعدد الزوجات الشرعى عند المسلمين ، ولا هو خير من تكثير النسل الذى هو من النتائج الطبيعية لتعدد الزوجات الشرعى » (٣) .

ونقلت المنار ما كتبته الجرائد الأجنبية عن ضرورة تعدد الزوجات ومنع الاختلاط المحرم ، فقد جاء فى جريدة لاغوص ويكلى ركورد فى عددها الصادر فى ٢٠ أبريل ١٩٠١م نقلاً عن جريدة لندن ثروت بقلم كاتبة إنجليزية تقول : « ولقد كثرت الشاردات من بناتنا وعم البلاء وقل الباحثون عن أسباب ذلك ، وإذا كنت امرأة أرانى أنظر إلى هاتيك البنات ، وقلبى يتقطع شفقة ، وحزنًا عليهن . . ولله در العالم تومس فإنه رأى الداء ووصف له الدواء الكامل الشفاء ، وهو أن يباح للرجل التزوج بأكثر من واحدة ،

(١) الشبان المسلمون ، جـ٣ ، م ٦ شعبان ١٣٥٣هـ ، ديسمبر ١٩٣٤م .

(٢) الهداية الإسلامية ، جـ١١ ، ١٢ ، م٣ ، ربيع الآخر وجمادى الأولى ١٣٥٠هـ .

(٣) الفتح ، عدد ٣ ، ١٨ ذو الحجة ١٣٤٥هـ ، ٢٩ يونيه ١٩٢٦م .

وبهذه الواسطة يزوال البلاء لا محالة ، وتصبح بناتنا ربات بيوت ، فالبلاء كل البلاء فى إجبار الرجل الأوربى على الاكتفاء بامرأة واحدة ، فهذا التحديد هو الذى جعل بناتنا شوارد ، وقذف بهن إلى التماس أعمال الرجال ، ولابد من تفاقم الشر إذا لم يبح للرجل التزوج بأكثر من واحدة » .

ونشرت الكاتبة الشهيرة مس اثرود مقالة فى جريدة الإسترن ميل فى عددها الصادر فى ١٠ مايو ١٩٠١م تقول فيها : « إنه لعار على بلاد الإنجليز أن تجعل بناتنا مثلاً للرذائل بكثرة مخالطة الرجال ، فما بالنا لا نسعى وراء ما يجعل البنت تعمل على ما يوافق فطرتها الطبيعية من القيام فى البيت ، وترك أعمال الرجال للرجال سلامة لشرفها . . . ألا ليت بلادنا كبلاد المسلمين فيها الحشمة والوقار والعفاف والطهارة » .

وتقول الكاتبة اللادى كوك : « وعلى قدر كثرة الاختلاط تكون كثرة أولاد الزنا ، وهذا بلاء عظيم على المرأة ، فالرجل الذى علقت منه يتركها وشأنها تتقلب مضجع الفاقة والعناء ، وتذوق مرارة الذل والمهانة والاضطهاد بل الانتحار » . وغير هؤلاء من الكتاب الأوربيين الذين أشاروا إلى عدل الإسلام فى إباحة التعدد ، مثل غوستاف لوبون الفرنسى، وفورن الألمانى ، وبرناردشو الإنجليزى الذى صرح فى كتابه : « الترويح » بأن الدولة الإنجليزية ستضطر إلى اتخاذ الإسلام دينًا لإباحته التعدد قبل انقضاء قرن من الزمان (١) .

وقد أجلى رشيد رضا حكمة التشريع الإسلامى من التعدد ، وضرورته الإنسانية والزوجية ، ومشيرًا إلى أن الرسول ﷺ عندما بعثه الله بشرعة الإسلام أبطل الزنا والأنكحة الفاسدة ، التى كانت تجعل المرأة كالمتاع أو الحيوان المملوك ؛ ولذلك لم تحرم تعدد الزوجات تحريمًا مطلقًا ، ولم يدع الناس على ما كانوا عليه من الإسراف فى التعدد وفى ظلم النساء ، بل قيده بالعدد الذى قد تقتضيه مصلحة النسل ، وحالة الاجتماع ، ويوافق استعداد الرجال له ، وهو ألا يتجاوز الأربع، واشترط القدرة على النفقة عليهن، والعدل بينهن لمنع ما كان يقع من ظلم على النساء بقدر الاستطاعة ، الأمر الذى يجعل المسلم يقتصر على زوجة واحدة إلا للضرورة (٢) .

ويلاحظ أن الإسلام لم يوجب التعدد ولم يندب إليه ولم يحرمه تحريمًا قطعيًا ، وإنما ترك الأمر مباحًا ؛ لأنه قد يكون هناك حاجة ماسة إلى أن يتزوج الرجل بأكثر من واحدة، وقد يكون ذلك لمصلحة الرجال والنساء ، كأن يتزوج الرجل بامرأة عاقر فيضطر إلى الزواج من غيرها لأجل النسل ، وقد يكون من مصلحتها أو مصلحتهما معًا ألا

(١ ، ٢) المنار ، جـ٥ ، م ٣٢ ، محرم ١٣٥١هـ ، مايو ١٩٣٢م .

يطلقها ، وترضى بأن يتزوج بغيرها ، لاسيما إذا كان ملكًا أو أميرًا ، أو قد تدخل المرأة فى سن اليأس ويرى الرجل أنه مستعد للإنجاب من غيرها ، وهو قادر على مؤنة غيرها ، وكفاية أولاده ، أو أن يرى الرجل أن المرأة الواحدة لا تكفى لإحصانه ويرى نفسه مضطرًا إلى أحد الأمرين : التزوج بثانية أو الزنا الذى يضيع الدين والمال والصحة . . وقد يكون التعدد لمصلحة الأمة كأن تكثر النساء كثرة فاحشة فى حالة الحروب ، فتضطر الكثيرات منهن إلى التكسب بطريقة غير شرعية ، إن لم تكن فى حماية زوج يكفلها كما فى بلاد الإنجليز والألمان (١) .

ومما نشرته جريدة المصور المصرية وجريدة السائح الأمريكية : « إن نساء الدول التى اشتركت فى الحرب العالمية الأولى يطالبن بإيجاد قانون يقضى بتعدد الزوجات ، وقد أنشأن جمعيات لتعميم هذا المطلب فى كل من لندن وباريس وبروكسل وبرلين » (٢) ، فى حين يهاجم تعدد الزوجات الاتحاد النسائى المصرى ، وأنصار الحركة النسائية فى مصر !

كذلك تصدت الصحافة الإسلامية لما كانت تردده زعيمة الاتحاد النسائى هدى شعراوى من المطالبة بسن قانون يمنع انفراد الرجل بالطلاق ، ووجوب مشاركة الزوجة للرجل فى الطلاق على اعتبار أنها شاركته فى العقد ، وطالبت أن يتم الطلاق أمام المأذون أو القاضى (٣) .

وكان فى مقدمة الذين تصدوا لهذه الدعوة محب الدين الخطيب ، الذى أوضح حكمة التشريع فى أن يكون الطلاق بيد الرجل ، حيث إنه قد يخطئ الاختيار ، فيقع فى امرأة سيئة الخلق أو الخلقة ، فإذا لم يكن له حق الطلاق حاول التخلص منها بطريقة لا تحمد عقباها . فضلاً عن ذلك ، فإن الشرع جعل أبغض الحلال عند الله الطلاق ، ويوضح خطأ من يقول : إن هذا عقد حصل بين اثنين فلا يليق أن يحل إلا بهما ، وذلك أن المرأة ليست معقودًا عليها ، وإلا جاز التصرف فيها ، وثانيًا : إن عقدة النكاح جعلها الشارع للرجل أصالة ، وهذا لا يتنافى أن بعض المذاهب ، ترى أن للرجل أن يتنازل عن هذا الحق ، ويجعله للزوجة أو للأجنبى ، وهذا غير الذى نحن بصدده من أن يسن تشريع جديد ينص على أن تكون عقدة النكاح أصلاً بين الزوجين (٤) .

وكتب المحامى الشرعى عباس طه مبينًا أسباب إباحة الطلاق فى الإسلام ، نلخصها

---

(١) المنار ، جـ٥ ، م ٣٢ ، محرم ١٣٥١هـ ، مايو ١٩٣٢م .
(٢) الفتح ، عدد ٤٩ ، ٩ ذو الحجة ١٣٤٥هـ ، ٩ يونيه ١٩٢٧م ، مقال بعنوان : « الغرب يصير شرقًا ، والشرق يصير غربًا » لعلى نجيب رئيس جمعية اللواء الإسلامى .
(٣) آمال كامل السبكى : الحركة النسائية ، مرجع سابق ، ص١٥٢ .
(٤) الفتح ، عدد ٢٤ ، ١٧ جمادى الأولى ١٣٤٥هـ ، ٢٥ نوفمبر ١٩٢٦م .

فى الآتى :

١ ـ عدم تعطيل النسل المرغوب فيه المندوب إليه على الرجل والمرأة .

٢ ـ أن المرأة قد تكون عقيمًا أو آيسا والرجل فقيرًا لا قدرة له على الجمع بين اثنين، فإن لم يستبدل لم يكن مستعدًا لأداء النسل .

٣ ـ رفع الحرج عن الزوجين لأنه قد يتصف أحدهما بسوء فى خُلُقه أو ضعف فى دينه أو يكون بينهما تخالف فى الطباع فتتنافر القلوب ، فصار الضرر ـ لولا الطلاق ـ محققًا .

ورد على الذين يطالبون بأن يكون الطلاق مشتركًا بين المرأة والرجل ، مشيرًا إلى أن يكون الطلاق بيد الرجل وحده ؛ لأن ذلك أقرب لبقاء ودوام الحياة الزوجية ، بخلاف المرأة فإنها قليلة التثبت فى الأمور ، كثيرة الاضطراب فى الآراء ، سريعة السير مع الأهواء ، ضعيفة الاحتمال على المكاره (١) .

وقد ظلت الحرب سجالاً بين دعاة التغريب والسفور ، وبين أنصار الاتجاه الإسلامى فى الصحافة المصرية ردحا من الزمن ، واستمرت الصحافة الإسلامية فى هجومها إزاء التطور الذى جنحت إليه قضية المرأة فى الثلاثينات من هذا القرن ، وما كان يبذل من جهود للقضاء الكامل على كل مظهر من مظاهر إسلامها وشرقيها ، وما ظهر من أعراض ذلك فى اختلاط الطلبة بالطالبات فى الجامعة المصرية بعد أن كان للطالبات مقاعد خاصة بهن ، وأيدت صحف الهلال ، والصحف النسائية هذا الاختلاط ودعت إليه ، غير أن هذه الدعوة قوبلت بمعارضة قوية من الصحف الإسلامية ، وكذلك من طلاب الجامعة أنفسهم ، حيث قامت مظاهرات من طلبة الحقوق وبعض الكليات الأخرى تعلن رفضها للاختلاط (٢) .

وكان لهذا الاعتراض أثره فى انتقال الدعوة إلى مجلس النواب ، وطالب بعض النواب بإلغاء السفور ووقف الفساد ، وألقت الصحف بالمسؤولية على هيكل باشا وزير المعارف آنذاك (٣) . كما تقدم بعض طلبة الجامعة بالتماس لإدارة الجامعة يطلب الفصل بين الطلبة والطالبات وقد علق صادق الرافعى على ذلك بمقال شكر فيه الطلبة وأكد أن مطالبهم تتمشى وتعاليم الإسلام (٤) .

---

(١) الفتح ، عدد ٢٤ ، ١٧ جمادى الأولى ١٣٤٥هـ ، ٢٥ نوفمبر ١٩٢٦م .

(٢) نور الإسلام ، جـ٤ ، م ٦ ، ربيع الآخر ١٣٥٤هـ .

(٣) النذير ، ٢٥ ، ربيع الأول ١٣٥٨هـ ، مقال بعنوان : « من المسؤول عن تدهور الأخلاق فى البلاد » ، لصالح عشماوى .

(٤) زكريا سليمان بيومى : الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية ، مرجع سابق ، ص٢٩٦ .

وقد حفلت الصحف الإسلامية بالمقالات التى ترفض اختلاط الرجال بالنساء ، سواء فى المحافل العامة والخاصة ، وفى أماكن التعليم وغيرها ، وكان فى مقدمة الذين رفضوا الاختلاط وتشددوا فيه الشيخ حسن البنا ، وصالح عشماوى ، والشيخ رشيد رضا ومحب الدين الخطيب ، والدكتور يحيى الدرديرى، ومحمود حفنى ، ومحمد حلمى نور الدين ، ومحمد عبد السلام القبانى ، والشيخ الخضر حسين ، وعلى الجندى وغيرهم .

وأجمعت الآراء على أن الدعوة إلى الاختلاط ، سواء فى ميدان التعليم أو فى الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، أضر بالمرأة من الناحية الخلقية ضررًا بليغًا تتضاءل معه كل فائدة أخرى ، فقد أفقد المرأة كل ميراث الأم الصالحة والزوجة العفيفة المرغوب فيها ، وكان سببًا فى انهيار الأسرة وتقوض أركانها ، فضلاً عن مخالفته للشرع والعرف .

كذلك أشارت الصحف الإسلامية فى أكثر من موضع إلى أن الداعين إلى حرية المرأة من ناحية الاختلاط بالرجل إن هم إلا مروجو الرذيلة ، والقاضون على كرامة المرأة بحيث تكون متاعًا يتبادله الفسقة وأهل الفجور بثمن بخس (1) ، ورغم ذلك فقد أسفرت قضية السفور والاختلاط بين الجنسين بالذات عن هزيمة أنصار الفكر الإسلامى فى الصحافة المصرية أمام أنصار المرأة والفكر الغربى .

ويمكننا على ضوء ما سبق أن نجمل أفكار هذا المبحث وموقف الصحف الإسلامية من قضايا المرأة فيما يلى :

إن أول ما طرح من قضايا المرأة قضية السفور والحجاب فى بداية القرن العشرين ، ثم أخذت هذه القضية تتطور بعد الحرب العالمية الأولى إلى المطالبة بخروج المرأة إلى العمل ، وحقها فى التعليم ، وقيامها بالتمثيل ثم الدعوة إلى إلغاء تعدد الزوجات والمطالبة بمشاركة المرأة للرجل فى الطلاق ، والاختلاط بين الجنسين .

كانت الحركة النسائية المصرية التى تكونت فى مارس ١٩٢٣م بقيادة هدى شعراوى متأثرة بالحضارة الغربية ، وتقليد تركيا فى تجربتها فى السفور وإطلاق العنان للمرأة دون

---

(1) انظر : الإخوان المسلمون ، ١١ ربيع الآخر ١٣٥٢ هـ ، مقال بعنوان :« وظيفة المرأة فى الحياة » لحسن البنا ، والشبان المسلمون ، جـ١ ، رجب ١٣٥٦هـ ، أكتوبر ١٩٣٧م ، وجـ٨ ، ٩ ، م ٣ ، ذو الحجة ومحرم ١٣٥١هـ ، مايو ويونيه ١٩٣٢م ، وجـ١ ، م ٧ ، جمادى الآخرة ١٣٥٤ هـ ، أكتوبر ١٩٣٥م ، والمنار، جـ٣ ، م ١٨ ، جمادى الأولى ١٣٣٣هـ ، أبريل ١٩١٥م ، مقال بعنوان : « سفور النساء واختلاطهن بالرجال وفوضى الآداب بمصر » لرشيد رضا ، وجـ١ ، م٣١ ، ١٣٤٩هـ ، مايو ١٩٣٠م ، والهداية الإسلامية ، جـ٤ ، م١ ، رمضان ١٣٤٨هـ ، ونور الإسلام « الأزهر » ، عدد ٥ ، م ١ ، جمادى الأولى ١٣٤٩هـ ، والإخوان المسلمون ، عدد ١٧ ، السنة الأولى ، ٢٠ رجب ١٣٥٢هـ ، وعدد ٢ ، السنة الثانية، ١٣٥٣هـ ، والفتح ، عدد ١٠٤ ، ٢٤ محرم ١٣٤٧هـ ، ١٢ يوليو ١٩٢٨م ، وعدد ٣٧ ، ٢٢ شعبان ١٣٤٥هـ ، ٢٤ فبراير ١٩٣٧م ، وغيرها من الأعداد .

ضوابط من دين أو شرع .

فى فترة ما بين الحربين ظهرت بعض الصحف النسائية التى أسهمت فى الدعوة إلى السفور مثل صحيفة السفور ، والنهضة النسائية ، والمرأة المصرية ، والجنس اللطيف ، وأمهات المستقبل ، والمرأة الجديدة ، بالإضافة إلى الصحف التغريبية : المقطم ، والمقتطف والسياسة ، والسياسة الأسبوعية ، وصحف الهلال .

وقاد الدعوة إلى مساواة المرأة بالرجل فى الميراث والهجوم على تعاليم الإسلام فى ذلك بعض نصارى مصر ، من أمثال : سلامة موسى ، والدكتور فخرى ميخائيل ، ويوسف حنا ، وميناس خورى .

وحاربت الصحافة الإسلامية الدعوة إلى السفور ودعاتها ، وأكدت على خطر هذه الدعوة على مقومات الأمة وكيانها ، وبينت حكم الإسلام فى السفور ونهيه عن التبرج ، واتهمت أنصار السفور بالجهل بتعاليم الإسلام ، وتأثرهم بالغرب .

وناشدت الجمعيات النسائية بأن تعمل على نهضة المرأة المصرية بالرجوع إلى حظيرة الدين والفضيلة وصونها عن التبذل والخلاعة .

وعارض أنصار الفكر الإسلامى الدعوة إلى خروج المرأة للعمل ، ومشاركتها للرجل فى المجامع العامة والخاصة تقليدًا للمرأة الغربية .

كما شنت الصحافة الإسلامية حملة شديدة اللهجة على الحركة النسائية وزعيمتها هدى شعراوى ، واتهمتها بالجهل والعمل على إزاحة التدين والطهر والعفاف من المرأة المصرية .

وهاجمت سلامة موسى وفخرى ميخائيل في هجومهما على القرآن الكريم ودعوتهما إلى مساواة المرأة بالرجل فى الميراث ، وأكدت أن المساواة بينهما لم تتحقق مطلقًا فى كل الشرائع ، ووضحت حكمة الإسلام فى عدم المساواة بين الجنسين فى الميراث .

واتسمت نظرة كتاب الصحافة الإسلامية إلى تعليم المرأة بالقصور بالمقارنة لمنظور الحركة النسائية فى هذه الناحية .

كما هاجمت الصحافة الإسلامية الحركة النسائية فى دعوتها إلى إلغاء تعدد الزوجات، ووصفت هذه الدعوة بأنها تعدى على الدين الإسلامى ، وتؤدى إلى فساد الأخلاق وانتشار الزنا ، وأكدت على فوائد التعدد فى إصلاح البيئة الاجتماعية ، وضرورته الإنسانية والزوجية .

ثم تصدت لما كانت تردده زعيمة هذه الحركة من المطالبة بسن قانون ينص على مشاركة المرأة للرجل فى الطلاق .

وطالبت الصحافة الإسلامية بالفصل بين الجنسين فى أماكن التعليم وغيرها .

وقد ظهر فى هذا المجال من كتاب الصحافة الإسلامية : الشيخ حسن البنا ، ورشيد رضا ، ومحب الدين الخطيب ، وشكيب أرسلان ، ود . محمد البهى ، ورئيفة كامل ، ود . يحيى الدرديرى ، وعمر إبراهيم الدسوقى ـ من دار العلوم ـ والشيخ مصطفى بدر زيد، ومحمد فريد وجدى ، ومحمد الباقر اليمنى ، وصالح عشماوى ، والشيخ أحمد إبراهيم ـ المدرس بكلية الحقوق ـ ومصطفى صادق الرافعى ، والشيخ عبد الرحمن الساعاتى ، وعلى نجيب ـ رئيس جمعية اللواء الإسلامى ـ والشيخ عباس طه المحامى الشرعى وغيرهم .

المبحث السابع
صحافة الاتجاه الإسلامى والقضايا الاجتماعية الأخرى

قضية البغاء :

من أهم القضايا الاجتماعية التى أولتها الصحافة الإسلامية قدرًا كبيرًا من الاهتمام والمتابعة قضية البغاء الرسمى فى مصر ، فقد عملت على محاربته وطالبت بإلغائه ، وآزرت جهود العلماء والمصلحين الذين نادوا بإلغائه من مشايخ الأزهر وغيرهم ، ونشرت المنار المذكرة التى قدمها الشيخ محمود أبو العيون المفتش بالجامع الأزهر والمعاهد الدينية إلى رئيس الوزراء ورئيس مجلس الشيوخ ورئيس مجلس النواب لإلغاء البغاء الرسمى ، وقدم فيها الحيثيات الآتية :

١ ـ إن دستور الدولة المصرية يجعل الإسلام دين الدولة الرسمى ، والبغاء محرم فى الإسلام .

٢ ـ إن تنفيذ قوانين أو أنظمة البغاء مؤذيًا أدبيًا وصحيًا .

٣ ـ إن كثيرًا من الممالك المتمدنة كإنجلترا وألمانيا وأمريكا حرمته ؛ لأنه ظهر أن الاعتراف به رسميًا مفسد للأخلاق ، ومسبب للأمراض ، ومسهل لجريمة الاسترقاق .

٤ ـ إن التقارير الطبية أثبتت أن تشريع البغاء من أشد الأخطار فى انتشار الأمراض السرية ، وفوضى العلاقات التناسلية .

٥ ـ إن مواطن البغاء جعلت مأوى لتهريب المواد المحظورة بقانون عام ١٩٢٥م ، وأصبحت تلك المواطن فوق كونها مواخير للدعارة فهى غرز للحشيش والأفيون والكوكايين وغيرها من المواد السامة (١).

وعندما كتب الدكتور فؤاد شوكت تحذيرًا فى جريدة المقطم (٢) « يطالب بعدم إلغاء البغاء فورًا ، ويرى أن إبقاء المواخير مؤقتًا فيه حكمة » انبرى للرد عليه فى صحيفة «الفتح » محمد الباقر ، متهمًا إياه بعدم العقل ، إذ كيف يرى عاقل أن التعجل فى إلغاء البغاء حكمة ، وبين أن البغاء الرسمى لم تحكم به القوانين المعروفة فى العالم ، فضلاً عن الشريعة الإسلامية ، وهاجم جريدة المقطم التى تفسح صدر صفحاتها لكل

---

(١) المنار ، جـ٣ ، م ٢٧ ، ذو القعدة ١٣٤٤هـ ، يونيه ١٩٢٦م .

(٢) المقطم ، ٢٤ سبتمبر ١٩٢٦م .

الموضوعات التى تعارض الشريعة الإسلامية [(١)] .

كذلك هاجم الباقر جريدة الأهرام التى كتبت تقول : إن إلغاء البغاء العلنى لا يفيد إلا فيما تناولته أيدى البوليس ويبقى البغاء السرى ، وقد فند الباقر هذا الادعاء مشيرًا إلى أن النهب والسرقة والخيانة وما شابه ذلك ممنوع شرعًا وقانونا ، ولكنه لم يمح من الوجود، فهل يرى كاتب الأهرام أنه لا فائدة فى منع الحكومة لذلك ؟ وذهب إلى أن البغاء الرسمى أو العلنى يسهل أسباب الفجور لمن لم يسبق له طرق هذه الأبواب ، ومن المؤكد أن فى تسهيل سبل البغاء ترويجًا له ، وفى منعه تضييقًا لدائرة انتشاره [(٢)] .

وحفلت الصحف الإسلامية بالمقالات التى تؤازر فيها الشيخ أبا العيون الذى أخذ على عاتقه محاربة البغاء الرسمى ، وهاجمت الصحف التى انتقدته كصحيفة الأهرام والمقطم التى ذكرت أنه تعدى عى حقوق الإداريين والأطباء والعلماء وكل هيئة صاحبة رأى ، وزعمت أن الإلغاء التام للبغاء ليس فى طاقة حكومة من الحكومات أن تقوم به ، وانتهت فى زعمها بأنه لا غنى عن وجود عاهرات يقمن بالبغاء رسميًا حفظًا عى الآداب والأمن !! [(٣)] .

وقد أحدث هذا التصريح الذى نشرته المقطم دويًا فى الصحف ، وانبرى للرد عليه الشيخ عبد الباقى سرور قائلاً : « إنه من المخزيات أن يقال على صفحات الجرائد : إن إلغاء البغاء يخشى منه على الآداب ، كأن فى وجود البغاء صيانة للآداب ! لقد حرمت الشرائع السماوية بأسرها البغاء وحرمت وجوده رسميًا والأمم تدين بهذه العقيدة ، فالقول بأن العمل بهذه العقيدة يخشى منه على الآداب مما لا يعهد له مثيل فى الكتابة والتحرير ، فقد وجدت مجتمعات إسلامية منذ مئات السنين وهى خالية من البغاء دون أن يخشى على الآداب ، أو تمس مسألة الأخلاق بضرر » [(٤)] .

وكتب أحمد زكى أبو شادى يشكر لصحيفة « الفتح » والصحف الإسلامية اهتمامها بمحاربة البغاء الرسمى فى مصر ، ويذكر أن بقاء البغاء العلنى فى صورته الرسمية على الأخص أمر لا يرضى عنه الدين ولا الكرامة القومية ولا الأخلاق والآداب العامة ، ولا يقره العلم والصحة . ويتعجب كيف يمنع الإنجليز البغاء فى بلادهم ويكون ذلك موجودًا فى بلد إسلامى ، مشيرًا إلى أن البغاء من أقبح الآثار الباقية لتجارة الرقيق ، ومنها امتهان

(١) الفتح ، عدد ١٦ ، ٢٣ ربيع الأول ١٣٤٥هـ ، ٣٠ سبتمبر ١٩٢٦م .
(٢) الفتح ، عدد ١٣ ، ١٢ ربيع الأول ١٣٤٥هـ ، ٩ سبتمبر ١٩٢٦م .
(٣) المقطم ، ٥ سبتمبر ١٩٢٦م .
(٤) الفتح ، عدد ١٤ ، ١٩ ربيع الأول ١٣٤٥هـ ، ١٦ سبتمبر ١٩٢٦م .

الأجنبى لنا واستغلالهم البغاء الرسمى للتكسب منه [1] .

وواصلت الصحف الإسلامية حملتها على البغاء الرسمى ، ودعت إلى العفة والزواج الشرعى وتحصين الفروج ، وبينت خطر البغاء على مستقبل البلاد والأجيال الذين يكون بيدهم مقاليد أمور الأمة فى المستقبل ، وحضت على إقامة الحدود الإسلامية وتطبيق الشريعة الإسلامية ، وإلغاء القوانين الغربية الوضعية [2] .

وقال حسن البنا المرشد العام للإخوان المسلمين : « إن البغاء الرسمى لطخة عار فى جبين كل أمة تقدر الفضيلة ، فما بالك بالأمم الإسلامية التى يفرض عليها دينها محاربة البغاء والضرب على يد الزانى والزانية بشدة وقسوة » ، وناشد الأمة الإسلامية أن تعمل على أن تكون كل مظاهر الحياة الاجتماعية مما يتفق وآداب الدين ويساير تشريع الإسلام وأوامره [3] .

وكتب الشيخ محمود أبو العيون فى صحيفة الإخوان مقالاً بعنوان : « تنظيم البغاء هدم للدين والأخلاق » أشار فيه إلى أن إباحة البغاء امتهان لكرامة طائفة من بنى الإنسان، واستعبادًا لفئة أوقعها حظها فى أيدى سماسرة الرقيق ، وأن نظام البغاء وحماية الحكومة له معناه إعلان للرذيلة ، وتسهيل للزنا ، وتشجيع على ارتكاب الفواحش ، وأن أماكن هذه الرذيلة فى مصر يقصدها السائحون ، ويتخذونها عنوانًا على انحطاط مصر وأهلها [4] .

وتحت عنوان « فليسمع وزير الصحة وليسمع المدافعون عن البغاء » ندد أحمد حسين زعيم مصر الفتاة بالبغاء الرسمى فى مصر بلد الإسلام ، وعد ذلك فضيحة الفضائح ، إذ كيف يكون فى مصر بلد الإسلام الزنا رسميًا بإجازة الدولة والقمار والخمر رسميًا» ![5]، ودعا أحمد حسين إلى مقاومة البغاء الرسمى بالقوة ، مستشهدًا بحديث الرسول ﷺ : «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده » ، واتهم الوزراء والنواب والشيوخ بأنهم حماة هذه المنكرات [6] .

ونشرت مجلة نور الإسلام المذكرة التى أعدها الشيخ محمد بخيت مفتى الديار

---

(١) الفتح ، عدد ٩ ، ٤ صفر ١٣٤٥هـ ، ١٢ أغسطس ١٩٢٦م .

(٢) الهداية الإسلامية ، جـ٢ ، م ٢ رجب ١٣٤٨هـ ، والفتح ، عدد ١٥٣ ، ٢٠ محرم ١٣٤٨هـ ، ٢٧ يونيه ١٩٢٩م ، مقال بعنوان : « التشريع السماوى » لعبد الله مصطفى المراغى .

(٣) الإخوان المسلمون ، عدد ١١ ، السنة الثانية ، ٧ ربيع الآخر ١٣٥٣هـ . وقد أصدرت صحيفة الإخوان المسلمين عددًا خاصًا للتنديد بالبغاء ، عدد ٣٣ ، ٢٢ ديسمبر ١٩٣٤م .

(٤) الإخوان المسلمون ، عدد ٣٣ ، ٢٢ ديسمبر ١٩٣٤م .

(٥) مصر الفتاة ، ٢٨ مارس ١٩٣٨م .

(٦) رشدى البدرى : أحمد حسين فى الصحافة المصرية ، رسالة ماجستير ، مرجع سابق ، ص٣٢١ .

المصرية عن البغاء الرسمى يبين فيها حكم الشارع فى البغاء ، وأوضح ضرره وما فيه من مفاسد دينية وصحية وأخلاقية واجتماعية (١) .

وقصارى القول : إن صحافة الاتجاه الإسلامى قد عملت على محاربة البغاء الرسمى وناشدت المسؤولين فى الحكومة المصرية أن تعمل على إلغاء البغاء ، وهاجمت الصحف التى تعمل على الترويج له ، وساندت الجهود المبذولة من قبل العلماء والأزهر لإلغاء البغاء ، وأعلنت أن البغاء هدم للدين والأخلاق والآداب العامة والكرامة القومية ، ونادت بتطبيق الشريعة الإسلامية وإقامة الحدود ومقاومة البغاء الرسمى بالقوة .

وأبرز الكتاب الذين حاربوا البغاء الرسمى على صفحات الصحف والجرائد الإسلامية: رشيد رضا، والشيخ حسن النبا، ومحب الدين الخطيب، وأحمد حسين، والشيخ محمود أبو العيون ، والشيخ محمد بخيت - مفتى الديار المصرية - وأحمد زكى أبو شادى ، ومحمد الباقر اليمنى .

الخمور والمخدرات :

مارست صحافة الاتجاه الإسلامى سلطة النقد والتوجيه ، وحاولت أن تضبط مسار الجماهير وسلوكها ، ولا سيما ما يتصل من هذا السلوك بالدين الإسلامى وكشفت عن المظاهر السلبية فى المجتمع ، وحاربت كل مظهر من مظاهر الخروج على الشريعة الإسلامية ، وما يبطل حدًا من حدودها ، أو يسقط عقوبة قررها الشرع الإسلامى ، وجاءت معلومة من الدين بالضرورة ؛ ولهذا شنت الصحف الإسلامية الحرب على شرب الخمور وتناول المخدرات التى انتشرت فى مصر فى تلك الفترة انتشارًا خطيرًا بين جميع فئات المجتمع المصرى ، وبعد أن ظهر فيها نوع جديد فتاك وهو الكوكايين ومشتقاته ، وطالبت الصحف الإسلامية بتشديد العقوبة فيه ، وفى تجارة الرقيق الأبيض ، ودور البغاء وأوراق الياناصيب والميسر وغير ذلك من الأشياء التى حملها إلينا الغرب (٢) .

وقد هاجمت الصحف الإسلامية الصحف التغريبية التى تعلن عن الخمور وتروج لها على صفحاتها وتتفنن فى طرق الدعاية لها ، تارة بالخط الكوفى وتارة بالخطوط الجميلة الأخرى ، مثل صحيفة الأهرام والبلاغ والجهاد وغيرها من الصحف التى تكيل المدح فى الخمور وتزين للناس شربها ، ودعت الصحف الإسلامية أصحاب هذه الجرائد أن يكفوا عن النشر ، ذلك أن ضرر النشر أكثر من نفعه المادى ، فالنفع المادى شخصي والضرر عام للقراء « فلتتق الله صحافتنا ومجلاتنا فى شبابنا الذين تستهويهم الفرنجة ويسلبهم القول

---

(١) نور الإسلام ، جـ٦ ، م ٣ ، جماى الآخرة ١٣٥١هـ ، ومصر الفتاة ، ١٧ نوفمبر ١٩٣٨م .

(٢) محمد محمد حسين ، الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، مرجع سابق ، ٢/ ٣٣٢ ، ٣٣٣ .

المزخرف والكلام المعسول » [1] .

وبينت المنار أضرار الخمر الجسدية وأضرارها الاقتصادية والاجتماعية ونعت على العلماء تقصيرهم وسلبيتهم عن مقاومة الخمور فى مصر ، وقال صالح مخلص رضا : «لو أن الغيرة على الدين الإسلامى بقى فيها عند من يسمون أنفسهم علماء الدين لتوسلوا إلى منع هذه الموبقات بكل وسيلة ، وسلكوا إليه كل طريق ، هل سمعت أن أحد الشيوخ طلب تعديل لائحة أو قانون لتقويم الأخلاق . . » [2] .

وتشير الإخوان المسلمون إلى أن حانات الخمر فى أظهر شوارع المدن وأبرز أحيائها ، وتلك اللوحات الطويلة العريضة عن المشروبات الروحية ، وهذه الإعلانات الظاهرة عن الخمر مظاهر يأباها الدين ، ويحرمها القرآن الكريم أشد التحريم ، وإن هذه الإباحية والمتعة الفاتنة واللهو العابث فى الشوارع والمجامع والمصايف يناقض ما أوصى به الإسلام من عفة وحياء وشهامة وإباء وانصراف عن الجد [3] .

وينعى محب الدين الخطيب على انتشار المواد المخدرة فى القطر المصرى ، وانتشار شررها بين طبقات الأمة العاملة فى المدن والقرى بعد أن كان مقصورًا على المدن ، وتعاطاه الفلاحون الذين هم عماد ثروة البلاد ، وناشد الحكومة ورجال الدين وخطباء المساجد أن يهبوا لدرء هذه المفاسد لإنقاذ حياة الشعب ويبصروا الأمة بهذه الهوة السحيقة التى تنحدر إليها ، وأشاد بجهود مجلس إدارة جمعية منع المسكرات الذى رفع عريضة إلى وزير الحقانية يطالبه فيها بتشديد الرقابة على ما يدخل البلاد من المسكرات منعًا لازدياد الجرائم والمنكرات التى تسببها هذه المسكرات [4] .

وينتقد الشيخ عبد الباقى سرور نعيم الذين يقلدون الغربيين فى التفنن فى الملاهى والملاذ والمسكرات ، ويذهب إلى أنه ينبغى التقليد فيما ينفع كتقليدهم فى العلوم والصنائع وإعداد العدة الحربية ، وتجهيز الجيوش وغير ذلك من وسائل القوة والمنعة [5] .

وفند المفكر الإسلامى شكيب أرسلان ما تدعيه الجرائد التركية من أن المعاقرة والمقامرة هما من ضرورات المدنية الحديثة ، وأنه لا مندوحة للأمة التركية إذا شاءت أن تعلو فى سلم الرقى العصرى من أن تسوق أبناءها إلى اللعب والشرب ، وتهزأ بالأوهام

---

(1) الإخوان المسلمون ، عدد ٢٨ ، السنة الثانية ، ٧ شعبان ١٣٥٣هـ ، ١٥ نوفمبر ١٩٣٤م ، وأنور الجندى ، الفتح ، تاريخ الصحافة الإسلامية ، ص٣٦٨ ، والفتح ، المجلد الخامس ، ١٩٣٢م .

(2) المنار ، جـ٩ ، م٢٢ ، محرم ١٣٠٤هـ ، أكتوبر ١٩٢١م ، مقال بعنوان : « مضار الخمر » .

(3) الإخوان المسلمون ، عدد ١١٥ ، السنة الثانية ، ٧ ربيع الآخر ١٣٥٣هـ ، مقال بعنوان : « الخمر » .

(4) الفتح ، عدد ٤٠ ، ١٣ رمضان ١٣٤٥هـ ، ١٧ مارس ١٩٢٧م .

(5) الفتح ، عدد ٤٩ ، ٩ ذو الحجة ١٣٤٥هـ ، ٩ يونيه ١٩٢٧م .

والخرافات القديمة التى معناها أن لعب القمار وشرب الخمر من الرذائل (١) .

وأكدت الصحف الإسلامية على أن أوربا تعمل على نشر الخمر والقمار فى مصر ، حتى تستنزف أموال أهلها ، وليس لهذا علاقة بالمدنية كما يدعى مروجو الخمور ، فيقول الشيخ إسماعيل سعفان : « إن الخمر والقمار انتشرا فينا انتشارًا مريعًا حتى أصبحت حياتنا الاقتصادية سلبية لا إيجابية ، أموال تبدد وعقارات ترهن ، والأجانب يفتحون الحانات لسلب الأموال ، ومن ورائهم الامتيازات الأجنبية تحمى تجارتهم وأموالهم وأنفسهم وأعراضهم ، فضلاً عن تحريم الخمر والقمار فى الشريعة الإسلامية ومخالفتها لكل الأخلاق الفاضلة (٢) .

وانبرى كتاب الصحافة الإسلامية للرد على بعض الكتاب الذين زعموا أن الإسلام لم يحرم من المخدرات إلا الخمر ، ولم يرد ذكر الحشيش والأفيون والكوكايين وغيرهما فى القرآن ! ولم يُفْت الأئمة الأربعة بحرمتها ، وقد نقد هذا الزعم لأن الحشيش لم يكن معروفًا فى عهد الأئمة الأربعة، بل كان عشبًا من الأعشاب المجهولة ؛ ولهذا لم يفت فيه الأئمة الأربعة بشىء ، فلما ظهر تصدى للإفتاء فيه العلماء المجتهدون من المتأخرين أتباع أولئك الأئمة ، وذلك أن الأطباء الأقدمين قرروا أنه يسكر ، وأنه يأخذ حكم الخمر ، فإن زعموا أن الله ـ تعالى ـ لم ينص فى كتابه العزيز إلا على تحريم الخمر ، فما هو سند هؤلاء العلماء فى تحريمه ؟ الجواب : إن الخمر لم يحرمها الله تعالى لذاتها بل لعلة الإسكار ، وقد ورد عن الرسول ﷺ فى حديث صحيح : « ما أسكر كثيره فقليله حرام»، فتعاطى المخدرات بأنواعها بناء على ذلك حرام كالخمر (٣) .

وذكرت الفتح أن هذه الدعوى باطلة تكذبها قواعد الشريعة الإسلامية التى حرمت كل ما يضر بجسم الإنسان وعقله ، وضرر هذه المخدرات أظهر من أن يحتاج إلى بيان ، وأوردت ما قاله أئمة الفقهاء فى تحريم الحشيش والأفيون والمسكرات جميعها (٤) .

ومضت الصحف الإسلامية تبين مضار المخدرات الصحية والأمراض التى تنتج عن استعمال المخدرات (٥) .

إضافة إلى ذلك حفلت الصحف الإسلامية بالمقالات التى تؤكد على مضار لعب

---

(١) الفتح ، عدد ٣٧ ، ٢٢ شعبان ١٣٤٥هـ ، ٢٤ فبراير ١٩٢٧م .

(٢) الفتح ، عدد ٨٣ ، ١٧ شعبان ١٣٤٦هـ ، ٩ فبراير ١٩٢٨م .

(٣) الإخوان المسلمون ، عدد ١٣٠ ، السنة الثانية ، ٢١ شعبان ١٣٣٥هـ ، ٢٩ نوفمبر ١٩٣٤م .

(٤) الفتح ، عدد ٨٣ ، ١٧ شعبان ١٣٤٦هـ ، ٩ فبراير ١٩٢٨م .

(٥) الهداية الإسلامية ، جـ١ ، م٢ ، جمادى الآخرة ١٣٤٧هـ ، مقال بعنوان : « تأثير الخمر والبيرة من الناحية الطبية » للدكتور عبد العزيز قاسم .

القمار والميسر والإشارة إلى أن ذلك يفسد الأخلاق ويتلف الأموال ويدنس النفوس ، كما أنه مضيعة للثروات الكبيرة وهدم للبيوت المجيدة، وأنها تجر أصحابها إلى الدمار والوبال، وتخالف النصوص القرآنية ، وتعاليم الإسلام وشريعته [1] .

---

(١) الإخوان المسلمون ، عدد ١٥ ، غرة جمادى الأولى ، مقال بعنوان « مضار لعب القمار » بقلم حسين عاشور، وعدد ٥ ، السنة الرابعة ، ٢١ صفر ١٣٥٥هـ ، ١٢ مايو ١٩٣٦م ، كتب حسن البنا سلسلة مقالات فى الفتح عن أضرار القمار الخلقية والصحية والاجتماعية والمالية . الفتح ، عدد ١٠٥ ، صفر ١٣٤٧هـ ، ٩ يوليو ١٩٢٨م .

الفصل الرابع

صحافة الاتجاه الإسلامى والقضايا السياسية

المبحث الأول

صحافة الاتجاه الإسلامى وقضية الخلافة الإسلامية

يهتم هذا المبحث ببيان موقف الصحافة الإسلامية من قضية الخلافة الإسلامية في فترة ما بين الحربين ، والدعوة لها ، وبخاصة بعد إعلان مصطفى كمال أتاتورك إلغاء الخلافة الإسلامية فى تركيا فى عام ١٩٢٤م ، والتيارات السياسية والمعارك الصحفية التى أفرزتها عملية إلغاء الخلافة الإسلامية ، والتغيرات والمجادلات التى حدثت فى الفكر المصرى والإسلامى ، وردود الفعل تجاه هذه القضية فى الأوساط الفكرية والسياسية وانقسام الآراء حولها .

ظلت الصحف الإسلامية ، بل ومعظم الصحف المصرية فى مطلع القرن العشرين تنادى بالخلافة الإسلامية ، ولم يشذ عن ذلك سوى صحيفة « الجريدة » لسان حال حزب الأمة ، والصحف الموالية للاحتلال ، وكانت قضية الخلافة الإسلامية مطروحة فى الفكر المصرى ، وظل تعلق المصريين بالخلافة أمرا ملحوظا [١] ، ولا سيما المسلمين منهم لأن الإسلام يجمع بين تركيا دولة الخلافة الإسلامية وبين مسلمى مصر ، وكانت هذه الجامعة الإسلامية قوية رغم كل الجهود التى بذلت لفصلها من قبل الاستعمار وأعوانه كأصحاب المقطم والمقتطف ، ورغم كل العوامل التى كانت تعمل على إضعافها [٢].

وكانت دعوة الصحافة الإسلامية إلى الخلافة الإسلامية فى ذلك الوقت تهدف إلى أن يبقى العالم الإسلامى فى عزة ومنعة ، وأن يكون المسلمون أمة واحدة وقوة يعتد بها فلا يطمع فيها الطامعون ، وقد ساعد على تعلق الرأى المصرى والإسلامى بفكرة الجامعة الإسلامية مهاجمة اللورد كرومر ممثل الاحتلال للمسلمين ، واعتداء الدول الغربية على بعض البلاد الإسلامية الواقعة تحت سيطرة الخلافة العثمانية كطرابلس الغرب وتمرد دول البلقان النصرانية على الدولة العلية [٣] .

فنرى صحيفة الشعب تهاجم فكرة نقل الخلافة عن القسطنطينية إلى إحدى الدول

---

(١) عواطف عبد الرحمن : مصر وفلسطين ، مرجع سابق ، ص٣٥ .

(٢) محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، مرجع سابق ، جـ٢ ، ص٦٠٥ .

(٣) الشعب ، عدد ٣٧٥ ، ٢٥ جمادى الأولى ١٣٣١ هـ ، ٢مايو ١٩١٣ م .

العربية قائلة : « ... إن العرب وعامة المسلمين قد أجمعوا على أن تكون السلطة العثمانية صاحبة الخلافة الإسلامية إلى اليوم ، وأن آل عثمان هم أصحابها ، ولا ينبغى أن تنتقل إلى غيرهم ... » (١) .

وكان مصطفى كامل يرى أن الأساس الذى يبنى عليه مجد المسلمين ، هو التعلق الصادق براية الخلافة الإسلامية العثمانية ويؤكد تعلق المصريين بهذه الفكرة ، فيقول : «وقد رأينا من المصريين تعلقا حقيقيا بهذه الراية السامية ، وإخلاص لا ريب فيه لسيدنا ومولانا أمير المؤمنين » (٢) .

وقد ظل هذا الشعور بالعطف على موطن الخلافة من المصريين قويا طوال الحرب العالمية الأولى ، وفى السنوات القليلة التى تلتها ، ولم يقل اهتمام المصريين بتتبع تطورات الأحداث فيها رغم انقطاع ما بينهما من صلات ، منذ أن أعلنت إنجلترا الحماية على مصر فى ١٨ ديسمبر ١٩١٤م ، وأعلنت معها زوال سيادة تركيا عليها، وخلع الخديوى عباس ، وتولية الأمير حسين كامل عرش مصر مع منحه لقب سلطان ، استكمالا لمظاهر انفصال مصر عن تركيا . وقرر مجلس الوزراء فى أول اجتماع له برياسة السلطان حسين إلغاء وظيفة قاضى قضاة مصر التركى ، وبذلك قطعت بريطانيا آخر علاقة لمصر بالخليفة العثمانى(٣). ومع ذلك ظل الرأى العام فى مصر على ولائه للخلافة برغم الأحكام العرفية ، ووضع الصحف تحت الرقابة الإنجليزية ، وكبت الشعور العام للمصريين ، ولقد عبر المصريون عن سخطهم للإنجليز الذين أعلنوا الحماية على بلادهم ، وللسلطان حسين الذى قبل تولى السلطة من الإنجليز فى عدة مظاهر ، منها : امتناع طلاب الحقوق عن الذهاب إلى كليتهم لاستقباله فى اليوم الذى حدد لزيارته ١٨ فبراير ١٩١٥ م ، وحين أطلق عليه النار محمد خليل تاجر خردوات بالمنصورة عند مرور موكبه بشارع عابدين فى ١٨ أبريل ١٩١٥ م ، ومنها : أن بعض قبائل العربان قد رفضوا أن يقسموا يمين الطاعة للإنجليز ، ورفض الضباط والجنود المصريون إطلاق النار على إخوانهم الأتراك . واحتجبت صحيفة الشعب عن الظهور احتجاجا على إعلان الحماية ، ورفض أمين الرافعى إصدارها حين طلب منه السلطان حسين ذلك (٤) .

وكان هذا أمرا ملحوظا من الإنجليز أنفسهم ، فقد جاء فى بلاغ سلطة الاحتلال إلى

---

(١) الشعب ، عدد ٣٧٧ ، ٢٧ جمادى الأولى ١٣٣١هـ ، ٤ مايو ١٩١٣م ، مقال بعنوان : « الخلافة الإسلامية، العرب والترك » .

(٢) اللواء ، عدد ٥٨ ، ٤ من ذى القعدة ١٣١٨هـ ، ٥مارس ١٩٠٠م .

(٣) محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، مرجع سابق ، جـ٢ ، ص ٥ ، ٦ .

(٤) المرجع السابق ، ص٦ ، ٧ .

السلطان حسين ما يوحى بتقديرهم لخطورة ما أقدموا عليه ، يقول ممثل الاحتلال : «ولا أرى لزوما لأن أؤكد لسموكم بأن تحرير حكومتنا من بقية أولئك الذين اغتصبوا السلطة السياسية فى الأستانة لم يكن ناتجا من أى عداء للخلافة ، فإن تاريخ مصر السابق يدل فى الواقع على أن إخلاص المسلمين المصريين للخلافة لا علاقة له البتة بالروابط السياسية بين مصر والأستانة » (١) .

وقد دخلت تركيا الحرب العالمية الأولى فى صف الألمان ضد الإنجليز وأسفرت الحرب عن هزيمة الألمان ، وتداعى الإمبراطورية العثمانية ، وتحققت أهداف أوربا فى القضاء على دولة الخلافة الإسلامية بعد محاولات دامت أكثر من مائة عام تخطط فيها الدول الأوربية مع اليهودية العالمية لتحقيق ذلك الهدف (٢) . واحتلت الجيوش الأوربية دولة الخلافة الإسلامية وتقاسمها الإنجليز والفرنسيون والإيطاليون ، وكادت تفقد من أراضيها أجزاء تآمرت إيطاليا وفرنسا واليونان على نهبها ، لولا خروج الضابط مصطفى كمال الذى قاد فلول الجيش العثمانى فى معركة ظافرة ضد غزوة يونانية يؤيدها جورج لويد رئيس وزراء بريطانيا ، حتى تم له إجلاء اليونان عن الأناضول كله فى أواخر ١٩٢٢م (٣).

ويلاحظ أن الصحافة الإسلامية قد هللت لهذا الانتصار ، وأشادت بمصطفى كمال على اعتبار أن هذا النصر الذى حققه هو نصر للإسلام على أعدائه ، ودعت « المنار » المسلمين إلى تأييد الترك الكماليين فى موقفهم أمام دول أوربا الطامعة فى اغتصاب ما بقى للمسلمين ، وذهب رشيد رضا إلى أنه يجب تأييد مصطفى كمال كخليفة للمسلمين وإن لم يتحل بلقب الخلافة(٤) .

ولكن سرعان ما انفرد مصطفى كمال بالسلطة فى تركيا وأعلن عزل الخليفة العثمانى وحيد الدين عن السلطنة ، وقطع كل روابط تركيا بالشرق الإسلامى ، وحاول جعل تركيا إحدى دول أوربا تلبس لباسها ، وتستعمل حروف لغتها وتطبق قانونها . واضطهد المسلمين ، وأغلق المساجد ومنع الأذان والصلاة باللغة العربية ، وألغى تدريس العلوم الإسلامية والعربية فى المدارس والجامعات (٥) .

فضلا عن ذلك ، أذاع مصطفى كمال فصل الدين عن الدولة ، وعين ولى العهد الأمير عبد المجيد خليفة مجردا عن السلطة يقيم فى الأستانة ، ثم أعلن الجمهورية ،

---

(١) الوقائع المصرية، ١٩ ديسمبر ١٩١٤م ، ود. عواطف عبد الرحمن :مصر وفلسطين ،مرجع سابق ، ص٣٥.

(٢) أنور الجندى : مقدمات العلوم والمناهج ، القاهرة : دار الانصار ، ص٦٧٤ .

(٣) فتحى رضوان : مشهورون منسيون ، مرجع سابق ، ص١٠٢ .

(٤) المنار ، جـ٨ ،٩ ، م٢٣ ، ربيع الأول ١٣٤١هـ ، نوفمبر ١٩٢٢م .

(٥) أنور الجندى : مقدمات العلوم والمناهج ، القاهرة : دار الأنصار ، ص٦٧٦ ، ٦٧٧ .

واتخذ أنقرة ـ التى كانت مركز حركته ـ عاصمة لها ، ومقر للحكم ، مكتفيا بإرسال ممثل لحكومة أنقرة الجمهورية لدى الخليفة فى الأستانة (١) .

وقد أثار هذا التطور الذى طرأ على الخلافة بتجريدها من السلطة ردود فعل فى الصحافة المصرية ، وانشغلت الصحف بالحديث عن التطورات التى طرأت على الخلافة ، وانقسمت الآراء بين مؤيد ومعارض ، وكان معظم المفكرين المصريين يؤيدون الكماليين ، واحتدمت المعركة حين قدم الشيخ مصطفى صبرى شيخ الإسلام فى تركيا إلى مصر فارا من الكماليين ، وأراد أن ينبه المصريين إلى ما يضمره هؤلاء للإسلام وشريعته وأهله من خبث النية وفساد الدين ، وبين أن الخلافة التى ابتدعوها مجردة عن السلطة ليست من الإسلام فى شيء ، وأن فصل الدين عن الدولة ليس إلا وسيلة للتخلص من سلطانه والتحرر من شريعته وتعاليمه .

ولكن بعض الصحف المصرية هاجمت الشيخ صبرى هجوما مرا ، واتهمته بالهوى وفساد الرأى كصحيفة الأهرام والمقطم (٢) .

وعلى صعيد آخر انبرى رشيد رضا للرد على ما فعله الكماليون من فصل الدين عن الدولة ، وتعيين خليفة مجردا عن السلطة بالرغم مما أعلنه من تأييد لهم من قبل ، وكتب رشيد رضا سلسلة مقالات فى « المنار » بعنوان : « الأحكام الشرعية المتعلقة بالخلافة الإسلامية » ، بين فى الحلقة الأولى من تلك المقالات تعريف الخلافة وحكمها ومن له الحق فى نصب الخليفة وعزله وسلطة الأمة ومعنى الجماعة ، وشروط أهل الاختيار والمبايعة والخليفة الشرعى المعبر عنه بالإمام ، وصيغة المبايعة ، وما يجب على الأمة من الطاعة وشروطها (٣) .

وقد عارض رشيد رضا ما قاله مصطفى كمال باشا فى الخطبة التى ألقاها فى مجلس الجمعية الوطنية الكبرى بأنقرة فى ١٢ ربيع الأول ١٣٤١هـ ، أول نوفمبر ١٩٢٢م من أن نظام الخلافة الشرعى غير صالح ولا موافق لمصلحة الأمة ، وعلق رشيد على فصل الخلافة عن السلطنة مشيرا إلى أن فصل الخلافة عن السلطنة يخرجها عن معناها الشرعى إلى معنى آخر يخالف أصول الإسلام ، وبتعبير آخر يخرجها عن كونها الخلافة

---

(١) محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، مرجع سابق ، جـ٢ ، ص٢٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص٢٨ ، ألف الشيخ مصطفى صبرى فور إلغاء الخلافة كتابا بعنوان « النكير على منكرى النعمة من الدين والخلافة والأمة » هاجم فيه الكماليين ، ونبه المصريين لسوء نيتهم ، مظهرا دورهم فى محاربة العصبة الإسلامية وتمسكهم بالعصبة التركية ، وأرجع ذلك إلى صلتهم باليهود والإنجليز ، انظر : د. زكريا سليمان بيومى : الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية ، مرجع سابق ، ص٥٧ .

(٣) المنار ، جـ١٠ ، م٢٣ ، ربيع الآخر ١٣٤١ هـ ، ديسمبر ١٩٢٢م .

الإسلامية[1].

وتناول رشيد رضا فى الحلقة الثانية الشورى فى الإسلام ، واستخلاف الإمام ، وكون طالب الولاية لا يولى ، وإمامة الضرورة والتغلب ، وما يخرج به الخليفة من الإمامة ومسألة عزله والخروج عليه، ودار العدل، ودار الجوار ، ووحدة الخليفة وتعدده، ووحدة الإمام بوحدة الأمة ، وفيه بيان حال الشعوب الإسلامية الحاضرة والخلافة العثمانية وأهل الحل والعقد الآن ، وما يجب عليهم من إقامة الخلافة ، وحزب الإصلاح الإسلامى [2] وحزب المتفرنجين ، وحزب الفقهاء الجامدين .

وأشار رشيد رضا إلى أن حزب المتفرنجين من الترك أكثرهم يرى أنه يجب إلغاء منصب الخلافة الإسلامية من الدولة ، وإضعاف الدين الإسلامى فى الأمة ، واتخاذ جميع الوسائل لاستبدال الرابطة الجنسية أو الوطنية بالرابطة الدينية الإسلامية ، والترك من هؤلاء أشد خصوم إقامة الإمامة الصحيحة فى الدولة التركية .

على أن فريقا من هؤلاء المتفرنجين يرى أن وجود منصب الخلافة فى تركيا يمكن الانتفاع به من بعض الوجوه السياسية والأدبية وغيرها إذا كانت الخلافة صورية أو روحانية لا سلطان لها فى التشريع ولا فى التنفيذ ، بل ينحصر نفوذها فى الدعاية السياسية للدولة من طريق الدين كسلطة البابا والبطاركة ، وجمعيات التبشير ، وأكثر هؤلاء من أصحاب العصبية الطورانية [3] .

وعالج رشيد رضا فى الحلقة الثالثة مقاصد الناس فى الخلافة ، وما يجب على حزب الإصلاح الإسلامى ، وعلاقة الخلافة بالترك والعرب ، وجعل مركز الخلافة فى الحجاز وموانعه ، وكون ملك الحجاز وأهل بيته ليسوا أهلا للخلافة ، وإقامة الخلافة فى بلاد الترك وموانعها ، وبحث إقامة الخلافة فى منطقة وسطى ، ونموذج من النظم الواجب وضعها للخلافة ، ونهضة المسلمين وتوقفها على الاجتهاد فى الشرع ، وحاجة الترك خاصة إلى الاجتهاد ، وتوقف الاجتهاد فى الشرع على اللغة العربية .

وقد بين رشيد رضا أن إحياء الخلافة الصحيحة المستوفية لشروطها الشرعية هو العلاج الشافى للمسلمين وأن ما طرأ على المسلمين من تفرق الكلمة وضعف الدولة

---

(١) المصدر السابق .

(٢) حزب الإصلاح الإسلامى : هو الحزب الذى تصوره رشيد رضا ، وقال : إنه الحزب الذى يجمع بين الاستقلال فى فهم وفقه الدين وحكم الشرع الإسلامى وكنه الحضارة الإسلامية ، ويتوقف عليه صلاح الأمة الإسلامية .

(٣) المنار ، جـ١ ، م ٢٤ ، ١٩جمادى الأولى ١٣٤١ هـ ، يناير ١٩٢٣م .

والدين ، وظهور البدع إنما نشأ من فساد الخلافة ، واستنادها إلى القوة والغلبة لا إلى بيعة أهل الحل والعقد المعبر عنهم بالجماعة[1] .

ومضى رشيد رضا يرد على المتفرنجين من المصريين الذين لا يؤيدون قيام الخلافة الإسلامية بحجة وجود بعض النصارى فى بلاد المسلمين ، موضحا أن الحكومة الإسلامية إذا قامت على شرع الله فستكفل للنصارى كل حق وحرية ، ويستشهد بما قاله الدكتور برتكالوس السورى الجنسية : « إن حكم الشريعة الإسلامية خير لنا معشر النصارى من حكم الدستور الذى يسلبنا كثيرا مما أعطتنا الشريعة الإسلامية من الامتيازات ، ويحملنا ما أعفتنا من التكاليف ، فالشريعة الإسلامية ليس فيها ظلم لغير المسلم ، وهى تساوى بين أضعف ذمى أو معاهد وبين الخليفة الأعظم فى موقف القضاء وتقرير الحقوق»[٢].

وفى الحلقة الأخيرة من هذه المقالات التى كتبها رشيد رضا مقالة بعنوان : « الخلافة ودول الاستعمار » سجل فيها أن إقامة الخلافة الإسلامية يسوء رجال دول الاستعمار ، وأنهم يقاومونها بكل ما أوتوا من قوة ، وأحرصهم على ذلك الدولة البريطانية ، وأشار إلى أن بريطانيا كانت تسعى قبل الحرب الكبرى لجعل الخلافة فى الأمة العربية ، على أن تكون خلافة صورية تكون آلة بيدها لإبطال تأثير إعلان الخليفة العثمانى إلى الجهاد الديني بدعوى بطلان صحة خلافته من جهة ، وبدعوى أخرى أن الحرب لا شأن للدين فيها من جهة أخرى [٣] .

وذكر رشيد رضا فى موضع آخر : أن العامل الأول لكون الدولة البريطانية هى الخصم الأكبر لإقامة الخلافة الإسلامية هو خشيتها أن تتجدد بها حياة الإسلام ، وتتحقق فكرة الجامعة الإسلامية ، فيحول ذلك دون استعبادها للشرق كله [٤] .

وأوضح رشيد رضا أن الخلافة الإسلامية لا يمكن أن تقوم فى بلاد الحجاز على ما هى عليه فى تلك الفترة لعدة موانع ، نوجزها فيما يلى :

١ـ أن ملك الحجاز « الشريف حسين » يعتمد فى تأييد ملكه على دولة غير إسلامية مستعبدة لشعوب المسلمين ، ولاسيما العرب .

٢ ـ أن هذا الملك قد لقب نفسه بملك العرب لتكون كل الدول العربية مرتبطة باتفاقياته مع الاستعمار التى تسلب استقلالها ، بالإضافة إلى أن كل حكومة

(١) المنار ، جـ٣ ، م٢٤ ، رجب ١٣٤١ هـ ، مارس ١٩٢٣م .
(٢) المنار ، جـ٤ ، م٢٤ ، شعبان ١٣٤١هـ ، أبريل ١٩٢٣م .
(٣ ، ٤) المنار ، جـ٥ ، م٢٤ ، رمضان ١٣٤١هـ ، مايو ١٩٢٣م .

من الحكومات العربية أقوى وأصلح من حكومته وغير مقيدة باتفاقيات مع الاستعمار .

٣ ـ أنه رضى أن يجعل ولديه رئيسين فى بعض البلاد العربية التى استولت عليها الدول الاستعمارية ، وتابعين لوزارة الاستعمار فى تلك الدولة .

٤ ـ أن حكومة الشريف حسين حكومة استبدادية لا تقوم على الشورى .

٥ ـ أن حكومته خصم لكل علم يعين على الإصلاح الدينى والدنيوى .

٦ ـ أن أهل بيته فاقدون لأهم شروط الخلافة ولا سيما العلم الشرعى .

٧ ـ أن معظم العالم الإسلامى غير راض عن حكومة الحجاز الحاضرة .

٨ ـ أن الحجاز فاقد لما تتوقف عليه إقامة الخلافة من الشوكة والثروة [١] .

كذلك نوه رشيد رضا إلى أن الخلافة فى بلاد الترك لا تصلح لأمرين :

١ ـ امتناع أكثر الزعماء العسكريين والسياسيين من توحيد السلطة العامة فى شخص الخليفة ، وجعل الخلافة روحانية أو بمعنى آخر فصل السلطة عن الدين .

٢ ـ معارضته الأمة العربية ولا سيما فى الجزيرة العربية وما يتبعها ، واقترح رشيد رضا أن تكون الخلافة الإسلامية فى منطقة وسطى تجمع بين العرب والترك ، واختار لذلك منطقة الموصل فى العراق ، وأن يفوض حزب الإصلاح الإسلامى المشكل من جميع الدول الإسلامية ، فى وضع النظام لإقامة الإمامة العظمى فى هذه المنطقة ، وأن يضع نظاما أساسيا لحكومة الخلافة على أتم الوجوه التى تقتضيها حال العصر فى حراسة الدين وسياسة الدول الإسلامية وإصلاح الأمة ، وبرنامجا لتنفيذ هذا النظام بالتدريج ، على أن تنشأ مدرسة عالية لتخريج المرشحين للإمامة العظمى ، وللاجتهاد فى الشرع ، والذين ينتخب منهم رجال ديوان الخلافة الخاص وأهل القضاء والإفتاء ، وواضعى القوانين العامة ونظم الدعوة إلى الإسلام والدفاع عنه [٢] .

وقد جمع رشيد رضا سلسلة مقالاته المتعلقة بالخلافة فى كتاب سماه : « **الخلافة أو الإمامة العظمى** » ، وقد أحدث هذا الكتاب ضجة كبرى فى الصحافة المصرية والرأى العام الإسلامى وتناولته بعض الصحف بالثناء ، وبعضها بالنقد ، وكتبت جريدة الأهرام مقالة فى المقابلة بين كتاب « الخلافة » العربى الذى نشره رشيد رضا ، وكتاب « **الخلافة** والحاكمية القومية » الذى صدر عن أنقرة ، وقالت الأهرام : إن كتاب رشيد رضا أحفل كتاب ألف من صدر الإسلام إلى الآن فى موضوع الخلافة ، حيث تناوله من جميع

(١ ، ٢) المنار ، جـ٢ ، م٢٤ ، جمادى الآخرة ١٣٤١هـ ، فبراير ١٩٢٣ م .

أطرافه ، ووفاه حقه من التمحيص ، وبين حقه الذى يقره عليه فحول علماء الإسلام ، وفى مقدمتهم علماء مصر والهند القطرين الإسلاميين العظيمين .

وأما الكتاب الثانى فهو الكتاب الذى صدر من أنقرة باللغة التركية ، وقد ضمنه أصحابه أقصى ما يمكن من عبارات الاعتذار للكماليين عما فعلوه من أمر الخلافة حتى اضطروا إلى أن يطعنوا فى جميع أمراء المسلمين ، حتى الخلفاء الراشدين ، كل ذلك ليبرروا أن الخلافة لا تصلح كنظام للحكم [(١)] .

وهذا الكتاب الأخير مجهول المؤلف والطبعة والناشر واسم البلد الذى طبع فيه ، وأشار رشيد رضا إلى أن حكومة المجلس الوطنى الكبير هى التى نشرت هذا الكتاب تأييدا لخطتها فى هذه المسألة الإسلامية الكبري ، وقد تولت أمر نشره فى العالم كله مديرية الاستخبارات التركية . وقد أراد مؤلفو الكتاب إثبات أن الخلافة الإسلامية ليست من مسائل الدين بل هى مسألة دنيوية وسياسية ، وانتقد رشيد رضا ما تضمنه الكتاب وخاصة فى مسألة الخلافة وما جاء فيها من أنها مسألة دنيوية وسياسية لا دخل لها بالدين ، وفند ما جاء فى هذا الكتاب من أغلاط تاريخية وشرعية وملية [(٢)] .

وتجدر الإشارة هنا إلى أنه قد تباينت مواقف المفكرين المصريين تجاه ما أحدثه مصطفى كمال بشأن فصل الخلافة عن السلطة ، وتشكل فى مصر تياران مختلفان :

تيار يرى فى حركة كمال أتاتورك نكسة كبرى للإسلام لا فى تركيا وحدها ، بل فى العالم الإسلامى كله ، وقاد هذا التيار رشيد رضا ، وأنصار الفكر الإسلامى فى الصحافة المصرية .

أما التيار الآخر فكان يرى فى سياسة أتاتورك اتجاها عمليا ووطنيا وحضاريا يستحق الإعجاب وينبغى الاقتداء به [(٣)] . وكان معظم أنصار هذا التيار من المتفرنجين الذين يعتقدون أن الدين الإسلامى لا يتفق مع هذا العصر ولا يواكبه ، وأنه يمنع الدولة إذا تمسكت به من أن تساير الأمم المتحضرة ، وأكثر هؤلاء ممن تعلموا فى أوربا أو فى المدارس الأجنبية ، وتشربوا العلوم العصرية ، ويرون إلغاء منصب الخلافة الإسلامية ، واستبدال الرابطة الجنسية أو الوطنية بالرابطة الدينية الإسلامية [(٤)] .

وكان من أوائل المعارضين لفكرة الخلافة الإسلامية الشيخ على عبد الرازق ، فقد

(١ ، ٢) المنار ، جـ١٠ ، م٢٤ ، صفر ١٣٤١ هـ ، أكتوبر ١٩٢٣م .

(٣) أخبار اليوم بتاريخ ٢٣ فبراير ١٩٨٠ م ، سلسلة مقالات كتبها عبد الحميد الكاتب عن الخلافة الإسلامية .

(٤) د. مصطفى حلمى : نظام الخلافة فى الفكر الإسلامى ، القاهرة : دار الدعوة ١٩٧٧م .

كتب فى السياسة الأسبوعية يهاجم مسألة الخلافة ، ويؤيد ما ذهب إليه مصطفى كمال أتاتورك فى الفصل بين الخلافة والسلطة [1] .

وبينما الناس فى مصر مختلفون حول ما فعله مصطفى كمال أتاتورك بشأن الخلافة الإسلامية إذا به يكشف القناع عن وجه الحركة الكمالية ، ويسفر عن حقيقة نواياه فيلغى نظام الخلافة فى منتصف مارس ١٩٢٤ م ويطرد الخليفة وآله وأسرته إلى خارج حدود تركيا ، بعد أن جردهم من أموالهم وممتلكاتهم [2] .

ولذلك أخذت معظم الصحف المصرية تهاجم مصطفي كمال والكماليين مهاجمة عنيفة ، وتراجع بعض الكتاب الذين ناصروا مصطفى كمال وأحسنوا الظن به عن مواقفهم ، وكان من أبرز المهاجمين لهذا الانقلاب : أمين الرافعى فى جريدة الأخبار ، والشيخ محمد حسنين ، ومحمد البتانونى فى جريدة الأهرام ، والشيخ محمد شاكر وكيل الجامع الأزهر وانشغلت الصحف بأخبار الخليفة عبد المجيد وأسرته وأخبار المطرودين من آل عثمان وبيان مواقف الزعماء والمفكرين وعلماء الدين فى مصر وفى شتى أنحاء العالم على هذا الانقلاب الخطير ، وعلى ما يتلوه من خطوات تدفع بالترك بعيدا عن ماضيهم الإسلامى وتقطع ما بينهم وبينه من صلات لتلحقه بالغرب ، وحملت على مصطفى كمال الذى أسرف فى حمل الناس على مذهبه ، وقتل كل من ارتفع صوته يدافع عن الإسلام وتعاليمه [3] .

وكان إلغاء الخلافة الإسلامية بمثابة الشرارة التى تطايرت فى أنحاء العالم الإسلامى وأحدثت تغيرات كبيرة فى كيان الأمة الإسلامية ، حيث انتقلت العدوى من تركيا إلى سائر البلاد ، فقامت فى الهند وفى بعض البلاد الإسلامية هيئات تدعو إلى نقل الخلافة إلى دولة إسلامية ، وكانت بريطانيا تؤيد نقل الخلافة إلى مصر ، وقد أخذ هذا الاهتمام بهذه المسألة يتزايد ، ولا سيما بعد أن اتجه الملك فؤاد لترشيح نفسه إلى الخلافة مستعينا بعلماء الأزهر من أجل الدعوة له [4] .

ومنذ ذلك الحين كثرت الدعوات لعقد مؤتمر الخلافة ، وبرز اسم مصر واسم الأزهر كمصدر لهذه الدعوات ، ومركز من أهم مراكز النشاط الإسلامى الذى يحاول معالجة هذه المشكلة ، ونشطت حركة الدعوة إلى عقد هذا المؤتمر حين انتشرت الشائعات التى تعلن

---

(١) السياسة الأسبوعية ، عدد ٢٠ أكتوبر ١٩٢٢ م.

(٢) د. محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية ، مرجع سابق ، جـ٢ ، ص٣٢ ، ٣٣ .

(٣) المرجع السابق ، ص٣٧ ـــ ٤٠ .

(٤) أحمد بهاء الدين : أيام لها تاريخ ، القاهرة : مؤسسة أخبار اليوم ، ١٩٥٤م ، ص١٢٢ ، ١٢٣ .

ترشيح الحسين بن على ملك الحجاز للخلافة [1] .

وفى ١٩ مارس ١٩٢٤م اجتمع عدد من علماء الأزهر وطلبته ، وألفوا لجنة تدعو هيئة كبار العلماء والأمراء وغيرهم من قادة الرأى للبحث فى أمر الخلافة وأسندت رياسة اللجنة إلى الشيخ يوسف نصر الدجوى من هيئة كبار العلماء . وفى ٢٥ مارس اجتمعت بالإدارة العامة للمعاهد الدينية بالأزهر الهيئة العلمية الدينية الإسلامية الكبرى برئاسة شيخ الأزهر أبى الفضل الجيزاوى ، وعضوية كثيرين ، منهم الشيخ محمد مصطفى المراغى ـ رئيس المحكمة العليا الشرعية ـ وعبد الرحمن قراعة ، ومحمد على الببلاوى ، وعبد الحميد البكرى شيخ مشايخ الطرق الصوفية ، ووكيلى الأزهر السابقين : الشيخ محمد حسنين والشيخ محمد شاكر ، وفيها مديرو المعاهد الدينية ومشايخ الأقسام بالأزهر وغيرهم ، وفيها من المدنيين : أمين سامى وأحمد تيمور من أعضاء مجلس الشيوخ ، وأحمد خشبة وكيل مجلس النواب ، وفيهم محمد وحيد الأيوبى ، والسيد رشيد رضا ، وتولى السكرتارية الشيخ حسن والى مفتش المعاهد الدينية [2] .

وقد نشرت هذه الهيئة بيانا قررت فيه أن الخلافة رياسة عامة فى الدين والدنيا ، والإمام نائب عن صاحب الشريعة ﷺ فى حماية الدين وتنفيذ أحكامه وفى تدبير شوون الخلق الدنيوية على مقتضى النظر الشرعى ، وأن الإمام يتولى الحكم بالبيعة من أهل الحل والعقد ، أو باستخلاف إمام قبله ، أو بطريق التغلب وحده . كذلك صرحت أن ما ينحل به عقد الإمامة ـ أى خلع الخليفة ـ هو زوال المقصود من الإمام كالأسر والعجز عن تدبير مصالح الأمة ، أو متى وجد من الإمام ما يوجب اختلال أحوال المسلمين ، ومهدت بهذه المقدمة لتقرير شرعية خلو منصب الخلافة ، وأن خلافة عبد المجيد لم تكن شرعية ؛ لأنها مجردة عن السلطة الزمنية منذ توليته ، والدين لا يعرف هذا التجريد ، وحتى إذا صحت البيعة له فلم يتم لهذه البيعة نفوذ فى الحكم ، ولو كانت صحيحة نافذة فقد انحلت لعجزه عن القيام بتدبير أمور الدين والدنيا ، وخلصت بنتيجة مؤداها أن عبد المجيد ليست له البيعة فى أعناق المسلمين ، ثم دعت الهيئة أيضا لعقد مؤتمر إسلامى بالقاهرة تحت رياسة شيخ الأزهر يحضره ممثلون بجميع الأمم الإسلامية ، يختارون من يجب أن تستند إليه الخلافة الإسلامية ، وحدد للاجتماع شهر مارس ١٩٢٥ م [3].

---

(١) د. محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية ، مرجع سابق ، جـ٢ ، ص٤٣ ، وزكريا سليمان بيومى : الإخوان والجماعات الإسلامية ، مرجع سابق ، ص٥٧ ، ٥٨ ، وعواطف عبد الرحمن : مصر وفلسطين، مرجع سابق ، ص١٢٢ ، ١٢٣ .

(٢) طارق البشرى : المسلمون والأقباط فى إطار الجماعة الوطنية ، مرجع سابق ، ص٢٩٦ ، ٢٩٧ .

(٣) المرجع السابق ، ص٢٩٨ .

وعقد علماء الأزهر مؤتمرا موسعا فى ٢٥ مارس ١٩٢٤ برئاسة شيخ الأزهر وقرروا فى مؤتمرهم (شعبان ١٣٤٤هـ ـ مارس ١٩٤٥م) دعوة المسلمين بعد عام لاختيار خليفة، وتكونت لجنة للإعداد للمؤتمر ، مكن لها الملك فؤاد والصحف الموالية له عن طريق الدعوة للمؤتمر فى شتى أنحاء مصر وغيرها ، كما صدرت صحيفة باسم « المؤتمر الإسلامى» ظهر العدد الأول منها فى شهر ربيع الأول ١٣٤٣ هـ ، أكتوبر ١٩٢٤م ، يرأس تحريرها الشيخ محمد فرج المنياوى رئيس جمعية تضامن العلماء ، وسكرتير شيخ الأزهر ، واطرد صدور المجلة شهريا حتى العدد الرابع ، ثم صدر منها خمسة أعداد أخرى خلال عامى ١٩٢٥ ـ ١٩٢٦ م ، وأبرز كتابها : الشيخ رشيد رضا ، وفرج المنياوى، وحسين والى ، وعبد العزيز الإشرافى ، وعبد الباقى سرور نعيم .

وكتب رشيد رضا مقالا فى صدر العدد الأول من المجلة ، بين فيه أهمية هذا المؤتمر لأنه أول مؤتمر إسلامى عام يشترك فيه علماء الدين والدنيا من كل الأمم الإسلامية ، وأكد على أن المطلوب فى هذا المؤتمر هو وضع قواعد للحكومة الإسلامية المدنية التى يظهر فيها علو التشريع الإسلامى ، ووضع قواعد للتربية والتعليم تجمع بين هداية الدين ومصالح الدنيا واختيار خليفة وإمام المسلمين [1] . ويلاحظ أن مؤتمر الخلافة لم يجتمع إلا فى أول ذى القعدة ١٣٤٤ هـ ، ١٣ مايو ١٩٢٦ م فى دار المعاهد الدينية التابعة للجامع الأزهر برياسة الشيخ محمد أبى الفضل ، وحضره مندوبون من البلاد الإسلامية . وقد اقترح رشيد فى مذكرة قدمها للمؤتمر أنه لاختيار الخليفة على الوجه الشرعى الصحيح الذى أجمع عليه سلف الأمة لا بد من إيجاد وسائل ثلاثة هى :

١ ـ أهل الحل والعقد .

٢ ـ النظام الذى يوضع لمعرفة من يوجد من أهل الحل والعقد ؟ وأين يوجدون ؟ ومن هم ؟ فإنه لا توجد خلافة عامة تعترف بها جميع الشعوب الإسلامية أو أكثرها إلا بوجود جماعة أهل الحل والعقد فى جميعها أو أكثرها ، وتعارف هذه الجماعات أو أكثرها على نظام للخلافة يناسب حال هذا الزمان ، وثانيا : على المكان الذى يختار لنصب الخليفة فيه ، وثالثا : على الشخص الذى يختار للخلافة ، ثم تبايعه تلك الجماعات .

وأضاف رشيد رضا : إنه يراعى فى نظام الخلافة المناسب لهذا العصر :

١ ـ ألا يستطيع الخليفة أن يستبد بالأمر إذا زينت له نفسه ذلك .

٢ ـ أن يكون مستجمعا للشروط الشرعية حتى لا يكون لزعماء المسلمين عذر فى رفض بيعته .

(١) مجلة المؤتمر الإسلامى ، عدد ١ ، ربيع الأول ١٣٤٣ هـ ، أكتوبر ١٩٢٤ م .

٣ ـ أن تبنى الأحكام ونظم الدولة فى مملكة الخلافة على التشريع الإسلامى بنصوص الكتاب والسنة القطعية .

٤ ـ أن يكتفى من الشعوب الإسلامية غير الحرة المستقلة فى أمرها بأن تكون مرتبطة بمقام الخلافة فى شؤونها الدينية .

٥ ـ اتقاء كل ما يعد عدوانا على حكومات هذه الشعوب (١) .

وقد ناقش المؤتمر فى جلساته الأربع التى استمرت من يوم الخميس أول ذى القعدة ١٣٤٤ هـ ـ ٧ من ذى القعدة ١٣٤٤ هـ (٢) حقيقة الخلافة وشروط الخليفة فى الإسلام ووجوب الخلافة فى الإسلام (٣) .

وقرر مؤتمر الخلافة فى جلسته الأخيرة المنعقدة يوم الأربعاء ٧ من ذى القعدة ١٣٤٤هـ / ١٩ مايو ١٩٢٦م أن إيجاد الخلافة الإسلامية الشرعية ممكن ، فيجب على

---

(١) المنار جـ٢ ، م٢٧ ، شوال ١٣٤٤ هـ ، مايو ١٩٢٦ م .

(٢) الجلسة الأولى للمؤتمر ١٣ مايو ١٩٢٦م ، ذو القعدة ١٣٤٤ هـ ، والثانية ١٥ مايو ١٩٢٦م ، ٣ ذو القعدة ١٣٤٤هـ ، والثالثة ١٨ مايو ١٩٢٦م ، ٥ ذو القعدة ١٣٤٤هـ ، والأخيرة ١٩ مايو ١٩٢٦م ، ٧ ذو القعدة ١٣٤٤هـ .

(٣) المنار ، جـ٣ ، م٢٧ ، ذو القعدة ١٣٤٤ هـ ، يونيه ١٩٢٦م .

وأعضاء المؤتمر هم : الشيخ محمد أبو الفضل شيخ الجامع الأزهر ، والشيخ محمد مصطفى المراغى رئيس المحكمة الشرعية العليا ، والشيخ عبد الرحمن قراعة مفتى الديار المصرية ، والشيخ هارون وكيل الجامع الأزهر ومدير المعاهد الدينية ، والشيخ حسن والى السكرتير العام لمجلس الأزهر الأعلى ، والشيخ فراج الميناوى السكرتير الخاص لشيخ الأزهر ، والسيد الإدريسى السنوسى أمير برقة وطرابلس من المغرب ، وأحمد شتيوى القرعلى حاكم مصراطة سابقا من طرابلس المغرب ، والتهامى قليصة بك رئيس مالية مصراطة من طرابلس المغرب ، والشيخ عمر الميساوى مفتى الخمس سابقا من طرابلس المغرب ، ومحمد الصالحى التونسى العضو فى مجلس الأمة الكبير فى تونس ، والسيد محمد الصديق من أكابر العلماء والأشراف من مراكش ، وأحمد بهاء الدين أفندى مندوب جمعية الخلافة بجنوب إفريقيا ، وأبو بكر جمال الدين أفندى من الجمعية الإسلامية بجنوب إفريقيا ، والدكتور الحاج عبد الله أحمد من جزر الهند الشرقية ، والدكتور الحاج عبد الكريم أمر الله من جزر الهند الشرقية ، والسيد حسن العطاس سلطنة جوهر ، وعناية الله خان المشرفى رئيس دار العلوم بالهند ، والسيد الميرغنى الإدريسى من أمراء تهامة باليمن ، والشيخ عبد الرحمن بن على من قضاة اليمن وأعيانها ، والشيخ يحيى عدنان بانا من أكابر أشراف الحجاز ، والشيخ خليل الخالدى رئيس محكمة الاستئناف الشرعية من فلسطين ، والشيخ أسعد الشقيرى رئيس مجلس التدقيقات الشرعية بالأستانة ، وإسماعيل الخطيب المحامى الشرعى بفلسطين ، والشيخ حسن أبو السعود من فضلاء فلسطين ، ومحمد مراد أفندى مفتى حيفا من فلسطين ، وجمال الحسينى بك سكرتير اللجنة التنفيذية للمؤتمر السادس بفلسطين ، والشيخ عيسى منون مندوب المجلس الأعلى بفلسطين ، وعطا الله الخطيب أفندى مدير أوقاف بغداد من العراق ، والأستاذ عبد العزيز الثعالبى الأستاذ فى كلية آل البيت ببغداد ويعقوب ستكوفيتس أفندى المفتى الأكبر لجمهورية بولونيا .

المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها تهيئة أسبابها ووسائلها وإعداد ما يلزمها من عدة.

ويرى المؤتمر أنه يجب أن يراعى فى تحقيقها الوجه الذى لا يفرق جماعة المسلمين ولا يثير الخلاف بينهم ، ولذلك يقرر أنه لا بد لذلك من تمثيل جميع الشعوب الإسلامية ليتشاوروا فيما يجب عمله لإيجاد الخلافة المستجمعة للشروط الشرعية ، ويرى أنه لم تمثل فيه جميع الشعوب الإسلامية تمثيلا تاما وهو يوجه نداءه إلي جميع المسلمين فى سائر أقطار الأرض ألا يهملوا أمر الخلافة التى هى روح الإسلام ومظهره ، وأن يعملوا جميعا لتحقيقها على الوجه المذكور ، أداء لهذا الواجب ، وخروجا عن الإثم بتركه [1] .

وهكذا ترى أن اجتماع هذا المؤتمر لم يسفر عن شىء ، وذلك لكثرة عدد الطامعين فى الخلافة أمثال شريف مكة حسين بن على الذى بايعه بعض الفلسطينيين والملك فؤاد فى مصر ، والملك أمان الله خان ملك الأفغان[2] ، فضلا عن ذلك انقسمت الآراء فى مصر حول الخلافة ، فبعض علماء الأزهر كان يرى ترشيح الملك فؤاد للخلافة ، فى حين عارضت جماعة الخلافة الإسلامية برئاسة الشيخ محمد ماضى أبى العزائم ، وبعض علماء الأزهر هذا الترشيح ، ذاكرين أن مصر لا تصلح لانعقاد مثل هذا المؤتمر ، ولا تصلح دارا للخلافة لسيطرة الإنجليز عليها ، ودعوا لوجوب انعقاد هذا المؤتمر فى مكة المكرمة بعد أن سيطر عليها السعوديون [3] .

وقد تم بالفعل عقد مؤتمر الخلافة الإسلامية فى الحجاز فى ذى القعدة ١٣٤٤ هـ / يونيه ١٩٢٦م .

ويلاحظ أن « المنار » أخذت تدعو للأمير عبد العزيز بن سعود وتدعم دولته ، وتعقد عليها الآمال فى الإصلاح الإسلامى ، ومقاومة البدع التى فتكت بالمسلمين وفرقت كلمتهم ، وعلق رشيد رضا آمال المسلمين على الدولة العربية السعودية الجديدة ، ونوه إلى أن تحل محل تركيا فى قيادة العالم الإسلامى ، وحمل لواء الخلافة الإسلامية ، وذهب إلى ما ذهبت إليه جماعة الخلافة الإسلامية بقيادة الشيخ « أبى العزائم » من أن مصر لا تصلح للخلافة الإسلامية لعدم استقلال إرادتها ، واحتلال الإنجليز لها [4] .

ومن ناحية أخرى تصدت صحف الوفد والأحرار الدستوريين لمحاربة إقامة الخلافة

---

(١) المنار ، جـ٦ ، م٢٧ ، محرم ١٣٤٥هـ ، أغسطس ١٩٢٦م ، وقع هذا القرار بإمضاء شيخ الجامع الأزهر ورئيس المؤتمر محمد أبى الفضل .

(٢) زكريا سليمان بيومى : الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية ، مرجع سابق ، ص٥٨ .

(٣) محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، مرجع سابق ، جـ٢ ، ص٤٨ ، وطارق البشرى : المسلمون والأقباط ، مرجع سابق ، ص٢١٧ ، ٢١٨ .

(٤) المنار ، جـ١ ، م٢٧ ، رمضان ١٣٤٤ هـ ، أبريل ١٩٢٦ م .

الإسلامية فى مصر ، تاكيدا للتيار القومى المصرى (١) ، فضلا عن رفض الدعوة التى قام بها بعض مشايخ الأزهر لتنصيب الملك فؤاد خليفة للمسلمين ، وأخذت صحيفة السياسة فى مهاجمة مؤتمر الخلافة الإسلامية الذى عقد فى الأزهر بمصر ، وأعلنت أن المسألة تمس سيادة الدولة ، ويجب أن يترك بحثها للسياسيين ، وأن الدستور ينص على «أنه لا يجوز للملك أن يتولى مع ملك مصر أمور دولة أخرى بغير رضاء البرلمان »(٢) .

واتهمت السياسة مشايخ الأزهر بأنهم ما روجوا لفكرة إقامة الخلافة فى مصر إلا رجاء مطامع معينة إذا ما تولى منصب الخلافة الملك فؤاد (٣) .

وفى تلك الظروف التى انشغل بها الفكر المصرى والرأى العام الإسلامى بقضية الخلافة الإسلامية ، إذا بالشيخ على عبد الرازق ـ القاضى بالمحاكم الشرعية ـ يصدر كتابا بعنوان : « الإسلام وأصول الحكم » ، هذا الكتاب يحدث دويا وضجة كبرى فى الأوساط الصحفية والسياسية ، فقد أنكر فيه المؤلف الخلافة ، زاعما أن القرآن الكريم والأحاديث النبوية لم يرد فيهما أى نص على الخلافة كنظام للحكم يجب أن يلتزم به المسلمون ، وأورد على ذلك أدلة كثيرة ، منها :

أولاً : أن الخلافة من الناحية النظرية هى الرياسة العامة فى أمور الدين والدنيا نيابة عن النبى ﷺ ، وعلى هذا الرأى سار خلفاؤه من بعده ، فجمعوا بين السلطتين الدينية والدنيوية ، وتقيدوا بشىء واحد فقط هو مراعاة حدود الشريعة الإسلامية ، غير أننا عندما نمتحن الأدلة التى وردت فى تأييد الخلافة نجدها لا تكفي مطلقا لغرض هذا الحكم أو تأييده على الأقل .

ثانيا : أن القرآن والسنة خاليان من العبارات التى تؤيد هذا النظام تأييدا صريحا لا يقبل الشك ، وأما إجماع الأمة ، وهو الدليل الذى يستند عليه فى ذلك فلا يمكن إثبات أنه حقيقة تاريخية ، ويكفى أن نذكر مثلا أن نظام الخلافة الإسلامية كان عرضة للخارجين عليه فى كل لحظة ، وقد اختلفت أدوار الخروج والمعارضة فيه قوة وضعفا ، وبقى الحال على ذلك من أيام على بن أبى طالب إلى عهدنا بجماعة الاتحاد والترقى فى تركيا فى أوائل القرن الحالى ، والمعارضة على هذا النحو تجعل دعوة الإجماع غير صحيحة .

ثالثا : ليس هناك حاجة إلى الخلافة فى أمور الدين ولا أمور الدنيا ، ففكرة الخلافة

---

(١) عواطف عبد الرحمن : مصر وفلسطين ، مرجع سابق ، ص١٢٢ .
(٢) السياسة ، ٢ ، ٢٦ ، ٢٨ فبراير ١٩٢٦ م .
(٣) المنار ، يناير ١٩٢٦ م ، جمادى الآخرة ١٣٤٤ هـ .

ذاتها باعتبارها نوعا من الرياسة فى الدين والدنيا نيابة عن النبى ﷺ تعتمد على تصور غير صحيح لوظيفة النبى ووظيفته الرسالة ، والرسول نفسه لم يسع إلى إقامة دولة ، ولم يكن ذلك جزءا من رسالته ، ولم يكن هناك ضرورة لزعيم يخلف النبى ﷺ .

رابعا : كل ما شرعه الإسلام من أنظمة وقواعد لم يكن فيه شىء كثير ولا قليل من أساليب الحكم السياسى ، ولا من أنظمة الدولة المدنية ، وإنما هو شرع دينى خالص لهم ولمصلحة البشر الدينية لا أكثر ولا أقل ، أما القوانين المدنية فقد تركها الله لعقولنا وترك الناس أحرارا فى تدبيرها حسب عقولهم وظروفهم وتجاربهم .

ويهدف من ذلك فصل الدين عن السياسة [١] .

ويلاحظ أن هذا الكتاب قد قصد به أصلا هدف سياسى حزبى ، فقد أراد حزب الأحرار الدستوريين أن يؤكد معارضته للملك فؤاد الذى كان يطمع فى الخلافة ، حيث لم يكن فى مقدور الأحرار الدستوريين وقف ما يريده ملك البلاد ، فاتخذوا هذا الأسلوب تدعيما لخطتهم السياسية فى محاربة الملك .

ولكن هذا الكتاب أساء إساءة كبيرة إلى الإسلام وجاء محاولة للفصل بين المجتمع والدين ، وإنكار الخلافة الإسلامية من أصلها[٢]؛ ولهذا لقى هذا الكتاب هجوما بالغا من الملك فؤاد وأنصاره وكذلك من علماء الدين الإسلامى ومشايخ الأزهر[٣] ، وكان فى مقدمتهم الشيخ محمد الخضر حسين ، الذى كتب كتابا أطلق عليه : « نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم » ، أكد فيه فرضية الخلافة من خلال ما جاء فى القرآن الكريم من أمر بالطاعة لأولى الأمر والحكم بالعدل ، وما جاء فى الأحاديث النبوية مثل قول الرسول ﷺ : « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » وحديث :« إذا بويع الخليفتان فاقتلوا الآخر منهما » وغير ذلك من الأحاديث[٤] ، كما ظهر عدد من الكتب التى دحضت شبهات على عبد الرازق ، منها كتاب : « حقيقة الإسلام وأصول الحكم » الذى ألفه الشيخ محمد بخيت المطيعى مفتى الديار المصرية السابق ، والذى كان من أنشط الدعاة لمؤتمر الخلافة فى مصر وقتها ، وعلى حد قول طارق البشرى كان يعارض كتاب على عبد الرازق سطرا سطرا[٥] ، ومنها كتاب : « نقض الإسلام وأصول الحكم » من

---

(١) على عبد الرازق : الإسلام وأصول الحكم ، ص٥٦ ــ ٧٩ ، نقلا عن د. عبد اللطيف حمزة : أدب المقالة الصحفية ، جـ٨ ، ص٣٤٣ ، ٣٤٤ .

(٢) أنور الجندى : يقظة الفكر العربى ، مرجع سابق ، ص١٢٢ .

(٣) أحمد بهاء الدين : أيام لها تاريخ ، القاهرة : مؤسسة أخبار اليوم ، ١٩٥٤م ، ص١٢٧ .

(٤) محمد يوسف موسى: نظام الحكم فى الإسلام ،القاهرة :دار الكتاب العربى ،١٩٦٣م ،ط٢،ص٣٤ ـ ٣٩.

(٥) طارق البشرى : المسلمون والأقباط فى إطار الجماعة الوطنية ، مرجع سابق ، ص٣٠٩ .

تصنيف الشيخ محمد الخضر حسين أحد مدرسى جامع الزيتونة وقاضى قضاة المحاكم الشرعية فى تونس والحاصل على شهادة العالمية من الجامع الأزهر ، وكتاب سمى : «حقيقة الإسلام وأصول الحكم » من تصنيف الشيخ محمد بخيت المطيعى أحد هيئة كبار العلماء بالأزهر (١) . ومنها كتاب بعنوان : « نقد علمى لكتاب الإسلام وأصول الحكم» للشيخ محمد الطاهر بن عاشور مفتى الديار التونسية وقد نوهت المنار أيضا والفتح بشأن هذا الكتاب .

وعلى الجانب الصحفى فقد شنت صحافة الاتجاه الإسلامى حملة بالغة العنف على الكتاب وصاحبه ، وكان من أبرز هذه الصحف صحيفة الأخبار واللواء صحيفتا الحزب الوطنى ـ فى ذلك الوقت ـ والمنهاج (٢) والفتح والمنار ، وواجهت هذه الصحف أفكار الكتاب بالنقد والتفنيد ، وقد وصفت المنار كتاب « الإسلام وأصول الحكم » بأنه « هدم لحكم الإسلام وشرعه من أساسه ، وتفريق جماعته وإباحة مطلقة لعصيان الله ورسوله فى جميع الأحكام الشرعية الدنيوية من شخصية وسياسية ومدنية وجنائية وتجهيل للمسلمين كافة من الصحابة والتابعين والأئمة والمجتهدين والمحدثين والمتكلمين ، وبالجملة هو اتباع لغير سبيل المؤمنين ، فالإسلام برىء منه بحسب ما فهمه المسلمون من العصر الأول إلى عصرنا هذا » (٣) .

ودعا رشيد رضا العلماء وبخاصة مشيخة الأزهر بأن يعلنوا حكم الإسلام فى كتاب على عبد الرازق ، وألا يسكتوا عما جاء به من طعن للإسلام وأصوله ؛ لأن هذا الكتاب فى سلسلة العداء الذى يصبه أعداء الإسلام ، والطامعون فيه والقضاء على ملكه وإبطال شريعته بالآراء والأفكار وإفساد العقائد والأخلاق ، والطعن فى جميع مقومات هذه الأمة الإسلامية ، وتقطيع جميع الروابط التى تربط بين شعوبها وأفرادها . وأبان رشيد رضا أن ما جاء به على عبد الرازق إنما هو بدعة لم يقل بمثلها أحد انتمى إلى الإسلام صادقا أو كاذبا ، وخلاصة هذه البدعة : « أنه ليس للإسلام خلافة ولا إمامة ولا حكومة ولا تشريع سياسى ولا قضائى ، وأنه دين روحانى محض كدين النصارى بالمعنى الذى فهمته شيعة البروتستانت منهم دون قبلهم، وأن ما ادعاه المسلمون من عهد أبى بكر الصديق رضي الله عنه إلى يومنا هذا من أمر الإمامة والخلافة . باطل من القول وضلال فى العمل وفساد فى

---

(١) المنار ، جـ٦ ، م٢٧ ، محرم ١٣٤٥ هـ ، أغسطس ١٩٢٦م ، وقد أفسحت صدر صفحاتها لكاتب مغربى أشاد بكتاب الشيخ المطيعى وعده انتصارا للإسلام وعلمائه على الملحدين والمارقين ، سلسلة مقالات بدأت فى المنار من جـ١ ، م٢٨ ، شوال ١٣٤٥ هـ ، أبريل ١٩٢٧م .

(٢) « المنهاج » مجلة علمية أدبية إسلامية أصدرها فى نهاية عام ١٩٢٥م فى مصر الشيخ أبو إسحاق إبراهيم الجزائرى الأصل ، وقد أنشأها خاصة للرد على على عبد الرازق وكتاب « الإسلام وأصول الحكم » ، انظر: المنار ، جـ٨ ، م٢٦ ، رجب ١٣٤٤هـ ، يناير ١٩٢٦ م .

(٣) المنار ، جـ٢ ، م٢٦ ، ذو القعدة ١٣٤٣ هـ ، يونيه ١٩٢٥ م .

الأرض . . . وأن أبا بكر كان ملكا للعرب أراد أن يحقق وحدتهم ويجعل السلطان لقريش وحدهم وليس له ولا لمؤيديه حجة من الدين ، ولم يكن جميع الخارجين عليه والمانعين أداء الزكاة له مرتدين عن الإسلام ، وأن قتالهم لم يكن دينيا فحسب بل سياسيا للدفاع عن دولة العرب ووحدتهم ، والدين نفسه لم يجب أن تكون للعرب ولا لغيرهم من المسلمين حكومة يرضونها ، ودين الإسلام لم يقيدهم فى ذلك » (١) .

فعلى عبد الرازق يقول فى صفحة ١٠٣ من كتابه : « والحق أن الدين الإسلامى برىء من تلك الخلافة التى يتعارفها المسلمون ، وبرىء من كل ما هيؤوا حولها من رغبة ورهبة ومن عزة وقوة ، والخلافة ليست فى شىء من الخطط الدينية ، كلا ، ولا القضاء ولا غيرهما من وظائف الحكم ومراكز الدولة ، وإنما تلك كلها خطط سياسية صرفة لا شأن للدين بها ، فهو لم يعرفهما ولم ينكرها ، ولا أمر بها ، ولا نهى عنها ، وإنما تركها لنا لنرجع فيها إلى أحكام العقل وتجارب الأمم وقواعد السياسة . . لا شىء فى الدين يمنع المسلمين أن يسابقوا الأمم الأخرى فى علوم الاجتماع والسياسة كلها ، وأن يهدموا ذلك النظام العتيق الذى ذلوا له واستكانوا إليه ، وأن يبنوا قواعد ملكهم ونظام حكومتهم على أحدث ما أنتجته العقول البشرية ، وأمتن ما دلت تجارب الأمم على أنه خير وأصول للحكم » (٢) .

والحقيقة أن كتاب الإسلام وأصول الحكم لا يقصد صاحبه تقدم الأمم الإسلامية بهدم نظام الخلافة ؛ لأن نظام الخلافة ـ كما أشار رشيد رضا ـ من النظم التى حققت للمسلمين العزة على مدار التاريخ ، وما ذلوا وما استكانوا كما صرح بذلك على عبد الرازق ، كذلك يلاحظ أن على عبد الرازق أنكر الأحاديث الواردة فى شأن الخلافة وهو بذلك يهدم الشريعة الإسلامية ، ويجعل أحكام القرآن كغيرها ، لا توجب على المسلمين التقيد بها فى حكوماتهم ، ولا تمنعهم أن يأخذوا بما عند غيرهم من تجارب الأمم فيها (٣).

وذكر رشيد رضا أن على عبد الرازق اعتمد فى تأليف كتابه على كتب الإفرنج التى كتبوها فى الخلافة وعلى الأخص كتاب : « خلافت وحاكميت مليه » أو « الخلافة والحاكمية القومية » ، والذى كتبه بعض كتاب الترك لإقناع مسلميهم بما فعلته حكومة أنقرة « الجمهورية » من إلغاء الخلافة الإسلامية والفصل بين الدين والحكومة ، كذلك اعتمد على عبد الرازق على بعض كتب التاريخ والأدب والكلام مثل كتاب الأغانى ، والعقد الفريد ، ولم يكن فيها كتاب من كتب السنة الصحيحة (٤).

(١ـ ٣) المنار ، جـ٢ ، م٢٦ ، ذو القعدة ١٣٤٣ هـ ، يونيه ١٩٢٥ م ، مقال بعنوان : « بحث فى الخلافة والحكومة فى الإسلام » .

(٤) المنار ، جـ٣ ، م٢٦ ، ذو الحجة ١٣٤٣ هـ ، يوليو ١٩٢٥ م .

وسار على منهاج رشيد رضا محب الدين الخطيب فى صحيفته الفتح ، وهاجم على عبد الرازق وشبهه بكمال أتاتورك والاقتداء به . قال محب الدين الخطيب : « رأى على عبد الرازق كما رأى مصطفى كمال ، أن الفرق بين الإسلام والنصرانية يرجع إلى أن الإسلام عقيدة وعبادة وحكم ، والنصرانية عقيدة وعبادة ولا علاقة لها بالحكم ، فأراد على عبد الرازق كما أراد مصطفى كمال أن يجعل الإسلام نصرانية بإزالة الفارق الذى يمتاز به الإسلام عن النصرانية ، وهو الحكم ، فزعم أن الإسلام كله نصرانية .. ولا علاقة له بالدين » [1].

وخلاصة ما جاء فى كتاب « الإسلام وأصول الحكم » : أن المسلمين ليس لهم تشريع إسلامى سياسى ولا مدنى ولا قضائى ، وأن الدين ترك لهم ذلك ليرجعوا فيه إلى أحكام العقل وتجارب الأمم ، فيباح لجميع المسلمين ، ولكل شعب منهم أن يختار لنفسه ما شاء من أنواع الحكم إلا شكل الخلافة الإسلامية والنيابة عن النبى ﷺ فى إقامة ما ورد فى الكتاب والسنة ، وما جرى عليه الخلفاء الراشدون من الحكم الإسلامى .

ويلاحظ أيضا أن كتاب « الإسلام وأصول الحكم » كان مؤيدا من قبل الصحف التغريبية والعلمانية المصرية والتركية ، فقد نوهت الصحف التركية بالكتاب وأثنت عليه وعلى مؤلفه ، وترجم إلى اللغة التركية ، وكان حجتهم فى ذلك هى حرية الرأى ، ولكنهم فى الوقت ذاته لم ينشروا آراء المخالفين له ، مما يدل على عدم صحة دعواهم ، فضلا عن ذلك أنه جاء معززا لرفضهم الشريعة الإسلامية وشكل الخلافة وتأسيس حكومة لادينية علمانية [2] .

ومن أبرز الصحف المصرية التى أيدت على عبد الرازق صحيفة السياسة ، فقد وقفت هذه الصحيفة موقف المدافع عن على عبد الرازق بحجة الانتصار لحرية الرأى وحرية النقد العلمى النزيه ، واعتبرت الشيخ على عبد الرازق مجتهدا ومجددا وشبهته بالشيخ محمد عبده ، حينما اتهم بمخالفة روح الإسلام لآرائه الجريئة والعصرية [3] ، لكن تصدت لها صحيفة المنار وكتب رشيد رضا مفندا لأقوالها ، ذاكرا أن صحيفة السياسة لسان حال اللادينيين فى مصر ، وأكبر مفاسد هذا الكتاب أن يحاول هدم الشريعة الإسلامية من طريق الدين لذلك تناصره ، وفند رشيد رضا حجة السياسة فى أن ما كتبه على عبد الرازق هو اجتهاد فى الرأى قائلا : « لا ينبغى تسمية الطعن فى الدين وإنكار

---

(١) الفتح ، عدد ١١٧ ، ٢٧ ربيع الآخر ١٣٤٧ هـ ، ١١ أكتوبر ١٩٢٨ م .
(٢) المنار ، جـ١٠ ، م٢٧ ، جمادى الآخرة ١٣٤٥ هـ ، يناير ١٩٢٧ م .
(٣) المنار ، جـ٧ ، م٢٦ ، جمادى الآخرة ١٣٤٤ هـ ، يناير ١٩٢٦م ، وأحمد بهاء الدين : أيام لها تاريخ ، مرجع سابق ، ص١٣٢ .

المجمع عليه من أحكامه وأصوله اجتهادا » [1] .

وتجدر الإشارة هنا إلى أنه كان للأزهر وعلمائه دور كبير فى مواجهة ما جاء فى هذا الكتاب ، فقد رفعوا عريضة إلى الملك فؤاد نشرتها المنار موقعة من ستين شيخا أزهريا ، ذكروا فيها أن كتاب « الإسلام وأصول الحكم » ينكر أشياء معلومة من الدين بالضرورة باتفاق بين العلماء ، كإنكاره الخلافة الإسلامية ، وقوله : إن الأحكام التى جاءت بالسنة هى أحكام وقتية انتهت بموت النبى ﷺ ، فلا يصح الأخذ بها ، وهذه الأشياء التى تحكم على صاحبها بالكفر الصريح [2] .

وطالبوا الملك ـ باعتباره السلطة العليا فى البلاد ـ أن يتخذ جميع الوسائل المشروعة للدفاع عن الدين وتأييده بالحجة والبرهان ، وأن يساعد الأزهر ـ هذه الهيئة الدينية العظمى ـ فى النزول إلى معترك الحياة العامة ومشاركة الناس فى مصالح الحياة العامة ، إعلانا بأن الدين لا ينافى الدنيا وإنما جاء لصلاحها [3] ، ثم لم يقف الأمر إلى هذا الحد حتى اجتمعت هيئة كبار العلماء لرئاسة مشيخة الأزهر وحضور أربعة وعشرين عالما من أعضاء هذه الهيئة فى الثانى من أغسطس ١٩٢٥م للنظر فى التهم التى وجهت للشيخ على عبد الرازق فى كتابه وهى :

١ ـ إنكاره إجماع الصحابة على وجوب نصب الإمام .

٢ ـ إنكاره كون القضاء وظيفة شرعية .

٣ ـ زعمه أن حكومة الخلفاء الراشدين لا دينية .

٤ ـ طعنه فى حكم الإسلام وفى النبى ﷺ [4] .

وأصدرت هيئة كبار العلماء حكمها بالإجماع بأن الكتاب يمحو أمورا مخالفة للدين ، كذلك قررت الهيئة أن المؤلف سلك مسلكا لا يصدر عن مسلم ، فضلا عن عالم من علماء الأزهر ،ومن أجل ذلك قررت الهيئة[5] إخراجه من زمرة العلماء ومحو اسمه من

---

(١) المنار ، جـ٧ ، م٢٦ جمادى الآخرة ١٣٤٤ هـ ، يناير ١٩٢٦ م .

(٢) المنار ، جـ٣ ، م٢٦ ، ذو الحجة ١٣٤٣ هـ ، يوليو ١٩٢٥ م

(٣، ٤) المنار ، جـ٢٣ ، م ٢٦ ، ذو الحجة ١٣٤٣ هـ ، يوليو ١٩٢٥ م .

(٥) نشرت المنار قرار هيئة كبار العلماء فى كتاب « الإسلام وأصول الحكم » للشيخ على عبد الرازق وحيثيات الحكم وتفنيد كبار العلماء لما جاء فى كتابه ، وقد أثبتت اللجنة المشكلة أن التهم الموجهة إلى الشيخ على عبد الرازق ثابتة عليه وهى مما لا يناسب وصف العالمية وفقا للمادة ١٠١ من القانون رقم ١٠ لسنة ١٩١١م ونصها: « إذا وقع من أحد العلماء أيا كانت وظيفته أو مهنته ما لا يناسب وصف العالمية فحكم عليه من شيخ الجامع الأزهر بإجماع تسعة عشر عالما معه من هيئة كبار العلماء المنصوص عليها فى الباب السابع من هذا القانون بإخراجه من زمرة العلماء ،ولا يقبل الطعن فى هذا الحكم ،ويترتب على الحكم المذكور محو اسم المحكوم=

سجلات الجامع الأزهر ، والمعاهد الأخرى ، وأجمعت الهيئة أيضا على فصله من وظيفته ، وكان قاضيا بالمحاكم الشرعية بمحكمة المنصورة الابتدائية الشرعية ، وعدم أهليته للقيام بأية وظيفة عمومية دينية كانت أم غير دينية ، وقد صدر هذا الحكم بدار الإدارة العامة للمعاهد الدينية فى يوم الأربعاء ٢٢ محرم ١٣٤٤ هـ ، ١٢ أغسطس ١٩٢٥م (١) .

وفى أعقاب صدور هذا القرار أشار رشيد رضا إلى أن الشيخ على عبد الرازق كان مغرورا بأنصاره من الإفرنج والمتفرنجين والعلمانيين ، ظانا أنهم يرهبون بما يكتبون فى جريدة السياسة كبار العلماء فلا يتجرؤون على الحكم عليه ، ثم إنه كان متكلا على وزير الداخلية إسماعيل صدقى باشا ، ووزير الحقانية ورئيس حزب الأحرار الدستوريين آنذاك(٢) عبد العزيز فهمى باشا والذى ينتمى إليه على عبد الرازق ، وقد وعد وزير الحقانية ببقائه فى منصب القضاء الشرعى ، ولم يحفل إسماعيل باشا بقرار هيئة كبار العلماء ولم يجب ما طلبه منه بعضهم قبل المحاكمة بوجوب مصادرة الكتاب ، مما جرأ الشيخ على عبد الرازق فى تمسكه بآرائه (٣) ، وكان الشيخ على عبد الرازق قبل الحكم عليه يهاجم هيئة كبار العلماء ولا يحفل بهم ، وكذلك كانت جريدة السياسة وكتابها يهاجمون أيضا هيئة كبار العلماء (٤) .

ورغم هذا صدر الحكم وامتنع عبد العزيز باشا وزير الحقانية عن تنفيذه ، فكانت النتيجة فصله من الوزارة وخروج حزب الأحرار الدستوريين من الوزارة أيضا ، ذلك أن تنفيذ الحكم منوط فى القانون برئيس الوزارة ، وكان رئيس الوزارة أثناء ذلك فى أوربا ، وقد وقع نائبه يحيى باشا إبراهيم وزير المالية على تنفيذ الحكم ، وبلغ وزير الحقانية بذلك، ولكنه لم يفعل بل أحاله على لجنة قسم القضايا فى الوزارة ، مبينا لها ما عنده من الإشكال فى تنفيذه لترى رأيها فيه ، ولما علم رئيس مجلس الوزراء بالنيابة يحيى باشا إبراهيم بأن عبد العزيز فهمى امتنع عن تنفيذ الحكم ، عرض الأمر على جلالة الملك

= عليه من سجلات الجامع الأزهر والمعاهد الأخرى وطرده من كل وظيفة ، وقطع رواتبه فى أية جهة كانت ، وعدم أهليته للقيام بأية وظيفة عمومية دينية كانت أو غير دينية ، فبناء على هذه الاسباب حكمنا نحن شيخ الجامع الأزهر بإجماع أربعة وعشرين عالما معنا من هيئة كبار العلماء بإخراج الشيخ على عبد الرازق أحد علماء الجامع الأزهر القاضى الشرعى بمحكمة المنصورة الابتدائية الشرعية ، ومؤلف كتاب « الإسلام وأصول الحكم » من زمرة العلماء ، وصدر هذا الحكم بدار الإدارة العامة للمعاهد الدينية فى يوم الأربعاء ٢٢ محرم ١٣٤٤ هـ ، الموافق ١٢ أغسطس ١٩٢٥ م ، المنار ، جـ٥ ، م٢٦ ، صفر ١٣٤٤ هـ ، سبتمبر ١٩٢٥ م .

(١ ـ ٣) المنار ، جـ٥ ، م٢٦ ، صفر ١٣٤٤ هـ ، سبتمبر ١٩٢٥م .

(٤) السياسة ، عدد ٢٠ ، ذو الحجة ١٣٤٣ هـ ، ١٠ سبتمبر ١٩٢٦ م .

فوافق على فصله من وزارة الحقانية ، وتألفت الوزارة من الاتحاديين وحدهم [١] .

وفصل الشيخ على عبد الرازق من وظيفته اعتبارا من ٢٢ محرم ١٣٤٤ هـ ، أغسطس ١٩٢٥ م[٢] ، وانطلقت جريدة السياسة وكتابها يهاجمون هيئة كبار العلماء والأزهر ، والتنديد بالحكومة ، وتنشر صور الترخيصات التى تمنحها للعاهرات ليزاولن بها الدعارة الرسمية ، وترخيصات نوادى القمار وبيع الخمور[٣] .

وصارت معركة فكرية حول التاريخ الإسلامى ، والشريعة الإسلامية ، ونظام الحكم فى الإسلام فى الصحافة المصرية ، وقد تصدت الصحف الإسلامية لحملات الصحف العلمانية وبخاصة جريدة السياسة وكتبها ، والصحف الإنجليزية التى أيدت على عبد الرازق ووصفته بلوثر الإسلام [٤] .

وفى الثلاثينات جددت صحف الإخوان المسلمين الدعوة إلى الخلافة الإسلامية التى تجمع بين المسلمين كلهم فى إطار واحد ، وتوحد جهودهم فى محاربة أعدائهم الطامعين فى بلادهم[٥] ، على أن تكون رابطة المسلمين هى العقيدة الإسلامية ، وأعلن حسن البنا « أن الإسلام يشمل العبادة والأخوة والوطن والجنسية والخلق والمادة والقوة والثقافة والقانون »[٦] ، ودعا أحمد حسين زعيم مصر الفتاة إلى إحياء الخلافة الإسلامية فى مصر فى شخص الملك فاروق ، وأطلق عليه لفظ أمير المؤمنين وخليفة المسلمين [٧] ، وشن الحرب على حزب الوفد الذى عارض دعوة أحمد حسين للخلافة الإسلامية فى شخص الملك فاروق ، وكان يستهدف من ذلك التقرب من الملك [٨] .

---

(١) أحمد بهاء الدين : أيام لها تاريخ ، مرجع سابق ، ص١٢٧ ، ١٢٨ .

(٢) دخل الشيخ على عبد الرازق الأزهر فى العاشرة من عمره ، وحضر فيه بعض دروس الشيخ محمد عبده مدة قصيرة ، ثم درس الشريعة على الشيخ أحمد أبى خطوة وهو أحد تلاميذ الأستاذ الإمام ، ومن المعجبين بآراء جمال الدين الأفغانى ، ثم حضر على عبد الرازق فى عام ١٩١٠م عددا من المحاضرات فى الجامعة المصرية لمدة عامين استمع فى أثنائها إلى بحوث الأستاذ نللينوا فى تاريخ الأدب العربى ، وإلى دروس الأستاذ سانيلانا فى الفلسفة ، وحصل فى عام ١٩١١م على شهادة العالمية من الجامع الأزهر ، ودرس اللغة الإنجليزية بعد ذلك فى إنجلترا فى عام ١٩١٢ م والتحق بجامعة اكسفورد للحصول على درجة علمية فى الإقتصاد والعلوم السياسية ، غير أنه انقطع عن هذا الدرس لقيام الحرب العالمية الأولى ، وعاد إلى مصر ، وأقام مدة فى الإسكندرية ، ألقى خلالها دروسا فى الأدب العربى ، وفى تاريخ الإسلام ، وذلك بالمعهد الإسكندرى الأزهرى ، نشرها بعد ذلك فى كتابه المسمى : « الإسلام وأصول الحكم » . د. عبد اللطيف حمزة : أدب المقالة الصحفية ، ط١ ، القاهرة : دار الفكر العربى ، ١٩٦٣م ، جـ٨ ، ص٢٤١ ، ٢٤٢ .

(٣) السياسة ، عدد ١٦ صفر ١٣٤٤ هـ ، ٦ أكتوبر ١٩٢٥م.

(٤) الفتح ، عدد ٢٤ ، ٢٠ جمادى الأولى ١٣٤٥هـ ، ٢٥ نوفمبر ١٩٢٦م .

(٥) النذير ، عدد ٢٩ محرم ١٣٥٨ هـ .

(٦) الإخوان المسلمون ، عدد ٢٧ رجب ١٣٥٥هـ .

(٧) مصر الفتاة ، عدد ٢٨ يناير ١٩٣٩م

(٨) مصر الفتاة ، عدد ١٦ يونيو ١٩٣٨م.

ومجمل القول فى قضية الخلافة الإسلامية فى تلك الفترة أنه استمرت صحافة الاتجاه الإسلامى تؤيد الخلافة الإسلامية العثمانية حتى أعلن مصطفى كمال أتاتورك قيام الجمهورية وفصل الدين عن الدولة ، وعزل الخليفة العثمانى وحيد الدين وتعيين ولى العهد الأمير عبد المجيد خليفة مجردا عن السلطة .

وكان من أبرز الذين تصدوا لما أحدثه كمال أتاتورك فى الخلافة الإسلامية رشيد رضا وكتب سلسلة مقالات فى المنار بعنوان : « الأحكام الشرعية المتعلقة بالخلافة الإسلامية» للرد على هذا الاتجاه ، وبحث أمور الخلافة من جميع جوانبها .

وتشكل فى مصر تياران مختلفان ، تيار يرى فى حركة كمال أتاتورك نكسة كبرى للإسلام لا فى تركيا وحدها بل فى العالم الإسلامى كله ، قاد هذا التيار رشيد رضا وأنصار الفكر الإسلامى ، أما التيار الآخر فكان يرى فى سياسة أتاتورك اتجاها وطنيا وعمليا يستحق الإعجاب وينبغى الاقتداء به ، وكان يقود هذا التيار جماعة من المثقفين المصريين المتأثرين بالفكر الغربى .

وعارض رشيد رضا فكرة إقامة الخلافة الإسلامية فى الحجاز فى عصر الشريف حسين بن على أمير مكة ، واقترح إقامة الخلافة فى منطقة وسطى تجمع بين العرب والترك ، ورشح لذلك منطقة الموصل فى العراق .

وفى منتصف مارس ١٩٢٤م ألغى مصطفى كمال أتاتورك نظام الخلافة الإسلامية ، وطرد الخليفة وأسرته إلى خارج حدود تركيا ، وتجريدهم من ممتلكاتهم .

وأخذت معظم الصحف المصرية تهاجم مصطفى كمال أتاتورك مهاجمة عنيفة ، وكان فى مقدمة الذين انبروا لمهاجمة رشيد رضا فى صحيفته « المنار » وأمين الرافعى فى صحيفة الأخبار ، والشيخ محمد شاكر ، والشيخ محمد حسنين ، ومحمد البتانونى فى الأهرام .

وبعد إسقاط الخلافة الإسلامية طمع فى تقليد منصب الخلافة أكثر من حاكم فى بعض البلاد الإسلامية ، منهم الملك فؤاد فى مصر ، والشريف حسين أمير مكة ، والملك أمان الله خان فى بلاد الأفغان ، وكان بعض علماء الأزهر يؤيدون ترشيح الملك فواد للخلافة ، فى حين عارضه جماعة الخلافة الإسلامية برئاسة الشيخ ماضى أبى العزائم ، وصحف الوفد والأحرار الدستوريين وغيرهم .

وقد انعقد فى مصر مؤتمر الخلافة الأول فى ٢٥ مارس ١٩٢٥م ومؤتمر ثان فى الحجاز فى يونيه ١٩٢٦م ، ولم يسفرا عن شىء ، وأيد رشيد رضا الأمير عبد العزيز آل سعود ودولته.

وفى عام ١٩٢٦م ألف الشيخ على عبد الرازق كتاب « الإسلام وأصول الحكم » الذى أنكر فيه الخلافة الإسلامية من أصولها ، لكن لقى كتابه معارضة شديدة من الملك وأنصاره ، وعلماء الدين ومشايخ الأزهر ، وكان فى مقدمتهم الشيخ محمد خضر حسين، والشيخ محمد بخيت ، ورشيد رضا ، ومحب الدين الخطيب ، فى حين أيدت الكتاب الصحف العلمانية المصرية والتركية والإنجليزية .

وكان للأزهر وعلمائه الدور الأكبر فى مواجهة ما جاء فى هذا الكتاب ، وأصدرت هيئة كبار العلماء حكمها بالإجماع على مخالفة ما جاء فيه للدين ، وإخراج مؤلفه من زمرة العلماء ، ومحو اسمه من سجلات الأزهر ، وفصله من وظيفته .

وأشارت الصحف الإسلامية إلى أن على عبد الرازق تأثر فى تأليف كتابه بكتب الإفرنج فى الخلافة ولا سيما كتاب « خلافت وحاكميت مليه » الصادر عن حكومة أتاتورك التى ألغت الخلافة ، وشبّه محب الدين الخطيب على عبد الرازق بكمال أتاتورك والاقتداء به .

وفى الثلاثينات جددت صحيفة الإخوان المسلمين وصحف مصر الفتاة الدعوة إلى الخلافة الإسلامية ، ودعا أحمد حسين إلى تولية الملك فاروق خليفة المسلمين .

المبحث الثانى

صحافة الاتجاه الإسلامى والدعوة إلى القومية المصرية

يركز هذا المبحث على الدعوة إلى القومية المصرية فى أشكالها المختلفة وتطورها فيما بين الحربين العالميتين، والعوامل التى أدت لترويجها فى الفكر المصرى الحديث ، وبيان موقف الصحافة الإسلامية من هذه الدعوة وأنصارها .

كانت الحركات القومية المصرية التى نشأت فى مصر حتى عام ١٩٠٧م تتنفس كلها فى جو إسلامى ، وفى نطاق الاحتفاظ بالسيادة العثمانية ، والثورة العرابية التى أعلنت شعار : « مصر للمصريين » لم يكن هدفها من هذا الشعار الانفصال عن الجامعة الإسلامية، وإنما كان شعارا يواجه النفوذ الغربى المقتحم أرض الوطن واستبداد الخديوى، ويتضمن فكرة الأخوة فى الوطن التى أشار إليها رفاعة رافع الطهطاوى ، ولم تتميز حركة «مصر للمصريين » عن الوعاء العثمانى فى ذلك الوقت إلا بأنها حركة مجاهدة للاستعمار والاستبداد،فى وقت تراخت فيه الدولة العثمانية عن المشاركة فى هذا الكفاح أو دعمه[١].

وفى مقال بعنوان : « النعرة القومية والفكرة الإسلامية » كتبه الدكتور يحيى الدرديرى فى مجلة « الشبان المسلمين » أشار فيه إلى أن الدعوة إلى القومية المصرية قامت فى مصر على أساس صحيح مقبول فى البداية ، وهو تحرير الوطن من كل غاصب مغتال، حتى تصبح مرافق الأمة فى أيدى أبنائها ، وأن يكون اعتماد الأفراد على أنفسهم فى سبيل تحرير بلادهم دون ترك عقائدهم أو هويتهم الإسلامية ، وهذا ما دعا إليه الزعيم مصطفى كامل [٢] .

ولكن أول حركة قومية مصرية خالصة منفصلة عن الدولة العثمانية والخلافة الإسلامية قد بدأت على يد حزب الأمة الذى تألف فى عام ١٩٠٧م ، وكان لسان حاله صحيفة الجريدة التى كان يحررها أحمد لطفى السيد ، غير أن هذه الفكرة اصطدمت اصطداما عنيفا بالفكرة الدينية الإسلامية التى كانت تعبر عنها فى ذلك الحين حركة الجامعة الإسلامية التى كان يدعو إليها السلطان عبد الحميد العثمانى ، ويروج لها فى مصر

(١) طارق البشرى : الحركة السياسية فى مصر ، مرجع سابق ، ص٣٢ .

(٢) الشبان المسلمون ، جـ٢ ، م٢ ، نوفمبر ١٩٣٠م .

مصطفى كامل [١] وعلى يوسف وعبد العزيز جاويش ، وأمين الرافعى فى اللواء والمؤيد والشعب .

ورغم ذلك فقد ظل حزب الأمة يطالب بالقومية المصرية ، ففى عام ١٩١٢ ذهب أحمد لطفى السيد إلى رشدى باشا وزير الحقانية يطلب منه أن تعلن مصر استقلالها عن الدولة العثمانية ، وأن تنصب الخديوى ملكا عليها ، ويعترف لها الإنجليز بهذا الاستقلال، ولكن هذه الفكرة لم يكتب لها النجاح فى ذلك الوقت [٢] .

وكان لطفى السيد يعلى من شأن الدعوة إلى المصرية ، ويغالى فى ذلك ، فدعا إلى تمصير القيم ، والأخلاق والعادات ، ودعا إلى التضامن بدافع الوطنية والمنفعة القومية لا بدافع آخر من دوافع الدين ، ثم دعا إلى تمصير اللغة ، وهاجم مساعدة المصريين لإخوانهم فى طرابلس الغرب إزاء غزو إيطاليا لها ، وكتب سلسلة مقالات فى صحيفة الجريدة تحت عنوان : « سياسة المنافع لا سياسة العواطف » ودعا فيه إلى إنفصال مصر عن الدول العربية وقال : « لا شيء يربط مصر بجاراتها العربيات ، بل إن مصلحة مصر تناقض مصالح تلك الجارات » [٣] .

وقد قوبلت هذه المقالات باحتجاجات عنيفة من قبل الصحافة الإسلامية ، وكتبت « المؤيد » سلسلة مقالات للرد على لطفى السيد بعنوان : « التخبط فى السياسة بين المنافع والعواطف » ، هاجمت فيها دعوة لطفى السيد إلى المصرية أو الإقليمية والانفصال عن الدولة العثمانية [٤] .

وعلى صفحات العلم قام الشيخ عبد العزيز جاويش بمهاجمة لطفى السيد هجوما مرا، فوجه إليه خطابا مفتوحا وأطلق عليه إسم عدو الإسلام ، قائلا : « أىْ عدو الإسلام ، نقمت منا أن ندعو المسلمين لنجدة المسلمين ونستنفر الموحدين ؟فماذا كنت تريد ؟ أأردت أن نتقدم إلى البابا بيد مبسوطة ورؤوس خاشعة ، وأدعية ضارعة أن يدفع عنا بلاء أمة تقول بصليبه وتدين بمذهبه ، إذن لقد ضل عقلك وخطل رأيك ، ثم يلفت نظره إلى ما قام به البابا من مباركة المنشورات التى تدعو إلى استنفار النصارى ، فى الحملة على طرابلس الغرب باسم المسيح [٥] .

---

(١) عبد العظيم رمضان : تطور الحركة الوطنية فى مصر (١٩١٨ ـ ١٩٣٦م) ، القاهرة : دار الكتاب العربى ، ١٩٦٨م ، ص ٢٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص٣٤ .

(٣) أنور الجندى : مقدمات العلوم والمناهج ، دار الاعتصام ، ص٦٥٥ ، ٦٥٦ .

(٤) المؤيد ، عدد ٦٥٠٤، ٣ ذو القعدة ١٣٢٩هـ ، ٢٥ أكتوبر ١٩١١م ، وعدد ٦٤٩١ ، ١٩ شوال ١٣٢٩ هـ ، ١٣أكتوبر ١٩١١م .

(٥) العلم ، عدد ٣١ أكتوبر ١٩١١م .

ويلاحظ أن الدعوة إلى المصرية التى طرحت فى فترة ما بين الحربين ، إنما كانت ترفض جامعة الإسلام ، وتدعو إلى الإقليمية الضيقة ، وتضع مفهوما للقومية يتعارض مع الإسلام وتعاليمه والأخوة الإسلامية الشاملة ، ويرتبط بالفكر الغربى ومفاهيمه عن الحرية والديمقراطية والقومية التى تستمد جذورها من واقع الغرب المختلف تاريخيا وعقائديا عن واقع العالم الإسلامى (١) .

وقد ظهرت هذه الدعوة بشكل جلى فى الصحافة المصرية عقب نهاية الحرب العالمية الأولى ، وهزيمة تركيا التى كانت رمزا للجامعة الإسلامية ، وخفوت صوت رجال الحزب الوطنى (حزب مصطفى كامل) الذى كان يدعو إلى الالتفاف حول دولة الخلافة الإسلامية ، والتمسك بها لمقاومة مطامع الغرب ، واتساع المجال أمام حزب الوفد الذى كان امتدادا لحزب الأمة الذى كان له صلات من التفاهم مع الإنجليز ، ويحارب الجامعة الإسلامية ، داعيا إلى وطنية تقوم على المصلحة المتبادلة ، وعلى المنفعة المادية البحتة ، فضلا عن ذلك فقد ساعد على نمو الشعور القومى لدى المصريين متاعب الحرب العالمية الأولى ، والمظالم التى وقعت عليهم ، ثم ثورة ١٩١٩م التى أججت هذا الشعور والتى اشتركت فيها كل طوائف الشعب ، حتى تحولت الثورة إلى حركة قومية خالصة (٢) .

وبذلك نجحت فكرة حزب الأمة الذى كان يدعو قبل الحرب إلى قصر الجهود على معالجة مشاكل المصريين وحدهم ، وبرزت الدعوة إلى القومية الفرعونية على صفحات الصحف المصرية ، وانتهز دعاتها هذه الفرصة المواتية وروجوا لها من خلال الندوات والمحاضرات والكتابات ، واتخذ الشعار الفرعونى « رأس أبى الهول » على طوابع البريد، وعلى أوراق النقد ، واتخذه النحات محمود مختار شعار لتمثال نهضة مصر الذى وضع نموذجه فى باريس ١٩٢٠م .

واتخذت بعد ذلك كل كلية من كليات الجامعة شعارا لها يمثل رمزا من معبودات الفراعنة ، ونقل رفات سعد زغلول بعد وفاته بثلاث سنوات إلى ضريح بنى على طراز فرعونى وشاع هذا الطابع الفرعونى فى كثير من أبنية الحكومة وأوراقها الرسمية وفى الزخرفة والنقش (٣) .

وكانت الحركة الوطنية المصرية قد أخذت تغالى من شأن الفرعونية كرد فعل على

---

(١) طارق البشرى : الحركة السياسية فى مصر ، مرجع سابق ، ص٣٢ ،وأنور الجندى : مقدمات العلوم والمناهج، مرجع سابق ، ص٦٥٤ .

(٢) محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، مرجع سابق ، جـ٢، ص ١٣٥ ـ ١٣٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص١٣٩ .

اتهام الاستعمار لمصر بأنها ليست أمة ، وأنها كانت محتلة من الرومان واليونان والفرس وغيرهم فى تاريخها الطويل (1) ، وقد أدى الكشف عن مقبرة توت عنخ آمون فى عام ١٩٢٠م إلى دعم حركة الاكتشافات الأثرية ، والتى غذت بدورها الاتجاه الفرعونى فى القومية المصرية (2) . وتطور هذا الاتجاه فى العشرينات من القرن العشرين ،وتألفت فى مصر عدة مؤسسات وطنية للعناية بالتاريخ القديم بالتعاون مع المؤسسات التاريخية والأثرية الأجنبية العاملة فى مصر ،ولا سيما بعد إسقاط الخلافة الإسلامية فى عام ١٩٢٤م(3) .

ومن أبرز الصحف التى حملت لواء هذا الاتجاه الجديد صحيفة السياسة والسياسة الأسبوعية ،فضلا عن صحيفة المقتطف والمقطم ، وصحف الأقباط المصريين ، فقد نشطت هذه الصحف الدعوة إلى القومية المصرية « الفرعونية » ، وامتلأت صحافتها بالحديث عن حضارة الفراعنة وثقافاتهم وأمجادهم (4) ،وبرز كثير من الكتاب وعلماء الآثار الذين أسهموا بكتاباتهم فى إحياء وبَعْث القومية المصرية فى فترة ما بين الحربين ، فقد كان تمجيد مصر القديمة ، والدفاع عن حضارتها ، والدعوة إلى بعث ذلك التاريخ من مظاهر القومية المصرية فى تلك الفترة (5) .

وكان معظم دعاة هذه الفكرة والمتحمسين لها من الأقباط المصريين الذين تبنوها وكرسوا أنفسهم للدعوة إليها مثل سلامة موسى ومرقص سميكة ، بالإضافة إلى بعض المفكرين المصريين، كالدكتور محمد حسين هيكل ، والدكتور طه حسين ، وعباس العقاد، والدكتور حسين مؤنس الذى كتب فى تراث مصر القديمة يشير إلى أن الإسلام مسؤول عن إهمال تاريخ مصر القديمة ، إذ أن الفتح العربى قد حمل المصريين على أن ينسوا تاريخهم الفرعونى مثلما جعل الفرس والسوريين واللبنانيين والعراقيين ينسون تاريخ الأكاسرة والآراميين ليكونوا مواطنين فى الدولة الإسلامية القومية الكبرى (6) .

وقد اتخذت الدعوة إلى القومية المصرية أشكالا كثيرة ،منها : الدعوة إلى أدب قومى مصرى ، وهجر اللغة العربية التى هى لغة العرب وإيثار العامية المصرية ، ورفض الانتماء إلى العالم العربى والإسلامى الكبير . وكتب إبراهيم جمعة على صفحات السياسة الأسبوعية مقالا بعنوان : « أين أدبنا القومى ؟ » ورفض المفهوم القديم للأدب بأنه المأثور

---

(1) أنور الجندى : مقدمات العلوم والمناهج ،مرجع سابق ، ص ٦٩٢ .

(2) أنيس صايغ : الفكرة العربية فى مصر ، مرجع سابق ، ص ١٣١ .

(3) محمد محمد الصواف : المخططات الاستعمارية لمكافحة الاسلام ، مرجع سابق ، ص ١٣٩ .

(4) محمد محمد حسين ، الاتجاهات الوطنية ، مرجع سابق ،ص ١٤١، ١٤٢ .

(5) عواطف عبد الرحمن : مصر وفلسطين ، مرجع سابق ، ص ٤٣ .

(6) المرجع السابق ، ص ٤٤ .

من كلام العرب نظما ونثرا ، بل ورفض الانتماء المصرى للعرب ، وزعم أن المصريين ليسوا أولادا لهؤلاء العرب ، وأن البيئة التى نسكنها منذ نطقنا بالضاد ليست عربية ، وأنه رغم اختلاط العنصرين العربى والمصرى ، ورغم هزيمة اللغة المصرية أمام لغة العرب ، قد كون المصريون شعبا معروفا ذا عقلية وطبيعة متميزة جد التميز عن العقلية والطبيعة العربية ، ويحبذ الكاتب بطريقة غير مباشرة اللغة العامية ، وضرورة العناية بالأدب الشعبى (١) .

وقد نشرت صحيفة المقتطف محاضرة لمرقص سميكة ألقاها فى الجامعة الأمريكية بالقاهرة فى مارس عام ١٩٢٦م عن المتحف القبطى ، وهى تصلح مثلا أيضا لهذا الاتجاه، فيقول فيها :

«مضى على مصر أكثر من ألفى عام، منذ أن فقدت استقلالها بانتهاء حكم الفراعنة، ومنذ ذلك العهد وهذه البلاد مطمع الفاتحين من أحباش وفرس ورومان وعرب وأتراك وإفرنج » ، ويذكر أن لفظ قبطى معناها مصرى ، وهى محرفة عن اللفظ إجبتوس ، ويشير إلى أن جميع المصريين أقباط ، بعضهم أقباط مسلمون والبعض الآخر مسيحيون وكلهم فى زعمه متناسلون من المصريين القدماء « الفراعنة » (٢) .

وكتب نقولا يوسف بعنوان : « هل لنا أدب قومى » ينكر أن تكون هناك صلة بين الأدب العربى وبين المجتمع المصرى ، وداعيا أن يكون لمصر أدب قومى خالص ويحدد العقبات التى تعترض طريق الأدب القومى فى زعمه فى :

أولا : اللغة الفصحى .

ثانيا : سفور المرأة ومشاركتها للرجل ومساواتها معه .

ثالثا : تجديد الحياة المصرية والخروج على القيم ــ وبالطبع يعنى الإسلام والتمرد عليه بدعوى الحرية (٣) .

ويزعم دعاة القومية الفرعونية أن تغير الدين فى مصر من الوثنية إلى المسيحية ثم الإسلام ، وتغير الكتابة واللغة فيها من الهيروغليفية إلى العربية لم يقطع ما بين مصر الحديثة وبين مصر القديمة من صلات ، وكانوا يحتالون لرد حياة مصر المعاصرة فى

---

(١) السياسة الأسبوعية ، عدد ١٠ ، ١٤ أبريل ١٩٢٨م نقلا عن د . محمد سيد محمد : هيكل والسياسة ، ص ١٦١ .

(٢) عواطف عبد الرحمن : مصر وفلسطين ، مرجع سابق ، ص ٤٤ ، ٤٥ .

(٣) السياسة الأسبوعية ، عدد ١٥١ ، ٢٦ يناير ١٩٢٩م ، ود . محمد سيد محمد : هيكل والسياسة ، ص ١٦١ .

مختلف مظاهرها إلى أصل فرعونى ، ويدعون بكل صراحة إلى أنه يجب أن تقوم النهضة المصرية على المجد الفرعونى القديم ، مثلما قامت النهضة الأوربية الحديثة على بعث التراث اليونانى والرومانى فى عصور الوثنية السابقة على المسيحية (١) .

وكان مما يقترحه هؤلاء الدعاة من الوسائل لخلق هذه الروح المصرية الفرعونية فى النشء هو توجيه المسرح المصرى إلى الناحية القومية ، وجعله مسرحا مصريا روحا وقوة ونتاجا ، والعناية بالأناشيد القومية ، وجعلها مقصورة على التعبير عن أمانى المصريين وآمالهم ، والعناية بالآداب الفكهة ، والأدب الريفى ، أو الشعبى ، إلى غير ذلك من الدعوات والوسائل لجعل مصر فرعونية ، وسلخها من عروبتها وإسلامها (٢) .

ولا شك أن هذه الدعوات وتلك الوسائل كانت لها صلة وثيقة بالاستعمار والصهيونية ، فقد ذكر الدكتور محمد حسين فى حاشية كتابه : « فى وكر الهدامين » أن المليونير اليهودى الأمريكى المتستر تحت النصرانية « روكفلر » أوفد عام ١٩٢٦م الأديب الأمريكى « برستد » صاحب كتاب : « انتصار الحياة » المليء بالمفاسد الذى ترجمته جامعة الدول العربية بإيحاء من السفارة الأمريكية فى القاهرة ، ليعرض على مصر عشرة ملايين من الدولارات لتأسيس معهد للدراسات الفرعونية ، يعين على فصل مصر من عروبتها وإسلامها بالمطبع (٣) .

ومن الحقائق المهمة التى يجب إبرازها فى هذا المجال أنه كان للإنجليز دور فى تشجيع ومساندة النزعة إلى القومية المصرية ، ذلك لأنها تضمن لهم عزلة مصر ، عن العالمين العربى والإسلامى (٤) .

ورغم ذلك فقد التقى بعض المفكرين المصريين الذين كانوا ينادون باستقلال مصر وإجلاء الإنجليز عنها مع الاستعمار البريطانى والأقباط المصريين فى تحبيذ القومية المصرية، ومن ثم تأييد مطالب أنصار هذا الاتجاه مثل وجوب إحياء الآثار الفرعونية وبعث الأدب المصرى القديم ، وإقامة الأدب الحديث على أساسه ، وتمجيد مصر الفرعونية والتبرؤ من العرب كما سبقت الإشارة إلى ذلك ، والقول بأن لمصر كيانا إنسانيا وحضاريا وثقافيا خاصا ، وأنها لا تمت إلى العروبة بصلة إلا صلة الدين ، والدين فى سبيله إلى الانهزام فى الحياة الاجتماعية المعاصرة ، واللغة وحدها لا تجعل من المتحدثين بها أمة واحدة (٥) .

---

(١) محمد محمد الصواف : المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام ، مرجع سابق ، ص ١٣٩ ، ١٤٠ .
(٢) المرجع السابق ، ص٤١ . (٣) المرجع نفسه ، ص ١٤٢ .
(٤) عواطف عبد الرحمن : مصر وفلسطين ، مرجع سابق ، ص٤٤ .
(٥) محمود عبد الحليم : الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ ،مرجع سابق ، جـ١ ، ص١٨٠ .

كذلك كان لليهود المصريين دور فى تشجيع الدعوة إلى القومية المصرية ، وذلك بهدف قطع التأييد والدعم المصرى عن عرب فلسطين ومد يد المعونة لهم ، حيث كتب أحد اليهود فى المقطم مدافعا عن اليهود ، وعن حقهم فى فلسطين فى زعمه ، ثم تطرق إلى الدفاع عن القومية المصرية قائلا : « إنى أدافع عن فكرة القومية المصرية ، وأحاول بكل جهدى أن أحرض على الابتعاد عن الاندماج فى الوحدة العربية ، وذكر لذلك عدة أسباب نوجزها فيما يلى :

١ ـ ليس المصريون عربا .

٢ ـ أن الأمم العربية الأخرى لها مشاكلها الخاصة وليس من صالح المصريين التعاون معها .

٣ ـ أننا يمكن أن نستفيد من التعاون مع اليهود أكثر من أى أمة أخرى ، لأنهم متعلمون أقوياء » [1] .

وقد تصدى لمحاربة الدعوة إلى القومية المصرية ، وتلك المحاولات التى تنشد فصل مصر عن ماضيها العربى والإسلامى أنصار الفكر الإسلامى وقادة الصحافة الإسلامية ، وبرز فى ذلك المجال رشيد رضا فى المنار ، ومحب الدين الخطيب فى الفتح ، والدكتور يحيى الدرديرى فى مجلة الشبان المسلمين ، ومحمد فريد وجدى فى الأزهر ، وحسن البنا فى صحف الإخوان المسلمين ، وأحمد حسين فى صحف مصر الفتاة وغيرهم ، وحفلت الصحف الإسلامية بمواجهة هذه النزعة العنصرية وتفنيدها ونقد أسسها ومنابعها.

وكتب محب الدين الخطيب فى الفتح يرد على ما كتبه أحد اليهود فى المقطم ، والذى أطلق على نفسه حسين محمود فى مقال بعنوان : « مدسوس على اليهود وعلى المسلمين » فند الخطيب مزاعمه عن فكرة القومية المصرية وادعاءه بأن المصريين ليسوا عربا، مؤكدا على عروبة المصريين قائلا : « إن المصريين عرب يتكلمون اللغة العربية من الشمال إلى الجنوب ، فهم عرب كما أن الفرنسيين فرنسيون ، والعبرة فى الحضارات لا تكون بالأنساب ؛ لأن الحضارة أشبه بالبوتقة تمتزج فيها العناصر ، وتضيع فيها مظاهرها ، فنابليون مثلا فرنسى وهو من أصل إيطالى ، لكنه يتعصب للغته ووطنه الفرنسى ، فهل معنى قوله ليس المصريون عربا يكون المصريون أتراكا أو يهودا أو غير ذلك . . المصريون ولدوا يتكلمون العربية ويسمون أولادهم بأسماء عربية ، فهم عرب مثلهم مثل الفلسطينيين والسوريين وغيرهم » [2] .

---

(١) الفتح ، عدد ٢١٢ ، ١٩ ربيع الأول ١٣٤٩ هـ .

(٢) الفتح ، عدد ٢١٢ ، ١٩ ربيع الأول ١٣٤٩ هـ .

ومضت الصحف الإسلامية تهاجم صحيفة المقطم والسياسة الأسبوعية والصحف القبطية على ترويجها للقومية المصرية الفرعونية ، مؤكدة أن هذه الدعوة لا يمكن أن تبعد مصر عن الإسلام وفى مقال بعنوان : « العروبة والفرعونية » قدمت الفتح الأدلة على أن المصريين من أصل عربى ، وليسوا بفراعنة ، وذلك من خلال هجرات الأسيويين والعرب إلى مصر عن طريق باب المندب ، وسيناء ، وقد أكد أحمد كمال باشا الأثرى المصرى فى معجمه عن لغة قدماء المصريين أن ثلاثة أرباع الكلمات التى ينطق بها قدماء المصريين يوجد فى لغتنا العربية الحديثة ما يقابلها لفظا ومعنى ، واستنتج من ذلك بأن العرب والمصريين من أصل واحد ، هو الأصل العربى ، ومثبتا أن مينا الذى وحد قطرى مصر كان أسيويا (١) .

وهاجم محمد على علوبة باشا أيضا الدعوة إلى الفرعونية أو القومية المصرية ، وصرح بأنها فكرة عقيمة ، ومن مصلحة مصر أن تهجر عبادة الحجارة الميتة وتستعطف القلوب الحية فى الشرق العربى (٢) .

وأشار الدكتور يحيى الدرديرى إلى أن المصريين مرتبطون ارتباطا وثيقا بالعرب بصلة الرحم والنسب والجوار ، وأن العرب أولى الناس بمحبة المصريين وعطفهم ومساعدتهم ، فرسول الله ﷺ يتصل بالمصريين فى جدته العالية هاجر المصرية أم إسماعيل عليه السلام وهو أبو العرب ، ومصر تمثل قلب العالم الإسلامى والعربى ، وأى عدوان على أى بلد مسلم إنما هو اعتداء على مصر . ومضى الدكتور الدرديرى فى مقاله يناقش الذين يدعون إلى التمسك بالوطنية أو القومية المنفصلة عن الدين رافعين شعار : « الدين لله والوطن للجميع » ، مؤكدا على أنهم يدعون إلى قضية محققة الخسران ؛ لأنهم يدعون إلى مبادئ لا روح فيها ولا حياة ، إذ كيف يتصور حال النشء فى الوطنية وهو خلو من مبادئ الفضيلة ومراقبة المولى - عز وجل - فى السر والعلن .

وأضاف الدكتور الدرديرى: « أن الوطنية لا بد أن تقوم على أسس دينية ، إذ أن تاريخ المصريين يربط عقيدتهم الدينية قديما وحديثا بالله - عز وجل - والإسلام هو الدستور الطبيعى الذى يوصلهم إلى غاياتهم السامية ، وأشار إلى علاقة الدين بالوطنية وأهمية تلاحم الدول الإسلامية والعربية فيذكر « أن الدين الإسلامى لم يبخس الوطنية حقها بل جعل حب الوطن من الإيمان ، والدعوة إلى عزل مصر عن بقية الأمم مبدأ لا يتفق مع مصالح المصريين ولا مع مبادئ الإسلام السليمة ، ونحن فى عهد تحالف واتفاقات دولية أصبحت إحدى وسائل القوة والمنعة ، ومن عاش منفردا فى هذا الزمن

---

(١) الفتح ، عدد ٢٢٩ ، ٢٠ رجب ١٣٤٩هـ .

(٢) الفتح ، عدد ٢١٢ ، ١٩ ربيع الأول ١٣٤٩ هـ .

عرض نفسه إلى السلب والقهر . . والدعوة إلى القومية التى ألبسها دعاة التفريق ثوب الفرعونية ليخرجوا مصر عن بقية الأمم الإسلامية إنما أرادوا بها انتحار مصر الأدبى»[١].

كذلك أكد محمود ياسين فى مجلة الهداية الإسلامية على تعارض الدعوة إلى القومية يوجه عام مع الإسلام الذى كان من أول أعماله جمع كلمة أتباعه تحت راية واحدة ، وضم شتاتهم تحت كلمة جامعة ويعنى بها الكاتب كلمة لا إله إلا الله .

وركز الكاتب على فكرة الوحدة الإسلامية فى مقابل الفكرة القومية التى تفرق بين أبناء الإسلام [٢] ، وفى مقال بعنوان : « الروح الإسلامية ومدى تأثيرها فى النفس البشرية» سجل محمد فريد وجدى: « أن الإسلام يبغض النعرات القومية أيا كان شكلها ، ودعا المسلمين جميعا أن يتكاتفوا لإيجاد رابطة إسلامية تجمع بينهم بحيث تمحو الفوارق اللغوية والجنسية واللونية ولا يتمايز بعضهم على بعض إلا بالمميزات الأدبية والروحية»[٣].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الدعوة إلى القومية فى مصر قد تأثرت بما حدث فى تركيا بعد سقوط الخلافة الإسلامية فى عام ١٩٢٤م ، فقد قامت الدعاية التركية على أساس يقول واضعوه : إن تركيا للترك الطورانيين ، وإن العرب ليسوا سوى غزاة استعمروها عن طريق السيف والدين ، وتقوم الدعاية المصرية على زعم مؤداه : أن مصر فرعونية بحتة ، وإن الآداب العربية واللغة العربية دخيلة على مصر بقوة الفتح والدين ، وإنه يجب العمل والجهاد فى سبيل تحرير مصر الفرعونية [٤] .

وأشارت صحيفة الفتح إلى أن أبرز زعماء هذه الدعاية والقائمين على أمرها هم الدكتور محمد حسين هيكل والأقباط المصريون وفى مقدمتهم سلامة موسى ، ونقولا يوسف ، وكذلك يشير محب الدين الخطيب إلى أن هناك علاقة وطيدة بين الدعوة إلى القومية فى مصر ، وبين الاستعمار ، فكما أن الاستعمار عمل على إسقاط الخلافة الإسلامية وفصل عرى الائتلاف بين الترك والعالم الإسلامى والعربى ، عندما تبين له خطورة الخلافة الإسلامية على نفوذه ، كذلك حينما رأى أن مصر تتبوأ منصب الزعامة العربية بدأ يحيك لها المؤامرات ، فعمل على فصل مصر عن العرب ، واتخذت الجامعة المصرية آلة هدامة للكيان العربى عن طريق الأدب والعلوم ، وأعلن القائمون على أمر

---

(١) الشبان المسلمون ، جـ ٢ ، م٢ ، نوفمبر ١٩٣٠م مقال بعنوان : « النعرة القومية والفكرة الإسلامية » د. يحيى الدرديرى .

(٢) الهداية الإسلامية ، جـ٤ ، م٣ ، رمضان ١٣٤٩هـ مقال بعنوان : « الدعوة إلى القومية » بقلم محمود ياسين.

(٣) الأزهر ، جـ ٢ ، م٩ ، صفر ١٣٥٧هـ .

(٤) الفتح ، عدد ١٨١ ، ١٩ شعبان ١٣٤٨هـ ، ٩ يناير ١٩٣٠م .

هذه الجامعة الحرب على العرب والعربية، وهذا هو السبب الذى دعيت به الجامعة المصرية، ولم تدع الجامعة العربية فى مصر [1] .

وصارت مصر تقلد تركيا ، فعملت على ترويج النزعة الفرعونية ، كما اصطبغت تركيا بالنزعة الطورانية .

ولكن المتتبع لمسار الدعوة إلى القومية المصرية فى مصر يلاحظ أن صوت هذه الدعوة قد خفت ، وانتصر عليه صوت الدعوة إلى القومية العربية ثم الإسلامية ، وذلك على أثر اشتداد حملات التبشير النصرانية المنظمة فى مصر ، وعلى أثر ما توالى من أنباء وحكايات عن محاولات فرنسا السافرة للقضاء على الإسلام ، وعلى اللغة العربية فى شمال إفريقيا ، وارتكابها وإيطاليا أبشع الجرائم فى التنكيل بالمسلمين وزعمائهم المطالبين بحرية بلادهم وخضوع العالم العربى كله للنفوذ الاستعمارى الغربى النصرانى ، وتماثل الظروف النضالية فى جميع أجزائه ، ونشوب الثورات تباعا فى كل بقعة من بقاعه ، ثم ظهور قضية فلسطين وبروز الخطر الصهيونى ، كل ذلك أدى إلى اتجاه الشعور القومى المصرى ، ليصب فى مجرى الشعور القومى العربى والإسلامى الشامل ، وظهور فكرة القومية العربية ثم الإسلامية فى مصر [2] .

وقد نشطت الصحف الإسلامية من دعوتها إلى القومية العربية والإسلامية فى مواجهة القومية المصرية الفرعونية ، ونشطت الدعوة أيضا على صفحات هذه الصحف إلى إقامة حلف عربى يضم البلاد العربية الناطقة بالضاد ، وألقى محمد علوبة باشا الذى تولى الدفاع عن حقوق العرب فى جدار البراق الشريف أمام اللجنة الدولية للتحقيق خطابا مهما هاجم فيه الفرعونية هجوما شديدا ، ودعا مصر فى حرارة إلى الانضمام إلى الأمة العربية قائلا : وإنى ليحزننى أيها السادة أن أرى وأسمع بعد أن ذهبت إلى فلسطين ورافعت بضعفى عن قضيتها ، وعلمت أن الأمة العربية أمة واحدة يربطها رباط واحد ، ويحزننى أن أفكر أنه يوجد فى بلادى فريق مهما كان وكان شأنه ، يبث فكرة الفرعونية ، وأكد علوبة باشا على أن مصر عربية ولا يرضى المصريون بغير العربية ، وندد بفكرة الفرعونية وأبطل حجج القائلين بها [3] .

ونوه محب الدين الخطيب بشأن جمعية الوحدة العربية التى تألفت فى مصر وكانت

---

(١) الفتح ، عدد ١٨١ ، ١٩ شعبان ١٣٤٨هـ ، ٩ يناير ١٩٣٠م .

(٢) محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، مرجع سابق ، جـ ٢ ، ص١٥١ ، ١٥٢، وعبد العظيم رمضان : الفكر الثورى فى مصر ، مرجع سابق ، ص ٦١ .

(٣) عبد العظيم رمضان : الفكر الثورى فى مصر ، مرجع سابق ، ص٦٤ ، وأنور الجندى ، الفتح ، تاريخ الصحافة الإسلامية ، جـ٢ ، ص ١٣٢ .

غايتها تقوية الروابط الاجتماعية والأدبية واللغوية بين البلاد الناطقة بالعربية ، ومقاومة الدعايات المضـادة للقـومية العربية ، وأشار إلى أن الإنجلـيز ومن ورائهم الأقباط المصريون يحاولون محو رابطة مصر العربية ، وأنهم إذا استعرضوا تاريخ مصر قالوا : إنها كانت مستقلة ثم احتلها الأثيوبيون فالأشوريون فالإغريق فالفرس ثم البطالسة والرومان ، ثم احتلها بعدهم العرب فالكـرد والترك والجركس ، وغرضهم من ذلك أن يقولوا للمصريين: إنكم فقدتم ملكة الاستقلال منذ عهد طويل ، فإذا خرجنا نحن من هذه الديار سيحتلها بعدنا غيرها من الدول الأخرى ، فنحن خير لكم من غيرنا وأحد أغراض الأقباط المصريين من ترويج هذا القول أن يقولوا لمواطنيهم المسلمين : إن العرب كالإنجـليز قوم طـارئون على هذا الوطـن ، سلبوه استقلاله بجيشهـم ولغتهم ودينهم، وما دام جيشهم قد جلا عن أرض مصر ، فأى معنى لتمسك المصريين بلغة العرب ودينهم [1] .

ويتضح من ذلك أن هدف الإنجليز ومعهم الأقباط من الدعوة إلى القومية المصرية الفرعونية هو سلخ مصر من العالم العربى والإسلامى الواسع، وذلك ما أكدته صحافتهم وامتلأت به مؤلفات بعضهم ، كبديل عن فكرة الرابطة العربية والجامعة الإسلامية التى دعت إليها صحافة الاتجاه الإسلامى فى مواجهة الفكرة الوطنية المجردة عن الإسلام التى تخدم الاستعمار ، وتمثل خطورة على مستقبل المسلمين ، وقد أشار إلى تلك الخطورة شكيب أرسلان فى مقال بعنوان: « الدسيسة الأجنبية على الجامعة الإسلامية باسم الوطنية المجردة » نوجزها فى العناصر التالية :

١ ـ الرابطة الإسلامية تمنع المسلم من أن يندمج فى الإفرنج ، أما الرابطة الوطنية فإنها لا تمنع من هذا الذوبان كما تمنعه العقيدة الإسلامية .

٢ ـ إن الرابطة الوطنية المجردة عن الإسلام معرضة من خطر انحلال الأخلاق التى هى دعائم الأمم .

٣ ـ العقيدة الوطنية المجردة لا تبعث من الآمال فى المستقبل ما تبعثه العقيدة الإسلامية.

٤ ـ العقيدة الوطنية المجردة لا تزرع فـى صـدور الشرقييـن عـزة النفـس والاعتماد عليها، والاعتقاد بالكرامة الشخصية مما تزرعه العقيدة الإسلامية .

٥ ـ العقيدة الوطنية المجردة تفك ما بين المسلمين من عرى الارتباط مما يفقدهم ذلك

---

(١) الفتح ، عدد ٢٤٢ ، ٢٢ شوال ١٣٤٩ هـ ، ومحمد الغزالى : من هنا نعلم ، ط٦ ، القاهرة : ١٣٧٠هـ، ص ١٥٩ .

قوة لا عوض لهم عنها (١) .

وكان محب الدين الخطيب يرى أن الجامعة القومية لا تمنع من الجامعة الإسلامية ، بشرط أن يكون الإسلام هو جامعة الجامعات القومية ، وأن تكون الجامعات القومية جيوشا للإسلام مرابطة فى ثغوره ، فالإسلام يأمر المسلم بأن يكون وطنيا ، وأن يجاهد فى سبيل وطنه ، ويشير الخطيب إلى أن قراءة التاريخ الإسلامى ترشد المسلمين أن الطامعين منهم لم يسلبوهم نعمة الاستقلال إلا بعد أن نسخوا جامعتنا الإسلامية الكبرى بالجامعات الوطنية الصغيرة (٢) .

وقد أثيرت الدعوة إلى القومية المصرية الفرعونية فى الجامعة المصرية ، وعقدت الجامعة مناظرة لهذا الغرض موضوعها : « هل من مصلحة مصر أن تأخذ بالحضارة العربية أو تحيى الحضارة الفرعونية » ، وقد نيط برشيد رضا الدفاع عن الحضارة العربية ، وبمحمد لطفى جمعة الدفاع عن الحضارة الفرعونية ، وعقدت المناظرة فى يوم الجمعة ٢١ رجب ١٣٤٩هـ ٢١ ديسمبر ١٩٣٠م ، وكان الرئيس المنظم للاجتماع الأستاذ وحيد رفعت من أساتذة الجامعة ، وكان المعضد لمحمد لطفى جمعة : محمد أفندى أبو شقة من طلبة الجامعة المصرية ، والمعضد لرشيد رضا : أحمد أفندى حسين من طلبة الجامعة أيضا ، وقد أخذ الكلمة الأولى لطفى جمعة ، وبدأ بتخطئة لجنة المناظرة فى قولها المدنية الفرعونية ، وقرر أن هذا التعبير غير صحيح ؛ لأن كلمة فرعون لقب لبعض ملوك مصر الأولين ، وقد تولى حكم مصر بعدهم ملوك البطالسة ، وأمراء العرب وآخرون لقبوا بالسلاطين وآخرون لقبوا بالخديويين ، ثم عادت حكومة البلاد الآن ملكية ، فإذا صح أن تسمى مدنية هذا البلاد فرعونية فى عصر ما جاز أن تسمى فى عصور أخرى سلطانية وخديوية وملكية وغيرها .

وكان رأى لطفى جمعة أن لهذه البلاد مدنية خاصة يجب أن تسمى المدنية المصرية ، ولا يجوز أن تسمى فرعونية ولا عربية ، لا فى الأزمنة الماضية ، ولا فى هذا الزمن ، واحتج على ذلك بأن المصرى إذا ذهب إلى بلاد العرب كالحجاز أو غيرها من الأقطار يقال فلان المصرى لا العربى ، وأطال فى وجوب محافظة المصريين على تسمية مدنيتهم مصرية ولا يرى تعارضا بين الجنسية المصرية والديانة الإسلامية .

ثم قام رشيد رضا بعد ذلك ، وقسم الجنسية إلى جنسيتين : جنسية تابعة للمولد

---

(١) الفتح ، عدد ٢٤٠ ، ٨ شوال ١٣٤٩ هـ ، مقال بعنوان : « الدسيسة الأجنبية على الجامعة الإسلامية باسم الوطنية » لشكيب أرسلان .

(٢) الفتح ، عدد ٢٣٢ ، ١٢ شعبان ١٣٤٩ هـ .

وجنسية تلزم اللغة وتشمل القومية ، وقال إن الأولى لا تؤثر فى الثانية ، فالنجدى مثلا يدعى نجديا ، وهو مع ذلك عربى ، وإن الحضارة تشمل التشريع والاجتماع ، وإن التشريع العربى والإسلامى منطبق على أرقى المبادئ الديمقراطية بأن سوى بين الناس ، وجعل أمرهم شورى بينهم ، وإن مسألة الجنسية إلى مصر نسبة إلى بلد أو قطر ، وليست نسبة إلى دولة أو جيل من أجيال البشر الذين سكنوا هذا القطر ، ويراد بها الجنسية السياسية ، فكل من له حق الجنسية المصرية الآن يقال له : مصرى .

وقد أثبت رشيد رضا أن المصريين القدماء كانوا من العرب ، مستدلا بما ذكره علماء الآثار منهم الأستاذ جبر ضومط من أساتذة الجامعة الأمريكية فى بيروت الذى صرح بأن أصل المصريين من العرب ، وقد بين ذلك نعوم بك شقر فى كتابه : « تاريخ سيناء » القديم والحديث وحفرياتها « والعالم المصرى الأثرى أحمد كمال باشا فى معجمه عن اللغة الهيروغليفية .

ومضى رشيد رضا فى رده على لطفى جمعة قائلا : « إن المدنية قوامها اللغة والفنون والصناعات والثقافات المعنوية من العقائد والتشريع والآداب » وأكد أن المصريين ولا سيما بعد الفتح الإسلامى قد امتزجوا بالعرب المسلمين ، وغلبت عليهم الحضارة العربية بجميع مقوماتها ، وعاداتها وتقاليدها ، فلغتهم كلهم عربية ودين الغالبية منهم هو الإسلام ينبوع الثقافة والتشريع . ثم عقد مقارنة بين المدنية العربية الإسلامية ، وما يسمى بالمدنية الفرعونية المراد بها القبطية ، وأثبت أن المدنية الفرعونية لا تصلح للبشر فى ارتقائهم المدنى فى هذا العصر سواء من ناحية الفنون ، أم من ناحية اللغة والثقافة المعنوية ، والعقائد والتشريع والآداب .

وأشار رشيد رضا إلى أن الأقباط كانوا قبل ثورة ١٩١٩م وعلى وجه التحديد فى مؤتمرهم القبطى ، الذى عقد فى أسيوط فى عام ١٩١٢م ، كانوا يريدون أن تصبغ البلاد المصرية بالصبغة القبطية ، ثم تحولت دعايتهم عن اسم الجنسية القبطية إلى المدنية الفرعونية ، ويؤيدهم فى ذلك ساسة الاستعمار ودعاة النصرانية من الإفرنج ؛ ولذلك راجت هذه الدعاية لدى ملاحدة المسلمين المتفرنجين ، والسذج الغافلين فنشروها فى الجرائد والمجلات المختلفة ، وعقدوا لها مناظرة فى كلية الحقوق بالجامعة المصرية باللغة الإنجليزية قبل هذه المناظرة موضوعها : أى المدنيتين ينبغى أن تختار مصر ؛ المدنية الفرعونية أم المدنية الغربية ، وكان النصر فيها للمدنية الفرعونية .

وقد رأت لجنة المناظرات والمحاضرات فى الجامعة المصرية أن تعقد مناظرة أخرى

فى هذا الموضـوع باللغة العربية ، واختير لها رشيد رضا صاحب المنار لتأييد الجامعة العربية، ظنا منهم أنه إذا فشل ودحضت حجته لا يرجى لأنصار المدنية العربية أن تنهض لهم حجة .

ثم قام بعد رشيد رضا مؤيد لطفى جمعة الطالب محمد أبو شقة ، فانصرف عن الموضوع ولم يأت بليل مفيد يؤيد به وجهته ، ثم جاء الدور بعد ذلك على الطالب أحمد حسين مؤيد رشيد رضا وبرهن على قضية العروبة ببراهين كثيرة أيد بها وجهته ومما قاله : « إن المدنية تشمل اللغة والتشريع والأدب والفنون ثم الأمانى القومية ، أما اللغة الفرعونية فلا يمكن أن تقوم بإزاء اللغة العربية ، وأما التقاليد والعادات فأكد أن الفراعنة كانوا بثياب لا تناسب العصر ، وبأسماء مستهجنة كحرحور مثلا ، وبعبادة وثنية لا يرضاها المسلمون ، وبتشريع لا يوافق إلا الإنسان فى أطواره البربرية » .

وقد انتصر رشيد رضا ومؤيده فى تلك المناظرة وأيدتهما الجماهير الحاضرة والغالبية فى تفضيل المدنية العربية واختيارها ، أما الذين أدلوا بأصواتهم من خلال بطاقات أعدت لهذا الغرض ، فكان المؤيدون للعربية ١٨٧ صوتا تجاه ١٠٣ أصوات فى جانب الفرعونية[1] .

وقد أيدت جريدة الشورى والصحف الإسلامية رشيد رضا والمدنية العربية وعدت ذلك نصرا للجانب الإسلامى ، والقومية الإسلامية على القومية الفرعونية [2] .

وفى الثلاثينات من هذا القرن تعرضت الدعوة إلى القومية المصرية الفرعونية ، لهجوم شديد من الصحف الإسلامية ، ولا سيما صحف الإخوان المسلمين التى تولت الدفاع عن الفكر الإسلامى ، والدعوة للفكرة القومية الإسلامية فى مقابل الفكرة القومية التى تقوم على عامل الجنس أو الإقليمية الضيقة [3] .

وكان حسن البنا ـ المرشد العام للإخوان المسلمين ـ من أبرز المدافعين عن القومية الإسلامية ، فقد كتب مقالا بعنوان : « قومية الإسلام » فى صحيفة « الإخوان » حدد فيه موقف الإسلام من فكرة القومية واختلاف الناس فى فهمها ، فأشار إلى أن بعض الناس يفهمون من القومية عصبية الدم ، وعنصرية الجنس ، فيجعلون ذلك أساس وحدتهم ورمز جامعاتهم ، وينسون أن الناس لآدم وآدم من تراب ، وبعضهم يفهم من

---

(١) المنار ، جـ ٦ ، م ٣١ ، شعبان ١٣٤٩ هـ ، يناير ١٩٣١م ، والفتح ، عدد ٢٣ ، ٢٧ رجب ١٣٤٩هـ .

(٢) المنار ، جـ ٦ ، م ٣١ ، شعبان ١٣٤٩ هـ ، يناير ١٩٣١م ، والفتح ، عدد ٢٣ ، ٢٧ رجب ١٣٤٩هـ .

(٣) زكريا سليمان بيومى : الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ١٦٣ ، ١٦٤ ، وعبد العظيم رمضان : الفكر الثورى فى مصر ، مرجع سابق ، ص١٦٤ .

القومية الحدود الجغرافية والرقعة الأرضية فيجعلون ذلك مطمح أنظارهم ، وهؤلاء قد ارتبطوا بغير رباط وتقيدوا بغير قيود ، لأن الأرض عرضة للمد والجزر ، تتسع وتضيق مع الظروف والحادثات ، وأضاف حسن البنا: أن الذين ينادون بالعنصرية الجنسية يذكون نار الأحقاد والخصومات فى وقت يرجو العالم فيه الهدوء والسلام ، وأن الإسلام لا يقرهم على هذا بل يناديهم كتابه الكريم ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾ [الحجرات : ١٣] ،وإن الذين ينادون بالقومية الجغرافية ينقضون مبدأهم مع غيرهم من الأمم التى تضعف قوتها عن قوتهم ، فيحاولون أن يدمجوا حدودها فى حدودهم ، وقد نبههم الإسلام بقوله تعالى ﴿ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (١٢٨) ﴾ [الاعراف] [(١)] .

وفى مقال آخر ذكر : حسن البنا أن القومية لا تنتج إلا الشرور والآثام والحروب والتنافس والتزاحم بين الأمم لأن كل أمة سوف تدعى أنها سيدة الجميع ، وتعمل للوصول إلى هذه السيادة ، وبذلك لا تهدأ الثورات ، أو يسود السلام العالمى ، ومن أجل ذلك رفض حسن البنا الدعوة إلى القومية فى شتى صورها ، ودعا إلى الأخوة الإسلامية التى لا تقوم على عصبة الدم ، وعنصرية الجنس ، والتفرقة بين البشر [(٢)] .

وبين أن « قومية الإسلام تقوم على القرآن والسنة وسيرة السلف الصالح ؛ لأن الإسلام دين شامل جاء للإنسانية بكل ما تحتاج إليه من النظم والقوانين الكلية ووصف لها طريق السعادة . . وكل من دخل فى العقيدة الإسلامية فهو واحد من الأمة التى يربطها الإسلام » [(٣)] .

ولما كانت الدعوة إلى القومية فى مصر متأثرة بالدعوة إلى القومية الطورانية التى قادها مصطفى كمال أتاتورك فى تركيا ، كما أشرنا قبل ذلك ، فقد شنت صحيفة النذير التى صدرت معبرة عن الإخوان المسلمين بعد توقف صحيفة « الإخوان المسلمين » عن الصدور حملة شديدة على الصحف التى امتدحت كمال أتاتورك فى ذكرى وفاته ولا سيما الصحف الوفدية ، وذكرت أن من أول سيئات أتاتورك إحلال القومية العنصرية محل الإسلام ، ووصفت الذين يمدحونه بأنهم ينفخون فى بوق القومية ، وهو نفس بوق المبشر الاستعمارى ، ثم أعلنت هجومها على الأحزاب السياسية المصرية ، التى تدعو

---

(١) الإخوان المسلمون ، عدد ٢٩ ، ٨ ذو القعدة ١٣٥٢ هـ ، مقال بعنوان : « قومية الإسلام » لحسن البنا .
(٢) الإخوان المسلمون ، ١١ ربيع الآخر ١٣٥٢ هـ ، مقال بعنوان : « لا القومية ولا العالمية بل الأخوة الإسلامية» لحسن البنا ، وعدد ١٨ صفر ١٣٥٤هـ ، مقال بعنوان : « دعوتنا » لحسن البنا ، وعدد ٢٧ رجب ١٣٥٥هـ .
(٣) الإخوان المسلمون ، ٨ ذو القعدة ١٣٥٢ هـ ، مقال بعنوان : « قومية الإسلام » لحسن البنا .

لفكرة القومية الفرعونية [1] ، كذلك هاجمت الجامعة المصرية لأنها اتخذت شعار كلياتها من رموز فرعونية ، برغم أنها فى أمة مسلمة [2] .

وقد حدد الإخوان المسلمون موقفهم ودعوتهم من فكرة الوطنية التى افتتن بها الناس فى ذلك الوقت ، وراجت بين المفكرين وأصبح لها أنصار ودعاة يدعون إليها، ويشككون فى صدق ولاء الإخوان المسلمين للوطن ، ويلمزون عقيدتهم الوطنية ، وذكر داعية كبير منهم لم يصرح باسمه على صفحات صحيفة الإخوان المسلمين : إن كان دعاة الوطنية يريدون بها حب الوطن فذلك أمر مركوز فى فطر النفوس من جهة ، مأمور به فى الإسلام من جهة أخرى ، وإن كانوا يريدون أن الواجب العمل بكل جهد فى تحرير البلد من الغاصبين ، وتحقيق استقلاله وعزته فنحن معهم أيضا ، وإن يريدون بالوطن تقوية الرابطة بين أفراد القطر الواحد لصالح هذا الوطن فذلك نوافقهم فيه ، وإن كانوا يريدون بالوطن تقسيم الأمة إلى طوائف تتناحر ويكيد بعضها لبعض ، وتتشيع لمناهج وضعية أملتها الأهواء وشكلتها الغايات ، والعدو يستغل ذلك لمصلحته . . . فتلك وطنية زائفة لا خير فيها لدعاتها ولا للناس .

وصرح هذه الداعية أن الإخوان المسلمين مع دعاة الوطنية فى كل ما يعود بالصالح لخير البلاد والعباد ، وأن تلك الدعوى لم تخرج عن أنها جزء من تعاليم الإسلام ، ولكن وجه الخلاف بين الإخوان وبين دعاة الوطنية أن الإخوان يعتبرون حدود الوطنية بالعقيدة ، وهم يعتبرونها بالتخوم الأرضية والحدود الجغرافية ، فكل بقعة فيها مسلم هى وطن إسلامى لدى الإخوان المسلمين له حرمته وقداسته ، والجهاد فى سبيله واجب ، أما دعاة الوطنية ليسوا كذلك فلا يعنيهم إلا أمر تلك البقعة المحدودة الضيقة من رقعة الأرض[3] .

وقد ظلت أدبيات صحف الإخوان المسلمين تؤكد على القومية الإسلامية والوحدة الإسلامية الشاملة لكل المسلمين ، وأشارت صحيفة « النذير » إلى أن الإخوان المسلمين لن يهدأ لهم بال ، ولن يطمئن لهم خاطر حتى يحققوا الوحدة الإسلامية التى أقرها الإسلام[4] .

---

(١) النذير ، ١٣ شوال ١٣٥٧ ، مقال بعنوان : « كيف يمجدون رجلا حارب الإسلام » لصالح عشماوى .

(٢) النذير ، ١٣ شوال ١٣٥٧ هـ ، نقلا عن د. زكريا سليمان بيومى : الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية.

(٣) الإخوان المسلمون ، عدد ٤ ، السنة الثالثة ، ٤ صفر سنة ١٣٥٤ هـ ، ٧ مايو ١٩٣٥م .

(٤) النذير ، ٢١ رجب ١٣٥٨هـ ، وطارق البشرى : المسلمون والأقباط فى إطار الجماعة الوطنية ، مرجع سابق، ص ٥٠٣ ، ٥٠٤ .

ورغم أن صحافة الاتجاه الإسلامى قد ركزت على محاربة الدعوة إلى القومية المصرية ودعت إلى القومية الإسلامية إلا أنها لم تعارض فكرة القومية العربية بل كانت الدعوة إلى القومية العربية تسير جنبا إلى جنب مع الدعوة إلى القومية الإسلامية ، فقد اعتبرها أنصار الفكر الإسلامى سبيلا إلى تحقيق القومية الإسلامية الشاملة ، وطريقا إلى الوصول إلى الجامعة الإسلامية ، يقول حسن البنا فى صحيفة الإخوان المسلمين : « إن تمسكنا بالقومية العربية يجعلنا أمة تمتد حدودها من الخليج الفارسى إلى المحيط الأطلسى بل إلى أبعد من ذلك ، ويبلغ عددها أضعاف الملايين المحصورة فى وادى النيل فأى مصرى يكره أن تشاطره هذه الشعوب التى تظلها العربية شعوره وأماله وأفراحه » ، واعتبر حسن البنا الداعين إلى سلخ مصر من الجسم العام للأمة العربية يعينون الخصوم الغاصبين على خفض شوكة أوطانهم ، وإضعاف قوة بلادهم ، ويساعدون على مقتل هذه الأوطان المتحدة فى قوميتها ولغتها ودينها وآدابها ومشاعرها وطموحاتها [١] .

وحينما وضع الدكتور طه حسين الأمة العربية ضمن الأمم التى غزت مصر ، فأذاقتها صنوفا من العدوان وألوانا من العذاب ، حتى تغلبت مصر ، فالتهمت العرب فيمن التهمت من الأمم من فرس ويونان وترك وفرنسيين وإنجليز ورومان ، انبرى للرد عليه الشيخ حسن البنا ، مشيرا إلى أن هذه الفكرة التى ينادى بها طه حسين لا ينفرد بها وحده، بل نادى بها من قبله سلامة موسى ، وحمل لواءها كل من يحمل ضغنا على العربية وحفيظة على الإسلام ، وقد روجها خصوم مصر والعرب ، ولم تظل فكرة خيالية بل برزت إلى حيز الوجود فى مظهرين مهمين وهما : تمثال نهضة مصر ، وضريح سعد زغلول باشا ، وذهب حسن البنا إلى أن تلك الفكرة خطأ محض ، خطأ تاريخى ، وخطأ اجتماعى ، وخطأ فى جانب القومية المصرية لا يغتفر ، أما أن الفكرة خطأ تاريخى فلأن حكم التاريخ مضى بأن الاستعمار العربى لا يقاس بغيره من استعمار الأمم ؛ لأن استعمار الأمم إنما يقصد به الفتح والغنيمة واستبداد الأمة الفاتحة للأمة المغلوبة ، أما الاستعمار العربى فهو استعمار ثقافى إرشادى روحى مهمته تمثيل الشعوب ، وصبغها بالصبغة العربية الإسلامية .

والتاريخ يرشد إلى وحدة الدماء واللغات بين سكان الجزيرة العربية وسكان وادى النيل فى القديم والحديث ، فالكثير من سكان الصعيد وسكان الشرقية والبحيرة والفيوم يعلمون إلى الآن أنسابهم العربية .

---

(١) الإخوان المسلمون ، غزة جمادى الآخرة ١٣٥٢هـ ، مقال بعنوان : « مصر عربية فليتق الله المفرقون للكلمة» كتبه حسن البنا .

وأما أن هذه الفكرة خاطئة اجتماعيا ؛ فلأن الأمة إنما تتكون قوميتها من لغتها ودينها وعاداتها وثقافاتها ، وما إلى ذلك من مظاهر الحياة ، فهل يرى الدكتور طه وغيره أن لمصر لغة غير اللغة العربية ، وأن لها دينا غير الدين الذى حمل لواءه العرب ، وهل يرون أننا نستطيع أن نتخلى عن اللغة العربية أو القرآن الكريم ، والشعور العربى ، ونحل محل ذلك كله لغة ودينا وثقافة تختص بمصر والمصريين ، وما هى ياترى هذه اللغة وما هذا الدين وما تلك الثقافة ؟ لعل القوم يقصدون الهيروغليفية ودين أبيس وآمون وهورس وبتاح ، وأما خطأ الفكرة من ناحية القومية المصرية ؛ فلأن تمسك المصريين بالقومية العربية يجعلهم أمة متحدة مع الشعوب العربية التى تسكن العالم العربى الكبير الممتد من الخليج الفارسى إلى المحيط الأطلسى كما ذكرنا آنفا .

وشارك حسن البنا الرأى محب الدين الخطيب والأستاذ عبد القادر حمزة [١] .

والخلاصة : أن القومية العربية الإسلامية لدى الإخوان المسلمين كدائرتين تدور إحداهما داخل الأخرى ودعوتهم إلى القومية العربية على أن تكون طريقا إلى الوحدة الإسلامية الشاملة وعدم التخلى عن المسلمين غير العرب الذين يشاركون العرب فى الإسلام الذى أسقط الجنسية من حسابه ويرفض أية دعوة عصبية .

أما عن موقف جماعة مصر الفتاة من الدعوة إلى الفرعونية ، فكان مفهومها لهذه الدعوة أن الفرعونية ليست إلا مجدا مصريا يتغنى به ، يوضع موضع التقدير التاريخى ، أما أن تخير مصر بين أن تأخذ بالمدنية الفرعونية ، أم بالمدنية الغربية ، فإن الأمر يختلف كل الاختلاف ، ذلك أن أساس الحضارة الدين واللغة ، فهل سيأخذ المصريون بعبادة إيزيس وإيزوريس ، أم هل سيكتبون باللغة الهيروغليفية ، بدلا من اللغة العربية ؟ إن الإجابة على هذا التساؤل هو أن يأخذ المصريون بالمدنية العربية التى يحيون فى امتدادها دينا ولغة وثقافة [٢] ، وقد هاجم أحمد حسين زعيم مصر الفتاة الدعوة إلى القومية المصرية والفرعونية لأنها تباعد بين المصريين وبين إخوانهم فى سائر الأقطار العربية ، ورأى أحمد حسين أن هذا أمر ضرورى تقتضيه حال العصر الحاضر ، عصر الكتل الكبرى، ونادى بالوحدة العربية وإلى تكوين امبراطورية عربية تتزعم الإسلام وتتكون من مصر والسودان ، وتحالف الدول العربية ، وحدد المقومات التى تقوم عليها هذه الوحدة فى اللغة والدين والثقافة والماضى المشترك [٣]، وهكذا نرى تلاقى رؤية الإخوان المسلمين وجماعة مصر الفتاة فى رفض القومية المصرية الفرعونية ، والدعوة إلى الوحدة العربية .

---

(١) الإخوان المسلمون ، عدد ١٥ ، غرة جمادى الأولى ، ١٣٥٢هـ .

(٢) أنور الجندى ، يقظة الفكر العربى ، مرجع سابق ، ص ٧١ .

(٣) مصر الفتاة ، عدد ٢١ ديسمبر ١٩٣٩م.

وفى ضوء معالجة الصحف الإسلامية لفكرة القومية المصرية نستطيع أن نسجل أبرز النقاط التالية :

١ ـ ظهرت أول حركة قومية مصرية منفصلة عن إطار الخلافة الإسلامية العثمانية فى عام ١٩٠٧م على يد حزب الأمة ، وصحيفة الجريدة التى كان يحررها لطفى السيد .

٢ ـ انتشرت الدعوة إلى القومية المصرية بشكل واضح عقب الحرب العالمية الأولى لعدة أسباب :

أ ـ هزيمة تركيا التى كانت رمزا للخلافة الإسلامية .

ب ـ تجمد نشاط الحزب الوطنى المؤيد لانضمام مصر تحت لواء الخلافة الإسلامية .

جـ ـ ظهور حزب الوفد الموالى لفكرة القومية المصرية .

د ـ نمو الشعور القومى لدى المصريين بعد صورة ١٩١٩م .

هـ ـ الاكتشافات الأثرية فى عام ١٩٢٠م ولا سيما مقبرة توت عنخ آمون وإسقاط الخلافة الإسلامية فى عام ١٩٢٤م .

٣ ـ كان من أبرز الصحف التى روجت الفكرة القومية المصرية صحيفة السياسة والسياسة الأسبوعية والمقتطف والمقطم وصحف الأقباط المصريين ، وبرز فى هذا المجال سلامة موسى ومرقص سميكة ، والدكتور محمد حسين هيكل ، وعباس العقاد ، والدكتور حسين مؤنس ، وإبراهيم جمعة ، ولطفى جمعة .

٤ ـ اتخذت الدعوة إلى القومية المصرية أشكالا متنوعة ، منها الدعوة إلى أدب قومى مصرى ، وإيثار العامية المصرية ، والعناية بالأدب الشعبى ، والأناشيد القومية ، وتوجيه المسرح المصرى إلى الناحية القومية ، ورفض انتماء مصر إلى العالم العربى والإسلامى .

٥ ـ كان لليهود المصريين دور فى تشجيع الدعوة إلى القومية المصرية فضلا عن الاستعمار والصهيونية ، لقطع الدعم والتأييد المصرى عن عرب فلسطين .

٦ ـ تصدت الصحف الإسلامية وأنصار الفكر الإسلامى لمحاربة الدعوة إلى القومية المصرية ، وكشفت عن المحاولات التى تهدف إلى فصل مصر عن ماضيها العربى والإسلامى ، وكان فى مقدمة الذين كتبوا فى ذلك رشيد رضا ، ومحب الدين الخطيب، وحسن البنا ، والدكتور يحيى الدرديرى ، ومحمد فريد وجدى ، وأحمد حسين ، ومحمد على علوبة .

٧ ـ أشارت الصحف الإسلامية على تعارض الدعوة إلى القومية المصرية ومع مبادئ

الإسلام ، وعدم اتفاقها مع مصلحت مصر القومية ، وأكدت على خطورتها على مستقبل المسلمين .

٨ ـ ذكرت الصحف الإسلامية أن أصل المصريين عرب ، وليسوا فراعنة ، وذلك من خلال هجرات الأسيويين والعرب إلى مصر عن طريق باب المندب وسيناء ، والبحوث اللغوية ، وانتساب بعض العائلات المصرية إلى قبائل عربية .

٩ ـ هاجمت الصحافة الإسلامية الأحزاب السياسية المصرية ، والصحف التى تؤيد فكرة القومية المصرية .

١٠ـ تأثرت الدعوة إلى القومية المصرية بدعوة كمال أتاتورك إلى القومية الطورانية فى تركيا ، ولذلك كان هجوم الصحف الإسلامية على كمال أتاتورك والصحف التى أشادت به .

١١ ـ انخفض صوت الدعوة إلى القومية المصرية فى نهاية العشرينات نتيجة لحملات التبشير بالنصرانية على مصر ، واضطهاد فرنسا وإيطاليا لمسلمى المغرب العربى ، وخضوع العالم العربى للنفوذ الاستعمارى النصرانى ، وظهور قضية فلسطين والخطر الصهيونى المهدد لكيان الأمة العربية والإسلامية .

١٢ـ نشطت الصحف الإسلامية من دعوتها إلى القومية العربية والإسلامية لمواجهة القومية المصرية الفرعونية ، ودعت إلى إقامت حلف عربى يضم البلاد العربية الناطقة بالضاد .

١٣ ـ كان هدف الإنجليز والأقباط المصريين من ترويج القومية المصرية سلخ مصر عن العالم العربى والإسلامى الواسع .

١٤ـ أثيرت الدعوة إلى القومية المصرية فى الجامعة ، وأقيمت لهذا الغرض مناظرة بين أنصار الحضارة الفرعونية وأنصار الحضارة الغربية ، كان النصر حليف أنصار الحضارة العربية .

١٥ ـ تعرضت الدعوة إلى القومية المصرية فى الثلاثينات لهجوم شديد من جانب الصحف الإسلامية ، وبخاصة صحف الإخوان المسلمين ومصر الفتاة ، وراجت الدعوة إلى القومية الإسلامية والعربية .

١٦ ـ أثبت حسن البنا أن فكرة القومية المصرية خطأ تاريخى ، وخطأ إجتماعى ، وخطأ فى جانب القومية المصرية ذاتها ، وأنها لا تنتج إلا الآثام والشرور والحروب

والتنافس بين الدول .

١٧ ـ نادى أحمد حسين بالوحدة العربية وإلى تكوين إمبراطورية عربية تتزعم الإسلام ، وتتكون من مصر والسودان ، ورأى محب الدين الخطيب أن الجامعة القومية لا تمنع من الجامعة الإسلامية بشرط أن يكون الإسلام هو الجامعة الكبرى .

١٨ ـ كانت الدعوة إلى القومية العربية تسير جنبا إلى جنب مع الدعوة إلى القومية الإسلامية على أنها وسيلة لإيجاد الوحدة الإسلامية الشاملة .

المبحث الثالث

صحافة الاتجاه الإسلامى وقضية فلسطين

كانت قضية فلسطين من القضاية المهمة التى برزت على سطح الصحافة المصرية فى مرحلة ما بين الحربين العالميتين ، ولا سيما بعد حوادث البراق التى نشبت فى عام ١٩٢٩م، وثورات الفلسطينيين ضد اليهود فى الثلاثينات من هذا القرن ، كل هذا كان له صدى واسعا فى الصحافة المصرية والإسلامية منها على وجه الخصوص ، وسيجلى هذا المبحث موقف صحافة الإتجاه الإسلامى من قضية فلسطين وتطورها ، والدور الذى أدته تلك الصحف فى معالجتها .

من المعروف أن القضية الفلسطينية بدأت منذ صدور وعد بلفور الذى صرح به وزير خارجية بريطانيا آرثر بلفور فى ٢ نوفمبر ١٩١٧م ، بتكوين وطن قومى لليهود فى فلسطين وقد بذل الصهيونيون جهودا مكثفة لكسب الدول الكبرى كإنجلترا وفرنسا ، حتى توصلوا إلى هذا الوعد متضمنا تأييد إنجلترا لإقامة وطن قوى لليهود فى فلسطين حيث كان هذا الوعد نقطة تحول بالنسبة إلى اليهود ، ورغم أن وعد بلفور صدر فى ٢ نوفمبر ١٩١٧م ، إلا أن عرب فلسطين لم يعرفوا به إلا عن طريق الصحف العربية والتركية ، ولم يبلغوا به رسميا إلا فى ٢٠ فبراير ١٩٢٠م فى بيان أذاعه عليهم السير لويس بولز الحاكم العسكرى العام [(١)] .

وقد وضعت إنجلترا فلسطين تحت الانتداب البريطانى فى ٢٥ أبريل ١٩٢٠م مع تنفيذ تصريح بلفور ، واستبدلت بالإدارة العسكرية إدارة مدنية تم إنشاؤها فى أول يوليو ١٩٢٠م، وحل محل المديرين العسكريين أشخاص مدنيون متعاطفون مع سياسة بريطانيا، وكان السير هربرت صموئيل أول حاكم مدنى ، وكان يسمى بالمندوب السامى ، وأقرت عصبت الأمم مشروع الانتداب على فلسطين فى ٢٤ يوليو ١٩٢٢م ، وأدمج فى صك الانتداب تصريح بلفور لتكون له حرمة وقداسة المعاهدات الدولية ، وبذلك أصبح فى الإمكان تنفيذ سياسة الحركة الصهيونية ، التى طالما حاولت إنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين متذرعة بما لقيه اليهود من اضطهاد فى أوربا ، فضلا عن رغبة اليهود الشديدة فى

---

(١) عادل حسن غنيم : الحركة الوطنية الفلسطينية من ثورة ١٩٣٦م حتى الحرب العالمية الثانية ، القاهرة : مكتبة الخانجى ، ١٩٨٠م ، ص ٥ .

إحياء القومية اليهودية [1] .

ومنذ ذلك الحين والصحف الإسلامية فى مصر تولى هذه القضية اهتماما كبيرا ، وحفلت هذه الصحف بالحديث عن هذه القضية التى شغلت الرأى العام المصرى الإسلامى ولم تتوان هذه الصحف عن الدفاع عن عروبة فلسطين ، وانتقاض قرار الإنتداب البريطانى الذى تضمن أن تكون فلسطين وطنا قوميا لليهود ، ومؤازرة ثورات الفلسطينيين وتأييدهم ضد الاحتلال والصهيونية ، وكان فى مقدمة الصحف الإسلامية والعربية التى اهتمت بهذه القضية صحيفة « المنار » لرشيد رضا ، و « الشورى » لمحمد على الطاهر ، و « الشبان المسلمين » ثم صحف « الإخوان المسلمين » و« مصر الفتاة » .

فعلى إثر قرار الانتداب البريطانى بجعل فلسطين وطنا قوميا لليهود وجه رشيد رضا خطابا مفتوحا على صفحات صحيفة المنار إلى الشعب الإنجليزى والحكومة البريطانية يهاجم قرارها بجعل فلسطين لليهود ومحاولت انتزاع شعب من وطنه أو وطن من أهله وإحلال شعب آخر فى محله ، وإيقاد نار العصبية الدينية بين اليهود والعرب وسائر الأمة الإسلامية ومن يشيعها من الشعوب النصرانية [2] .

وقد نشرت المنار منشورا النهضة الوطنية الفلسطينية ـ التى تأسست فى نيويورك وكان رئيسها نظمى عنتباوى النابلسى ـ الذى ينص على :

١ ـ حث العرب على الوحدة بعد خذلان الاستعمار لهم .

٢ ـ الحث على مقاطعة، اليهود ، وتحريم البيع والشراء منهم ولهم .

٣ ـ تأسيس مشروع بنك فلسطينى لتكون مقاومة اليهود على أساس علمى وعملى ليستفيد المزارع والتاجر ، ولكى لا تضر المقاطعة بالوطن .

٤ ـ نشر الدعوة بين جميع العامة فى المدن والقرى ، إما بتأسيس النوادى ، وإما بإلقاء الخطب والمواعظ لإضاءة الأقطار بنور المعرفة .

٥ ـ الحث على القوة والجهاد .

٦ ـ الحث على انتشار العلم لحفظ كيان الأمة ، وعلى الأخص إنشاء المدارس الوطنية التى تولد فى النفوس الوطنية الحقة [3] .

---

(١) المرجع السابق ، ص٨ ، وسهير إسكندر : جريدة المصرى والقضايا الوطنية (١٩٣٦م ـ ١٩٤٦م)، القاهرة : سجل العرب ، ١٩٧٦م ، ص٧٢ .

(٢) المنار ، جـ٦ ، م٢٤ ، شوال ١٣٤١هـ ، يونيه ١٩٢٣ .

(٣) المنار ، جـ٣ ، م٢٤ ، رجب ١٣٤١هـ ، مارس ١٩٢٣م .

وكانت صحيفة الشورى لصاحبها محمد على الطاهر - الفلسطينى الأصل [1] - من أبرز الصحف الإسلامية والعربية التى كان لها دور كبير فى متابعة أحداث القضية الفلسطينية وتطوراتها خلال العشرينات ، وصدرت فى عام ١٩٢٤م ، جريدة سياسية تبحث فى شؤون فلسطين وسوريا ولبنان وشرق الأردن ، وقد خصصت بابا دائما بعنوان: «شؤون وشجون » يتضمن تعليقات على الأحداث الجارية فى فلسطين فضلا عن المقالات والتحقيقات الصحفية التى كانت تشكل المادة الأساسية التى استندت إليها صحيفة الشورى فى معالجتها للقضية الفلسطينية من مختلف زواياها ، وكان اهتمامها ينبع من منطلق قومى عربى ذى خلفية فكرية إسلامية ، لذلك نجدها تهتم بالتعليق على الجوانب الإسلامية للقضية وإبراز دور المؤسسات الدينية فى حسم بعض المشاكل التى كانت مثارة خلال العشرينات [2] .

ثم تابعت صحيفة الشورى نشر أخبار النشاط الوطنى الفلسطينى ، وتولت الرد على كثير من الافتراءات والأخبار الكاذبة التى كانت تروجها وكالات الأنباء البريطانية والفرنسية عن الكفاح الفلسطينى ، واستطاعت من خلال المقالات السياسية والتعليقات والتحقيقات الصحفية أن تخلق اتجاها فكريا مواليا للقضية العربية نجح فى اجتذاب بعض قطاعات الرأى العام المصرى حول قضايا العروبة والإسلام [3] .

وقد أسهمت صحيفة الشورى مع غيرها من الصحف الإسلامية والعربية فى مواجهة الاتجاه الصهيونى الذى كانت تقوده بعض الصحف ذات الاتجاه الصهيونى اليهودى مثل صحيفة الشمس والاتحاد الإسرائيلى ، وإسرائيل ، وتفنيد ما تبثه هذه الصحف من دعايات لصالح اليهود فى فلسطين [4] ثم توالى اهتمام صحافة الاتجاه الإسلامى بقضية فلسطين ، وقد أخذت صحيفة « الفتح » تكشف عن أبعاد المؤامرة الصهيونية وخطرها ،

---

(١) ولد محمد على الطاهر فى نابلس ١٨٩٦م ، وكان أول من أشار إلى التحذير من الصهيونية وأنها تستهدف إنشاء دولة يهودية فى فلسطين فى عام ١٩١٤م فى جريدة « فتى العرب » التى كانت تصدر فى بيروت ، وكان يعمل مراسلا فى يافا ، وفى أثناء الحرب العالمية الأولى لجأ إلى مصر هربا من مظالم جمال باشا ، ولكن السلطات البريطانية اعتقلته لمدة عامين (من ١٩١٥ ـ ١٩١٧م) ، وبعد انتهاء الحرب عاد إلى فلسطين حيث شارك فى تحرير جريدة سورية كانت تصدر فى القدس ، وعمل مديرا للبريد والتلغراف بنابلس ، وحين تشكلت الحكومة المدنية برياسة هربرت صموئيل ، وعين مديرى الإدارات من الإنجليز واليهود ، استقال من وظيفته ، وعاد إلى مصر حيث عمل بالتجارة لتدبير مبلغ يمكنه من إصدار صحيفة ، وقد نجح فى الحصول على امتياز جريدة باسم جريدة الشورى فى عام ١٩٢٤م .

انظر : عواطف عبد الرحمن : مصر وفلسطين ، مرجع سابق ، ص٥٦ ، ٥٧ .

(٢) عواطف عبد الرحمن : مصر وفلسطين ، مرجع سابق ، ص ١٤٤ .

(٣) المرجع السابق ، ص١٤٥ .

(٤) المرجع السابق ، وأنور الجندى ، الفتح ، تاريخ الصحافة الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ١٩٦ .

والمخطط الصهيونى ، وذكرت أن أصبع اليهود هى التى وضعت نظام الماسونية ، ورسمت برنامج البلشفية ، وكتبت قانون الاتحاد والترقى ، والأصبع اليهودية تزخرف الأزياء الإباحية للسيدة المصرية فى القاهرة والإسكندرية ، فمتاجر القاهرة كلها يهودية شيكوريل يهودية ، وأوروزى باك يهوديا ، وشملا يهوديا ، وتيرينغ يهوديا وأموال البون مارشيه يهودية ، وكذلك كان موروم وقبله ستين وماير وغيرهم (١) .

وأشارت الفتح إلى أن الدعوة إلى رفع الحجاب الإسلامى الصادرة من دار الهلال بقلم سلامة موسى والتى يكتب عنها محمود عزمى ، والتى يخطب فيها خطباء جمعية الشبان المسيحيين ، والتى تشجعها جريدة الأهرام ، كل ذلك ليس بشىء فى جانب الوسائل التى يتخذها اليهود فى محل شيكوريل ، وليجعلوكم أيها المسلمون أمام أمر واقع فى مسألة السفور (٢) .

وكشفت صحيفة الفتح القناع عن مقاصد اليهود فى فلسطين ، وبينت أحاييل الصهيونيين مع العرب والمسلمين ، وفضحت نواياهم ، يقول محب الدين الخطيب فى مقال بعنوان : « البرنامج الصهيونى » : « إن الصهيونية تسعى لإلقاء بذور التفرقة والشقاق فى داخلية كل دولة ودفع الشعوب إلى أن تعتنق عقيدة التساهل الواسع ، ثم تترقى من ذلك إلى تعميم المذهب الراديكالى ، ثم إلى الاشتراكية ومنها إلى الشيوعية ، وبعد ذلك إلى الإباحية ثم إلى الفوضى ، فإذا تم ذلك فى أمم الأرض لا يبقى حينئذ سالم من هذه التعاليم غير إسرائيل فيبسط نفوذه ، ويملى إرادته على الشعوب إن لم يكن مباشرة ، فبواسطة أو سلسلة وسائط » (٣) .

وقد هاجمت « الفتح » جريدة « السياسة » حينما نشرت نبأ زيارة الوفد الإسرائيلى المكون من الدكتور البير موصيرى والمسيو جولد شتاين ، والأستاذ فينا سنيسيو المحامى ليشكرها على موقفها المعتدل تجاه اليهود ، ومطالبتها الجرائد العربية الأخرى بالروية ، والاعتصام بلواء القومية ، وانبرى للرد على ذلك أحمد إبراهيم السراوى ، وكتب فى الفتح تحت عنوان : « جريدة السياسة تخدم الصهيونية يشكرونها على خدماتها » اتهم فيه جريدة السياسة بأنها تخدم الصهيونية ، وتغض الطرف عن أعمال اليهود المنكرة فى فلسطين ، فى محاولة لصرف نظر المسلمين عن العناية بأمر إخوانهم الفلسطينيين وعن القيام بواجب الدفاع عنهم (٤) .

وأكدت الفتح على علاقة الماسونية فى مصر باليهود فى فلسطين ، وأن اليهود

(١) المرجع السابق ص١٤٥ .

(٢) المرجع السابق ، وأنور الجندى ، الفتح ، تاريخ الصحافة الإسلامية ، مرجع سابق ، ص١٩٦ .

(٣) أنور الجندى ، الفتح ، تاريخ الصحافة الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ١٩٦، ١٩٧ .

(٤) الفتح ، عدد ١٦٤ ، ٩ ربيع الآخر ١٣٤٨هـ ، ١٢ سبتمبر ١٩٢٩م .

يحاولون استخدام الماسونية فى مصر لمصلحتهم السياسية ضد المسلمين والنصارى فى فلسطين (١) .

وحينما كتب محمد عبد الله عنان : فى السياسة الأسبوعية يشرح نظرية احتلال اليهود لأراضى فلسطين ، ويدافع عما زعمه حقوق اليهود ، انبرى له فى صحيفة الفتح باحث مصرى لم يدل باسمه ، اتهم عبد الله عنان بأنه معتنق لمذهب الصهيونية ، وأنه صاحب هوى فيما يكتب ، وأنه يخدم بذلك المصالح اليهودية (٢) ، وكذلك عرضت صحيفة الفتح لكتاب هنرى فورد الذى ألفه بعنوان : « اليهودى الدولى » وقام بتعريبه الدكتور على مظهر ، هذا الكتاب يشير إلى حقيقة تاريخية على قدر كبير من الأهمية وهى أن المسألة اليهودية قائمة فى الولايات المتحدة الأمريكية منذ زمن بعيد، وكان اليهود أنفسهم على علم بذلك ، فى حين كان الوطنيون الفلسطينيون لا يدرون عن ذلك شيئا (٣) .

وخلال عام ١٩٢٩م جرت حوادث حائط المبكى ، الحائط الغربى للمسجد الأقصى آخر آثار هيكل سليمان عند اليهود ، ومصعد البراق عند المسلمين ، فقد أراد اليهود امتلاك الحائط ، ووضعوا الستار عليه ، وسارت مظاهراتهم تهتف : الحائط حائطنا .

وهب العرب يؤكدون أن الوطن لهم والحائط للمسلمين ، وحدثت من جراء ذلك مصادمات عنيفة بين الطرفين استخدم فيها السلاح وسالت فيها الدماء ، وأعلن عرب فلسطين الثورة على اليهود (٤) .

وكان رد فعل هذه الأحداث والمصادمات فى مصر شاملا لدى صحافة الاتجاه الإسلامى ومختلف الجمعيات والمؤسسات الإسلامية ، ونشطت جمعية الشبان المسلمين ومجلتها فى الدعوة لجمع التبرعات لعرب فلسطين من ضحايا هذه الثورة ، وإرسال برقيات الاحتجاج لعصبة الأمم والحكومة البريطانية ، وعقدت الجمعية فى القاهرة عام ١٩٣٠م مؤتمرا لجمعياتها بمصر وفلسطين بحثت فيه وسائل دعم التضامن الإسلامى وإنشاء بنك إسلامى وجمعيات تعاونية محلية تحفظ أراضى فلسطين لشعبها ، وأوصت بإنشاء عصبة أمم إسلامية ، وسافر إلى القدس كل من محمد على علوبة باشا ، وأحمد ذكى الملقب بشيخ العروبة ، وعبد الحميد سعيد للدفاع عن ملكية العرب لحائط البراق أمام

---

(١) الفتح ، عدد ١٧٢ ، ٥ جمادى الآخرة ١٣٤٨هـ ، ٧نوفمبر ١٩٢٩ .

(٢) الفتح ، عدد ١٦٧ ، ٣٠ ربيع الآخر ١٣٤٨هـ ، ٣ أكتوبر ١٩٢٩م ، مقال بعنوان : « هل الأستاذ عبد الله عنان يهودى صهيونى ؟» .

(٣) الفتح ، عدد ١٧١ ، ٢٨ جمادى الأولى ١٣٤٨هـ ، ١ نوفمبر ١٩٢٩م .

(٤) طارق البشرى : الحركة السياسية فى مصر ، مرجع سابق ، ص ٢٣٧ .

اللجنة التى شكلتها عصبة الأمم لتحقيق النزاع [١] .

وفى تلك الأثناء هبت الصحف الإسلامية فى مصر للدفاع عن أحقية العرب والمسلمين لحائط البراق ، والتنديد بالمذابح اليهودية لعرب فلسطين ، وتأييد المظاهرات الفلسطينية التى اندلعت لإعلان الحكومة البريطانية أن العرب تأكد لهم أن الوطن القومى اليهودى هو وليد السياسة البريطانية ، وأنهم سيوجهون كفاحهم ضد السياسة البريطانية والسياسة الإنجليزية معا [٢] ، ونشرت الصحف احتجاجات الجمعيات الإسلامية على ادعاءات اليهود لامتلاك البراق « حائط المبكى » ومن هذه الجمعيات التى نشرت الصحف الإسلامية احتجاجاتها جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة وجمعية الهداية الإسلامية ، وجمعية حراسة المسجد الأقصى ، وجمعية اللواء الإسلامى ، والجمعية المصرية للدفاع عن المسجد الأقصى والأماكن الاسلامية بالقدس ، كذلك تابعت الصحف الإسلامية أخبار الاشتباكات والاعتداءات اليهودية على الفلسطينيين ، ونشرت بعض القصائد الشعرية التى تندد باليهود ، وتؤيد حق الفلسطينيين فى البراق ، هذا فضلا عن نشر المقالات والتعليقات والبيانات التى تصدر عن عرب فلسطين ، وتبرز مطالبهم وبيانات رئيس المجلس الإسلامى الأعلى فى القدس الشيخ محمد أمين الحسينى ، وبيانات لجنة الدفاع عن القدس ، واحتجاج مسلمى فلسطين إلى وزارة المستعمرات بلندن .

وفى محاضرة نشرتها مجلة الشبان المسلمين بعنوان : « المسجد الأقصى وهيكل سليمان » ذهب العلامة أحمد زكى باشا إلى أن هيكل سليمان الذى يتخذه اليهود رمزا لأيام عزهم ومجدهم ، لم يكن له أثر عندما فتح المسلمون بيت المقدس فى أيام عمر بن الخطاب ، وأنه قد مضى على هدم الهيكل ألفا عام ، فى حين لم يمض على بناء المسجد الأقصى أكثر من ألف عام ، ولا يعقل أن يكون ما فى باطن الأرض من بقايا هيكل سليمان مبررا لطمع اليهود فى مسجد يقدسه المسلمون فى كل مكان ، وهو ذلك المسجد الذى بناه على الصخرة عمر بن الخطاب [٣] .

ونشرت المجلة أيضا بيانا أصدرته جمعية الشبان المسلمين تستنكر فيه ما قام به اليهود فى القدس من مظاهرات عدوانية فى مكان البراق الشريف ، وحذر البيان من مغبة هذه الفتنة التى أثارها اليهود ، وناشد مسلمى فلسطين أن مكان البراق وما حوله من وقف سيدى أبى مدين ، وأنه أمانة من الأمانات الإسلامية المقدسة التى وضعتها الأجيال بين أيديهم ، وأن كل مسلم فى كل بقعة من الأرض يعتبر نفسه جنديا مع مسلمى بيت

---

(١) المرجع السابق ، ص٢٤٢، ود . عواطف عبد الرحمن : مصر وفلسطين ، مرجع سابق ، ص٩٩ .

(٢) عادل غنيم : الحركة الوطنية الفلسطينية ، مرجع سابق ، ص١٢ .

(٣) الشبان المسلمون ، جـ١ ، م١ ، جمادى الأولى ١٣٤٨هـ ، أكتوبر ١٩٢٩م .

المقدس ، وكذلك نشرت « الشبان المسلمون » مساعى رئيس جمعية الشبان المسلمين إلى شيخ الأزهر لإصدار بيان من الجامع الأزهر يدين تلك الفتنة التى دبرها الصهاينة فى بيت المقدس لاغتيال البراق الشريف [(١)] .

واعتادت مجلة «الشبان المسلمون» على أن تنشر فى كل عام نتائج اجتماعات جمعية الشبان المسلمين التى تعقدها بمناسبة ذكرى وعد بلفور ، واحتجاجات الجمعية المستمرة على هذا الوعد المشؤوم ، واقتراحات الأعضاء لمساعدة الفلسطينيين سواء عن طريق الإعانات المالية أو رفع العرائض إلى ملوك الإسلام وحكام الدول الإسلامية وحكومات أوربا وعصبة الأمم [(٢)] . وذكر حسن البنا فى مقال بعنوان : « فلسطين المجاهدة » أن قضية فلسطين هى قضية العرب أجمعين ، ثم شن حملة شديدة على وعد بلفور ، الذى عده ضربة قاضية وجهت إلى الأمة العربية فى الصميم ، وهاجم دولة الانتداب فى فلسطين التى تعمل منذ صدور هذا الوعد سرا وعلانية على غزو فلسطين بجيوش من مهاجرى اليهود ، ولم تبال فى هذا السبيل بظلم العرب واغتصاب أرضهم وإخراجهم من ديارهم وناشد العرب جميعا أن يوقفوا الهجرة اليهودية إلى فلسطين بكل الوسائل السلمية وغير السلمية ، وألا يكفوا عن المطالبة بذلك ، وطالب أيضا بمواساة جرحى وشهداء فلسطين ، وتقديم يد المعونة لهم ، وجمع الاكتتابات وإرسالها إلى فلسطين ، ونوه بجهود جماعة الدفاع عن الإسلام التى تشكلت فى القاهرة ، لاهتمامها بقضية فلسطين [(٣)] .

وكتب إبراهيم حسن الخطاب مقالا بعنوان : « حول الوطن القومى الفلسطينى » سجل فيه أن فكرة إيجاد وطن قومى لليهود فى فلسطين مخالفة صريحة للناموس الطبيعى وخروج عن أبسط قواعد العدل والإنسانية ؛ لأنها كما قال إنجليزى حر هو الجنرال بلاكنى: « فكرة تنطوى على محاولة تهجير شعب متوطن فى ديار آبائه وأجداده ، وتوطين شعب آخر محله شتيت فى بقاع الأرض ، حال كون الشعب الأصيل صحيح القومية من حيث سلامة كيانه وتجانسه فى الأخلاق والعادات ووحدة اللغة ، بينما الشعب الدخيل ليست له قومية صحيحة ، لتعدد لغاته ، وانحلال رابطته الجنسية واختلاف مشاربه » [(٤)] .

وقدمت الشبان المسلمون احتجاج الفلسطينيين على الحكومة التى أنشأت فى بعض قرى اليهود مستودعات للأسلحة ، وتعيين ضابط لتعليم الأهالى اليهود استعمال هذه

---

(١) الشبان المسلمون ، جـ١ ، م٢ ، جمادى الأولى ١٣٤٨ ، أكتوبر ١٩٢٩م .
(٢) الشبان المسلمون ، جـ٣ ، م٥ ، شعبان ١٣٥٢هـ ، ديسمبر ١٩٣٣م .
(٣) الإخوان المسلمون ، عدد ١٧ ، السنة الأولى ، ٢٠ رجب ١٣٥٢هـ .
(٤) الشبان المسلمون ، جـ١ ، م٣ ، جمادى الأولى ١٣٥٠هـ ، اكتوبر ١٩٣١م .

الأسلحة ضد عرب فلسطين [1] . ونشرت الفتح مطالب عرب فلسطين التى أدلى بها رئيس المجلس الإسلامى الأعلى مع مندوب شركة الصحافة الأمريكية المتحدة فى لندن وهى :

١ ـ تأسيس حكومة نيابية ديمقراطية يشترك فيها جميع الأهالى من مسلمين ونصارى ويهود .

٢ـ العدول عن سياسة وضع البلاد فى حالة سياسية واقتصادية تساعد على إنشاء الوطن القومى اليهودى .

٣ ـ أن يستعاض عن وعد بلفور بما يضمن تساوى جميع أهالى فلسطين ضمن الحكومة النيابية فى الحقوق السياسية والإدارية والاقتصادية بغض النظر عن الجنس والمعتقد ..

٤ ـ أن يكون منح الامتيازات الاقتصادية ـ التى هى احتكار صهيونى ـ وسن القوانين التى يسنها الآن يهودى وصهيونى فى يد الحكومة النيابية .

٥ـ أن تدار جميع الأماكن المقدسة حسب الحالة الراهنة ، بحيث تضمن حرية العبادة والشؤون الدينية للجميع على اختلاف المعتقدات .

٦ـ أن تكون الهجرة إلى فلسطين ضمن قانون تسنه الحكومة النيابية ، ويراعى فيه استطاعة ومصلحة البلاد الاقتصادية والاجتماعية [2] .

وواصلت الصحف الإسلامية الحديث عن مشكلة فلسطين وانتهاكات اليهود لحريات المسلمين فى فلسطين ، وبينت كيف يحاول اليهود اغتيال المسلمين هناك والاعتداء على المسجد الأقصى ، وتدنيس موضع براق النبى ﷺ ، ونشرت الفتح نداءات اللجنة المركزية العربية لإعانة المنكوبين فى فلسطين ، وما جادت به قرائح الشعراء المصريين من قصائد شعرية لإغاثة منكوبى فلسطين ، وتأييدهم ماديا ومعنويا ، وكان أبرز هؤلاء الشعراء محمد صادق عرنوس ، ومحمد النجمى .

ودعا محب الدين الخطيب عرب فلسطين إلى مقاطعة بضائع اليهود ، وذلك أن المقاطعة على حد قوله من أقوى الأسلحة فى محاربة اليهود [3] .وفى مقال بعرض الصفحة الأولى للفتح بعنوان : « اليهود يعتدون على المسلمين فى أماكنهم المقدسة ،

---

(١) الشبان المسلمون ، جـ٣ ، م٦ ، شعبان ١٣٥٣هـ ، ديسمبر ١٩٣٤م .
(٢) الفتح ، عدد ١٦٥ ، ١٦ ربيع الآخر ١٣٤٨هـ ، ١٩ سبتمبر ١٩٢٩م .
(٣) الفتح ، عدد ١٧٥ ، ٢٦ جمادى الآخرة ١٣٤٨هـ ، ٢٨ نوفمبر ١٩٢٩م .

ويوقظون الفتنة النائمة » ندد فيه باعتداء اليهود على المسلمين بعد حادثة البراق وبنائهم حواجز فى أوقاف المسلمين ، وهاجم البلاغ الرسمى الضعيف الذى أصدرته سلطة الانتداب البريطانى إثر هذا الاعتداء ، ولم يكن له أى صدى ، واستصرخ محب الدين الخطيب المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها أن يهبوا للدفاع عن مكان البراق الشريف الذى انتهى إليه إسراء النبى ﷺ ، ومنه ابتدأ معراجه الشريف ، وحذر اليهود أن انتهاك حرمة البراق سيكون من شأنه استثارة غضب المسلمين فى كل أنحاء العالم ؛ لأن هذا العمل تحدى لشعورهم [1] ، ودعا العرب إلى الالتئام ولم الشمل لمواجهة الكيان الصهيونى ، الذى زرعه الاستعمار فى فلسطين ، كما نعى على الفلسطينيين تشتتهم وتفرقهم ، واختلاف كلمتهم [2] .

وكتب عبد الخالق حامد أيضا فى الفتح ، يؤكد أن ثورة اليهود على أهالى فلسطين القصد منها اغتصاب البراق الشريف والحرم المقدس بمساعدة الإنجليز ، وندد بما قام به اليهود من قتل للأبرياء وتخريب المساكن والتنكيل بالوطنيين ، الذين رفضوا احتلال اليهود للبراق [3] .

وأخذ رشيد رضا يعدد مساوئ السياسة الإنجليزية فى الشرق العربى ، وأنها ضربت بمشاعر المسلمين عرض الحائط ؛ لأنها تعلم أن الغرض الأعظم من جعل فلسطين وطنا قوميا لليهود ،هو التمهيد لامتلاكها لإعادة هيكل سليمان لهم ومكان الهيكل فى عرفهم هو المسجد الأقصى الذى له مكانة خاصة فى نفوس المسلمين ، عامة ، والعرب خاصة ، وعرب فلسطين بالأخص .

ولفت رشيد رضا انتباه الحكومة البريطانية فى لندن وفلسطين إلى أن حائط البراق من الأوقاف الإسلامية الثابتة بالتواتر ، وأنه من قواعد ما يسمونه بالانتداب فى فلسطين التى تنص على أن المعاهد الدينية لجميع الملل تبقى على حالها ، لايسمح بالاعتداء عليها[4] .

ونشرت المنار بيان جمعية حراسة المسجد الأقصى والأماكن الإسلامية فى القدس ، والذى وجه إلى مسلمى العالم كله ، حيث وجه الأنظار إلى أن اليهود يحاولون امتلاك البراق بشتى الطرق ، ويعقدون لذلك المؤتمرات العديدة ، وتعمل الجمعيات الصهيونية

---

(١) الفتح ، عدد ١١٦ ، ٢٠ ربيع الآخر ١٣٤٧هـ ، ٤ أكتوبر ١٩٢٨م .
(٢) الفتح ، عدد ١٦٧ ، ٣٠ ربيع الآخر ١٣٤٨هـ ، ٣ أكتوبر ١٩٢٩م .
(٣) الفتح ، عدد ١٧٣ ، ١٢ جمادى الآخرة ١٣٤٨هـ ، ١٤ نوفمبر ١٩٢٩م .
(٤) المنار ، جـ٦ ، م٢٩ ، ربيع الآخر ١٣٤٧هـ ، أكتوبر ١٩٢٨م .

والصحف الصهيونية على التحريض على ذلك الغرض [١] .

وكذلك نشرت المنار قرارات المؤتمر الإسلامى العام الذى انعقد فى القدس فى مسألة البراق ، وكان من أبرز القرارات التى اتخذت فى هذا المؤتمر هى :

١- تأليف جمعية إسلامية كبيرة تدعى جمعية حراسة المسجد الأقصى والأماكن الإسلامية المقدسة ، مركزها العام القدس ، ولها فروع فى جميع العالم الإسلامى .

٢ - توكيل الوفد السورى فى جنيف باتخاذ التدابير اللازمة لصيانة حقوق المسلمين فى الأماكن المقدسة الإسلامية أمام عصبة الأمم ، والرأى العام الغربى .

٣ - نشر نداء إلى عموم الوطنيين أن يحرصوا على أراضيهم ، وعدم بيعها لليهود .

٤ - نشر بيان مفصل للرأى العام فى العالم فى الشرق والغرب فى قدسية البراق الشريف عند المسلمين ، وحقهم الثابت فيه .

٥ - تأليف لجنة تنضم إلى لجنة الدفاع عن البراق الشريف لوضع قانون جمعية الحراسة المذكورة ولتنفيذ مقررات المؤتمر [٢] .

وفى الثلاثينات اشتد هجوم صحافة الاتجاه الإسلامى على تدفق الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، ولاسيما بعد تسلم الحزب النازى فى ألمانيا فى عام ١٩٣٣م ، حيث بدأ فى معاداة السامية ، الأمر الذى ساعد على تدفق سيول المهاجرين إلى فلسطين من ألمانيا ورومانيا ، وبولنيا [٣] ، ومن ثم حفلت الصحف الإسلامية بالحديث عن الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، وبيان خطورتها على مستقبل فلسطين واستقلالها ، وذكر محب الدين الخطيب أنه إذا كان عدد من ينزل فلسطين من اليهود كل عام ٢٥ ألفا فى كل سنة، ففى عام ١٩٤٧م أى بعد أربع عشرة سنة يتساوى العرب واليهود فى فلسطين [٤] ، ثم يصير العرب بعد ذلك أقلية وهذه حقيقة مخيفة جدا ، والمسلم الفلسطينى إذا استخف بنتائجها فليتهم نفسه بالخيانة العظمى ، بدون تردد ، والمسلم من أى جنس إن لم يعاون المسلم الفلسطينى على إبقاء فلسطين عربية مسلمة ، فليعلم أن علاقته بجامعة الإسلام قد طرأ عليها وهن ، وأضاف الخطيب يقول : إن تهديد فلسطين يرجع إلى عاملين :

١ - عامل خارجى : وهو السياسة الصهيونية التى سعى إليها اليهود وأقرها الإنجليز.

---

(١) المنار ، جـ٤ ، م٣٠ ، ربيع الآخر ١٣٤٨هـ ، أكتوبر ١٩٢٩م .

(٢) المنار ، جـ٨ ، م٢٩ ، جمادى الآخرة ١٣٤٧هـ ، ديسمبر ١٩٢٨م .

(٣) أحمد طربين : الوحدة العربية (١٩١٦م ــ ١٩٤٥م) ، بحث فى تاريخ العرب الحديث منذ قيام الثورة العربية حتى نشوء الجامعة العربية ، القاهرة : ١٩٥٩م ، ص٨٢ .

(٤) عدد الفلسطينيين العرب فى ذلك الحين كان يبلغ المليون ، كما أشارت الصحف إلى ذلك .

٢ ـ وعامل داخلى : وهو ضعف عرب فلسطين .

ثم تنبأ بأن فلسطين ستكون يهودية بعد أربعة عشر عاما من عام ١٩٣٥م ، وهذا ما أكدته الأحداث إذ قامت الدولة اليهودية فى فلسطين عام ١٩٤٨م [١] .

وقد حذرت الشبان المسلمون أيضا من مجيء الصهيونين إلى فلسطين ومن الهجرات المتزايدة من اليهود التى تفد إلى فلسطين كل عام ، وحذرت أيضا الفلسطينيين من بيع أراضيهم لليهود ، وحينما أنشأ الإنجليز ميناء حيفا بحجة خدمة الفلسطينيين ذكرت الشبان المسلمون أن الإنجليز ما أنشؤوا هذا الميناء إلا ليكون منفذا لأنابيب البترول الذى يأتى من العراق ، ثم لتجارة اليهود ، التى أنشؤوها وعملوا على صيانتها بأموال ومساعدات يهود العالم أجمع ، وكيف يستفيد الفلسطينيون من هذا الميناء وهم قوم بؤساء يموتون جوعا ، ولا يملكون بالطبع ما يصدرونه ولامايستوردونه [٢] .

وكان لصحافة الإخوان المسلمين والشبان المسلمين دور بارز فى خدمة القضية الفلسطينية منذ بداية تطورها بعد حادثة البراق ، وقد نبع اهتمام الإخوان المسلمين بالقضية الفلسطينية من شعور بحق العروبة ورابطة الإسلام ، على حد قول الإمام حسن البنا ، وكان العامل الدينى هو الأساس فى احتضان الإخوان المسلمين لقضية فلسطين باعتبارها جزءا من العالم الإسلامى ، الذى يرى الإخوان المسلمون أن أى اعتداء على قسم منه هو اعتداء على باقى الأقسام ، وأن واجب المسلمين فى سائر ديارهم مد يد العون بعضهم لبعض [٣] .

وقد دأبت صحيفة الإخوان المسلمين على توجيه اللوم والنقد لموقف المفكرين المصريين المتسم بالسلبية إزاء هذه القضية الإسلامية المهمة ، وكذلك لموقف باقى الفئات الإسلامية فى مصر من شباب وأطباء وأثرياءلتقاعسهم عن التطوع للدفاع عن هذا الوطن المقدس ، وعدم التبرع بالأموال لإنقاذ الديار الفلسطينية ، وإرسال البعثات الطبية لعلاج المرضى والجرحى وشهداء الإسلام هناك [٤] .

وانتقدت المنار فى عديد من مقالاتها موقف الإنجليز الذين يحابون اليهود ويمكنونهم من الانتصار على الفلسطينيين ، ويمهدون لهم الاستيلاء على مرافقها ، وأعلنت أن غرضهم الباطن من ذلك تفريق الوحدة العربية فى قلب بلادها ، وإيجاد أعداء للعرب من غير الإنجليز يشغلونهم بهم عن عداوتهم،ويعلقون آمال الفريقين ببقاء حكمهم عليهم[٥] .

(١) أنور الجندى ، الفتح ، تاريخ الصحافة الإسلامية ، جـ٢ ، ص٩٦ ، ٩٧ .
(٢) الشبان المسلمون ، جـ٥ ، م٥ ، شوال ١٣٥٢هـ ، فبراير ١٩٣٤م .
(٣) عواطف عبد الرحمن : مصر وفلسطين ، مرجع سابق ، ص١٢٦ .
(٤) الإخوان المسلمون ، ٢٨ صفر ١٣٥٥هـ ، مايو ١٩٣٦م .
(٥) المنار ، جـ٧ ، م٣٠ ، شعبان ١٣٤٨ هـ ، يناير ١٩٣٠م .

وفى أكتوبر عام ١٩٣٥م تقرر إعلان الإضراب العام فى جميع مدن وقرى فلسطين احتجاجا على تهاون الحكومة فى دخول الأسلحة والذخيرة لليهود فى فلسطين ، ثم ظهرت حركة ثورية فى منتصف نوفمبر ١٩٣٥م قادها الشيخ عز الدين القسام ، وخاضت المعارك ضد القوات البريطانية ، وانتهت باستشهاد الشيخ القسام وعدد من رجاله ، فى ٢ نوفمبر ١٩٣٥م . ولم يمض سوى بضعة أشهر على هذا الحادث ، حتى شبت ثورة فلسطين الكبرى عام ١٩٣٦م [١] ، واستمرت ثلاثة أعوام ، وخلال هذه الثورة كانت الصحف الإسلامية فى مقدمت الصحف المصرية التى آزرت جهود الفلسطينيين ، وأيدت ثوراتهم وعملت على استثارة الحمية الدينية لدى المصريين لإنقاذ المقدسات الإسلامية فى فلسطين ، فتقول صحيفة الإخوان المسلمين على لسان أحد أعضائها : « لو سار المسلمون كما سرنا إلى أرض فلسطين ، ورأوا أسراب الرجال والنساء ونظروا كتائب اليهود المنظمة، وجيوش الصهاينة الظالمة التى تفد على أرض فلسطين من سائر بقاع الأرض ، ثم نظروا كيف يتجمعون عند الحرم ، ويقفون عند البراق الشريف فينفخ أحدهم فى البوق خلافا لكل عرف ونظام فيجيبه جمهور اليهود ، لو نظر المسلمون ذلك ، وفهموا ما يرمى إليه اليهود من ورائه لتجافت جنوبهم عن المضاجع وسارعوا لإنقاذ الحرم ، قبل أن يأتى الوقت الذى يريدون فيه الصلاة فلا يستطيعون » [٢] .

ودعا الدكتور يحيى الدرديرى على صفحات مجلة « الشبان المسلمون » إلى الجهاد المقدس لإغاثة الفلسطينيين ، ونعى على المسلمين تأخرهم وتقاعسهم عن نصرة الفلسطينيين وانغماسهم فى الشهوات المادية ، وتضييع الأموال فى المتعة الجسدية والاسترسال فى الملذات [٣] .

وأصدر رئيس اللجنة العليا لإغاثة منكوبى فلسطين فى القاهرة الدكتور عبد الحميد سعيد بيانا حذر فيه بريطانيا من تهويد الأراضى الفلسطينية ، ومساعدتها على قتل الفلسطينيين ، ودعا العالم الإسلامى إلى إنقاذ الفلسطينيين من ويلات الإنجليز واليهود[٤].

وأشارت صحيفة «الإخوان المسلمون» إلى أن منهاج اليهود والمطامع الصهيونية لا تقف عند بيت المقدس فحسب ، بل هى تتطلع إلى دولة صهيونية واسعة الأكناف مترامية الأطراف ، وليس أمامهم إلا صحراء سيناء ، وفيها جبل الطور ، ومن ثم فالمجاهدون من

---

(١) عادل غنيم : الحركة الوطنية الفلسطينية من ثورة ١٩٣٦م حتى الحرب العالمية الثانية ، مرجع سابق ، ١٦ ، ١٧.
(٢) الإخوان المسلمون ، ٨ شعبان ١٣٥٤هـ ، ٥ نوفمبر ١٩٣٥م .
(٣) الشبان المسلمون ، جـ١٠ ، م٧ ، ربيع الآخر ١٣٥٥ هـ ، يوليو ١٩٣٦م .
(٤) الشبان المسلمون ، جـ١ ، م٨ ، رجب ١٣٥٥هـ ، أكتوبر ١٩٣٧م .

أبناء فلسطين حين يدفعون الشر اليهودى يدفعونه عن أنفسهم وأوطانهم ويقومون بالواجب فى حراسة المقدسات عن ٤٠٠ مليون نسمة من المسلمين فى أنحاء الأرض .

وناشدت صحيفة « الإخوان المسلمون » و « الشبان المسلمون » المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها أن يمدوا مجاهدى فلسطين بما يفيض عنهم من نفقة ومال باسم الإسلام والأخوة والإنسانية (١) ، وأن يقفوا فى وجه الاعتداءات الإنجليزية على مقدسات المسلمين فى فلسطين ، وارتكابهم الفظائع والآثام فى حق الشعب الفلسطينى المسلم « فمن نَفْى إلى تشريد إلى زَجٍّ بالمئات من خيرة شبابه فى غياهب السجون ، إلى فرض الضرائب الباهظة على القرى الآمنة ، إلى تدمير المنازل بالديناميت على من فيها ، إلى الحكم بالإعدام من المحاكم العسكرية الدائبة على إصدار أحكامها بلا شفقة ولا رحمة » (٢) .

وتشير الإخوان المسلمون إلى هدم الاستعمار مدينة يافا بالديناميت وتشتيت أكثر من خمسة آلاف من أهلها ، وانتهاك حرمة المساجد فى المدن والقرى كمسجد الشيخ رسلان والشيخ فالح والرفاعى والجامع الكبير ، وتمزيق المصاحف الشريفة ودوسها بالأقدام ، والعدوان على المصلين ، وعلى النساء المخدرات ، وقتلهن بالرصاص ، وفرض الغرامات الباهظة على الأهالى ومنع المؤنة عنهم (٣) .

وتؤيد صحيفة الإخوان الثوار الفلسطينيين وتنشر بياناتهم ، وتشيد بما يقومون به من قتل للضباط الإنجليز ، وإطلاق الرصاص على تجمعات اليهود العامة فى دور السينما والسيارات والمعسكرات وحرق الثكنات العسكرية ، وإتلاف أنابيب بترول العراق فى الأراضى الفلسطينية ، والهجوم على القطارات والمحال العامة (٤) .

وقد تشكلت لجنة من الإخوان المسلمين يرأسها الشيخ حسن البنا لمساعدة الفلسطينيين وتقديم يد المعونة لهم ، ثم تشكلت عدة لجان فى الأقاليم المصرية لجمع التبرعات لمنكوبى فلسطين ، وإرسال برقيات الإحتجاج إلى المندوبين الساميين فى مصر وفلسطين ، وكانت صحيفة الإخوان تنشر برقيات هذه اللجان المرسلة إلى الحكومة البريطانية فى لندن ، وإلى صحفها الكبرى ووكالات الأنباء لعرض القضية الفلسطينية ، كذلك كانت تنشر المحاضرات التى كانت تلقى فى دار جمعية الإخوان المسلمين لمناصرة القضية الفلسطينية (٥) ،

(١) الإخوان المسلمون ، عدد ٧ ، السنة الرابعة ، ٥ ربيع الأول ١٣٥٥ هـ ، ٢٦ مايو ١٩٣٦م ، والشبان المسلمون ، جـ٥ ، م٩ ، ذو القعدة ١٣٥٦ هـ ، فبراير ١٩٣٨م .

(٢) الشبان المسلمون ، جـ٥ ، م٢٩ ، ذو القعدة ١٣٥٦هـ ، فبراير ١٩٣٨م .

(٣) الإخوان المسلمون ، عدد ٢٠ ، السنة الرابعة ، ٧ جمادى الآخرة ١٣٥٥هـ ، ٢٥ أغسطس ١٩٣٦م .

(٤) المصدر السابق نفسه .

(٥) الإخوان المسلمون ، عدد ٨ ، السنة الرابعة ، ١٢ ربيع الأول ١٣٥٥هـ ، ٢ يونيه ١٩٣٦م .

واحتجاجات أعضاء جمعية الإخوان المسلمين إلى كل من وزير الخارجية والمندوب السامى بالقدس والقاهرة وسكرتير لجنة الإنتداب بعصبة الأمم ،واحتجاجات طلبة الأزهر الشريف ضد حوادث الاضطهاد فى فلسطين ، ونفى زعماء الثورة الفلسطينية وقادتها[1].

وحينما ذهب وفد من الخدمة المصريين وعمال الطهى والسعاة لمرافقة القوة البريطانية التى سافرت من مصر إلى فلسطين ، نددت صحيفة الإخوان المسلمين بالحكومة المصرية التى سمحت لهؤلاد العمال بالسفر ، واستنكرت عليهم أن يذهبوا لمساعدة من يقاتلون إخوانهم الفلسطينيين ، وأشار عبد الرحمن البنا إلى أن هؤلاء العمال قد خلت قلوبهم من الروح الإسلامية، ولم يبق فى عروقهم نبضة دم عربية، ووصفهم بالنذالة والسقوط، وحمل محمد توفيق دياب المسؤولية على السلطة المحلية المختصة بإجازات السفر إلى الخارج [2] .

ومضت الصحف الإسلامية تشن الحرب على الإنجليز واليهود ، وكتب محمد الشافعى رئيس تحرير صحيفة الإخوان المسلمين مقالا بعنوان : « سياسة الإنجليز مع العرب » أشار فيه إلى خلف الإنجليز لوعودهم مع العرب ، وأن صداقة الإنجليز للعرب صداقة مزيفة ، فقد أقامت بريطانيا الصهيونية لتكون شوكة فى حلق الأمة العربية ، وتسخيرها لمآربهم ضد كل نهضة للعرب ، وانتقد الدكتور محمد حسين هيكل سياسة إنجلترا تجاه فلسطين فقال : « إنجلترا التى كانت قبل الحروب منذ أكثر من نصف قرن تعمل لتحرير الأرقاء قد صارت إنجلترا التى تعلن الحرب اليوم على شعب ضعيف أعزل ليكون عبدا رقيقا مقابل الثمن الذى يدفعه الصهيونيون لإنجلترا » [3] .

ونشرت مجلة « الشبان المسلمون » استنكار المركز العام للشبان المسلمين على الإجراءات التى اتخذتها الحكومة البريطانية فى فلسطين من اعتقال زعماء العرب ونفى كثير منهم ، وفصل سماحة السيد محمد أمين الحسينى رئيس مجلس فلسطين الأعلى من منصبه الدينى[4] .

ولما عقد مؤتمر بلودان [5] لمناصرة القضية الفلسطينية ، بادرت مجلة الشبان المسلمين

---

(١) الإخوان المسلمون ، عدد ٢٢ ، السنة الخامسة ، ٢ رمضان ١٣٥٦هـ ، ٥ نوفمبر ١٩٣٧م .

(٢) الإخوان المسلمون ، عدد ٢٤ ، السنة الرابعة ، رجب ١٣٥٥ هـ ، ٢٢ سبتمبر ١٩٣٦م .

(٣) الإخوان المسلمون ، عدد ٢٧ ، ٢٧ رجب ١٣٥٥هـ ، ١٢ أكتوبر ١٩٣٦م .

(٤) الشبان المسلمون ، جـ٤ ، م٩ ، شوال ١٣٥٦هـ ، يناير ١٩٣٨، .

(٥) مؤتمر بلودان مؤتمر عربى عقد فى مدينة بلودان بسوريا لمناصرة القضية الفلسطينية ومقاومة أخطار الصهيونية التى تهدد الوطن العربى ، وإنشاء دولة يهودية فى فلسطين ، وبلغ عدد الأعضاء الذين حضروه ٤٥٠ عضوا من الشخصيات السياسية والعامة فى البلاد العربية .

إلى تأييد هذا المؤتمر ، ونشرت برقية من المركز العام للشبان المسلمين بالقاهرة إلى المؤتمرين تؤيد حقوق الفلسطينيين ، وتعتبر قضيتهم قضية العالم الإسلامى أجمع التى يجب الزود عنها (١) .

وكتب الدكتور يحيى الدرديرى فى مقال بعنوان : « فلسطين الذبيحة بين الحياة والموت » ندد بالسياسة الاستعمارية فى فلسطين التى انتزعت فلسطين من أهلها انتزاعا بغير حق ، وشردت سكانها قهرا دون مراعاة لأبسط الحقوق الإنسانية التى تقضى بها المدنية الحاضرة ، وحذر من السكوت على حل القضية الفلسطينية ، فقال : « فلسطين إن لم تحل مسألتها حلا عادلا يضمن حقوقها كاملة فى وطنها ستكون بمثابة الديناميت الذى يشعل النار فى مساحات واسعة فى جميع العالم الإسلامى والمسيحى وغيره . . لأن مسألة فلسطين ليست مسألة أراضى فحسب ، بل هى قبل كل شىء مسألة دينية إسلامية ومسيحية لها خطورتها الكبرى ، وشأنها العظيم الذى لا يغفل » (٢) .

أما عن موقف صحف مصر الفتاة من قضية فلسطين ، فقد شنت الحرب على إنجلترا ونددت بموقفها المؤيد لليهود ، والمنكر لحقوق الفلسطينيين ، وحملت على سياسة الحكومة المصرية لعدم مؤازرتها للفلسطينيين (٣) ، وأعلن أحمد حسين على صفحات «مصر الفتاة » الحرب على يهود مصر لمساعدتهم يهود فلسطين ، وجعل قضية فلسطين فى صدارة جهاده ، ومن ثم اتهمه اليهود بالفاشية ، وروج لهذه التهمة بعض اليساريين المصريين (٤) .

ورفضت مصر الفتاة مشروع تقسيم فلسطين ـ الذى اقترحته إنجلترا ــ إلى قسمين : قسم لليهود ، وقسم للعرب ، وحذرت إنجلترا من فكرة التقسيم هذه ، وذكر أحمد حسين أنه إذا لم تخلع إنجلترا عن هذه الفكرة وإذا لم يتنازل اليهود عن مزاعمهم فى فلسطين ، فإن حزب مصر الفتاة سيعلن الجهاد المقدس والحرب عليهم (٥) ، وكذلك بين أحمد حسين خطر الوجود الإسرائيلى على مستقبل الأقطار العربية ؛ لأنها تمثل عائقا بين تواصل الدول العربية فى التعاون والتعامل فى كل المجالات الاقتصادية والثقافية وغيرها ، فضلا عن خطر الوجود الإسرائيلى على الحدود الشرقية المصرية ، وما يحدثه من قلق واضطراب على سياسة مصر (٦) .

---

(١) الشبان المسلمون ، جـ١ ، م٩ ، رجب ١٣٥٦هـ ، أكتوبر ١٩٣٧م .
(٢) الشبان المسلمون ، جـ ٢ ، م٩ ، شعبان ١٣٥٦هـ ، نوفمبر ١٩٣٧م .
(٣) الصرخة ، ١١ يونيو ١٩٣٦م .
(٤) مصر الفتاة ، ٢٥ مايو ١٩٣٩م .
(٥) مصر الفتاة ، ٢٣ مايو ١٩٣٨م .
(٦) مصر الفتاة ، ١٠ أكتوبر ١٩٣٨م .

وبعد هذا العرض لمعالجة صحافة الإتجاه الإسلامى لقضية فلسطين نستطيع أن نبرز النقاط التالية :

١ ـ اعتبرت الصحف الإسلامية قضية فلسطين قضية عربية إسلامية خطيرة يفرض الدفاع عنها على كل مسلم ، لوجود المسجد الأقصى ، ولأن فلسطين هى مفتاح البلاد العربية والأماكن المقدسة الأخرى .

٢ـ عملت على إثارة هذه القضية لدى الرأى العام المصرى ، واستطاعت أن تخلق اتجاها فكريا مواليا لمناصرة قضية فلسطين ، واستثارت الحمية الدينية لدى الوطنيين المصريين لإنقاذ المقدسات الإسلامية .

٣ ـ شنت حملات شديدة على وعد بلفور ، وعارضت فكرة إقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين ، وحملت بريطانيا تبعة سياستها القديمة والجديدة إزاء عرب فلسطين .

٤ ـ أسهمت فى مواجهة الاتجاه الصهيونى الذى كانت تقوده الصحف اليهودية فى مصر ، كصحيفة الشمس وإسرائيل والاتحاد الإسرائيلى ، وكشفت عن أبعاد المؤامرة الصهيونية وخطرها على العرب والمسلمين .

٥ ـ تابعت أحداث القضية الفلسطينية وتطوراتها حتى قيام الحرب العالمية الثانية ، وأيدت ثورات الفلسطينيين ضد الاحتلال والصهيونية ، والنشاط الوطنى الفلسطينى ، وانتقدت مواقف الإنجليز الذين يحابون اليهود ، ويمكنونهم من الانتصار على الفلسطينيين.

٦ـ تولت الرد على كثير من الافتراءات والأخبار الكاذبة التى كانت تروجها وكالات الأنباء البريطانية والفرنسية عن الكفاح الفلسطينى .

٧ـ طالبت بصيانة حقوق العرب من مسلمين ونصارى فى فلسطين ، صيانة تقوم على الاعتراف باستقلالهم الصحيح .

٨ ـ فندت مزاعم بعض الصحف المصرية التى أيدت حق اليهود فى فلسطين ، ودأبت على توجيه اللوم والنقد لموقف المفكرين المصريين المتسم بالسلبية إزاء هذه القضية، وأكدت على علاقة الماسونية فى مصر بيهود فلسطين .

٩ـ دافعت عن أحقية العرب والمسلمين لحائط البراق ، ونددت بالمذابح والاعتداءات اليهودية لعرب فلسطين ، وأيدت الحركة الوطنية الفلسطينية وأفسحت صفحاتها لنشر ما يصدر عنها من بيانات .

١٠ـ قدمت احتجاجات الجمعيات والمؤسسات الإسلامية على ادعاءات اليهود لامتلاك حائط البراق ، واستصرخت المسلمين فى كل مكان أن يدافعوا عن مكان البراق

الشريف ، وأثبتت أن مكان البراق من الأوقاف الإسلامية الثابتة بالتواتر .

١١ ـ دعت إلى مقاطعة البضائع اليهودية ، ودعت العرب فى كل مكان إلى مواجهة الكيان الصهيونى ، وهاجمت تدفق الهجرة اليهودية وبيان خطورتها على مستقبل فلسطين واستقلالها .

١٢ ـ أعلنت الدفاع المقدس لإنقاذ فلسطين ، ودعت إلى التطوع بالنفس والتبرع بالمال وإرسال البعثات الطبية والأدوية لإنقاذ منكوبى فلسطين .

١٣ـ أشارت إلى أن منهاج اليهود والمطامع اليهودية لا تقف عند بيت المقدس فحسب، بل تتطلع إلى دولة صهيونية يهودية مترامية الأطراف .

١٤ ـ تنبأت بقيام دولة يهودية فى عام ١٩٤٨م واحتلال اليهود صحراء سيناء .

١٥ ـ من أبرز كتاب الصحافة الإسلامية فى هذا المجال : رشيد رضا ، ومحمد على الطاهر ، ومحب الدين الخطيب ، وحسن البنا ، وأحمد حسين ، وأحمد إبراهيم السراوى ، والدكتور عبد الحميد سعيد ، والدكتور يحيى الدرديرى ، وأحمد زكى باشا ، ومحمد على علوبة ، وعبد الرحمن البنا ، ومحمد الشافعى ، وإبراهيم حسن الخطاب .

الباب الثالث

صحافة الاتجاه الإسلامى والدعوة الإسلامية

ويشتمل على :

الفصل الخامس : دور صحافة الاتجاه الإسلامى فى التفقيه والإرشاد.

الفصل السادس : دور صحافة الاتجاه الإسلامى فى مقاومة المذاهب المنحرفة.

الفصل السابع : دور صحافة الاتجاه الإسلامى فى مقاومة حملات التبشير بالنصرانية .

الفصل الخامس

دور صحافة الاتجاه الإسلامى فى التفقيه والإرشاد

يعالج هذا الفصل دور صحافة الاتجاه الإسلامى فى تفقيه الجماهير المسلمة بأمر دينها، وإرشادهم إلى السلوك السوى ، الذى يرتكز على تعاليم الإسلام ، ويوضح إسهامات الصحافة الإسلامية فى نقل التراث الدينى إلى الأجيال الحاضرة ، وبيان وجهة النظر الإسلامية فيما يستجد من آراء ومناقشات حول بعض القضايا الإسلامية، ويشرح قواعد الدين الإسلامى، وحث الناس على إقامة فرائضه ، والتمسك بسنته ، وتقويم الوعاظ والخطباء ، وإرشادهم إلى الطرق الصحيحة فى الدعوة إلى الله ، والاهتمام بقضايا الدعوة فى البلاد الإسلامية ، وإزالة الفوارق بين المذاهب الإسلامية المختلفة ، وتصحيح المفاهيم الخاطئة عن الإسلام وتشريعاته .

فى مجال التفقيه والإرشاد حفلت الصحف الإسلامية بالمقالات والخطب والقصائد والمحاضرات العلمية التى كان يلقيها كبار العلماء عن الدين الإسلامى فى مختلف المناسبات الإسلامية وفى الثقافة الإسلامية ، والتاريخ الإسلامى والفكر الإسلامى ، وأبرز الأمثلة على ذلك ما نشرته « الفتح » من محاضرات الشيخ محمد الخضر حسين عن علماء الإسلام فى الأندلس[١] ، وسلسلة المحاضرات التى ألقاها الشيخ يوسف الدجوى فى نادى جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة بعنوان : « علم الطبيعة برىء من الإلحاد ، والملحدون كاذبون فيما يدعون إليه » ، « أدلة وجود الله وإثبات الروح والبعث »[٢] . ونشرت مجلة الهداية الإسلامية محاضرة بعنوان : « علاقة الإسلام برقى المجتمع البشرى وسعادته » ألقاها الشيخ حامد محيسن المدرس بالقسم العالى بالأزهر الشريف فى نادى جمعية الشبان المسلمين ، تناول فيها بحث حال المسلمين بالنسبة إلى دينهم وحال غيرهم ، وشرح فيها علاقة الإسلام بالرقى الاجتماعى وإسهام الإسلام فى الرقى الاقتصادى والأخلاقى والأدبى وأيضا الرقى السياسى الدولى [٣] .

وكان نادى جمعية الشبان المسلمين ملتقى لرجال الفكر والأدب من كل أنحاء العالم الإسلامى ، وكانت مجلة الشبان المسلمين والصحف الإسلامية الأخرى تنشر مايلقيه هؤلاء من محاضرات ومقالات تتناول كل شؤون الحياة ، وبعض هذه المحاضرات كانت

---

(١) الفتح ، عدد ١٠١ ، ٣ محرم ١٣٤٧هـ ، ٢١ يونيه ١٩٢٨م .
(٢) الفتح ، عدد ١٣٣ ، ٢٠ شعبان ١٣٤٧هـ ، ٣١ يناير ١٩٢٩م .
(٣) الهداية الإسلامية ، جـ٢ ، م١ ، رجب ١٣٤٧هـ .

تلقى بلغة غير العربية ، وتقوم بتعريبها الصحف ، ومن ذلك المحاضرة التى ألقاها أمير على الهندى بالإنجليزية بعنوان : « روح التعاليم الإسلامية » ، ونشرتها معربة « الشبان المسلمون »[1] .

كذلك نشرت « الفتح » خلاصة المحاضرات التى ألقاها الأستاذ عجاج نويهض ـ مترجم كتاب « حاضر العالم الإسلامى » ـ فى جمعية الشبان المسلمين بنابلس ، وفى كلية روضة المعارف بالقدس بعنوان : « الغرب والثقافة الإسلامية بعد الحرب العالمية الأولى »، والذى عرض فيها للانقلاب الاجتماعى والسياسى والثقافى فى العالم الإسلامى[2] ، ونقلت « الفتح » محاضرة ألقاها الشيخ محمد العدوى من علماء الأزهر بنادى حزب العمال بالمنصورة عنوانها : « الدين وأثره فى نفس العامل » شرح فيها دور الدين فى تكوين العامل المصرى[3] .

وكانت صحيفة « الإخوان المسلمين » تنشر المحاضرات والدروس الوعظية التى كانت تلقى فى المركز الرئيسى للإخوان المسلمين وفروعه المنتشرة فى الأقاليم ، وكانت تقدم على صفحاتها فى القسم التى أطلقت عليه القسم التاريخى بعض الأعلام المشهورة فى التاريخ الإسلامى من الصحابة رضوان الله عليهم ، والدعوة الإسلامية وأسباب انتشارها والعوامل التى ساعدت على نجاحها [4] ، هذا بالإضافة إلى المقالات الإرشادية التى تدعو إلى ترك المنكرات والتمسك بدين الله وأوامر شرعه ، وتنعى على المسلمين جهلهم بأمور دينهم وتفريطهم فيما جاء به رسول الله ﷺ ، واندفاعهم فى تقليد الغربيين فى غير تبصر، يتضح ذلك من عناوين المقالات الآتية : « موقف المسلمين حيال المنكرات فى العصر الحاضر » ، « ضياع الدين بين أبنائه » ، « الدين والمدنية » ، « المكر والبغاء » ، «إصلاح النفوس » ، « المواد المخدرة وضررها وأنجح الطرق لتلافى انتشارها » ، « ضرر الإلحاد والإباحة » ، « حق الجماهير المسلمة على علمائهم » ، « الأمة الإسلامية وحركة الاعتداء عليها » .

وشارك الشعراء أيضا فى الدعوة ، وكانت الصحف الإسلامية مجالا لنشر القصائد الشعرية الوعظية ، ومن هذه القصائد قصيدة بعنوان : « حصنان للإيمان » لمصطفى صادق

---

(١) الشبان المسلمون ، جـ ٩ ، م ١ ، محرم ١٣٤٩هـ ، يونيه ١٩٣٠م ، وجـ١٠ م ١ ، صفر ١٣٤٩هـ ، يوليو ١٩٣٠م ، محاضرة للدكتور عبد الكريم أحمد السكرى ، بعنوان : « الحصانة الخلقية » ، ومحاضرة أخرى ألقاها الشيخ محمد الخضر حسين بعنوان : « الخطابة عند العرب » ونشرتها الفتح فى عددها ٩٤ بتاريخ ١٣ ذو القعدة ، ٣ مايو ١٩٢٨م .

(٢) الفتح ، عدد ١٣٤ ، ٢٧ شعبان ١٣٤٧هـ ، ٧ فبراير ١٩٢٩م .

(٣) الفتح ، عدد ٣٢ ، ١٦ رجب ١٣٤٥هـ ، ٢٠ يناير ١٩٢٧م .

(٤) الإخوان المسلمون ، عدد ٢ ، السنة الأولى ، ٢٨ صفر ١٣٥٢هـ .

الرافعى ، وقصيدة بعنوان : « الدين والملحدون وواجب العلماء » للشاعر محمد على يحيى الذى قال فى مطلعها :

بالدين جرح فـى الحشاشـة دام | تـأبـاه غيـره عالـم الإسـلام
خطـب ألم به فهـل أساة ضمـدا | ذا الجرح أم سكتو مخافة رام[1]

وغير ذلك من القصائد الشعرية للشاعر محمد البسطامى النابلسى ، والشاعر يس يوسف ، وابن رواحة .

وكانت بعض الصحف الإسلامية تنشر فى معظم الأحيان خطبا دينية منبرية ، واشتهر فى ذلك صحيفة المنار والهداية الإسلامية ، والإخوان المسلمون ، من ذلك خطبة بعنوان : « محاسن الدين الحنيف »[2] ، وخطبة أخرى ألقاها الشيخ محمد عبد العزيز الخولى فى جامع الخازندارة بشبرا ، ونشرتها « المنار »[3] .

كذلك عنيت الصحف الإسلامية بنشر البحوث العلمية والمحاضرات والمقالات الإصلاحية ، ومن أبرز الأمثلة على ذلك ما نشرته « المنار » بعنوان : « كتاب الموجز فى الاجتماع » لصاحبه عارف بك الكندى ، أستاذ علم الاجتماع فى معهد الحقوق وأحد أعضاء المجمع العلمى بدمشق ، وقد أبطل فيه الكاتب مذهب دارون القائل بوحدة أصل الإنسان ، وفند حججه بأسانيد علمية ودينية إسلامية[4] . ونقلت المنار البحث الذى ألقاه الأستاذ عبد القادر المغربى فى كلية الصلاحية الإسلامية بالقدس على هيئة إدارتها وأساتذتها وطلابها بعنوان « علاقة الأحياء بالأموات » ندد فيه بما يفعله العوام فى زياراتهم لقبور الأموات من طلب الرزق وطلب النفع لهم والضر لغيرهم وشفاء مريضهم وقهر عدوهم ، وغير ذلك من الأشياء التى لا ينبغى سؤالها إلا لله ، وأثبت أن السلف الصالح بالرغم من أنهم كانوا يزورون الموتى إلا أنه لم يثبت أن أحدا طلب منهم شيئا ، ولم يثبت أيضا أن الرسول طلب من جده إسماعيل أو إبراهيم شيئا[5].

ونشر رشيد رضا بحثا لشيخ الإسلام تقى الدين أحمد بن تيمية عن أهل الصفة وأباطيل بعض المتصوفة فيهم وفى الأولياء وأصنافهم والدعاوى فيهم[6] ، ونشرت المنار أيضا مناظرات ابن تيمية ومجادلاته لدجاجلة الرفاعية ، وهى من أعظم ما تصدى له وقام

---

(١) الفتح ، عدد ٣٥ ، ٨ شعبان ١٣٤٥هـ ، ١٠ فبراير ١٩٢٧م .
(٢) الهداية الإسلامية ، جـ ٤ ، م ١ ، رمضان ١٣٤٧هـ .
(٣) المنار ، جـ ٢ ، م ٢٧ شوال ١٣٤٥هـ، أبريل ١٩٢٧م .
(٤) المنار ، جـ ٤ ، م ٥ ، ٢٧ ذى الحجة / محرم ١٣٤٤ ـ ١٣٤٥هـ ، يوليو / أغسطس ١٩٢٦م .
(٥) المنار ، جـ ٣ ، م ٢٧ ، ذو القعدة ١٣٤٤هـ، يونيه ١٩٢٦م .
(٦) المنار ، جـ ٤ ، م ٢٣ ، شعبان ١٣٤١هـ، أبريل ١٩٢٣م .

به شيخ الإسلام تقى الدين أحمد بن تيمية من إقامة فريضة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وإحياء السنة ومحاربة البدعة بعد أن أهمل ذلك الحكام ، ففشت البدع وصار كثير منها يعد من شعائر الدين[1] ، وكذلك نشرت المنار سلسلة مقالات عن تاريخ الحرم الشريف منذ بناه الخليل إبراهيم حتى العصر الحديث[2] ، ومجموعة مقالات عن الدعوة الوهابية وتطورها وانتشارها[3] .

ويلاحظ أن الصحف الإسلامية كانت تنقل عن المجلات والجرائد الإسلامية الصادرة فى بعض الدول الإسلامية ، وتنتقد أقوالها فى بعض الأحيان مثل جريدة القبلة الحجازية وجريدة أم القرى ومجلة الشرق والغرب ، والجريدة العربية الإسلامية التى صدرت فى مكة بدلا عن جريدة القبلة ، وكذلك الجرائد الإسلامية فى فلسطين وسوريا وغيرها ، ونقلت « الفتح » عن جريدة الجامعة العربية قول المؤرخ الإنجليزى ولز عن مدنية الإسلام: « إن الديانة الحقة التى وجدتها تسير مع المدنية أنى سارت هى الديانة الإسلامية، وإذا أراد الإنسان أن يعرف شيئا مـن هـذا فليقرأ القرآن وما فيه من نظرات علمية وقوانين وأنظمة لربط المجتمع ، فهو كتاب علمى دينى واجتماعى تهذيبى خلقى تاريخى ، وكثير مـن أنظمـته وقوانينه تستعمل فى وقتنا الحالى ، وستبقى مستعملة إلى يوم القيامة» [4] .

وقدمت المنار على صفحاتها نقلا عن مجلة الشرق والغرب بحثا عن بلاد العرب وأحوالها للبحاثة الإيطالى كيتانى تناول فيه حالة الجزيرة العربية الجيولوجية وطبيعتها الجغرافية وهجرات أهلها منها إلى حيث أقاموا الحضارات القديمة[5] ، ونشرت أيضا مقالات من جريدة البيان التى تصدر فى نيويورك ، منها مقالة لكاتب أسبانى يسمى «أزيك دى مناس » نشرها فى جريدة هرالد ربيون عن الأمير محمد عبد الكريم بعنوان : «بطل الحرب والإسلام » تحدث عن بطولاته فى الدفاع عن بلاده « المغرب » ضد الفرنسيين[6] .

وعنيت الصحف الإسلامية بتقريظ المطبوعات الجديدة ، والتعريف بالكتب التى تخرجها المطابع ، ولاسيما ما يخص منها الموضوعات الإسلامية ، فعرضت المنار على

---

(١) المنار ، جـ ٢ ، م ٢٦ ، ذو القعدة ١٣٤٣هـ ، يونيه ١٩٢٥م .
(٢) المنار ، جـ ٩ ، م ٢٤ .
(٣) المنار ، جـ ٣ ، م ٢٧ ، ذو القعدة ١٣٤٤هـ، يونيه ١٩٢٦م .
(٤) الفتح ، عدد ١١٠ ، ٨ ربيع الأول ١٣٤٧هـ، ٢٣ أغسطس ١٩٢٨م .
(٥) المنار ، جـ ٦ ، م ١٩ ، ١٣٣٦هـ، ١٩١٨م .
(٦) المنار ، جـ ٢ ، م ٢٦ ، ذو القعدة ١٣٤٣هـ، يونيه ١٩٢٥م .

سبيل المثال لكتاب « شرح البيع فى القوانين المصرية والفرنسية والشريعة الإسلامية » تأليف محمد حلمى عيسى بك [1] ، وكانت هذه الصحف تنشر فصولا من كتب المؤرخين المشهورين ، فنشرت المنار مقتطفات من كتاب اللورد هدلى ـ الذى أسلم ولقب بسيف الرحمن ـ « إيقاظ الغرب للإسلام » ، وفى هذا الكتاب يصحح بعض المفاهيم الخاطئة الراسخة فى أذهان الغربيين عن الدين الإسلامى والمسلمين ، وأشار فيه إلى جهود أوربا فى تنصير المسلمين وانتقد عقيدة التثليث لدى النصارى قائلا : « إن عقيدة التثليث هى عقيدة مشوهة لا يقبلها العقل وأن آلافا من الرجال والنساء فى أوربا مسلمين قلبا ، ولكن خوف الانتقاد ، والرغبة فى الابتعاد عن الاضطهاد الناشئ على التغيير تآمرا على منعهم من إظهار معتقداتهم »[2] ، وكتب الدكتور نجيب الأرمنازى كتابا عن التشريع الدولى فى الإسلام باللغة الفرنسية ، ونشرته، « الفتح » على مراحل فى سنتها الخامسة، بدءا من العدد ٢٠٢ الصادر فى محرم ١٣٤٩هـ، عرض فيه للسيرة النبوية من وجهة التشريع الدولى ، وبين سبق الإسلام إلى كثير من قواعد هذا التشريع التى يظن الكثيرون من الباحثين أنها جديدة[3] .

وعرضت المنار لكتاب « من الخرافات إلى الحقيقة » لمؤلفه حسنى عبد الهادى ، شرح فيها فضائل الإسلام ، كحثه على الرحمة والاقتصاد والسخاء والحب على العمل، واعتناء الإسلام بالعلم والعلماء ، ونبذ التطير والتشاؤم والحسد والتميمة والكهانة وغيرها[4] .

وأولت الصحف الإسلامية اهتماما بالغا بكتب التراث الإسلامى ، وفى مقدمتها كتب السنة النبوية والتاريخ الإسلامى ، وطالبت « الفتح » بالاعتناء بالتاريخ الإسلامى لتواصل الأجيال المسلمة . ولأن دراسة التاريخ هى « المرجع الوحيد لتماسك العصبيات أو القوميات ؛ ولذلك حرصت كل أمة على تجديد عصور تاريخها وتاريخ الإسلام وسيرة عظماء الإسلام كفيلان بخلق أمة من العدم ، وإيجاد روح قوية فى شعب نسى أو تناسى ذلك التاريخ الحافل بجلائل الأعمال التى تتعلق بالإنسانية جملة وتفصيلا »[5] .

وقد نشرت المنار سلسلة مقالات عن الفتوحات الإسلامية كتبها المفكر الإسلامى شكيب أرسلان ، تناول فيها فتوحات العرب لأسبانيا ، وعرض فيها لتاريخ الفتوحات

---

(١) المنار ، جـ ٦ ، م ١٩ ، ١٣٣٦هـ ، ١٩١٨م .

(٢) المنار ، جـ١ ، م ١٦، أبريل ١٩٢٥م .

(٣) الفتح ، عدد ٢٠٢ ، محرم ١٣٤٩هـ .

(٤) المنار ، جـ ٢ ، م ٢٤ ، جمادى الآخرة ١٣٤١هـ، فبراير ١٩٢٣م .

(٥) الفتح ، عدد ١٥٤، ٢٧ محرم ١٣٤٨هـ، ٤ يوليو ١٩٢٩م ، مقال بعنوان : « الاعتناء بالتاريخ الإسلامى » ، لإسماعيل شلبى سعفان من الأزهر .

الإسلامية[1] .

وقدمت الصحف الإسلامية تراجم عن مشاهير العلماء ولاسيما علماء الإسلام على اختلاف مشاربهم وتباعد أوطانهم ، واشتهر فى ذلك المجال صحيفة الإخوان المسلمين التى خصصت لذلك قسما سمته القسم التاريخى ، وصحيفة الشبان المسلمين التى خصصت لذلك بابا من أبوابها بعنوان : « عظماء الرجال » ، وصحيفة المنار التى كان لها عناية خاصة بهذا الموضوع ، وعلى سبيل المثال : ترجمت المنار لكل من السيد أحمد خان، وخير الدين باشا التونسى ، والسيد جمال الدين الأفغانى ، والشيخ محمد عبده ، وعبد الرحمن الكواكبى ، والشيخ طاهر الجزائرى ، والشيخ على يوسف شيخ الصحافة المصرية ، ومولانا الأمير محمد على ، والأمير شكيب أرسلان ، ورشيد رضا، والأستاذ أبو الكلام ، والسيد سليمان الندوى ومولانا شوكت ، والسيد محمد بن عقيل يحيى من جاوة وغيرهم .

وهكذا نرى الدور البالغ الأهمية الذى أدته صحافة الاتجاه الإسلامى فى تفقيه وإرشاد الرأى العام المسلم ، والعمل على استنارة العقول الإسلامية وشحذها بكل ما يهمها من أمور الدين والعقيدة ، وتزويد الجماهير بالمعارف الخاصة بالثقافة الإسلامية واطلاعهم على بعض جوانب التاريخ الإسلامى والفكر الإسلامى الصحيح ، وإسهامات الإسلام فى جوانب الرقى الاجتماعى والفكر السياسى ، ذلك بما كانت تنشره تلك الصحف من مقالات ومحاضرات وبحوث فى شتى نواحى الفكر وعلوم الإسلام لأشهر مفكرى الإسلام على مستوى العالم الإسلامى ، ومتابعة ما يكتب عن الإسلام فى الصحف والمجلات العربية والإسلامية والأجنبية ، وتقديم آراء المفكرين والعلماء وتصحيح بعض المفاهيم الخاطئة عن الإسلام والمسلمين والتعريف ببعض الكتب التى تمس الجوانب الإسلامية ، والعمل أيضا على بعث التراث الإسلامى .

ويلاحظ أن الصحافة الإسلامية كانت لها عناية خاصة بالدفاع عن القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة وكل ما من شأنه أن يمس العقيدة الإسلامية ، وتشريعات الإسلام، وفى بداية الثلاثينات كان مسألة ترجمة القرآن الكريم موضع جدال ومناظرة فى الجرائد المصرية ودخل الميدان علماء الأزهر ، فمنهم من أجاز الترجمة ، ومنهم من أفتى بحرمتها .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن اقتراح ترجمة القرآن الكريم نشأ فى أروقة الجامع الأزهر باعتبار ذلك الوسيلة المثلى لنشر الإسلام فى بقاع الأرض ، حيث اعتقد الأزهر أن وجود

---

(١) المنار ، جـ ٢ ، م ٢٤ ، جمادى الآخرة ١٣٤١هـ، فبراير ١٩٢٣م .

القرآن الكريم باللغة العربية هو العائق الأكبر أمام من لا يعرفون العربية ، فإذا أزيل هذا العائق بإيجاد القرآن مترجما إلى مختلف اللغات، صار انتشار الإسلام سهلا ميسورا[١].

وكان من أبرز الذين حملوا لواء فكرة ترجمة القرآن وتحمسوا لها الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر ، ومحمد فريد وجدى مدير مجلة الأزهر ، والشيخ محمد عبد السلام القبانى المدرس بكلية الشريعة ، والشيخ محمد بن الحسن الحجوى الثعالبى ، وقد نشرت مجلة الأزهر بحثا مستفيضا عن إمكانية ترجمة القرآن الكريم بقلم الشيخ المراغى ، بمناسبة شروع الأزهر بالاشتراك مع وزارة المعارف فى ترجمة معانى القرآن الكريم إلى أشهر اللغات الأوربية ، وفى هذا البحث اتهم الشيخ المراغى الذين يعارضون الترجمة بأنهم يقفلون باب الاجتهاد ، ورأى أن من الخير أن نوفر لقراء الأجنبية ترجمة للقرآن يحصلون منها على جواز التفسير[٢] .

وذهب فريد وجدى إلى أن ترجمة القرآن الكريم هى تبليغ للأمانة التى كلف الله بها المسلمين ، وتحقيق لمقاصد الدين الإسلامى العالمية وأهل القرآن إنما ندبوا لذلك ، ولأن هذه المقاصد لا تتم إلا بنشر القرآن واشتراك أمم مختلفة فى إقامته ، وقد أمر من يدين بالإسلام من الناس أن يتحملوا الأعباء التى يفرضها الحق عليهم بالدعوة إلى هذا الإصلاح والهداية الشاملة التى جاء بها القرآن الكريم[٣] .

وقد دار حوار عنيف بين السيد محمد الغنيمى التفتازانى شيخ السجادة الغنيمية والأستاذ محمد فريد وجدى ، حول ترجمة القرآن الكريم ، ونجم عن حوارهما رأيان متحدان فى المبدأ مختلفان فى الكيفية متفقان فى النتيجة ، وكلاهما يرى تبليغ الدين إلى الأمم الأعجمية بلسانها لتتم الأمنية من فهم هذه الأمم لتعاليم الدين الذى تدعى إليه ، ولكنهما اختلفا فى الكيفية التى يبلغ بها الدين الإسلامى إلى الشعوب غير العربية ، فالسيد التفتازانى يقول بترجمة التفسير مع بقاء القرآن العربى للتعبد ويبنى رأيه على عدم المساس بقدسية القرآن والحذر من تعدد نسخه كما فى الإنجيل ، والأستاذ فريد وجدى يصرح بترجمة القرآن نفسه ، ويبرهن على أن الترجمة لا تتنافى لأن أصل القرآن عربى، وسيبقى القرآن عربيا ، واللغات الأجنبية جديرة فى زعمه على نقل القرآن إليها نقلا صحيحا ، فإن فيها بلاغة وفصاحة وبيانا وبديعا ومعانى ، وكل ما فى اللغة العربية من خواص[٤] .

وقد اشتد الجدل حول هذه القضية ، ومع أن الأزهر هو الذى قدم الموضوع إلى

---

(١) محمود عبد الحليم : الإخوان المسلمون ، أحداث صنعت التاريخ ، مرجع سابق ، جـ١ ، ص ٩٩ .

(٢) الأزهر ، جـ ٢ ، م ٧ ، صفر ١٣٥٥هـ .

(٣) ملحق الأزهر ، جـ ٢ ، م ٧ ، صفر ١٣٥٥هـ .

(٤) الهداية الإسلامية ، جـ ٩ ، م ٤ ، صفر ١٣٥١هـ .

الشعب إلا أن رجلا من رجال الأزهر وهو الشيخ محمد سليمان نائب المحكمة الشرعية العليا بالقاهرة تصدى لهذه الفكرة، غير عابئ بالأزهر ولا بالحكومة التى ساندت الفكرة، وكتب فى جريدة الأهرام سلسلة مقالات فند فيها فكرة الترجمة وهاجمها[1] .

وقد أحدثت هذه المقالات صدى واسعا فى الصحافة الإسلامية ، وانبرت الأقلام لمهاجمة فكرة الترجمة وبيان خطورتها مقرونة بالأدلة والبراهين ، وذهب رشيد رضا إلى أنه لا يجوز ترجمة القرآن إلى لغة أخرى وذلك لعدة أسباب :

١ ـ أن اللغة العربية لغة دين الإسلام والمسلمين ورابطة الأخوة العامة .

٢ ـ إجماع الأمة على أن القرآن العربى هو أساس دين الله ، وأمر الله رسوله أن يبلغه كما أنزله عليه بنصه العربى المبين ، فبلغه كما أمره ، وبلغه أصحابه .

٣ ـ إجماع الأمة على أن نزول القرآن باللغة العربية على محمد خاتم الأنبياء والمرسلين معجزة للخلق أجمعين .

٤ ـ إجماع الأمة على أن الله قد تعبد بهذا القرآن العربى كل من آمن به وبرسوله تلاوة وتدبرا .

٥ ـ إجماع الأمة الإسلامية على أن الله تعالى فرض تلاوة القرآن على أمة محمد فى الصلاة فالواجب على كل مسلم أن يتلوه بنصه .

٦ ـ إجماع الأمة الإسلامية على أنه لا يباح ترجمة القرآن بلغة أخرى فى الصلاة والتلاوة والتشريع .

٧ ـ أن إقامة هذا الدين فى عبادته وتشريعه تتوقف على معرفة اللغة العربية .

٨ ـ أنه قد ترجم القرآن علماء الإفرنج بأشهر لغاتهم العلمية كالإنجليزية والفرنسية، ونجم عن هذه الترجمات أغلاط كثيرة مخالفة لمدلولات عبارته اللغوية والشرعية .

ورغم عدم موافقة رشيد رضا لترجمة القرآن إلى لغات أخرى للأسباب التى قدمها، إلا أنه ختم مقاله هذا بأنه يجوز الترجمة فى حالة ما إذا قام بها جماعة من العلماء الراسخين فى العربية وعلوم الشريعة الإسلامية ، ومتقنين أيضا للغة التى يترجمون إليها، فى هذه الحالة يجوز الترجمة[2] .

ونددت المنار بالأتراك الذين أقبلوا على ترجمة القرآن الكريم ، وأشارت إلى أن هذا

---

(١) محمود عبد الحليم : الإخوان المسلمون ، أحداث صنعت التاريخ ، مرجع سابق ، جـ ١ ، ص ٩٩ .

(٢) المنار جـ ٣ ، م ٣٢ ، ذو القعدة ١٣٥٠هـ، مارس ١٩٣٢م .

مخطط لإزالة كل ما هو عربى من نفس الشعب التركى ولسانه وعقله ووجدانه[1] .

ولكن المتبع لآراء كتاب الصحافة الإسلامية فى هذه القضية يجد أن معظمهم متفقون على عدم استطاعة نقل القرآن الكريم إلى لغة أخرى مهما بلغت من العظمة والجلال ؛ لأن اللغة العربية امتازت ببساطة الألفاظ وكثرة المجازات والكنايات ، وقد يحمل اللفظ فيها معنى عبارات كاملة برمتها ، وقد اكتسبت بنزول القرآن صفة القداسة، وصارت آيات القرآن الإلهية لا يستطيع بشر مهما أوتى من العلم والبيان أن يعبر عنها بلغة إنجليزية أو فرنسية أو غيرها ، وقال الشيخ مصطفى الرفاعى اللبان فى صحيفة «الفتح» : إنه لا يجوز قياس القرآن على الإنجيل ؛ لأن الإنجيل كتبه بشر بلغة ساذجة قريبة من العامية . . . والعارف بتطورات اللغات الأجنبية على اختلاف العصور يحكم بأن الإنجيل الإنجليزى منذ قرن بينه وبين إنجيل القرن العشرين تفاوت كبير فى الألفاظ والأسلوب[2] .

وفند محب الدين الخطيب زعم الشيخ المراغى بأن ترجمة القرآن ممكن أن يعتمد عليها من يدخل الإسلام من الأوربيين لاستنباط الأحكام والاجتهاد فيها ، ورأى محب الدين الخطيب أن نقل معانى القرآن الكريم بتوسع تفسيرى وبدون تقيد بالترجمة الحرفية مفيد فى مساعدة الدعاة إلى الإسلام ، على أداء مهمتهم ، ويكون ذلك فى آيات مخصوصة عند الحديث على أمور مخصوصة من حقائق الكون ودخائل الحياة وأسرار النفس ، وبين خطأ الترجمة الحرفية مشيرا إلى أن ما يترجم حرفيا ليس له صفة الإعجاز فى لغته الأصلية كما هى الحال فى القرآن الذى تَحدَّى الله به أهل الأرض جميعا[3] .

وذهب الشيخ محمد الخضر حسين إلى أن كلا من الترجمة الحرفية وترجمة المعنى مع عدم الارتباط باللفظ كلاهما تنطوى على خلل ؛ لأن اللفظ العربى يمكن أن يكون له معنيان أو معان محتملة ، فيضطر المترجم إلى أن يضع بدله من اللغة الأجنبية اللفظ الموضوع لما يختار من المعنيين أو المعانى ، حيث لا يجد لفظا يشاكل اللفظ العربى فى احتمال تلك المعانى المتعددة ، ومثال هذا ما صنع ماكس هينج مترجم القرآن إلى الألمانية، فإنه ترجم الإبل فى قوله تعالى : ﴿ أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ ﴾ [الغاشية : ١٧] ، باللفظ الموضوع فى الألمانى للسحاب وهو أحد المعانى التى حملت عليها الآية ، وجمهور العلماء يفسرون الإبل بالحيوان المعروف « الجمل » وهو المتبادر ولا داعى إلى

(١) المنار ، ج ١ ، م ٢٦ ، رمضان ١٣٤٣هـ، أبريل ١٩٢٥م .
(٢) أنور الجندى ، الفتح ، تاريخ الصحافة الإسلامية ، ومرجع سابق ، جـ ٢ ، ص ٤١٤ .
(٣) الهداية الإسلامية ، جـ ٢ ، م ٤ ، صفر ١٣٥٠هـ .

صرف اللفظ عنه إلى ذلك المعنى المجازى وهو السحاب ، وانتهى الشيخ الخضر حسين فى حديثه إلى أن ترجمة القرآن غير ممكنة ؛ لأن الآيات القرآنية تحتمل وجوها متعددة ولا يمكن ترجمتها إلى لغة أخرى إلا على وجه واحد وهو التفسير العام لا على أنها ترجمة مطابقة للأصل[١] .

وفى مقال آخر نشرته الهداية الإسلامية بعنوان : « ترجمة القرآن » عاب كاتبه على الذين يدعون إلى ترجمة القرآن باللغات الأخرى ، وكانت حجته أن الرسول لم يفعل ذلك ، ولو كانت ترجمة القرآن جائزة لأمر الرسول ﷺ سلمان أن يترجم القرآن بالفارسية ، وبلالا بالحبشية ، وصهيبا بالرومية ، ولكنه كتب إلى كسرى وقيصر والمقوقس الكتب باللغة العربية مع وجود من يحسن لغاتهم[٢] .

كذلك هاجمت صحف الإخوان المسلمين فكرة ترجمة القرآن الكريم ، وكتب الشيخ حسن البنا المرشد العام للإخوان المسلمين مشيرا إلى أن الترجمة مستحيلة ؛ لأن التركيب القرآنى العربى فى ذاته معجز للعربى حين يحاول فهمه ، فهو يفهم منه بقدر طاقته فى الفهم والتصور ، وقد يفهم منه عربى آخر ما لم يفهمه الأول لأنه أوسع تصورا ، ويفهم الآية فى عصر من العصور ما لم يفهم فى عصر سابق ، والآية هى الآية ، والألفاظ هى الألفاظ ، فالإقدام على ترجمة القرآن إقدام على مستحيل ومسخ للقرآن ونزول به عن مكانته مما يعد اعتداء على الإسلام فى أقدس مقدساته[٣] .

وعلى إثر إقرار مجلس الوزراء ترجمة القرآن الكريم تألفت جماعة باسم « الدفاع عن القرآن » للسعى دون نفاذ هذا المشروع ، وكان يرأسها على حسين أحمد المهندس ، ووجهت صحيفة الإخوان المسلمين نداء إلى العلماء للنص فى هذه القضية التى طال الجدل حولها [٤] ، وقرر حسن البنا أن الإخوان لا يؤيدون ترجمة القرآن الكريم ، وأن البعد عنه خير من الشروع فيه بأية صورة من الصور ، وأن الجهود التى يستنفذها لو أنفقت فى غيره من وسائل النهوض بالمسلمين أو الدعوة إلى الإسلام لكان ذلك خيرا[٥] .

وهكذا نرى أن ترجمة القرآن الكريم إلى لغة أخرى غير ممكنة ، ويجوز ترجمة التفسير العام لبعض آيات القرآن والأحكام الشرعية لا على أنها ترجمة مطابقة للأصل

---

(١) الهداية الإسلامية ، جـ٢ ، م ٤ ، صفر ١٣٤٠هـ .

(٢) الهداية الإسلامية ، جـ٢ ، م ٣ ، رجب ١٣٤٩هـ .

(٣) محمود عبد الحليم ، الإخوان المسلمون ، أحداث صنعت التاريخ ، مرجع سابق ، جـ ١ ، ص ١٠٠ .

(٤) الإخوان المسلمون ، عدد ١٧ ، السنة الرابعة ١٦ جمادى الأولى ١٣٥٥هـ، ١٤ اغسطس ١٩٣٦م .

(٥) الإخوان المسلمون ، عدد ٢ ، السنة الرابعة ٢٩ محرم ١٣٥٥هـ، أبريل ١٩٣٦م .

تماما، لما ورد ذكره من الأسباب التى تجعل الترجمة النصية مستحيلة .

وكما حظى القرآن الكريم باهتمام الصحف الإسلامية حظيت ، أيضا السنة النبوية أيضا باهتمام كتاب الصحف الإسلامية ودعت تلك الصحف إلى الاهتمام بكتب السنة ، ولاسيما الصحيحة منها ، واقترح الشيخ محمد عبد العزيز الخولى لحفظ السنة تشكيل جمعية دينية لهذا الغرض ، يكون مركزها مصر قلب البلاد الإسلامية ، ويكون أفراد تلك الجمعية من خلاصة المعتصمين بالسنة والمتشعبين بروح الدين الإسلامى ، وتنشأ فروع لهذه الجمعية فى البلاد والممالك الإسلامية ، ويكون شعارها قوله تعالى : ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا** ﴾ [آل عمران : ١٠٣] ، وقوله ﷺ : « شيئان لن تضلوا بعدى ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة رسوله »(١) .

وقد نشرت « المنار » معارك السيد سليمان الندوى الهندى ضد الجماعة التى أطلقت على نفسها « جماعة أهل القرآن » ، والتى دعت إلى التمسك بالقرآن دون السنة بزعم أن السنة إنما كانت أحكاما مؤقتة لأهل عصر النبى ، والآن أصبحت عديمة الجدوى !

وترجمت المنار ما قدم من آراء فى هذا الشأن ، حيث بين الندوى أهمية السنة ، ومضى يوضح حاجة القرآن إلى السنة ، وكيف كان الصحابة يستفتون رسول الله ﷺ فيما يقع لهم من حوادث ، ويعلمهم ما خفى عليهم ، ويضرب على ذلك بعض الأمثلة، فقد نزلت آية الصيام ولم يذكر فيها حكم الأكل والشرب بالنسيان فى الصوم ، فجاء رجل إلى النبى ﷺ وقال : يا رسول الله ، أكلت ناسيا فى الصوم ، فأفتاه النبى ﷺ بأن صومه صحيح .

وأكد الندوى أن الأحكام التى توجد فى الأحاديث الصحيحة هى مأخوذ ومستنبطة من القرآن الكريم ، استنبطها النبى ﷺ بوحى إلهى وشرح ربانى ، ومن ثم يجب علينا قبولها والعمل بها بشرط ثبوتها إلى النبى ﷺ (٢) .

وأشار رشيد رضا إلى أن الحملات على القرآن الكريم والسنة النبوية يوجهها رجال الكنيسة الذين يعادون الإسلام ويشوهونه ويصدون عن اتباعه ، ويذمون رسوله وكتابه بالأفكار والبهتان وفحش الكلام دون أن يكلفوا أنفسهم مؤنة البحث ودراسة الحقائق الإسلامية .

وفى إطار الاهتمام بالسنة النبوية المطهرة والتعريف بها ، تحدثت الصحف الإسلامية

---

(١) المنار ، جـ٥ ، م ٢٢ ، شعبان ١٣٣٩هـ ، أبريل ١٩٢١م ، مقال بعنوان : « ماذا يعمل لنشر السنة » للشيخ محمد عبد العزيز الخولى .

(٢) المنار ، جـ ٩ ، م ٣٠ ، ذو القعدة ١٣٤٨هـ ، أبريل ١٩٣٠م .

عن أشهر كتب السنة ، وذكرت المنار أن أشهر كتب السنة فى القرن الثالث صحيح البخارى ، وصحيح مسلم ، وسنن أبى داود ، وسنن النسائى ، وجامع الترمذى ، وسنن ابن ماجه ، ومسند الإمام أحمد بن حنبل ، والمنتقى فى الأحكام لابن الجارود ، ثم مصنف ابن أبى شيبة ، وكتاب محمد بن نصر المروزى، ومصنف سعيد بن منصور، وكتاب تهذيب الآثار لمحمد بن جرير الطبرى ، والمسند الكبير لابن مخلد القرطبى ، ومسند إسحاق بن راهويه ، ومسند عبد بن حميد ، وسنن الدارمى ، ومسند أبى يعلى الموصلى ، ومسند ابن أبى أسامة الحارث بن محمد التميمى ، ومسند ابن أبى عاصم أبو بكر عمرو بن أبى عاصم الشيبانى ، ومسند أبى هريرة لإبراهيم بن حرب العسكرى ، ومسند الإمام على لأحمد بن شعيب النسائى ، ومسند العنبرى إبراهيم بن إسماعيل الطوسى ، والمسند الكبير للبخارى ، ومسند محمد بن مهدى ، ومسند الحميدى ، ومسند إبراهيم بن معقل النسفى ، ومسند إبراهيم بن يوسف الهنجانى ، ومسند مالك لأحمد بن شعيب النسائى ، والمسند الكبير للحسن بن شعبان ، والمسند المعلل لأبى بكر البزار ، ومسند ابن سنجر ، والمسند الكبير ليعقوب بن شيبة ، ومسند على بن المدينى ، ومسند عثمان بن أبى شيبة [1] .

وأشارت المنار إلى أن كتب المسانيد دون كتب السنة فى الرتبة ، إذ جرت عادة مصنفيها أن يجمعوا فى مسند كل صحابى ما يقع من حديثه ، صحيحا كان أو سقيما ، ولذلك لا يسوغ الاجتماع بما يورد فيه مطلقا ، واستثنى بعض المحدثين فيها مسند الإمام أحمد بن حنبل[2] .

وأشهر كتب السنة فى القرن الرابع المعاجم الثلاثة : الكبير والصغير والأوسط للإمام سليمان بن أحمد الطبرانى ، فقد رتب فى الكبير الصحابة على حروف المعجم وهو مشتمل على نحو خمسمائة وعشرين ألف حديث ، ورتب فى الأوسط والأصغر شيوخه على الحروف أيضا ، وسنن الدارقطنى وصحيح أبى حاتم محمد بن حبان البستى ، وصحيح أبى عوانة يعقوب بن إسحاق ، وصحيح ابن خزيمة محمد بن إسحاق ، وصحيح المنتقى لابن السكن سعيد بن عثمان البغدادى ، والمنتقى لقاسم بن أصبع محدث الأندلس ، ومسند ابن جميع محمد بن أحمد ، ومسند محمد بن إسحاق ، ومسند الخوارزمى ، ومسند أبى إسحاق إبراهيم بن نصر الرازى . . .[3] .

وبمناسبة ما أذاعه فريق من المستغربين ـ الذين تعلموا فى المدارس الحديثة والمتخرجين

---

(١) المنار ، جـ ٥ ، م ٣٢ ، محرم ١٣٥١هـ، مايو ١٩٣٢م .

(٢) المنار ، جـ ٢ ، م ٢٢ ، ربيع الآخر ١٣٣٦هـ، يناير ١٩٢١م ، مقال بعنوان : « تاريخ فنون الحديث » .

(٣) المنار ، جـ ٢ ، م ٢٢ ، جـ ٣ ، م ٢٢ ، ربيع الآخر ، جمادى الأولى ١٣٣٦هـ، يناير ، فبراير ١٩٢١م ، مقال بعنوان : « تاريخ فنون الحديث » .

من جامعات أوربا ـ من الدعوة إلى إنكار الأحاديث النبوية وعدم الاعتماد عليها فى التشريع بحجة أنها لم تكتب فى زمنه ﷺ ، ولو كانت شرعا مستمرا كالقرآن لكتبت بأمره واطلاعه كما فعل بالقرآن ، ويستدلون بالحديث الذى رواه مسلم عن أبى سعيد الخدرى قوله ﷺ : « لا تكتبوا عنى شيئا إلا القرآن ، ومن كتب عنى شيئا غير القرآن فليمحه »، هنالك انبرت الصحف الإسلامية للرد على هذا الادعاء الخاطئ والدفاع عن مكانة السنة ومنزلتها من الدين ووجوب العناية بها ، وخطأ الذين يقللون من أهميتها ، وكتب محمد زهران فى صحيفة الإخوان المسلمين مشيرا إلى أن الرسول ﷺ لم يأمر بكتابة السنة فى أول الأمر إما لخشية اشتباه الأحاديث بالقرآن على بعض الضعفاء ، حيث لم يكن قد كثر فى الناس من يحفظونه كثرة تجعله شائعا بينهم ، شيوعا يحصل به تمييزه عند السماع من غيره ، فضلا عن ذلك فإنه قد ورد عن الرسول ﷺ الإذن بالكتابة ؛ روى أبو داود والحاكم وغيرهما عن ابن عمر قال : قلت : يا رسول الله ، إنى أسمع منك الشىء فأكتبه ، قال : « نعم » . قال : فى الغضب والرضا ، قال : « نعم ، فإنى لا أقول فيهما إلا حقا » ، وغير ذلك من الأحاديث الواردة فى هذا الموضوع ، فالإذن إذن بكتابة الأحاديث ثابت عن الرسول ﷺ ، وإنما وقع النهى عن كتابتها أولا لأمور منها :

١ ـ أن الصحابة كانوا سريعى الحفظ ، وكان ذلك يغنيهم عن الكتابة .

٢ ـ ومنها ما تقدم ذكره وهو خشية التباس غير القرآن بالقرآن على بعض الضعفاء .

٣ ـ أن ذلك صار بعد العصر الأول ضرورة لتوقف حفظ الشريعة الواجب عليها[(١)].

وأشار حامد عسكرية رئيس جمعية الإخوان المسلمين بشبراخيت إلى أن السنة المحمدية وهى : قول النبى ﷺ أو فعله أو إقراره أو صفته هى جزء أساسى فى الإسلام لا غنى عنها ؛ لأنها مبينة للقرآن وشارحة لأحكامه والمقصوده بقوله تعالى : ﴿ **وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ** ﴾ [النحل : ٤٤] ، ومنزلة السنة من القرآن بمنزلة اللائحة التفسيرية الداخلية أو المذكرة التفصيلية ، وأكد أيضا على أن الرسول ﷺ حث على تعلم السنة ونقلها لمن لم يسمعها إذ قال : « نضر الله امرأ سمع منا حديثا فوعاه وبلغه غيره ، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه »[(٢)].

واهتمت الصحف الإسلامية بحفظ السنة ، وبيان الأحاديث الموضوعة والغرض من وضعها ، والأسباب التى تكمن وراء وضع الأحاديث وآثار ذلك على الدين ، وكانت صحيفة الشبان المسلمين تخصص بابا بعنوان : « الدفاع عن السنة » ، وكذلك مجلة

(١) الإخوان المسلمون ، عدد ٢٠ ، السنة الأولى ، ١٢ شعبان ١٣٥٢هـ .

(٢) الإخوان المسلمون ، عدد ٧ ، السنة الأولى ، ٤ من ربيع الآخر ١٣٥٢هـ .

الأزهر ، وذكر إبراهيم اللبان أن الغرض من وضع الأحاديث هو :

١ - الكيد للإسلام من قبل أعدائه .

٢ - إظهار الدين الإسلامى بمظهر ينافى العقول ، وذلك لزعزعة عقائد الناس وتشكيكهم فى دينهم ، عن طريق وضع الأحاديث الظاهرة الكذب ونسبتها إلى رسول الله ﷺ ، ونذكر هنا طائفة من الأحاديث الموضوعة التى عنيت الصحف بإبرازها وبيان زيفها :

« الباذنجان شفاء من كل داء » .

« من أكل فولة بقشرها أخرج الله عنه من الداء بقدرها » .

« من تختم بفص من الياقوت نفى الله عنه الفقر » .

« يوم الأربعاء نحس مستمر » .

« من أكل رمانة حتى يتمها أنار الله قلبه » .

« فُضِّل العدس على لسان سبعين نبيا » [(١)] .

« من قال لا إله إلا الله ومدها بالتعظيم هدمت له أربعة آلاف ذنب من الكبائر ».

« نظرك إلى وجه العالم خير لك من ألف فرس تتصدق بها فى سبيل الله ، وسلامك على العالم خير لك من عبادة ألف سنة »[(٢)] .

ومن علامات الحديث الموضوع أن يكون فيه وعد شديد على صغيرة ، أو وعد بثواب عظيم على عمل يسير ، ومن أهم ما تحدثه الأحاديث الموضوعة من أثر سيئ هو :

١ - زعزعة العقائد .

٢ - ترجيح الآراء الضعيفة وجمع الأنصار حولها .

٣ - ظهور البدع والخرافات .

٤ - التشجيع على ترك الفروض الدينية[(٣)] .

وفى مجال التفقيه والإرشاد أيضا كانت الصحف الإسلامية تنتهز فرصة حلول المناسبات الدينية، وتقوم بنشر المقالات الإسلامية والموضوعات التى تخص هذه المناسبات، ومن أشهر هذه المناسبات التى كانت تتبارى فيها الصحف الإسلامية : ذكرى الهجرة

---

(١) الشبان المسلمون ، جـ ٢ ، م ١ ، جمادى الآخرة ١٣٤٨هـ، نوفمبر ١٩٢٩م .

(٢) الإخوان المسلمون ، عدد ٢٧ ، ٣٠ رجب ١٣٥٣هـ، ٨ نوفمبر ١٩٣٤م .

(٣) الشبان المسلمون ، جـ ٢ ، م ١ ، جمادى الآخرة ١٣٤٨هـ، نوفمبر ١٩٢٩م .

النبوية ، حيث كانت الصحف الإسلامية تحتفل بذكرى الهجرة وتنشر ما يدبجه الكتاب والشعراء والخطباء فى الاحتفال بهذه الذكرى من منبر الأزهر ، والجمعية الإسلامية تقدم أعدادا خاصة فى هذه المناسبة[١] .

ومن المناسبات الدينية أيضا التى حظيت باهتمام الصحافة الإسلامية حلول شهر رمضان من كل عام ، حيث تتبارى الصحف فى تقديم الموضوعات الدينية عن الشريعة الإسلامية وأحكامها ، والصوم وأحكامه وفوائده الأخلاقية والاجتماعية والصحية ، وكانت بعض الصحف تستكتب الأطباء المسلمين ليكتبوا عن فوائد الصوم الصحية ، وقد اشتهر فى ذلك الطبيب بسيونى بسيونى ، والطبيب تميمى فى الفتح ، والطبيب محمد توفيق صدقى فى المنار[٢] .

والمتبع لأعداد هذه الصحف ومجلداتها يجدها حافلة بتلك الموضوعات الدينية التى تسهم فى تزويد القراء بأحكام الدين الإسلامى وتعاليمه ، وتجعل أوامر الدين حية وحاضرة فى أذهان الجماهير ، وكذلك كانت ذكرى المولد النبوى الشريف موضع اهتمام لدى كتاب الصحافة الإسلامية ، حيث تقوم الصحف بنشر المقالات والموضوعات عن الدعوة المحمدية ، ونشأتها وانتشارها وحكمة ظهور الرسول فى العرب الأميين ، وبعثته ﷺ وجهوده وجهود الصحابة فى نشر الدعوة الإسلامية ، خارج الجزيرة العربية[٣] .

ويلاحظ أن الصحف كانت تعالج فى هذه المناسبات الفساد الدينى والاجتماعى والخلقى ، وتوضح فضل الإسلام على العالم كله ، وتعرف المسلم بتاريخ الإسلام ، وحوادثه وقادة الفتوح الإسلامية ، كذلك كانت تتخذ منها فرصة للدعوة إلى مقاومة التبشير والإلحاد وتوحيد الصف المسلم فى مقاومة أعداء الأمة الإسلامية .

وتعد الفتاوى التى كانت تبثها الصحف الإسلامية بين حين وآخر رافدا من روافد التثقيف الدينى ، وقد اشتهرت فى ذلك صحيفة الإخوان المسلمين التى كان يقوم بالإفتاء

---

(١) الأزهر ، جـ ١ ، م ٩ ، محرم ١٣٥٧هـ، والإخوان المسلمون عدد ١ ، السنة الرابعة ، ٢٢ محرم ١٣٥٥هـ، ١٤ أبريل ١٩٣٦م ، مقالة بعنوان : « إن لنا فى هجرة الرسول لعبرة » بقلم الأستاذ عبد الوهاب خلاف المدرس بالجامعة المصرية ، والشبان المسلمون جـ ٩ ، م ١ ، محرم ١٣٤٩هـ، يونيه ١٩٣٠م ، وكذلك باقى المجلات والصحف ، فى أول كل عام هجرى .

(٢) الأزهر ، جـ ٩ ، م ٩ ، رمضان ١٣٥٧هـ، والفتح ، عدد ٣٩ ، ٦ رمضان ١٣٤٥هـ، ١٠ مارس ١٩٢٧م، والمنار ، جـ ٨ ، م ٣١ ، رمضان ١٣٤٩هـ، فبراير ١٩٣١م ، والشبان المسلمون ، جـ٥ ، م ١ ، رمضان ١٣٤٨هـ، فبراير ١٩٣٠م ، والهداية الإسلامية ، جـ٤ ، م ١ ، رمضان ١٣٤٧هـ .

(٣) المنار ، جـ ٧ ، م ١٩ ، صفر ١٣٣٥هـ، ديسمبر ١٩١٦م ، والأزهر ، جـ ٢ ، م ٩ ، صفر ١٣٥٧هـ، وجـ٤، م ٩ ، ربيع الآخر ١٣٥٧هـ، مقال بعنوان : « مولد محمد ﷺ » ، والإخوان المسلمون ، عدد ٤ ، السنة الأولى ، ١٣ ربيع الأول ١٣٥٢هـ، عددا خاصا عن المولد النبوى .

فيها الشيخ حسن البنا ، وصحيفة الأزهر وكان يتولى الإفتاء فيها الشيخ يوسف الدجوى والشيخ محمد عبد اللطيف الفحام ، وصحيفة الهداية الإسلامية وكانت تقدم الفتاوى للشيخ الخضر حسين ، وأبرز هذه الصحف فى هذا المجال صحيفة المنار لرشيد رضا ، إذ كانت المنار تعقد بابا خاصا للفتاوى والأحكام الدينية ، وتتلقى أسئلة القراء ويجيب عليها رشيد رضا ، وقد حفلت أعداد المنار بفتاوى مهمة فى الأحكام الشرعية الدينية فى شتى النواحى ، وكانت المنار تفتح أبوابها لأسئلة القراء عامة ، غير أنها فى سنوات الحرب العالمية الأولى خصصت هذا الباب لأسئلة المشتركين فى المنار فقط ، حيث تقلص حجم المنار وضاقت صفحاتها عن الإجابة على أسئلة جميع القراء .

ويحسن هنا أن نقدم مختارات من أهم الفتاوى التى قدمتها المنار :

فقد أرسل أحد قراء المنار من سنغافورة يسأل عن حكم التصوير وصنع الصور والتماثيل واتخاذها فى الإسلام .

أجاب رشيد رضا على هذا السؤال مبينا الأحاديث التى وردت فى تحريم التصوير والآثار الواردة فى ذلك ، وأقوال العلماء فى شرحها وفقهها ، أما الأحاديث فتتلخص فى ست مسائل :

١ ـ أن المصورين يعذبون يوم القيامة ويكلفون إحياء ما صنعوا تعجيزا ، ويوصفون بالظلم الشديد لقصدهم مضاهاة خلق الله .

٢ ـ لعن الله المصور كما لعن الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد .

٣ ـ إنكار نصب الستائر التى فيها الصور والتماثيل وإزالتها .

٤ ـ تعليل الإنكار تارة بأننا لم نؤمر بكسوة الحجر والطين ، وتارة بكونها فى المصلى تعرض للمصلى فى صلاته وتارة بعدم دخول الملائكة بيتا فيه صورة أو كلب .

٥ ـ اتخاذ الثياب التى فيها الصور وسائد ومرافق واستعمال النبى لها مع بقاء الصورة .

٦ ـ أن تغيير الصورة الحيوانية بما تصير به أشبه بالشجر كقطع رأسها يبيح اتخاذها[1].

أما الآثار الواردة عن الصحابة والتابعين فى هذه المسألة :

١ ـ استعمال زيد بن خالد الصحابى للستر الذى فيه صور وهو أحد رواة حديث أن الملائكة لا تدخل بيتا فيه صورة إلا رقما فى ثوب .

٢ ـ اتخاذ أحد أعاظم أئمة التابعين القاسم بن محمد أبى بكر رضي الله عنه الحجلة

(١) المنار ، جـ ٥ ، م ٢٠ ، ربيع الأول ١٣٣٦هـ، ديسمبر ١٩١٧م .

التى فيها تصاوير القندس والعنقاء ، وهو ربيب عمته عائشة وأعلم الناس بحديثها .

٣ ـ استعمال يسار مولى عمر بن الخطاب ﷺ وخازنه الصورة فى داره .

٤ ـ صنع الصور فى دار مروان بن الحكم وسعيد بن العاص ، وكل منهما ولى إدارة المدينة وكانا من التابعين .

وأما أقوال العلماء فى شرحها وفقهها ، فمنهم من شدد فيه ، ومنهم من خفف ، وأشهر المشددين من محققى الفقهاء فى القرون الوسطى : أبو بكر بن عربى ، والنووى، فقد جزما بتحريم التصوير مطلقا ، وإن كان الأصل أن ما حل اتخاذه واستعماله حل صنعه ، وقال الأول : إن ما له ظل كالتماثيل ذات الأجسام يحرم اتخاذه بالإجماع ، وأما ما لا ظل له من الصور ففيه أربعة أقوال :

١ ـ الجواز مطلقا .

٢ ـ المنع مطلقا .

٣ ـ تحريم ما كانت الصورة فيه تامة أو جواز ما قطع رأسها أو تفرقت أجزاؤها .

٤ ـ جواز ما يمتهن دون ما كان معظما .

ومذهب الحنابلة يجيز الصورة فى الثوب ، ومذهب القاسم بن محمد بن أبى بكر: أن ما لا ظل له لا يمتنع اتخاذه مطلقا ، فقد صح أنه كان فى بيته بمكة حجلة فيها تصاوير كما تقدم ، وفيه حمل أبو على الفارسى الوعيد بعذاب المصورين على المشبهة الذين يعتقدون أن الله تعالى صورة كصور خلقه تعالى عن ذلك .

وجعل الحافظ ابن حبان حديث امتناع الملائكة من دخول بيت فيه خاصا بالنبى وجعله بعضهم خاصا بملائكة الوحى ، وجعله الكثيرون خاصة بملائكة الرحمة ، وقال بعضهم : إن الوعيد على تحريم الصور خاص بمن كان فى ذلك الزمان لقرب العهد بعبادة الأوثان وأما الآن فلا .

وعندما سئل رشيد رضا عن منافع التصوير فى العصر الحاضر قال : « إن له أنواعا من الفوائد فى حفظ اللغة وإيضاح كثير من العلوم والفنون ، وفى الأعمال العسكرية والإدارية والسياسية » ، وذكر الكثير من الأمثلة على ذلك قائلا :

١ ـ إننا نرى فى كتب اللغة أسماء كثير من الأشياء كالنبات والحيوان وغيرها غير مفسرة بما تعرف به المسمى ، بل يقولون : حيوان معروف ، فلو وضعت صورة الشيء عند اسمه كما تفعل الأمم المتحضرة الآن لكان ذلك أحسن فى حفظ

اللغة، ولا يغنى عنه الوصف بالكلام .

٢ - يترتب على الجهل بأجناس بعض الحيوان جهل ما يتعلق بها من الأحكام الشرعية ، كأحكام ما يحل أكله منها وما لا يحل .

٣ - أن للتصوير فوائد عظيمة فى علوم التاريخ الطبيعى والطب والتشريح الإنسانى والحيوانى ، وفروع هذه العلوم قد صارت كثيرة فى هذا العصر .

٤ - للتصوير فوائد عظيمة فى الأعمال الحربية ، فلا يمكن لمن يتركه أو يقصر فيه أن يقاتل أعداءه بمثل ما يقاتلون به ، فمنها تصوير المواقع الحربية والطرق والبلاد والجيوش وما لديها من السلاح والذخيرة .

٥ - للتصوير فوائد لدى حكومات هذا العصر فى الأعمال السياسية والإدارية ، ولا يمكن للمسلمين أن يستغنوا عن صناعة التصوير فى التعليم والتأليف والأعمال الحربية[1] .

وإذا كان هناك من تعليق على استخدام التصوير فالإسلام دين الفطرة قصد الله به رفع الحرج والعسر على عباده ؛ ولذلك فلم يكن يحرم الإسلام صناعة نافعة فى كثير من العلوم ، وأصبحت الصوره الآن لها أهميتها فى كل المجالات ولاسيما فى المجال الصحفى، أما ما يحرم من التصوير فهو التصوير المجسد والأجسام العارية وغيرها مما يكون فيه خروج على منفعة الإنسان المشروعة ، أو التذرع للخروج على الفضيلة وإباحة المنكرات والفواحش .

وفى سؤال ورد فى فتاوى المنار عن حكم اشتغال المرأة المسلمة بالتمثيل ، وحكم تمثيل قصص الأنبياء ، أجاب رشيد رضا :

إن اشتغال المرأة المسلمة بالتمثيل يشتمل على مذكرات محرمة ، منها : ظهورها على أعين الرجال متبرجة ، كاشفة ما لا يحل كشفه لهم من أعضائها كالرأس والنحر وأعالى الصدر والذراعين ، وتحريم هذا مجمع عليه و معلوم من الدين بالضرورة ، فلا حاجة إلى ذكر النصوص فيه ، ومنها : الاشتراك مع الرجال الممثلين فى أعمال تكثر فى التمثيل وإن لم تكن من لوازمه فى كل قصة كالمعانقة والمخاصرة والملامسة بغير حائل ، ومنها غير ذلك من المنكرات التى يشتمل عليها بعض القصص دون بعض كالتشبه بالرجال ، وتمثيل وقائع الفسق والغرام المحرم ، ورغم ذلك فلم ينكر رشيد رضا أن للتمثيل الجاد من فوائد، إذ أشار إلى أنه يمكن للكاتب العالم بأحكام الشرع وآدابه أن يكتب قصة تمثيلية يودع فصولها أعمالاً شريفة وأقوالاً نافعة إذا مثلتها المرأة المسلمة تبرز فى دار التمثيل غير متبرجة بزينة ، ولا مبدية لشىء مما حرم الله إبداءه من بدنها ، ولا آتية بشىء من أعمال الفساد ، ولا من ذرائعه ، فإن تمثيلها يكون بهذه الشروط مباحًا أو مستحبًا .

---

(١) المنار ، جـ ٦ ، م ٢٠ ، ربيع الآخر ١٣٣٦هـ، فبراير ١٩١٨م .

أما تمثيل قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فقد أنكره رشيد رضا لعدة وجوه :

١ ـ أن أكثر الممثلين لهذه القصص سواء من العامة وأرقاهم فى الصناعة لا يرتقى إلى مقام الخاصة ؛ ولذا يعد من الازدراء أن يقال : فلا إبراهيم خليل الله ، أو موسى كليم الله ، أو محمد خاتم الرسل .

٢ ـ أن العرف الإسلامى العام يعد تمثيل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إهانة لهم.

٣ ـ تمثيل الرسول فى حالة أو هيئة تزرى بمقامه ولو فى أنفس العوام ، وذلك محظور وإن كان تمثيلا لشىء وقع .

٤ ـ إن من خصائص القصص التمثيلية الكذب ، وأن الكذب على الأنبياء ليس كالكذب على غيرهم[١] .

وفى مجال الوعظ الإسلامى حفلت الصحف الإسلامية بالمقالات التى توضح أهميته وآثاره فى الأمة الإسلامية ، وكيفية الدعاية للدين الإسلامى فى داخل وخارج الديار الإسلامية ، وحاجة البلاد للوعظ الدينى وتوجيه الدعاة إلى الطرق المثلى فى الوعظ والإرشاد ، وأصول الدعوة ووسائلها :

وقد بينت الصحف الإسلامية معنى الوعظ وآثاره ، فمعنى كلمة الوعظ هو : زجر مقترن بتخويف ، وقيل : هو التذكير بالخير مما يرق له القلب ، وقيل : هو النصح والتذكير بالعقاب .

وللوعظ آثاره فى الواعظين والمستمعين ، وله فى الأمة آثار قيمة ، فآثاره فى الواعظ نفسه : إلزام نفسه بالاستقامة ، وحمله على تعرف القرآن وإقامة السنة ، والوقوف على آراء الفقهاء والعلم بالعقائد ، ومعرفة عيوب الناس وسياسة الجماهير . أما آثار الوعظ فى الأمة فهو تعريفهم بما جهلوا من أمور الدين ، وهدايتهم إلى الصراط المستقيم ، وتبصيرهم بالنافع فى الحياة الدنيا ، وما يسعدهم فى الحياة الآخرة ، وترغيبهم فى الخير وتنفيرهم من الشر ، وحضهم على التراحم والتواد والتعاطف والتعاون ، وبيان أوجه المعاملات المشروعة ، وذلك لا يتحقق إلا عن طريق الدين الحق الذى يقوم على توحيد الله ، وعلى توجيه النفوس نحو المصالح العامة[٢] .

والسبيل السوى فى إعداد المرشد الدينى أو الواعظ هو أن يحفظ القرآن الكريم حفظا جيدا ، وأن يلم بالقراءة والكتابة والعلوم الأولية التى تنمى العقل ، وأن يحفظ القواعد النحوية ، وأن يطلع على كتب الأدب الشعرية والنثرية والتدريب على الخطابة والكتابة ، وأن يكون المرشد الدينى مستقل الفهم يعرف كيفية انتقاء المعلومة الصحيحة من كتب

---

(١) المنار ، ٢٩ جمادى الأولى ١٣٣٦هـ، أبريل ١٩١٨م .

(٢) الفتح ، عدد ١٧٢ ، ٥ جمادى الآخرة ١٣٤٨هـ، ٧ نوفمبر ١٩٢٩م .

التفسير ، وذلك لأن بعض كتب التفاسير تحتوى على بعض الخرافات الإسرائيلية والأباطيل المذهبية .

فضلا عن ذلك ، أن يعرف المرشد الدينى سيرة الرسول ﷺ وسننه ، ويعتمد فى ذلك على الكتب العلمية الصحيحة ، ويبتعد عن التقليد لغيره ، وخاصة ممن سبقوه فى الزمن ، وأن ينظر إلى المنكرات الشائعة والحوادث الحاضرة ، ويختار من هذه الحوادث ما يجعله محور خطابته ومدار عظاته ، ذاكرا ما ورد فيها من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة ، وأن يصوغ الخطبة فى قالب خطابى يناسب أفهام المستمعين ولغة الحاضرين(١) ، وأن يكون سياسيا حكيما يأتى الناس من جهة ما يعرفون ليصل بهم إلى ما ينكرون من حيث لا يشعرونه وألا يعرف اليأس سبيلا إليه ، وأن يكون صبورا قادرا على تحمل الأذى فى سبيل الحق ، وأن يكون مؤمنا بما يقول مطبقا له(٢) .

وكتب الشيخ محمد مصطفى فى مجلة الأزهر مقالا بعنوان : « الأزهر كما ينبغى أن يكون » وذكر فيه الشروط الواجب توافرها فى الداعية ، وأبرزها :

١ ـ ملازمة الأخلاق النبوية والتبصر فى هدى القرآن والسنة ومجاهدة النفس ورياضتها على تحمل الأذى والمكروه فى سبيل العمل والأخلاق الدينية والشعائر الإسلامية .

٢ ـ أن يكون الداعى والمرشد شجاعا صادقا قوى الإيمان بما يدعو إليه ، وأن يؤدى احتسابا لله لا على أنه مكلف به يؤديه للأجر وزيادة الدرجات والرواتب .

٣ ـ أن يكون بصيرا بالوسط الذى يعيش فيه خبيرا بأحوال النفوس واسع الحيلة فى التنقل من طريق إلى طريق .

٤ ـ أن يكون تقيا ورعا زاهدا عن الدنيا غير حريص على منفعة زائلة أو أجر مادى(٣) .

وقد ذكر رشيد رضا أصول الدعوة الإسلامية ومقاصدها العامة فى إحدى عشرة مقالة ، بدأها فى العدد السابع من السنة الثانية والثلاثين حتى العدد الثانى فى السنة الثالثة والثلاثين(٤) ، ونستطيع أن نوجز هنا أهم ما جاء فيها من أفكار فيما يلى :

١ ـ إصلاح ما أفسده أهل الكتاب ومن سبقهم من اتباع الأنبياء الأقدمين من أركان الإصلاح الدينى الإلهى الثلاثة وهى الإيمان بالله ، والبعث والجزاء ، والعمل الصالح الذى تتزكى به الأنفس البشرية .

---

(١) المنار جـ٥ ، م ٢٩ ، ربيع الأول ١٣٤٧هـ، سبتمبر ١٩٢٨م .

(٢) المنار جـ ٤ ، م ٢٧ ، ذو الحجة ١٣٤٤هـ، ١٠ يوليو ١٩٢٦م .

(٣) الأزهر ، جـ ٦ ، م ٩ ، جمادى الآخرة ١٣٥٧هـ .

(٤) المنار ، ذو الحجة ١٣٥١هـ، أبريل ١٩٣٣م .

٢ ـ بيان ما كان يجهله البشر من حقيقة النبوة والرسالة ، ووظائف الرسل عليهم الصلاة والسلام ، ومعجزاتهم التى أيدهم الله بها .

٣ ـ بيان أن الإسلام دين الفطرة السليمة والعقل والفكر والعلم والحكمة والبرهان والحجة والضمير والوجدان والحرية والاستقلال .

٤ ـ الإصلاح الاجتماعى الإنسانى والسياسى وتحقيقه بالوحدات الثمان الآتية : وحدة الأمة ، وحدة الجنس البشرى ، وحدة الدين ، وحدة التشريع بالمساواة فى العدل، وحدة الأخوة الروحية والمساواة فى التعبد ، وحدة الجنسية السياسية الدولية ، وحدة القضاء ، وحدة اللغة .

٥ ـ المزايا العشر للتكاليف الشخصية فى الإسلام وهى التى يجمع فيها بين حقوق الروح والجسد ، وكون الغاية منها سعادة الدنيا والآخرة معا ، وكونها يسرا لا حرج فيها ولا عسر ولا إرهاق ، وكونها قصدا واعتدالا فى كل أمر لا غلو فيها ولا إسراف ولاسيما الزينة والطيبات ، وكونها معقولة سهلة الفهم ، واشتمالها على العزيمة والرخصة ، وكونها مراعيا فيها درجات البشر فى العقل والفهم وعلو الهمة وضعفها ، وبناء المعاملات فيها على الظواهر دون البواطن، وبناء العبادات على الاتباع دون الابتداع .

٦ ـ بيان أن حكم الإسلام السياسى الدولى قائم على أساس سلطة الأمة واجتهاد أولى الرأى ، وعلى أساس درء المفاسد ومراعاة المصالح والشورى والعدل المطلق والمساواة فيه ، ومراعاة الفضائل فى الأحكام .

٧ ـ الإصلاح المالى من جميع النواحى التعبدية والأدبية والخلقية والاجتماعية والدولية .

٨ ـ إصلاح نظام الحرب ودفع مفاسدها وقصرها على ما فيه الخير للبشر .

٩ ـ العمل على تحرير الرقيق وإعطائهم جميع الحقوق الإنسانية والدينية والمدنية من روحية ومالية وغيرها ، ورفع الظلم والإهانة وتشريع الوسائل لمنع تجديده .

وأشار المرشد العام للإخوان المسلمين الشيخ حسن البنا فى سلسلة مقالات كتبها فى صحيفة الفتح بعنوان : « الدعوة إلى الله » إلى أن الدعوة الإسلامية فرض مقسم بين طبقات الأمة لكن أهم هذه الطبقات المكلفة بالدعوة والقادرة عليها هى :

أولا : الحكومة ، لأن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن ، وانتقد البنا الحكومة المصرية قائلا : « وحكومتنا الإسلامية ـ هداها الله ـ شغلتها الأمور السياسية والحوادث الخارجية فى السنوات الماضية عن حال الأمة الخلقية وعللها الاجتماعية حتى عم الخطب»، وطالب البنا الحكومة أن تعمل على « إلغاء البغاء الرسمى ، وإدخال التعليم الدينى فى كل المدارس ، ومكافحة الصحف الهازلة التى تهدم أخلاق الأمة ، وإلغاء المزار ، ومحاربة دعاة الإلحاد والفلسفات الكاذبة » .

ثانيا : دار النيابة ، وهذه الهيئة القانونية القادرة على الإصلاح الخلقى والأدبى بما أنها السلطة التشريعية وبيدها سن القوانين وتأييدها .

ثالثا : الدعاة والسراة ، وهم الطبقة الثالثة ممن يقدرون على الإصلاح ويجب عليهم القيام به .

رابعا : الطلبة على اختلاف مدارسهم ؛ لأنهم قوة فعالة فى الدعوة ، ولاسيما الطلبة الأزهريين[1] .

وحينما ألف المؤتمر الإسلامى العام المنعقد فى القدس فى بداية عام ١٩٣٢م لجنة الدعوة والإرشاد التى تألفت من الشيخ رشيد رضا والشيخ محمد عبد الرسول من علماء النجف فى العراق ، ورضا بك توفيق فيلسوف تركيا ، والشيخ عبد الوهاب النجار من علماء الأزهر ، والشيخ محمد عبد اللطيف دراز من الأزهر ، والشيخ حسن أبى السعود قاضى الرملة الشرعى ، وإسعاف بك النشاشيبى أديب فلسطين ، والشيخ محمد سعيد درويش البابى الحلبى ، ومحمد على أفندى الحومانى من لبنان ـ نوه رشيد رضا بمشروع الدعوة والإرشاد الذى انبثق عن هذا المؤتمر ، مشيرا إلى أنه أعظم مشروع إسلامى لإصلاح المسلمين فى أنفسهم ، وتجديد هداية دينهم ومجده من خلال إعداد الدعاة الذين يتخرجون فى مدرسة خاصة وجمعية خاصة لإعداد كوادر الدعوة والإرشاد .

واقترح رشيد رضا أن يسعى المؤتمر لتأليف ثلاث رسائل فى عقائد الإسلام القطعية وفى آدابه وفضائله وأحكام العبادات، يقتصر فيها على الأشياء المجمع عليها من المسلمين، ونشر رسائل أيضا فى نقض أسس الأديان التى يتصدى دعاتها لإضلال المسلمين من دينهم، وكانت أهداف جمعية الدعوة والإرشاد تتلخص فيما يلى :

١ ـ بث الدعاة إلى الإسلام .

٢ ـ بث المرشدين بين المسلمين ولاسيما أهل البادية منهم .

٣ ـ نشر رسائل وكتب تشتمل على أصول الإسلام وفضائله ، وآدابه وحكمة التشريع فيه .

٤ ـ إلقاء المحاضرات والخطب ، ونشر المقالات فى الصحف .

٥ ـ إنشاء صحف باللغة العربية وغيرها فى الأقطار المختلفة تعنى بالشؤون الإسلامية .

٦ ـ السعى لإصلاح منهج الخطب المنبرية ودروس الوعظ والإرشاد .

---

(١) الفتح ، عدد ١٠٣ ، ١٧ محرم ١٣٤٧هـ، ٥ يوليه ١٩٢٨م ، والأعداد التالية له .

٧ ـ السعى لدى الحكومات الإسلامية لأجل العناية بالتعليم الدينى والتربية الإسلامية .

٨ ـ الاهتمام بتعليم اللغة العربية فى جميع الشعوب الإسلامية[١] .

واهتم رشيد رضا بانتقاد خطباء المساجد ودواوينهم التى يحفظون خطبها ويقرؤونها على المنابر غيبا أو فى الأوراق المخطوطة والمطبوعة ، وبين أن هذه الخطب معظمها فى ذم الدنيا والتزهيد فيها والتذكير بالموت ومدح الشهور والمواسم حتى المبتدعة منها ، وأكثر ما فيها من الأحاديث ضعيف أو موضوع[٢] ، ويلاحظ أن بعض الخطباء الآن فى المساجد يسيرون على هذا النمط السابق ذكره غير مواكبين لأحداث وظروف العصر التى تحتاج إلى معالجة خاصة ووجهات نظر تختلف عن الماضى ، وذلك فى إطار الآيات القرآنية والأحاديث النبوية واجتهاد أهل الذكر فيها .

وقد ألف رشيد رضا كتابا يسمى « الحكمة الشرعية » ، خصص فيها فصلا طويلا فى الخطابة ، بيَّن فيه حكمتها وفوائدها ، وكيفية تحصيل ملكة الارتجال فيها ، وما ينبغى أن تشتمل عليه الخطب الدينية فى المساجد ، وأنشأ عدة خطب كنماذج للخطبة العصرية التى يرى أن يتمسك بنمطها الخطباء[٣] ، وأشاد بديوان الخطب الذى ألفه الشيخ جمال الدين القاسمى ، وذلك لخلوه من البدع والخرافات ، ومن الأحاديث الموضوعة والضعيفة ، واشتماله على الموعظة الحسنة التى يحتاج الناس إليها فى جميع الأوقات، وطفقت «المنار» تنشر نماذج مختارة من الخطب المنشورة فى الديوان بعنوان: « مختارات من خطب القاسمى » اشتملت على بعض الخطب النبوية فى يوم الجمعة وخطب لأبى بكر وعمر وعثمان وعلى بن أبى طالب ، وخطب أخرى فى شتى الموضوعات الدينية والخلقية والإصلاحية[٤] .

ومضت الصحف الإسلامية تؤكد على ضرورة الدعوة الإسلامية فى المجتمعات الأوربية والأجنبية « لأن هناك بعض المعتقدات الغربية عن المسلمين لدى الأوربيين ، فهم لا يعرفون عنهم سوى أنهم قوم يعيشون على الفطرة ، ولا يدرون من أمور الحياة سوى التغذى بطعام سيئ يتناولونه بأصابعهم القذرة والارتواء بالماء والقهوة والتسلى بالتدخين والاستمتاع بالنساء وبالتزوج منهن بغير حساب لأنهن لسن إلا متاعا للشهوة البهيمية يشترين كما تشترى الأنعام ، ويلفظن كما تلفظ النواة بغير مراعاة لحالتهن ولا لحقوقهن ، وإن

(١) المنار ، جـ ٣ ، م٣١ ، ذو القعدة ١٣٥٠هـ، مارس ١٩٣٢م .
(٢) المنار ، جـ ٧ ، م١٨، رمضان ١٣٣٣هـ، أغسطس ١٩١٥م .
(٣) المنار ، جـ ٨ ، م ١٨ ، شوال ١٣٣٣هـ، سبتمبر ١٩١٥م .
(٤) المنار ، جـ ٩ ، م ١٨ ، ذو القعدة ١٣٣٣هـ ، أكتوبر ١٩١٥م .

أطيب الطيبات عندهم سفك دماء المسيحيين ! » (١) .

وكتب محمد رشيد بك آل الحجازى ـ من أركان الحرب سابقا فى برلين ـ فى المنار يطالب الدول الإسلامية أن تنظم وسائل الدفاع عن دينها وسمعة أممها فى العالم ، وبيان أن الدين الإسلامى مثل سائر الأديان التى تأمر بالخير وتنهى عن المنكر ، وأنه أوصى بصفة خاصة بمراعاة أهل الكتاب ولاسيما النصارى منهم ، فقد وصفهم القرآن بأنهم أقرب الناس مودة للذين آمنوا ، وبين الحاجة لضرورة تعلم علماء المسلمين اللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية ليدفعوا تلك الأكاذيب ، ويظهروا للأمم فضائل هذا الدين التى تفوق جميع فضائل الأديان الموجودة فى العالم(٢) .

ودعا شكيب أرسلان على صفحات صحيفة « الفتح » إلى توظيف أموال الزكاة أو جانب منها فى سبيل الدعاية للدين الإسلامى فى الديار الوثنية ، أو بين المسلمين أنفسهم الذين خيم عليهم الجهل وأصبحوا لا يعرفون من الإسلام ـ على حد قوله ـ سوى اسمه ، واستنهض شكيب أرسلان همم المسلمين للتبرع للدعوة إلى الإسلام وتنظيم الدعاية الإسلامية ، وناط بهذه المهمة جمعيات الشبان المسلمين المنتشرة فى معظم أنحاء العالم الإسلامى ، وذلك فى مواجهة حملات التبشير النصرانية من كاثوليك وبروتستانت التى ملأت الأقطار الإفريقية وبلاد الصين وجزر المحيط ، وأسست المدارس والمستشفيات والمعامل لنشر رسالاتها الدينية ، وأشار إلى نجاح البعثات التبشيرية فى الهند وفى الصين فى تنصير المسلمين ، وأن الدعاية الإسلامية قد توقفت فى إفريقية وحل محلها التبشير النصرانى(٣) .

وقد لبت الجماهير المسلمة دعوة شكيب أرسلان ، وانهالت التبرعات إلى صحيفة الفتح لإعانة الدعوة الإسلامية ومؤازرة دعاتها فى الخارج ، واقترح محب الدين الخطيب أن يخصص جزء من هذه الأموال فى إنشاء مكاتب استخبارات إعلامية إسلامية تستقى منها الصحف الإسلامية الأخبار الصادقة عن المسلمين فى كل مكان ، وذلك لتحقيق التواصل والتعاون بينهم وكسر احتكار وكالات الأنباء العلمية المغرضة للأخبار والمعلومات وتزويرها للحقائق الخاصة بالمسلمين ، وكذلك اقترح الخطيب صرف جزء من هذه الأموال فى إعداد مبشرين بالإسلام على غرار مبشرى النصارى يتداحون فى كل مكان من العالم ينشرون دعوة الإسلام الحقة(٤) ، فضلا عن ذلك يرى محب الدين الخطيب أن الدعوة الإسلامية فى حاجة إلى أربعة أمور :

(١ ، ٢) المنار ، جـ ١٠ ، م ٢٤ ، صفر ١٣٤١هـ، أكتوبر ١٩٢٣م .
(٣) الفتح ، عدد ١٣٠ ، ٢٩ رجب ١٣٤٧هـ، ١٠ يناير ١٩٢٩م .
(٤) الفتح ، عدد ١٣١ ، ٦ شعبان ١٣٤٧هـ، ١٧ يناير ١٩٢٩م ، وعدد ١٣٢ ، ١٣ شعبان ١٣٤٧هـ، ٢٤ يناير ١٩٢٩م .

١ ـ أن يكون لها جمعية ترسم سياسة الدعوة وتدرأ عنها العدوان والشرور .

٢ ـ أن يكون هناك مؤسسة تعليمية إسلامية تقدم للإسلام دعاة فنيين يقفون حياتهم على الدعوة الإسلامية ، بالإضافة إلى الأزهر ، فإنه وإن كان يخرج علماء فى الدين الإسلامى لكن صناعة الدعوة أصبحت فى هذا العصر ذات أساليب لا يكفى لها العلم الإسلامى العام .

٣ ـ الملاجئ والمستشفيات .

٤ ـ إيجاد مناعة فى أبناء المسلمين ، ولا يكون ذلك إلا بحمل جميع مدارسنا على جعل الثقافة الإسلامية أساس التعليم والتربية[١] .

وواصل حسن البنا هذه الدعوة وكتب سلسلة مقالات بعنوان : « سبيل الدعوة » ، بين فيها أن الدعوة إلى الإسلام أصبحت واجبة على كل مسلم ولاسيما فى هذا العصر الذى سيطرت فيه التعاليم المادية وانتشر فيها الفساد ، وبات الإسلام يحارب من أبنائه ومن أعدائه على السواء ، فهو يحارب من الملحدين ومن المشككين ، ومن دعاة التجديد الكاذب ومن المبشرين الدينيين والسياسيين[٢] .

ومن الأمور المهمة التى ركزت عليها الصحافة الإسلامية فى نطاق الدعوة الإسلامية التركيز على بعث التراث الإسلامى من تاريخ وأخلاق وعلوم وسنن ووصايا ، ونبذ آثار الاستعمار فى نفوس الأجيال ، ومطاردة معانى الضعف التى طرأت على مفهوم الدين فى عقول العامة وأشباه المثقفين مما لم يكن له أصل فى الإسلام .

وركز كتَّاب الصحافة الإسلامية أيضا على نظام الإسلام الاجتماعى الذى أهمله الدعاة والوعاظ ، وركزوا على جانب العبادات فقط ، ودعا محب الدين الخطيب الوعاظ أن يقدموا النصوص المتعلقة بنظام المجتمع وآدابه ، وما ينبغى أن يتحلى به أفراده من خلائق وسجايا وفضائل ولاسيما أوامر القرآن الكريم والرسول ﷺ فى تكوين الأسرة وتوجيهها ، وفى نظام المجتمع وآدابه ومعاملاته وسلوكياته[٣] .

ومن الكتاب الإسلاميين الذين برزت جهودهم وإسهاماتهم فى مجال الدعوة الإسلامية أيضا : الشيخ محمد شاكر وكيل الجامع الأزهر ، والشيخ أحمد شاكر القاضى بالمحاكم الشرعية ، ومحمد الخضر حسين ، والشيخ محمد السيد الطويل ، والشيخ عبد الباقى سرور الذى كان من أنشط الكتاب حديثا عن الدعوة الإسلامية ، حيث استعرض

(١) أنور الجندى ، الفتح ، تاريخ الصحافة الإسلامية ، مرجع سابق ، جـ ٢ ، ص ٥٨ .

(٢) الفتح ، عدد ١١١ ، ربيع الأول ١٣٤٧هـ، ٣٠ أغسطس ١٩٢٨م ، وما بعده .

(٣) أنور الجندى ، الفتح ، تاريخ الصحافة الإسلامية ، مرجع سابق ، جـ ٢ ، ص ٧٢ ـ ٧٤ .

فى صحيفة « الفتح » تاريخ الدعوة الإسلامية وبعض المواقف المشهورة لرجالات الدعوة، مشيرا إلى أن دعوة الإسلام لم تكن دعوة سياسية يستحل دعاتها الكذب والرياء والنفاق والغش والمواربة ، واستغواء العواطف ، واستمالة الأهواء ، بل كانت دعوة إلى الحق فى ذاتها وفيما تدعو إليه ، وفى طريق الدعوة التى اعتمد على الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى أحسن[1] .

ويذكر الشيخ محمد عبد الباقى سرور أن مجال الدعوة يحتاج إلى مصلحين لا يميلون نحو الجمود على عبارات المؤلفين ومقاصد المصنفين القدماء[2] ، وطالب بتطوير الفقه الإسلامى حتى يناسب حاجة العصر الحاضر ، وتطوير الكتب الدينية التى لم تتغير عما كان عليه القدماء منذ خمسمائة سنة فالكتب التى كانت تدرس فى الزمن الماضى هى بعينها التى تدرس اليوم[3] .

وكتب الشيخ محمد الخضر حسين ، سلسلة مقالات فى صحيفة نور الإسلام دعا فيها إلى الاجتهاد فى استنباط الأحكام الشرعية وحدد شرائط الاجتهاد فيما :

١ ـ العلم بالقرآن ولاسيما آيات الأحكام .

٢ ـ العلم بسنة رسول الله ﷺ .

٣ ـ الإلمام بعلوم اللغة العربية .

٤ ـ العلم بأصول الفقه الإسلامى .

٥ ـ معرفة مواقع الإجماع والقياس .

٦ ـ العدالة والاستقامة[4] .

وكان للصحف الإسلامية عناية بانتشار الإسلام فى الغرب ، وأشارت إلى بعض الذين ناقشوا الإسلام من كُتَّاب الغرب ، ومن دخلوا فيه ، وعرضت لبعض المستشرقين وكتاباتهم ، وأولت اهتماما واسعا بالجماعات الإسلامية وأنشطتها ، ودعت إلى تعاونها من أجل خدمة الإسلام والأجيال المقبلة ، وأشارت إلى الجمعيات الإسلامية العاملة لخدمة الإسلام ، مثل جمعية الحضارة الإسلامية ، وجمعية الهداية الإسلامية ، وجمعية مكارم الأخلاق الإسلامية ، وجمعية الإخوان المسلمين ، وجمعية شباب محمد ، وجمعية نشر الفضائل الإسلامية ، وجمعية الجهاد الإسلامى ، وجمعية أنصار الإيمان

---

(١) الفتح ، عدد ١٩ ، محرم ١٣٤٥هـ، يوليو ١٩٢٦م .

(٢) الفتح ، عدد ٥٩ ، ٢٨ صفر ١٣٤٦هـ، ٢٥ أغسطس ١٩٢٧م .

(٣) الفتح ، عدد ٦٠ ، ٥ ربيع الأول ١٣٤٦هـ، أول سبتمبر ١٩٢٧م .

(٤) الهداية الإسلامية ، جـ ١ ، م ١ ، محرم ١٣٤٩هـ .

الإسلامية ، هذا فضلا عن الجمعيات الإسلامية فى البلاد الإسلامية كالجمعية المحمدية فى جاكرتا والهند وجاوة ، وجمعية شباب محمد فى باريس ، وتابعت الصحف الإسلامية أيضا المؤتمرات الإسلامية التى تعقد فى الخارج .

ونوه رشيد رضا بالرابطة الإسلامية التى تألفت فى سويسرا برئاسة سمو الخديو عباس حلمى الثانى وسكرتيرها السيد ضياء الدين طبطائى ، وكانت غاياتها :

١ ـ العمل على استدامة الوئام بين مختلف عناصر العالم الإسلامى .

٢ ـ إنشاء مركز تعاون فكرى بين علماء الإسلام وجامعاته ومعاهده .

٣ ـ السهر على الاحتفاظ بأوضاع الطوائف الإسلامية حينما توجد .

٤ ـ إعانة أعمال البر والمؤسسات الاجتماعية الإسلامية .

٥ ـ إطلاع غير المسلمين على الأحوال الصحيحة لعلوم الإسلام ومذاهبه(١) .

وتحدثت الفتح عن المؤتمر الإسلامى الذى عقد فى جنيف بدعوة من محمود بك سالم ، وشكلت لجنة التحضير من زكى إكرام ، وعلى الغياتى ، والدكتور زكى على ، وقد قصد المؤتمر إلى :

١ ـ إجراء تعارف واسع بين رجالات المسلمين فى أوربا لتثبيت دعائم المحبة وتوطيد روابط الإخاء فيما بينهم .

٢ ـ البحث فيما يتعلق بالأمور الإسلامية العامة ، واتخاذ ما يجب من التدابير الفعالة لاتحادهم ورقيهم من حيث الأمور العلمية والاجتماعية والتجارية والاقتصادية .

٣ ـ السعى لترقية مستوى المسلم الأوربى بإدخال ما يجب من الإصلاحات على برامج تعليمه من العلوم الحديثة والتوفيق بينهما وبينها الأصول الإسلامية(٢) .

وحفلت الصحافة الإسلامية بمقالات عن أحوال الطوائف الإسلامية ، فى بلاد جنوب إفريقية وآسيا وغيرها من بلاد الإسلام ، وكانت أخبار العالم الإسلامى تمثل صفحات كثيرة من الصحف الإسلامية ، وقد تحدثت عن حكم الأئمة فى اليمن ، وعن الثورة فى إيران ، وأخبار الحكم فى نجد والحجاز وأخبار الحبشة والشام وبلاد المغرب العربى ، وأخبار الإسلام فى بلاد الصين والهند وتركيا ويوغسلافيا وروسيا وفى كل مكان من العالم الإسلامى .

وكانت الصحف الإسلامية فى مصر معرضا لكتابات المفكرين المسلمين من جميع

(١) المنار ، جـ ٣ ، م ٣٢ ، ذو القعدة ١٣٥٠هـ ، مارس ١٩٣٢م .

(٢) أنور الجندى ، الفتح ، تاريخ الصحافة الإسلامية ، مرجع سابق ، جـ ٢ ، ص ٤٠٩ .

البلاد الإسلامية ، وقد ظهرت أسماء كثيرة من كتاب هذه البلاد على صفحات هذه الصحف مثل : عبد الرشيد إبراهيم من « زنجبار » ، وعبد الله بن نوح من « أندونيسيا » ، وشكيب أرسلان من « جنيف » ، والدكتور زكى على ، ومصطفى صبرى شيخ الإسلام من تركيا ، وسليمان الندوى ومسعود غانم الندوى ، ومحمد تقى الدين الهلالى ، وعبد العليم صديقى من الهند ، وعمر الحريرى من باريس ، وعمر الدسوقى من لندن ، ومصطفى السباعى وعلى الطنطاوى من سوريا ، وعجاج نويهض من فلسطين ، وعجاج نور أحمد من بيروت ، وبهجت الأثرى من العراق ، ومحمد بسيونى من جاوة ، ومحمد حبيب العبدى مفتى الموصل ، وغيرهم .

وحفلت الصحف الإسلامية بالمقالات والمواضيع التى تدعو إلى التمسك بالشريعة الإسلامية والدفاع عن القرآن الكريم وسنة النبى ﷺ ، وبيان أن الناس فى حاجة ماسة إلى معرفة ما جاء به الرسول ﷺ ، والقيام به والدعوة إليه ، وأنه ليس للعالم صلاح بدون ذلك ، مستلهمة فى دعوتها تاريخ الأمم الإسلامية أيام اعتصامها بحبل الدين والقرآن الذى احتوى على شرائع الإسلام الظاهرة وحقائق الإيمان الباطنة[١] ، وبحثت هذه الصحف فى أسباب تخلف المسلمين ووسائل ارتقائهم وخلصت إلى أن أسباب تأخر المسلمين فيما يلى :

١ ـ الاستبداد والتعصب المخالف لروح الإسلام .

٢ ـ انتشار الخرافات والجهل .

٣ ـ الاعتقاد بالقضاء والقدر على أنهما إجبار ، الأمر الذى سبب الركود العام فى الفكر وعاق التقدم السياسى والاقتصادى للدول الإسلامية[٢] .

٤ ـ إهمال المسلمين للقرآن الكريم الذى ساد به سلفهم .

٥ ـ فقد المسلمين الحماسة التى كانت عند آبائهم فى الوقت الذى تخلق بها أعداء الإسلام .

٦ ـ عدم التعاون بين المسلمين وعدم تناصرهم .

٧ ـ موالاة بعض المسلمين لأعدائهم على أنفسهم ، وخيانة بعض المسلمين لدينهم ووطنهم .

---

(١) المنار ، جـ ٥ ، م ٣٥ ، يوليو ١٩٣٩م ، مقال بعنوان : « ما أحوجنا فى هذا الزمان إلى هداية القرآن » .

(٢) المنار ، جـ ٥ ، م ٣١ ، رجب ١٣٤٩هـ، ديسمبر ١٩٣٠م ، وجـ ٦ م ٣١ ، شعبان ١٣٤٩هـ، ديسمبر ١٩٣٠م .

٨ ـ الجمود على القديم وعدم الاجتهاد ، ظنا منهم أن الاقتداء بالكفر كفر ، وأن نظام التعليم الحديث من نظام الكفار فلا ينبغى الأخذ عنهم(١) .

وقد نعت الصحف الإسلامية على العلماء تواكلهم وتقصيرهم عن النهوض بواجب الدعوة الإسلامية ، وتصحيح المفاهيم الخاطئة عن الإسلام وتشريعاته وأحكامه ، الأمر الذى أدى إلى حدوث خلل فى مسار الدعوة ، وإلى تولى مهام الدولة المصرية لطائفة المجددين والعلمانيين التى أوجدت فى صفوف المسلمين ثغورا للإخلال بعقائدهم والتفريق بين جماعاتهم ، ووجهت صحيفة « الفتح » دعوة إلى علماء الإسلام فى مصر والعالم الإسلامى فى مشارق الأرض ومغاربها أن يدافعوا عن الإسلام ، ويتركوا التنابذ والاختلاف فيما بينهم(٢) .

وحينما ألف أحد الهنود الوثنيين كتابا بعنوان : « الرسول الكذاب » ناشد محب الدين الخطيب علماء الهند المسلمين أن يعملوا على إيجاد تشكيلات للدعوة الإسلامية ، وأن يهبوا للدفاع عن حوزة الإسلام ، وإظهار هذا الدين بمظهره الحقيقى فى المؤلفات العصرية المقبولة لدى النشء وفى المجلات العلمية التى يكون لها من مساعيهم ومجهوداتهم مكان وسلطان ، وفى الصحافة الإسلامية اليومية التى يكون صوتها عاليا ، فلا تطغى عليه أصوات الطغاة والمشاغبين وذوى الأغراض الهابطة(٣) .

وزخرت الصحف الإسلامية بالمقالات التى تدعو إلى إزالة الفوارق بين المذاهب الإسلامية ، وإزالة العداوة والبغضاء بين أهل السنة والشيعة ، وسعت سعيا حثيثا للتقريب بينهم ، وكثيرا ما كنت تنشر وجهة نظر علمائهم ، والرد عليها ، واشتهرت فى ذلك صحيفة المنار التى أفسحت صدر صفحاتها لرسائل علماء الشيعة من أمثال السيد عبد الحسين نور الدين ، ومحمد الحسين الكاشف ، وحاول رشيد رضا الرد عليها وتصحيح ما جاء فيها ، وكان الهدف من ذلك توحيد كلمة المسلمين وضمهم تحت لواء واحد ، وذلك عن طريق سعى عقلاء العلماء من كلتا الطائفتين (السنة والشيعة) إلى محل الخلاف ومناقشته وإزالته بالبرهان والحجة ، وإصغاء كل منهما لحجة الآخر ، وتحكيم أهل الفضل والإنصاف(٤) .

---

(١) سلسلة مقالات كتبها المفكر الإسلامى شكيب أرسلان بعنوان : « أسباب تقدم المسلمين وتخلف غيرهم » ، ثم جمعت بعد ذلك فى كتاب سمى بنفس العنوان . انظر أيضا مقالا بعنوان : « القدر » للدكتور يحيى الدرديرى . صحيفة الشبان المسلمين ، جـ ١ م ٦ ، جمادى الثانية ١٣٥٣هـ، أكتوبر ١٩٣٤م .

(٢) الفتح ، عدد ٥٤ ، ٢٢ محرم ١٣٤٦هـ، ٢١ يوليو ١٩٢٧م .

(٣) الفتح ، عدد ٥٦ ، ٧ صفر ١٣٤٧هـ، ٤ أغسطس ١٩٢٧م .

(٤) المنار ، جـ ١ م ٣٢ ، ذو الحجة ١٣٥٠هـ، أكتوبر ١٩٣١م .

وفى ضوء ما سبق نستطيع أن نقدم أبرز المعطيات التى قدمتها صحافة الاتجاه الإسلامى فى تفقيه وإرشاد القراء فى السطور التالية :

١ - زخرت صحافة الاتجاه الإسلامى بالمقالات والخطب والقصائد والمحاضرات العلمية فى الثقافة الإسلامية والتاريخ الإسلامى والفكر الإسلامى ، والمقالات الإرشادية التى تدعو إلى ترك المنكرات ، والتمسك بدين الله وأوامر شرعه ، وسنن نبيه ، وتنعى على المسلمين جهلهم بأمور دينهم ، وتفريطهم فيما جاء به رسول الله ﷺ ، واندفاعهم فى تقليد الغربيين فى غير تبصر .

٢ - عنيت بتقريظ المطبوعات الجديدة والتعريف بالكتب التى تخرجها المطابع ولاسيما ما يخص منها الشؤون الإسلامية والفكرية ، وأولت اهتماما بالغا بكتب التراث وفى مقدمتها كتب السنة النبوية والتاريخ الإسلامى ، وتاريخ علماء الإسلام على اختلاف مشاربهم ، وتباعد أوطانهم .

٣ - اهتمت بالدفاع عن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، وحاربت كل ما من شأنه أن يمس العقيدة الإسلامية ، وتشريعات الإسلام ، واتفق معظم كتاب الصحافة الإسلامية على عدم استطاعة نقل القرآن بنصه إلى لغة أخرى مهما بلغت من العظمة والجلال ؛ لأن الرسول لم يفعل ذلك ، ولأن اللغة العربية امتازت ببساطة الألفاظ وكثرة المجازات والكنايات ، وقد يحمل اللفظ فيها معنى عبارات كاملة ، وقد اكتسبت بنزول القرآن صفة القداسة وصارت آيات القرآن إلهية لا يستطيع بشر مهما أوتى من العلم والبيان أن يعبر عنها بلغة إنجليزية أو فرنسية أو غيرها .

٤ - ودعت تلك الصحف إلى الاهتمام بكتب السنة الصحيحة وإنشاء جمعية دينية لهذا الغرض يكون مركزها مصر وتصدت للدعوة التى تنكر الأحاديث النبوية وعدم الاعتماد عليها فى التشريع ، وعملت على حفظ كتب السنة وأحاديث رسول الله ﷺ من العبث والتخريب .

٥ - وكانت الصحف الإسلامية تنتهز فرصة حلول المناسبات الدينية كذكرى الهجرة والمولد النبوى ، وشهر رمضان وغير ذلك وتقوم بنشر المقالات والموضوعات التى تخص هذه المناسبات ، وكانت تعالج فيها الفساد الدينى والاجتماعى والخلقى ، وتوضح فضل الإسلام على العالم كله ، وتعرف المسلم بتاريخ الإسلام وحوادثه وقادته ، وتدعوه إلى مقاومة أعداء الأمة الإسلامية .

٦ - تعد الفتاوى التى كانت تبثها الصحف الإسلامية بين حين وآخر رافدا من روافد التثقيف الدينى ، وحل المسائل العصرية التى لها علاقة بالدين وتخص حياة المسلمين .

٧ ـ وحفلت الصحف الإسلامية بالمقالات التى توضح أهمية الوعظ الإسلامى وكيفية الدعاية للإسلام فى داخل وخارج الديار الإسلامية ، وأصول الدعوة الإسلامية ومقاصدها ومتابعة المؤتمرات الخاصة بالدعوة الإسلامية فى كل مكان ، وتقويم الوعاظ، وبيان ضرورة تبليغ الدعوة الإسلامية فى الدول الأوربية وتوظيف أموال الزكاة أو جزء منها فى سبيل الدعاية الإسلامية ، وإنشاء مكاتب استخبارات إعلامية إسلامية فى الدول الأجنبية تستقى منها الصحف الإسلامية أخبارها .

٨ ـ وكان للصحف الإسلامية عناية بانتشار الإسلام فى الغرب ، ومتابعة أخبار الطوائف الإسلامية فى العالم، وكانت أخبار العالم الإسلامى تمثل صفحات كثيرة منها.

٩ ـ دعت إلى تعاون الجماعات الإسلامية العاملة لخدمة الإسلام ، وتابعت أنشطتها وجهودها فى نشر الدعوة الإسلامية .

١٠ ـ وكانت الصحف الإسلامية فى مصر معرضا للكتاب والمفكرين المسلمين من جميع البلاد الإسلامية وحفلت بالمقالات التى تدعو إلى التمسك بالشريعة الإسلامية ، وإزالة الفوارق بين مختلف المذاهب الإسلامية والتقريب بينها فى ضوء تعاليم الإسلام الصحيحة .

١١ ـ ومن الكتاب الإسلاميين الذين برزت جهودهم فى حقل الدعوة الإسلامية : الشيخ حسن البنا ، ورشيد رضا ، ومحب الدين الخطيب ، والشيخ محمد الخضر حسين، ود. يحيى الدرديرى ، والشيخ محمد شاكر ، وأحمد شاكر ، والشيخ محمد السيد الطويل ، والشيخ عبد الباقى سرور ، والمفكر الإسلامى شكيب أرسلان ، والشيخ محمد مصطفى المراغى ، والشيخ محمد عبد العزيز الخولى ، والشيخ محمد عبد السلام القبانى ، ومحمد فريد وجدى ، وحامد عسكرية ، ومحمد زهران .



الفصل السادس

دور صحافة الاتجاه الإسلامى فى محاربة المذاهب المنحرفة الهدامة

نتابع فى هذا الفصل إسهامات الصحافة الإسلامية فى معالجة الفكر الشاذ والمنحرف عن جادة الصواب كأفكار بعض المتصوفة والمبتدعين فى الإسلام والدعوات المسمومة التى تريد النيل من الإسلام مثل البهائية والقاديانية وغيرها ، ونقدم هنا معطيات الصحافة الإسلامية ، وآراء كتابها عن غايات وأهداف تلك الدعوات وخطورتها على الفكر الإسلامى والمسلمين .

الصوفية :

يقال : إن كلمة « صوفى » من الصفاء أو الصفو ، وذهب آخرون إلى أن الكلمة منسوبة إلى الصُّفَّة وهى الناحية المسقوفة من المسجد الذى كان يأوى إليها جماعة من فقراء المهاجرين فى أول الإسلام يعبدون الله فيها(١) . ولكن ينفى الشيخ الخضر حسين أنها مأخوذة من الصفة ، وقال : إن هذا الوجه لا يوافق قاعدة النسب فى اللغة ، فإنها تقتضى أن يقال فى النسب لصفة : صفية لا صوفية(٢) .

وقيل : إن كلمة صوفى نسبة إلى الصف الأول ، ويذهب بعض مؤرخى الإسلام فى معنى التصوف إلى القول بأن أول من انفرد فى الإسلام بخدمة الله عند المسجد الحرام رجل يقال له : صوفة واسمه الغوث بن مروان ، وسمى الغوث صوفة لأن أمه جعلت فى رأسه صوفة وجعلته ربيطا بالكعبة يخدمها(٣) .

وذهب ابن الجوزى وآخرون إلى أن الصوفية نسبة إلى صوفة تشبيها لهؤلاء الزهاد المتصوفين بآل صوفة ، وهم قوم كانوا يخدمون الكعبة فى الجاهلية ويتنسكون ، والأقرب أنهم تسموا بالصوفية لأنهم كانوا يؤثرون لبس الصوف تجنبا للبس الفاخر من الثياب(٤) .

ويقول فريق من العلماء : إن كلمة صوفية دخيلة على الإسلام فبرون الإنجليزى

---

(١) الأزهر ، جـ ٢ ، م ٩ ، ربيع الآخر ١٣٥٧هـ ، وتاريخ التصوف الإسلامى وتأثره بالفلسفة : عبد الحميد سامى البارودى .

(٢) الهداية الإسلامية ، جـ ٥ ، م ١ ، شوال ١٣٤٧هـ ، محاضرة فى التصوف ألقاها الشيخ محمد الخضر حسين فى نادى جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية ٢٨ شعبان ١٣٤٧هـ .

(٣) مجلة الأزهر ، جـ ٤ ، م ٩ ، ربيع الآخر ١٣٥٧هـ .

(٤) الهداية الإسلامية ، جـ ٥ ، م ١ ، شوال ١٣٤٧هـ .

يقول : « إن أصل الكلمة فارسية من باشمينا بوش ومعناها لابسو الصوف » .

ويقول الدكتور ترومب : « إن كلمة الصوفية دخيلة على الإسلام من الهند » ، ويقول صاحب كتاب « اللمع » : « إن الصوفية كلمة جاهلية واسم مبتدع لم يعرفه الصحابة ولا التابعون » ، ويقول فريق من كتاب العصر الحديث : « إن كلمة التصوف ليست عربية ولا فارسية ولا هندية وإنما هى كلمة يونانية من صوفيا ومعناه الحكمة ، وهى كلمة متداولة بهذا المعنى بين اللغات الأوربية إلى اليوم »(١) .

ويقول ابن خلدون فى مقدمته : « التصوف من العلوم الشرعية الحادثة فى الملة ، وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الحياة الدنيا وزينتها . . والانفراد عن الخلق فى الخلوة للعبادة ، وكان ذلك عاما فى الصحابة السلف، فلما نشأ الإقبال على الدنيا فى القرن الثانى وما بعده ، وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة » .

وأما محمد فريد وجدى فيخالف هذا الرأى فى دائرة معارفه حيث يشير إلى أن التصوف موجود منذ ألوف السنين ، فهو يقول فى معنى الصوفية : « إن التصوف هو مذهب كان الغرض منه تصفية القلب من غير الله والصعود بالروح إلى عالم التقديس بإخلاص العبودية للخالق والتجرد عما سواه ، وهذا قديم كقدم النزعة نفسها التى أوجدته، فإن الإنسان منذ ألوف السنين أدرك أنه خلف هذه الغلف الجسدية سرا مكنونا، فنشأ هذا المذهب وهو معروف فى الهند والصين منذ ألوف السنين »(٢) .

والتصوف بدأ على صورته البسيطة منذ الصدر الأول للإسلام ، فلوحظ على كثير من الصحابة والتابعين ميلهم إلى الزهد ، وإعراضهم عن الدنيا ، ولم تطلق كلمة الصوفية على جماعتهم إلا فى أواخر القرن الثانى للهجرة ، غير أنه ظهر بعد ذلك بجانب المتصوفة قوم خلطوا التصوف بشىء من أصول الفلسفة الشرقية والديانية الفارسية ، فأخذ هذا التصوف هيأة غير الهيئة التى عرف بها الزهاد والوعاظ فى صدر الإسلام ، وشاع الغلو فى الزهد والتواكل ، واتصل بالتصوف بعض البدع العملية كالرقص فى حال الذكر وكاستعمال الآلات المطربة فى المساجد ، وظهر من ناحية الصوفية تأويل بعض الآيات والأحاديث على وجوه توافق أذواقهم ومواجيدهم ، وارتكبوا من التأويل ما يخالف العقل واللغة وتنكره الشريعة ، وكان من المنتسبين إلى التصوف من يذهب إلى القول بوحدة الوجود ، أى أن الله يحل فى بعض مخلوقاته ، وأول من قال بها : يزيد البسطامى، ثم جاء الجنيد والحلاج فى القرن الثالث من الهجرة فنادا بها ، وقال الحلاج :

(١ ، ٢) الأزهر ، جـ ٤ ، م ٩ ، ربيع الآخر ١٣٥٧هـ .

« ما فى الجبة إلا الله » ، ومن أجل هذه المقالة أفتى الفقهاء والصوفية المستقيمون بخروجه عن الإسلام وقتل فى خلافة المقتدر سنة ٣٠١[١] .

وبالرغم من أن القرآن لا يشير إلى هذه النظرية مطلقا بعبارة صريحة ، إلا أن أنصارها يشيرون إلى بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى نستطيع أن نذكر منها قوله تعالى : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾ [ق] ، وقوله عز وجل فى الحديث القدسى : « ما زال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به » ، وقد اتخذ الزنادقة أمثال هذه الآراء الزائفة ذريعة لإفساد عقائد المسلمين ودينهم ، ولبس الزنادقة لباس الزهاد والوعاظ وحاربوا الإسلام من طريق التأويل ، وحاربوه أيضا من طريق ما يسميه الصوفية حالا وذوقا[٢] .

والحقيقة أن التصوف هو الزهد والإعراض عن الدنيا وأخذ النفس بأسلوب يطهرها من أدرانها ، ويصقلها فيرقى بها فى مدارج الكمال الإنسانى حتى يكون المسلم أداة نافعة لنفسه وذويه وللمجتمع ، وعلى هذه الأسس نشأت فكرة الصوفية ، وهى فكرة يقرها الإسلام ويحث عليها لأنها بهذا الأسلوب أساس لكل إصلاح ، وقد عمل بهذا الأسلوب رجال أوتوا مقدرة على التربية والتوجيه ، ومن هنا تأسست الطرق الصوفية ، ولكل طريقة شيخ ومريدون وأتباع وتلاميذ يأخذون عنه ، غير أنه مع التخلف والانحطاط اللذين أصابا المجتمعات الإسلامية أخذ بعض مشايخ الطرق فى الانحراف بأتباعهم عن الطريق السوى ، واتخذ التصوف وسيلة للارتزاق وجمع المال والتسلط على الناس ، وكسب الصيت والشهرة[٣] .

وقد استحدثت هذه الطرق الصوفية فى مصر بدعا لم تكن فى ذهن واضعى هذه الطرق ، الأمر الذى جعلها تتعرض لموجة من الهجوم والسخط والاستياء من قادة الفكر الإسلامى وكتاب الصحافة الإسلامية على وجه الخصوص .

ويلاحظ أن موجة السخط والهجوم على الصوفية بدأها الشيخ محمد عبده منذ عام ١٨٨٠م ، حيث هاجم مشايخ الطرق وأتباعهم ، وما يفعلونه من مخالفة فى موالد الأولياء والصالحين، وصور ما يصحب الأذكار من الطبول وهياج الذاكرين والمشعوذين، الذين يهيمون هيام من أصابه مس ، ويتجردون من ثيابهم ويأتون أعمالا بعيدة عن الدين

---

(١) مجلة الهداية الإسلامية ، جـ ٥ ، م ١ ، شوال ١٣٤٧هـ، والأزهر ، جـ٤ ، م ٩ ، ربيع الآخر ١٣٥٧هـ .
رفض الغزالى فى كتاب الإحياء نظرية وحدة الوجود وقال : إن اتحاد العبد مع الرب قضية منقوصة عقلا وغير مقبولة نقلا .

(٢) الهداية الإسلامية ، جـ ٥ ، م ١ ، شوال ١٣٤٧هـ، الأزهر ، جـ ٤ ، م ٩ ، ربيع الآخر ١٣٥٧هـ .

(٣) محمود عبد الحليم : الإخوان المسلمون ، أحداث صنعت التاريخ ، مرجع سابق ، جـ ١ ، ص ١٣٦ .

الإسلامى كأكل النار والزجاج ، وغير ذلك من المظاهر السلبية التى تحدث فى الموالد ولا تليق بعظمة الدين الإسلامى[1] .

ثم تابع رشيد رضا أستاذه الإمام فى محاربة شواذ الصوفية ، وكان للمنار ـ فضلا عن الصحف الإسلامية الأخرى ـ جولات وصولات ضد ما ابتدعته الصوفية فى الدين كالأذكار المحرفة والهزة والتمايل والإنشاد فى الذكر ، ولبس الخرق والأسمار والرايات والذكر بمثل (أنا أنت وأنت أنا) ، والتحدث بين العامة بعبارات الصوفية الغامضة والساذجة خلال الذكر ، وفيما يقع من أرباب الطرق أثناء ذهابهم إلى بعض الأضرحة أو البيوت لإقامة حفلة من رفع الأصوات فى الطرق العامة بالأذكار المحرفة والصلوات المبدلة والفواتح المتعددة، وفيما يسمى بزفة الرفاعى والبيومى والحسين والبدوى والدسوقى وغير ذلك[2] .

ولكن لا ينكر أن بعض زعماء هذه الطرق رجال علم وفضل يقومون بالإرشاد والتعليم ، غير أنه لا يزال فى بعض هذه الطرق بقية من المحدثات الدخيلة فى الإسلام على جهالة ، ولا يزال كثير من أصحابها يتناقلون عبارات مدسوسة فى التصوف على سوء نية ، ولبعض هذه الطرق مظاهر تنكرها العقول وتمجها الأذواق ، وقد يحسبها من لا يعرف الإسلام أن لها صلة بالعبادات المشروعة فى الإسلام .

وقد أشار رشيد رضا إلى انحراف التصوف عن غايته الحقيقية ، وهى : رياضة النفس وتربية الإرادة ، والأخذ بالعزائم، ومحاسبة النفس ، وحسن النية ، والمبالغة فى العبادة. وسرى إلى المتصوفة كثير من بدع الهنود والصينيين واليونان وضلالتهم وشعائرهم وشعاراتهم كالسُّبَح والأعلام والرايات حتى أنهم أخذوا عنهم فلسفة وحدة الوجود ، فضلا عما بثه الباطنيون فى التصوف من ضلالات أخرى كالتأويل البعيد للآيات والأحاديث والطاعة العمياء لأوامر شيوخ الطرق[3] .

وقد برز من خلال متابعة الصحف الإسلامية خطورة ما تحويه كتب الصوفية من مخالفات وخرافات بعيدة عن حقائق الإسلام وتعاليمه الصحيحة التى جاء بها القرآن والسنة النبوية المباركة ، وذلك كإسناد المعجزات لمشايخ الطرق ، وطرح عليهم صفات الألوهية والنبوة، ففى بعض كتب الرفاعية : أن الشيخ أحمد الرفاعى كان يفقر ويغنى، ويسعد ويشقى ، ويميت ويحيى ، وغير ذلك من الصفات الخاصة بالمولى عز وجل ، وأن

---

(١) زكريا سليمان بيومى :الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية فى الحياة السياسية المصرية (١٩٢٨ ـ ١٩٤٨م)، مرجع سابق ، ص ٢٧٠ .

(٢) المنار ، جـ ٦ ، م ٢٧ ، المحرم ١٣٤٥هـ ، أغسطس ١٩٢٦م .

(٣) المنار ، جـ ٣ ، م ٢٢ ، رجب ١٣٤٠هـ، مارس ١٩٢٢م .

الرفاعى وعده الله بأن من لمسه لا تحرقه النار فى الدنيا ولا فى الآخرة ، وأن هذا له ولمريديه وأتباعه إلى يوم القيامة[1] .

ويلاحظ أن هذه المفاهيم لا تزال تتردد بين العامة من الناس ، وتوزع فى كتيبات تطبعها بعض دور النشر لتروج فى المناسبات الصوفية كالاحتفال بمولد الحسين والسيدة زينب وأحمد البدوى والقناوى والشافعى وغيرهم ، وباتت تلك المفاهيم عقيدة راسخة لدى هؤلاء الذين لم يحصلوا على قدر كاف من الثقافة الدينية ويتصدرون لقيادة بعض الطرق الصوفية ويبثونها إلى أتباعهم ومريديهم .

ويشير الشيخ محمد الخضر حسين إلى أن كثيرا من مؤلفات الصوفية وكتاباتهم مليئة بالأحاديث الموضوعة والقصص المزعومة والآراء التى لا تستند إلى أصول معقولة ، وكان لهذه الكتب الأثر السيئ فى نفوس الأجيال المسلمة ، واتخذها بعض أعداء الإسلام وسيلة للطعن فى علماء الإسلام ، ونسبوا هذه الكتب إليهم ليضعفوا من شأنهم، ويقللوا من منزلتهم أمام الرأى العام الأجنبى[2] .

وقد عزا رشيد رضا تخلف المسلمين إلى تلك المعتقدات التى تنشرها الصوفية وتروجها بين الناس قائلا : « ولقد أثرت هذه الآراء الصوفية فى عقلية المسلمين حتى أن الألوف منهم باتوا لا يعنون أقل عناية بشؤون أمتهم العامة ولا بشؤون أنفسهم الصحية ولا الدينية ولا الاجتماعية إلا ما تقتضيه الضرورة والعادة من القيام بضروريات المعاش والقناعة منه بأخسه . . . لأن كل ما عدا ذلك موكول إلى أولئك الأقطاب الأربعة فإذا وقع أحدهم فى شدة أو مرض أو حاجة استغاث بأحد الأقطاب الأربعة أو أعوانه وجنده من مشايخ الطرق الصوفية لينقذه من شدته ، أو يشفيه هو أو ولده من مرضه أو ينتقم له من عدوه »[3] .

وهذا فيه مخالفة ظاهرة وجلية لأوامر الدين الحنيف الذى يحرم أن يستغيث أحد إلا بالله ولا يطلب إلا من الله ، ولا يسأل غير الله ، قال تعالى : ﴿ **وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ (١٠٦)** ﴾ [يونس] .

ومن جهة أخرى ، فإن هذا الاعتقاد فى الأولياء ينتج عنه شقاء الأمة وتخلفها فى دينها ودنياها ، فلا تواكب ركب التقدم العلمى المذهل فى شتى جوانبه ، فضلا عن ذلك فلم يرو لنا أصحاب الكتب الصحيحة ولا السنن أن الصحابة كانوا يدعون النبى ﷺ عند قبره الشريف ولا عند اشتداد الخطوب فى الحروب ولا فى حالة المرض لأجل النصر

(١) المنار ، جـ ٧ ، م ٢٤ ، ذو القعدة ١٣٤١هـ، يوليو ١٩٢٣م .

(٢) نور الإسلام ، جـ ٢ ، م ١ ، صفر ١٣٤٩هـ، مقال بعنوان : « الانحراف عن الدين » للشيخ محمد الخضر حسين ، والإخوان المسلمون ، عدد ٣٦، ١٩ محرم ١٣٥٣هـ .

(٣) المنار ، جـ ٧ ، م ٢٤ ، ذو القعدة ١٣٤١هـ، يوليو ١٩٢٣م .

والشفاء ، ولا روى لنا التاريخ ذلك عن التابعين ولاتابعيهم من علماء الأمصار كأئمة الفقة الأربعة ، وأئمة آل البيت النبوى رضى الله عنهم أجمعين ، بل كانوا ينوطون الأشياء بأسبابها .

ويتعجب رشيد رضا لأمر هؤلاء المتصوفة ، إذ كيف يصح أن يكون أولياء الله الأحياء والأموات يتولون قضاء حاجات المسلمين ودفع المضار عنهم وجلب المنافع لهم ، ونحن نرى المسلمين أسوأ حال من سائر الأمم ولا سيما الإفرنج فى صحتهم وسعة عيشهم وتقدم عمرانهم ، رغم أنهم لا يصدقون بقدرة الأولياء على التصرف فى أمور الكون والحياة[1] .

ويقسم رشيد رضا الصوفية إلى ثلاث فرق : صوفية الأرزاق ، وصوفية الرسوم ، وصوفية الحقائق ، ثم ينتقد كل فرقة من هؤلاء ، فالفرقة الأولى والثانية ابتدعا فى الدين ما ليس فيه ، أما صوفية الحقائق فهم علماء وحكماء ، غير أن رشيد رضا يذهب إلى أنه قد ضل بما دخل فى الإسلام من باب فلسفتهم الروحية أضعاف من ضل بما دخل على المتكلمين وغيرهم من باب الفلسفة العقلية ، وسبب ذلك يرجع فى زعمه إلى جهل شيوخهم بالسنة النبوية فمن أصول الضلالة التى دخلت على المسلمين من باب التصوف المقابلة بين الحقيقة والشريعة ، وجعل الأمر القدرى كالأمر الشرعى فى كل منهما يجب الرضا به والاستسلام له ، والرضا بعدم مقاومة الأمراض والظلم وهضم حقوق الأفراد والأمة ، فضلا عما ابتدعوه من الأذكار والأوراد وتعظيم القبور وجعله من شرائع الإسلام ، ودعواهم أن للدين ظاهرا وباطنا مخالفا لما يفهمه جمهور العلماء منه وما جرى عليه السلف الصالح ، وتأويل الآيات القرآنية والأحاديث النبوية إلى ما يوافق أهواءهم ، والخروج باللفظ عن حقيقته إلى ضرب من ضروب المجاز والكناية ، ويزيدون على ذلك باب الكشف والإلهام والإشارة والرموز[2] .

ويرى الشيخ حسن البنا أن التصوف قسمان :

١ ـ تصوف دينى إسلامى ، يستمد أصوله من الكتاب والسنة . وأعلن أن التصوف بهذا المعنى من لباب الإسلام ، وأن الصوفية الصادقين من خيار رجاله الذين عملوا على نشره وإعزازه وتربية النفوس على مبادئه بطرق لم يسبق إليها غيرهم من الفلاسفة والمربين .

---

(١) المنار ، جـ ٧ ، م ٢٤ ، ذو القعدة ١٣٤١هـ، يوليو ١٩٢٣م .

(٢) المنار ، جـ ١ ، م ١٩ ، شوال ١٣٣٤هـ، يوليو ١٩١٦م .

٢ ـ تصوف فلسفى عقلى ، تستمد أصوله وقواعده من نظريات الفلاسفة وأحكامهم على العوالم والنفوس[١] ، وأشار حسن البنا إلى أن التصوف بهذا المعنى أمر فلسفى عقلى لا صلة له بالإسلام البتة ولم يكن على عهد السلف الصالح ، ولم يتكلم فيه كبار الصوفية وإنما هو علم أوجده اتساع العلوم وترجمة كتب الأمم واختلاط قواعد علومها بعلوم الإسلام[٢] .

وأنكر الشيخ حسن البنا إطلاق كلمة تصوف أو صوفى على كل من ظهرت عليه علامات التقشف ورثاثة الثياب وعدم العناية بنظافة الجسم ، أو كل من ظهرت عليه دلائل البله بشؤون الحياة ، أو كل من تكاسل عن أداء الفرائض الدينية ، وارتكب المخالفات وادعى لذلك أعذار مجهولة كأن يصلى فى الكعبة ، أو أنه ينظر فى اللوح المحفوظ ، أو أنه وصل إلى درجة رفع عنه التكليف ، أو أن حقائق الأشياء تنقلب له فيصير الخمر ماء إلى غير ذلك من المزاعم التى ينسبها الصوفيون لبعض شيوخهم[٣] .

وقد أدت الصحف الإسلامية دورا كبيرا فى محاربة بدع الصوفية ، وتصحيح بعض المفاهيم المغلوطة والشائعة عند الصوفية كدعوى بعض مشايخ الطرق التلقى عن النبى ﷺ، وإسناد بعض الأحاديث المختلفة من عندهم إليه بدعوى أنهم أهل كشف[٤] .

ومما قاله الإدريسى فى أوراده : « إنى اجتمعت بالنبى ﷺ اجتماعا صوريا ومعه الخضر حسين ، فأمر النبى الخضر أن يلقننى أوراد الطريقة الشاذلية فلقنيها بحضرته ، ثم قال : يا خضر ، لقنه ما كان جامعا لسائر الأذكار والصلوات والاستغفار وأفضل ثوابا وأكثر عددا . فقال : أى شيء هو يا رسول الله ؟ فقال : قل : لا إله إلا الله محمد رسول الله فى كل لمحة ونَفَس ، عدد ما وسعه علم الله . . وقال له الرسول : يا أحمد، قد أعطيتك مفاتيح السموات والأرض ، وهى التهليل المخصوص والصلاة العظيمة والاستغفار الكبير المرة الواحدة منها بقدر الدنيا والآخرة وما فيها أضعافا مضاعفة »[٥] .

وقد رد على ذلك رشيد رضا فى المنار ، مشيرا إلى أن دعوى رؤية النبى ﷺ بعد موته فى اليقظة والأخذ عنه دعوى باطلة ، وإن صح عقلا أن منهم من يرى أرواح الأنبياء والصالحين فلا يجوز شرعا أن تتضمن هذه الرؤيا تشريعا ولا تعبدا جديدا ، وصرح

(١) الإخوان المسلمون ، عدد ١ ، السنة الأولى ، ٢٢ صفر ١٣٥٢هـ .
(٢) الإخوان المسلمون ، عدد ٢ ، السنة الأولى ، ٢٨ صفر ١٣٥٢هـ .
(٣) الإخوان المسلمون ، عدد ٥ ، السنة الأولى ، ٢٠ ربيع الأول ١٣٥٢هـ .
(٤) الإخوان المسلمون ، عدد ٣٦ ، السنة الثانية ، ١٩ محرم ١٣٥٣هـ .
(٥) المنار ، جـ ١ ، ٣٢ ذو الحجة ١٣٥٠هـ، أكتوبر ١٩٣١م .

أن ما يسمونه الكشف ليس بحجة شرعية ، ولا يجوز العمل بما لا يقوم عليه دليل من الكتاب والسنة ، وكذا رؤية النبى ﷺ فى المنام والسماع منه ، وعلل ذلك بعدم الثقة بصفاء أرواح هؤلاء الكاشفين وضبطهم لما يرونه فى كشفهم ورؤياهم ولما يروونه ، وأنه من أجل ذلك يجب عرضه على الكتاب والسنة[1] .

فضلا عن ذلك ، فإن قبول هذه الدعاوى يعد زيادة فى الدين واستمرار التشريع الذى ادعاه بعض الدجالين المضلين ، كأتباع الدجال غلام أحمد القاديانى الهندى الذين يلقبون أنفسهم بالأحمدية ، ويشير رشيد رضا إلى أن أذكار هؤلاء الصوفيين وأورادهم ممزوجة بالبدع والضلالة ، وقد نسخوا بها التعبد بكتاب الله وبالأذكار المأثورة عن النبى ﷺ فى كتب السنة ككتب الأذكار للإمام النووى ، والحصن الحصين للمحدث الجزرى[2] .

وقد أخذ محب الدين الخطيب على الصوفية ما أدخلوه فى الدين من أن التوكل على الله ينافى الادخار والكسب والأخذ بالأسباب ، وينافى التداوى والتدبير والاحتياط والاحتراز ، كذلك فند ما يدعونه من أدلة تؤكد كلامهم ، من ذلك ما قاله أبو سليمان الدارانى : « لو توكلنا على الله ما بنينا حيطان ولا جعلنا لباب الدار غلقا مخافة اللصوص» ويروون عن ذى النون المصرى أنه قال : « سافرت سنين وما صح لى التوكل إلا وقتا واحدا ، ركبت البحر فكسرت المركبة فتعلقت بخشبة فقالت لى نفسى : إن حكم الله عليك بالغرق فما تنفعك هذه الخشبة ، فخليت الخشبة فطفت على سطح الماء ووقعت على الساحل »[3] .

وهكذا يروى عن الصوفية من الطرائف والخزعبلات التى تنافى الدين الإسلامى والعقل الفطرى ، أما مخالفتها للدين فالله يقول فى سورة الأنفال : ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ** ﴾ [الانفال : ٦٠] ، وقوله تعالى : ﴿ **فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ** ﴾ [الجمعة : ١٠] ، وأما مخالفتها للعقل فلأن العقلاء يوصون بالادخار والكسب والأخذ بالأسباب ، وكان المسلمون الأوائل يأخذون حذرهم تجاه عدوهم ، ولم يرو عنهم أنهم تركوا الأخذ بالأسباب .

وشنت الصحف الإسلامية الحرب فى أكثر من موضع فى أعدادها المختلفة على مشايخ الطرق الصوفية الذين يتصدرون للفتوى بغير علم ، وينشرون الضلالات بين الناس ، مشيرة إلى أن بعضهم كان يتصدر للعرافة وعمل التمائم والرقى بدعوى معرفة

(١) المصدر السابق ، والإخوان المسلمون ، عدد ٣٦ ، السنة الثانية ، ١٩ محرم ١٣٥٣هـ .
(٢) المنار ، جـ ١ ، م ٣٢ ، ذو الحجة ١٣٥٠هـ، أكتوبر ١٩٣١م .
(٣) الفتح ، عدد ٥٦ ، ٧ صفر ١٣٤٦هـ، ٤ أغسطس ١٩٢٧م .

الغيب والإخبار به ، بالرغم من مخالفة هذه الأمور للدين الإسلامى الذى ينتمون إليه ، فقد قال ﷺ : « من أتى عرافا فسأل عن شىء لم يقبل له صلاة أربعين يوما » رواه أبو داود عن قبيصة وهو صحيح (١) .

وعاب رشيد رضا على المتصوفة التوسل بالأموات ، ونشرت المنار على حلقات متتابعة كتابا بعنوان : « الدر النفيد فى إخلاص كلمة التوحيد » للإمام محمد بن على الشوكانى ، والكتاب تدور مادته حول التوسل بالأموات وحكمه ، وكذا التوسل بالأحياء والاستغاثة بهم ومناجاتهم عند الحاجة وما يشابه ذلك ، وتعظيم قبور الأولياء والاعتقاد بأن لهم قدرة على قضاء حوائج المحتاجين وحكم الشرع فى ذلك كله(٢) .

وقد كثر فى تلك الفترة الحديث فى مسألة التوسل والوسيلة وانقسمت الآراء فيها ، فكان الشيخ يوسف الدجوى فى مجلة الأزهر يرى أن التوسل بالنبى ﷺ جائز لورود أحاديث فى ذلك ، فقد أخرج النسائى فى سننه والترمذى فى صحيحه وابن ماجه وغيرهم : أن أعمى أتى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله ، إنى أصبت فى بصرى فادع الله لى ، فقال النبى ﷺ : « توضأ وصل ركعتين ثم قل : اللهم إنى أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد ، يا محمد ، إنى أستشفع بك فى رد بصرى ، اللهم شفع النبى » فرد الله بصره . وأجاز الشيخ الدجوى أيضا نقلا عن الشوكانى : أن التوسل بالأعمال مشروع وأنه يجوز التوسل بأهل الفضل والعلم (٣) .

ولكن هذا لم يجد قبولا لدى أنصار الاتجاه الإسلامى فى الصحف الأخرى ، ونفى الدكتور يحيى الدرديرى جواز التوسل بغير الله والدعاء لغير الله ، مشيرا إلى أنه من القواعد الأساسية فى العبادة أن الله عز وجل يريد أن يستأثر بدعاء عبده فى جميع مهامه وشؤونه من غير واسطة ولا وسيط ؛ لأن الإسلام جاء بالتوحيد الخاص وتحرير النفوس من عبادة غير الله تعالى ، وذهب إلى أن الدعاء لغير الله سواء كان المدعو حيا أو ميتا وسواء كان من الأنبياء ـ عليهم السلام ـ وغيرهم فيقال : يا سيدى فلان ، أغثنى ، وأنا مستجير بك ، ونحو ذلك ، فهذا هو الشرك بالله ، واستشهد بآراء الإمام ابن تيمية فى هذه المسألة(٤) .

---

(١) المنار ، جـ ١٠ ، م ٢٣ ، محرم ١٣٤١هـ ، سبتمبر ١٩٢٢م ، والمنار ، جـ ٧ ، م ٢٣ ، ذو القعدة ١٣٤٠هـ، يوليو ١٩٢٢م .

(٢) المنار ، جـ ٨ ، م ٢٢ ، ذو الحجة ١٣٣٩هـ، أكتوبر ١٩٢١م .

(٣) نور الإسلام ، عدد ١ ، م ٢ ، محرم ١٣٥٠هـ، مقال بعنوان : « التوسل وجهلة الوهابيين » للشيخ يوسف الدجوى عضو هيئة كبار العلماء .

(٤) الشبان المسلمون ، جـ ١ ، م ٣ ، جمادى الأولى ١٣٥٠هـ، أكتوبر ١٩٣١م .

وحفلت الصحف الإسلامية بالمقالات التى تنكر التوسل والاستغاثة والدعاء لغير الله، وقد اشتهرت فى ذلك صحيفة المنار وصاحبها رشيد رضا ، ويلاحظ أن رشيد رضا كان فى هجومه على الصوفية متأثرا بالدعوة الوهابية السلفية التى قامت فى بلاد نجد فى الجزيرة العربية وهجومها على الصوفية ؛ لذلك رأينا المنار تعنى بأمر الدعوة الوهابية ونشر مبادئها ؛ ولهذا اتهم رشيد رضا أنه تلقى من الملك عبد العزيز بن سعود مكافأة مالية قيل: إنها خمسة آلاف جنيه ، وقيل : إنها عشرة آلاف جنيه ، ولم ينف رشيد رضا نفيا قاطعا، ولم يؤكد أنه أخذ هذه المكافأة بل قال فى معرض رده على الصحف التى اتهمته بذلك : « إن صح ما ادعوه لم يكن ذلك حجة على أن المنار أنشئ لجمع المال ، وإنما كان يعد مساعدة على خطة دينية قديمة فى خدمة الإسلام ونشر العلم لأعلى دعاية سياسية حادثة لأجل الملك عبد العزيز ، فإن المنار يدعو من أول نشأته إلى التوحيد الخالص ومذهب السلف الصالح فى عقائد الإسلام وهدايته » (١) .

ودأبت الصحف الإسلامية على تصحيح بعض المفاهيم الإسلامية ونقد البدع التى طرأت على الأمة الإسلامية والخرافات التى استحدثت فى الدين ، والانحرافات التى يفعلها الصوفيون فى المولد النبوى واحتفالات الصوفية فى موالد الأولياء والاختلاط فى الذكر بين النساء والرجال والتمايل والرقص (٢) .

ومن هذه البدع أيضا بدعة عاشوراء ، فقد ابتدع فريق من الأمة إقامة المآتم وإظهار الحزن يوم عاشوراء لكون الحسين قتل فيه ، وابتدع فريق آخر اتخاذ المحبوب من الأطعمة والاكتحال ، ويروون فى ذلك أحاديث موضوعة فى الاكتحال والتوسعة على العيال كقولهم : « من اكتحل يوم عاشوراء لم ير رمدا أبدا » ، وغير ذلك من الأحاديث (٣) .

وقد أشار محب الدين الخطيب فى معرض الرد على هذه البدعة : أنه لم يسن رسول الله ولا خلفاؤه الراشدون فى يوم عاشوراء شيئا من هذه الأمور ، وكل ما ورد أن النبى ﷺ لما قدم المدينة وجد اليهود تصوم يوم عاشوراء فقال : « ما هذا ؟ » فقالوا : هذا يوم نجى الله فيه موسى من الغرق فنحن نصومه ، فقال : « نحن أحق بموسى » فصامه وأمر بصيامه . هذا ما ورد فى يوم عاشوراء ، أما ما عدا ذلك فهو من البدع

---

(١) المنار ، جـ ١ ، م ٢٨ ، شعبان ١٣٤٥هـ، مارس ١٩٢٧م .

(٢) الإخوان المسلمون ، عدد ١٠ ، السنة الأولى ، ٢٥ ربيع الآخر ١٣٥٢هـ، وعدد ٢٦ ، السنة الثانية ، ٢٣ رجب ١٣٥٣هـ، ١ نوفمبر ١٩٣٤م ، والهداية الإسلامية ، جـ ٣ ، م ٣ ، شعبان ١٣٤٩هـ .

(٣) الفتح ، عدد ١٥١ ، ٦ محرم ١٣٤٨هـ ، ١٣ يونيه ١٩٢٩م .

المنكرة التى ابتدعها الشيعة وروجها الفاطميون فى مصر(١) .

وانتقد الشيخ سيد أحمد المغربى ما ذاع بين المصريين من تقمص الجن لبعض الأجسام وصار بعضهم يذهب إلى حلقات الزار ومعهم الدفوف والمجامر ، وتقف أمامهم امرأة تتمايل يمنة ويسرة ، أو تنطق بترهات ما أنزل الله بها من سلطان .

وتعرض الشيخ المغربى لبعض الخرافات التى انتشرت فى أوساط العامة كنقش بعض المسلمات وشما على يدها يمثل صليبا ، أو تلبس قلادة من الذهب فى وسطها صليب بحجة أن الشيطان الذى يتقمصها مسيحى ، ولا يرفق بها إلا بهذه الأشياء ، وأخرى تذهب إلى الكنائس فتهدى إليها الشموع وتدفع النذور وتطلب رضا الكاهن أو القسيس ، بدعوى أن الجن الذى يتقمصها يطلب هذا (٢) ، وغير ذلك من الخرافات كالتشاؤم بيوم الأربعاء من آخر شهر صفر فى كل عام ، وخروج بعض الناس بسبب هذا الاعتقاد فى اليوم نفسه خارج المدينة توقيا من البلاء الذى يعتقدونه ، بالرغم من مخالفة هذه الأمور للدين الإسلامى ، وأنها لا تعدو أن تكون بقايا من عادات الجاهلية الأولى أو عقائد الفراعنة(٣) .

ومن البدع الدخيلة على الدين الإسلامى التى هاجمتها الصحف الإسلامية بدعة الاحتفال بليلة النصف من شعبان ، وقد أفتى رشيد رضا بأن الاحتفال بهذه الليلة فى المساجد بدعة نهى عنها الفقهاء ، وذكر أنه ورد فى قيام ليلة النصف من شعبان وصلاتها أخبار وآثار موضوعة وحديث ضعيف رواه ابن ماجه ، وهو : « إذا كانت ليلة النصف فقوموا ليلها وصوموا نهارها ، فإن الله ـ عز وجل ـ ينزل فيها لغروب الشمس إلى السماء فيقول : ألا من مستغفر أغفر له ، ألا من مسترزق أرزقه حتى يطلع الفجر » ، وأما دعاء شعبان المشهور الذى يجتمع له الناس عقب صلاة المغرب يقرؤونه بأصوات مرتفعة فإنه مشكوك فيه ، وكل الأحاديث الواردة فى ليلة النصف من شعبان دائرة أمرها بين الوضع والضعف وعدم الصحة(٤) .

وقد نوه رشيد رضا بكتاب « الإبداع فى مضار الابتداع » الذى ألفه الشيخ على محفوظ من تلاميذ الإمام والمدرس بقسم التخصص فى الأزهر الشريف ـ طبع هذا الكتاب عام ١٣٤١هـ، ثم أعيد طبعه ١٣٤٨هـ وفى هذا الكتاب أفاض المؤلف فى الكلام على

---

(١) الفتح ، عدد ٥٥ ، ٢٩ محرم ١٣٤٦هـ، ٢٨ يوليو ١٩٢٧م ، مقال بعنوان : « الأمراض العارضة للمسلمين» .

(٢) الفتح ، عدد ١١٢ ، ٢٢ ربيع الأول ١٣٤٧هـ، ٦ سبتمبر ١٩٢٨م .

(٣) الشبان المسلمون ، جـ ٢ ، م ٣ ، جمادى الآخرة ١٣٥٠هـ، نوفمبر ١٩٣١م .

(٤) المنار ، جـ ٥ ، م ٣١ ، رجب ١٣٤٩هـ، ديسمبر ١٩٣٠م .

البدع ، كبدع المساجد والمقابر والأضرحة وزيارة القبور وما فيها من المفاسد ، وبدع الجنائز والمآتم ، وبدع الموالد ، ومنكرات الأفراح ، وبدع الأعياد والمواسم ، والبدع التى تقع فى العبادات ، وبدع الطرق الصوفية وبدع الاعتقادات ، وبدع الضيافة والولائم وخرافات العامة وأوهامهم وغير ذلك [١] .

وذهب رشيد رضا إلى أن اتخاذ الناس قبور الصالحين والأولياء مجالا للعبادة هو أعظم باب للشرك بالله ، وأورد بعض الأحاديث التى تنهى عن الصلاة عند القبر وجعله مكانا للعبادة ، نذكر منها : روى مسلم عن جندب بن عبد الله ، قال : قال رسول الله ﷺ: « ألا إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد » ، وأكد على أوامر الرسول بعدم تشييد القبور والأمر بتسويتها لورود الأحاديث فى ذلك[٢] .

وحينما توفى سعد زغلول وقرر مجلس الوزراء أخذ بيته وشراء البيتين المجاورين له وهدمهما وإنشاء قبة عالية يجعل فيها قبره بنقل جثمانه إليها ، وتجعل مسجدا ومزارا للناس فتكون كقبة الشافعى والبدوى ، وقد رسم الرسامون شكل القبر وشكل القبة وطبع ذلك ونشر فى الجرائد ، هاجمت المنار هذا القرار ، ونحت باللائمة على العلماء لسكوتهم على هذا الفعل والنصح للحكومة بألا تجعل قبره مسجدا ؛ لأن بناء المساجد على القبور محرم شرعا لورود الأحاديث الصحيحة فى النهى عنه [٣] ، ووجه رشيد رضا رجاء إلى الحكومة أن تمنع جعل قبر سعد مسجدا لمخالفة ذلك لنصوص الشرع وحكمة التشريع معا ، حتى لا يفتتن الجاهلون بتعظيم القبر تعظيما دينيا ، كذلك هاجم دعاة الإلحاد من القبط والمسلمين فى طلبهم جعل شكل القبة فرعونيا فبها تجعل جنسية المصريين فرعونية وليست عربية ، وأشار رشيد رضا إلى أن سعد زغلول ينتمى إلى أسرة عربية الأصل وليست فرعونية كما يدعون[٤] .

وكتب عبد الله أحمد المحلاوى فى « الفتح » مشيرًا إلى أن الأمراض التى أصابت المسلمين فى ذلك العصر هى من جراء ظهور البدع التى أدخلها المبطلون على الدين الحنيف حتى راجت بين الناس وظنوا أنها من الدين وليست منه فى شىء ، وحث الكاتب على اتباع حديث رسول الله ﷺ : « اتبعوا ولا تبتدعوا ، فإنما هلك من كان قبلكم بما ابتدعوا فى دينهم وتركوا سنن أنبيائهم ، وقالوا بآرائهم فضلوا وأضلوا » .

---

(١) المنار ، جـ ٥ ، م ٣١ ، رجب ١٣٤٩هـ، ديسمبر ١٩٣٠م .

(٢) المنار ، جـ ٧، م ٢٨ ، ربيع الآخر ١٣٤٦هـ، سبتمبر ١٩٢٧م .

(٣) المنار ، جـ ٦، م ٢٨ ، صفر ١٣٤٦هـ، أغسطس ١٩٢٧م .

(٤) الفتح ، عدد ١٢٧، ٨ رجب ١٣٤٧هـ، ٢٠ ديسمبر ١٩٢٨م .

وقصارى القول أن الصحف الإسلامية أدت دورا كبيرا فى محاربة بدع الصوفية ، وتصحيح بعض المفاهيم الخاطئة والشائعة عندهم ، وما تحويه كتبهم من مخالفات وخرافات بعيدة عن أصول الإسلام وحقائقه وتعاليمه التى جاء بها القرآن والسنة النبوية كإسناد بعض المعجزات لمشايخ الطرق الصوفية وطرح عليهم صفات الألوهية والنبوة والتوسل بهم والاستعانة بالأولياء والصالحين ، فضلا عن البدع الأخرى الدخيلة فى الإسلام ويظنها الناس من تعاليمه .

المذاهب الهدامة :

ظهرت فى تلك الفترة التى خصصناها للدراسة « فترة ما بين الحربين العالميتين » دعوات هدامة ، كلها تستهدف القضاء على الدين الإسلامى بطريقة أو بأخرى ، وبعضها كان يتستر تحت عناوين زائفة بدعوى حب نشر السلام والحرية والوئام بين البشر ، وفى مقدمة هذه الدعوات القاديانية والبهائية وغيرهما .

القاديانية :

كانت هذه النحلة موضع اهتمام كبير على صفحات الصحف الإسلامية ، حيث كان دعاتها ينشرون دعايتهم الضالة فى البلاد الإسلامية ، وقد برز لها دعاة فى مصر .

نشأت القاديانية فى بلدة قاديان التابعة للبنجاب فى الهند بمساعدة الاستعمار الإنجليزى، وكان ميرزا غلام أحمد مؤسس القاديانية عميلا للإنجليز ، ومعظم قادة القاديانية ودعاتها تعلموا فى جامعات إنجلترا ، وكانوا على صلة بالاستعمار الإنجليزى فى الهند .

وقد برزت القاديانية كحركة موجهة للطعن فى العقيدة الإسلامية وتعاليمها ولضرب المسلمين فى ظهرانيهم ، وإيجاد التفرقة بين صفوفهم ، وهى نحلة اتسمت بالكفر وخرجت عن الإطار العام للإسلام وتعاليمه ، بالرغم من ادعاء أصحابها أنها حركة إسلامية .

فأول ظهور ميرزا بدعوته كان كرجل داعية ، عندما أعلن فى رسالة له فى عام ١٨٨٤م أنه مجدد الإسلام ، واستند على قول الرسول ﷺ : « إن الله يبعث لهذه الأمة كل مائة سنة رجلا يجدد لها أمر دينها » ، ونادى على هذا الأساس بأنه رجل المائة الأخيرة التى يتم بها الأربعة عشر قرنا التى قطعها الإسلام .

وفى عام ١٨٨٨م أعلن أنه المرشد الذى يهدى الأمة الإسلامية ، وادعى بعد ذلك أن روح المسيح وروح محمد قد حلتا فى جسده ، وعلى هذا فهو نبى ، ثم جنح فى عام ١٩٠١م ليسير بدعوته فى ظلال الإسلام ، فأعلن أنه النبى محمد ، ولا سيما وأن اسمه

أحمد الاسم الثانى للرسول ﷺ الذى ورد ذكره فى القرآن ، والذى بشر به المسيح فى إنجيله ، وحاول ميرزا أن يوهم المسلمين بأنه له معجزات كسائر الأنبياء ومن هذه المعجزات محاولته التنبؤ بالكسوف والخسوف ، وكان الإنجليز يمدونه بحسابات هذه الظواهر الفلكية التى لم تكن معروفة فى الهند آنذاك [(١)] .

وكانت القاديانية فى عهد غلام أحمد وخليفته نور الدين مذهبا واحدا ، غير أنهم فى آخر حياة نور الدين بدأ الخلاف يدب فى صفوفهم ، وحينما مات نور الدين انقسموا إلى شعبتين شعبة قاديان ورئيسها محمود بن غلام أحمد ، وشعبة لاهور وزعيمها محمد على مترجم القرآن إلى اللغة الإنجليزية[(٢)] . ويشير الشيخ محمد الخضر حسين إلى أن أساس عقيدة شعب قاديان هو أن غلام أحمد نبى مرسل ، وأما شعبة لاهور فظاهر مذهبها أنها لا تثبت النبوة لغلام أحمد ، وهى تنكر أن يكون المسيح عليه السلام ولد من غير أب ، وزعيم هذه الشعبة محمد على يصرح بأن عيسى عليه السلام ابن يوسف النجار ، ويحاول تحريف بعض الآيات القرآنية لتوافق مذهبه ، وحذر الشيخ الخضر حسين من دعاة القاديانية ولاسيما شعبة لاهور التى تعلن أن غلام أحمد مصلح ومجدد لا نبى ، وناشد العلماء فى مصر أن يتصدوا للدعاية القاديانية التى أصبح الناس لا يعرفون عنها شيئا ويعتقدون أنهم دعاة الإسلام بحق[(٣)] .

هذا وقد كشفت الصحافة الإسلامية عن أضاليل القاديانية وفساد مذهبها وشنت الهجوم عليها ، ولاسيما بعد أن انتقلت أفكارها وآرائها إلى مصر عن طريق رجل يسمى منير الحصنى ، وانتشرت دعوتها فى كل أرجاء الدولة الإسلامية ، وصار لها أتباع ودعاة يبثون تعاليمهم فى رسائل يطبعونها ويوزعونها ومقالات ينشرونها ، وتحظى بتأييد الدولة البريطانية الاستعمارية ومساعدتها .

وفى مقال بعنوان : « القاديانيون وأضاليلهم » أشار عزة المرادى إلى ادعاء غلام أحمد النبوة وأنه هو المسيح الموعود الذى يعتقد أكثر المسلمين أنه لم يمت ، وإنما رفع حيا بجسده الشريف إلى السماء ، ولم يكتف ميرزا غلام أحمد بادعاء الكذب على الله وادعاء النبوة ، بل جعل النبوة مستمرة فى أصحابه ولن تنقطع إلى يوم القيامة .

---

(١) د . أحمد محمد عوف : القاديانية الخطر الذى يهدد الإسلام ، القاهرة : دار النهضة العربية ، ١٩٦٩م ، ص ٢٥ ـ ٢٨ .

(٢) أطلق على شعبة قاديان وشعبة لاهور اسم الحركة الاحمدية .

(٣) نور الإسلام ، جـ ٧ ، م ٣ ، رجب ١٣٥١هـ، مقال بعنوان : « القاديانية » للشيخ محمد الخضر حسين ، تناول فيه نشأة زعيمها فى بحث بلغ ١٦ صفحة من صفحات مجلة نور الإسلام ، تحدث فيه عن أصل غلام أحمد وولادته ونشأته وادعائه النبوة والرسالة والوحى ، وعقائد القاديانيين ومبادئهم .

وقد أبطل القاديانيون فريضة الجهاد ، ودعا غلام أحمد فى كتابه : «حمامة البشرى» إلى الانصياع إلى الاستعمار ولاسيما الاستعمار البريطانى ، وعدم مقاومته بالنفس والمال وغير ذلك من أنواع الجهاد والمقاومة[1] .

وقد نشر دعاة القاديانية فى مصر رسالة مطبوعة فى الدعوة إلى القاديانية وضعها بالإنجليزية زعيم الحركة الأحمدية فى قاديان من بلاد الهند ، وترجمها بالعربية الرحالة عبد المجيد كامل ، وطبعت هذه الرسالة على نفقة الحركة الأحمدية بمصر ، وجاء فيها: «إن طريق الوحى لا يمكن أن يسد فى وجوه الناس ، وأن المهدى والمسيح قد ظهرا فى الهند بمحل يقال له: قاديان ، وأنه يوجد الآن آلاف من حوارييه يستمعون الوحى الإلهى . . وأن المسيح الموعود يعنى غلام أحمد ، وأن الوحى ينزل على أتباعه ، وأن النبى ﷺ ليس خاتم النبيين ، وأن المسلمين الذين لا يقبلون دعوة غلام أحمد كفار ، وهم فى زعمهم بمثابة اليهود » [2] .

وقد انبرى للرد على هذا المنشور كُتّاب الصحافة الإسلامية ، وقال رشيد رضا : «كنا نظن أن بدعة القاديانى لا تتجاوز بعد موته ما نسخه من أحكام الشريعة وأهمها الجهاد ، ثم علمنا أنهم يدعون استمرار الوحى والنبوة فى أتباعه ، وأشار إلى أن مسألة الاعتقاد بالمهدى المنتظر غير صحيحة ، وهى مثار فتن كثيرة وبدع كبيرة كان آخرها فى البلاد الإفريقية مهدى السودان ، وفى آسيا الباب الذى ظهر فى إيران ، ويوضح رشيد رضا وجه التشابه بين مسيح الهند الدجال وبين باب إيران ، إذ أن كلا منهما كانا مصابا بجنون الهوس الدينى حتى لا يبعد أن يكون معتقدا لما ادعاه وفى أن تأثيره كان محصورا فى الأعاجم ، إذ تصدى كل منهما لتأويل القرآن والأحاديث بجرأة وجهل وإسراف فى الكلام ، فافتتن بهما بعض الجهلة الأعاجم وصدقوهما [3] .

ويرد عزة المرادى فى صحيفة الفتح على ادعاء القاديانيين النبوة بأن الله أخبر فى كتابه والرسول فى سنته أنه لا نبى بعده ؛ ليعلموا أن كل من ادعى النبوة بعده كذاب ودجال وضال وكذلك كل مدع إلى يوم القيامة حتى يختموا بالمسيح الدجال ، قال عليه الصلاة والسلام : « إن مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة ، فجعل الناس يطوفون ويتعجبون له ، ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ، فأنا اللبنة ، وأنا خاتم النبيين ، وقال الله ـ تعالى ـ فى حق نبيه : ﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [4] [الأحزاب : ٤٠] .

---

(١) الفتح ، عدد ٢٣٤ ، ٢٦ شعبان ١٣٤٩هـ .

(٢) نور الإسلام ، جـ ٧ ، م ٣ ، رجب ١٣٥١هـ .

(٣) المنار ، جـ ٨ ، م ٢٤ ، ذو القعدة ١٣٤١هـ، أغسطس ١٩٢٣م .

(٤) الفتح ، عدد ٢٣٤، ٢٦ شعبان ١٣٤٩هـ .

وواصلت الصحف الإسلامية الهجوم على نحلة القاديانية ودعاتها ، وما ترصده من أموال للترويج لها من خلال بعض الصحف المصرية ، وأبرز هذه الصحف « صحيفة الأهرام » التى كانت تروج وتؤيد دعوات القاديانية وتنشر مقالات فى الدفاع عنهم[١] ، وكان من أكبر دعاة القاديانية فى مصر شاب سورى يدعى منير الحصينى ، وقد طبع بعض الرسائل عن المذهب القاديانى وقام بترويجها فى مصر ، غير أن رشيد رضا وبعض كتاب الصحافة الإسلامية تصدوا له ، ووصفه رشيد رضا بأنه داعية للمسيحية الإسلامية التى يسمونها الأحمدية ، وفند ما ادعاه فى صدق المسيح الدجال القاديانى ، وأكد على أن هؤلاء القاديانيين أعداء للإسلام كافرين ببعض القطعيات من أصوله ، مضلين لأهله ، ولا أدل على ذلك من نسخ مسيحهم لمشروعية الجهاد ، خدمة للسلطات البريطانية والاستعمار الأجنبى [٢] .

وذكرت صحيفة الإخوان أن القاديانيين فى مصر قد عملوا على ترويج دعاياتهم مستغلين مظاهر الانحلال الخلقى والدينى فى الأمة ، الأمر الذى نشط من دعاياتهم[٣] .

وهكذا توالى ردود فعل الصحافة الإسلامية على النحلة القاديانية وتفنيد ادعاءاتها وتحذير الناس من اتباعهم ، وبيان زيفها ، والكشف عما فيها من مخالفة للدين الإسلامى الصحيح ، فضلا عن صلتها بالاستعمار البريطانى ، وإنكارها لفريضة الجهاد الإسلامى خدمة له .

وكان من أبرز الكتاب المسلمين الذين حاربوا المذهب القاديانى : الشيخ محمد الخضر حسين ، ورشيد رضا ، وعزة المرادى ، وشكيب أرسلان ، والشيخ مصطفى أبو سيف الحمامى ، والدكتور السيد أحمد الشريف ، ومحب الدين الخطيب . وقد أسفرت هذه الجهود عن تبرؤ جماعة الدعاية إلى القاديانية فى القاهرة من الانتساب لها ، ونشروا فى ذلك بيانا بعنوان : « بيان إلى العالم » من شباب التحقوا بالقاديانية ويعلنون الآن براءتهم منها مخلصين ، وكان رئيس هذه الجماعة أحمد حمدى كاتب محكمة الاستئناف الأهلية ، وعلى فاضل كاتب محكمة أيضا ، وأحمد عبد السلام مهندس ميكانيكى ، وعبد السلام أحمد رئيس مطبعة جريدة المطرقة وسكرتير الدعوة والتبشير للجماعة الأحمدية بمصر ، وعبد الحميد السيد بمصلحة التجارة والصناعة ، وحسن أحمد عبد السلام طالب ثانوى ،

---

(١) أنور الجندى ، الفتح ، تاريخ الصحافة الإسلامية م ٢ ، مرجع سابق ، ص ١٦٩ .

(٢) المنار ، جـ ٥ ، م ٣١ ، رجب ١٣٤٩هـ، ديسمبر ١٩٣٠م ، وجـ ٦ ، م ٢٨ ، ربيع الأول ١٣٤٦هـ، سبتمبر ١٩٢٧م .

(٣) الإخوان المسلمون ، عدد ١٩ ، السنة الأولى ، ٥ شعبان ١٣٥٢هـ .

وسيد عبد السلام صحفى بجريدة المطرقة[1] .

وفى عام ١٩٣٣م حاولت جماعة لاهور أن تنال تأييد الجامع الأزهر لدعوتها ، فبعثت بطالبين وألحقتهما بكلية أصول الدين ، وحاول هذان الطالبان نشر كتيبات باسمهما تحت ستار الإسلام ، وأحدهما سمياه « تعاليم الأحمدية » ، والثانى « الأحمدية كما عرفناها » ، فلما علم شيخ الجامع الأزهر بأمر هذين الطالبين شكل لهما لجنة للتحقيق معهما والتحقق من مذهبهما ، وكانت هذه اللجنة برئاسة الشيخ عبد المجيد اللبان عميد كلية أصول الدين وقتها ، وكتبت اللجنة فى تقريرها : إن القاديانيين كافرون ، وتم فصل الطالبين من الكلية واعتبرا ملحدين ، ونشرت عنهما الصحف المصرية، ومن هنا استثنى استبعاد القاديانيين الأحمديين من الدراسة بالأزهر الشريف[2].

البابية والبهائية :

كذلك حفلت الصحف الإسلامية بالمقالات والتعليقات التى تحارب النحل الضالة والمذاهب المنحرفة الأخرى ، ومن أبرزها البابية أو البهائية والماسونية .

والبهائية نسبة إلى بهاء الله ، لقب يدعى به ميرزا حسين على ، وهو الزعيم الثانى للمذهب الذى تتولاه الطائفة المسماة بالبهائية ، وتسمى هذه الطائفة البابية نسبة إلى الباب، وهو لقب ميرزا على محمد ذلك الذى ابتدع هذه النحلة .

وأصل نشأة هذه النحلة أن ميرزا على محمد الملقب بالباب نشأ فى شيراز بجنوب إيران وأخذ شيئا من مبادئ العلوم ، ثم اشتغل بالتجارة ، ولما بلغ من العمر الخامسة والعشرين ادعى أنه المهدى المنتظر ، وكان إعلانه بهذه الدعوة ١٢٦٠هـ، ثم تبعه بعض الجاهلين ، وقام بنشرها فى جهات مختلفة من إيران[3] ، ثم ادعى النبوة وأنه عيسى ابن مريم وادعى الوحى، ولم يقف به التطور عند حد البشرية بل تعداها إلى مقام الألوهية، فسمى نفسه النقطة ، والأنبياء جميعا مظاهر هذه النقطة ، وقد ركز فى نفوس أتباعه مبدأ تناسخ الأرواح ، وادعى أن شريعته ناسخة لكل الشرائع وأفضلها ، وأنه أفضل من جميع الأنبياء ، وأن كتابه المسمى بالبيان أفضل من القرآن الكريم[4] .

وقد تنبه العلماء لهذه الدعاية فقاموا فى وجهها ، وعقد بعض الولاة بينهم وبين

---

(١) الإخوان المسلمون ، عدد ١٩ ، السنة الأولى ، ٥ شعبان ١٣٥٢هـ .

(٢) د . أحمد عوف : القاديانية ، مرجع سابق ، ص ٥٢ ، ٥٣ .

(٣) نور الإسلام ، جـ ٥ ، م ١ ، جمادى الأولى ١٣٤٩هـ، مقال بعنوان : « البهائية » للشيخ محمد الخضر حسين .

(٤) الهداية الإسلامية ، جـ ٤ ، م ٢، رمضان ١٣٤٨هـ، مقال بعنوان :«البابية والبهائية» للشيخ صادق عرجون .

ميرزا على هذا مجالس للمناظرة ، فرأى بعضهم ما فى أقواله من غواية وخروج عن الدين وأفتى بكفره ، ورأى آخرون ما فيها من لغو وفسوق فنسبه إلى الجنون واختلال الفكر ، واعتقل فى شيراز وساقته الحكومة الإيرانية فى عهد الملك ناصر الدين شاه إيران إلى تبريز ، وثارت بين أتباعه وبين المسلمين فتن وحروب سفكت فيها الدماء ، وكان عاقبة أمره أن أعدمته الحكومة فى تبريز رميا بالرصاص عام ١٢٦٥هـ(١) .

وكان من أتباعه المقربين إليه رجلان من أولاد الميرزا عباس النورى ، أحدهما: الميرزا يحيى الملقب بصبح الأزل ، والثانى : هو الميرزا على الملقب بالبهاء ، وامرأة تسمى قرة العين ، وكانت فصيحة سافرة وإباحية ، تقول بأمور مستهجنة ، وتدعى أن أحكام الشريعة الإسلامية قد نسخت بظهور الباب ، وخطبت فى مؤتمر « بدشت » قائلة : « إن كل عمل جاء به محمد لغو باطل لا يأتيه إلا كل غر جاهل » ، وقد قبضت الحكومة عليها وأعدمت فى عام ١٢٦٤هـ (٢) .

وبعد مقتل الباب كان أتباعه على اختلاف فى شأن من ينوب عنه إلى أن دبروا اغتيال الملك ناصر الدين انتقاما لزعيمهم ، ولكنهم فشلوا فى ذلك ، وأخذت الحكومة تتقصى أثر البابيين وتسوق زعماءهم إلى مجالس التحقيق ، وكان الميرزا حسين على الذى لقبوه بعد « بهاء الله » من شيعة الباب وأخلص دعاته ، فقبض عليه وسجن بطهران بضعة أشهر ، ثم أبعد إلى بغداد ١٢٦٩هـ .

وفى بغداد اجتمع حول الميرزا حسين الملقب « بهاء الله » طائفة من أنصاره ، غير أنه قد حدث بينهم وبين الشيعة ببغداد شقاق ومصادمات ، فقررت الحكومة العثمانية وقتئذ إبعاد البابيين من العراق فنقلتهم إلى الأستانة ، ونفتهم إلى أدرنة ، ثم قام المسمى « بهاء الله » لهذا العهد يدعو لنفسه ويزعم أنه هو الموعود الذى أخبر عنه الباب، وقبل دعوته أكثر البابيين وتسموا حينئذ بالبهائيين ، وقد رفض دعوته أخوه ميرزا يحيى الملقب « صبح الأزل » ، فأمرت الحكومة العثمانية بإبعاد الفريقين من أدرنة ، فنفت الميرزا يحيى وأتباعه إلى قبرص ، ونفت البهاء وأتباعه إلى عكا بفلسطين ، وبقى البهاء بعكا إلى أن توفى عام ١٣٠٩هـ، فتولى رأس الطائفة ابنه عباس الذى لقبوه بعبد البهاء ، فأخذ يدعو إلى هذا المذهب ويتصرف فيه كيف يشاء ، ووجه الدعوة وجهة جديدة تحت ستار توحيد الأديان ، وهو إنما يريد هدم الأديان(٣) . ولليهود دور فى ترويج البهائية وهى جزء من المخططات الماسونية اليهودية لهدم الإسلام .

---

(١) نور الإسلام ، جـ ٥ ، م ١ جمادى الأولى ١٣٤٩هـ .
(٢) الهداية الإسلامية ، جـ ٤ ، م ٢ ، رمضان ١٣٤٨هـ .
(٣) نور الإسلام ، جـ ٥ ، م ١ ، جمادى الأولى ١٣٤٩هـ.

وحينما راجت الدعاية إلى البهائية فى مصر وشارك فيها كثير من كتاب الصحافة المصرية من أمثال سلامة موسى والعقاد وإسماعيل مظهر وغيرهم ، وتكون فى مصر المحفل البهائى الروحانى المركزى سنة ١٩٢٥م ، وصدرت كتب تتحدث عن البهائية وكثر الحديث عنها بمناسبة مرور عباس أفندى البهاء بمصر(١) - هنالك انبرت الصحف الإسلامية للتصدى لهذه النحلة وكشف النقاب عنها وزيف معتقداتها ، وقال رشيد رضا: « إن مذهب البهائية هو خلاصة المذاهب الباطنية وهو أقرب إلى المسيحية من الإسلام » وأشار إلى أن البابية التى تطورت إلى البهائية ليسوا أصحاب مذهب جديد فى الإسلام ، بل أصحاب دين جديد وشريعة جديدة ، وأول كتاب طبع لهم فى اللغة العربية هو « الدرر البهية » ، وقد أنكر كون القرآن الكريم معجزا ببلاغته وفصاحته ، وقد أجروا تأويل القرآن على ما ينطبق على بدعتهم ؛ ولذلك فهم أخطر من الأحمدية القاديانية الذين جعلوا زعيمهم غلام أحمد القاديانى نبيا وليس إلها كما تزعم البهائية ، ولم ينسخوا الشريعة المحمدية إلا أحكاما قليلة كالجهاد وما يتعلق به .

والحقيقة أن البهائية مشركون ، قد اتخذوا البهاء إلها يعبدونه ، وهم يحرفون القرآن والتوراة والإنجيل فى مواضع يزعمون بتأويلاتهم الباطنية أنها تدل على هذه الديانة(٢) .

ولميرزا على - المسمى الباب - تفسير لسورة يوسف سار فيه على هذا النمط ، فقال فى قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾ [يوسف] : إن المراد من يوسف : حسين بن على ، والمراد بالشمس : فاطمة ، والقمر محمد ، وبالنجوم : أئمة الحق ، فهم الذين يبكون على يوسف سجدا ، كما فسر حج البيت العتيق بزيارة شيوخ البابية .

وفى كتاب الدرر البهية فى تفسير قوله تعالى : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ﴾ [يونس : ٣٩] : أنه ليس المراد من تأويل آيات القرآن معانيها الظاهرية ومفاهيمها اللغوية ، بل المراد المعانى الخفية التى نطلق عليها الألفاظ على سبيل الاستعارة والتشبيه والكناية .

وقد جعل ميرزا على لأتباعه أحكاما يخالف بها أحكام الإسلام وقواعده ، فجعل الصوم تسعة عشر يوما من شروق الشمس إلى غربها ، وعين لهذه الأيام وقت الاعتدال الربيعى ، بحيث يكون عيد الفطر عندهم هو يوم النيروز على الدوام ، وجعل ميرزا

---

(١) محمد إبراهيم البدرى : بين البهائية والماسونية نسب، مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية ١٩٨٦م، ص ١٩، وأنور الجندى : يقظة الفكر العربى ، مرجع سابق ، ص ٢٧ ، ١٥٩ .

(٢) المنار ، جـ ٥ ، م ٢٧ ، أغسطس ١٩٢٦م ، محرم ١٣٤٥هـ ، مقال بعنوان : « البهائية فى بلاد العرب » .

حسين ـ الملقب بهاء الله ـ الصلاة تسع ركعات فى اليوم ، وقبلة البهائيين فى صلاتهم التوجه أين يكون ميرزا حسين « بهاء الله » ، أما الحج فقد أبطله البهاء ، وأوصى بهدم بيت الله الحرام عند ظهور رجل مقتدر من شيعته .

وزعماء البهائية يدعون الألوهية ، قال عباس ـ الملقب عبد البهاء : « وقد أخبرنا بهاء الله بأن مجيء رب الجنود والأب الأزلى ومخلص العالم الذى لابد منه فى آخر الزمان كما أنذر جميع الأنبياء عبارة عن تجليه فى الهيكل البشرى كما تجلى فى هيكل عيسى ، إلا أن تجليه فى هذه المرة أتم وأكمل » ، يريد أن الله تجلى فيه بأعظم من تجليه فى أجسام الأنبياء ـ على ما يزعم ـ وقد قلد البهائيون الفلاسفة فيما يدعون من قدم العالم ، ففى كتاب بهاء الله والعصر الجديد : « علم بهاء الله أن الكون بلا مبدأ زمنى، فهو صادر أبدى من العلة الأولى ، وكان الخلق دائما مع خالقهم وهو دائما معهم»[1] .

ولا يؤمن البهائيون بالبعث ولا بالجنة والنار ، ويفسرون يوم الجزاء ويوم القيامة بمجيء ميرزا حسين الملقب « بهاء الله » ، ويفسرون الجنة بالحياة الروحانية ، والنار بالموت الروحانى ، ولا يعترف البهائيون بنبوة سيدنا محمد ﷺ ، ويخالفون ما جاء به من معتقدات وأحكام ويؤولون آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية كما سلفت الإشارة إلى ذلك .

فضلا عن ذلك ، يخفى البهائيون عقديدتهم أمام الجمهور ولكنهم يصرحون بذلك لمن يقع فى شراكهم بعد أن يثقوا بأنه ثابت على مذهبهم ، كما فعل ذلك خليفة البهاء ولده عباس أفندى البهاء حينما صرح فى مصر بأنه سنى ، وقد أشار رشيد رضا إلى أن من أكبر دعاة البهائية فى مصر أبو الفضل الجوزقانى والشيخ محمد الخراشى المنسوب إلى الأزهر وإلى مدرسة الدعوة والإرشاد التى كونها رشيد رضا ، وقد سافر الخراشى إلى العراق والكويت والبحرين يدعو بهذه الملة ، زاعما أنها لا تنافى الإسلام ، غير أن رشيد رضا قد كشف عن عمالته للبهائيين ، وحذر أهل هذه البلاد من هذا الداعية الضال ، وأعلن أنه قد ارتد عن الإسلام، وأنه لا ينبغى الاغترار بانتسابه إلى الأزهر ومدرسة الدعوة والإرشاد ، وقد حكمت إحدى المحاكم الشرعية المصرية بارتداده عن الإسلام ، وخروجه عن ملة المسلمين ، وفرقت بينه وبين زوجه[2] .

---

(١) نور الإسلام ، جـ ٥ ، م ١ ، جمادى الأولى ١٣٤٩هـ .

(٢) المنار ، جـ ٣ ، م ٢٦ ، ذو الحجة ١٣٣٣هـ، يوليو ١٩٢٥م .

وقد نشرت صحيفة الإخوان المسلمين بحثا للشيخ عبد الوهاب العيسوى أحد أعضاء الإخوان المسلمين عن البابية والبهائية تعرض فيها لتاريخها وأهدافها والعوامل التى ساعدت على نشرها وخروجها عن قواعد الدين الإسلامى ، عدد ١٣ ، ٢١ ربيع الآخر ١٣٥٣هـ .

وقصارى القول : إن البابية والبهائية نحلة ضالة ، القصد منها هدم الإسلام وزعزعة الكيان الإسلامى بادعاء أنصارها الرسالة والوحى وتأويل آيات القرآن والسنة ، ولليهود والجمعيات الماسونية دور فى نشر هذه النحلة الضالة لإدخال التحريف والتبديل فى الشريعة الإسلامية ، وتشويه معالمها .

وتجدر الإشارة فى نهاية هذا الفصل إلى أن هناك بعض الدعوات الأخرى الهدامة التى هاجمتها الصحف الإسلامية وأشارت إلى خطورتها ، ومن أهمها : الماسونية والصهيونية ، والإسماعيلية ، والبكتشاية واليزيدية ودعوات الشيعة الباطنية .



الفصل السابع

دور صحافة الاتجاه الإسلامى فى مقاومة حملات التبشير بالنصرانية

يتتبع هذا الفصل تاريخ الحركة التبشيرية فى مصر حتى الحرب العالمية الثانية وأهداف التبشير ووسائله وغاياته ، وعلاقة التبشير بالاستشراق والاستعمار ، وبيان دور المدارس الأجنبية فى التبشير والكشف عن المغالطات والافتراءات والخطط التى احتوتها كتب المبشرين ومجلاتهم ومنشوراتهم ، ودور الجماعات والمؤسسات الإسلامية والصحف الإسلامية فى مقاومة التبشير .

والتبشير يطلق فى الكتب الحديثة على المنظمات الدينية التى تستهدف تعليم الدين المسيحى ونشره فى دولة ما [1] . والتبشير عند النصارى ـ خصوصا الأوربيين منهم ـ هو هجوم النصارى على الديانات المستوطنة فى البلاد التى يتوجه إليها المبشرون النصارى ؛ للتبشير فيها خصوصا الدين الإسلامى ، وكما اعترف ذلك المبشر غادرنر حيث قال : «إنه وإن خاب أمل الصليبيين فى انتزاع القدس من أيدى المسلمين ليقيموا دولة مسيحية فى قلب العالم الإسلامى ، لكن الحروب الصليبية لم تكن لإنقاذ هذه المدينة بقدر ما كانت لتدمير الإسلام» [2] .

ويرجع تاريخ التبشير النصرانى إلى صدر النصرانية ، ويعتبر أول من قام بوظيفة التبشير هو المبشر الأسبانى «لول» فبعد أن فشلت الحروب الصليبية فى الاستيلاء على العالم الإسلامى بطريق القوة ، حيث تعلم «لول» اللغة العربية ثم طاف فى البلاد الإسلامية وناقش الكثير من علمائها ، وفى القرون الوسطى بدأت إرساليات التبشير تصل إلى الهند وجاوه والبلاد الواقعة فى جنوب شرق آسيا ، واختلط المبشرون بالمسلمين منذ ذلك الحين ، وكان (بترهلينغ) من المبشرين الذين احتكوا بمسلمى سواحل إفريقيا ، كما اهتمت هولندا بالتبشير فى جاوه فى أوائل القرن الثامن عشر ، وقسمتها لهذا الغرض إلى مناطق لكل منها كنيسة ومدرسة [3] .

وقد اهتمت الكنيسة بتوجيه جهودها إلى التبشير بالنصرانية فى العالم الإسلامى

---

(١) على عبد الحليم محمود : الغزو الفكرى وأثره فى المجتمع الإسلامى المعاصر ، مرجع سابق ، ص١٦ .

(٢) المستشار محمد عزت الطهطاوى : التبشير والاستشراق أحقاد وحملات على النبى ﷺ ، القاهرة: مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية ص١ ، ٢ .

(٣) أ .ل شاتليه : الغارة على العالم الإسلامى ، ترجمة مساعد اليافى ، ومحب الدين الخطيب ، القاهرة : المطبعة السلفية ، ١٣٥٠هـ ، ص١٧ ، ١٨ .

بالذات فى القرون الأخيرة ، وذلك لتقتلع الإسلام من نفوس المسلمين وتحل محله النصرانية حتى أطلق بعضهم على هذه العملية «حملات التنصير» [١] وقد أسس المبشرون النصارى تبشيرهم أوحملات تنصيرهم على أسس علمية منها :

أولا : على المبشر أو المبعوث النصرانى أن يعرف لغة الشعب الذى سيتوجه للتبشير بين أفراده ، وعادات هذا الشعب وتقاليده ، ومعتقداته ونقط الضعف فيه .

ثانيا : أن يكون المبشر على دراية بكيفية الدعوة إلى النصرانية ، وكيفية الهجوم على ديانة الشعب الذى سيتوجه إليه .

ثالثا : لا يفوت المبشر ـ إن لم يكن طبيبا ـ أن يكون ملما ببعض مبادئ التمريض .

رابعا : العمل الدائب على نشر الأضاليل عن الإسلام بالذات وتكرارها وترديدها فى صورة مختلفة .

خامسا : استغلال معاهد وكراسى التدريس فى المدارس والكليات والجامعات فى غرض التبشير .

وفى عام ١٢٩٤هـ اقترح المبشر «رامون» على البابا سلستين الخامس خطتين للتبشير بين المسلمين :

الأولى : أن يتم تنصير المسلمين بالقوة إذا لم تنفع الجهود فيهم .

الثانية : أن تتخذ الكنيسة العلم والمدرسة وسيلة للتبشير ويبدو أن خطة العلم والمدرسة لاقت قبولا من جانب الفاتيكان فعمل على تنفيذها ، وشجع غريغورس السادس عشر بابا روما منذ عام ١٨٣١م اليسوعيين على الذهاب إلى سوريا للعمل بها وأعطى البابا ليون السادس عشر فى عام ١٨٨١م اليسوعيين فى سوريا حق منح الشهادات بأنواعها[٢] .

وقد ظهرت حركة التبشير فى مصر فى العقد الرابع من القرن التاسع عشر ، وخاصة فى عهد الخديو محمد سعيد حيث دخلت مع رأس المال الغربى الذى تدفق بعد كسر معاهدة ١٨٤٠م لاحتكار الدولة الذى كان أنشأه محمد على ، ووصلت الإرساليات الأمريكية إلى مصر من دمشق فى عام ١٨٥٤م ، ونشطت مع الإرساليات الإنجليزية وغيرها مستفيدين جميعا من حماية الامتيازات الأجنبية ومن مؤازرة قناصل الدولة لهم ، وأنشأ الأمريكيون أول مجمع مشيخى لهم فى أبريل ١٨٦٠م برياسة جميس بارنيت وسكرتارية توماس ماكيج ، وعضوية جوليان لونسيج ، وانضم إليهم القس الأسكتلندى

---

(١) د . على عبد الحليم محمود : الغزو الفكرى ، مرجع سابق ، ص١٦١ .

(٢) محمد عزت الطهطاوى : التبشير والاستشراق ، مرجع سابق ، ص٢ ، ٣ .

يوحنا هوج فى مايو من العام نفسه (١) .

وعملت فرنسا على فرض سيطرتها على مصر من خلال الإرساليات التبشيرية والتعليمية ؛ لذلك أسس الآباء الفراريون أول مدرسة فرنسية فى مصر عام ١٨٤٤ ، ثم مدرسة أخرى عام ١٨٤٥م ، وقد استطاعوا أن ينتزعوا اعتراف الحكومة المصرية بخدماتهم التعليمية للبلاد ، ولم يمر سوى خمسة أعوام ، حتى أعطتهم قطعة من الأرض كى يشيدوا عليها مدارسهم ، ثم توالت بعد ذلك مدارس التبشير ، فأنشأت راهبات المحبة مدرسة لتربية البنات علم ١٨٤٦م ، وحذا حذوهن الراهبات الفرنسيسكان ، فأنشأت مدرسة بالقاهرة عام ١٨٥٩م بالقرب من حى الأزبكية ، ومدرسة ثانية بحى بولاق عام ١٨٦٨م ، ومدرسة ثالثة بمدينة المنصورة عام ١٨٧٢م .

وقد التحق بهذه المدارس التشيرية كثير من الطلة والطالبات من كل جنس حتى بلغ عددهم فى عهد الخديوى إسماعيل ثلاثة آلاف طالب وطالبة ، على الرغم من أن الغرض الأساسى لهذه المدارس هو نشر الدين الكاثوليكى وخدمة أهداف الاستعمار الفرنسى (٢) .

وأرادت إنجلترا أن تنشر نفوذها أيضا عن طريق الإرساليات التبشيرية والتعلمية اقتداء بفرنسا ، حتى تمهد لها هذه الإرساليات سبيل التدخل السافر فى شؤون مصر ، كما مكنت لها شركاتها التجارية غزو الهند واحتلالها ، فأرسلت أول بعثة تبشيرية إلى مصر عام ١٨٤٠م وجاء البعثة الأسكتلندية البروتستانتية وفتحت لها مدرسة بالإسكندرية ، وتلتها بعثة أخرى ١٨٦٠م برئاسة «مس وتلى» كريمة رئيس أساقفة دبلن ، ووهبت هذه الفتاة حياتها لمهنة التبشير التى جاءت من أجلها مصر ، وأسست مدرسة فى القاهرة لهذه الغاية برغم الصعوبات التى واجهتها ، ولكنها صبرت وثابرت طيلة عشر سنوات فى حمل الفتاة المصرية على التعليم والاستجابة لندائها ، واستطاعت أن تحقق بعد ذلك نجاحا وامتلأت مدرستها بالتلميذات وقام بتشجيعها الخديو إسماعيل ، وأمدها بالمال اللازم ؛ لتشيد هذه المدرسة بحى الفجالة حتى صارت من أرقى مدارس مصر (٣) .

وقد اتسع نطاق التبشير فى مصر بعد الاحتلال البريطانى ، وبلغ درجة بالغة الخطورة، وتصدى لذلك عبد الله النديم فى مجلة «الأستاذ» الصادرة عام ١٨٩٢م ، ونشر فصلا من كتاب مبشر يدعى يحنا هورى الألمانى سماه «الإسلام وتأثيره على تابعيه» ، قال فيه : «حيث إن الإسلام دين غير صحيح ، وأنه لا تأثير له فى حياة تابعيه الدينية ، ولا

---

(١) طارق البشرى : المسلمون والأقباط فى إطار الجماعة الوطنية ، مرجع سابق ، ص٤٧١ .

(٢) عمر الدسوقى : فى الأدب الحديث ، مرجع سابق ، حـ٢ ، ص٩ .

(٣) المرجع السابق ، ص١٠ .

فى تقدمهم فى العلوم حينئذ نضع الدين النصرانى محله» ، ويعلق النديم على هذا القول قائلا : « لو أن أى مسلم كتب مثل هذا التعصب لقامت عليه قيامة أوربا وقالوا : هذا دعاء للحرب الدينية ، وتعرض للدين المسيحى ، وسحبوا قناصلهم ، ونادوا بين أتباعهم المعتمدين فى الشرق بالرحيل بدعوة فقدان الأمن العام وتوحش المسلمين ، فنحن نسأل من ملؤوا أعمدة « التايمز» وغيرها من نسبة التعصب إلى المصريين خصوصا والمسلمين عموما : هل رأوا المسلمين اجتمعوا لتغيير دين النصارى ليكونوا معهم ، أو تعرضوا لمسيحى بالمجادلة والمناظرة» (١) .

وأكبر شاهد على تزايد هذا النشاط التبشيرى فى مصر فى ظل الاحتلال البريطانى أن جمعية التبشير الإنجليزية قد أنشأت فى مصر عام ١٨٩٨م ستة معاهد للتبشير ، فيها كثير من النساء المبشرات ، ويقوم مبشروها بنشر مجلة تسمى «الشرق والغرب» (٢) ، ومجلة أخرى شهرية بعنوان «بشائر السلام» تضمنت هجوما شديدا على الإسلام ورسوله (٣) .

وقد عقد فى القاهرة فى الرابع من أبريل ١٩٠٦م مؤتمر عام للتبشير فى بيت الزعيم أحمد عرابى بباب اللوق تحت رعاية الاحتلال البريطانى ، وبلغ عدد مندوبى الإرساليات التبشيرية اثنين وسبعين من رجال ونساء منهم واحد وعشرون مندوبا عن إرساليات التبشير الأمريكية فى مصر وإيران وتركيا وسوريا والهند ، وعن إرساليات التبشير الإنجليزية خمسة ، والباقى عن الإرساليات الأسكتلندية والإنجليزية المنفردة والألمانية والهولندية والسويدية والدانمركية الموجودة فى بلاد العرب (٤) .

وكان القس زويمر رئيس إرساليات التبشير العربية فى البحرين أول من فكر فى عقد هذا المؤتمر ليجمع فيه إرساليات التبشير البروتستانتية ، وذلك للتفكر والتعاون فى نشر الإنجيل بين المسلمين (٥) ، وكان لفرنسا أيضا جمعية تسمى الإرساليات العلمية المغربية ، مؤلفة من المستشرقين الذين درسوا الكتب الإسلامية ، والعادات الشرقية واللغة العربية وغيرها من لغات المسلمين خدمة لجماعات فرنسا السياسية والدينية والاقتصادية ، وقد أصدرت هذه الجمعية عام ١٩٠٧م مجلة كبرى مصورة باسم «العالم الإسلامى» يرأس تحريرها المسيو أ .ل شاتليه ـ أستاذ المسائل الإسلامية فى جماعات فرنسا ـ وكانت هذه المجلة فى بداية صدورها تظهر بأنها مجلة علمية حتى تم لفرنسا احتلال المغرب فظهرت

---

(١) أنور الجندى : الفكر العربى المعاصر ومعركة التغريب والتبعية الثقافية ، مرجع سابق ، ص٢٩٨ ، ٢٩٩ .
(٢) محمد عزت الطهطاوى : التبشير والاستشراق أحقاد وحملات ، مرجع سابق ، ص٢٢٥ .
(٣) محمد جمال الدين المسدى : دنشواى ، القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٧٣م ، ص٦٢ .
(٤) محمد عزت الطهطاوى : التبشير والاستشراق ، مرجع سابق ، ص١٥٢ ، ١٥٣ .
(٥) أ . ل شاتليه : الغارة على العالم الإسلامى ، ترجمة محب الدين الخطيب واليافى .

بمظهرها الحقيقى الذى تكون فيه الدروس الدينية ذريعة لغايات سياسية [١] .

ومنذ عام ١٩١٠م نمت لدى المبشرين فكرة اقتحام المجال الإسلامى ، وأعلن جوط موط المبشر الكبير شعار : ضرورة تبشير العالم كله فى هذا الجيل ، وطرح فكرة تنصير العالم غير النصرانى ، كقضية عاجلة ومن أجل ذلك انعقد أول مؤتمر عالمى للإرساليات فى أدنبرة باسكتلندا فى عام ١٩١٠م ، جمع المندوبين من ١٥٩ جمعية من غالب المنظمات والكنائس ، وعرضت على المؤتمر ثمانية موضوعات على رأسها مسألة حمل الإنجيل إلى العالم غير المسيحى ، ومنها ـ أيضًا ـ التعليم وأثره فى تنصير الحياة الوطنية وعلاقة التبشير بالأديان غير النصرانية ، وعلاقة الإرساليات بالحكومات التى تعمل فى بلادها ، وأظهر هذا المؤتمر العداوة والبغضاء للإسلام والمسلمين ، وأشار إلى أن الإسلام قد انتشر على حساب النصرانية ، وأظهر ضعفها وأقام عقيدة ونظاما اجتماعيا جديدين ،وبدا قوة هائلة عملت على توحيد الشرق [٢] ، وقد ركز التبشير على مصر بعد الحرب العالمية الأولى على أساس أن مصر هى مركز الثقل فى العالم العربى كله ، وكل ما يثار فيها من تيارات إنما يكون عاملا مهما للتأثير على مختلف الأجزاء فى الوطن العربى كله ، وفى فترة ما بين الحربين العالميتين ـ موضوع الدراسة ـ عقدت سلسلة من مؤتمرات المبشرين منها مؤتمر عقد بحلوان من ضواحى القاهرة فى الفترة من ١٧ ـ ١٩ أكتوبر ١٩٢١م ، مثلت فيه كنائس غربية وشرقية فى إطار حركة عالمية لإعادة توحيد الكنائس .

وظن المبشرون فى حركات التغريب والعلمنة الحاصلة فى المجتمع المصرى عنصرا مواتيا له فى نشاطهم ضد الإسلام ، مادامت حلت الجامعة الوطنية محل الجامعة السياسية الدينية وألغيت الخلافة الإسلامية ، وحلت القوانين الوضعية محل النظم والقوانين الإسلامية ، وانتشر الفكر الغربى بين المصريين ، واعترفت النظم السياسية بحرية العقيدة والحرية الفردية .

وتركزت المقار الرئيسية للتبشير فى مصر فى مراكز الإرساليات والجمعيات الدينية كجمعية الكتاب المقدس ، وجمعيتى الشبان المسيحيين والشابات المسيحيات ومدارس الإرساليات الأمريكية والإنجليزية ، مثل كلية التجارة بالعطارين بالأسكندرية ومدارس الأمريكان بالقاهرة ، ومدارس الأسقفية الإنجليزية بسراى القبة ، والجامعة الأمريكية ، وكلية البنات الأمريكية بشارع رمسيس ، ومدرسة الأزبكية للبنات ، وكلية أسيوط الأمريكية وكلية البنات الأمريكية بأسيوط ، وكلية البنات الأمريكية بالأقصر ، والمستشفيات : كمستشفيات طنطا الأمريكية وهرمل الإنجليزية بالقاهرة وشبين القناطر وبور سعيد وأسيوط الأمريكية والجرمانى بأسوان ، والملاجئ : كملجأ ليليان تراشر بأسيوط

---

(١) محمد سعد الدين الجيزاوى : أصداء الدين فى الشعر المصرى الحديث ، ص١٩٥ .

(٢) طارق البشرى : المسلمون والأقباط فى إطار الجماعة الوطنية ، مرجع سابق ٤٧٣ ـ ٤٧٥ .

والإنجيلى بحلوان (١) .

وكان لمعاهدة لتران التى عقدت فى ١٩٢٩م بين الكرسى البابوى والحكومة الإيطالية، والتى حصلت الفاتيكان بموجبها على مساعدات مالية كبيرة أعلن أن الجانب الأكبر منها سيوجه إلى دعم الحركة التبشيرية وكان لهذه المعاهدة أثرها الواضح ، فإنه لم تكد تمضى على ذلك فترة طويلة حتى اجتاحت مصر والسودان حملة تبشيرية ضخمة (٢) .

ويلاحظ أن هدف التبشير ليس إدخال المسلمين فى النصرانية فحسب ، بل العمل أيضا على محاربة العقيدة الإسلامية عن طريق نشر الأفكار العلمانية والمادية وتحطيم مقومات الفكر الإسلامى وقيمه وتغليب طابع التفرنج الذى يقضى على الذاتية الإسلامية والشخصية العربية المستقلة ، هذا ما أكده محب الدين الخطيب فى مقال بعنوان «دعاة النصرانية فى ديار الإسلام» وأنه من أهداف التبشير التى أعلنها كبير المبشرين زويمر فى مؤتمرهم قبل الحرب العالمية الأولى «هدم الإسلام من قلوب المسلمين ، حتى إذا أصبحوا غير مسلمين سهل علينا ـ على زويمر ـ أو على من يأتى بعدنا أن يبنوا النصرانية فى نفوس المسلمين ، أو فى نفوس من يتربون على أيديهم» (٣) .

واستعانوا على ذلك بالتعليم والخدمات الطبية والاجتماعية والمطبوعات ، يقول زويمر لتلاميذه : «إنكم أعددتم شبابا فى ديار الإسلام لا يعرفون الصلة بالله ولا يريدون أن يعرفوها ، وأخرجتم المسلم من الإسلام ، ولم تدخلوه فى المسيحية ، وبالتالى جاء النشء الإسلامى طبقا لما أراده له الاستعمار» (٤) . فمن أهداف الاستعمار إذن العمل على إفساد عقول المسلمين ، ونشر الأفكار الهدامة لتمهيد الطريق للمبشرين لنشر الدين النصرانى ، كما ساعد الاستعمار المستشرقين لنفس الهدف ، ولا شك أن هناك صلة قوية بين التبشير والاستشراق ، رغم ما يتسم به الاستشراق من صفة علمية ، وإن كان هناك بعض المستشرقين الذين يعملون على إبراز الحقيقة العلمية الموضوعية ، لكن غالبية المستشرقين يعملون بالتبشير ، والسبب الرئيسى الذى دعا الأوربيين إلى الاستشراق هو سبب دينى فى الدرجة الأولى وذلك ليتسنى لهم تجهيز وإرسال الدعاة المبشرين إلى العالم الإسلامى (٥) .

فأهداف التبشير والاستشراق واحدة وإن اختلف الأسلوب والطريقة ، وهى تتلخص فيما يلى :

---

(١) المرجع السابق ، ٤٧٨ .

(٢) أنور الجندى : مقدمات العلوم والمناهج ، مرجع سابق ، ص٦٩٣ ، ٦٩٤ .

(٣) الفتح ، عدد٩١ ، ٢١ شوال ١٣٤٦هـ ، ٢ أبريل ١٩٢٨م .

(٤) محمد على ضناوى: كبرى الحركات الإسلامية فى العصر الحديث، القاهرة، دار الاعتصام،١٩٧٨م، ص٧٦.

(٥) المرجع السابق،ص٢٣ ،ومحمد البهى:الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى ،ص٥٢٢، ٥٢٣.

١ـ تشكيك المسلمين فى إسلامهم وعقيدتهم وثقافتهم والحيلولة دون تجمعهم .

٢ـ اختيار بعض الأشخاص وتعهدهم والإيحاء لهم بخلق اتجاهات معادية للإسلام بغية زعزعة عقائد المسلمين .

٣ـ دراسة التطور الفكرى والسياسى فى المنطقة الإسلامية .

٤ـ تحويل المسلمين إلى النصرانية (١) .

وتحقيقا لهذه الأهداف بلغ استهتار الإنجليز بمقدرات الأمة المصرية وتجاهلوا أنها أمة مسلمة ، ففتحوا للحملات التبشيرية أبواب البلاد بعد أن مهدوا لها بنشر الجهل والفقر والمرض ، وبعد أن اطمأنوا إلى أن مقاليد الحكم فى مصر أصبحت فى يد الفئة التى تدين لهم بالولاء والتبعية ، ومن ثم انتشر المبشرون فى أنحاء البلاد فى المدن والقرى تحت سمع المسؤولين من الحكام وبصرهم ، بل إن هؤلاء الحكام كانوا بحكم تعليمات رؤسائهم يسهلون للمبشرين وسائل دخول المدن والقرى ، كما يسهلون لهم وسائل الاتصال بالجماهير وإقامة ما يشاؤون من منشآت ، والأخذ على يد من يتعرض لهم !! (٢) .

وقد ذهب زويمر (٣) ـ كبير المبشرين الأمريكيين فى مصر وسوريا وفلسطين ـ إلى الأزهر الشريف مع ثلاثة من الأجانب من بينهم امرأة ، فتبعه مراقبوا الجامع الأزهر لعلمهم بنشاطه التبشيرى ،ودخل المبشر ومن معه حلقة درس الشيخ سرور الزنكلونى ، وفى أثناء شرحه لسورة «التوبة» ووزع على الطلبة ثلاث رسائل تتضمن تفسيرات نصرانية لآية الكرسى وأسماء الله الحسنى ، ثم ترك الحلقة إلى غيرها يوزع رسائله ، وأهاج هذا الأمر نحو من ثلاثة آلاف طالب أزهرى كانوا موجودين وقتها ، ومزقوا الرسائل ، وساد السخط والاستياء جميع الأوساط العلمية والسياسية والصحفية (٤) ، وبخاصة صحافة الاتجاه الإسلامى ، وكتبت صحيفة «الفتح» متعجبة أن تبلغ الجرأة بالمبشرين أن يدخلوا معقل الدعوة الإسلامية فى مصر وهو الجامع الأزهر الشريف ويوزعوا الكتب التبشيرية بين طلابه ، الأمر الذى أحدث ردود فعل واسعة النطاق فى أروقة الجامع الأزهر ، إذا

---

(١) محمد على ضناوى :كبرى الحركات الإسلامية ، ص٢٤ ـ ٣١ .

(٢) محمود عبد الحليم : الإخوان المسلمون ، أحداث صنعت التاريخ ، مرجع سابق ، ص٥٩ .

(٣) كان زويمر المسؤول عن تحرير مجلة «العالم الإسلامي» التبشيرية وواحدا من أقطاب كافة مؤتمرات التبشير التى انعقدت لتنصير العالم الإسلامي ، وعرفت كتاباته بالتعصب والتعسف ضد الإسلام ، وكان لدى زويمر تصريح من وزارة الأوقاف المصرية بدخول المساجد ، وقد استغل هذا التصريح الصادر إليه بوصفه مستشرقا فى دخول الأزهر وتوزيع بعض رسائل التبشير فى عام ١٩٢٦م ، ثم فى أبريل ١٩٢٨م انظر : طارق البشرى: المسلمون والأقباط فى إطار الجماعة الوطنية ، مرجع سابق ، ص٤٨٣ .

(٤) طارق البشرى : المسلمون والأقباط فى إطار الجماعة الوطنية ، ص٤٨٣ ، ٤٨٤ .

طالب علماؤه بالتصدى لهذه الزمرة من المبشرين الذين يهاجمون الإسلام فى عقر داره[1].

وأرسل علماء الأزهر أيضا وفدا إلى رئيس الوزراء مصطفى النحاس طالبين إليه وقف أعمال التبشير فى مصر، ووقف توزيع رسائل المبشرين فى الشوارع ووسائل المواصلات ، وعلى صعيد آخر كان من ردود الفعل الغاضبة تجاه دخول المبشرين الأزهر أن قام خليل أبو رحاب ومحمد لطيف وعبد الحميد بك سعيد رئيس جمعية الشبان المسلمين بتقديم احتجاج رسمى فى مجلس النواب إلى رئيس الوزراء ووزير الداخلية ، قال الدكتور عبد الحميد سعيد : هل وصل إلى علم دولة رئيس الوزراء ووزير الداخلية ما يقوم به جماعة المبشرين الأمريكان من إيقاد الفتنة فى أنحاء البلاد بتوزيع كتب وأوراق كلها طعن فى الدين الإسلامى ، وهل علما كيف وصلت السفاهة بالمبشر الأمريكى المدعو زويمر ، حيث اجترأ على إهانة المسلمين وجرح كرامتهم بالطعن على الإسلام فى أكبر وأقدس معهد إسلامى ، ولولا ما تذرع به علماء الجامع الأزهر من العقل والحكمة لكان مصير ذلك السفيه القتل ، ودعا الحكومة إلى اتخاذ الإجراءات الرادعة لهؤلاء المفسدين ومراقبة حركاتهم ، وأن تحرم عليهم دخول المساجد والتجول فى القرى ، وتوزيع تلك النشرات التى تؤذى المسلمين فى دينهم وعواطفهم [2] .

وجاء رد رئيس الوزراء مخيبا للآمال الإسلامية ، إذ راعى ما تفرضه الامتيازات الأجنبية من قيود على حركة الحكومة والدولة عامة ، وما تمنحه للأجانب ومنهم المبشرين من حصانات ، فاكتفى بذكر اهتمام الحكومة بالأمر واعتذار القس زويمر عن فعلته ، وامتدح الأزهريين لاتخاذهم موقف الرزانة والحكمة تجاه صنيع زويمر [3] .

ويبدو أن هذا الرد لم يلق قبولا لدى الجانب الإسلامى ، فانبرت الصحف الإسلامية لمهاجمة الحكومة المصرية وكشفت عن تسامح الحكومات مع البعثات التبشيرية منذ عصر محمد على إلى الآن «١٩٢٨م» ، وذكرت «الفتح» أن حكومة مصر الإسلامية لم تكن منذ أيام محمد على إلى الآن متسامحة مع الإرساليات والراهبات الكاثوليكية فحسب ، بل هى أكرمت وفادتهم وأقطعتهم المساحات الواسعة فى أنحاء البلاد وسهلت لهم السبل لإنشاء المعاهد العلمية والأدبية وإحاطتهم بصنوف من الرعاية لم يروها فى فرنسا البنت البكر للكثلكة ، ولا من روسيا السوفيتية ، ولا من الجمهورية التركية ، ولا من المكسيك فى القرن العشرين [4] .

وقدمت الصحف الإسلامية احتجاجات الجمعيات الإسلامية ، فى مصر ، ونشرت

---

(١) الفتح ، عدد ٦٤ ، ٤ ربيع الآخر ١٣٤٦هـ ، ٢٩ سبتمبر ١٩٢٧م .

(٢) الفتح ، عدد ٩٣ ، ٦ذو القعدة ١٣٤٦هـ ، ٢٦ أبريل ١٩٢٨م .

(٣) طارق البشرى : المسلمون والأقباط فى إطار الجماعة الوطنية ، مرجع سابق ، ص٤٨٤ .

(٤) الفتح ، عدد ٥٧ ، ١٤ صفر ١٣٤٦هـ ، ١١ أغسطس ٢٩٢٧م .

برقيات الاحتجاج من الجامعات والأفراد والمؤسسات ، وكلها تجمع على استنكار النشاط التبشيرى فى مصر وتندد بدخول المبشرين الجامع الأزهر الشريف ـ معقل الإسلام فى هذا البلد وقد أعد علماء معهد الزقازيق بيانا يستنكرون فيه الدعاية التى يقوم بها المبشرون فى بلاد العرب والإسلام ، ويطالبون بتشكيل لجنة لرسم خطة مثلى لمقاومة المبشرين ، الذين اعتدوا على حرمات الإسلام ومقدساته (١) .

وكتب عالم آخر من علماء الأزهر مقالا بعنوان : «هل من عطوف يرحم الإسلام» عبر فيه عن ألمه لما يقوم به المبشرون فى مصر وغيرها من البلاد الإسلامية من تنصير للمسلمين من خلال مدارسهم ومستشفياتهم التى أنشئت لهذا الغرض ومضى فى مقاله شارحا بعض المطاعن والافتراءات التى يبثها المبشرون على الدين الإسلامى ، ودعا المسلمين إلى مقاومة البعثات التبشيرية وملاحقتها فى كل مكان (٢) .

وناشد عمر إبراهيم الدسوقى ـ أحد كتاب الفتح ـ ملك البلاد أن ينظر فى أمر هؤلاء المبشرين الذين انتشروا فى البلاد انتشارا ذريعا ، وقدم النائب على بك سالم سؤالا إلى وزيرى الداخلية والخارجية عن الإجراءات التى ينبغى أن تتخذ حيال هؤلاء المبشرين ، والمدارس الأجنبية فى مصر التى تقوم بأعمال التبشير وتطعن فى الإسلام (٣) .

وكان من أبرز المدارس التبشيرية فى مصر المدارس العذارية والفرنسيسكان والفرير والأمريكان والآباء اليسوعيون ، والجامعة الأمريكية بالقاهرة ، وكلية فيكتوريا فى الأسكندرية ، وقد تصدى كتاب الصحافة الإسلامية لفضح هذه المدارس التبشيرية وبيان خطورتها فى تنصير النشء المسلم ، ودعوا المسلمين إلى الانفصال عنها ودعوا أثرياء المسلمين إلى المساهمة فى إنشاء مدارس تضم أبناءهم . ويشير الشيخ مصطفى محمود القاضى فى مقال بعنوان : «خطر المراسلين الأمريكان» إلى ما يقوم به المراسلون الأمريكان فى كلية أسيوط من تعليم الطلبة المسلمين دروس الديانة النصرانية وامتحانهم فيها ، وأنهم استطاعوا تنصير اثنى عشر طالبا ، ونبه إلى خطر هذه المدارس قائلا : «مدارس الأمريكان هى مدارس تقوم بها جمعية غرضها الدعوة إلى الدين المسيحى ، ومعقل هؤلاء الدعاة فى القطر المصرى أسيوط ، لهم فيها مدرسة ابتدائية ومدرسة ثانوية، ومدرسة للبنات ، وفى كل هذه المدارس يضطر الطالب المسلم أن يتعلم دروس الديانة المسيحية ، ولا ينقل من فرقة إلى فرقة إلا بعد النجاح فى هذه الامتحان» (٤) .

---

(١) الفتح ، عدد ٤٦ ، ١٧ ذو القعدة ١٣٤٥هـ ، ١٩ مايو ١٩٢٧م .
(٢) الفتح ، عدد ١٥ ، ٥من محرم ١٣٤٤هـ ، ١٥ يوليو ١٩٢٦م .
(٣) الفتح ، عدد ١٩٦، ٢٥ ذو القعدة ١٣٤٨هـ ، ٢٤ أبريل ١٩٣٠م .
(٤) الفتح ، عدد ٦٤ ، ٤ ربيع الآخر ١٣٤٦هـ ، ٢٩ سبتمبر ١٩٢٧م .

وكتب عجاج نويهض - مترجم كتاب «حاضر العالم الإسلامى» - فى صحيفة الفتح يؤكد أن المدارس الأجنبية المنتشرة فى العالم الإسلامى السواد الأعظم منها تبشيرى ، وهى بمختلف علاماتها وأنواع جمعياتها التى تنتمى إليها شر القوى المسلطة على النفسية العامة فى هذه البلدان ؛ لأنها مراكز مسلحة بأحداث آلات الفساد وعملها فى الغارة على الأمة ونشئها لا يقل بوجه من الوجوه عن الغارة العسكرية الحربية ، بل غارة المدارس الأجنبية أقتل وأنفذ ، وتهدف هذه المدارس إلى تخريج نشء مسلوب الدين والعقيدة فاقد لتاريخ الإسلام والتقاليد العربية الأصيلة [1] .

وطالب الدكتور عبد الحميد سعيد رئيس جمعية الشبان المسلمين وزارة المعارف أن تراقب هذه المدارس لترى أهى مدارس للعلم ، أم هى مفاسد لدين الأمة وأمكنة لنشر أسباب الفتنة والبغضاء بين المسلمين وغيرهم ، مشيرا إلى حادثة وقعت فى مدارس الفرير إذ وقف أحد المدرسين يطعن فى الإسلام بين التلاميذ ويشكك فى تعاليمه [2] ، هذا فضلا عن اضطهاد الطلبة المسلمين فى تلك المدارس، حيث يحال بينهم وبين دارسة الإسلام ، ويمنعون من قراءة القرآن ، ولم يسمح لهم أن يقرؤوا باب الجهاد فى الفقه والآيات التى تحث على ذلك وغير ذلك من المسائل الإسلامية [3] .

وقد تابعت الصحافة الإسلامية أخبار المنظمات التبشيرية فى بعض البلاد العربية والإسلامية ، وآزرت جهود بعض الحكومات العربية فى رفض إنشاء مدارس تبشيرية فى بلادها ، وقد أشادت الفتح برفض الحكومة اليمنية طلب البعثة الكاثوليكية لإنشاء مدرسة فى صنعاء وقالت : «إن الحكومة معذورة فى ذلك لأنها ترى فى المدارس التبشيرية طلائع عمل استعمارى واسع النطاق قد يؤدى إلى وضع البلاد تحت رحمة المستعمرين» [4] ، وأكد الشيخ عبد الباقى سرور على أن خطر التبشير شديد وأن حركتهم توجه سهامها إلى بلاد العرب مهد الديانة الإسلامية ، وناشد المسلمين فى تلك البلاد إلى مقاومة هذا الخطر بتشكيل الجمعيات وجمع الأموال لها ، واختيار الدعاة ، وتنظيم الدعاية ، وذلك لإيجاد حركة مضادة لحركة التبشير [5] ، التى أعلنت الهجوم على العالم الإسلامى .

وكتب القس زويمر فى مجلة العالم الإسلامى التبشيرية والتى يشرف على تحريرها فى عدد أبريل ١٩٣١م تحت عنوان «المساحات التى لم تحتل بعد» ذكر فيها أن الأقاليم التى لم

---

(١) الفتح ، عدد ١٥٨ ، ٢٥ صفر ١٣٤٨هـ ، أول أغسطس ١٩٢٩م .

(٢) الفتح ، عدد ١٣٦ ، ١١ رمضان ١٣٤٧هـ ، ٢١ فبراير ١٩٢٩م .

(٣) المنار جـ٧ م ٣٥ ، أكتوبر ١٩٣٩م .

(٤) الفتح ، عدد ٥٦ ، ٧ صفر ١٣٤٦هـ ، ٤ أغسطس ١٩٢٧م .

(٥) الفتح ، ٤٦ ، ١٧ ذو القعدة ١٣٤٥هـ ، ١٩ مايو ١٩٢٧م .

يزرها المبشرون للآن يجب أن تكون موضع اهتمام الكنيسة وميدان جهادها ، ولا ينبغى أن يبقى فى هذا القرن العشرين للتاريخ المسيحى مكان على وجه الأرض لاتطأه قدم المبشر ، وأشار إلى أن أكثر البلاد لم يحتلها المبشرون إنما تقع فى دائرة العالم الإسلامى وحدد شمال إفريقيا وغرب آسيا والصين والهند والمناطق الواقعة فى الشمال الشرقى من أزربيجان وكذلك بلاد الأكراد المتاخمة للحددود التركية وبلاد الحجاز واليمن والعراق وسلطنة نجد والسودان (١) .

وقد وضح رشيد رضا خطة التبشير التى تقوم بها الجمعية العالمية الصليبية للتنصير فى العالم الإسلامى وفى بلاد العرب ، ومقر هذه الجمعية لندن ويرأسها مستر إستد والمراقب العام لها القس باركلين ، وترجمت المنار المنشور الذى أعدته هذه الجمعية لتنصير جزيرة العرب ، وما احتوى من هجوم شديد على الإسلام وعلى دينه ورسوله وعقائده ، فقد جاء فى هذا المنشور : «إن بلاد العرب والتى تبلغ مساحتها مليون ميل مربع وفيها من السكان من أربعة ملايين إلى اثنى عشر مليونا يموتون ميتة وثنية لم تبلغهم دعوة الإنجيل بعد ، وفيها مكة يتوجهون نحوها بإغراء الشيطان ليصلوا صلاة كاذبة صلوا من أجل العرب كى ينجيهم الله هم مخدوعون من الشيطان الذى اخترع لهم كتابا مزيفا هو القرآن الذى حل محل كلمة الله الحية الكلمة القادرة على تخليص نفوسهم ، فمن يحمل كلمة الدعوة إلى العرب فمن يخرج ويبكى ويزرع زرعا جيدا يعود فرحا ويقطف مما زرعه . . إن المسيح مات فدية عن الجميع ثم قام من الموت ، هو مات عنكم وعنى وعن العرب فمن يطع أمر المسيح فيذهب إلى العرب بهذه الرسالة ، وحوى المنشور أيضا دعوة إلى الذهاب إلى مكة والمدينة لتنصير الحجاج حتى يصيروا حجاج المسيح وحده (٢) .

وحينما قبضت الحكومة السعودية على اثنين من المبشرين اللذين حاولا دخول البلاد السعودية كتب محب الدين الخطيب سلسلة مقالات بعنوان «كلمة صريحة حول المبشرين» أكد فيها أن الاستيلاء على بلاد العرب ولا سيما القطر السعودى هو غاية المبشرين لأنها كعبة الإسلام وقبلته وفيها الحرمان الشريفان ، وكشف محب الدين الخطيب عن جهود المبشرين فى حلب لتنصير المسلمين هناك ، حيث افتتحوا مكتبة بعنوان: «المكتبة الأمريكانية المجانية» هذه المكتبة توزع منشورات على الناس بعنوان : «إلى الله» ، «إنجيل يوحنا» ، «شذارت من التوراة والإنجيل» ، استعد للقاء إلهك ، كل هذا بغير مبالاة بشعور المسلمين هناك (٣) .

وقد أكدت معطيات الصحافة الإسلامية عن موضوع التبشير على أن هناك صلة قوية

---

(١) نور الإسلام ، جـ٣ ، محرم ١٣٤٩هـ .
(٢) المنار جـ ، م ٢٨ ، شوال ١٣٤٥هـ ، أبريل ١٩٢٧م .
(٣) الفتح ، عدد ٨٢ ، ١٠ شعبان ١٣٤٦هـ ، ٢ فبراير ١٩٢٨م .

بين التبشير والاستعمار ، وأن التبشير عمل استعمارى بالدرجة الأولى ، وأن الغرب حينما لم يستطع مقاومة الإسلام بالسيف حاول مقاومته بطريقة التبشير بالدين النصرانى من خلال البعثات التبشيرية التى انتشرت فى كل البلاد الإسلامية ، وهذه البعثات تستمد تعليماتها من المراكز الرئيسية فى عواصم أوربا (١) . والمدارس التى أنشأتها الجمعيات التبشرية من فرنسية وإنجليزية وأمريكية وألمانية وإيطالية أدوات لتحقيق الفتح التبشيرى وتوطيد الفتح السياسى عن طريق إيجاد خطط للأقطار المراد فتحها ، وأعانتهم على ذلك تلك البعثات المختلفة التى كانت ترسلها الممالك الإسلامية إلى أوربا (٢) ، فضلا عن البرامج والخطط الأخرى التى أعدتها الحكومات الاستعمارية لمحو الإسلام وإضعاف المسلمين وإذلالهم ، منها : بناء المستشفيات لاستغلال حاجة المرضى المسلمين للعلاج ، ولكنها فى الحقيقة للتنصير ، فالأطباء يلبسون ملابس القسس ويرددون على المريض عبارات من الإنجيل ويدعونهم دعوة صريحة للدخول إلى النصرانية (٣) . ومن هذه الخطط أيضا تعضيد فكرة الإلحاد ونشرها بين الطبقات المتعلمة من المسلمين والشرقيين التى تعمل بدورها على تحقيق برنامج المستعمر من خلال تقليل أهمية التعاليم الدينية فى المدارس والمؤسسات التعليمة والتثقيفية ، كذلك تعمل الحكومات الاستعمارية على ترويج الجرائد والمجلات الخليعة بين الشباب والشابات المسلمات ، وإرسال بعثات من أطفال المسلمين إلى البلاد الغربية بدعوى تعليمهم والحقيقة هى لتنصيرهم (٤) .

وقد أخذت الحكومات الأوربية الاستعمارية ـ لا سيما بعد الحرب العالمية الأولى ـ تزداد اهتماما بتأييد الرسالات الدينية والبعثات التبشيرية وعلى وجه الخصوص حكومة فرنسا وإيطاليا وبلجيكا ، وكذلك الحكومات البروتستانتية اهتمت بنشر دعايتها وإرسال رسالاتها ومبعوثيها كحكومة أمريكا وإنجلترا وهولندا ، ويلاحظ أن للألمان البروتستانت رسالات دينية ، وللألمان الكاثوليك رسالات أخرى ، وللفرنسيين الكاثوليك رسالات دينية وللفرنسيين البروتستانت رسالات أخرى ، وهكذا فى معظم الدول الأوربية .

وبيَّن شكيب أرسلان اهتمام الحكومات الأوربية بالتبشير ، مشيرا إلى أن هذه الحكومات تنظر إلى التبشير الكاثوليكى والبروتستانتى بعين الرضا لأمرين :

الأمر الأول : هو الأمل بأن التدين بالنصرانية يخفف بغضاء الشرقيين للسلطة الأوربية فيهون على هذه الدول الاستعمار ؛ ولذلك كانت حكومة فرنسا اللادينية تأخذ بيد

---

(١) الفتح ، عدد ٥١ ، غرة محرم ١٣٤٦هـ ، ٣٠ يونيه ١٩٢٧م .

(٢) أنور الجندى ، الفتح ، تاريخ الصحافة الإسلامية ، مرجع سابق ، حـ٢ ، ص٨٦ .

(٣) نور الإسلام ، جـ٣ ، م١ ، ربيع الأول ١٣٤٩هـ .

(٤) الشبان المسلمون ، جـ٩ ، م٢ محرم ١٣٥٠هـ ، يونيه ١٩٣١م ، مقال بعنوان : «كيد الاستعمار والمستعمرين لمحو الإسلام واستعباد المسلمين» د . يحيى الدرديرى .

الكاردينال لافيجرى سرا فى مهمة تنصير أهل الجزائر ، وحكومة هولندا تساعد المبشرين فى جاوه ، وكذلك يساعد ضباط الإنجليز المبشرين البروتستانت فى أوغندا ومصر .

الأمر الثانى : هو أن الدول الأوربية تنظر بعين الحذر إلى انتشار الدعوة الإسلامية فى كل مكان بدون استثناء (1) ، وعلى وجه الخصوص الدعوة الإسلامية التجديدية التى كان يدعو إليها جمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده وتلاميذهما فيما بعد ، ومحاولة صد هذه الدعوة قبل أن تنتشر وتصبح خطرا يهدد الكنيسة ومبادئها وأفكارها ، وقد أقيمت عدة مؤتمرات تبشيرية لهذا الغرض ، انتدب لها أكابر القسس والمبشرين والمستشرقين ، ووضعت لها البرامج والمناهج لدراسة القضاء على هذه الدعوة الإسلامية التى كان لها صدى واسعا فى العالم كله ، ومن هذه المؤتمرات :

١ـ مؤتمر القاهرة ، الذى انعقد فى عام ١٩٠٦م فى منزل الزعيم أحمد عرابى باشا بباب اللوق ، كما أشرنا قبل .

٢ـ مؤتمر أودنبرج فى عام ١٩١٠م ، وقد ضم أكثر من ١٢٠٠ مندوبا منهم ٥٠ من الإنجليز و٥٠٥ من الأمريكيين والباقون من الدول النصرانية الأخرى ، وكان المستر روزفلت رئيس جمهورية الولايات المتحدة الأمريكية سابقا أحد مندوبى إرسالية التبشير الأمريكية .

٣ـ مؤتمر لكنو بالهند ، وقد انعقد فى سبتمبر ١٩١١م ، وشارك فيه ١٦٨مندوبا ، وممثلون عن ٥٤ جمعية تبشيرية ، بلغوا ١١٣ عضوا ، وكان رئيس هذا المؤتمر القسيس زويمر رئيس المبشرين فى الشرق .

٤ـ مؤتمر القدس الأول (2) ، الذى دعا إليه القسيس زويمر نفسه ، والذى انعقد فى

---

(1) الفتح ، عدد ١٣٠ ، ٢٩ رجب ١٣٤٧هـ ، ١٠ يناير ١٩٢٩م .

(2) كان من أبرز ما اتخذ فى هذا المؤتمر من توجيهات هى :

١ـ فى كل حقل من حقول العمل التبشيرى يجب أن يكون موجها نحو النشء الصغير من المسلمين .

٢ـ التعليم التبشيرى هو أفضل وسيلة للوصول إلى المسلمين ورفع كفاءة المبشرين .

٣ـ التحذير من كل نوع من أنواع الجدل السلبى والاعتماد على التبشير الإيجابى بكلمة المسيح المصلوب .

٤ـ القضية محصورة فى مواجهة واحدة هى تعبئة صفوف جديدة .

٥ـ الذين يتنصرون من المسلمين يجب أن ينقلوا إلى جهة اجتماعية أخرى.

٦ـ أن بعض الحكومات الاستعمارية بانت صديقة للتبشير ومعاونة له .

٧ـ الدستور الذى أنشئ فى مصر قد اشتمل على نصوص قاطعة تكفل الحرية الدينية .

٨ـ خير الوسائل هى اقتباس آراء الكتاب والمفكرين ومحاضراتهم كالآراء التى كتبها جرجس سال ونقلها طه حسين فى كتابة «الشعر الجاهلى» .

٩ـ الحرب الكبرى جعلت العديد من المسلمين على صلة مباشرة بالحضارة الغربية، فانفتحت عيونهم على عالم=

عام ١٩٢٤م فى يافا (١) ، ومؤتمر القدس الثانى المنعقد فى أبريل ١٩٢٨م والذى افتتحه القس جوط موط الزعيم الدولى لجمعية الشبان المسيحيين تحت عنوان : «الهدف توحيد السياسة بين الكنيسة القديمة والجديدة لجعل الضغط الغربى على سائر أنحاء العالم مرتكنا إلى القواعد المسيحية» (٢) .

وقد أحدث هذا المؤتمر التبشيرى الأخير ردود فعل فى صحافة الاتجاه الإسلامى، ظهرت أصداؤها فيما نشر من بيانات الاستنكار والاحتجاجات التى قدمتها الجمعيات الإسلامية على انعقاد هذا المؤتمر ، وكان فى مقدمة هذه الجمعيات جمعية الشبان المسلمين، وجمعية الهداية الإسلامية ، والجمعية الإسلامية بنابلس وحيفا ، كذلك أبرزت الصحف أخبار وأنباء الاحتجاجات والمظاهرات التى قام بها سكان المدن الفلسطينية ضد الحكومة الفلسطينية التى سمحت بانعقاد هذا المؤتمر فى فلسطين ، وكذلك مؤتمر القدس ١٩٢٤م ، كما نشرت الصحف الإسلامية برقيات الاحتجاج التى وردت إليها من القراء المصريين الذين نددوا بعقد هذا المؤتمر التبشيرى فى القدس ، وعرضت الصحف أيضا للقصائد الحماسية التى تهاجم المبشرين وكبيرهم زويمر ، ومن أبرز هذه القصائد ـ على سبيل المثال ـ قصيدة الشاعر الصاوى على شعلان بعنوان: «كيف نودع رئيس الشياطين ؟» إلى الدكتور زويمر ، جاء فى مطلعها :

ألا أبلغ زويمر والعذارى	كأمثال الظبا أبت القفار
ترتل فى كنائسها صلاة	فتبعث من فؤادك ما توارى

وأكدت صحيفة «الفتح» على صلة الاستعمار العالمى بالمؤتمر التبشيرى فى القدس قائلة : «كانت دواوين الاستعمار فى عواصم الدول العظمى على اتصال بالمؤتمرين وعاملة على إنجاح مساعيهم لتتوصل بها إلى أغراضهم من الاستبداد بالحكم فى الوطن الإسلامى، وأبرز دليل على ذلك : حضور المندوب السامى البريطانى بنفسه فى حفلة افتتاح المؤتمر بالقدس» (٣) ، وتجاهلت كل الصحف الغربية جميع الاحتجاجات التى قدمت على انعقاد المؤتمر التبشيرى بالقدس من الجماعات الإسلامية فى مصر والشام وغيرها ، مع أن أقل حادثة تقع فى الشرق يملؤون الدنيا بها ؛ ولهذا أصر شكيب أرسلان على إنشاء مكاتب للاستعلامات أو الاستخبارات فى عواصم أوربا تمدها الصحف الإسلامية

= جديد ما كانوا يعرفونه من قبل .

انظر : أنور الجندى ، الفتح ، تاريخ الصحافة الإسلامية ، جـ٢ ص٨٨ ، ٨٩ .

(١) محمد محمود الصواف : المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام ، السعودية : دار الإصلاح ، ١٩٧٩م ، ص٥٦ ، ٥٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص٩١ .

(٣) الفتح ، عدد٩١ ، ٢١ شوال ١٣٤٦هـ ، ١٢ أبريل ١٩٢٨م .

بالأحداث التى تقع فى الشرق ، تفاديا للتعتيم الإعلامى الأوربى للقضايا الإسلامية ، ولأن الاستعمار يحارب المسلمين بهذه الوسائل فهو يذيع عنهم ما يشاء من أغاليط ، ثم يقوم بتوصيل أصواتهم إلى العالم الخارجى (١) .

وحينما انعقد المؤتمر الأفخارستى الذى أقامه الكاثوليك الفرنسيون من رهبان وغيرهم فى قرطاجنة من البلاد التونسية ، هبت الصحف الإسلامية فى مصر للتنديد بهذا المؤتمر وبيان خطره فى تنصير المسلمين وإخراجهم من دينهم (٢) ، وذهبت الفتح إلى أن هذا المؤتمر يمثل كارثة أكبر من ضياع الأندلس ، وشنت حملة عنيفة على شيخ الإسلام فى تونس ، وعدد من حملة الشريعة الذين قبلوا أن تتألف منهم لجنة شرف لحضور مؤتمر التبشير الكاثوليكى ، ولتسهيل مهمة كاثوليكية يقوم بها خمسون ألف قسيس من حملة الصلبان العاملين بهمة وإخلاص لإخراج المسلمين من الدين المحمدى وإدخالهم تحت راية الصليب (٣) .

وأشارت صحيفة الشبان المسلمين إلى أن هذا المؤتمر مظهر للحملة العدائية العنيفة التى يقوم بها رجال الكنيسة ضد الإسلام ، وأنه حملة صليبية تاسعة على الإسلام ، ومظاهرة مريبة فى سياسة الاستعمار الفرنسى ، وأن فرنسا تمثل مأساة الأندلس من جديد ، وأن الدافع لعقد هذا المؤتمر فى تونس هو «تحقيق الفكرة التى كانت تدور بين جنبى لويس التاسع والتى حملها بعده الكاردينال لا فيجرى ، وليست هذه الفكرة سوى ما كان يقصده لويس التاسع من حملاته الصليبية على هذه الديار وهو إرجاعها إلى الصليب» (٤) .

وقد زاد النشاط التبشيرى فى الثلاثينات ، وظهرت حركة تبشيرية كبرى فى القاهرة عن طريق الجامعة الأمريكية أحدثت أصداء واسعة فى الصحافة الإسلامية ، حيث كشفت هذه الصحف عن دور الجامعة فى التبشير ، وكتب حسن البنا ـ المرشد العام للإخوان المسلمين ـ مشيرا إلى أن الجامعة الأمريكية تقوم بدور تبشيرى خطير ، حيث تقوم بإقامة الحفلات التى يخطب فيها المبشرون ويحضرها بعض المسلمين ، وفى هذه الخطب يسيؤون إلى الإسلام، ويطعنون فى نبيه ﷺ (٥) ، وتؤكد «الشبان المسلمون» على أن الجامعة الأمريكية هى أول معهد للمبشرين والعمل بالطرق الصريحة والملتوية لتنصير المسلمين (٦).

---

(١) الفتح ، ٤ ذو الحجة ١٣٤٦هـ ، ٢٤ مايو ١٩٢٨م .
(٢) نور الإسلام ، عدد ٩ ، م١ ، رمضان ١٣٤٩هـ .
(٣) الفتح ، عدد ١٥ مايو ١٩٣٠م .
(٤) الشبان المسلمون ، جـ٢ ، م٢ ، جمادى الآخرة ١٣٤٩هـ ، نوفمبر ١٩٣٠م .
(٥) الإخوان المسلمون ، عدد ٣٠ ، السنة الاولى ، ١٥ ذو القعدة ١٣٥٢هـ .
(٦) الشبان المسلمون ، جـ٤ ، م٥ ، رمضان ١٣٥٢هـ ، يناير ١٩٣٤م .

إضافة إلى ذلك استعمل المبشرون فى تنصير المسلمين طريق التنويم المغناطيسى ، ونشرت الصحف تفاصيل عن حادث محاولة بعض المبشرين إغراء التلميذ يوسف عبد الصمد ابن الشيخ عبد الصمد دياب على تغيير دينه واعتناق الديانة النصرانية ، واستعملوا للوصول إلى هذا الغرض طرقا غير مشروعة ، منها : تنويم الشاب تنويما مغناطيسيا عدة مرات للتأثير فيه أثناء نومه غير الطبيعى للخضوع لإرادتهم ، وأبعدوه عن أهله وأسكنوه بالمعادى عند المبشر المدعو عريان بطرس ، وقد أثيرت هذه الحادثة فى مجلس النواب حيث قدم العضوان الدكتور عبد الحميد سعيد والدكتور عبد العزيز نظمى استجوابا لوزير الداخلية عن مدى علم الحكومة بهذا الحادث وغيره من الحوادث المشابهة ، وما هى الإجراءات الحازمة التى ترى الحكومة وجوب اتخاذها بسرعة اتجاه هؤلاء المبشرين الذين لا يحترمون شعور الأمة الإسلامية ولا قوانين البلاد (١) .

ولهذا عقد المركز العام للشبان المسلمين فى القاهرة مؤتمرا كبيرا ناقش فيه موقف الأمة الإسلامية تجاه عدوان المبشرين على دينها ، ونشرت «الفتح» أهم التوصيات التى توصل إليها المؤتمر ، وكانت على الوجه التالى :

١ـ مراقبة سير التعليم فى مدارس المبشرين والمؤلفات التى تقدم فيها .

٢ـ منع المدارس النصرانية من مطالبة الطلاب المسلمين بأداء العبادات النصرانية .

٣ـ مراقبة مستشفيات المبشرين وأماكن محاضراتهم ، ومنع اتخاذها وسيلة للتعدى على الإسلام بأساليب خبيثة .

٤ـ إنشاء مدارس إسلامية لتغطية حاجة المسلمين إلى التعليم وحتى لا يضطرون إلى دخول مدارس التبشير .

٥ـ قصر جهود الإرساليات على أبناء الديانة التى تتبعها الإرساليات (٢) .

كذلك تألفت جماعة باسم «جماعة الدفاع عن الإسلام» للرد على هجمات المبشرين، تكونت فى مجلس بنادى جمعية الشبان المسلمين فى ٢٤ صفر ١٣٥٢هـ ، ١٧ يونيه ١٩٣٣م من السادة : فؤاد سليم بك الحجازى ، والدكتور عبد الحميد سعيد ، والشيخ محمد عبد اللطيف ، والشيخ عد الوهاب النجار ، وانضم إليها الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الأزهر الذى ترأس أول اجتماع لها فى ٢٩ صفر ١٣٥٢هـ ، وفى هذا الاجتماع تم الاتفاق على أبرز الخطط لمحاربة التبشير نذكر منها ما يلى :

١ـ رفع عريضة إلى جلالة الملك فؤاد يذكر فيها أعمال المبشرين ، ويلتمس وضع حد

---

(١) الشبان المسلمون ، جـ ٨ ، م٣ ، ذو الحجة ١٣٥١هـ ، مايو ١٩٣٢م .

(٢) الفتح ، عدد شوال ١٣٥٠هـ، وأنور الجندى، الفتح، تاريخ الصحافة الإسلامية،مرجع سابق ،حـ٢،ص٩٦ .

لعدوانهم .

٢ـ توجيه كتاب إلى الحكومة المصرية بضرورة اتخاذ إجراءات حاسمة وسريعة بشأن أعمال المبشرين .

٣ـ توجيه كتاب إلى وزراء الدول المفوضين فى مصر ينبهون فيها إلى أعمال المبشرين خطرها .

٤ـ نشر نداء للأمة بتحذيرها من إدخال أبنائها فى مدارس المبشرين وملاجئهم ومستشفياتهم .

٥ـ الدعوة إلى اكتتاب عام لإنشاء مؤسسات إسلامية تغنى الأمة عن دور التبشير .

٦ـ حض وزراتى المعارف والأوقاف على جعل التعليم فى مدارسهما قائما على دعامة إسلامية .

٧ـ مطالبة وزارة الأوقاف بالإكثار من الملاجئ والمستشفيات .

٨ـ توجيه نظر العلماء والوعاظ وأئمة المساجد إلى ما يجب عمله نحو المبشرين على الخصوص .

٩ـ تأليف لجنة من العلماء والكتاب لوضع كتب بالتبشير بالإسلام (١) .

وعرضت صحيفة الإخوان المسلمين أيضا لتاريخ التبشير فى الصين ، وبينت كيف كان المبشرون يعكفون على نشر الدين النصرانى بين السكان وتتبعت تاريخ الدعاية التى قام بها اليسوعيون فى الصين واليابان فى القرنين السادس عشر والسابع عشر (٢) .

وحينما أرسلت وزارة المعارف المصرية إلى مدارسها الأولية منشورا تطلب فيه إحصاء النصارى الذين يتعلمون بها حتى تنفذ قرار الحكومة الذى يقضى بتعيين معلم دينى نصرانى بكل مدرسة بها عشرة من النصارى أحدث هذا القرار ضجة كبرى ، وكتبت صحيفة الإخوان المسلمين مقالا بعنوان : «التبشير الرسمى خطر داهم جديد إلى علماء الأمة وأمرائها وحراس الدين» وفى هذا المقال وجه الشيخ محمد زكى إبراهيم صرخة مدوية إلى جلالة الملك وإلى أصحاب السمو أعضاء مجلس الوصاية والسادة العلماء وشيخ الأزهر وطلبة الدين والمسلمين بعامة أن يحتجوا على هذا القرار (٣) .

وقد شكلت لجنة لمقاومة التبشير فى الإسماعيلية من أعضاء الإخوان المسلمين ،

---

(١) الشبان المسلمون ، جـ١ ، ٥ جمادى الآخرة ، ١٣٥٢هـ ، أكتوبر ١٩٣٣م .

(٢) الإخوان المسلمون ، عدد ٨ ، السنة الرابعة ، ١٢ ربيع الأول ١٣٥٥هـ ، ٢ يونيه ١٩٣٦م .

(٣) الإخوان المسلمون ، عدد ١٣ ، السنة الثالثة ، ٨ ربيع الآخر ١٣٥٤هـ ، ٦ يوليو ١٩٣٥م .

تكونت على أثر تنصير المبشرين للشاب إسماعيل بكر ، السواق بالإسماعيلية ، وتولى رئاسة اللجنة الشيخ شافعى إمام مسجد الإخوان بالإسماعيلية ، وسلامة أفندى خاطر ناظر معهد حراء الإسلامى سكرتيرا ، وعبد الحميد أفندى رجب ومحمد أفندى حسام الدين وسعيد الهندى وعبد الرحمن أفندى حسب الله وحسن أفندى موسى وإسماعيل أفندى عز وزكى أفندى المغربى أعضاء جمعية الإخوان أعضاء فى اللجنة ، ومن أبرز ما قررته اللجنة:

١ـ عمل نداء للجماهير ببيان أخطار المبشرين .

٢ـ إنشاء مدارس إسلامية لإيواء أولاد وبنات المسلمين والحيلولة بينهم وبين مدارس التبشير .

٣ـ تكوين لجنة من فرقة الأخوات المسلمات المتعلمات للاتصال بالسيدات فى البيوت وإفهامهن خطر التبشير والمبشرات .

٤ـ التفكير فى إنشاء ملجأ لإيواء البائسين والبائسات .

٥ـ نشر هذه القرارات فى الصحف وإرسالها إلى مكتب الإرشاد العام بالقاهرة [١] .

وهكذا نرى قضية التبشير كانت من أبرز القضايا التى شغلت الرأى العام المسلم ، وجعلتها الصحف الإسلامية فى مقدمة القضايا التى ينبغى الاهتمام بها ومقاومتها بكل الطرق ، وكشفت عن المغالطات التى احتوتها كتب المبشرين ومنشوراتهم ومجلاتهم وتتبعتها بالنقد والتفنيد ، وبينت أن هذه الكتب والمجلات مليئة بالطعن على الإسلام وكتابه رسوله ﷺ ، ومن هذه المجلات التبشيرية التى هاجمتها الصحف الإسلامية مجلة «العالم الإسلامى» التى يصدرها القس زويمر ، ومجلة اليقظة التبشيرية التى زعمت أن القرآن أثبت عدم تحريف التوارة والإنجيل وانبرى للرد على هذا الزعم طه صديق العبادى، مشيرا إلى أن التوراة والإنجيل شاهدان على أنفسهما بالتغيير والتبديل ، وقد شهد بذلك القرآن الكريم ، قال تعالى : ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ [البقرة : ٥٩] ، وأضاف العبادى : «إن للنصارى أربعة وسبعين إنجيلا ، ولا يعرف الصحيح أو غير الصحيح من هذه الأناجيل ، مما يدل على عدم صحتها» [٢] .

وفى مقال آخر بعنوان : «ضياع التوراة والإنجيل» أثبت فيه بالأدلة والبراهين الدامغة ضياع نسخ التوراة والإنجيل الأصليتين ، وأن ما جاء فى كتب النصارى واليهود ليس وثيق الصلة بالوحى الإلهى ، وإنما هو آراء تبشيرية كتبت بعد ضياع النسخ الأصلية ، وأن الأناجيل الحاضرة ما هى إلا مجموع روايات مختلطة ببعض آيات مأخوذة من كتب يختلف

---

(١) الإخوان المسلمون ، عدد٥ ، السنة الأولى ، ٢٠ ربيع الأول ١٣٥٢هـ ، ١٩٣٣م .
(٢) الفتح ، عدد ١٣١ ، ٦ شعبان ١٣٤٧هـ ، ١٧ يناير ١٩٢٩م .

بعضها عن بعض [1] .

وكان المبشرون يتعرضون فى مجالاتهم لمجادلة المسلمين فى دينهم والقدح فيهم بما ينشرون من رسائل ومقالات ، ونشرت مجلة المبشرين العربية «الشرق والغرب» فى عددها الصادر فى أول أبريل ١٩١٦م مقالة بعنوان : «السنة وصحتها» طعنت فيها على السنة النبوية ، وزعمت أن طعنها يوجب الريب والشك فى الشريعة وترك العمل بها ، وأنها لا قيمة لها فى نفسها ، ومما قالته : «إن صحة الشريعة قضية لابد لكل مسلم سنى من التسليم بها وذلك متوقف على صحة السنة ، فإذا ارتاب أحد فى صحة السنة فليس ثمة داع منطقى يوجب طاعة الشريعة لأن جانبا قليلا منها يتوقف على القرآن والجانب الأكبر يتوقف على السنة التى اجتمعت فيها الأحاديث ، فإذا ثبت الريب فى هذه الأحاديث تزعزعت أركان الشريعة وأركان تابعيها من حنفى ومالكى وشافعى وحنبلى وعددهم لا يقل عن ثلاثمائة مليون من الأتباع» .

وقد تصدى رشيد رضا للرد على ما كتبته هذه المجلة التبشيرية ، ولخص رده فى ثلاث قضايا :

القضية الأولى : الرد على زعم المجلة أنه إذا ارتاب أحد فى السنة ينتفى وجوب طاعة الشريعة ، وأشار إلى أن هذه القضية بديهية البطلان «فإن الإطلاق فى جزاء الشرط لا يدل على أن المراد من القضية الشرطية أن ارتياب فرد من الأفراد فى صحة السنة يستلزم انتفاء وجوب الشريعة على جميع الأفراد ، وإنما المعقول الموافق للمنطق أن ارتياب الفرد أو ظنه أو علمه يترتب عليه ما يستلزم فى حق نفسه ولا يكون ذلك مؤثرا فى غيره ممن لم يرتب ارتيابه أو يعلم علمه ، وكذلك ارتياب الأفراد الكثيرين» ويدلل على ذلك قائلا : «لقد ارتاب بعض علماء أوربا الأحرار فى وجود المسيح ﷺ وزعموا أنه شخص خيالى أو متخيل ولم يوجد ، فهل استلزم ارتياب أولئك المرتابين فيه انتفاء إيمان فئات الملايين من المسلمين والنصارى وغيرهم بوجود المسيح» ؟!

القضية الثانية : الرد على زعم المجلة أن أكثر الشريعة يتوقف على الأحاديث ، وقد فند رشيد رضا هذا الزعم قائلا : «هذه القضية غير مسلمة ، فإن الشريعة عندنا تشمل العقائد ، والعبرة فيها بالدلالة القطعية ، وجميع العقائد التى تتوقف عليها حجة الإسلام ثابتة بنصوص القرآن وإجماع المسلمين ، وإثبات الألوهية والنبوة منها مؤيد بالبراهين

---

(١) الفتح ، عدد ١١٥ ، ٣ ربيع الآخر ١٣٤٧هـ ، ٢٧ سبتمبر ١٩٢٨م ، وعدد ١١٧ ، ٢٧ ربيع الآخر ١٣٤٧هـ، ١١ أكتوبر ١٩٢٨م .

العقلية ، ولا يوجد شىء منها يتوقف على أحاديث الآحاد[1] التى يمكن الارتياب فى بعضها ، وكذلك أصول العبادات كلها قطعية ثابتة بالقرآن والسنة العملية المتواترة التى لا تتوقف على أحاديث الآحاد . . . وأما أحكام الشرع فى المعاملات فأكثرها مأخوذ من القواعد والأصول وكذلك الفروع الواردة فى القرآن إما بالنص ، وإما بدلالة النص وفحواه . . .» .

القضية الثالثة : الرد على زعم المجلة أنه إذا ثبت الريب فى الأحاديث تزلزلت أركان الشريعة وذهب رشيد رضا إلى أن هذه القضية غير مسلمة أيضا وفيها إجمال وإيهام ، فإذا أراد الكاتب بثبوت الريب فى الأحاديث ما أفادته جملته الأولى من ارتياب بعض الأفراد ولو واحدا ، فقد بينا أن هذا لا يترتب عليه إلا ما يستلزمه الارتياب فى نفس المرتاب وحده، وبهذا يظهر بطلان قوله : «تزعزعت أركان الشريعة وأركان تابعيها» .

ثم مضى رشيد رضا يفند المزاعم التى عددها المبشر فى مقالته ، ومنها زعمه عدم الاعتماد على رواة مئات الأحاديث من الصحابة كأبى هريرة ، وزعمه أن البخارى لم يخطر بباله الارتياب فى صدق الصحابة لاعتقاده عصمتهم ، وشرح رشيد رضا أن هذه القضية باطلة أيضا ، لا لأنها حكم بعموم السلب على شىء يتعلق بالقلب لا يعلمه إلا الله وإن مثل هذا الكاتب لا يناقش فى مثل هذا التعبير لأنه لا يفرق بينه وبين القول بأن البخارى لا يتهم أحدا من رواة الصحابة بالكذب ولا بغيره من العلل القادحة فى الرواية وإنما نريد بيان بطلان زعمه أن البخارى كان يرى أن رواة الصحابة معصومون ، والصواب أنه كان يقول : «إنهم عدول صادقون لا معصومون ، وما قال هذا القول أو غيره من نقاد المحدثين إلا بعد تتبع تاريخهم كغيرهم من الرواة . . والبخارى كان أعلم من الطاعن بكل ما قيل فى أبى هريرة وبما رواه أبو هريرة ولم يره مسقطا لعدالته ، ولو رآه مسقطا لعدالته لما روى عنه فى صحيحه» .

ثم تصدى رشيد رضا لزعم المجلة التبشيرية بأن الأئمة الأربعة أسسوا مذاهبهم على ما رواه البخارى عن أبى هريرة ، ودلل رشيد رضا على بطلان هذا القول ، مشيرا إلى أن البخارى متأخر عن الأئمة الأربعة ، أدرك رابعهم الإمام أحمد بن حنبل وتلقى الحديث عنه ، فقد ولد الإمام أبو حنيفة عام ٨٠هـ وتوفى عام ١٥٠هـ ، وولد الإمام الشافعى عام ١٥٠هـ وتوفى عام ٢٠٤هـ ، وولد الإمام أحمد عام ١٦٢هـ وتوفى عام ٢٤١هـ ، وولد البخارى عام ١٩٤هـ وتوفى ٢٥٦هـ ، وقد رحل من بلاده لطلب العلم عام ٢١٠هـ بعد وفاة الشافعى ببضع سنين ، وبعد وفاة مالك بـ٣١ سنة ، وبعد وفاة أبى حنيفة بـ٦٠ سنة

(١) العمل بأحاديث الآحاد فى أصول الدين مسألة خلافية ، والذى يترجح أن حديث الآحاد ما دامت قد ثبتت صحته وجب العمل به سواء أكان فى أصول الدين أم فروعه .

فكيف تقول المجلة التبشيرية أن الأئمة الأربعة أخذوا عن البخارى ما رواه من الأحاديث عن أبى هريرة وبنوا عليه نظامهم الشرعى .

وأخذ رشيد رضا يرد على مطاعن المجلة التبشيرية فى الصحابى الجليل أبى هريرة ، وقد انحصر الطعن فى ثلاثة أشياء :

أولا : استكثار بعض الصحابة لروايته . وأجاب رشيد رضا عن ذلك بأن أبا هريرة قصد بذلك حفظ أقوال الرسول ﷺ ليستفيد منها ويستفيد الناس . ثانيا : ملازمته للرسول ﷺ حتى فى زيارته لنسائه وأصحابه . ثالثا : أنه كان جيد الحفظ قوى الذاكرة ، رابعا : بشارة النبى له بعدم النسيان ودعاؤه له بذلك ، خامسا : أنه تصدى للتحديث لأنه كان يحفظ الحديث وينشره . سادسا : أنه كان يحدث بما سمعه وما رواه عن غيره من الصحابة .

ثانيا : توقع أبى هريرة تكذيب بعض الناس له ، إذا هو صرح بكل ما سمعه . وفند رشيد رضا هذا الادعاء بأنه كان خاصا بما سمعه أبو هريرة من أخبار الفتن التى أسر إليه النبى ﷺ شيئا كثيرا منها ، ومثله فى ذلك حذيفة بن اليمان ، وقد ذكر كل منهما بعض ما سمع تصريحا أو تلميحا فوقع كما قالا ، فكان من دلائل النبوة التى لا تحتمل التأويل .

ثالثا : أن الحنفية لا يحتجون بروايته وأنهم يعتقدون أنه كان كاذبا . وقرر رشيد رضا أن هذه دعوى باطلة تكذبها الألوف من كتب المذهب والملايين من أتباعه ، ويعارض هذه الشبهات الباطلة إجماع أئمة الفقه ومنهم الأربعة المشهورون على الاحتجاج بما صح عندهم من أحاديث أبى هريرة المرفوعة ، وكذا المرسلة عند الجمهور ، وثناء كثير من الصحابة ومن بعدهم على سعة حفظه وجودة ضبطه .

وختم رشيد رضا هذه الردود بالهجوم على المبشر الذى هاجم الصحابى الجليل أبا هريرة ، والتشكيك فى سند الأناجيل ورواياتها قائلا : ماذا يقول هذا المبشر وسائر دعاة النصرانية لو نقل أن النبى ﷺ طرد أبا هريرة كما طرد المسيح ـ عليه السلام ـ بطرس وسماه شيطانا وهو كبير تلاميذه ورسله ، وفى متّى (١٤ :٣١) : أن المسيح قال لبطرس أيضا : «يا قليل الإيمان» ، وفى (١٧ : ٢٠) وصف التلاميذ كلهم بعدم الإيمان . . وماذا يقول لو وصف النبى ﷺ أبا هريرة بمثل هذين الوصفين أو لو وصف بذلك فى الكتاب المجيد ؟ وهل يقبل منا أن نقول له : لماذا تقبل رواية تلاميذ المسيح بلا سند مع وصف المسيح لهم بما ذكر وهو المعصوم من الخطأ ، ولا تسمح لنا بقبول رواية أبى هريرة ؟ [1].

---

(١) المنار ، جـ١ ، م١٩ ، شعبان ١٣٣٤هـ ، يونيه ١٩١٦م مقال بعنوان : «السنة وصحتها والشريعة ومكانتها» ردا على دعاة النصرانية بمصر لرشيد رضا .

وقد واصلت المنار الرد على المبشرين أيضا الذين يقدحون فى الشريعة الإسلامية ، وحينما نشرت مجلة الشرق والغرب التبشيرية أن الشريعة الإسلامية لا قيمة لها فى نفسها ولا فى روايتها ؛ إذ قالت بعد سرد الشبهات والطعن على أبى هريرة : «هذا هو الرجل الذى وضع مع ابن عباس أساس الشريعة ، ولكن ما هى قيمتها ؟ إن السؤال مهم جدا ويطلب الجواب عليه من الثلاثمائة مليون سنى الموجودين فى العالم» . وقد أجاب رشيد رضا على هذه الدعوى مؤكدا على بطلانها عند المسلمين ، وعند من له إلمام بشريعتهم وتاريخهم من النصارى وغيرهم ، سواء أريد بأساس الشريعة أصول أدلتها التى تستنبط منها أو أصول مقاصدها وهى العقائد والأحكام والآداب ، ثم مضى رشيد رضا يشرح قيمة الشريعة الإسلامية ، ونستطيع أن نوجز ما كتبه فى العناصر التالية :

١ـ أنها الشريعة الوحيدة التى تثبت نبوة من جاء بها بالبرهان العقلى العلمى الثابت الدائم .

٢ـ أنها الشريعة الوحيدة التى تواتر كتابها تواترا حقيقيا ورويت سنتها رواية متصلة الإسناد.

٣ـ أنها الشريعة الوحيدة التى حررت البشر من رق رؤساء الدين فلم تجعل لأحد سيطرة روحية على أحد .

٤ـ أنها الشريعة الوحيدة التى أعتقت البشر من رق الملوك المستبدين الذين انتحلوا لأنفسهم حق الحكم بمحض الهوى .

٥ـ أنها الشريعة الوحيدة التى رفعت شأن النساء وأعطتهن حقوقهن كاملة .

٦ـ أنها الشريعة الوحيدة التى ساوت بين أهلها المؤمنين وبين الكافرين بها إذا تحاكموا إليها .

٧ـ أنها وضعت للحرب نظاما حرم فيه العدوان والتمثيل والتخريب .

٨ـ هذه الشريعة فرضت على الأغنياء نصيبا معلوما مما يزيد من أموالهم عن نفقاتهم يصرف لإعانة الفقراء والمساكين (١) .

وعرض اللورد هدلى ـ الذى أسلم وسمى نفسه سيف الرحمن ـ فى مجلة «إسلاميك رفيو» التى يصدرها الخوجة كمال الدين فى تركيا لبعض ما كتبته الصحف التبشيرية والقساوسة من مطاعن فى رسول الله ﷺ والمسلمين وكتاب الله ـ عزوجل ـ وذلك نقلا عن جريدة «نور آفشو» التبشيرية ، التى قالت : « إن الوحى الذى أنزل على محمد أتى من لدن شيطان ، وخلاص المسلمين مبنى على ارتكاب الخطايا وجعلت الأعمال الطيبة عندهم كوسيلة للحرمات ، «وكتب الدكتور هويل راعى الكنيسة الإنجيلية

---

(١) المنار جـ٢ ، م١٩ ، شعبان ١٣٤٦هـ، يوليو ١٩١٨م .

بلاهور : «إن محمدا ظل خاضعا للشيطان والسحر» وكتب القس السير وليم مور عن القرآن: «أنه مجموعة من الحكايات اليهودية والمسيحية المسروقة من التوراة وغير الموثوق بها» ، وبعد أن عرض اللورد هدلى لتلك الأقوال المفتراة والمطاعن البذيئة هاجم هؤلاء المبشرين واتهمهم بأنهم ضالون مضلون ، ليس لديهم أبسط قواعد الأدب فى الحديث .

وصرح أن تعاليم القرآن قد نفذت ومورست فى حياة محمد ﷺ والذى أظهر من أشرف الصفات الخلقية ما لا يتسنى لمخلوق آخر إظهارها ، وأبرز ما كان يتسم به من الصبر والثبات والحلم والصدق والشجاعة والعفو والإحسان ، وأعلن أن ما ذكره هؤلاء المبشرون ما هو إلا محاولات عقمية يقومون بها لتحقير شريعة النبى ﷺ ، وطمس كثير من الحقائق العظيمة عن حياته وحياة أصحابه ﷺ (١) .

كذلك فند رشيد رضا ما يدعيه المبشر زويمر فى إحدى جرائد التبشير الأمريكية «الإنتليجنسر» من أن المسلمين يرحبون بالنصرانية ، وأن هناك إقبالا من الطلاب والمدرسين ومعلمى الأزهر على تعاليم المسيح ، وأبان رشيد رضا أن الغرض الأول من هذه الكتابة هو استنهاض همم الأوربيين النصارى لمساعدة البعثات التنصيرية فى بلاد الإسلام (٢) ، ووجه رشيد رضا دعوة إلى المبشرين دعاهم فيها - إن كانوا مخلصين للمسيحية - إلى التخلى عن تبشير المسلمين والهجوم على الإسلام ، والاتجاه إلى محاربة المارقين من النصرانية إلى المادية ، والذين يطعنون فى الأديان ومنها النصرانية (٣) .

وهكذا يرى أنه كان من أبرز أهداف المبشرين التى كشفت عنها الصحافة الإسلامية : الهجوم على الشريعة الإسلامية والسنة النبوية ، والتشكيك فى رواتها وصحتها وسندها ، وطمس الكثير من الحقائق المشرقة فى حياة النبى ﷺ وحياة المسلمين ، بغية تشكيك المسلمين فى عقائدهم وسنة نبيهم حتى إذا ما تم لهم ذلك انفسح المجال أمام المبشرين لنشر النصرانية فى ديار المسلمين وتمكينها فى عقولهم وبلادهم ، وقد استعان المبشرون للوصول إلى هذا الهدف بكل الوسائل الممكنة من خلال إصدار الجرائد والنشرات والمحاضرات والمؤلفات التى تظهر فساد معتقدات المسلمين ، والمؤتمرات ودور المدارس والمستشفيات التى أعدت لهذا الغرض ، واستنهاض همم الحكومات الأوربية وقادة الدول لمساعدة المبشرين ودعم مسيرتهم بكل الوسائل المادية والمعنوية .

ودأبت الصحف الإسلامية على التعريف بالكتب التبشيرية التى تباع وتنشر وتوزع فى العالم الإسلامى والعربى ، حتى يكون المسلمون على بينة منها فيحذروها .

---

(١) المنار جـ٥ ، م٢٩ ، ربيع الأول ١٣٤٧هـ ، سبتمبر ١٩٢٨م .

(٢) المنار جـ٤ ، م٢٢ ، رجب ١٣٣٩هـ ، مارس ١٩٢١م .

(٣) المنار جـ٢ ، م١٩ ، شعبان ١٣٣٧هـ ، يوليو ١٩١٩م .

ومن أبرز هذه الكتب التى أشارت إليها الصحف الإسلامية كتاب : «العالم الإسلامى اليوم» ، هذا الكتاب جمع ثلاثا وعشرين مقالة مستفيضة لأشهر الكتاب التبشيريين ، وتشير هذه المقالات إلى حدوث انقلاب فى العالم الإسلامى وإلى أن الفرصة سانحة لإخضاع المسلمين وسط هذا الانقلاب للسلطة التبشيرية ، وقد جمع هذا الكتاب ووضع له مقدمة وخاتمة الدكتور جوط موط رئيس المجلس التبشيرى الأعلى ورئيس المؤتمر التبشيرى العالمى الذى عقد فى القدس على جبل الزيتون عام ١٩٢٨م ، وفى خاتمة هذا الكتاب المقررات السرية لمؤتمر المبشرين الذى عقد فى القدس عام ١٩٢٤م ، وعدد صفحاته ٤٢٠ صفحة ، وطبع فى عام ١٩٢٥م .

والكتاب الثانى بعنوان : «انتشار الإسلام» ، ومؤلف هذا الكتاب هو مؤلف الكتاب السابق ، ويهدف إلى الغرض ذاته ، غير أنه يتطرق إلى نواح أخرى ، ويتوسع فى درس ظروف المسلمين العصرية ، ويسوق نتيجة مؤداها : أنه يجب الاعتقاد بأن الإسلام منحل متلاش ، وينطوى هذا الكتاب على ثلاثة عشر فصلا ، ويبلغ عدد صفحاته ٣٠٤ ، وقد طبع فى عام ١٩٢٨م ، وفيه مصور جغرافى للعالم الإسلامى ، وفى هذا الكتاب أيضا مقدمة كتبها المستشرق مارجليوث صاحب كتاب «محمد» والذى أساء فيه إلى الرسول ﷺ [1] .

والكتاب الثالث بعنوان : «حياة محمد» لدرمنجهام ، وقد طعن كاتبه فى مصداقية الصحابة ﷺ ، حيث اتهمهم بالتحريف والتزوير قائلا : «غير صعب على عقولنا وهى أشد معرفة بأفعال الله من معاصرى النبى ﷺ ومن علماء المسلمين أن نؤمن بوجود فرق بين كلام الله القديم وبين الفرقان المحفوظ فى الصدور المرسوم على الأوراق ، وقد يظهر ذلك الفرق بعد الدرس والتفكير ، وربما برز بمجرد النظر . . . ولم يدون القرآن إلا بعد نزوله بمدة ، وقد ضعفت عندئذ ذاكرة القوم ، وكثر بينهم الخلاق ، وكان ذلك بعد موت النبى ﷺ بسبعين سنة» .

وقد علق رضا رشيد على هذه الأقوال ، وفند ما جاء فيها من مغالطات وافتراءات تؤدى إلى وجود الشك فى القرآن الكريم وفى مصداقية الصحابة فى تدوين القرآن يقول رشيد رضا : «لا شك أن هذا الرجل سيىء النية متعمد الكذب لتشكيك قراء كتابه من عوام المسلمين ، فما كتبه تقولات لآراء أملاها الجهل وقلة الحياء ، وأى جهل وأى وقاحة أشد من دعوى من يزعم أن القرآن كتب بعد انتهاء مدة الخلفاء الراشدين ، وهل كان المسلمون فى هذه المدة بغير قرآن» .

---

(١) المنار ، جـ٤ ، م٣٠ ربيع الآخر سنة ١٣٤٨هـ ، أكتوبر ١٩٢٩م ، والفتح ، عدد ١٥٨، ٢٥صفر ١٣٤٨هـ ، أول أغسطس ١٩٢٩م ، سلسلة مقالات كتبها المفكر الإسلامى عجاج نويهض ونشرتها الفتح .

وعرضت المنار لما كتبه أحد المسلمين فى المغرب الأقصى «يدعى اليزيدى» الذى فند أيضا ما جاء فى ذلك الكتاب «حياة محمد» من مطاعن ومثالب ضد القرآن الكريم وصحابة رسول الله ﷺ ، وقد وضح اليزيدى أن الصحابة كانوا يكتبون القرآن عند نزوله، إما من تلقاء أنفسهم وإما بأمر صاحب الشريعة ﷺ وقد جمعه كثير منهم ، إلا أن ثلاثة مصاحف هى التى اختصت وقتئذ بالثقة ، منها مصحف زيد بن ثابت وقد كان عرضه على النبى ﷺ فى آخر حياته ووافق عليه،وزيد هذا هو الذى كلف من أبى بكر الصديق رضي الله عنه أيام خلافته بكتابة المصحف ، وبقى ذلك المصحف عند أبى بكر حتى توفى ـ رحمه الله ـ ثم انتقل إلى عمر رضي الله عنه حتى توفى ، فبقى عند ابنته حفصه إلى أن طلبه منها عثمان رضي الله عنه ، ثم أمر جماعة من الصحابة الأعلام أن يأخذوا منه عدة نسخ لتوزع فى أنحاء البلاد ، فالقرآن حينئذ جمع أول مرة بعد موت النبى ﷺ بفترة قصيرة ، والمرة الثانية فى عهد عثمان ، وهكذا يتبين أن ما قاله هذا المستشرق المبشر فيه مغالطة واضحة تؤكدها الحقائق التاريخية المشهود لها ، وأنه أراد من قوله تقويض دعائم الإسلام تنفيذا للسياسة الكنسية فى التبشير التى تأمر أتباعها من المبشرين والمستشرقين أن يشككوا المسلمين فى معتقداتهم حتى يسهل قيادتهم إلى النصرانية .

فضلا عن هذا ، أثار اليزيدى فى معرض الرد على در منجهام وعلى ما جاء فى كتابه «حياة محمد» من أخطاء ومغالطات بينة يجب على المسلمين ألا ينخدعوا بها ولا يخالجه ريب فى القرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، وهو مقدس لدى المسلمين ، وليس الأمر كذلك عند النصارى [١] .

والكتاب الرابع : «العالم الإسلامى فى الثورة» : ومؤلف هذا الكتاب هو معاون القس الأكبر للحملة المصرية وقت الحرب الأولى ، وقد كان مقيما فى مصر قبل الحرب ، وهو يقرأ ويكتب العربية ، وكان يراقب تأثير الحرب وكيف كانوا يخضعون للسلطة الأجنبية المتسلطة ، وقد طبع هذا الكتاب لتتولى توزيعه ثمانى جمعيات تبشيرية ، وطبع سبع مرات ، وعدد صفحاته ١٦٠ صفحة ، ويدور هذا الكتاب حول دعوة العالم النصرانى للتبشير فى الدول الإسلامية [٢] .

والكتاب الخامس : «الإسلام الفتى فى طريق السفر» : وهكذا الكتاب يبحث فى اصطدام الإسلام وحضارته وجهازه الاجتماعى بالحضارة النصرانية ، ويوضح كيف تتخلل عناصر الحضارة النصرانية الحضارة الإسلامية وتقضى عليها ، وهو يتضمن سبعة فصول ، أخطرها فصل بعنوان : «ما هى الغاية» وفى هذا الفصل يعلق المؤلف باسيل مثيو أهمية

---

(١) المنار ، جـ٦ ، م٣٠ ، جمادى الآخرة ١٣٤٨هـ ، ديسمبر ١٩٢٩م .

(٢) الفتح ، عدد ١٥٨ ، ٢٥ صفر ١٣٤٨هـ ، أول أغسطس ١٩٢٩م .

كبرى على انقلاب الأزهر إلى جامعة إسلامية منظمة راقية ، ويخشى من وراء ذلك تجديد قوى الإسلام ، كما أنه قد انتقد حال الأزهر ووصف طرق التدريس فيه ونال منها كثيرا ، ويبلغ عدد صفحات هذا الكتاب ٢٠٨ صفحة ، وفيه مصور جغرافى للعالم الإسلامى ، وطبع فى عام ١٩٢٦م .

والكتاب السادس : «سيرة الإسلام» : ومؤلفه لنث ثيودور السكرتير العام لجمعية نشر التبشير النصرانى فى السودان ، وكان سابقا يشغل منصب السكرتير التعليمى للجمعية الكنيسة التبشيرية التى لها فروع فى القدس وبعض البلاد العربية ، وطبع فى عام ١٩١٦م، وهذا الكتاب مقدم إلى طلاب المدارس العامة فى بلاد الإنجليز الذين عليهم أن يقوموا بالدور المتعين عليهم ، وهو القيام فى تبديل مستقبل الإسلام ، ويتألف الكتاب من ١٢ فصلا ، ويشمل ٢١٦صفحة (١) .

والكتاب السابع «توبيخ الإسلام» : وهذا الكتاب ـ كما أعلن صاحبه ـ يعنى بتوبيخ الإسلام ، حيث قال : «إن الإسلام هو أبدا مذكر للمسيحية بأنها عاجزة عن تمثيل الرب ، إذ لو لم يكن هذا لكان يجب أن يكون محمد مسيحيا ، أما الآن فيجب رفع هذا العجز بالمبادرة إلى العمل ؛ لأن العالم كله أصبح للمسيح» ، وصاحب هذا الكتاب ينتمى إلى الجمعية التبشيرية الكنسية التى لها فروع فى الدول العربية والإسلامية ، وقد طبع هذا الكتاب للمرة الخامسة عام ١٩٢٠م .

والكتاب الثامن : «العقلية الإسلامية» : مؤلفه ليفونيان مدير مدرسة اللاهوتية فى أثينا ، وقد طبع هذا الكتاب فى عام ١٩٢٨م ، وهو كتاب ضخم يقع فى ٢٤٨ صفحة ، والغرض منه البحث فى كيفية تقريب النصرانية إلى ذهنية المسلمين ، وقد أسرف مؤلفه كثيرا فى الطعن على الإسلام والمسلمين والاعتداء عليهم (٢) .

والفائدة من هذا العرض : الكشف عن أساليب المبشرين وغاياتهم وأهدافهم وأنشطتهم ، وإحاطة المسلمين بما يحاك لهم من مؤامرات ودراسات تستهدف النيل منهم وتشكيكهم فى دينهم وعقائدهم ، وبيان ما تعرض له العالم الإسلامى من هجوم تبشيرى من قبل الهيئات والمؤسسات النصرانية العالمية .

هذا وقد حفلت الصحف الإسلامية بمقالات عديدة تهاجم فيها المبشرين ، وتبين كذب دعواهم فيما يقولون وما يكتبون ، وتعقبت هذه الصحف حركة المبشرين والرد على افتراءاتهم على الإسلام وكتابه ورسوله ، وكشفت عن زيف ما يثيرون من شبهات

---

(١) المنار جـ٤ ، م٣٠ ، ربيع الآخر ١٣٤٨هـ ، أكتوبر ١٩٢٩م .

(٢) الفتح ، عدد ١٥٨ ، ٢٥ صفر ١٣٤٨هـ ، أول أغسطس ١٩٢٩م .

ومغالطات ، وبينت ما فى كتبهم من عورات وسباب للأنبياء عليهم السلام كادعائهم أن لوطا قد زنى بابنتيه وهو سكران لا يدرى ، ويهوذا بن يعقوب قد فسق فى امرأة ابنه ، وداود يخطف امرأة من سطح بيتها لينام معها ، وسليمان يجرى وراء بناء الأمم الكافرة ويعبد الأصنام ويذبح لها وغير ذلك !!

وقد ناقش مصطفى الرافعى مايدعيه المبشرون من مساوئ الإسلام فى موضوع تعدد الزوجات ، مبينا أن الإسلام أباحه لحكمة جليلة ظهرت جليا فى الحرب العالمية الكبرى التى قتل فيها معظم الرجال ولم يبق إلا النساء ، فضلا عن أن الزوجة قد يطرأ عليها مرض وزوجها صحيح ، فأفضل له أن يتزوج بدلا من أن يخادن أو يفسق . والتعدد ضرورة شرعية مقيدة بشرط العدل عند التعدد والاكتفاء بالزوجة الواحدة عند الخوف من العجز عنه، وقد حث الشرع على الاكتفاء بواحدة ، ويشير إلى أن الجمعية النسوية فى إنجلترا طالبت بالتعدد لإنقاذ حياة المرأة ، والمحافظة على إنسانيتها [(١)] .

وحينما هاجم المبشرون الرسول ﷺ ، ونسبوا إليه افتراءات تنقص من شأنه ، ومن شأن فراض الإسلام وتعاليمه ، من ذلك : أن الرسول كان شهوانيا لأنه قد تزوج العديد من النساء ، وقد انبرى للرد على ذلك مصطفى الرافعى فى «الفتح» ، مشيرا إلى أن هؤلاء المبشرين لا يفقهون التاريخ الإسلامى ولا الحكمة المرادة من تعدد زوجات الرسول ﷺ ، ذلك لأن الرسول ﷺ كان يصاهر العائلات القوية ليقوى على ما يريده من الجهاد فى سبيل الله ، ولم يعدد إلا أن بلغ سن الشيخوخة الذى لا تكون فيه شهوة ، كما أراد الرسول أن يكون له نساء يقمن بالوعظ والإرشاد ، كذلك افتراءات المبشرين ضد الشريعة الإسلامية لأنها أباحت الطلاق [(٢)] .

ومضت الصحف الإسلامية ترد على افتراءات المبشرين واتهاماتهم للإسلام والمسلمين بالتعصب ، وكتب الشيخ إسماعيل شلبى ـ من الأزهر ـ يفند هذا الاتهام مؤكدا على أن الإسلام دين التسامح ، وأن وصاياه لشاهد عدل على من يحرفون الكذب عن مواضعه . . والتاريخ لم يرو عن المسلمين أنهم أقصوا النصارى أو الإسرائيليين عن ديارهم حتى فى يوم أن كانت الغلبة لهم ، كما فعلت الملكة إيزابيلا الأسبانية بالمسلمين يوم أن تغلبت عليهم ، فتلك وصمة عار فى تاريخ الأمم النصرانية ، وأن العرب يوم أن دخلوا أسبانيا «الأندلس» عاملوا أهلها بكل أنواع الشفقة والإنسانية ،وأشار إلى أن التعصب الذى يفهمه الإسلام والمسلمون هو الغيرة عليه والتمسك به والدفاع عنه لا الهجوم على ديانات الأخرى كما يفعل المبشرون النصارى الذين ينقمون على الإسلام لا لشىء آخر سوى أن

---

(١) الفتح ، عدد ١ . ٢ ، غرة محرم ١٣٤٩هـ .

(٢) الفتح ، عدد ٢٣٦ ، ١٠ رمضان ١٣٤٩هـ .

دين محمد ﷺ الداعى إلى التوحيد . والمهد لأسس الديانة النصرانية التى تقوم على التثليث (١) .

وأعلنت الصحف الإسلام عن كذب دعوى المبشرين فى أن الإنجيل موحى من عند الله ، وأن روح القدس كان يسدد كاتبيه ، إذ كيف تكون الأناجيل وحيا وقد بلغت سبعين إنجيلا، وإن كتابا يحذف الناس منه ما يريدون ويبقون ما يحبون لا يليق أن يكون وحيا (٢).
وأكد رشيد رضا على أن النصارى أضاعوا الإنجيل الذى أوحاه الله ـ تعالى ـ إلى عيسى ابن مريم عليه السلام وإنما هذه الكتب المسماة الأناجيل عندهم هى كتب تاريخية تحتوى على بعض الحكايات التى ليست لها صلة بالإنجيل الذى أنزل على عيسى ، وقد أثبت القرآن الكريم تحريف النصارى ونسيانهم له ، قال تعالى : ﴿**وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ**﴾ [المائدة : ١٤] ، وأشار أن القرآن هو المهيمن على الكتب كلها وهو الذى حفظ دون تلك الكتب ، فالنصرانية هى التى يجب أن ترجع إليه دون العكس الذى يحاوله المبشرون بأديان الكنائس المتعارضة (٣) .

وكشفت الصحف الإسلامية عن وجود علاقة قوية بين المبشرين بالنصرانية فى مصر والجمعيات المسيحية المصرية ، وأكدت «الفتح» « على أن الجمعية المسيحية المصرية تابعة لجمعية الشبان المسيحية الدولية فى مدينة نيويورك ، وهى تقوم بدور تبشيرى خطير ، يتضح هذا من التقرير التى نشرته هذه الجمعية أنها تسعى جهد الطاقة لإعلان « المجد لله فى الأعالى وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة » ومعنى هذه الآية الإنجيلية نشر المسيحية ومقاومتها لكل دين غيرها» (٤) .

وإزاء ذلك صعدت الصحف الإسلامية من حملته وهجومها فى الطعن على كتب النصارى ومعتقداتهم ، كرد فعل لهجوم المبشرين على عقائد المسلمين ، والتشكيك فى كتابهم والطعن فى دينهم وإلصاق التهم والافتراءات الكاذبة التى تنقص من شأنه ومن شأن فرائضه .

وخوفا من وقوع التصادم والمهاترات بين المسلمين والنصارى فى مصر وانشقاق الصفوف رأى أحد النصارى ـ ويدعى خرسطفورس حبارى ـ التوفيق بين الإسلام

---

(١) الفتح ، عدد ١٢٠ ، ١٨ جمادى الأولى ١٣٤٧هـ ، أول نوفمبر ١٩٢٨م .
(٢) التح ، عدد ١٩٤، ١١ ذو القعدة ١٣٤٨هـ ، ١٠أبريل ١٩٣٠م ، سلسلة مقالات بعنوان : «مناقشة هادئة للمبشرين» مصطفى الرافعي .
(٣) المنار جـ٦ ، م٣٠ جمادى الأخرة ١٣٤٨هـ ، ديسمبر ١٩٢٩م .
(٤) الفتح ، عدد ١٢ يناير ١٩٢٨م .

والنصرانية ، ودارت بينه وبين الشيخ حسن الطويل ـ من علماء الأزهر ـ مناظرة عرضت لها الصحف الإسلامية ، فقد طلب خرسطفورس من الشيخ الطويل أن يساعده فى مسعاه، فقال له الشيخ الطويل : أنا أعرف أنه يوجد دين اسمه الإسلام وله كتاب معلوم، ولا أعرف دينا اسمه النصرانية ، فهل لهذا الدين كتاب معلوم ككتاب الإسلام ؟ فقال : نعم ، له كتب وهى الأناجيل الأربعة ، فقال الشيخ : هل أنزلت هذه الكتب على صاحب النصرانية كما أنزل القرآن على صاحب الشريعة الإسلامية ؟ فقال : لا ، هى كتب كتبها تلاميذة من بعده ، فقال الشيخ الطويل : سم لى بعضها ، فقا له : أحدها : إنجيل متى، فقال الشيخ بأى لغة كتب متى إنجيله ؟ فقال : بالعبرية ، فقال الشيخ : هل توجد النسخة العبرية التى كتبها متى أو صورة منها ؟ قال : لا ، لكنها ترجمت إلى اليونانية ، فسأله وما اسم الذى ترجمها ؟ فقال : هو غير معروف ، فقال الشيخ : كيف أصدق أن هذه النسخة اليونانية تطابق الأصل العبرانى الذى كتبه متى ؟ فبهت خرسطفورس وقطع الحديث [١] .

ويبدو أن الجهود المبذولة من قبل الصحف والهيئات الإسلامية لم تفلح فى إيقاف الهجمات التبشيرية ، برغم مشاركة بعض الأحزاب السياسية كالوفد والأحرار الدستوريين، وإن كانت مقاومة هذه الأحزاب للحركة التبشيرية لم يكن لخطرها على الإسلام وإنما لصلتها بالأهداف الاستعمارية [٢] . واستمر نشاط الإرساليات التبشيرية فى مصر حتى قيام الحرب العالمية الثانية ، ثم هدأ نشاط هذه الإرساليات وذلك بسبب صعوبة المواصلات وصعوبة إيفادهم من بلادهم إلى مصر والدول الإسلامية الأخرى [٣] .

ولكن يلاحظ أ نشاط هذه الإرساليات لم ينقطع حتى الآن ، فقد نشرت صحيفة «المسلمون» الدولية تحت عنوان : «الدوائر الإسلامية تحذر نصف مليون منصر يعملون بإشراف الفاتيكان» أن التقرير السنوى لدائرة تنصير الشعوب لعام ١٩٨٦م يثبت مدى انتشار المبشرين فى كل قارات الدنيا وزيادة أعمالهم ومخصصاتهم المالية [٤] ، الأمر الذى ينبغى

(١) الفتح ، عدد ٢٣٩ ، غرة شوال ١٣٤٩هـ .

(٢) أنور الجندى : الصحافة الساسية فى مصر منذ نشأتها حتى الحرب العالمية الثانية ، القاهرة : مطبعة الرسالة ، ١٩٦٤م ص ٦٠ ود . زكريا سليمان بيومى: الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية، مرجع سابق ص٣٠٣.

(٣) طارق البشرى : المسلمون والأقباط ، مرجع سابق ،ص٤٨٦ .

(٤) «المسلمون» الدولية ، عدد ١٣٧ ، ٢٦محرم ١٤٠٨هـ ، ٢٥ سبتمبر ١٩٨٧م .

جاء فى التقرير هذا أن عدد المنصرين الكاثوليك فى العالم وصل إلى ٤٧١ ألف منصر ، يتبعهم ٥٨ألف مدرسة ، هذا عدا عدد المعاهد الذى يصل إلى ٢٦ ألف معهد ، وقد ذكر التقرير أن مجموع الإعلانات التى وزعتها الدائرة خلال عام ١٩٨٦م قد بلغت ١٢٠ مليون دولار ، أورد التقرير الذى جاء على لسان الكاردينال جوزيف طومكو محافظ دائرة التنصير الكنسية عددا من البيانات المهمة عن جهود التنصير ، وبصفة خاصة فى قارتى آسيا وإفريقيا ، قال التقرير : إنه فى إفريقيا زاد عدد القساوسة إلى ٣٧٣ قسيسا ، وزاد عدد الرهبان إلى ٣٦٣ راهبا وراهبة ، وزاد عدد المنصرين ـ أطباء وممرضين ومهندسين وفنيين ـ إلى ١٧ ألفا و٧٨٣ فردا وبلغ إجمال عدد المطارنة فى إفريقيا ٤٨١ مطرنا .

أن يتنبه له الدعاة المسلمون والمؤسسات الإسلامية القائمة على أمر الدعوة الإسلامية داخل البلاد وخارجها .

وأخيرا نستنتج مما سبق عرضه ما يلى :

١ـ ظهرت حركة التبشير فى مصر بعد عام ١٨٤٠م فى عهدى الخديوى سعيد وإسماعيل ، وانتشرت الإرساليات الأمريكية والفرنسية والإنجليزية فى مصر ، واستطاعت أن تنشئ المدارس والمعاهد والمحافل والمجامع والمستشفيات التى تقوم بالتبشير ، وقد ازداد النشاط التبشيرى بصورة أوسع فى ظل الاحتلال البريطانى على مصر وحماية الامتيازات الأجنبية وتأييد قناصل الدول الأجنبية .

٢ـ أبرز المؤتمرات التى عقدت لأغراض التبشير هى مؤتمر عقد فى مصر عام ١٩٠٦م فى باب اللوق بمنزل الزعيم أحمد عرابى ، ومؤتمر أدنبره باسكتلندا عام ١٩١٠م ، ومؤتمر لكهنؤ بالهند ١٩١١م ، ومؤتمر حلوان بمصر ١٩٢١م ، ومؤتمر القدس الأول ١٩٢٤م ، ومؤتمر القدس الثانى ١٩٢٨م .

٣ـ ركز التبشير على مصر بعد الحرب العالمية الأولى على أساس أن مصر مركز الثقل الغربى ، ولا عتقاد المبشرين أن الظروف مواتية لهم نتيجة لانتشار الفكر الغربى بين المصريين ، واعتراف النظم السياسية بحرية العقيدة والحرية الفردية والأخذ بالنظم العلمانية، والقوانين الوضعية ، وسقوط الخلافة الإسلامية وظهور الدعوة إلى الإقليمية فى مصر .

٤ـ أظهرت المعطيات الصحفية عن وجود صلة قوية بين التبشير والاستشراق والاستعمار ، وأن أهدافهم واحدة ، وإن اختلف الوسيلة والأساليب ، وهى العمل على تشكيك المسلمين فى دينهم وعقائدهم ، ودارسة التطور الفكرى والسياسى فى المنطقة الإسلامية والعربية ، بغية السيطرة عليها والحيلولة دون تجمع المسلمين واتفاقهم ، وإيجاد أفضل وأنجح السبل فى تحويل المسلمين إلى النصرانية والقضاء على الإسلام .

٥ـ كشفت الصحف الإسلامية عن تسامح الحكومات المصرية مع البعثات التبشيرية ومساعدتها لهم بالدعم المادى والمعنوى ، ووقوفها موقفا سلبيا تجاه الاحتجاجات والاستنكارات التى قدمتها الصحف والمؤسسات والهيئات الإسلامية .

٦ـ كان فى مقدمة هذه الهيئات الأزهر ، وجمعية الشبان المسلمين ، وجماعة الإخوان المسلمين ، وجماعة الدفاع عن الإسلام .

٧ـ تابعت الصحف الإسلامية أخبار المنظمات والبعثات التبشيرية فى بعض البلاد العربية والإسلامية ، وأيدت جهود بعض الحكومات العربية فى رفض إنشاء المدارس

التبشيرية ، وكشفت عن دور المدارس الأجنبية وخطورتها على مستقبل النشء المسلم ، وأكدت على دور الجامعة الأمريكية بالقاهرة فى التبشير .

٨ـ كشفت الصحف الإسلامية عن المغالطات التى احتوتها كتب التبشير ومجلاتهم ومنشوراتهم ، وتتبعتها بالنقد والتفنيد ، وأكدت أنها مليئة بالطعن على الإسلام وكتابه ورسوله وسنته .

٩ـ من أبرز هذه المجلات التبشيرية مجلة العالم الإسلامى ، ومجلة اليقظة ، ومجلة الشرق والغرب ، ومجلة الشرق المسيحى ، والانتليجنسر ، ومن أهم الكتب التبشيرية التى عرضت لها الصحف الإسلامية هى : العالم الإسلامى اليوم ، وحياة محمد ، والعالم الإسلامى فى الثورة ، وسيرة الإسلام ، وتوبيخ الإسلام ، والعقلية الإسلامية .

١٠ـ حفلت الصحف الإسلامية بالمقالات التى تفند افتراءات المبشرين ضد الإسلام ورسوله وكتابه ، وبيان كذب دعوى المبشرين فى صدق الأناجيل وهاجمت عقيدة التثليث لدى النصارى ، وكشفت عن وجود علاقة قوية بين المبشرين والجمعيات المسيحية المصرية.

١١ـ من أبرز الكتاب الذين هاجموا التبشير فى الصحف الإسلامية : رشيد رضا ، ومحب الدين الخطيب ، والدكتور عبد الحميد سعيد ، والدكتور يحيى الدرديرى ، وشكيب أرسلان ، وعجاج نويهض ، وعمر إبراهيم دسوقى ، والشيخ حسن البنا ، وعبد الرحمن الساعاتى ، الشيخ محمد زكى إبراهيم ، والشيخ حسن الطويل ، والشيخ إسماعيل شلبى ، ومصطفى الرفاعى ، وطه صديق العبادى .



المصادر والمراجع

أولا : الدوريات :

١ ـ الأستاذ ١٨٩٣م .

٢ ـ الإخوان المسلمون ١٩٣٣ ـ ١٩٣٨م .

٣ ـ الأزهر ١٩٣٥ ـ ١٩٩٣م .

٤ ـ الأهرام ١٩٨٦ ـ ١٩٨٨م .

٥ ـ الحياة ١٨٩٩م .

٦ ـ الرابطة الشرقية ١٩٢٨م .

٧ ـ الزهراء ١٩٢٤م .

٨ ـ السياسة ١٩٢٧م .

٩ ـ السياسة الأسبوعية ١٩٢٢ ، ١٩٢٦ ، ١٩٢٧م .

١٠ ـ الشبان المسلمون ١٩٢٩م ـ ١٩٣٩م.

١١ ـ الشعب ١٩١٣ ، ١٩١٤م .

١٢ ـ الشورى ١٩٢٤م .

١٣ ـ الصرخة ١٩٣٣ ـ ١٩٣٦م .

١٤ ـ اللواء ١٩٠٠م .

١٥ ـ اللواء الجديد ١٩٢٢م .

١٦ ـ مجلة كلية البنات الإسلامية ١٩٨٦م .

١٧ ـ مجلة المؤتمر الإسلامى ١٩٢٤م .

١٨ ـ مجلة العربى ١٩٨٨م .

١٩ ـ المجلة التاريخية ١٩٨٤م .

٢٠ ـ المجلة السلفية ١٩١٧ ، ١٩١٨م .

٢١ ـ المسلمون ١٩٨٧م .

٢٢ ـ مصر الفتاة ١٩٣٨م .

٢٣ ـ المقتطف ١٩٢٦م .

٢٤ ـ المقطم ١٩٢٦م .

٢٥ ـ مكارم الأخلاق الإسلامية ١٩٠٠م .

٢٦ ـ المنار ١٨٩٨ ـ ١٩٣٩م .

٢٧ ـ النذير ١٩٣٩م .

٢٨ ـ نور الإسلام ١٩٣٠ ـ ١٩٣٥م .

٢٩ ـ الهداية ١٩١٠ ـ ١٩١٢م .

٣٠ ـ الهداية الإسلامية ١٩٢٨ ـ ١٩٣٩م.

٣١ ـ الهلال الإسلامية ١٩٢٣ ـ ١٩٢٥ ، ١٩٣١م .

٣٢ ـ الوقائع المصرية ١٩١٤م .

ثانيًا : الكتب :

أ ـ كتب عربية :

إبراهيم إمام :

١ ـ الإعلام والاتصال بالجماهير ، القاهرة ، دار الفكر العربى ، ١٩٦٩م .

إبراهيم عبده :

٢ ـ تطور الصحافة المصرية ، ط٤ ، القاهرة ، سجل العرب ، ١٩٨٢م .

إبراهيم العدوى :

٣ ـ رشيد رضا ـ الإمام المجاهد ، القاهرة ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، سلسلة أعلام العرب ، بدون تاريخ .

أبو الأعلى المودودى :

٤ ـ نحن والحضارة الغربية ، بيروت ، ١٩٦٤م .

٥ ـ الإسلام والمدنية الحديثة ، ط٢ ، القاهرة ، دار الأنصار ، ١٩٧٨م .

أبو الحسن الندوى :

٦ ـ الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية ، ط٢ ، الكويت ، ١٩٦٨م .

أحمد بهاء الدين :

٧ ـ أيام لها تاريخ ، القاهرة ، مؤسسة أخبار اليوم ، ١٩٥٤م .

أحمد حسين :

٨ ـ إيمانى ، ط٢ ، القاهرة ، ١٩٤٦م .

أحمد الشرباصى :

٩ ـ رشيد رضا ـ الصحفى المفسر الشاعر اللغوى ، الكتاب الثانى ، القاهرة ، مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية ، ١٩٧٧م .

أحمد المغازى :

١٠ ـ الصحافة الفنية نشأتها وتطورها ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٦م .

أحمد طربين :

١١ ـ الوحدة العربية ١٩١٦ ـ ١٩٤٥م ، القاهرة ، ١٩٥٩م .

أحمد عبد الرحيم مصطفى :

١٢ ـ تاريخ مصر السياسى من الاحتلال إلى المعاهدة ١٨٨٢ ـ ١٩٣٦م ، القاهرة ، ١٩٦٧م .

١٣ ـ التجديد الإسلامى فى العالم العربى الحديث ، القاهرة ، ١٩٧١م .

١٤ ـ تطور الفكر السياسى فى مصر الحديثة ، القاهرة ، معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٧٣م .

أحمد محمد عوف :

١٥ ـ القاديانية ـ الخطر الذى يهدد الإسلام ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٩م .

أحمد محمد غنيم ، أحمد أبو كف :

١٦ ـ اليهود والحركة الصهيونية فى مصر ١٨٩٧ ـ ١٩٣٦م ، القاهرة ، دار الهلال، ١٩٧٠م .

أديب مروة :

١٧ ـ الصحافة العربية ـ نشأتها وتطورها ، جـ١ ، بيروت ، ١٩٦١م .

أمال كامل السبكى :

١٨ ـ الحركة النسائية فى مصر ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتب ، ١٩٨٦م .

أنور الجندى :

١٩ ـ الشبهات والأخطاء الشائعة فى الفكر الإسلامى ، القاهرة ، دار الاعتصام ، ١٩٨١م .

٢٠ ـ الصحافة السياسية فى مصر منذ نشأتها حتى الحرب العالمية الثانية ، القاهرة ، مطبعة الرسالة ، ١٩٦٢م .

٢١ ـ الصحافة والأقلام المسمومة ، القاهرة ، دار الاعتصام ، ١٩٨٠م .

٢٢ ـ الفتح ، تاريخ الصحافة الإسلامية ، جـ٢، القاهرة، دار الأنصار ، ١٩٨٦م.

٢٣ ـ الفكر العربى المعاصر فى معركة التغريب والتبعية الثقافية ، القاهرة ، دار المعرفة ، ١٩٧٠م .

٢٤ ـ مقدمات العلوم والمناهج ، القاهرة ، دار الأنصار ، ١٩٨١م.

٢٥ ـ المنار ، تاريخ الصحافة الإسلامية ، جـ١ ، القاهرة، دار الأنصار، ١٩٨٣م .

٢٦ ـ يقظة الفكر العربى ، القاهرة ، مطبعة زهران ، ١٩٧٥م .
٢٧ ـ اليقظة الإسلامية فى مواجهة الاستعمار ، القاهرة ، ١٩٧٨م .
أنيس صايغ :
٢٨ ـ الفكرة العربية فى مصر ، القاهرة ، مطبعة هيكل ، ١٩٧٠م .
جمال الدين المسدى :
٢٩ ـ دنشواى ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٣م .
حسن البنا :
٣٠ ـ مذكرات الدعوة والداعية ، القاهرة ، دار الشهاب ، ١٩٦٦م .
٣١ ـ مجموعة رسائل الإمام الشهيد ، بيروت ، ١٩٦٥م .
خليل صابات :
٣٢ ـ الصحافة المصرية فى ثورة ١٩١٩م ، القاهرة ، ١٩٦٩م .
٣٣ ـ حرية الصحافة فى مصر ١٧٩٨ ـ ١٩٢٤م ، القاهرة ، مكتبة الوعى العربى ، ١٩٧٣م .
رشيد رضا :
٣٤ ـ تاريخ الأستاذ الإمام ، القاهرة ، مطبعة المنار ، ١٩٣١م .
رشدى لبيب وآخرون :
٣٥ ـ تاريخ ونظام التعليم فى جمهورية مصر العربية ، ط١ ، القاهرة ، الأنجلو المصرية ، ١٩٧٢م .
رفعت السعيد :
٣٦ ـ تاريخ الحركة الاشتراكية فى مصر ١٩٠٠ ـ ١٩٥٢م ، ط٢ ، القاهرة ، دار الثقافة الجديدة ، ١٩٧٥م .
٣٧ ـ الصحافة اليسارية ١٩٢٥ ـ ١٩٤٨م ، ط٢ ، القاهرة ، مكتبة مدبولى ، ١٩٧٧م .
زكريا سليمان بيومى :
٣٨ ـ الاتجاه الإسلامى والثورة ١٩١٩م ، ط١ ، القاهرة ، دار الكتاب الجامعى ، ١٩٨٣م .

٣٩ ـ الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية فى الحياة السياسية المصرية ١٩٢٨م ـ ١٩٤٨م ، القاهرة ، مكتبة وهبة ، ١٩٧٩م .

٤٠ ـ الحزب الوطنى ودوره فى السياسة المصرية ١٩٠٧ ـ ١٩٥٣م ، القاهرة ، ١٩٨١م .

٤١ ـ مصر الحديثة بين الانتماء العقائدى والقومى ، القاهرة ، مكتبة وهبة ، ١٩٧٧م .

سهير إسكندر :

٤٢ ـ جريدة المصرى والقضايا الوطنية ١٩٣٦ ـ ١٩٤٦م ، القاهرة : سجل العرب ، ١٩٨٦م .

سامى عزيز :

٤٣ـ الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الإنجليزى ، القاهرة ، ١٩٦٨م .

سليمان نسيم :

٤٤ ـ صياغة التعليم المصرى الحديث ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٣م .

سهام نصار :

٤٥ ـ اليهود المصريون صحفهم ومجلاتهم ١٨٧٧ ـ ١٩٥٠م ، القاهرة ، دار العربى، ١٩٨٠م .

شهدى عطية الشافعى :

٤٦ ـ تطور الحركة الوطنية ١٨٨٢ ـ ١٩٥٦م ، القاهرة ، مطبعة أطلس ، ١٩٥٧م .

طه حسين :

٤٧ ـ مستقبل الثقافة فى مصر ، القاهرة ، ١٩٣٨م .

طارق البشرى :

٤٨ ـ الحركة السياسية فى مصر ١٩٤٥ ـ ١٩٥٢م ، القاهرة ، دار الشروق ، ١٩٨٣م .

٤٩ ـ المسلمون والأقباط فى إطار الجماعة الوطنية ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٠م .

عادل حسن غنيم :

٥٠ ـ الحركة الوطنية الفلسطينية من ثورة ١٩٣٦م حتى الحرب العالمية الثانية ، القاهرة ، مكتبة الخانجى ، ١٩٨٠م .

عبد الرحمن الرافعى :

٥١ ـ ثورة ١٩١٩ من سنة ١٩١٤ ـ ١٩٢١م ، جـ١ ، جـ٢ ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٥م .

٥٢ ـ مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية ، القاهرة ، دار النهضة ، ١٩٥٠م .

عبد العظيم رمضان :

٥٣ ـ تطور الحركة الوطنية فى مصر ١٩١٨ ـ ١٩٣٦م ، القاهرة ، دار الكاتب العربى ، ١٩٦٨م .

٥٤ ـ الفكر الثورى فى مصر قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م ، القاهرة ، دار المأمون للطباعة والنشر ، ١٩٨١م .

عبد الرشيد سالم :

٥٥ ـ مقدمات النهضة الأوربية وعواملها فى مصر ، القاهرة ، مكتبة وهبة ، ١٩٧٧م .

عبد اللطيف حمزة :

٥٦ ـ أدب المقالة الصحفية ، جـ٣ ، ط١ ، القاهرة ، دار الفكر العربى ، ١٩٥٦م.

٥٧ ـ أدب بالمقالة الصحفية ، جـ٥ ، القاهرة ، دار الفكر العربى ، ١٩٥٤م .

٥٨ ـ أدب المقالة الصحفية ، جـ٦ ، ط٢ ، القاهرة ، دار الفكر العربى ، ١٩٦١م.

٥٩ ـ أدب المقالة الصحفية ، جـ٧ ، ط١ ، القاهرة ، دار الفكر العربى ، ١٩٥٩م.

عفاف لطفى السيد :

٦٠ ـ تجربة مصر الليبرالية ١٩٢٢م ـ ١٩٣٦م ، القاهرة ، ١٩٨١م .

على جريشه وزميله زيبق :

٦١ ـ أساليب الغزو الفكرى للمجتمع الإسلامى ، القاهرة ، دار الاعتصام ، ١٩٧٣م .

على الخطيب وآخرون :

٦٢ ـ البابية والبهائية فى ميزان الإسلام ، القاهرة ، ١٩٨٥م .

على شلبى :

٦٣ ـ مصر الفتاة ودورها فى السياسة المصرية ١٩٢٣م ـ ١٩٤١م القاهرة ، دار الكتاب الجامعى ، ١٩٨٢م .

على عبد الحليم محمود :

٦٤ ـ الغزو الفكرى وأثره فى المجتمع الإسلامى المعاصر ، الكويت ، دار البحوث العلمية ، ١٩٧٩م .

٦٥ ـ نحو أدب إسلامى : مصطفى صادق الرافعى والاتجاهات الإسلامية فى أدبه ، الرياض ، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

عمر الدسوقى :

٦٦ ـ فى الأدب الحديث ، جـ٢ ، ط٥ ، القاهرة ، دار الفكر العربى ، ١٩٧٠م .

عواطف عبد الرحمن :

٦٧ ـ الصحافة الصهيونية فى مصر ١٨٩٧م ـ ١٩٥٤م ، القاهرة ، دار الثقافة الجديدة، ١٩٨٠م .

٦٨ ـ مصر وفلسطين ، الكويت ، سلسلة عالم المعرفة ، يونيه ١٩٨٥م .

فتحى رضوان :

٦٩ ـ مشهورون منسيون ، كتاب اليوم ، عدد ١٩٧ .

مجمع اللغة العربية :

٧٠ ـ المعجم الوسيط ، القاهرة ، مطبعة مصر ، ١٩٦١م .

محمد أنيس :

٧١ ـ الدولة العثمانية والشرق العربى ، القاهرة ، الأنجلو المصرية ، ١٩٦٣م .

محمد إبراهيم البدرى :

٧٢ ـ بين البهائية والماسونية نسب ، القاهرة ، مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية، ١٩٨٦م .

محمد البهى :

٧٣ ـ العلمانية وتطبيقها فى الإسلام ، القاهرة ، مكتبة وهبة ، ١٩٨٠م .

٧٤ ـ الفكر الإسلامى والمجتمع المعاصر ، مشكلات الحكم والتوجيه ، القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٥م .

٧٥ ـ الفكر الإسلامى وصلته بالاستعمار الغربى ، القاهرة ، مكتبة وهبة ، ١٩٧٥م.

محمد سعد الدين الجيزاوى :

٧٦ ـ أصداء الدين فى الشعر المصرى منذ مطلع العصر الحديث حتى ثورة ١٩١٩م ، جـ١ ، ط١ ، القاهرة ، مكتبة نهضة مصر ، ١٩٥٦م .

محمد سيد محمد :

٧٧ ـ الإعلام والتنمية ، ط٣ ، القاهرة ، مكتبة كمال الدين ، ١٩٧٨م .

٧٨ ـ اقتصاديات الإعلام ، المؤسسات الصحفية ، ط١ ، القاهرة ، مكتبة نهضة مصر ، ١٩٥٦م .

٧٩ ـ الزيات والرسالة ، الرياض ، دار الرفاعى ، ١٩٨٢م .

٨٠ ـ المسؤولية الإعلامية ، القاهرة ، مكتبة الخانجى ، ١٩٨٣م .

٨١ ـ هيكل والسياسة ، الرياض ، دار الرفاعى ، ١٩٨٢م .

محمد عزت الطهطاوى :

٨٢ ـ التبشير والاستشراق أحقاد وحملات على النبى ﷺ ، القاهرة ، مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية .

محمد عمارة :

٨٣ ـ الصحوة الإسلامية والتحدى الحضارى ، القاهرة ، دار المستقبل العربى ١٩٨٥م.

محمد على ضناوى :

٨٤ ـ كبرى الحركات الإسلامية فى العصر الحديث ، القاهرة ، دار الاعتصام ، ١٩٧٨م .

محمد فتحى شعير :

٨٥ ـ وسائل الإعلام المطبوعة فى دعوة الإخوان المسلمين ، السعودية ، ١٩٨٥م .

محمد محمد حسين :

٨٦ ـ الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، جزءان ، ط٣ ، القاهرة ، ١٩٨٠م.

محمد يحيى :

٨٧ ـ فى الرد على العلمانيين ، القاهرة ، مطبوعات الزهراء للإعلام العربى ، ١٩٨٥م .

محمد يوسف موسى :

٨٨ ـ نظام الحكم فى الإسلام ، القاهرة ، دار الكتاب العربى ، ١٩٦٣م .

محمود عبد الحليم :

٨٩ ـ الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ ، جـ١ ، ط١ ، الإسكندرية ، دار الدعوة ، ١٩٧٩م .

مصطفى حلمى :

٩٠ ـ نظام الخلافة فى الفكر الإسلامى ، القاهرة ، دار الدعوة ، ١٩٧٧م .

مصطفى رمضان :

٩١ ـ العالم الإسلامى فى التاريخ الحديث والمعاصر ، القاهرة ، دار الوفاء للطباعة، ١٩٨٤م .

نفوسة زكريا :

٩٢ ـ تاريخ الدعوة إلى العامية فى مصر وآثارها ، ط١ ، الإسكندرية ، ١٩٦٤م .

يوسف القرضاوى :

٩٣ ـ حتمية الحل الإسلامى ، القاهرة ، مكتبة وهبة ، ١٩٧٣م .

٩٤ ـ الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا ، القاهرة ، ١٩٧٣م .

ب ـ كتب مترجمة :

أ . ل . شاتليه :

١ ـ الغارة على العالم الإسلامى ، ترجمة مساعد اليافى ومحب الدين الخطيب ، القاهرة ، المطبعة السلفية ، ١٣٥٠هـ .

تشارلز أدمز :

٢ ـ الإسلام والتجديد فى مصر ، ترجمة عباس محمود ، القاهرة ، ١٩٣٥م .

ريتشارد ميتشيل :

٣ ـ الإخوان المسلمون ، ترجمة عبد السلام رضوان ، القاهرة ، مكتبة مدبولى ،

١٩٧٧م .

لوثرون ستودارد :

٤ ـ حاضر العالم الإسلامى ، ترجمة عجاج نويهض ، وتعليق الأمير شكيب أرسلان ، أربعة أجزاء ، ط٤ ، القاهرة ، دار الفكر العربى ، ١٩٧٣م .

ماجرات سبرانيان :

٥ ـ الوفد والإخوان المسلمون ، ترجمة بشير السباعى ، القاهرة ١٩٨٦م .

جـ ـ رسائل جامعية وبحوث :

جمال النجار :

١ ـ صحافة الاتجاه الإسلام فى مصر منذ مطلع القرن العشرين حتى نشوب الحرب العالمية الأولى ، رسالة ماجستير ، كلية اللغة العربية ، جامعة الأزهر .

رشدى البدرى :

٢ ـ أحمد حسين فى الصحافة المصرية ، رسالة ماجستير ، كلية اللغة العربية ، جامعة الأزهر ، سنة ١٩٨٧م .

على عجوة :

٣ ـ فن الدعاية والإعلام عند مصطفى كامل ، رسالة ماجستير ، كلية الإعلام ، جامعة القاهرة .

عبد الفتاح إبراهيم محمود :

٤ ـ دور الصحافة فى تغيير القيم الاجتماعية ، رسالة دكتوراه ، كلية الإعلام ، جامعة القاهرة .

محمد سعد إبراهيم :

٥ ـ الرافعى صحفيًا ، رسالة ماجستير ، كلية الإعلام ، جامعة القاهرة .

محمود جمعة أمين :

٦ ـ على الغاياتى ـ حياته وشعره ، رسالة ماجستير ، كلية اللغة العربية ، جامعة الأزهر .

مصطفى الدميرى :

٧ ـ العلمانية وأثرها فى وسائل الإعلام ، رسالة ماجستير ، كلية أصول الدين ، جامعة الأزهر .

الفهرس

الموضوع	الصفحة

رقم الإيداع : ١٩٩٩/١٥٥٧٣ م
I.S.B.N: 977 - 15 - 0279 - 4